قصص الأنبياء

العلامة المجلسي
صاحب البحار

حققه واعتنى به
محسن عقيل

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com

info@daralmahaja.com



صُورَة المُؤَلِّف "قدّس سرّه"



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

معنى النبوّة وعلة بعثة الأنبياء وبيان عددهم وأصنافهم وجمل أحوالهم وجوامعها صلوات الله عليهم أجمعين

وقد روى العياشيّ عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أو كان ولد يعقوب أنبياء؟

قال: لا، ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياءِ، ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلاّ سعداءِ، تابوا وتذكّروا ما صنعوا ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ﴾ أي بأن نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض، كما فعله اليهود والنصارى ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ﴾ أي لما تقدّم ذكره أو لله ﴿مُسۡلِمُونَ﴾ خاضعون بالطاعة، مذعنون بالعبوديّه ﴿فِي شِقَاقٖ﴾ أي في خلاف، وقريب منه ماروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: في كفر؛ وقيل: في منّازعة ومحاربة ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾[1] وعد بالنصر وهو من معجزات نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم [2].

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[3] قال: قبل نوح على مذهب واحد فاختلفوا فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين[4].

اعتقادنا في عدد الأنبياءِ أنّهم مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ ومائة ألف وصيّ وأربعة وعشرون ألف وصيّ، لكلّ نبيّ منهم وصيّ، أوصى إليه بأمر الله تعالى، ونعتقد فيهم أنّهم جاؤوا بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ قولهم قول الله تعالى، وأمرهم أمر الله تعالى، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأنّهم عليهم السلام لم ينطقوا إلاّ عن الله تعالى عن وحيه؛ وأنّ سادة الأنبياءِ خمسة الّذين

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٣٦-١٣٧.

(٢) مجمع البيان: ج ٢١٦/١ و٢١٧ و٢١٨، وبعضها منقول بالمعنى. م. وتفسير العياشي. البحار: ج ١١/ ص٩، باب ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٦١. البحار: ج١١/ ص٢٤، باب١/ ح١.

عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدّمه، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمّد؛ وهم أُولو العزم صلوات الله عليهم، إنّ محمّداً سيّدهم وأفضلهم، جاء بالحقّ وصدّق المرسلين[(١)].

عن هشام بن الحكم قال: سأل الزّنديق الّذي أتى أبا عبدالله عليه السلام فقال: من أين أثبتَّ أنبياءَ ورسلاً؟

قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّا لمّا أثبتنا أنَّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ولا يباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، فثبت أنّ له سفراء في خلقه يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والنّاهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنّه له معبرين وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدَّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى وإبراءِ الأكمه والأبرص، فلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علمٌ يدلّ على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته[(٢)].

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: خلق الله عزّ وجلّ مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عزّ وجلّ مائة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم[(٣)].

عن عبدالله بن سنان قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[(٤)].

قال: كانوا أُمّة واحدةً فبعث الله النبيّين ليتخذ عليهم الحجّة.

---

(١) اعتقادات الصدوق: ص ٩٦-٩٧، البحار: ج١١/ص٢٨، ص ٢٨ باب ١/ح١٨.

(٢) توحيد الصدوق: ص ٢٥٣. البحار: ج ١١/ ص ٢٩-٣٠ باب ١/ح٢٠.

(٣) البحار: ج١١/ ص٣٠ باب ١/ ح٢١. والخصال، وأمالي الصدوق.

(٤) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

ذكر المفسّرون أنّ المراد بجعلهم أُمَّةً واحدةً جبرهم على الإسلام ليكونوا جميعاً مسلمين، وقوله عليه السلام: «كانوا أمة واحدة» لعلّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(١) الآية، وظاهره أنَّ المراد أنّهم كانوا جميعاً على الشرك والضلالة، ولو شاء لتركهم كذلك ولكن بعث الله النبيّين ليتّخذ عليهم الحجّة، فأسلم بعضهم فلذا صاروا مختلفين، وإن احتمل أنّ يكون المراد أنّهم كانوا في زمن آدم عليه السلام في بدو التّكليف كلّهم مؤمنين(٢).

عن ابن جريح، عن عطاءٍ، عن عتبة اللّيثيّ، عن أبي ذرّ رحمه الله قال: قلت: يا رسول الله كم النبيّون؟

قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ.

قلت: كم المرسلون منهم؟

قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً.

قلت: من كان أوّل الأنبياءِ؟

قال: آدم.

قلت: وكان من الأنبياءِ مرسلاً.

قال: نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه. ثمّ قال: يا أباذرّ أربعة من الأنبياءِ سريانيّون: آدم، وشيث، وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل من خطّ بالقلم، ونوح. وأبعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيّك محمّد صلى الله عليه وآله. وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وستّمائة نبيّ.

قلت: يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب؟

قال: مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله تعالى على شيث عليه السلام خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوارة والإنجيل والزبور والفرقان؛ الخبر(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
(٢) البحار: ج ١١/ص ٣١، باب ١/ح٢٣. تفسير العياشي.
(٣) معاني الأخبار: ص ٩٥، الخصال: ج ٢/ص١٠٤. البحار: ج ١١/ص٣٢ باب ١/ح٢٤.

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، والحسن بن محبوب، عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قالا: من أحبّ أنّ يصافحه مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ فليزر قبر أبي عبدالله الحسين ابن عليّ عليه السلام في النصف من شعبان، فإنّ أرواح النبيّين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أُولو العزم من الرسل؛ قلنا: من هم؟

قال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلى الله عليه وآله.

قلنا له: ما معنى أُولو العزم؟

قال: بعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنّها وإنسها[1].

عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أُولو العزم من الرسل خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلّى الله عليهم أجمعين[2].

عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: إنّما سمّي أُولو العزم أُولي العزم لأنّهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أنّ كلّ نبيّ كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكلّ نبيّ كان في أيّام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه تابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكلّ نبيّ كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيّام عيسى وكل نبيّ كان في أيّام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله فهؤلاءِ الخمسة أُولو العزم وهم أفضل الأنبياءِ والرّسل عليهم السلام، وشريعة محمّد لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده نبوّة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباحٌ لكلّ من سمع ذلك منه[3].

كون هؤلاءِ الخمسة عليهم السلام أُولي العزم هو المرويّ في أخبارنا المستفيضة.

وروى المخالفون أيضاً عن ابن عبّاس وقتادة؛ وذهب بعضهم إلى أنّهم ستّة: نوح، وإبراهيم وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيّوب.

---

(١) كامل الزيارات: ص ١٧٩-١٨٠. البحار: ج ١١/ ص ٣٢-٣٣، باب ١/ح٢٥.

(٢) الخصال: ج ١/ ص١٤٤. البحار، ج ١١/ص ٣٣، باب ١/ح ٢٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٢٣٤-٢٣٥. البحار: ج ١١/ص ٣٤-٣٥، باب ١/ح ٢٨.

وقيل: هم الّذين أُمروا بالجهاد والقتال، وأظهروا المكاشفة، وجاهدوا في الدّين.

وقيل: هم أربعة: إبراهيم، ونوح، وهود ورابعهم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ولا عبرة بأقوالهم بعد ورود النصوص المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام [1].

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2] وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم عليهم السلام، ومعنى أُولو العزم أنّهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله وأقرّوا بكلّ نبيّ كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب لهم والأذى[3].

عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[4] قال: عهد إليه في محمّد والأئمّة من بعده فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنّهم هكذا، وإنّما سمّي أُولو العزم لأنّهم عهد إليهم في محمّد والأوصياءِ من بعده والمهديّ وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به[5].

لعلّ المراد عدم الاهتمام والعزم التامّ الّذي كان مندوباً إليه في مثل ذلك[6].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن خمسة من الأنبياءِ تكلّموا بالعربيّة.

فقال: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم. وسأله مَن ولد من الأنبياءِ مختوناً؟ فقال: خلق الله آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس ونوح وسام ابن نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) البحار: ج ١١/ص ٣٥، باب ١/ح ٢٩. نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٣) تفسير بن علي إبراهيم: ص ٦٢٤. البحار: ج ١١/ص ٣٥، باب ١/ح ٣٠.
(٤) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٥) علل الشرائع: ص ٥٢. البحار: ج ١١/ص ٣٥، باب ١/ح ٣١.
(٦) تفسير علي بن إبراهيم: ص ٤٢٤. مع اختلاف يسير. البحار: ج ١١/ص ٣٦، باب ١/ بيان ل ح ٣١.

وسألة عن ستّة لم يركضوا في رحم.

فقال: آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخفّاش الّذي عمله عيسى بن مريم وطار بإذن الله عزّوجلّ .

وسأله عن ستّة من الأنبياءِ لهم اسمان.

فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو إسرائيل، والخضر وهو تاليا، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمّد وهو أحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم [١].

كون ذي الكفل هو يوشع عليه السلام خلاف المشهور، ولكنّه أحد الأقوال فيه.

قال الرّازيّ في تفسير الكبير: قيل: إنّ ذا الكفل زكريّا، وقيل: يوشع، وقيل: إلياس، ثمّ قالوا: خمسة من الأنبياءِ عليهم السلام سمّاهم الله باسمين: إسرائيل ويعقوب، إلياس وذو الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذو النون، محمّد وأحمد عليهم السلام انتهى.

وقال بعض المؤرّخين: إنّه حزقيل، وقيل: إنّه وصيّ اليسع بن اخطوب[٢].

عن سفيان بن أبي ليلى، عن الحسن بن عليّ عليهما السلام في حديث طويل إنّ ملك الرّوم سأله عن سبعة أشياءِ خلقها الله عزّوجلّ لم تخرج من رحم.

فقال: آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وناقة صالح وحيّة الجنّة والغراب الّذي بعثه الله عزّوجلّ يبحث في الأرض وإبليس لعنه الله[٣].

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سأله رجل فقال: لأيّ شيءِ بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس؟

فقال: لئلاّ يكون للناس على الله حجّة من بعد الرّسل، ولئلاّ يقولوا: ما جاءنا

---

(١) الخصال: ج ١/ ١٥٤ و١٥٦ ولم نجد فيه خبر من ولد من الأنبياء مختوناً، عيون الأخبار: ص ١٣٥-١٣٦، علل الشرائع: ص ١٩٨.

(٢) البحار: ج ١١/ص ٣٦، باب ١/ح ٣٢.

(٣) الخصال: ج ٢/ص ١٠٨. البحار: ج ١١/ص ٣٦-٣٧، باب ١/ح ٣٣.

من بشير ولا نذير، ولتكون حجّة الله عليهم، ألا تسمع الله عَزَّوَجَلَّ يقول حكايةً عن خزنة جهنّم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياءِ والرّسل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾[1] [2].

عن ابن قيس، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إنّ اسم النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في صحف إبراهيم الماحي، وفي توراة موسى الحادّ؟ وفي إنجيل عيسى أحمد، وفي الفرقان محمّد.

قيل: فما تأويل الماحي؟

فقال: الماحي صورة الأصنام، وماحي الأوثان والأزلام وكلّ معبود دون الرّحمن.

قيل: فما تأويل الحادّ؟

قال: يحادُّ من حادَّ الله ودينه قريباً كان أو بعيداً؛ قيل: فما تأويل أحمد؟

قال: حسن ثناءِ الله عليه في الكتب بما حمد من أفعاله.

قيل: فما تأويل محمّد؟

قال: إنّ الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أُممهم يحمدونه ويصلون عليه، وإنّ اسمه المكتوب على العرش محمّد رسول الله. الحديث[3].

عن الحسين بن نعيم الصحّاف: قلت لأبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ: أيكون الرّجل مؤمناً قد ثبت له الإيمان ثمَّ ينقله الله بعد الإيمان إلى الكفر؟

قال: إنّ الله هو العدل، وإنّما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله، ولا يدعوا أحداً إلى الكفر.

قلت: فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟

قال: الله عَزَّوَجَلَّ خلق الناس على الفطرة الّتي فطرهم الله عليها، لا يعرفون

---

(١) سورة الملك، الآيتان: ٨-٩.

(٢) علل الشرائع، ص ٥١، البحار: ج ٣٩/١١. باب ١/ح ٣٧.

(٣) الفقيه: ج ٢ ص ٢٦٤ (باب الوصية من لدن آدم). البحار: ج ١١، ص ٣٩، باب ١/ح ٣٨.

إيماناً بشريعة، ولا كفراً بجحود، ثمَّ ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله حجّةً لله عليهم، فمنهم من هداه الله ومنهم من لم يهده(١).

في علل الفضل، عن الرضا عليه السلام فإن قال: فلمَ وجب عليهم معرفة الرّسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟

قيل: لأنّه لمّا لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم وكان الصانع متعالياً عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بدٌّ من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارّهم إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه منافعهم ومضارّهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيءِ الرّسول منفعةٌ ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الّذي أتقن كلّ شيء(٢).

عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾(٣) ما الرّسول وما النبيّ؟

قال: النبيّ الّذي يرى في منّامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الّذي يسمع الصوت ويرى المنام ويعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟

قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾(٤) ولا محدث(٥).

عن إسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن بن العبّاس المعروفيّ إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام؟

قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام أنّ الرسول الّذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربّما رأى في منامه نحو رؤيا

(١) علل الشرائع: ص ٥١-٥٢. البحار: ج ١١/ ص ٤٠، باب ١/ح ٣٩.
(٢) علل الشرائع: ص ٩٥، عيون الأخبار: ص ٢٤٩. البحار: ج ١١/ص ٤٠، باب ١/ح ٤٠.
(٣) سورة مريم، الآية: ٥١ والآية: ٥٤.
(٤) سورة الحج، الآية: ٥٢.
(٥) أصول الكافي: ج١/ ص ١٧٦، البحار: ج ١١/ص ٤١، باب ١/ ح ٤١.

إبراهيم عليه السلام، والنبيّ ربّما يسمع الكلام وربّما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الّذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص(١).

عن عبد الرَّحمن بن بكير الهجريّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل وصيّ كان وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبيّ مضى إلاّ وله وصيّ، كان عدد جميع الأنبياءِ مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، خمسة منهم أُولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وإنّ عليّ بن أبي طالب كان هبة الله لمحمّد، ورث علم الأوصياءِ وعلم من كان قبله، أما إنّ محمّداً ورث علم من كان قبله من الأنبياءِ والمرسلين(٢).

أي كان بمنزلة هبة الله بالنسبة إلى محمّد صلى الله عليه وآله، أو كان عليه السلام هبةً وعطيّةً وهبه الله له(٣).

عن الفضيل عن الصادق عليه السلام قال: لم يبعث الله من العرب إلاّ أربعة: هوداً، وصالحاً، وشعيباً، ومحمّداً صلوات الله عليهم(٤).

وروي أنّهم خمسة وإسماعيل بن إبراهيم منهم، وقال: إنّ الوحي ينزل من عند الله عزّ وجلّ بالعربية، فإذا أتى نبيّاً من الأنبياءِ أتاه بلسان قومه(٥).

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: أوّل المرسلين آدم، وآخرهم محمّد صلى الله عليه وآله وعليهم وكانت الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبيّ، الرّسل منهم ثلاث مائة، وخمسة منهم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليهم؛ وخمسة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمّد صلّى الله عليهم. وخمسة سريانيّون: آدم، وشيث وإدريس، ونوح، وإبراهيم عليهم السلام.

وأوّل أنبياءِ بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. والكتب الّتي أُنزلت على الأنبياءِ عليهم السلام مائة كتاب وأربعة كتب، منها على آدم خمسون صحيفة، وعلى

(١) أصول الكافي: ج ١/ص ١٧٦، البحار: ج ١١/ ص ٤١، باب ١/ح ٤٢.
(٢) بصائر الدرجات: ص ٣٣.
(٣) البحار: ج ١١/ص ٤١، باب ١/ح ٤٣.
(٤) البحار: ج ١١/ص ٤١، باب ١/ح ٤٦، قصص الأنبياء للراوندي.
(٥) البحار: ج ١١/ص ٤١، باب ١/ح ٤٧، قصص الأنبياء للراوندي.

إدريس ثلاثون، وعلى إبراهيم عشرون، وعلى موسى التوراة، وعلى داود الزّبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمّد الفرقان؛ صلّى الله عليهم[١].

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأنبياءِ على خمسة أنواع:

١ - منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عني به.

٢ - ومنهم من ينبّؤ في منامه مثل يوسف وإبراهيم عليه السلام.

٣ - ومنهم من يعاين.

٤ - ومنهم من ينكت في قلبه ويوقر في أُذنه[٢].

لعلّه كان مكان خمسة أربعة، أو النقر في الأُذن هو الخامس.

عن الأحول قال: سمعت زرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الرّسول والنبيّ والمحدَّث.

فقال أبو جعفر عليه السلام: الرسول الّذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلّمه فهذا الرسول، وأمّا النبيّ فإنّه يرى في منّامه على نحو ما رأى إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله من أسباب النبوّة قبل الوحي حتّى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة، وكان محمّد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوّة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً؛ ومن الأنبياءِ من جمع له النبوّة ويرى في منّامه، يأتيه الرّوح فيكلّمه ويحدّثه من غير أنّ يكون رآه في اليقظة، وأمّا المحدَّث فهو الّذي يحدَّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه[٣].

اعلم أنّ العلماء اختلفوا في الفرق بين الرّسول والنبيّ فمنهم من قال: لا فرق بينهما، وأمّا من قال: بالفرق فمنهم من قال: إنّ الرّسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبيّ غير الرّسول من لم ينزل عليه كتابٌ وإنّما يدعو إلى كتاب من قبله.

---

(١) البحار: ج ١١/ص ٤٣، باب ١/ح ٤٨، الاختصاص: ص ٢٦٤.

(٢) بصائر الدرجات: ص ١٠٧. البحار: ج ١١/ص ٥٣، باب ١/ح ٥٠.

(٣) بصائر الدرجات: ص ١٠٧-١٠٨، البحار: ج ١١/ص ٥٤، باب ١/ح ٥١.

ومنهم من قال: إنّ من كان صاحب المعجز وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرّسول، ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصال فهو النبيّ غير الرّسول.

ومنهم من قال: إنّ من جاءه الملك ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرّسول.

ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم فهو النبيّ، كذا ذكره الرّازيّ وغيره وقد ظهرلك من الأخبار فساد ما سوى القول الأخير لما قدورد من عدد المرسلين والكتب، وكون من نسخ شرعه ليس إلاّ خمسة، فالمعوّل على هذاالخبر المؤيّد بأخبار كثيرة مذكورة في الكافي[١].

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياءِ تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا، ونرى من خلفنا كما نرى بين أيدينا[٢].

عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلاّ عاقلاً وبعض النبيّين أرجح من بعض، وما استخلف داود سليمان حتّى اختبر عقله، واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة، ومكث في ملكه أربعين سنة، وملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر، ومكث في ملكه ثلاثين سنة[٣].

عن الثماليّ قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: من أحبّ أن يصافحه مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ فليزر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان، فإنّ أرواح النبيّين يستأذنون الله في زيارته فيأذن لهم، فطوبى لمن صافحهم وصافحوه؛ منهم خمسة أُولو العزم من المرسلين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، قلت: ولِمَ سموا أُولي العزم؟

قال: لأنّهم بعثوا إلى شرقها وغربها وجنّها وإنسها[٤].

---

(١) راجع أصول الكافي باب طبقات الأنبياء وباب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث.
(٢) البحار: ج ١١/ص ٥٥، باب ١/ح ٥٣.
(٣) المحاسن: ص ١٩٣، البحار: ج ١١/ص ٥٦، باب ١/ح ٥٤.
(٤) إقبال الأعمال: ص ٧١. البحار: ج ١١/ص ٥٨، باب ١/ح ٦١.

عن عليّ بن عثمان، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إنَّ الأنبياء وأولاد الأنبياءِ وأتباع الأنبياءِ خصّوا بثلاث خصال: السقم في الأبدان، وخوف السلطان، والفقر(١).

عن صفوان الجمّال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبي؟

قال: قلت: ما أدري.

قال: بعث الله مائة ألف نبيّ وأربعة وأربعين ألف نبيّ ومثلهم أوصياء بصدق الحديث وأداءِ الأمانة والزّهد في الدنيا، وما بعث الله نبيّاً خيراً من محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا وصياً خيراً من وصيّه(٢).

عن الحسن بن الميثميّ، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو ذرّ: يا رسول الله كم بعث الله من نبيّ؟

فقال: ثلاث مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبيّ.

قال: يا رسول الله فكم المرسلون؟

فقال: ثلاث مائة وبضعة عشر، قال: يا رسول الله فكم أنزل الله من كتاب؟ فقال: مائة كتاب وأربعة وعشرين كتاباً: أنزل على إدريس خمسين صحيفة، وهو أُخنوخ، وهو أوّل من خطّ بالقلم، وأنزل على نوح [عشر صحائف] وأنزل على إبراهيم عشراً، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

نقش خواتيمهم وأشغالهم وأمزجتهم وأحوالهم في حياتهم وبعد موتهم صلوات الله عليهم

عن الحسين بن خالد الصيرفيّ قال: قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى

(١) الإختصاص: ص ٢١٣، البحار: ج ١١/ ص ٥٩، باب ١/ح ٦٦.
(٢) الإختصاص: ص ٢٦٣. البحار: ج ١١/ ص ٥٩-٦٠، باب ١/ح ٦٧.
(٣) الإختصاص: ص ٢٦٤. البحار: ج ١١١/ ص ٦٠. باب ١/ح ٦٨.

الرضا عليه السلام، الرجل يستنجي وخاتمه في إصبعه، ونقشه: «لا إله إلاّ الله» فقال: أكره ذلك له، فقلت: جعلت فداك أوليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلّ واحد من آبائك عليهم السلام يفعل ذلك وخاتمه في إصبعه؟ قال: بلى، ولكن أُولئك كانوا يتختّمون في اليد اليمنى، فاتّقوا الله وانظروا لأنفسكم، قلت: ما كان نقش خاتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: ولِمَ لا تسألني عمّن كان قبله؟ قلت: فإنّي أسألك، قال: كان نقش خاتم آدم: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله» هبط به معه.

وإنَّ نوحاً لمّا ركب السفينة أوحى الله عزّ وجلّ إليه، يا نوح إن خفت الغرق فهلّلني ألفاً ثمّ سلني النجاة أُنجك من الغرق ومن آمن معك، قال: فلمّا استوى نوح ومن معه في السفينة ورفع القلس عصفت الرّيح عليهم، فلم يأمن نوح الغرق فأعجلته الريح فلم يدرك أن يهلّل ألف مرّة، فقال بالسريانيّة: «هلوليا ألفاً ألفاً يا ماريّا أتقن» قال: فاستوى القلس، واسمرّت السفينة، فقال نوح عليه السلام: إنَّ كلاماً نجّاني الله به من الغرق لحقيقٌ أن لا يفارقني، قال: فنقش في خاتمه لا إله إلاّ الله ألف مرّة يا ربّ أصلحني.

قال: وإنَّ إبراهيم عليه السلام لمّا وضع في كفّة المنجنيق غضب جبرئيل عليه السلام فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ما يغضبك يا جبرئيل؟

قال: يا ربّ خليلك ليس من يعبدك على وجه الأرض غيره سلّطت عليه عدوّك وعدوّه.

فأوحى الله إليه عزّ وجلّ: اسكت، إنّما يعجل العبد الّذي يخاف الفوت مثلك، فأمّا أنا فإنّه عبدي آخذه إذا شئت، قال: فطابت نفس جبرئيل عليه السلام فالتفت إلى إبراهيم عليه السلام فقال: هل لك من حاجة؟

فقال: أمّا إليك فلا فأهبط الله عزّ وجلّ عندها خاتماً فيه ستّة أحرف: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله، فوّضت أمري إلى الله أسندت ظهري إلى الله، حسبي الله» فأوحى الله جلّ جلاله إليه أن تختّم بهذا الخاتم فإنّي أجعل النّار عليك برداً وسلاماً.

قال: وكان نقش خاتم موسى عليه السلام حرفين اشتقّهما من التوراة: «اصبر توجر اصدق تنج».

قال: وكان نقش خاتم سليمان عليه السلام: «سبحان من ألجم الجن بكلماته».

وكان نقش خاتم عيسى عليه السلام حرفين اشتقّها من الإنجيل: «طوبى لعبد ذكر الله من أجله وويل لعبد نسي الله من أجله».

وكان نقش خاتم محمّد صلى الله عليه وآله: «لا إله إلا الله محمّد رسول الله».

وكان نقش خاتم أمير المؤمنين عليه السلام: «الملك لله».

وكان نقش خاتم الحسن عليه السلام: «العزّة لله».

وكان نقش خاتم الحسين عليه السلام: «إنّ الله بالغ أمره».

وكان عليّ بن الحسين عليه السلام: يتختّم بخاتم أبيه الحسين عليه السلام.

وكان محمّد بن عليّ عليه السلام يتختّم بخاتم الحسين عليه السلام.

وكان نقش خاتم جعفر بن محمّد عليه السلام: «الله وليّي وعصمتي من خلقه».

وكان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «حسبي الله».

قال الحسين بن خالد: وبسط أبو الحسن الرضا عليه السلام كفّه وخاتم أبيه عليه السلام في إصبعه حتّى أراني النقش[(١)].

عن محمّد بن عطيّة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ لأنبيائه عليهم السلام من الأعمال الحرث والرعي، لئلاً يكرهوا شيئاً من قطر السّماءِ[(٢)].

عن مروان بن مسلم، عن عقبة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى يسترعيه الغنم يعلّمه بذلك رعيه الناس[(٣)].

بالإسناد إلى وهب في قصّة زكريّا عليه السلام: ثمَّ بعث الله الملائكة فغسّلوا زكريّا وصلّوا عليه ثلاثة أيّام من قبل أن يدفن، وكذلك الأنبياء لا يتغيّرون ولا يأكلهم التراب، ويصلّى عليهم ثلاثه أيّام ثمَّ يدفنون[(٤)].

---

(١) عيون الأخبار: ص ٢١٧-٢١٨، أمالي الصدوق: ص ٢٧٣-٢٧٤، البحار: ج ١١/ ص ٦٢-٦٣، باب ٢/ح ١.

(٢) علل الشرائع: ص ٢٣. البحار: ج ١١/ ص ٦٤، باب ٢/ح ٦.

(٣) علل الشرائع: ص ٢٣. البحار: ج ١١/ص ٦٤-٦٥، باب ٢/ح ٧.

(٤) علل الشرائع: ص ٣٨. البحار: ج ١١/ص ٦٥، باب ٢/ح ٨.

عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عاش آدم أبو البشر تسعمائة وثلاثين سنة.

وعاش نوح ألفي سنة وأربع مائة سنة وخمسين سنة، وعاش إبراهيم عليه السلام مائة وخمساً وسبعين سنة.

وعاش إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة.

وعاش إسحاق بن إبراهيم عليه السلام مائة وثمانين سنة.

وعاش يعقوب مائة سنة وعشرين سنة.

وعاش يوسف مائة وعشرين سنة.

وعاش موسى عليه السلام مائة وستّ وعشرين سنة.

وعاش هارون مائة وثلاثين سنة.

وعاش داود عليه السلام مائة سنة منها أربعون سنة ملكه.

وعاش سليمان بن داود سبعمائة سنة وإثني عشر سنة[١].

عن أحمد بن سليمان القميّ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالجوع حتّى يموت جوعاً.

وإن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالعطش حتّى يموت عطشاً، وإن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالعراءِ حتّى يموت عرياناً.

وإن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالسّقم والأمراض حتّى تتلفه.

وإن كان النبيّ ليأتي قومه فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله، وما معه مبيت ليلة فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتّى يقتلوه، وإنّما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده[٢].

عن الحسين بن أبي العلاءِ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلاّ بصدق الحديث وأداءِ الأمانة إلى البرّ والفاجر[٣].

---

(١) كمال الدين: ص ٢٨٩. البحار: ج ١١/ص ٦٥/باب ٢/ ح ١٠.

(٢) مجالس المفيد ص ٢٤. البحار ج ١١/ص ٦٥ ـ ٦٦/ باب ٢/ح ١١.

(٣) أصول الكافي: ج ٢: ص ١٠٤. البحار: ج ١١/ ص ٦٧/ باب ٢/ ٢١.

عن زياد بن أبي الحلال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من نبيّ ولا وصيّ نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتّى يرفع روحه وعظمه ولحمه وإلى السماء، وإنّما يؤتى مواضع آثارهم، ويبلّغونهم من بعيد السلام، ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب(١).

عن معمّر بن خلاّد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى رجل وهو يقول: اللّهمّ إني أسألك من رزقك الحلال.

فقال أبو جعفر عليه السلام: سألت قوت النبيّين؛ قل: اللّهمّ إني أسألك رزقاً واسعاً طيّباً من رزقك(٢).

عن أبي عبدالله البرقيّ يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله عزّ وجلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً.

فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً.

وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً.

وأعطى منها إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف.

وأعطى موسى منها أربعة أحرف.

وأعطى عيسى منها حرفين.

وكان يحيي بهما الموتى، ويبرئ بهما الأكمه والأبرص.

وأعطى محمّداً اثنين وسبعين حرفاً، واحتجب حرفاً لئلاّ يُعلم ما في نفسه ويَعلم ما في نفس العباد(٣).

عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما.

---

(١) فروع الكافي: ج ١/ص ٣٢٠. البحار ج ١١/ص ٦٧/ باب ٢/ح٢٢.
(٢) أصول الكافي: ج ٢/ص ٥٥٢. البحار ج ١١/ص ٦٨/ باب ٢/ح ٢٣.
(٣) بصائر الدرجات: ص ٥٦. البحار: ج ١١/ص ٦٨/باب ٢/ح ٢٥.

وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف.

وكان مع إبراهيم ستّة أحرف.

وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً.

وكان مع نوح ثمانية.

وجمع ذلك كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله، إنَّ اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً، وحجب عنه واحد(١).

عن ابن فضّال، عن الرّضا عليه السلام قال: لمّا أشرف نوح على الغرق دعا الله بحقّنا فدفع الله عنه الغرق: لمّا رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقّنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً.

وإنّ موسى عليه السلام لمّا ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقّنا فجعله يبساً.

وإنَّ عيسى عليه السلام لمّا أراد اليهود قتله دعا الله بحقّنا فنجاه من القتل ورفعه إليه(٢).

عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام في وصف القائم عليه السلام قال: فإذا نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله هبط لها تسعة آلاف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً وهم الّذين كانوا مع نوح في السفينة.

والّذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقي في النار، وهم الّذين كانوا مع موسى لمّا فلق البحر.

والّذين كانوا مع عيسى لمّا رفعه الله إليه. الخبر(٣).

وفي آخر عنه عليه السلام مثله، وفيه: ثلاثة عشر ألفاً وثلاث مائة وثلاثة عشر ملكاً(٤).

---

(١) بصائر الدرجات: ص ٥٦. البحار: ج ١١/ص ٦٨ . ٦٩ /باب ٢/ح ٢٦.

(٢) قصص الأنبياء: مخطوط. البحار: ج ١١/ ص ٦٩/باب ٢/ح٢٧.

(٣) غيبة النعماني: ص ١٦٩.

(٤) غيبة النعماني: ص ١٦٩، وقد رواه النعماني باسناده عن عبد الواحد بن عبد الله بن يونس، عن محمد بن جعفر القرشي، عن أبي جعفر الهمداني، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم الحضرمي، عن عمر بن أبان الكلبي، عن أبان بن تغلب.

عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ أشدَّ الناس بلاء الأنبياء صلوات الله عليهم ثمَّ الّذين يلونهم، ثمَّ الأمثل فالأمثل(١).

علة المعجزة وانه لم خص الله كلّ نبى بمعجزة خاصة

عن أبي يعقوب البغداديّ قال: قال ابن السكّيت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا وآلة السحر؟

وبعث عيسى بالطبّ؟

وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى لمّا بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عندالله عزّ وجلّ بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجّة عليهم.

وأنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله عزّ وجلّ بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيالهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم.

وإنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّداً في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنّه قال: والشعر - فأتاهم من كتاب الله عزّ وجلّ ومواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت الحجّة عليهم، فقال ابن السكّيت: تالله ما رأيت مثل اليوم قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟

فقال عليه السلام: العقل تعرف به الصادق على الله فتصدّقه، والكاذب على الله فتكذّبه.

فقال ابن السكّيت: هذا والله الجواب(٢).

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: لأيّ علّة أعطى الله عزّ وجلّ أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟

(١) أمالي بن الشيخ: ص ٥٨. البحار: ج ١١/ ص ٦٩، باب ٢/ح ٢٩.

(٢) علل الشرائع: ص ٥٢. عيون الأخبار: ص ٢٣٤، البحار: ج ١١/ ص ٧١. باب ٣/ح ١.

فقال: ليكون دليلاً على صدق من أتى به، والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلاّ انبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب[١].

عصمة الأنبيّاء عليهم السلام، وتأويل ما يوهم خطأهم وسهوهم

اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة والملائكة صلوات الله عليهم أنّهم معصومون مطهّرون من كلّ دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، واعتقادنا فيهم أنّهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أُمورهم إلى أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل[٢].

عن أبي الصلت الهرويّ قال: لمّا جمع المأمون ل عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزم حجّته كأنّه قد أُلقم حجراً، فقام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟

قال: بلى.

قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[٣].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾[٤].

وقوله في يوسف: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾[٥].

وقوله عزّ وجلّ في داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾[٦].

---

(١) علل الشرائع: ص ٥٢، البحار: ج ١١/ص ٧١، باب ٣/ح ٢.
(٢) اعتقادات الصدوق: ص ٩٩، البحار: ج ١١/ ص ٧٢، باب ٤/.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٦) سورة ص، الآية: ٢٤.

وقوله في نبيّه محمّد ﷺ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾(١)؟.

فقال مولانا الرّضا عليه السلام: ويحك يا عليّ اتّق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله برأيك، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾(٢).

أما قوله عزّ وجلّ في آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه، وخليفته في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض لتتمّ مقادير أمر الله عزّ وجلّ، فلمّا أُهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ إنّما ظنّ أنّ الله عزّ وجلّ لا يضيق عليه رزقه ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾(٤)؟ أي ضيّق عليه، ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأمّا قوله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنّها همّت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني القتل ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾(٥) يعني الزّنا.

وأمّا داود فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال عليّ بن الجهم: يقولون: إنّ داود كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطّيور، فقطع صلاته وقام ليأخذ الطّير فخرج إلى الدار، فخرج في أثره فطار الطير إلى السّطح، فصعد في طلبه فسقط الطّير في دار أُوريا بن حنّان، فاطّلع داود في أثر الطّير فإذا بامرأة أُوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها، وكان أُوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم أوريا أمام الحرب، فقدّم فظفر أُوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود،

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٤) سورة الفجر، الآية: ١٦.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

فكتب الثّانية أن قدّمه أمام التّابوت، فقتل أُوريا رحمه الله، وتزوّج داود بامرأته، فضرب الرّضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيّاً من أنبياءِ الله إلى التّهاون بصلاته حتّى خرج في أثر الطّير، ثمّ بالفاحشة، ثمّ بالقتل!

فقال: يا بن رسول الله فما كانت خطيئته؟

فقال: ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أنّ ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا المحرب فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ فعجّل داود عليه السلام على المدّعى عليه فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ فلم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكمه، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[1] إلى آخر الآية.

فقلت: يا بن رسول الله فما قصّته مع أُوريا؟

فقال الرّضا عليه السلام: إنّ المرأة في أيّام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها داود، فذلك الّذي شقّ على أُوريا.

وأمّا محمّد نبيّه صلى الله عليه وآله وقول الله عزّ وجلّ له: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ فإن الله عزّ وجلّ عرّف نبيّه أسماء أزواجه في دار الدّنيا، وأسماء أزواجه في الآخرة، وأنّهنّ أُمّهات المؤمنين، وأحد من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبد له لكيلا يقول أحد من منافقين، إنّه قال في امرأة في بيت رجل: إنّها أحد أزواجه من أُمّهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[2] في نفسك، وأنّ الله عزّ وجلّ ما تولّى

(١) سورة ص، الآيات: ٢٢-٢٦. (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

تزويج أحد من خلقه إلاّ تزويج حوّاء من آدم، وزينب من رسول الله ﷺ، وفاطمة من عليّ عليه السلام، قال: فبكى عليّ بن الجهم وقال: يا بن رسول الله أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ أن أنطق في أنبياءِ الله عزّ وجلّ بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته[1].

قوله عليه السلام: (وكانت المعصية من آدم في الجنّة) ظاهره يوهم تجويز الخطيئة عليه على بعض الجهات، إمّا لأنّها كانت في الجنّة وإنّما تجب عصمتهم في الدنيا، أو لأنّها كانت قبل البعثة وإنّما تجب عصمتهم بعد النبوّة، وكلاهما خلاف ما أجمعت عليه الإماميّة رضوان الله عليهم من وجوب عصمتهم على جميع الأحوال، ودلّت عليه الأخبار المستفيضة على ما سيأتي في هذا الكتاب، فيمكن أنّ يحمل كلامه عليه السلام على أنّ المراد بالخطيئة ارتكاب المكروه ويكونون بعد البعثة معصومين عن مثلها أيضاً، ويكون ذكر الجنّة لبيان كون النهي تنزيهيّاً وإرشاديّاً إذ لم تكن دار تكليف حتّى يتصوّر فيها النهي التحريميّ.

ويحتمل أنّ يكون إيراد الكلام على هذا النحو لنوع من التقيّة مماشاةً مع العامّة لموافقة بعض أقوالهم كما سنشير إليه، أو على سبيل التنزّل والاستظهار ردّاً على من جوّز الذّنب مطلقاً عليهم صلوات الله عليهم.

وفي تنزيه يونس عليه السلام في العيون زيادة وهي قوله: (إنّما ظنّ بمعنى استيقن أنّ الله لن يضيق عليه رزقه) ففي تفسير الظنّ باليقين فائدتان:

إحداهما: أنّه لو لم يستيقن ذلك لمّا خرج من بين القوم وإن كان مغاضباً لهم.

الثانية: أنّ لا يتوهّم فيه نسبة خطاء ومنقصة على هذا التفسير أيضاً بأنّه لم يستيقن رزّاقيّته تعالى لا سيّما بالنسبة إلى أوليائه.

وأمّا ظنّ داود عليه السلام فيحتمل أن يكون عليه السلام ظنّ أنّه أعلم أهل زمانه، وهذا وإن كان صادقاً إلاّ أنّه لمّا كان مصادفاً لنوع من العجب نبّهه الله تعالى بإرسل الملكين، وعلى تقدير أن يكون المراد ظنّ أنّه أعلم من السابقين أيضاً فيحتمل أن يكون المراد التجويز والاحتمال بأن يقال: لم يكن ظهر عليه بعد أعلميّتهم بالنّسبة إليه، أو يخصّ بعلم المحاكمة، أو يكون ذلك الظنّ كنايةً عن نهاية الإعجاب بعلمه.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٥٥-٥٧. البحار: ج ١١/ص ٧٢-٧٤، باب ٤/ح ١.

وأمّا تعجيله عليه السلام في حال الترافع فليس المراد أنّه حكم بظلم المدَّعى عليه قبل البيّنة، إذ المراد بقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ إنّه لو كان كما تقول فقد ظلمك، بل كان الأصواب والأولى أن لا يقول ذلك أيضاً إلاّ بعد وضوح الحكم(١).

عن أبي إسحاق الهمدانيّ، عن رجل قال: صلّى رجلٌ إلى جنبي فاستغفر لأبويه وكانا ماتا في الجاهليّة.

فقلت: تستغفر لأبويك وقد ماتا في الجاهليّة؟

فقال: قد استغفر إبراهيم لأبيه، فلم أدرما أردّ عليه، فذكرت ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾(٢).

قال: لمّا مات تبيّن أنّه عدوّ لله فلم يستغفر له(٣).

قال الشّيخ الطّبرسيّ رحمه الله: أي لم يكن استغفاره له إلاّ صادراً عن موعدة وعدها إيّاه، واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو إبراهيم أو أبوه.

فقيل: إنّ الموعدة كانت من الأب وعد إبراهيم أنّه يؤمن إن يستغفر له فاستغفر له لذلك، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله ولا يفي بما وعد تبرّأ منه وترك الدّعاءِ له، وهو المرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة إلاّ أنّهم قالوا: إنّما تبيّن عداوته لمّا مات على كفره.

وقيل: إنّ الموعدة كانت من إبراهيم قال لأبيه: إنّي لأستغفر لك ما دمت حيّاً، وكان يستغفر له مقيّداً بشرط الإيمان، فلمّا آيس من إيمانه تبرّأ منه، وهذا يوافق قرأة الحسن «إلاّ عن موعدة وعدها أباه» بالباءِ، ويقوّيه قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾(٤) (٥).

---

(١) البحار: ج ١١/ص ٧٤-٧٥، باب ٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٢٠، ح ١٤٨ المطبوع. البرهان: ج ٢/ص ١٦٧، البحار: ج ١١/ص ٨٨، باب ٤/ح ١٥.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٥) مجمع البيان: ج ٤/ص ٧٧. البحار: ج ١١/ص ٨٨-٨٩، باب ٤/ح ١٥.

أقول: لمّا أوردنا بعض الأخبار الدالّة على عصمة الأنبياءِ المتضمّنة لتأويل ما يوهم صدور الذّنب والخطاء عنهم فلنتكلّم عليها جملة إذ تفصيل القول في ذلك يوجب الإطناب يكثر حجم الكتاب:

اعلم أنّ الاختلاف الواقع في هذا الباب بين علماءِ الفريقين يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها: ما يقع في باب العقائد.

وثانيها: ما يقع في التّبليغ.

وثالثها: ما يقع في الأحكام والفتيا.

ورابعها: في أفعالهم وسيرهم عليهم السلام.

وأمّا الكفر والضّلال في الاعتقاد فقد أجمعت الأُمّة على عصمتهم عنهما قبل النّبوّة وبعدها، غير أنّ الأزارقة(١) من الخوارج جوّزوا عليهم الذّنب، وكلّ ذنب عندهم كفّر، فلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل يحكى عنهم أنّهم قالوا: يجوز أن يبعث الله نبيّاً علم أنّه يكفر بعد نبوَّته!.

وأمّا النّوع الثّاني: وهو ما يتعلّق بالتّبليغ فقد اتّفقت الأُمّة بل جميع أرباب الملل والشّرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتّحريف فيما يتعلّق بالتّبليغ عمداً وسهواً إلاّ القاضي أبو بكر(٢) فإنّه جوّز ما كان من ذلك على سبيل النّسيان وفلتات اللّسان.

أمّا النوع الثّالث: وهو ما يتعلّق بالفتيا فأجمعوا على أنّه لا يجوز خطاؤهم فيه عمداً وسهواً إلاّ شرذمة قليلة من العامّة.

---

(١) الأزارقة: أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج، خرج هو وأصحابه من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما ورائها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن زبير وقتلوا عماله بهذه النواحي، له مقالات زائفة أوردها الشهرستاني في الملل والنحل: ج ١/ص ١٧٩.

(٢) هو القاض أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم على مذهب الأشعري سكن بغداد، وله تصانيف مشهورة، وتوفي في ٤٠٣، يحكى أنه ناظر المفيد قدس الله روحه فغلبه المفيد، فقال للشيخ: ألك في كل قدر معرفة؟ فقال الشيخ: نعم ما تمثلت بأدوات أبيك.

وأمّا النوع الرابع: وهو الّذي يقع في أفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال:

الأوّل: مذهب أصحابنا الإماميّة وهو أنّه لا يصدر عنهم الذّنب لا صغيرةً ولا كبيرةً ولا عمداً ولا نسياناً ولا لخطاءٍ في التأويل ولا للإسهاءِ من الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلاّ الصّدوق[1] وشيخه محمّد بن الحسن بن الوليد رحمهما الله، فإنّهما جوّزا الإسهاء لا السّهو الّذي يكون من الشّيطان، وكذا القول في الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام.

الثاني: أنّه لا يجوز عليهم الكبائر ويجوز عليهم الصّغائر إلاّ الصغائر الخسيسة المنفّرة، كسرقة حبّة أو لقمة، وكلّ ما ينسب فاعله إلى الدّناءة والضّعة، وهذا قول أكثر المعتزلة.

الثالث: أنّه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد، لكن يجوز على جهة التّأويل أو السّهو، وهو قول أبي عليّ الجبائيّ.

الرابع: أنّه لا يقع منهم الذنب إلاّ على جهة السّهو والخطاءِ، لكنّهم مأخوذون بما يقع منهم سهواً وإن كان موضوعاً عن أُممهم لقوّة معرفتهم وعلوّ رتبتهم وكثرة دلائلهم وإنّهم يقدرون من التّحفّظ على ما لا يقدر عليه غيرهم، وهو قول النّظام وجعفر بن مبشّر ومن تبعهما.

الخامس: أنّه يجوز عليهم الكبائر والصّغائر عمداً وسهواً وخطأً، وهو قول الحشويّة وكثير من أصحاب الحديث من العامّة.

ثمّ اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة أقول:

الأوّل: أنّه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه، وهو مذهب أصحابنا الإماميّة.

---

(١) قال شيخنا الصدوق قدس الله روحه في كتاب من لا يحضره الفقيه: وليس سهو النبي ﷺ كسهونا لأن سهوه من الله عز وجلّ، وإنما هو إسهاء ليعلم أنه بشر مخلوق فلا يتخذ رباً ومعبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو متى يسهو، وسهونا عن الشيطان، وليس للشيطان على النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام سلطان، وإنما سلطانه على الذين يقولونه والذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين.

الثاني: أنّه من حين بلوغهم، ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوّة، وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثّالث: أنّه وقت النّبوّة، وأمّا قبله فيجوز صدور المعصية عنهم، وهو قول أكثر الأشاعرة ومنهم الفخر الرازيّ وبه قال أبو هذيل وأبو عليّ الجبائيّ من المعتزلة.

إذا عرفت فاعلم أنّ العمدة فيما اختاره أصحابنا من تنزيه الأنبياءِ والأئمّة عليهم السلام من كلّ ذنب ودناءة ومنقصة قبل النّبوّة وبعدها قول أئمّتنا سلام الله عليهم بذلك المعلوم لنا قطعاً بإجماع أصحابنا رضوان الله عليهم، مع تأيّده بالنّصوص المتظافرة حتّى صار ذلك من قبيل الضّروريّات في مذهب الإماميّة.

وقد استدلّ عليه أصحابنا بالدّلائل العقليّة، وقد أوردنا بعضها في شرح كتاب الحجّة، ومن أراد تفصيل القول في ذلك فليراجع إلى كتاب الشّافي وتنزيه الأنبياءِ وغيرهما من كتب أصحابنا، والجواب مجملاً عمّا استدلّ به المخطؤون من إطلاق لفظ العصيان والذنب فيما صدر عن آدم عليه السلام هو أنّه لمّا قال الدّليل على عصمتهم نحمل هذه الألفاظ على ترك المستحبّ والأولى، أو فعل المكروه مجازاً، والنكتة فيه كون ترك الأولى ومخالفة الأمر النّدبيّ وارتكاب النّهي التنزيهيّ منهم ممّا يعظم موقعه لعلوّ درجتهم وارتفاع شأنهم، ولنذكر بعض ما احتجّ به المنزّهون من الفريقين على سبيل الإجمال، ولهم في ذلك مسالك:

الأوّل: ما أورده السيّد المرتضى قدّس الله سرّه في كتاب تنزيه الأنبياءِ حيث قال: اعلم أنَّ جميع ما ننزّه الأنبياءِ عليهم السلام عنه ونمنع من وقوعه منهم يستند إلى دلالة العلم المعجز إمّا بنفسه أو بواسطة، وتفسير هذه الجملة أنّ العلم المعجز إذا كان واقعاً موقع التّصديق لمدّعي النّبوّة والرّسالة وجارياً مجرى قوله تعالى له: صدقت في أنّك رسولي ومؤدّ عنّي فلا بدّ من أنّ يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله تعالى فيما يؤدّيه، لأنّه تعالى لا يجوز أن يصدّق الكذّاب، لأنّ تصديق الكذّاب قبيحٌ كما أنَّ الكذب قبيح.

فأمّا الكذب في غير ما يؤدّيه وسائر الكبائر فإنّما دل المعجز على نفيها من حيث كان دالا على وجوب اتّباع الرّسول وتصديقه فيما يؤدّيه وقبوله منه لأنّ

الغرض في بعثة الأنبياءِ عليهم السلام وتصديقهم بالاعلام المعجزة هو أن يمتثل بما يأتون به، فما قدح في الامتثال والقبول وأثّر فيهما يجب أن يمنع المعجز منه، فلهذا قلنا: إنّه يدلّ على نفي الكذب والكبائر عنهم في غيرما يؤدّونه بواسطة، وفي الأوّل يدلّ بنفسه.

فإن قيل: لم يبق إلاّ أن يدلّوا على أنّ تجويز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والامتثال.

قلنا: لا شبهة في أنّ من نجوّز عليه كبائر المعاصي ولا نأمن منه الإقدام على الذّنوب لا تكون أنفسنا ساكنةً إلى قبول قوله واستماع وعظه سكونها إلى من نجوّز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا: إنّ وقوع الكبائر ينفّر عن القبول والمرجع فيما ينفّر ولا ينفّر إلى العادات واعتبار ما يقتضيه، وليس ذلك ممّا يستخرج بالأدّلة والمقائيس، ومن رجع إلى العادة علم ماذكرناه، وإنّه من أقوى ما ينفّر عن قبول القول، وإنّ حظّ الكبائر في هذا الباب إن لم يزد عن حظّ السّخف والمجنون والخلاعة لم ينقص منه.

فإن قيل: أليس قد جوّز كثيرٌ من النّاس على الأنبياءِ عليهم السلام الكبائر مع أنّهم لم ينفّروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرّعوه من الشّرائع، وهذا ينقض قولكم: إنّ الكبائر منفّرة؟

قلنا: هذا سؤال من لم يفهم ما أوردناه، لأنّا لم نرد بالتّنفير ارتفاع التّصديق وأن لا يقع امتثال الأمر جملةً، وإنّما أردنا ما فسّرناه من أنّ سكون النّفس إلى قبول قول من يجوَّز ذلك عليه لا يكون على حدّ سكونها إلى من لا نجوّز ذلك عليه، وإنّا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول، كما أنّا مع الأمان من الكبائر نكون أقرب إلى القبول، وقد يقرب من الشّيء ما لا يحصل الشّيء عنده، كما يبعد عنه ما لا يرتفع عنده.

ألا ترى أنّ عبوس الدّاعي للنّاس إلى طعامه وتضجّره وتبرّمه منفّر في العادة عن حضور دعوته وتناول طعامه، وقد يقع مع ما ذكرناه الحضور والتناول، ولا يخرجه من أنّ يكون منفّراً، وكذلك طلاقة وجهه واستبشاره وتبسّمه يقرب من حضور دعوته وتناول طعامه وقد يرتفع الحضور مع ما ذكرناه، ولا يخرجه من أن

يكون مقرّباً، فدلَّ على أنّ المعتبر في باب المنفّر والمقرّب ما ذكرناه، دون وقوع الفعل المنفّر عنه أو ارتفاعه.

فإن قيل: فهذا يقتضي أنّ الكبائر لا تقع منهم في حال النبوّة، فمن أين أنّها لا تقع منهم قبل النبّوة وقد زال حكمها بالنبّوة المسقطة للعقاب والذمّ، ولم يبق وجه يقتضي التّنفير؟

قلنا: الطريقة في الأمرين واحدة، لأنّا نعلم أنّ من نجوّز عليه الكفر والكبائر في حال من الأحوال وإن تاب منه وخرج من استحقاق العقاب به لا نسكن إلى قبول قوله مثل سكوننا إلى من لا نجوّز ذلك عليه في حال من الأحوال ولا على وجه من الوجوه، ولهذا لا يكون حال الواعظ لنا الدّاعي إلى الله تعالى ونحن نعرفه مقارفاً للكبائر مرتكباً لعظيم الذّنوب وإن كان قد فارق جميع ذلك وتاب منه عندنا وفي نفوسنا كحال من لم يعهد منه إلاّ النزاهة والطّهارة، ومعلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضي السّكون والنّفور، ولهذا كثيراً ما يعيّر النّاس من يعهدون منه القبائح المتقدّمة بها وإن وقعت التّوبة منها، ويجعلون ذلك عيباً ونقصاً وقادحاً ومؤثّراً، وليس إذا كان تجويز الكبائر قبل النبّوة منخفضاً عن تجويزها في حال النبّوة وناقصاً عن رتبته في باب التنفير وجب أنّ لا يكون فيه شيء من التنفير، لأنّ الشّيئين قد يشتركان في التنفير وإن كان أحدهما أقوى من صاحبه، ألا ترى أنّ كثير السخف والمجون والاستمرار عليه والانهماك فيه منفّر لا محالة، وإنّ القليل من السخف الّذي لا يقع إلاّ في الأحيان والأوقات المتباعدة منفّر أيضاً، وإن فارق الأوّل في قوّة التنفير ولم يخرجه نقصانه في هذا الباب عن الأوّل من أنّ يكون منفّراً في نفسه.

فإن قيل: فمن أين أنّ الصغائر لا تجوز على الأنبياءِ عليهم السلام في حال النبّوة وقبلها؟

قلنا: الطريقة في نفي الصغائر في الحالين هي الطّريقة في نفي الكبائر في الحالين عند التّأمّل لأنّا كما نعلم أنّ من نجوّز كونه فاعلاً لكبيرة متقدّمة قد تاب منها وأقلع عنها ولم يبق معه شيء من استحقاق عقابها وذمّها لا يكون سكوننا إليه سكوننا إلى من لا نجوّز ذلك عليه، فكذلك أنَّ من نجوّز عليه من الأنبياءِ عليهم السلام

أن يكون مقدماً على القبائح مرتكباً للمعاصي في حال نبوّته أو قبلها وإن وقعت مكفّرة لا يكون سكوننا إليه سكوننا إلى من نأمن منه كلّ القبائح ولا نجوّز عليه فعل شيء منها. انتهى ما أردنا إيراده من كلامه قدّس الله روحه(١).

أقول: لا يخفى عليك أنّ من جوّز صدور الصّغائر عن الأنبياء ولو نفى صدور الخسيسة منها يلزمه تجويز أكثر الذّنوب وعظائمها عليهم، بل لا فرق كثيراً بينه وبين من يجوّز جميعاً، إذ الكبائر على مارووه عن النبيّ ﷺ سبعٌ، ورووا عن ابن عمر أنّه زاد فيها اثنتين.

وعن ابن مسعود أنّه زاد على قول ابن عمر ثلاثة، ولا شكّ أنّ كثيراً من عظائم الذّنوب الّتي سوى ما ذكروه ليست من الصغائر الخسيسة كسرقة درهم، والتطفيف بحبّة، فيلزمهم تجويز مالم يكن من الصنّفين المذكورين كالاشتغال بأنواع المعازف والملاهي وترك الصلاة وأصناف المعاصي الّتي تقارفها ملوك الجور على رؤوس الأشهاد وفي الخلوات، فهؤلاءِ أيضاً مخطؤون للأنبياء ولكن في لباس التنزيه، ولا يرتاب عاقل في أنّ من هذا شأنه لا يصلح لرئاسة الدّين والدّنيا، وأنّ النفّوس تتنفّر عنه، بل لا يجوّز أحد أنّ يكون مثله صالحاً لأن يكون واعظاً وهادياً للخلق في أدنى قرية، فكيف يجوّز أن يكون ممّن قال تعالى فيهم: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾(٢) وإذا ثبت بطلان هذا النوع من التنزيه أمكن التمسّك في إثبات ما ذهب إليه أصحابنا من تنزّههم صلوات الله عليهم عن كلّ منقصة ولو على سبيل السّهو والنسيان من حين الولادة إلى الوفاة بالإجماع المركّب، ولا يضّر خروج شاذّ من المعروفين من أصحابنا بعد تحقيق الإجماع.

الثاني: أنّه لو صدر عن النبيّ ذنبٌ لزم اجتماع الضّدّين وهما وجوب متابعته ومخالفته.

أمّا الأوّل: فللإجماع ولقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ

---

(١) تنزيه الأنبياء: ص ٤-٦. البحار: ج ١١/ص ٨٩-٩٤، باب ٥/بيان ح ١٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

ٱللَّهُ﴾(١) وإذا ثبت في حقّ نبيّنا ﷺ ثبت في حقّ باقي الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، لعدم القائل بالفرق.

أمّا الثاني: فلأنّ متابعة المذنب حرامٌ.

الثالث: أنّه لو صدر عنه ذنبٌ لوجب منعه وزجره والإنكار عليه لعموم أدلّة الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر، ولكنّه حرامٌ لاستلزام إيذائه المحرّم بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾(٢).

الرابع: أنّه لو أقدم على الفسق لزم أن يكون مردود الشهادة لقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾(٣) وللإجماع على عدم قبول شهادة الفاسق، فيلزم أن يكون أدون حالاً من آحاد الأُمّة، مع أنّ شهادته تقبل في الدّين القويم، وهو شاهدٌ على الكلّ يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٤).

الخامس: أنّه يلزم أنّ يكونوا أقلّ درجة من عصاة الأُمّة، فإنّ درجاتهم في غاية الرّفعة والجلالة، ونعم الله سبحانه بالاصطفاءِ على النّاس وجعلهم أُمناءً على وحيه وخلفاء في عباده وبلاده وغير ذلك عليهم أتمُّ وأبلغ، فارتكبهم المعاصي والإعراض عن أوامر ربّهم ونواهيه للذّة فانية أفحش وأشنع من عصيان هؤلاءِ، ولا يلتزمه عاقل.

السادس: أنّه يلزم استحقاقه العذاب واللّعن واستيجابه التوبيخ واللّوم لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٦) وهو باطلٌ بالضرورة والإجماع.

السابع: أنّهم كانوا يأمرون النّاس بطاعة الله، فهم لو لم يطيعوا لدخلوا تحت

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٦) سورة هود، الآية: ١٨.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] واللاّزم باطلٌ بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفّرات، فإنّ كلّ واعظ لم يعمل بما يعظ النّاس به لا يرغب النّاس في الاستماع منه وحضور مجلسه ولا يعبؤون بقوله.

الثامن: أنّه تعالى حكى عن إبليس قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2] فلو عصى نبيّ لكان ممّن أغواه الشيطان ولم يكن من المخلصين، مع أنّ الأنبياءِ من المخلصين للإجماع ولأنّه تعالى قال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾[3] وإذا ثبت وجوب العصمة في البعض ثبت في الكلّ لعدم القائل بالفرق.

التاسع: أنّه يلزم أن يكون من حزب الشيطان وقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[4] ولا يقول به إلاّ الخاسرون.

العاشر: أنّ الرّسول أفضل من الملك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5] وأفضليّة البعض يدلّ على أفضليّة الكلّ للإجماع المركّب، ولو صدرت المعصية عنه لا متنع كونه أفضل لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[6].

الحادي عشر: النبيّ لو كان غاصباً لكان من الظّالمين، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7].

قال الرّازيّ في تفسيره: المراد بهذا العهد إمّا عهد النبوّة، أو عهد الإمامة، فإن كان المراد عهد النبوّة ثبت المطلوب، وإن كان المراد عهد الإمامة فكذلك، لأنّ كلّ نبيّ لا بدّ أن يكون إماماً يؤتمُّ به ويقتدى به، فالآية على جميع التقديرات تدلّ على أنّ النبيّ لا يكون مذنباً.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٢) سورة ص، الآيتان: ٨٢ و٨٣.
(٣) سورة ص، الآيات: ٤٥-٤٧.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٦) سورة ص، الآية: ٢٨.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

الثاني عشر: أنّه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] والأنبياء من ذلك الفريق بالاتّفاق. وقد ذكروا وجوهاً اخر وفيما ذكرناه كفايةٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السّمع وهو شهيدٌ.

وأمّا الجواب عن حجج المخطّئة فسنذكر في كلّ باب ما يناسبه إنّ شاءِ الله تعالى[٢].



(١) سورة سبأ، الآية: ٢٠.

(٢) راجع البحار: ج ١١/ص ٩٤-٩٦.

قصص آدم وحواء وأولادهما صلوات الله عليهما

فضل آدم وحواء وعلل تسميتهما، وبعض أحوالهما وبدء خلقهما وسؤال الملائكة في ذلك

الآيات: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)﴾[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[٢].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾[٣].

عن أبي بصير قال: سأل طاوس اليمانيّ أبا جعفر عليه السلام: لِمَ سمّي آدم آدم؟

قال: لأنّه رفعت طينته من أديم الأرض السّفلى.

قال: فلِمَ سمّيت حوّاء حوّاء؟

قال: لأنّها خلقت من ضلع حيّ، يعني ضلع آدم[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣٠-٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١٤.

(٤) الاحتجاج: ص ١٧٩. البحار: ج ١١/ ص ١٠٠، باب ١/ ح ٣.

عن النخعيّ، عن النّوفليّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمّيت حوّاء حوّاء لأنّها خلقت من حيّ.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(1) (2).

اختلف في اشتقاق اسم آدم فقيل: اسم أعجميّ لا اشتقاق له كآذر، وقيل: اشتقّ من الأُدمة بمعنى السّمرة لأنّه عليه السلام كان أسمر اللّون.

وقيل: من الأدمة بالفتح بمعنى الأُسوة.

وقيل: من أديم الأرض أي وجهها، وقد روي هذا في أخبار العامّة أيضاً.

وقيل: من الإدام بمعنى ما يؤتدم به، وقيل: من الأدم بمعنى الأُلفة والاتّفاق، وما ورد في الخبر هو المتّبع(3).

وأمّا اشتقاق حوّاء من الحيّ أو الحيوان لكون الأُولى واويّاً والآخريّان من اليائيّ يخالف القياس، ويمكن أن يكون مبنيّاً على قياس لغة آدم عليه السلام، أو يكون مشتقّاً من لفظ يكون في لغتهم بمعنى الحياة، مع أنّه كثيراً ما يرد الاشتقاق في لغة العرب على خلاف قياسهم فيسمّونه سماعيّاً وشاذّاً فليكن هذا منها.

في خبر ابن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن آدم لَمَ سميّ آدم؟

قال: لأنّه خلق من طين الأرض وأديمها.

قال: فآدم خلق من الطّين كلّه أو من طين واحد؟

قال: بل من الطّين كلّه، ولو خلق من طين واحد لما عرف النّاس بعضهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة.

قال: فلهم في الدنيا مثل؟

قال: التراب فيه أبيض وفيه أخضر وفيه أشقر وفيه أغبر وفيه أحمر وفيه أزرق وفيه عذب وفيه ملح وفيه خشن وفيه ليّن وفيه أصهب، فلذلك صار النّاس فيهم

---

(1) سورة النساء، الآية: .

(2) علل الشرائع، ص ١٧. البحار: ج ١١/ ص ١٠٠. باب ١/ ح ٥.

(3) قال الجزري في النهاية: أدمة الأرض: هو لونها وبه سمى آدم عليه السلام.

ليّن وفيهم خشن وفيهم أبيض وفيهم أصفر وأحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب.

قال: فأخبرني عن آدم خلق من حوّاء أو خلقت حوّاء من آدم؟

قال: بل حوّاء خلقت من آدم، ولو كان آدم خلق من حوّاء لكان الطّلاق بيد النساءِ، ولم يكن بيد الرجال.

قال: فمن كلّه خلقت أم من بعضه؟

قال: بل من بعضه، ولو خلقت من كلّه لجاز القصاص في النّساء كما يجوز في الرّجال.

قال: فمن ظاهره أو باطنه؟

قال: بل من باطنه، ولو خلقت من ظاهره لا نكشفن النساء كما ينكشف الرّجال، فلذلك صار النّساء مستترات.

قال: فمن يمينه أو من شماله؟

قال: بل من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان للأُنثى كحظّ الذكر من الميراث، فلذلك صار للأُنثى سهمٌ وللذّكر سهمان، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد.

قال: فمن أين خلقت؟

قال: من الطينة الّتي فضلت من ضلعه الأيسر(١).

عن الكلينيّ، عن علاّن رفعه قال: أتى أمير المؤمنين يهوديٌّ فقال: لَمَ سمّي آدم آدم، وحوّاء حوّاء؟

قال: إنّما سمّي آدم آدم لأنّه خلق من أديم الأرض، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى بعث جبرئيل عليه السلام وأمره أنّ يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات: طينة بيضاء، وطينة حمراء، طينة غبراء، وطينة سوداء، وذلك من سهلها وحزنها، ثمّ أمره أنّ يأتيه بأربع مياه: ماء عذب، وماء ملح، وماء مرّ، وماء منتن، ثمّ أمره أن يفرغ

(١) علل الشرائع: ص ١٦١. البحار: ج ١١/ص ١٠١، باب ١/ح ٦.

الماء في الطّين، وأدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطّين يحتاج إلى الماء، ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطّين، فجعل الماء العذب في حلقه، وجعل الماء المالح في عينيه، وجعل الماء المرّ في أُذنيه، وجعل الماء المنتن في أنفه، وإنّما سمّيت حوّاء حوّاء لأنّها خلقت من الحيوان. الخبر[1].

المعلّى بن محمّد، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أوّل من قاس إبليس.

فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2] ولو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه، ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الملائكة من نور، وخلق الجانَّ من النّار، وخلق الجنّ صنفاً من الجانّ من الرّيح، وخلق الجنّ صنفاً من الجنّ من الماءِ، وخلق آدم من صفحة الطّين، ثمّ أجرى في آدم النّور والنّار والرّيح والماء، فبالنّور أُبصر وعقل وفهم، وبالنّار أكل وشرب، ولولا أنّ النّار في المعدة لم يطحن المعدة الطّعام، ولولا أنّ الرّيح في جوف ابن آدم تلهب النّار المعدة لم تلتهب، ولولا أنّ الماء في جوف ابن آدم يطفئ حرّ نار المعدة لأحرقت النّار جوف ابن آدم، فجمع الله ذلك في آدم الخمس خصال، وكانت في إبليس خصلة فافتخر بها[3].

عن أبان، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ القبضة الّتي قبضها الله عزّ وجلّ من الطّين الّذي خلق منه آدم عليه السلام أرسل إليها جبرئيل عليه السلام أن يقبضها، فقالت الأرض: أعوذ بالله أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع إلى ربّه.

فقال: يا ربّ تعوّذت بك منّي، فأرسل إليها إسرافيل فقالت مثل ذلك، فأرسل إليها ميكائيل فقالت مثل ذلك، فأرسل إليها ملك الموت فتعوّذت بالله أن يأخذ منها شيئاً.

فقال ملك الموت: وأنا أعوذ بالله أن أرجع إليه حتّى أقبض منك.

---

(١) علل الشرائع: ص ١٢. البحار: ج ١١/ص ١٠٢، باب ١/ح ٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٣) الإختصاص: ص ١٠٩ (فافتخر بها على آدم عليه السلام). البحار: ج ١١/ص ٢. باب ١/ح ٨.

قال: وإنّما سمّي آدم آدم لأنّه خلق من أديم الأرض(١).

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: لأيّ علّة خلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام من غير أب وأمّ، وخلق عيسى من غير أب؟ وخلق سائر النّاس من الآباءِ والأُمّهات.

فقال: ليعلم النّاس تمام قدرته وكمالها، ويعلموا أنّه قادر على أن يخلق خلقاً من أُنثى من غير ذكر، كما هو قادرٌ على أنّ يخلقه من غير ذكر ولا أُنثى، وأنّه عزّ وجلّ فعل ذلك ليعلم أنه على كلّ شيءٍ قدير(٢).

عن يحيى بن أبي العلاء الرازيّ أنّ رجلاً دخل على أبي عبدالله عليه السلام فقال: جعلت فداك أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(٣).

وأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾(٤).

وأخبرني عن هذا البيت كيف صار فريضةً على الخلق أن يأتوه؟

قال: فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إليه وقال: ما سألني عن مسألتك أحد قطّ قبلك، إنّ الله عزّ وجلّ لمّا قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ضجّت الملائكة من ذلك وقالوا: يا ربّ إن كنت لا بدّ جاعلاً في أرضك خليفة فاجعله منّا من يعمل في خلقك بطاعتك، فردّ عليهم ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥).

فظنّت الملائكة أنّ ذلك سخط من الله عزّ وجلّ عليهم، فلاذوا بالعرش يطوفون به، فأمر الله عزّ وجلّ لهم ببيت من مرمر سقفه ياقوتة حمراء، وأساطينه الزّبرجد، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم.

قال: ويوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصّور نفخة واحدة، فيموت إبليس ما بين النّفخة الأوّلى والثّانية.

---

(١) علل الشرائع: ص ١٩٣. البحار: ج ١١/ص ١٠٣، باب ١/ح ٩.
(٢) علل الشرائع: ص ١٧، البحار: ج ١١/ص ١٠٨، باب ١/ح ١٦.
(٣) سورة ن، الآية: ١.
(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٣٧-٣٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

وأمّا (نون) فكان نهراً في الجنّة أشدّ بياضاً من الثّلج وأحلى من العسل، قال الله عزّوجلّ له: كن مداداً، فكان مداداً، ثمّ أخذ شجرةً فغرسها بيده - ثمّ قال: واليد: القوّة، وليس بحيث تذهب إليه المشبّهة - ثمّ قال لها: كوني قلماً، ثمّ قال له: اكتب.

فقال: يا ربّ وما أكتب؟

قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة، ففعل ذلك، ثمّ ختم عليه وقال: لا تنطقنّ إلى يوم الوقت المعلوم(١).

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمّيت المرأة مرأة لأنّها خلقت من المرءِ، يعني خلقت حوّاء من آدم(٢).

عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قال: سمّي النّساء نساءً لأنّه لم يكن لآدم أنس غير حوّاء(٣) (٤).

عن أبي لبابة، عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: خلق الله آدم في يوم الجمعة(٥).

عن عبد العظيم الحسنيّ قال: كتبت إلى أبي جعفر الثّاني عليه السلام أسأله عن علّة الغائط ونتنه.

قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق آدم عليه السلام وكان جسده طيّباً، وبقي أربعين سنة ملقىً تمرّ به الملائكة فتقول: لأمر ما خلقت وكان إبليس يدخل في فيه، ويخرج من دبره، فلذلك صار ما في جوف آدم عليه السلام منتناً خبيثاً غير طيّب(٦).

عن عليّ بن حديد، عن ابن أبى عمير، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما عليهما السلام أنّه سئل عن ابتداءِ الطواف.

---

(١) علل الشرائع: ص ١٤٠، البحار: ج ١١/ ص ١٠٨-١٠٩، باب ١/ ح ١٧.
(٢) علل الشرائع: ص ١٧. ويأتي عن قريب أنها خلقت من فاضل طينته وروايات تدل على أنها خلقت من ضلعه الأيسر. والبحار: ج ١١/ ص ١٠٩، باب ١/ ح ١٩.
(٣) كأنه مبني على القلب أو على الإشتقاق الكبير.
(٤) علل الشرائع: ص ١٧. والأنس من تأنس به. البحار: ج ١١/ ص ١٠٩، باب ١/ ح ٢٠.
(٥) البحار: ج ١١/ص ١٠٩، باب ١/ح ٢١.
(٦) علل الشرائع: ص ١٠١. البحار: ج ١١/ ص ١٠٩، باب ١/ ح ٢٢.

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد خلق آدم عليه السلام قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقال ملكان من الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1] فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عزّ وجلّ، وكان تبارك وتعالى نوره[2] ظاهراً للملائكة، فلمّا وقعت الحجب بينه وبينهما علما أنّه سخط قولهما، فقالا للملائكة: ما حيلتنا؟ وما وجه توبتنا؟

فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلاّ أن تلوذا بالعرش.

قال: فلاذا بالعرش حتّى أنزل الله عزّ وجلّ توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما، وأحبّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض وجعل على العباد الطواف حوله، وخلق البيت المعمور في السماءِ يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة[3].

في علل محمّد بن سنان قال: كتب الرّضا عليه السلام إليه: علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرّابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى الضراح، ثمّ وضع في السماء الدّنيا بيتاً يسمّى المعمور بحذاء الضراح، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به، فتاب الله عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة[4].

عن الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قلت لأبي: لِمَ صار الطواف سبعة أشواط؟

قال: لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فردّوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) المراد بنوره تعالى إما الأنوار المخلوقة في عرشه، أو أنوار الأئمة صلوات الله عليهم، أو أنوار معرفته وفيضه وفضله، فالمراد بالحجب على الأخير الحجب المعنوية.

(٣) علل الشرائع: ص ١٤٠. البحار: ج ١١/ص ١١٠، باب ١/ح ٢٣.

(٤) علل الشرائع: ص ١٤١، عيون الأخبار: ص ٢٤٢. البحار: ج ١١/ص ١١٠، باب ١/ح ٢٤.

على الله تبارك وتعالى: و﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال الله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الّذي في السماءِ الرّابعة فجعله مثابة(٢) وأمناً ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكلّ ألف سنّة شوطاً واحداً(٣).

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الآباء ثلاثة:

١ - آدم ولد مؤمناً.

٢ - والجانّ ولد كافراً.

٣ - وإبليس ولد كافراً، وليس فيهم نتاج، إنّما يبيض ويفرخ، وولده ذكورٌ ليس فيهم إناث(٤).

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سئل كيف صارت الأشجار بعضها مع أحمال وبعضها بغير أحمال؟

فقال: كلّما سبّح الله آدم تسبيحةً صارت له في الدنيا شجرة مع حمل، وكلّما سبّحت حوّاء تسبيحة صارت في الدنيا شجرة من غير حمل(٥).

عن بريد العجليّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾(٦) قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه، فبرأها من أسفل أضلاعه، فجرى بذلك الضلع بينهما سبب نسب، ثمّ زوّجها إيّاه فجرى بسبب

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) مثابة أي مرجعاً، أو محلاً لحصول الثواب.
(٣) علل الشرائع: ص ١٤١، البحار: ص ١١١/ج ١١، باب ١/ح ٢٥.
(٤) الخصال: ج ١/ص ٧٣. البحار: ج ١١/ص ١١١، باب ١/ح ٢٦.
(٥) علل الشرائع: ص ١٩١. البحار: ج ١١/ص ١١١، باب ١/ح ٢٨.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

ذلك بينهما صهر، فذلك قولك: ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ فالنسب يا أخا بني عجل ما كان من نسب الرجال، والصهر ما كان من سبب النساءِ(١).

عن حبّة العرنيّ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إنّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض فمنه السباخ والمالح والطيّب، ومن ذرّيّته الصالح والطالح وقال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم ونفخ فيه من روحه نهض ليقوم فقال الله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾(٢).

وهذا علامة(٣) للملائكة إنَّ من أولاد آدم عليه السلام يكون من يصير بفعله صالحاً، ومنهم من يكون طالحاً بفعله، لا أنّ من خلق من الطيّب لا يقدر على القبيح، ولا أنّ من خلق من السبخة لا يقدر على الفعل الحسن(٤).

قوله: (وهذا علامة) كلام الرّاونديّ ذكره لتأويل الخبر.

عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ القبضة الّتي قبضها الله تعالى من الطين الّذي خلق آدم عليه السلام منه أرسل الله إليها جبرئيل أن يأخذ منها إن شاء، فقالت الأرض: أعوذ بالله أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع فقال: يا رب تعوّذت بك، فأرسل الله تعالى إليها إسرافيل وخيّره فقالت مثل ذلك فرجع، فأرسل الله إليها ميكائيل وخيّره أيضاً فقالت مثل ذلك فرجع، فأرسل الله إليها ملك الموت فأمره على الحتم، فتعوّذت بالله أن يأخذ منها.

فقال ملك الموت: وأنا أعوذ بالله أن أرجع إليه حتّى آخذ منك قبضة، وإنّما سمّي آدم لأنّه أُخذ من أديم الأرض(٥).

عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: لمّا بكى آدم عليه السلام على الجنّة وكان رأسه في باب من أبواب السماء وكان يتأذّى بالشمس فحطّ من قامته(٦).

---

(١) تفسير القمي: ٦٦٤. وفيه: بسبب نسب النساء. البحار: ج ١١/ص ١١٢، باب ١/ح ٣١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١١.
(٣) أي خلقه من السباخ والمالح والطيب علامة.
(٤) البحار: ج ١١/ص ١١٣، باب ١/ح ٣٢، قصص الأنبياء للراوندي.
(٥) البحار: ج ١١/ص ١١٣، باب ١/ج ٣٤، قصص الأنبياء للراوندي.
(٦) البحار: ج ١١/ص ١١٣، باب ١/ح ٣٦. قصص الأنبياء للراوندي.

عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أن خلق الله تعالى آدم وقّفه بين يديه فعطس فألهمه الله أنّ حمده، فقال: يا آدم أحمدتني، فوعزّتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك.

قال آدم: يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهم؟(١).

فقال تعالى: يا آدم انظر نحو العرش، فإذا بسطرين من نور أوّل السطر: «لا إله إلا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مفتاح الجنّة».

والسطر الثاني: «آليت على نفسي أن أرحم من والاهما وأُعذّب من عاداهما»(٢).

عن ابن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: اجتمع ولد آدم في بيت فتشاجروا، فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم، وقال بعضهم: الملائكة المقرّبون.

وقال بعضهم: حملة العرش، إذ دخل عليهم هبة الله.

فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم فسلّم ثمّ جلس فقال: في أيّ شيء كنتم؟

فقالوا: كنّا نفكّر في خير خلق الله فأخبروه.

فقال: اصبروا لي قليلاً حتّى أرجع إليكم، فأتى أباه فقال: يا أبت إنّي دخلت على إخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما أُخبرهم.

فقلت: اصبروا حتّى أرجع إليكم فقال آدم عليه السلام: يا بنيّ وقفت بين يدي الله جلّ جلاله فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرّحمن الرّحيم محمّد وآل محمّد خير من برأ الله(٣).

عن محمّد بن عيسى العلويّ، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: خلقت حوّاء من قصيرا جنب آدم - والقصيرا هو الضلع الأصغر - وأبدل الله مكانه لحماً(٤).

---

(١) في النسخة المخطوطة: بقدرهما عندك ما اسمهما.

(٢) البحار: ج ١١/ص ١١٤، باب ١/ح ٣٩. قصص الأنبياء للراوندي.

(٣) البحار: ج ١١/ص ١١٤-١١٥، ج١/ح ٤٠. قصص الأنبياء للراوندي.

(٤) تفسير العياشي: ج ١/ص ٢٤١/ح ٢. البرهان ج/ص ٣٣٦. الصافي ج١/ص ٣٢٤. البحار: ج ١١/ص ١١٥-١١٦، باب ١/ح ٤٣.

وبإسناده عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: خلقت حوّاء من جنب آدم وهو راقد[١].

عن أبي عليّ الواسطيّ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله خلق آدم من الماء والطين، فهمّة آدم في الماء والطين، وإنّ الله خلق حوّاء من آدم فهمّة النساءِ في الرجال، فحصّنوهنّ في البيوت[٢].

عن عمروبن أبي المقدام، عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: من أيّ شيء خلق الله حوّاء؟

فقال: أيّ شيء يقول هذا الخلق؟

قلت: يقولون: إنَّ الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم.

فقال: كذبوا، كان يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه؟ فقلت: جعلت فداك يابن رسول الله من أيّ شيء خلقها؟

فقال: أخبرني أبي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله: إنّ الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه - وكلتا يديه يمين - فخلق منها آدم، وفضلت من الطين فخلق منها حوّاء[٣].

عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: إنّ الله لمّا خلق آدم فكان أوّل ما خلق عيناه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق، فلمّا حانت[٤] ولم يتبالغ الخلق في رجليه أراد القيام يقدر، وهو قول الله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[٥] وإنّ الله لمّا خلق آدم ونفخ فيه لم يلبث أن تناول عنقوداً فأكله[٦].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا خلق الله آدم نفخ فيه من

---

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ٢٤١/ح ٣. البحار: ج ١١/ص ١١٦، باب ١/ح ٤٤.
(٢) تفسير العياشي: ج١/ص ٢٤١/ح ٤. البحار: ج ١١/ص ١١٦، باب ١/ح ٤٥.
(٣) تفسير العياشي: ج١/ص ٢٤٢/ح ٧. البحار: ج ١١/ص ١١٦، باب ١/ح ٤٦.
(٤) حان الشيء: قرب وقته.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ١١.
(٦) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣٠٦/ج ٢٦. البحار: ج ١١/ص ١١٨، باب ١/ح ٤٩.

روحه وثب ليقوم قبل أن يستتمَّ خلقه فسقط، فقال الله عزّوجلّ : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[١].

عن جميل بن درّاج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن إبليس أكان من الملائكة؟ وهل كان يلي من أمر السماءِ شيئاً؟

قال: لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي من السّماءِ شيئاً، كان من الجنّ وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة تراه أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلمّا أُمر بالسجود كان منه الّذي كان[٢].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أمر الله إبليس بالسجود لآدم مشافهةً.

فقال: وعزّتك لئن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادةً ما عبدها خلقٌ من خلقك[٣].

وفي رواية أُخرى عن هشام عنه عليه السلام : ولمّا خلق الله آدم قبل أن ينفخ فيه الرّوح كان إبليس يمرُّ به فيضربه برجله فيدبّ فيقول إبليس: لأمر ما خلقت[٤].



سجود الملائكة ومعناه ومدة مكثه عليه السلام في الجنّة، وأنها أية جنة كانت، ومعنى تعليمه الاسماء

في جواب مسائل الزّنديق عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سأل أيصلح السجود لغيرالله؟

قال: لا.

قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسّجود؟

فقال: إنّ من سجد بأمر الله فقد سجد الله فكان سجوده لله إذ كان عن أمر الله.

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٠٦/ح ٢٧. البحار: ج ١١/ ص ١١٩، باب ١/ ح ٥٠.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ ص ٥٢/ح ١٦. البحار: ج ١١/ ص ١١٩، باب ١/ ح ٥١.
(٣) البحار: ج ١١/ ص ١١٩، باب ١/ ٥٢.
(٤) البحار: ج ١١/ ص ١١٩، باب ١/ ح ٥٣.

ثمّ قال عليه السلام: فأمّا إبليس فعبدٌ خلقه ليعبده ويوحّده، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتّى امتحنه بسجود آدم، فامتنع من ذلك حسداً وشقاوةً غلبت عليه فلعنه عند ذلك، وأخرجه عن صفوف الملائكة، وأنزله إلى الأرض مدحوراً، فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب، وماله من السّلطنة على ولده إلاّ الوسوسة والدّعاء إلى غير السبيل، وقد أقرّ مع معصيته لربّه بربوبيّته(١).

عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: سجدت الملائكة لآدم عليه السلام ووضعوا جباههم على الأرض؟

قال: نعم تكرمةً من الله تعالى(٢).

عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إنّ السّجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وإنّما كان ذلك طاعةً لله ومحبّة منهم لآدم(٣).

عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام أنّ يهودياً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزات النبيّ في مقابلة معجزات الأنبياء.

فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمّد شيئاً من هذا؟

فقال عليّ عليه السلام: لقد كان ذلك، ولكن أسجد الله لآدم ملائكته، فإنّ سجودهم لم يكن سجود طاعة إنّهم عبدوا آدم من دون الله عزّوجلّ، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة، ورحمةً من الله له، ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنّ الله جلّ وعلا صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبّد المؤمنون بالصّلاة عليه، فهذه زيادة له يا يهوديّ(٤).

عن أبي الصلت الهرويّ، عن الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك -

---

(١) الإحتجاج: ص ١٨٤-١٨٥. والسؤال عن إبليس واقع قبل السؤال عن السجود. البحار: ج ١١/ص ١٣٨-١٣٩، باب ٢/ح ٢.

(٢) البحار: ج ١١/ص ١٣٩، باب ٢/ح ٣، قصص الأنبياء للراوندي.

(٣) تحف العقول: ص ٤٧٨. البحار: ج ١١/ص ١٣٩، باب ٢/ح ٤.

(٤) الإحتجاج: ص ١١١، البحار: ج ١١/ص ١٣٩، باب ٢/ح ٥.

وساق الحديث إلى أن قال -: ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم لله عزّوجلّ عبوديّةً ولآدم إكراماً وطاعةً، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون؟ الخبر[١].

اعلم أنّ المسلمين قد أجمعوا على أنّ ذلك السّجود لم يكن سجود عبادة لأنّها لغير الله تعالى توجب الشرك، ثمّ اختلفوا على ثلاثة أقوال:

الأوّل: أنّ ذلك السجود كان لله تعالى، وآدم على نبيّنا وآله و عليه السلام كان قبلةً، وهو قول أبي عليّ الجبائيّ وأبي القاسم البلخيّ وجماعة.

والثاني: أنّ السّجود في أصل اللّغة هو الانقياد والخضوع، قال الشاعر: ترى الأكم فيها سجّداً للحوافر.

أي الجبال الصّغار والتلال كانت مذّللة لحوافر الخيول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[٢] وأُورد عليه بأنّ المتبادر من السجود وضع الجهة على الأرض فيجب الحمل عليه ما لم يدلّ دليلٌ على خلافه، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[٣] ويدلّ على صريحاً بعض الأخبار المتقدّمة.

والثالث: أنّ السجود كان تعظيماً لآدم على نبيّنا وآله و عليه السلام وتكرمةً له، وهو في الحقيقة عبادة لله تعالى لكونه بأمره، وهو مختار جماعة من المفسّرين، وهو الأظهر من مجموع الأخبار الّتي أوردناها، وإن كان الخبر الأوّل يؤيّد الوجه الأوّل[٤].

ثمّ اعلم أنه قد ظهر ممّا أوردنا من الأخبار أنّ السجود لا يجوز لغير الله ما لم يكن عن أمره، وأنّ المسجود له لا يكون معبوداً مطلقاً، بل قد يكون السّجود تحيّةً لا عبادةً وإن لم يجز إيقاعه إلاّ بأمره تعالى، وأنّ أمره سبحانه للملائكة بالسجود

---

(١) عيون الأخبار: ص ١٤٥. البحار: ج/ص ١٣٩-١٤٠، باب ٢/ح ٦.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٩، وسورة صٓ: الآية: ٧٢.

(٤) بل فيه جمع بين القول والثلاث حيث قال عليه السلام: ولم يكن سجودهم لآدم، إنما كان آدم قبلة لهم يسجدون نحوه لله عز وجل وكان بذلك معظماً مبجلاً له أي لآدم.

لآدم على نبيّنا وآله وعليه السلام يدلّ على أفضليّته وتقدّمه عليهم، لا كما زعمه الجبائيّ وغيره من أنّه لا يدلّ على أفضليّة آدم عليه السلام.

خلق الله آدم فبقي أربعين سنّة مصوّراً، وكان يمرُّ به إبليس اللّعين فيقول: لأمر ما خلقت.

فقال العالم عليه السلام: فقال إبليس لئن أمرني الله بالسّجود لهذا لعصيته.

قال: ثمّ نفخ فيه فلمّا بلغت فيه الروح إلى دماغه عطس فقال: الحمد لله، فقال الله له: يرحمك الله.

قال الصادق عليه السلام: فسبقت له من الله الرحمة، ثمّ قال الله تبارك وتعالى للملائكة: اسجدوا لآدم فسجدوا له، فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد، فأبى أن يسجد فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(١).

قال الصادق عليه السلام: فأوّل من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أوّل معصية عصي الله بها.

قال: فقال إبليس: يا ربِّ اعفني من السّجود لآدم وأنا أعبدك عبادةً لم يعبدكها ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ.

فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنّما أُريد أنّ أُعبد من حيث أُريد لا من حيث تريد، فأبى ان يسجد فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾(٢).

قال إبليس: يا ربّ فكيف وأنت العدل الّذي لا تجور فثواب عملي بطل؟

قال: لا ولكن سلني من أمر الدّنيا ما شئت ثواباً لعملك أُعطك، فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدّين.

فقال الله: قد أعطيتك.

قال: سلّطني على ولد آدم.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢.

(٢) سورة ص، الآيتان: ٧٧-٧٨.

قال: سلّطتك.

قال: أجرني فيهم مجرى الدّم في العروق.

قال: قد أجريتك.

قال: لا يولد لهم واحد إلاّ ولد لي إثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصوّر لهم في كل صورة شئت.

فقال: قد أعطيتك.

قال: يا ربّ زدني.

قال: قد جعلت لك ولذرّيّتك صدورهم أوطاناً.

قال: ربّ حسبي.

قال إبليس عند ذلك: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾(1) ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(2) (3).

عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أعطى الله تبارك وتعالى إبليس ما أعطاه من القوّة قال آدم: يا ربّ سلطت إبليس على ولدي، أجريته فيهم مجرى الدّم في العروق، وأعطيته ما أعطيته، فما لي ولولدي؟

فقال: لك ولولدك السيّئة بواحدة والحسنة بعشرة أمثالها.

قال: يا ربّ زدني.

قال: التوبة مبسوطة إلى أنّ تبلغ النّفس الحلقوم.

قال: يا ربّ زدني.

قال: أغفر ولا أُبالي.

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢-٨٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٣) تفسير القمي: ص ٣٤-٣٥، البحار: ج ١١/ ص ١٤١، باب ٢/ح ٧.

قال: حسبي.

قال: قلت: جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟

فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه.

قلت: وما كان منه جعلت فداك؟

قال: ركعتين ركعهما في السّماء في أربعة آلاف سنة[١].

كتاب فضائل الشّيعة للصّدوق رحمه الله بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[٢] فمن هم يا رسول الله الّذين هم أعلى من الملائكة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسّجود، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[٣] أي من هؤلاءِ الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش؛ الخبر[٣].

عن محمّد بن إسحاق، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّما كان لبث آدم وحوّاء في الجنّه حتّى أُخرجا منها سبع ساعات من أيّام الدّنيا حتّى أهبطهما الله من يومهما ذلك[٤].

بالإسناد إلى وهب قال: لمّا أسجد الله عزّ وجلّ الملائكة لآدم عليه السلام وأبى إبليس أن يسجد قال له ربّه عزّ وجلّ: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾[٥] ثمّ قال عزّ وجلّ لآدم: يا آدم انطلق إلى هؤلاءِ من الملائكة فقل: السّلام

---

(١) تفسير القمي: ص ٣٥. البحار: ج ١١/ص ١٤٢، باب ٢/ح ٨.
(٢) سورة صَ، الآية: ٧٤.
(٣) سورة ص، الآية: ٧٤، البحار: ج ١١/ص ١٤٢، باب ٢/ح ٩.
(٤) الخصال: ج ٢/ص ٣٣.
(٥) سورة ص، الآيتان: ٧٧-٧٨.

عليكم ورحمة الله وبركاته، فسلّم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله بركاته، فلمّا رجع إلى ربّه عزّوجلّ قال له ربّه تبارك وتعالى: هذا تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك من بعدك فيما بينهم إلى يوم القيامة(١).

عن الحسن ابن بشّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن جنّة آدم، فقال: جنّة من جنان الدّنيا يطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً(٢).

أبي رفعه قال: سئل الصّادق عليه السلام عن جنّة آدم أمن جنان الدّنيا كانت أم من جنان الآخرة؟

فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً(٣).

اختلف في جنّة آدم عليه السلام هل كانت في الأرض أم في السماء؟ وعلى الثاني هل هي الجنّة الّتي هي دار الثواب أم غيرها؟

فذهب أكثر المفسّرين وأكثر المعتزلة إلى أنّها جنّة الخلد، وقال أبو هاشم: هي جنّة من جنان السماء غير جنّة الخلد.

وقال أبو مسلم الإصفهانيّ وأبو القاسم البلخيّ وطائفة: هي بستان من بساتين الدّنيا في الأرض كما يدلّ عليه هذان الخبران وإن أمكن اتّحادهما.

واحتجّ الأوّلون بأنّ الظاهر أنّ الألف واللاّم للعهد والمعهود المعلوم بين المسلمين هي جنّة الخلد، وبأنّ المتبادر منها جنّة الخلد حتّى صار كالعلم لها فوجب الحمل عليها، وجوابهما ظاهر.

واحتجّت الطائفة الثانية بأنّ قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ يدلّ على الإهباط من السماءِ إلى الأرض وليست بجنّة الخلد كما سيذكر فلزم المطلوب، وأُجيب بأنّ الانتقال من أرض إلى أُخرى قد يسمّى هبوطاً، كما في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟

---

(١) علل الشرائع: ص ٤٥، البحار: ج ١١/ص ١٤٢-١٤٣، باب ٢/ح ١١.
(٢) علل الشرائع: ص ٢٠٠. البحار: ج ١١/ص ١٤٣، باب ٢/ح ١٢.
(٣) تفسير القمي: ٣٥-٣٦. البحار: ج ١١/ص ١٤٣، باب ٢/ح ١٣.

﴿مِصۡرٗا﴾[1] لكنّ الظاهر من آخر الآية كون الهبوط من غير الأرض، ويؤيّده ما سيأتي في حديث الشاميّ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم واد على وجه الأرض.

فقال له: واد يقال له: سرنديب سقط فيه آدم من السماءِ.

واحتجَّ القائلون بأنّها من بساتين الأرض بوجوه:

الأول: أنها لو كانت دار الخلد لما خرج آدم منها لقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾[2].

الثاني: أنّ جنّة الخلد لا يفنى نعيمها لقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾[3] ولقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[4] الآية.

عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام أكان إبليس من الملائكة أم من الجنّ؟

قال: كانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلمّا امر بالسجود كان منه الّذي كان[5].

اعلم أنّ العلماء اختلفوا في أنّه هل كان إبليس من الملائكة أم لا، فذهب أكثر المتكلّمين لا سيّما المعتزلة كثيرٌ من أصحابنا كالشيخ المفيد قدّس سرّه إلى أنّه لم يكن من الملائكة بل كان من الجنّ، قال: وقد جاءت الأخبار به متواترة عن أئمّة الهدى سلام الله عليهم وهو مذهب الإماميّة، وذهب جماعةٌ من المتكلّمين وكثيرٌ من فقهاء الجمهور إلى أنّه منهم، واختاره شيخ الطائفة رحمه الله في التبيان.

قال: وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا، ثمّ اختلفت الطائفة الأخيرة فقيل: إنّه كان خازناً للجنان، وقيل: كان له سلطان سماءِ الدنيا وسلطان الأرض.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٨.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٥.
(٤) سورة هود، الآية: ١٠٨.
(٥) البحار: ج ١١/ص ١٤٤، باب ٢/ح ١٤.

وقيل: كان يسوس ما بين السماءِ والأرض، والحقّ ما اختاره المفيد رحمه الله، وسنورد الأخبار في ذلك في كتاب السماءِ والعالم[١].

عن أيمن بن محرز، عن الصادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى علّم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلّها، ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنّهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريّته، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم وقال لهم: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾[٢].

وحدّثنا بذلك القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام [٣].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[٤] قال: أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان[٥].

قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي علّمه معاني الأسماء، إذ الأسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لإشادة الفضيلة بها، وقد نبّه الله الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فأقرّوا عند ما سئلوا عن ذكرها والإخبار عنها أنّه لا علم لهم بها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ عن قتادة.

وقيل: إنّه سبحانه علّمه جميع الأسماءِ والصناعات وعمارة الأرضين والأطعمة والأودية واستخراج المعادن وغرس الأشجار ومنافعها وجميع ما

(١) البحار: ج ١١/ص ١٤٤، باب ٢. الإيضاح.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ٣١-٣٣.
(٣) كمال الدين: ص ٩-١٠. البحار: ج ١١/ص ١٤٥، باب ٢/ح ١٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٥) تفسير القمي: ص ٣٨، البحار: ج ١١/ص ١٤٦، باب ٢/ح ١٦.

يتعلّق بعمارة الدين والدنيا، عن ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير وعن أكثر المتأخّرين.

وقيل: إنّه علّمه أسماء الأشياء كلّها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللّغات الّتي يتكلّم بها ولده بعده، عن أبي عليّ الجبائيّ وعليّ بن عيسى وغيرهما، قالوا: فأخذ عنه ولده اللّغات فلمّا تفرَّقوا تكلّم كلّ قوم بلسان ألفوه واعتادوه، وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه، ويجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللّغات إلى زمن نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام، فلمّا أهلك الله الناس إلاّ نوحاً ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللّغات، فلمّا كثروا وتفرّقوا اختار كلّ قوم منهم لغةً تكلّموا بها وتركوا ما سواه ونسوه.

وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية؛ ثمّ نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط ممّا علّمه.

وقيل: إنّه علّمه أسماء الملائكة وأسماء ذرّيّته، عن الربيع.

وقيل: إنّه علّمه ألقاب الأشياءِ ومعانيها وخواصّها، وهو أنّ الفرس يصلح لماذا، والحمار يصلح لماذا، وهذا أبلغ لأنّ معاني الأشياء وخواصّها لا تتغيّر بتغيّر الأزمنة والأوقات، وألقاب الأشياءِ تتغيّر على طول الزمان انتهى[١].

عن الحسين بن ميّاح عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فلو قاس الجوهر الّذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار[٢].

عن أبي العبّاس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ماذا علّمه؟

قال: الأرضين والجبال والشعاب[٣] والأودية؛ ثمّ نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط ممّا علّمه[٤].

(١) مجمع البيان: ج ١/ص ٧٦، البحار: ج ١١/ص ١٤٦، باب ٢/ح ١٦.

(٢) المحاسن: ص ٢١١، البحار: ج ١١/ص ١٤٧، باب ٢/ح ١٧.

(٣) الشعاب جمع الشعب: الطريق في الجبل، مسيل الماء في بطن الأرض، ما انفرج بين الجبلين. ويمكن أن يكون مصحف (النبات).

(٤) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥١، البحار: ج ١١/ص ١٤٧، باب ٢/ح ١٨.

عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أن خلق الله آدم أمر الملائكة أنّ يسجدوا له.

فقالت الملائكة في أنفسها: ما كنّا نظنّ أنّ الله خلق خلقاً أكرم عليه منّا. فنحن جيرانه ونحن أقرب خلقه إليه. فقال الله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1] فيما أبدوا من أمر بني الجانّ. وكتموا ما في أنفسهم. فلاذت الملائكة الّذين قالوا ما قالوا بالعرش[2].

عن جميل بن درّاج قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن إبليس أكان من الملائكة أو كان يلي شيئاً من أمر السماء؟

فقال: لم يكن من الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السّماء ولا كرامة، فأتيت الطّيّار فأخبرته بما سمعت فأنكر، وقال: كيف لا يكون من الملائكة والله يقول للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فدخل عليه الطيّار[3] فسأله وأنا عنده فقال له: جعلت فداك قول الله عزّوجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في غير مكان في مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذه المنافقون؟

فقال: نعم يدخلون في هذه المنافقون والضلاّل وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة[4].

بيان: حاصله أنّ الله تعالى إنّما أدخله في لفظ الملائكة لأنّه كان مخلوطاً بهم وكونه ظاهراً منهم، وإنّما وجّه الخطّاب في الأمر بالسجود إلى هؤلاء الحاضرين وكان من بينهم فشمله الأمر، أو المراد أنّه خاطبهم بيا أيّها الملائكة مثلاً وكان إبليس أيضاً مأموراً لكونه ظاهراً منهم ومظهرا لصفاتهم، كما أنّ خطاب يا أيّها الّذين آمنوا يشمل المنافقين لكونهم ظاهراً من المؤمنين، وأمّا ظنّ الملائكة فيحتمل أن يكون المراد أنّهم ظنّوا أنّه منهم في الطّاعة وعدم العصيان، لأنّه يبعد

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٣.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥١/ح ١٤، البحار: ج ١١/ص ١٤٨، باب٢/ح ٢١.
(٣) المشهور بهذا اللقب محمد بن عبد الله وقد يطلق على ابنه حمزة بن الطيار.
(٤) تفسير العياشي، ج ١/ص ٥١-٥٢/ح ١٥، البحار: ج ١١/ص ١٤٨، باب ٢/ح ٢٢.

أن لا يعلم الملائكة أنّه ليس منهم مع أنّهم رفعوه إلى السماء وأهلكوا قومه، فيكون من قبيل قولهم عليهم السلام: «سلمان منا أهل البيت» على أنّه يحتمل أنّ يكون الملائكة ظنّوا أنّه كان ملكاً جعله الله حاكماً على الجانّ، ويحتمل أنّ يكون هذا الظنّ من بعض الملائكة الّذين لم يكونوا بين جماعة منهم قتلوا الجانّ ورفعوا إبليس(١).

عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ أوّل كفر كفر بالله، حيث خلق الله آدم كفر إبليس حيث ردّ على الله أمره، وأوّل الحسد حيث حسد ابن آدم أخاه، وأوّل الحرص حرص آدم، نهي عن الشجرة فأكل منها فأخرجه حرصه من الجنّة(٢).

عن بدر بن خليل الأسديّ، عن رجل من أهل الشام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوّل بقعة عبدالله عليها ظهر الكوفة لمّا أمرالله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة(٣).

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو أنَّ الله خلق الخلق كلّهم بيده لم يحتج في آدم أنّه خلقه بيده فيقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(٤) أفترى الله يبعث الأشياءِ بيده!(٥).

أفترى الله إنّما ذكر ذلك لئلاّ يحمل اليد على الحقيقة، أو المعنى أنّه لو كان خلقه تعالى الأشياء بالجوارح لكان خلق الجميع بها فلا وجه للاختصاص.

عن إسحاق بن جرير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: أيّ شيءٍ يقول أصحابك في قول إبليس: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٦)؟

---

(١) البحار: ج ١١/ ص ١٤٨-١٤٩، باب ٢/ح ٢٢.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥٢/ح ١٧، البحار: ج ١١/ص ١٤٩، باب ٢/ح ٢٣.
(٣) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥٣، ح ١٨، البحار: ج ١١/ص ١٤٩، باب ٢/ح ٢٤.
(٤) سورة ص، الآية: ٧٥.
(٥) تفسير القمي: ص ٥٧٣، وفي نسخة: أفترى ينعت الأشياء بيده، البحار: ج ١١/ ص ١٥٣، باب ٢/ح ٢٩.
(٦) سورة ص، الآية: ٧٥.

قلت: جعلت فداك قد قال ذلك وذكره الله في كتابه.

قال: كذب يا إسحاق ما خلقه الله إلاّ من طين، ثمّ قال: قال الله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾(١) خلقه الله من ذلك النار من تلك الشجرة، والشجرة أصلها من طين(٢).

ارتكاب ترك الاولى ومعناه وكيفيته وكيفيّة قبول توبته والكلمات التى تلقاها من ربه

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾(٣) قال: كانت سوآتهما لا تبدوا لهما فبدت، يعني كانت من داخل(٤).

عن معاوية بن عمّار، عن الحسن بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه: أخبرني عن الله لأيّ شيءٍ وقّت هذه الصّلوات الخمس في خمس مواقيت على أُمّتك في ساعات اللّيل والنّهار؟

فأجاب عليه السلام إلى أنّ قال:

وأمّا صلاة العصر: فهي الساعة الّتي أكل فيها آدم من الشّجرة فأخرجه الله من الجنّة، فأمر الله ذرّيّته بهذه الصّلاة إلى يوم القيامة، واختارها لأُمّتي فهي من أحبّ الصّلوات إلى الله عزّ وجلّ وأوصاني أن أحفظها من بين الصّلوات.

وأمّا صلاة المغرب: فهي السّاعة الّتي تاب الله فيها على آدم، وكان بين ما أكل من الشّجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيّام الدّنيا وفي أيّام الآخرة يوم

(١) سورة يس، الآية: ٨٠.
(٢) تفسير القمي: ص ٥٧٣، البحار: ج ١١/ص ١٥٤، باب ٢/ح ٣٠.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢٠.
(٤) تفسير القمي: ص ٢١٣، وفيه: بدت لهما سوآتهما: وفي نسخة من الكتاب: يعني كانت داخلة. قلت: الحديث لا يخلو عن غرابة، البحار: ج ١١/ص ١٦٠، باب ٣/ح ١.

كألف سنّة من وقت صلاة العصر إلى العشاء، فصلّى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، ركعة لخطيئة حوّاء، وركعة لتوبته، فافترض الله عزّ وجلّ هذه الثلاث الرّكعات على أُمّتي.

ثمّ قال: فأخبرني لأيّ شيء تُوضّؤ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا أن وسوس الشّيطان إلى آدم ودنا آدم من الشجرة ونظر إليها ذهب ماء وجهه، ثمّ قام وهو أوّل قدم مشت إلى الخطيئة، ثمّ تناول بيده ثمّ مسّها فأكل منها فطار الحليُّ والحلل عن جسده، ثمّ وضع يده على أُمّ رأسه وبكى، فلمّا تاب الله عزّ وجلّ عليه فرض الله عزّ وجلّ عليه وعلى ذرّيّته الوضوء على هذه الجوارح الأربع، وأمره أن يغسل الوجه لمّا نظر إلى الشّجرة، وأمره بغسل السّاعدين إلى المرفقين لمّا تناول منها، وأمره بمسح الرأس لمّا وضع يده على رأسه، وأمره بمسح القدمين لمّا مشى إلى الخطيئة.

ثمّ قال أخبرني لأيّ شيء فرض الله عزّ وجلّ الصّوم على أُمّتك بالنّهار ثلاثين يوماً، وفرض على الأُمم أكثر من ذلك؟

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ آدم لمّا أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً، وفرض الله على ذرّيّته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والّذي يأكلونه تفضّل من الله عزّ وجلّ عليهم، وكذلك كان على آدم ففرض الله عزّ وجلّ على أُمّتي ذلك، ثمّ تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾(١) (٢).

أبي رفعه قال: سئل الصّادق عليه السلام عن جنّة آدم، أمن جنان الدّنيا كانت أم جنان الآخرة:

فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٨٣-١٨٤.

(٢) علل الشرائع: ١٢٠ و١٠٣ و١٣٢، أمالي الصدوق: ١١٤-١١٦، البحار: ج ١١/ ١٦٠-١٦١، باب ٣، ح ٤.

قال: فلمّا أسكنه الله الجنّة أتى جهالة إلى الشجرة، لأنّه خلق[١] خلقه لا تبقى إلاّ بالأمر والنّهي والغذاء واللّباس والأكنان[٢] والتّناكح، ولا يدرك ما ينفعه ممّا يضرّه إلاّ بالتوفيق، فجاءه إبليس فقال له: إنّكما إن أكلتما من هذه الشّجرة الّتي نها كما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنّة أبداً، وإن لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنّة وحلف لهما أنّه لهما ناصح، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[٣] [٤] فقبل آدم قوله فأكلا من الشّجرة وكان كما حكى الله ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ وسقط عنهما ما ألبسهما الله تعالى من لباس الجنّة، وأقبلا يستتران من ورق الجنّة ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

فقالا كما حكى الله عزّوجلّ عنهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فقال الله لهما: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٥] قال: إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

---

(١) قوله عليه السلام: (لأنّه خلق) إمّا تعليل لأنّه وكله الله تعالى إلى نفسه حتّى قصد الشجرة، أي كان خلق للدنيا لا للجنّة، أو لقبول وسوسة الشيطان، أو للمرور جهالة إلى الشجرة حتّى وسوس إليه الشيطان.

(٢) الأكنان جمع الكن: البيت، وقاه كل شيء وستره. وفي المصدر: والاكثار والنكاح.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٤) قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ قال الشيخ الطبرسيّ: والمعنى أنّه أوهمهما أنّهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيّرت صورتهما إلى صورة الملك، وأنّ الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبيد حياتهما إذا أكلا منها؛ وروي عن يحيى بن أبي كثير أنّه قرأ (ملكين) بكسر اللاّم. قال الزّجّاج: قوله ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ يدلّ على ملكين، وأحسبه قد قرئ به، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أنّه أوهمهما أنّ المنهيّ عن تناول الشجرة الملائكة خاصّة والخالدين دونهما، فتكون كما يقول أحدنا لغيره: ما نهيت عن كذا إلاّ أن تكون فلاناً، وإنّما يريد أنّ المنهيّ إنّما هو فلان دونك، ذكره المرتضى قدّس الله سرّه وروحه انتهى، والخبر يؤيّد الأوّل.

(٥) سورة الأعراف، الآيات: ١٩-٢٥.

وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: فهبط آدم على الصّفا وإنّما سمّيت الصّفا لأنّ صفوة الله نزل عليها، ونزلت حوّاء على المروة وإنّما سمّيت المروة لأنّ المرأة نزلت عليها، فبقي آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة.

فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته؟

قال: بلى.

قال: وأمرك أن لا تأكل من الشّجرة فلمَ عصيته؟

قال: يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لي بالله إنّه لي ناصح، وما ظننت أنّ خلقاً يخلقه الله يحلف بالله كاذباً(١).

عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ موسى سأل ربّه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع.

فقال له موسى: يا أبه ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة فلمَ عصيته؟

قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟

قال: بثلاثين سنة.

قال: فهو ذلك.

قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى عليهما السلام (٢).

وجدان الخطيئة قبل الخلق إمّا في عالم الأرواح بأن يكون روح موسى عليه السلام اطّلع على ذلك في اللّوح، أو المراد أنّه وجد في التوراة أنّ تقدير خطيئة آدم عليه السلام كان قبل خلقه بثلاثين سنة.

روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أُخرج آدم من الجنّة نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد

(١) تفسير القمي: ص ٣٥-٣٦، البحار: ج ١١/ ص ١٦٢، باب ٣/ح ٥.
(٢) تفسير القمي: ص ٣٦-٣٧، البحار: ج ١١/ ص ١٦٣، باب ٣/ح ٦.

لك ملائكته وزوَّجك حوّاء أمته، وأسكنك الجنّة وأباحها لك ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه الشجرة فأكلت منها وعصيت الله؟

فقال آدم عليه السلام: يا جبرئيل إنَّ إبليس حلف لي بالله إنّه لي ناصحٌ، فما ظننت أنّ أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً(1).

عن حمدان بن سليمان، عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرّضا عليّ بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: إنَّ الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾.

فقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وأشارلهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا ممّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة، وإنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وإنّما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ ولم يكن آدم وحوّاء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾(2) فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوّة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النار، وإنّما كان من الصغائر الموهوبة الّتي تجوز على الأنبياءِ قبل نزول الوحي عليهم، فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرةً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾(3) وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(4) (5).

---

(1) تفسير القمي: ص ٢١٣، البحار: ج ١١/ ص ١٦٣، باب ٣/ح ٧.
(2) سورة الأعراف، الآيات: ١٩-٢٢.
(3) سورة طه، الآية، ١٢١-١٢٢.
(4) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(5) عيون الأخبار: ص ١٠٨-١٠٩، البحار: ج ١١/ ص ١٦٤، باب ٣/ح ٨.

عن حمدان بن سليمان، عن الهرويّ قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن الشجرة الّتي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت؟

فقد اختلف الناس فيها: فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال: كل ذلك حقّ. قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟

فقال: يا أبا الصلت إنَّ شجر الجنّة تحمل أنواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عنبٌ، وليست كشجر الدّنيا، وإنَّ آدم عليه السلام لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنّة قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه، فناداه: ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجه فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة».

فقال آدم عليه السلام: يا ربّ من هؤلاء؟

فقال عزّ وجلّ: من ذرّيّتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض، فإيّاك أنّ تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري. فنظر إليهم بعيد الحسد وتمنّى منزلتهم فتسلّط الشيطان عليه حتّى أكل من الشجرة الّتي نهي عنها. وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله عليهما السلام عن جنّته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض(١).

اعلم أنّهم اختلفوا في الشجرة المنهيّة فقيل: كانت السنبلة رووه عن ابن عبّاس، ويدلّ عليه ما سيأتي ورواية ابن الجهم.

وقيل: هي الكرمة رووه عن ابن مسعود والسدّيّ وسيأتي ما يدلّ عليه.

وقيل: هي شجرة الكافور؛ وقال الشيخ في التبيان: روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: شجرة الكافور؛ وقيل: هي التينة.

(١) معاني الأخبار: ج ٤٢، عيون الأخبار، ص ١٧٠. البحار: ج ١١/ ١٦٤-١٦٥، باب ٣/ح ٩.

وقيل: شجرة العلم: علم الخير والشرّ؛ وقيل هي شجرة الخلد الّتي كانت تأكل منها الملائكة، وهذه الرواية تجمع بين الروايات وأكثر الأقوال.

عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لولا أنّ آدم أذنب ما أذنب مؤمن أبداً، ولولا أنّ الله عزّ وجلّ تاب على آدم ما تاب على مذنب أبداً[١].

عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا هبط آدم من الجنّة ظهرت فيه شامة[٢] سوداء في وجهه من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا آدم؟

قال: لهذه الشامة الّتي ظهرت بي.

قال: قم فصلّ فهذا وقت الأُولى، فقام فصلّى فانحطّت الشامة إلى صدره، فجاءه في الصلاة الثانية.

فقال: يا آدم قم فصلّ فهذه وقت الصلاة الثانية.

فقال: فصلّى فانحطّت الشامة إلى سرّته، فجاء في الصلاة الثالثة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذه وقت الصلاة الثالثة، فقام فصلّى فانحطّت الشامة إلى ركبتيه، فجاءه في الصلاة الرّابعة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذه وقت الصلاة الرابعة.

فقال: فصلّى فانحطّت الشامة إلى رجليه، فجاءه في الصلاة الخامسة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الخامسة، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد الله وأثنى عليه.

فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصلوات كمثلك في هذه الشامة من صلّى من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة[٣].

سأل الشّاميّ أمير المؤمنين عليه السلام لمَ صار الميراث للذّكر مثل حظّ الأُنثيين؟

---

(١) علل الشرائع: ص ٣٩، البحار: ج ١١/ ١٦٥، باب ٣/ح ١٠.

(٢) الشامة: الخال أي بثرة سوداء في البدن حولها شعر.

(٣) علل الشرائع: ص ١٢٠، البحار: ج ١١/ ص ١١٦، باب ٣/ح ١١.

قال: من قبل السنبلة كان عليها ثلاث حبّات فبادرت إليها حوّاء فأكلت منها حبّة، وأطعمت آدم حبّتين، فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظّ الأُنثيين(١).

عن عليّ بن سالم عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: كيف صار الميراث للذكر مثل حظّ الأُنثيين؟

فقال: لأنَّ الحبّات الّتي أكلها آدم وحوّاء في الجنّة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثني عشر حبّة، وأكلت حوّاء ستّاً فلذلك صار الميراث للذكر حظّ الأُنثيين(٢).

يمكن الجمع بينه وبين ما سبق بحمل ما تقدّم على أوّل سنبلة أخذاه، ثمَّ أخذا كذلك حتّى صارت ثمانية عشر؛ أو المراد أنّها كانت على كلّ شعبة منها ثلاث حبّات وكانت الشعب ستّة.

عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل إليه جبرئيل فقال له: السلام عليك يا آدم الصابر على بليّته، التائب عن خطيئته، إنّ الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأُعلّمك المناسك الّتي يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتّى أتى البيت فنزل عليه غمامة من السماء.

فقال له جبرئيل عليه السلام: خطّ برجلك حيث أظلّك هذا الغمام، ثمَّ انطلق به حتّى أتى به منى فأراه موضع مسجد منى فخطّه، وخطّ الحرم بعد ما خطّ مكان البيت ثمَّ انطلق به إلى عرفات فأقامه على العرف(٣) وقال له: إذا غربت الشمس بذنبك سبع مرّات، ففعل ذلك آدم ولذلك سمّي المعرف لأنّ آدم اعترف عليه بذنبه، فجعل ذلك سنّة في ولده يعترفون بذنوبهم كما اعترف أبوهم، ويسألون الله عزّ وجلّ التوبة كما سألها أبوهم آدم عليه السلام.

ثمَّ أمره جبرئيل فأفاض من عرفات فمرّ على الجبال السبعة، فأمره أن يكبّر

---

(١) علل الشرائع: ص ١٩٨، عيون الأخبار: ص ١٣٤، البحار: ج ١١/ ص ١٦٧، باب ٣/ح ١٣.
(٢) علل الشرائع: ص ١٩٠، البحار: ج ١١/ ص ١٦٧، باب ٣/ ١٤.
(٣) في نسخة: «فأقامه على العرفة».

على كلّ جبل أربع تكبيرات ففعل ذلك آدم، ثمَّ انتهى به إلى جمع ثلث اللّيل فجمع فيها بين المغرب وبين صلاة العشاءِ الآخرة، فلذلك سمّيت جمعاً لأنَّ آدم جمع فيها بين الصلاتين، فهو وقت العتمة تلك اللّيل ثلث اللّيل في ذلك الموضع.

ثمَّ أمره أن ينبطح في بطحاء جمع فتبطّح حتّى انفجر الصبّح.

ثمَّ أمره أنّ يصعد على الجبل جبل جمع وأمره إذا طلعت الشّمس أن يعترف بذنبه سبع مرّات ويسأل الله عَزَّوَجَلَّ التوبة والمغفرة سبع مرّات، ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل، وإنّما جعل اعرافين ليكون سنّة في ولده، فمن لم يدرك عرفات وأدرك جمعاً فقد وفى بحجّه، فأفاض آدم من جمع إلى منى فبلغ منى ضحى فأمره أن يصلّي ركعتين في مسجد منى، ثمَّ أمره أنّ يقرّب إلى الله عَزَّوَجَلَّ قرباناً ليقبل الله منه ويعلم أنَّ الله قد تاب عليه، ويكون سنّة في ولده بالقربان، فقرّب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قرباناً فقبل الله منه قربانه وأرسل الله عَزَّوَجَلَّ ناراً من السماء فقبضت قربان آدم.

فقال له جبرئيل:

إنَّ الله تبارك وتعالى قد أحسن إليك إذ علّمك المناسك الّتي تاب عليك بها وقبل قربانك فاحلق رأسك تواضعاً لله عَزَّوَجَلَّ إذ قبل قربانك، فحلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالى ثمّ أخذ جبرئيل بيد آدم فانطلق به إلى البيت فعرض له إبليس عند الجمرة فقال له: يا آدم أين تريد؟

قال جبرئيل: يا آدم ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ففعل آدم ذلك كما أمره جبرئيل فذهب إبليس، ثمَّ أخذ بيده في اليوم الثاني فانطلق به إلى الجمرة فعرض له إبليس فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرةً، ففعل آدم ذلك فذهب إبليس، ثمَّ عرض له عند الجمرة الثانية فقال له: يا آدم أين تريد؟

فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ففعل ذلك آدم فذهب إبليس، ثمّ عرض له عند الجمرة الثالثة فقال له: يا آدم أين تريد؟

فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ففعل ذلك آدم فذهب إبليس، ثمَّ فعل ذلك به في اليوم الثالث، الرّابع فذهب إبليس.

فقال له جبرئيل: إنّك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً، ثمَّ انطلق به إلى البيت فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرّات ففعل ذلك آدم.

فقال له جبرئيل: إنَّ الله تبارك وتعالى قد غفر لك وقبل توبتك وحلّت لك زوجتك(١).

عن زرّ بن حُبيش قال: سألت ابن مسعود عن أيّام البيض ما سببها؟ وكيف سمعت؟

قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: إنّ آدم لمّا عصى ربّه عزّ وجلّ ناداه مناد من لدن العرش: يا آدم اخرج من جواري فإنّه لا يجاورني أحد عصاني، فبكى وبكت الملائكة، فبعث الله عزّ وجلّ إليه جبرئيل فأهبطه إلى الأرض مسودّاً، فلمّا رأته الملائكة ضجّت وبكت وانتحبت وقالت: يا ربّ خلقاً خلقته، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك، بذنب واحد حوّلت بياضه سواداً؟!.

فنادى منّاد من السمّاءِ: صم لربّك اليوم فصام فوافق يوم الثّالث عشر من الشهر فذهب ثلث السّواد، ثمّ نودي يوم الرّابع عشر: أن صم لربّك اليوم فصام فذهب ثلث السّواد، ثمّ نودي في يوم خمسة عشر بالصّيام فصام وقد ذهب السّواد كلّه، فسمّيت أيّام البيض للّذي ردّ الله عزّ وجلّ فيه على آدم من بياضه، ثمّ نادى منّاد من السّماء: يا آدم هذه الثلاثة أيّام جعلتها لك ولولدك، من صامها في كلّ شهر فإنّما صام الدّهر.

قال جميل: قال أحمد بن عبد الواحد: وسمعت أحمد بن شيبان البرمكيّ يقول: وزاد الحميديُّ في الحديث: فجلس آدم عليه السلام جلسة القرفصاء ورأسه بين ركبتيه كئيباً حزيناً فبعث تبارك وتعالى جبرئيل فقال: يا آدم مالي أراك كئيباً حزيناً؟

فقال: لا أزال كئيباً حزيناً حتّى يأتي أمر الله.

فقال: إنّي رسول الله اليك وهو يقرؤك السلام ويقول: يا آدم حيّاك الله وبيّاك.

قال: أمّا حيّاك الله فأعرفه، فما بيّاك؟

قال: أضحكك.

(١) علل الشرائع: ص ١٣٩-١٤٠، البحار: ج ١١/ ص ١٦٧-١٦٩، باب ٣/ح ١٥.

قال: فسجد آدم فرفع رأسه إلى السّماءِ وقال: يا ربّ زدني جمالاً، فأصبح وله لحيةٌ سوداء كالحمم فضرب بيده إليها.

فقال: يا ربّ ما هذه؟

فقال: هذه اللّحية زيّنتك بها أنت وذكور ولدك إلى يوم القيامه(١).

عن ابن سيّابة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ينظر إلى حوّاء ولقد بكى على الجنّة حتّى صار على خدّيه مثل النّهرين العجّاجين العظيمين من الدّموع، ثمّ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: حيّاك الله وبيّاك فلمّا أن قال له: حيّاك الله تبلّج وجهه فرحاً وعلم أنّ الله قد رضي عنه، قال: وبيّاك فضحك - وبيّاك: أضحكك - قال: ولقد قام على باب الكعبة ثيابه جلود الإبل والبقر فقال: «اللّهم أقلني عثرتي، واغفرلي ذنبي، وأعدني إلى الدّار الّتي أخرجتني منها».

فقال الله عزّ وجلّ: قد أقلتك عثرتك، وغفرت لك ذنبك، وسأُعيدك إلى الدّار الّتي أخرجتك منها(٢).

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات الّتي تلقّى آدم من ربّه فتاب عليه قال: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ فتاب عليه(٣).

عن المفضّل، عن الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟

قال: هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه وهو أنّه قال: «يا رب أسألك بحق محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ» فتاب الله عليه إنّه هو التوّاب الرّحيم، فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عزّ وجلّ بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾(٤)؟

---

(١) علل الشرائع: ص ١٣٣. البحار: ج ١١/ ص ١٧١-١٧٢، باب ٣/ح ١٨.
(٢) معاني الأخبار: ص ٧٨، البحار: ج ١١/ ١٧٥-١٧٦، باب ٣/ح ٢١.
(٣) معاني الأخبار: ص ٤٢، الخصال: ج ١/ ص ١٤٦، البحار: ج ١١/ ص ١٧٦، باب ٣/ح ٢٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

قال: يعني أتمّهنّ إلى القائم عليه السلام اثنا عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام الخبر[١].

قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾: استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علّمها، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على أنّها استقبلته وبلّغته، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[٢] الآية، وقيل: «سبحانك اللّهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، لا إله إلاّ أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت».

وعن ابن عبّاس قال: يا ربّ ألم تخلقني بيدك؟

قال: بلى.

قال: يا ربّ ألم تنفخ فيَّ الروح من روحك؟

قال: بلى.

قال: ألم تسكنّي جنتك؟

قال: بلى.

قال: يا ربّ إنّ تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنّة؟

قال: نعم، انتهى[٣].

عن أبان بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام بقي على الصّفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة وعلى خروجه من جوار الله عزّ وجلّ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم مالك تبكي؟

قال: يا جبرئيل مالي لا أبكي وقد أخرجني الله من جواره وأهبطني إلى الدّنيا.

قال: يا آدم تب إليه.

قال: وكيف أتوب؟ فأنزل الله عليه قبّةً من نور في موضع البيت فسطع نورها في جبال مكّة فهو الحرم، فأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام.

---

(١) معاني الأخبار: ص ٤٢، البحار: ج ١١/ ص ١٧٧، باب ٣/ح ٢٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٣) أنوار التنزيل: ج ١/ ص ٢١، البحار: ج ١١/ ص ١٧٧، باب ٣/ح ٢٤.

قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية، وأمره أن يغتسل ويحرم وأُخرج من الجنّة أوَّل يوم من ذي القعدة، فلمّا كان يوم الثّامن من ذي الحجّة أخرجه جبرئيل عليه السلام إلى منى فبات بها، فلمّا أصبح أخرجه إلى عرفات وقد كان علّمه حين أخرجه من مكّة الإحرام وأمره بالتّلبية، فلمّا زالت الشّمس يوم العرفة قطع التّلبية وأمره يغتسل، فلمّا صلّى العصر وقّفه بعرفات وعلّمه الكلمات الّتي تلقّى بها ربّه وهو «سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرّحيم سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت خير الغافرين سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت التّوّاب الرّحيم».

فبقي إلى أنّ غابت الشّمس رافعاً يديه إلى السماء يتضرّع ويبكي إلى الله، فلمّا غابت الشّمس ردّه إلى المشعر فبات بها، فلمّا أصبح قام على المشعر الحرام فدعا الله تعالى بكلمات[1] وتاب عليه، ثمّ أفضى إلى منى، وأمره جبرئيل عليه السلام أن يحلق الشعر الّذي عليه فحلقه ثمَّ ردّه إلى مكّة فأتى به عند الجمرة الأُولى فعرض إبليس له عندها فقال: يا آدم أين تريد؟

فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات وأن يكبّر مع كلّ حصاة تكبيرةً ففعل، ثمّ ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية فأمره أنّ يرميه بسبع حصيات فرمى وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرةً، ثمّ مضى به فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة وأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة فذهب إبليس وقال له جبرئيل عليه السلام: إنّك لن تراه بعد هذا أبداً، فانطلق به إلى البيت الحرام وأمره أنّ يطوف به سبع مرّات ففعل، فقال له: إنّ الله قد قبل توبتك وحلّت لك زوجتك.

فقال: فلمّا قضى آدم حجّه لقيته الملائكة بالأبطح.

---

(١) الظاهر من تنكير «كلمات» أنها غير ما تقدم من قوله: سبحانك اللهم إ هـ. ولعلها ما تقدم في أخبار أخرى من قوله: اللهم إني أسألك بحق محمد إ هـ. ففي الحديث دلالة لما ذكره المصنف قبل ذلك.

فقالوا: يا آدم برّ حجّك أما إنّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عام[١].

عن العلاء، عن محمّد، عن الباقر عليه السلام قال: إنّ آدم لمّا بنى الكعبة وطاف بها فقال: «اللّهمّ إنّ لكلّ عامل أجراً، اللّهمّ وإنّي قد عملت».

فقيل له: سل يا آدم.

فقال: «اللّهمّ اغفر لي ذنبي».

فقيل له: قد غفر لك يا آدم، فقال: «ولذريتي من بعدي» فقيل له: يا آدم من باء منهم بذنبه ههنا كما بؤت غفرت له[٢].

إنّ آدم عليه السلام لمّا كثر ولده وولد ولده كانوا يتحدّثون عنده وهو ساكت، فقالوا: يا أبه ما لك لا تتكلّم؟ فقال: يا بنيّ إنّ الله جلّ جلاله لمّا أخرجني من جواره عهد إليّ وقال: أقلّ كلامك ترجع إلى جواري[٣].

عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: الكلمات الّتي تلقّاهنّ آدم من ربّه فتاب عليه وهدى قال: «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إنّي عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك الغفور الرّحيم اللّهمّ إنّه لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك إنّي عملت سوءاً وظلمت نفسي واغفر لي إنّك أنت خير الغافرين اللّهمّ إنّه لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك إنّي عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرّحيم»[٤].

عن عبد الرّحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى عرض على آدم في الميثاق ذرّيّته، فمرّ به النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو متّكئ على عليّ عليه السلام، وفاطمة صلوات الله عليهما تتلوهما، والحسن والحسين عليهما السلام يتلوان فاطمة، فقال الله: يا آدم إيّاك أن تنظر إليه بحسد أُهبطك من جواري، فلمّا أسكنه الله الجنّة مثّل له النّبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فنظر إليهم

---

(١) تفسير القمي: ص ٣٧-٣٨، البحار: ج ١١/ص ١٧٨-١٧٩، باب ٣/ح ٢٥.
(٢) البحار: ج ١١/ص ١٧٩، باب ٣/ح ٢٨، قصص الأنبياء للراوندي.
(٣) البحار: ج ١١، ص ١٨٠، باب ٣/ح ٣١، قصص الأنبياء للراوندي.
(٤) تفسير العياشي، ج ١/ص ٥٩/ح ٢٥، البحار: ج ١١/ص ١٨٦، باب ٣/ح ٣٧.

بحسد ثمّ عرضت عليه الولاية فأنكرها فرمته الجنّة بأوراقها، فلمّا تاب إلى الله من حسده وأقرّ بالولاية ودعا بحقّ الخمسة: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم غفر الله له، وذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الآية[١].

عن موسى بن محمّد بن عليّ، عن أخيه أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: الشّجرة الّتي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد، ولم يجد الله له عزماً[٢].

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام رفعه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ موسى سأل ربّه أن يجمع بينه وبين أبيه آدم حيث عرج إلى السّماء في أمر الصّلاة ففعل.

فقال له موسى: يا آدم أنت الّذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأباح لك جنّته، وأسكنك جواره، وكلّمك قُبُلاً، ثمّ نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها حتّى أُهبطت إلى الأرض بسببها فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتّى أغراك إبليس فأطعته، فأنت الّذي أخرجتنا من الجنّة بمعصيتك.

فقال له آدم: ارفق بأبيك أي بنيّ فيما لقي في أمر هذه الشّجرة، يا بنيّ إنّ عدوّي أتاني من وجه المكر والخديعة فحلف لي بالله إنّه في مشورته عليّ إنّه لمن النّاصحين، وذلك إنّه قال لي منتصحاً: إنّي لشأنك يا آدم لمغمومٌ.

قلت: وكيف؟

قال: قد كنت آنست بك وبقربك منّي، وأنت تخرج ممّا أنت فيه إلى ما ستكرهه.

فقلت له: وما الحيلة؟

فقال: إنّ الحيلة هوذا هو معك، أفلا أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلي؟ فكلا منها أنت وزوجك فتصيرا معي في الجنّة أبداً من الخالدين، وحلف لي بالله كاذباً إنّه لمن النّاصحين، ولم أظنّ يا موسى أنّ أحداً يحلف بالله كاذباً فوثقت

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥٩/ح ٢٧. البحار: ج ١١/ص ١٨٧، باب ٣/ح ٣٩.
(٢) البحار: ج ١١/ص ١٨٧، باب ٣/ح ٤٢، نقلاً عن تفسير العياشي.

بيمينه، فهذا عذري، فأخبرني يا بنيّ هل تجد فيما أنزل الله إليك أنَّ خطيئتي كائنة من قبل أن أُخلق؟ قال له موسى: بدهر طويل.

قال رسول الله ﷺ: فحجّ آدم موسى، قال ذلك ثلاثاً[(١)].

عن عبدالله بن سنان قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام وأنا حاضر: كم لبث آدم وزوجه في الجنّة حتّى أخرجهما منها خطيئتهما؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشّمس من يوم الجمعة، ثمّ برأ زوجته من أسفل أضلاعه، ثمّ أسجد له ملائكته وأسكنه جنّته من يوم ذلك، فوالله ما استقرّ فيها إلاّ ستّ ساعات في يومه ذلك حتّى عصى الله فأخرجهما الله منها بعد غروب الشّمس، وما باتا فيها وصيّرا بفناء الجنّة حتّى أصبحا فبدت لهما سوآتهما وناداهما ربّهما ألم أنهكما عن تلكم الشّجرة؟ فاستحيى آدم من ربّه وخضع، وقال: ربّنا ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا.

قال الله لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض فإنّه لا يجاورني جنّتي عاص ولا في سماواتي، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ آدم لمّا أكل من الشّجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحّى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرّته إليها وقالت له: أفلا كان فرار من قبل أن تأكل منّي[(٢)]؟

عن أبي إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أصاب آدم وزوجته الحنطة أخرجهما من الجنّة وأهبطهما إلى الأرض فأهبط آدم على الصفا وأهبطت حوّاء على المروة، وإنّما سمّي صفا لأنّه شقّ له من اسم آدم المصطفى، وذلك لقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾[(٣)] وسمّيت المروة مروة لأنّه شقّ لها من اسم المرأة.

فقال آدم: ما فرّق بيني وبينها إلاّ لأنّها لا تحلّ لي، ولو كانت تحلّ لي هبطت معي على الصّفا، ولكنّها حرمت عليّ من أجل ذلك وفرّق بيني وبينها، فمكث آدم معتزلاً حوّاء فكان يأتيها نهاراً فيتحدّث عندها على المروة، فإذا كان اللّيل وخاف

(١) البحار: ج ١١/ص ١٨٨، باب ٣/ح ٤٤. نقلاً عن تفسير العياشي.
(٢) البحار: ج ١١/ص ١٨٨-١٨٩، باب ٣/ح ٤٥. نقلاً عن تفسير العياشي.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

أنّ تغلبه نفسه يرجع إلى الصّفا فيبيت عليه، ولم يكن لآدم أنس غيرها، ولذلك سمّين النساء من أجل أنّ حوّاء كانت أنساً لآدم، لا يكلّمه الله ولا يرسل إليه رسولاً، ثمّ إنَّ الله عزّ وجلّ منّ عليه بالتوبة وتلقّاه بكلمات، فلمّا تكلّم بها تاب الله عليه وبعث إليه جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا آدم التائب من خطيئته، الصابر لبليّته إنّ الله عزّ وجلّ أرسلني إليك لأُعلّمك المناسك الّتي تطهر بها، فأخذ بيده فانطلق به إلى مكان البيت، وأنزل الله عليه غمامة فأظلّت مكان البيت، وكانت الغمامة بحيال البيت المعمور.

فقال: يا آدم خطَّ برجلك حيث أظلّت عليك هذه الغمامة، فإنّه سيخرج لك بيتاً من مهاة[١] يكون قبلتك وقبلة عقبك من بعدك، ففعل آدم عليه السلام وأخرج الله له تحت الغمامة بيتاً من مهاة، وأنزل الله الحجر الأسود فكان أشدّ بياضاً من اللّبن، وأضوأ من الشمس وإنّما اسودَّ لأنّ المشركين تمسّحوا به، فمن نجس المشركين اسودّ الحجر، وأمره جبرئيل عليه السلام أن يستغفر الله من ذنبه عند جميع المشاعر ويخبره أنّ الله عزّ وجلّ قد غفر له، وأمره أن يحمل حصيات الجمار من المزدلفة، فلمّا بلغ موضع الجمار تعرّض له ابليس فقال له: يا آدم أين تريد؟

فقال له جبرئيل: لا تكلّمه وارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة، ففعل آدم حتّى فرغ من رمي الجمار، وأمره أن يقرّب القربان هو الهدي قبل رمي الجمار، وأمره أن يحلق رأسه تواضعاً لله عزّ وجلّ ففعل آدم ذلك، ثمّ أمره بزيارة البيت وأن يطوف به سبعاً، و (أن خ ل) يسعى بين الصفا والمروة أُسبوعاً يبدءُ بالصفا ويختم بالمروة، ثمَّ يطوف بعد ذلك أُسبوعاً بالبيت وهو طواف النساء لا يحلّ لمحرم أن يباضع حتّى يطوف طواف النساء، ففعل آدم.

فقال له جبرئيل: إنّ الله عزّ وجلّ قد غفر ذنبك، وقبل توبتك، وأحلّ لك زوجتك، فانطلق آدم وقد غفر له ذنبه، وقبلت منه توبته وحلّت له زوجته[٢].

---

(١) قال الطريحي في المجمع: في الحديث: «موضع البيت مهاة بيضاء» يعني درة بيضاء؛ وفي القاموس: المهاة المهاة بالفتح: البلورة وتجمع على مهيات ومهوات، ومنه حديث آدم: ونزل جبرئيل بمهاة من الجنة وحلق رأسه بها.

(٢) فروع الكافي: ج ١/ص ٢١٦-٢١٧. البحار: ج ١١/ص ١٩٤-١٩٥، باب ٣/ح ٤٨.

روى السيّد في كتاب سعد السعود أنّه رأى في صحف إدريس عليه السلام: أمر الله الملائكة فحملت آدم وزوجته حوّاء على كرسيّ من نور وأدخلوهما الجنّة فوضعا في وسط الفردوس من ناحية المشرق[1]. ثمَّ ذكر حديث إقامة آدم عليه السلام خمس ساعات من نهار ذلك اليوم في الجنّة وأكله من الشجرة.

وذكر حديث إخراجه من الجنّة وهبوط آدم بأرض الهند على جبل اسمه باسم[2] على واد اسمه نهيل بين الدّهنج والمندل بلدي الهند، وهبطت حوّاء بجدة، ومعاينة الله جلّ جلاله لهما، ثمّ قال الله لهما: قد بتّما ليلتكما هذه لا يعرف أحدكما مكان صاحبه وأنتما بعيني وحفظي، أنا جامع بينكما في عافية، وإنّ أفضل أوقات العباد الوقت الّذي أدخلتك وزوجتك الجنّة عند زوال الشمس، فسبّحتما فيما فكتبتها صلاة وسمّيتها لذلك الأُولى، وكانت في أفضل الأيّام يوم الجمعة ثمَّ أهبطتكما إلى الأرض وقت العصر فسبّحتماني فيها فكتبتها لكما أيضاً صلاة وسمّيتها لذلك بصلاة العصر، ثمّ غابت الشمس فصلّيت لي فيها فسمّيتها صلاة المغرب، ثمّ جلست لي حين غاب الشفق فسمّيتها صلاة العشاء، وقد فرضت عليك وعلى نسلك في كلّ يوم وليلة خمسين ركعة فيها مائة سجدة، فصلّها يا آدم أكتب لك ولمن صلاّها من نسلك ألفين وخمسمائة صلاة، وهذا شهر نيسان المبارك فصمه لي، فصام آدم ثلاثة أيّام من شهر نيسان.

وذكر حديث فطوره وحديث حجّ آدم عليه السلام إلى الكعبة وما أمره الله به من بناء الكعبة، وسؤال الملائكة أنّ يشركها معه، وأنّه قال: الأمر إلى الله، فشركها الله جلّ جلاله معه، ثمّ قال: ونادت الجبال يا آدم اجعل لنا في بناء قواعد بيت الله نصيباً.

فقال: مالي فيه من أمر، الأمر إلى ربّ البيت يشرك فيه من أحبّ، فأذن الله

---

(١) هذا أيضاً مما تدل على أن الجنة التي أخرج منها آدم هي جنة الخلد.

(٢) في نسخة: بابم، وفي المصدر: وهبوط آدم بأرض الهند على جبل اسمه نهيل بين الذبيح والمندل في بلدي الهند. ولم نجد في المعاجم غير المندل، قال ياقوت في معجم البلدان: مندل بالفتح بلد بالهند منه يجلب العود الفائق الذي يقال له المندلى، وتقدم في حديث أنه هبط على جبل في سرنديب يقال له: نوز.

للجبال بذلك فابتدر كلّ جبل منها بحجارة منه، وكان أوّل جبل شقّ بحجارة منه أبو قبيس لقربه منه، ثمّ حراء ثمّ ثور ثمّ ثبير ثمّ ورقان ثمّ حمون ثمّ صبرار ثمّ أُحد ثمّ طور سيناء ثمّ طور دينا ثمّ لبنان ثمّ جوديّ، وأمر الله آدم أنّ يأخذ من كلّ جبل حجراً فيضعه في الأساس ففعل.

ثمّ ذكر شرح حجّ آدم عليه السلام واجتماعه بحوّاء وقبول توبتهما وحديث هابيل وقابيل وأولاد آدم وأولادهم مائة وعشرين بطناً في سبعمائة سنّة من عمره، وحديث وصيّته إلى شيث بعد قتل هابيل[١].

تذنيب: اعلم أنّ أعظم شبه المخطّئة للأنبياءِ عليهم السلام الّتي تمسّكوا بها قصّة آدم عليه السلام، واستدلّوا بما ورد فيها بوجوه:

الاول: أنّه كان عاصياً لقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[٢] والعاصي لا بدّ أنّ يكون صاحب كبيرة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[٣] ولأنّ العاصي اسم ذمّ فوجب أن لا يتناول إلاّ صاحب الكبيرة.

وأجاب عنه السيّد علم الهدى رضي الله عنه[٤] بأنّ المعصية مخالفة الأمر، والأمر من الحكيم تعالى يكون بالواجب وبالندب، وليس يمتنع أن يسمّى تارك النّفل عاصياً كما يسمّى بذلك تارك الواجب، ولهذا يقولون: أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وإن لم يكن ما أمر به واجباً. واعترض عليه بأنه مجازٌ والأصل في الإطلاق الحقيقة. وأُجيب بمنع كونه مجازاً فيه؛ والأظهر أن يقال: على تقدير تسليم كونه مجازاً لا بدّ من أن يصار إليه عند معارضة الأدلّة القطعيّة، بل قد يرتكب المجاز عند معارضة دليل ظنّيّ أيضاً.

وأجاب المجوّزون للذّنب عليهم عليهم السلام قبل النبوّة بأنّ آدم عليه السلام لم يكن نبيّاً حين صدرت المعصية عنه ثمّ بعد ذلك صار نبيّاً ولا محذور فيه.

---

(١) سعد السعود: ج ١/ص ٣٦-٣٧، البحار: ج ١١/ص ١٩٦-١٩٧، باب ٣/ح ٥٢.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٣) سورة الجن، الآية: ٢٣.
(٤) راجع تنزيه الأنبياء: ص ٩-١٤.

وأجيب أيضاً بأنّ المعصية كانت عن آدم عليه السلام في الجنّة لا في الأرض الّتي هي دار التكليف فلا يلزم صدور المعصية عنهم عليهم السلام قبل النبوّة ولا بعدها في دار التكليف، وقد عرفت ممّا أوردنا في باب العصمة ضعفهما وعدم استقامتهما على أُصول الإماميّة، مع أنّ الأخير لا ينطبق على شيء من المذاهب، وقد ذكرنا ههنا تأويل الخبرين اللّذين يوهمانهما؛ وأُجيب أيضاً بأنّ معصيته كانت من الصغائر المكفّرة دون الكبائر، وهو جواب أكثر المعتزلة وقد عرفت ضعفه.

وأُجيب أيضاً بأنّه لمّا نهي عن الأكل من الشجرة ظنّ أنّ النهي عن عين الشجرة لا عن نوعها، وكان الله سبحانه أراد نهيه عن نوعها، ولكنّه لم يقل لهما: لا تقربا هذه الشجرة ولا ما كان من جنسها، واللّفظة قد يراد بها النوع كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أشار إلى حرير وذهب وقال: «هذان حرامان على رجال أمتي» وكان ظنّه ذلك لأنّ إبليس حلف لهما بالله كاذباً إنّه لهما الناصحين، ولم يكن شاهد قبل ذلك من يحلف بالله كذلك، فأكل من شجرة أُخرى من نوعها، وكان ذلك من قبيل الخطاء في الاجتهاد، وليس من كبائر الذنوب الّتي يستحقّ بها دخول النار.

واعترض عليه بوجوه:

أوّلها: أنّ اسم الإشارة موضوعٌ للأشخاص، والإشارة به إلى النّوع مجازٌ، فإذا حمل آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام اللّفظ على حقيقته فأيّ خطاء يلحقه؟ ولماذا أُخرج من الجنّة؟

وأُجيب عنه بأنّ اللّفظ وإن كان موضوعاً للشخص إلاّ أنّه كان قد قرنه بما يدلّ على أنّ المراد به النّوع.

وثانيها: أنّه سبحانه لو كلّفه على الوجه المذكور من دون قرينة تدلّ على المراد لزم تكليف ما لا يطاق، ومع القرينة يلزمه الإخلال بالنّظر والتّقصير في المعرفة ويلزمه الخطاء قصداً، فلم يفد هذا الجواب إلاّ تغيير الخطيئة، وكون الخطيئة على تقدير صغيرة أو ارتكاباً لخلاف الأولى وعلى غيره كبيرة تعسّف.

وأُجيب بأنّه عليه السلام لعلّه عرف القرينة في وقت الخطاب ثمّ غفل عنها ونسي

لطول المدّة أو غيره كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾[(١)] وهذا مبنيّ على سهوهم وهو منفيٌّ عنهم، وقد وردت الأخبار بأنّ المراد بالنّسيان الترك.

وثالثها: أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الاجتهاد والعمل بالظّنّ لتمكّنهم من العلم، والعمل بالظّنّ مع التّمكّن من تحصيل العلم غير جائز عقلاً وشرعاً.

ويمكن الجواب بأنّا لا نسلّم أنّ آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام كان وقت الخطاب نبيّاً كما يدلّ عليه الرّواية فلا محذور في عمله بالظّنّ حينئذ، فإنّ تمكّنه من العلم واليقين ممنوعٌ، وفيه إشكال؟.

الوجه الثاني: أنّه تعالى سمّاه غاوياً بقوله: ﴿فَغَوَىٰ﴾ والغيّ خلاف الرّشد لقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[(٢)] والغاوي يكون صاحب كبيرة خصوصاً إذا وقع تأكيداً للعاصي.

وأجاب السيد رحمه الله بأنّ معنى ﴿فَغَوَىٰ﴾ أنّه خاب، لأنّا نعلم أنّه لو فعل ما ندب إليه من ترك التّناول من الشجرة لا ستحقّ الثّواب العظيم، فإذا خالف الأمر ولم يصر إلى ما ندب إليه فقد خاب لا محالة من حيث لم يصر إلى الثّواب الّذي كان يستحقّ بالامتناع ولا شبهة في أنّ لفظ ﴿فَغَوَىٰ﴾ يحتمل الخيبة؛ قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد النّاس أمره ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائماً.

انتهى. وقال الجوهريّ: الغيّ: الضّلال والخيبة. وقال: خاب الرّجل يخيب خيبة: إذا لم ينل ما طلب، وفي المثل: الهيبة خيبة.

وقال الجزري: في حديث موسى وآدم على نبيّنا وآله وعليهما السلام: (لأغويت النّاس) أي خيّبتهم. يقال: غوى الرّجل: إذا خاب وأغواه غيره، وحينئذ لا يكون قوله تعالى: ﴿فَغَوَىٰ﴾ تأكيداً للعصيان، بل يكون المعنى: ترك ما أُمر به ندباً فحرم من الثّواب الّذي كان يستحقّه لو فعله.

ويمكن أن يجاب على تقدير كون الغواية بمعنى الضّلال وضدّ الرّشاد بأنّ

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

الرّشد هو التوصّل بشيء إلى شيء، وسلوك طريقة موصلة إلى المطلوب، فمن ارتكاب ما يبعده عن مطلوبه كان ضالاً غاوياً، ولو كان بمخالفة أمر ندبيّ أو ارتكاب نهي تنزيهيّ، ولذا يقال لكلّ من بعد عن الطّريق: إنّه ضلّ، ولو سلّم أنَّ الغواية لا يستعمل حقيقة إلاّ فيما زعمه المستدلّ نقول: لا بدّ من حمله في الآية على ما ذكرناه ولو على سبيل المجاز لدلائل العصمة. وأُجيب أيضاً بأنّ ﴿فَغَوَىٰ﴾ ههنا بمعنى بشم[1] من كثرة الأكل أي اتّخم.

وقال السيّد رحمه الله في جواب المسائل الّتي وردت عليه من الري: فإن قالوا: ما المانع من أن يريد ﴿وَعَصَىٰ﴾ أي لم يفعل الواجب من الكّف عن الشّجرة والواجب يستحقّ بالإخلال به حرمان الثّواب كالفعل المندوب إليه فكيف رجّحتم ما ذهبتم إليه على ما ذهبنا نحن؟

قلنا: الترجيح لقولنا ظاهر، إذا الظاهر من قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ﴾ ﴿فَغَوَىٰ﴾ أنّ الّذي دخلته الفاء جزاء على المعصية، وأنّه كلّ الجزاء المستحقّ بالمعصية، لأنّ الظّاهر من قول القائل: سرق فقطع، وقذف فجلد ثمانين أنَّ ذلك جميع الجزاء لا بعضه، وكذلك إذا قال القائل: من دخل داري فله درهم حملناه على أنّ الدّرهم جميع جزائه، ولا يستحقّ بالدّخول سواه، ومن لم يفعل الواجب استحقّ الذّمّ والعقاب وحرمان الثّواب، ومن لم يفعل المندوب إليه فهو غير مستحقّ لشيء كان تركه للندب سبباً فيه إلاّ حرمان الثواب فقط، وبيّنّا أنّ من لم يفعل الواجب ليس كذلك، وإذا كان الظّاهر يقتضي أنَّ ما دخلته الفاء جميع الجزاء على ذلك السبب لم يلق إلاّ بما قلناه دون ما ذهبوا إليه وهذا واضح لمن تدبّره.

الوجه الثالث: أنّه عليه السلام تاب والتّائب مذنب، أمّا أنّه تائب فلقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[2] وأمّا أنّ التّائب مذنبٌ فلأنّ التائب هو النّادم على فعل الذّنب، والنّادم على فعل الذنب مخبرٌ عن كونه فاعلاً للذّنب، فإنّ كذب في ذلك الإخبار فهو مذنبٌ بالكذب، وإن صدق فيه فهو المطلوب.

---

(١) قال الفيروزآبادي في القاموس: غوى الفصيل كرضى ورمى: بشم من اللبن أو منع الرضاع فهزل فكاد يهلك.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

وأجاب عنه السّيّد ﷺ: بأنّ التّوبة عندنا وعلى أُصولها غير موجبة لإسقاط العقاب، وإنّما يسقط الله تعالى العقاب عندنا تفضّلاً، والّذي توجبه التّوبة هو استحقاق الثّوب، فقبولها على هذا الوجه هو ضمان الثّواب عليها، فمعنى قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أنّه ضمن ثوابها، ولا بدّ لمن ذهب إلى أنّ معصية آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام صغيرةٌ من هذه الوجه، لأنّه إذا قيل له: كيف تقبل توبته ويغفر له ومعصيته في الأصل وقعت مكفّرة لا يستحقّ عليها شيئاً من العقاب؟ لم يكن له بدّ من الرّجوع إلى ما ذكرناه، والتّوبة قد يحسن أن يقع ممّن لم يعهد من نفسه قبيحاً على سبيل الانقطاع إلى الله والرّجوع إليه ويكون وجه حسنها في هذا الموضع استحقاق الثّواب بها أو كونها لطفاً، كما يحسن أن يقع ممّن يقطع على أنّه غير مستحقّ للعقاب، وأنّ التّوبة لا تؤثّر في إسقاط شيء يستحقّه من العقاب، ولهذا جوّزوا التّوبة من الصّغائر وإن لم تكن مؤثّرة في إسقاط ذمّ ولا عقاب انتهى.

ويدلّ على أنّ التّوبة لا توجب إسقاط العقاب كثيرٌ من عبارات الأدعية المأثورة، ثمّ إنّا لو سلّمنا أنّ التّوبة ممّا يوجب إسقاط العقاب نحمل التّوبة ههنا على المجاز لما عرفت سابقاً.

الوجه الرابع: أنّه تعالى سمّاه ظالماً بقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهو سمّى نفسه ظالماً في وقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ والظّالم ملعون لقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] ومن استحقّ اللّعن فهو صاحب الكبيرة.

وأجاب السّيّد ﷺ: بأنّ معنى قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[2] أنّا نقصنا أنفسنا وبخسناها ما كنّا نستحقّه من الثّواب فعل ما أُريد منّا، وحرمنا تلك الفائدة الجليلة من التّعظيم، وذلك الثّواب وإن لم يكن مستحقّاً قبل أنّ يفعل الطّاعة الّتي يستحقّ بها فهو في حكم المستحقّ، فيجوز أنّ يوصف من فوّته نفسه بأنّه ظالم لها، كما يوصف بذلك من فوّت نفسه المنافع المستحقّة، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ انتهى.

---

(١) سورة هود، الآية: ١٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٣.

والظلم في الأصل: وضع الشيءِ غير موضعه، قال الجوهريّ: ويقال: من أشبه أباه فما ظلم.

وقيل: أصل الظّلم انتقاص الحقّ، قال الله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾(١) أي لم تنقص.

وقال الجزريّ: في حديث ابن زمل: (لزموا الطّريق فلم يظلموه) أي لم يعدلوا عنه، يقال: أخذ في طريق فما ظلم يميناً وشمالاً، فظهر أنّ الوصف بالظلم لا يستلزم ما ادّعاه المستدلّ، إذ لا شكّ في أنّ مخالفة أمره سبحانه وضع للشيء في غير موضعه، وموجب لنقص الثّواب، وعدول عن الطّريق المؤدّي إلى المراد؛ وأمّا ما استدلّ به على أنّ الظّالم ملعونٌ فباطلٌ، إذ وقع هذا في موضعين من القرآن: أحدهما في الأعراف ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾(٢) وثانيهما في هود، وفيها كما ذكر إلاّ أنّ آخر الآية فيها هكذا: ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾(٣) وعلى أي حال لا يدلّ على لعن مطلق الظّالمين، بل لا يدلّ على لعن صاحب الكبيرة أيضاً من المسلمين، على أنّ اللّعن أيضاً لا يدلّ على كون الفعل كبيرةً لورود الأخبار بلعن صاحب الصّغيرة، بل من ارتكب النّهي التّنزيهيّ أيضاً، إذ اللّعن الطّرد والإبعاد عن الرحمة، والبعد عنها يحصل بترك المندوب وفعل المروه أيضاً، لكن لمّا غلب استعماله في المشركين والكفّار لا يجوز استعماله في صلحاءِ المؤمنين قطعاً، وفي فسّاقهم إشكال، والأولى التّرك.

الوجه الخامس: أنّه ارتكب المنهيّ عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾(٤) وارتكاب المنهيّ عنه كبيرة.

والجواب: أنّ النّهي كما يكون للتّحريم يكون للتّنزيه، ولو ثبت أنّه حقيقة في التّحريم حملناه على المجاز لدلائل العصمة، على أنّ شيوع استعماله في التّنزيه يمنع من حمله على المعنى الحقيقيّ بلا قرينة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨-١٩.
(٣) سورة هود، الآية: ١٨.
(٤) سورة الأعراف، الآيات ١٩ و٢١.

وأمّا ما ادّعاه من كون ارتكاب المنهيّ عنه كبيرةً مطلقاً فلا يخفى فساده.

الوجه السادس: أنّه أُخرج من الجنّة بسبب وسوسة الشيطان وإزلاله جزاءً على ما أقدم عليه، وذلك يدلّ على كونه فاعلاً للكبيرة.

وأُجيب بأنّ ما ذكر إنّما يكون عقوبةً إذا كان على سبيل الاستخفاف والإهانة، ولعلّه كان على وجه المصلحة بأن يكون الله تعالى علم أنّ المصلحة تقتضي تبقية آدم في الجنّة ما لم يتناول من الشّجرة، فإذا تناول منها تغيّرت المصلحة وصار إخراجه عنها وتكليفه في دار غيرها هو المصلحة، وكذا القول في سلب اللّباس.

الوجه السابع: أنّه لولا مغفرة الله إيّاه لكان من الخاسرين لقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[(١)] وذلك يقتضي كونه صاحب كبيرة.

والجواب: أنّ الخسران ضدّ الرّبح، ولا شكّ أنّ من نقص ثوابه فقد خسر، فالخسران الّذي كان يستعيذ منه هو نقص الثّواب على تقدير عدم قبول التّوبة.

وإنّما بسطنا الكلام في هذا المقام ونسينا ما عهدنا من العزم على الإختصار التّامّ لأنّ شبهات المخالفين في هذا الباب قد تعلّقت بقلوب الخاصّ والعامّ، وعمدة ما تمسّكوا به هو خطيئة آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، وأيضاً ما ذكرنا ههنا أكثره يجري فيما نسبوا إلى سائر الأنبياء لهم التّحيّة والإكرام وعلى نبيّنا وآله وعليهم صلوات الله الملك العلام[(٢)].



كيفية نزول آدم عليه السلام من الجنّة وحزنه على فراقها وما جرى بينه وبين ابليس لعنه الله

عن عليّ بن عقبة، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رنّ إبليس أربع رنّات:

١ - أوّلهنّ يوم لعن.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) البحار: ج ١١/ ص ١٩٨-٢٠٣، باب ٣.

٢ - وحين أُهبط إلى الأرض.

٣ - وحين بعث محمّد ﷺ على حين فترة من الرسّل.

٤ - وحين أُنزلت أُمّ الكتاب، ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشّجرة، وحين أُهبط من الجنّة[١].

عن محمّد بن سهل البحرانيّ يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: البكّاؤون خمسة: آدم: ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد، وعليّ بن الحسين عليهم السلام.

فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية. الخبر[٢].

عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أهبط الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام من الجنّة أُهبط معه عشرون ومائة قضيب، منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها، وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى بخارجها، وأربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها، وغرارة فيها بذر كلّ شيء[٣].

عن ابن أبي الخطّاب، عن البزنطيّ عن الرّضا عليه السلام قال: قلت: كيف كان أوّل الطيب؟

فقال لي: ما يقول من قبلكم فيه؟

قلت: يقولون: إنّ آدم لمّا هبط بأرض الهند فبكى على الجنّة سالت دموعه فصارت عروقاً في الأرض فصارت طيباً، فقال عليه السلام ليس كما يقولون، ولكن حوّاء كانت تغلّف قرونها من أطراف شجرة الجنّة، فلمّا هبطت إلى الأرض وبليت بالمعصية رأت الحيض فأُمرت بالغسل فنقضت قرونها، فبعث الله عزّ وجلّ ريحاً طارت به وخفضته فذرت حيث شاء الله عزّ وجلّ، فمن ذلك الطيب[٤].

عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمّي الصّفا صفا

---

(١) الخصال: ج ١/ص ١٢٦، البحار: ج ١١/ص ٢٠٤، باب ٤/ح ١.

(٢) البحار: ج ١١/ص ٢٠٤، باب ٤/ح ٢. لم نجد الرواية في علل الشرائع.

(٣) البحار: ج ١١/ص ٢٠٤، باب ٤/ح ٤. نقلاً عن علل الشرائع.

(٤) علل الشرائع: ص ١٦٧-١٦٨، عيون الأخبار: ص ١٥٩؛ البحار: ج ١١/ص ٢٠٥، باب ٤/ح ٥.

لأنّ المصطفى آدم هبط عليه، فقطع للجبل اسم من اسم آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، يقول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾[١] وهبطت حوّاء على المروة، وإنّما سمّيت المروة مروة لأنّ المرأة هبطت عليها، فقطع للجبل اسم من اسم المرأة[٢].

عن عليّ بن حسّان الواسطيّ، عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أُهبط آدم من الجنّة على الصفا، وحوّاء على المروة، قد كان امتشطت في الجنّة، فلمّا صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وأنا مسخوطٌ عليّ، فحلّت مشطتها فانتشر من مشطتها العطر الّذي كان امتشطت به في الجنّة فطارت به الرّيح فألقت أثره في الهند: فلذلك صار العطر بالهند[٣].

بإسناد العلويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل ممّا خلق الله عزّوجلّ الكلب؟ قال: خلقه من بزاق إبليس.

قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: لمّا أهبط الله عزّوجلّ آدم وحوّاء إلى الأرض أهبطهما كالفرخين المرتعشين، فعدا إبليس الملعون إلى السباع وكانوا قبل آدم في الأرض.

فقال لهم: إنّ طيرين قد وقعا من السماء لم يرالراؤون أعظم منهما تعالوا فكلوهما، فتعادت السباع معه وجعل إبليس يحثّهم ويصيح ويعدهم بقرب المسافة، فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاق فخلق الله عزّوجلّ من ذلك البزاق كلبين: أحدهما ذكرٌ، والآخر أُنثى، فقاما حول آدم وحوّاء: الكلبة بجدّة، والكلب بالهند، فلم يتركوا السباع أن يقربوهما، ومن ذلك اليوم الكلب عدوّ السبع والسبع عدو الكلب[٤].

عن محمّد بن إسحاق، عن أبي جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى جبرئيل عليه السلام: أنا الله الرحمن الرّحيم، إنّي قد رحمت آدم وحوّاء لمّا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٢) علل الشرائع: ص ١٤٩؛ البحار: ج ١١/ص ٢٠٥، باب ٤/ح ٦.
(٣) علل الشرائع: ص ١٦٧، البحار: ج ١١، ص ٢٠٧، باب ٤/ح ٨.
(٤) علل الشرائع: ص ١٦٩، البحار: ج ١١/ ص ٢٠٨، باب ٤/ج ١٠.

اشتكيا إليّ ما شكيا فاهبط عليهما بخيمة من خيم الجنّة فإنّي قد رحمتهما لبكائهما ووحشتهما ووحدتهما. فاضرب الخيمة على النزعة بين جبال مكّة.

قال: والنزعة مكان البيت وقواعده الّتي رفعتها الملائكة قبل آدم، فهبط جبرئيل على آدم عليه السلام بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبها.

قال: وأنزل جبرئيل عليه السلام آدم من الصفا وأنزل حوّاء من المروة وجمع بينهما في الخيمة.

قال: وكان عمود الخيمة قضيباً من ياقوت أحمر فأضاء نوره وضوؤه جبال مكّة وما حولها.

قال: فامتدّ ضوء العمود فهو مواضع الحرم اليوم من كلّ ناحيه من حيث بلغ ضوؤه.

قال: فجعله الله عزّ وجلّ حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنّهما من الجنّة.

قال: ولذلك جعل الله عزّ وجلّ الحسنات في الحرم مضاعفات والسيّئات مضاعفة.

قال: مدّت أطناب الخيمة حولها فمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام.

قال: وكانت أوتادها صخراً من عقيان الجنّة، وأطنابها من طفائر الأُرجوان.

قال: وأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل عليه السلام: اهبط على الخيمة بسبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الشيطان، ويؤنسون آدم، ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة.

قال: فهبط بالملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشيطان ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كلّ يوم وليلة كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور.

قال: وأركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت المعمور الّذي في السّماء.

قال: ثمّ إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبرئيل عليه السلام بعد ذلك: أن اهبط إلى آدم وحوّاء فنجّهما عن موضع قواعد بيتي، وارفع قواعد بيتي لملائكتي ولخلقي

من ولد آدم، فهبط جبرئيل عليه السلام على آدم وحوّاء فأخرجهما من الخيمة ونحّاهما عن نزعة البيت ونحّى الخيمة عن موضع النزعة.

قال: ووضع آدم على الصفا وحوّاء على المروة.

فقال آدم على نبيّا وآله وعليه السلام: يا جبرئيل أبسخط من الله تعالى جلّ ذكره حوّلتنا وفرّقت بيننا، أم برضىً تقديراً علينا؟

فقال لهما: لم يكن بسخط من الله تعالى ذكره عليكما، ولكنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عمّا يفعل، يا آدم إنّ السبعين ألف ملك الّذين أنزلهم الله عزّ وجلّ إلى الأرض ليؤنسوك ويطوفوا حول أركان البيت والخيمة سألوا الله عزّ وجلّ أن يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على مواضع النزعة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السّماءِ حول البيت المعمور، فأوحى الله تبارك وتعالى إليّ: أن أُنحّيك وأرفع الخيمة.

فقال آدم عليه السلام: رضينا بتقدير الله عزّ وجلّ ونافذ أمره فينا، فرفع قواعد البيت بحجر من الصّفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السّلام وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل عليه السلام: أن ابنه وأتمّه، فاقتلع جبرئيل عليه السلام الأحجار الأربعة بأمر الله عزّ وجلّ من مواضعها بجناحه، فوضعها حيث أمره الله تعالى في أركان البيت على قواعده الّتي قدّرها الجبّار جلّ جلاله، ونصب أعلامه، ثمّ أوحى الله إلى جبرئيل: ابنه وأتمّه من حجارة من أبي قبيس واجعل له بابين: باباً شرقاً، وباباً غرباً.

قال: فأتمّه جبرئيل عليه السلام، فلمّا فرغ طافت الملائكة حوله، فلمّا نظر آدم وحوّاء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة أشواط ثمّ خرجا يطلبان ما يأكلان(١).

عن خالد بن جرير، عن أبي الرّبيع الشاميّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط من الجنّة اشتهى من ثمارها فأنزل الله تبارك وتعالى عليه قضيبين من عنب فغرسهما، فلمّا أورقا وأثمرا وبلغا جاء إبليس فحاط عليهما حائطاً، فقال له آدم: مالك يا ملعون؟

(١) علل الشرائع: ص ١٤٦، البحار: ج ١١/ص ٢٠٨-٢٠٩، باب ٤/ح ١١.

فقال إبليس: إنّهما لي.

فقال: كذبت، فرضيا بينهما بروح القدس، فلمّا انتهيا إليه قصّ عليه آدم قصّته، فأخذ روح القدس شيئاً من نار فرمى بها عليهما فالتهبت في أغصانهما حتّى ظنّ آدم أنّه لم يبق منهما شيء إلاّ احترق، وظنّ إبليس مثل ذلك.

قال: فدخلت النّار حيث دخلت وقد ذهب منهما ثلثاهما وبقي الثلث.

فقال الرّوح: أمّا ما ذهب منهما فحظّ إبليس لعنه الله، وما بقي فلك يا آدم(١).

عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام كان له في السّماء خليلٌ من الملائكة، فلمّا هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك وشكا إلى الله تعالى وسأله أنّ يأذن له فيهبط عليه فأذن له فهبط عليه فوجده قاعداً في قفرة من الأرض، فلمّا رآه آدم وضع يده على رأسه وصاح صيحة - قال أبو عبدالله عليه السلام يروون أنّه أسمع عامّة الخلق - فقال له الملك: يا آدم ما أراك إلاّ قد عصيت ربّك وحملت على نفسك ما لا تطيق، أتدري ما قال الله لنا فيك فرددنا عليه؟

قال: لا.

قال: قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قلنا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾(٢) فهو خلقك أن تكون في الأرض يستقيم أن تكون في السّماء؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: والله عزّى بها آدم ثلاثاً(٣).

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله حين أهبط آدم إلى الأرض أمره أن يحرث بيده فيأكل من كدّه بعد الجنّة ونعيمها، فلبث يجأر ويبكي على الجنّة مائتي سنة، ثمّ إنّه سجد لله سجدةً فلم يرفع رأسه ثلاثة أيّام ولياليها، ثمّ قال: أي ربّ ألم تخلقني؟

فقال الله: قد فعلت.

فقال: ألم تنفخ فيَّ من روحك؟

---

(١) علل الشرائع: ص ١٦٣، البحار: ج ١١/ص ٢١٠، باب ٤/ح ١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥٠/ج ٩، البحار: ج ١١/ص ٢١١-٢١٢، باب ٤/ح ١٨.

قال: قد فعلت.

قال: ألم تسكنّي جنّتك؟

قال: قد فعلت.

قال: ألم تسبق لي رحمتك غضبك؟

قال الله: قد فعلت، فهل صبرت أو شكرت؟

قال آدم: «لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفرلي إنّك أنت الغفور الرّحيم» فرحمه الله بذاك وتاب عليه إنّه هو التّوّاب الرّحيم[١].

عن جابر، عن النبيّ ﷺ قال: كان إبليس أوّل من ناح، وأوّل من تغنّى، وأوّل من حدا.

قال: لمّا أكل آدم من الشّجرة تغنّى.

قال: فلمّا أُهبط حدا به، فلمّا استقرَّ على الأرض ناح فأذكره ما في الجنّة[٢].

فقال آدم: ربّ هذا الّذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقو عليه وأنا في الجنّة، وإن لم تعنّي عليه لم أقو عليه، فقال الله: السيّئة بالسيّئة والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة، قال: ربّ زدني.

قال: لا يولد لك ولدٌ إلاّ جعلت معه ملكاً أو ملكين يحفظانه.

قال: ربّ زدني.

قال: التّوبة مفروضةٌ في الجسد ما دام فيها الرّوح.

قال: ربّ زدني.

قال: أغفر الذّنوب ولا أُبالي.

قال: حسبي؛

قال: فقال إبليس: ربّ هذا الّذي كرّمت عليّ وفضّلته وإن لم تفضّل عليّ لم أقو عليه.

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥٩، ح ٢٤، البحار: ج ١١/٢١٢، باب ٤/ح ١٩.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ص ٥٨، ح ٢٣.

قال: لا يولد له ولدٌ إلاّ لك ولدان.

قال: ربّ زدني.

قال: تجري منه مجرى الدّم في العروق.

قال: ربّ زدني.

قال: تتّخذ أنت وذرّيّتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدني.

قال: تعدهم وتمنّيهم وما يعدهم الشّيطان إلاّ غروراً(١).

عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، ويوسف، وداود، فقلت: ما بلغ من بكائهم؟

فقال: أمّا آدم فبكى حين أُخرج من الجنّة وكان رأسه في باب من أبواب السّماءِ، فبكى حتّى تأذّى به أهل السّماءِ فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته.

وأمّا داود فإنّه بكى حتّى هاج العشب من دموعه، وإن كان ليزفر الزّفرة فيحرق ما نبت من دموعه.

وأمّا يوسف فإنّه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السّجن فتأذّى به أهل السّجن فصالهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً(٢).

عن صفوان بن يحيى قال: سئل أبو الحسن عليه السلام عن الحرم وأعلامه، فقال: إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط من الجنّة هبط على أبي قبيس - والنّاس يقولون بالهند - فشكا إلى ربّه عزّ وجلّ الوحشة وأنّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنّه، فأهبط الله عزّ وجلّ عليه ياقوتة حمراء فوضعت في موضع البيت فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان يبلغ ضوؤها الأعلام، فعلّمت الأعلام على ضوئها، فجعله الله عزّ وجلّ حرماً(٣).

---

(١) الزيادة من البحار: ج ١١/ص ٢١٢، باب ٤/ح ٢٠.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٨٨-١٨٩، باب ٤/ح ٣٨. البحار: ج ١١/ص ٢١٣، باب ٤/ح ٢١.

(٣) علل الشرائع: ص ١٤٦، العيون: ص ١٥٨. وأسنده فيه إلى البزنطي، البحار: ص ٢١٣/ج ١١، باب ٤/ح ٢٣.

يدلّ على ما ذكرنا سابقاً من أنّ أخبار نزولهما بالهند محمولة على التقيّة، وأمّا الجمع بين ماورد في هذا الخبر من نزول الياقوته وما ورد في الخبرين السّابقين من نزول الخيمة فبأنّهما نزلتا متعاقبتين أو مقارنتين، أو تكون الخمية من الياقوت.

عن الحسن ابن عليّ بن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أهبط آدم عليه السلام طفق يخصف من ورق الجنّة، وطار عنه لباسه الّذي كان عليه من حال الجنّة، فالتقط ورقة فستربها عورته، فلمّا هبط عبقت رائحة تلك الورقة بالهند بالنبت فصار في الأرض من سبب تلك الورقة الّتي عبقت بها رائحة الجنّة، فمن هناك الطيب بالهند، لأنّ الورقة هبّت عليها ريح الجنوب فأدّت رائحتها إلى المغرب، لأنّها احتملت رائحة الورقة في الجوّ، فلمّا ركدت الرّيح بالهند عبق (علق خ ل) بأشجارهم ونبتهم فكان أوّل بهيمة أُرتعت من تلك الورقة ظبي المسك، فمن هناك صار المسك في سرّة الظبي، لأنّه جرى رائحة النبت في جسده وفي دمه حتّى اجتمعت في سرّة الظّبي[(١)].

بالإسناد المتقدّم عن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى لمّا أهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع، وطرح إليه غرساً من غروس الجنّة فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمّان فغرسها لتكون لعقبه وذرّيّته، فأكل هو من ثمارها.

فقال له إبليس لعنه الله: يا آدم ما هذا الغرس الّذي لم أكن أعرفه في الأرض وقد كنت بها قبلك؟ ائذن لي آكل منها شيئاً، فأبى أن يطعمه، فجاء عند آخر عمر آدم فقال لحوّاء: إنّه قد أجهدني الجوع والعطش.

فقالت له حوّاء: إنَّ آدم عهد إليّ أن لا أُطعمك شيئاً من هذا الغرس لأنّه من الجنّة، ولا ينبغي لك أن تأكل منه.

فقال لها: فاعصري في كفّي منه شيئاً فأبت عليه، فقال: ذريني أمصّه ولا آكله، فأخذت عنقوداً من عنب فأعطته فمصّه ولم يأكل منه شيئاً لما كانت حوّاء قد أكّدت عليه، فلمّا ذهب بعضه جذبته حوّاء من فيه، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى

---

(١) فروع الكافي: ج ٢/ص ٢٢٣، البحار: ج ١١/ص ٢١٤-٢١٥، باب ٤/ح ٢٥.

آدم عليه السلام : أنّ العنب قد مصّه عدوّي وعدوّك إبليس لعنه الله ، وقد حرَّمت عليك من عصيرة الخمر ما خالطه نفس إبليس فحرّمت الخمر لأنّ عدوّ الله إبليس مكر بحوّاء حتّى مصّ العنبة، ولو أكلها لحرّمت الكرمة من أوّلها إلى آخرها وجميع ثمارها وما يخرج منها ، ثمّ إنّه قال لحوّاء: فلو أمصصتني شيئاً من هذا التمر كما أمصصتني من العنب، فأعطته تمرة فمصّها، وكانت العنبة والتمر أشدّ رائحة وأزكى من المسك الأذفر وأحلى من العسل فلمّا مصّهما عدوّ الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما .

قال أبو عبدالله عليه السلام : ثمّ إنّ إبليس الملعون ذهب بعد وفاة آدم عليه السلام فبال في أصل الكرمة والنخلة فجرى الماء في عودهما ببول عدوّ الله ، فمن ثمّ يختمر العنب والتمر، فحرّم الله عزّ وجلّ على ذرّيّة آدم كلّ مسكر، لأنّ الماء جرى ببول عدوّ الله في النخل والعنب وصار كلّ مختمر خمراً لأنّ الماء اختمر في النخلة والكرمة من رائحة بول عدوّ الله إبليس لعنه الله(١) .

عن عبد الرحمن بن أبي هاشم ، عن أبي خديجة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العجوة أُمّ التمر وهي الّتي أنزلها الله تعالى لآدم من الجنّة(٢) .

عن محمّد بن عبدالله الصيقل، عن الرضا عليه السلام قال: قال: في خمسة وعشرين من ذي القعدة نشرت الرحمة، ودحيت فيه الأرض، ونصبت فيه الكعبة، وهبط فيه آدم(٣) .

عن عيسى بن عبدالله الهاشميّ، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان موضع الكعبة ربوة من الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتّى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودّت، فلمّا نزل آدم رفع الله له الأرض كلّها حتّى رآها ، ثمّ قال: هذه لك كلّها، وقال: يا ربّ ما هذه الأرض البيضاء المنيرة؟

قال: هي أرضي، وقد جعلت عليك أن تطوف بها كلّ يوم سبعمائة طواف(٤) .

---

(١) فروع الكافي: ج ٢/ص ١٨٩، البحار: ج١١/ص ٢١٥-٢١٦/باب ٤/ ٢٦.
(٢) فروع الكافي: ج ٢/ص ١٧٧، البحار: ج ١١/ص ٢١٦، باب ٤/ ٢٧.
(٣) البحار: ج ١١/ ص ٢١٧، باب ٤/ح ٢٩، نقلاً عن الكافي.
(٤) فروع الكافي: ج ٢/ص ٢١٦، البحار: ج ١١/ص ٢١٧، باب ٤/ح ٣٠.

عن الحسن بن عمّارة، عن مسمع، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا هبط بآدم إلى الأرض احتاج إلى الطعام والشراب، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال له جبرئيل: يا آدم كن حرّاثاً.

قال: فعلّمني دعاء.

قال: قل: اللّهمّ اكفني مؤونة الدنيا وكلّ هول دون الجنّة، وألبسني العافية حتّى تهنّئني المعيشة(١).



تزويج آدم حواء وكيفيّة بدء النسل منهما وقصة قابيل وهابيل وسائر أولادهما

عن ابن نويه، عن زرارة قال سئل أبو عبدالله عليه السلام كيف بدأ النسل من ذرّيّة آدم عليه السلام فإنّ عندنا أُناساً يقولون: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام: أنّ يزوّج بناته من بنيه، وأنّ هذه الخلق كلّهم أصله من الإخوة والأخوات.

قال أبو عبدالله عليه السلام: سبحان الله، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، يقول من يقول هذا: إنّ الله عزّ وجلّ جعل أصل صفوة خلقه وأحبّائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطيّب؟ والله لقد تبيّنت أنّ بعض البهائم تنكّرت له أُخته فلمّا نزا عليها ونزل كشف له عنها وعلم أنّها أُخته أخرج غرموله ثمّ قبض عليه بأسنانه ثمّ قلعه ثمّ خرّ ميتاً.

قال زرارة: ثمّ سئل عليه السلام عن خلق حوّاء وقيل له: إنّ أُناساً عندنا يقولون: إنّ الله عزّ وجلّ خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر الأقصى.

قال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً! يقول من يقول هذا: إنّ الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه، وجعل لمتكلّم

(١) فروع الكافي: ج ٢/ص ٢١٦، البحار: ج ١١/ص ٢١٧، باب ٤/ح ٣١.

من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام، يقول: إنّ آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه، ما لهؤلاء؟ حكم الله بيننا وبينهم.

ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له وألقى عليه السّبات ثمّ ابتدع له خلقاً، ثمّ جعلها في موضع النقرة الّتي بين ركبتيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فأقبلت تتحرَّك فانبته لتحرّكها فلمّا انتبه نوديت أن تنحّي عنه، فلمّا نظر إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنّها أُنثى، فكلّمها فكلّمته بلغته فقال لها: من أنت؟

فقالت: خلق خلقني الله كما ترى.

فقال آدم عند ذلك: يا ربّ من الخلق الحسن الّذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟

فقال الله: هذه أمّتي حوّاء، أفتحبّ أن تكون معك فتؤنسك وتحدّثك وتأتمر لأمرك؟

قال: نعم يا ربّ ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت.

فقال تبارك وتعالى: فاخطبها إليّ فإنّها أُمّتي وقد تصلح أيضاً للشهوة، وألقى الله عليه الشهوة، وقد علّم قبل ذلك المعرفة.

فقال: يا ربّ فإنّي أخطبها إليك فما رضاك لذلك؟

قال: رضاي أن تعلّمها معالم ديني.

فقال: ذلك يا ربّ إن شئت ذلك.

فقال عزّ وجلّ: قد شئت ذلك وقد زوّجتكها فضمّها إليك.

فقال: أقبلي.

فقالت: بل أنت فاقبل إليّ، فأمر الله عزّ وجلّ لآدم أن يقوم إليها فقام، ولولا ذلك لكنَّ النساء هنّ يذهبن إلى الرجال حين خطبن على أنفسهنَّ فهذه قصّة حوّاء صلوات الله عليها[1].

اعلم أنّ المشهور بين العامّة مؤرّخيهم ومفسّريهم أنّ حوّاء خلقت من ضلع

---

(١) علل الشرائع: ص ١٧-١٨، البحار: ج ١١/ص ٢٢٠-٢٢٢، باب ٥/ح ١.

آدم عليه السلام ويدلّ عليه بعض أخبارنا أيضاً، ويدلّ هذا الخبر وغيره من الأخبار على نفي ذلك، فالأخبار الواردة موافقة للعامّة إمّا محمولةٌ على التقيّة، أو على أنّها خلقت من فضلة طينة أضلاعه.

قال الرازيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(١) المراد من هذا الزوج هو حوّاء، وفي كون حوّاء مخلوقة من آدم قولان:

الأوّل: وهو الّذي عليه الأكثرون أنّه لمّا خلق الله آدم ألقى عليه النوم، ثمّ خلق حوّاء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلمّا استيقظ رآها ومال إليها وألفها لأنها كانت مخلوقة من أجزائه، واحتجّوا عليه بقول النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ المرأة خلقت من ضلع، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها.

والقول الثاني: وهو اختيار أبي مسلم الإصفهانيّ أنّ المراد من قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(٢) أي من جنسها، وهو كقوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾(٣) وكقوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٤) وقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(٥).

قال القاضي: والقول الأوّل أقوى لكي يصحّ قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(٦) إذ لو كان حوّاء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة، ويمكن أن يجاب عنه بأنَّ كلمة من لا بتداء الغاوية، فلمّا كان ابتداء التخليق والإيجاد وقع بآدم عليه السلام صحّ أنّ يقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وأيضاً فلمّا ثبت أنّه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادراً على خلق حوّاء من

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٦) سورة النساء، الآية: ٢.

التراب، وإذا كان الأمر كذلك فأيّ فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، انتهى(١).

عن الحسن بن مقاتل، عمّن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن بدءِ النسل من آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام كيف كان؟ وعن بدءِ النّسل من ذرّيّة آدم فإنّ أُناساً عندنا يقولون: إنّ الله تعالى أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته بنيه، وأنّ هذا الخلق كلّه أصله من الإخوة والأخوات.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً يقول من قال هذا: بأنّ الله عزّوجلّ خلق صفوة خلقه وأحبّاءه وأنبياءه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما بخلقهم من حلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطّهر الطّاهر الطيّب، فوالله لقد تبيّنت أنَّ بعض البهائم تنكّرت له أُخته فلمّا نزا عليها ونزل كشف له عنها، فلمّا علم أنّها أُخته أخرج غرموله(٢) ثمّ قبض عليه بأسنانه حتّى قطعه فخرّ ميّتاً، وآخر تنكّرت له أُمّه ففعل هذا بعينه، فكيف الإنسان في إنسيّته وفضله وعلمه؟! غير أنَّ جيلاً من هذا الخلق الّذي ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما قد ترون من الضلال والجهل بالعلم، كيف كانت الأشياء الماضية من بدءِ أن خلق الله ما خلق ما هو كائن أبداً.

ثمّ قال: ويح هؤلاء أين هم عمّا لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق أنّ الله عزّوجلّ أمر القلم فجرى على اللّوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام، وأنَّ كتب الله كلّها فيما جرى فيه القلم في كلّها تحريم الإخوة مع ما حرّم، وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم: التوارة والإنجيل والزّبور والقرآن أنزلها الله من اللّوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم أجمعين، منها التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى النبيّين ليس فيها تحليل شيءٍ من ذلك حقّاً.

(١) مفاتيح الغيب: ج ٣/ص ١٩١-١٩٢، البحار: ج ١١/ص ٢٢٢، باب ٥.
(٢) الغرمول: بالضم: الذّكر.

أقول: ما أراد من يقول هذا وشبهه إلاّ تقوية حجج المجوس، فما لهم قتلهم الله؟! ثمّ أنشأ يحدّثنا كيف كان بدء النسل من آدم، وكيف كان بدء النسل من ذرّيّته.

فقال: إنّ آدم عليه السلام ولد له سبعون بطناً في كلّ بطن غلام وجارية إلى أن قتل هابيل، فلمّا قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعه عن إتيان النساءِ، فبقي لا يستطيع أن يغشى حوّاء خمسمائة عام، ثمّ تخلّى ما به من الجزع عليه فغشي حوّاء فوهب الله له شيثاً وحده ليس معه ثاني، واسم شيث هبة الله وهو أوّل وصيّ أُوصي إليه من الآدميّين في الأرض، ثمّ ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثاني، فلمّا أدركا وأراد الله عزّ وجلّ أن يبلغ بالنّسل ما ترون وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله عزّ وجلّ من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنّة اسمها بركة فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوّجها من شيث فزوّجها منه، ثمّ نزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنّة اسمها منزلة فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوّجها من يافث فزوّجها منه فولد لشيث غلام وولد ليافث جارية، فأمر الله عزّ وجلّ آدم حين أدركا أن يزوّج بنت يافث من ابن شيث، ففعل ذلك فولد الصفوة من النبيّين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أنَّ ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات[(١)].

عن مقاتل ابن سليمان، عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أوصى آدم إلى شيث وهو هبة الله ابن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان[(٢)] وهو ابن نزلة الحوراءِ الّتي أنزلها الله على آدم من الجنّة فزوّجها ابنه شيثاً؛ الخبر[(٣)].

عن الثماليّ قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا تاب الله على آدم، واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلاّ في

---

(١) علل الشرائع: ص ١٨، البحار: ج ١١/ ص ٢٢٣-٢٢٤، باب ٥/ح ٢.
(٢) سماء المسعودي ريسان، قال في اثبات الوصية: ص ٩: فلما حضرت وفاته أوحى الله إليه أن يستودع التابوت والاسم الأعظم ابنه ريسان بن نزلة وهي الحورية التي اهبطت له من الجنة اسمها نزلة، روى أن اسم ريسان أنوش.
(٣) أمالي الصدوق: ص ٢٤٢، البحار: ج ١١/ ص ٢٢٥، باب ٥/ح ٣.

الأرض وذلك بعد ما تاب الله عليه، وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت، وكان إذا أراد أن يغشى حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها في الحلّ ثمّ يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت.

قال: فولد لآدم من حوّاء عشرون ولداً ذكراً، وعشرون أُنثى، فولد له في كلّ بطن ذكر وأُنثى، فأوّل بطن ولدت حوّاء هابيل ومعه جارية يقال لها إقليما.

قال: وولدت في البطن الثاني، قابيل ومعه جارية يقال لها لوزا، وكانت لوزا أجمل بنات آدم.

قال: فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه وقال: أُريد أن أُنكحك يا هابيل لوزا، وأُنكحك يا قابيل إقليما.

قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحني أُخت هابيل القبيحة وتنكح هابيل أُختي الجميلة؟

قال آدم: فأنا أقرع بينكما فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزاء وخرج سهمك يا هابيل على إقليما زوّجت كلّ واحد منكما الّتي خرج سهمه عليها.

قال: فرضيا بذلك فاقترعا.

قال: فخرج سهم هابيل على لوزا أُخت قابيل وخرج سهم قابيل على إقليما أُخت هابيل.

قال: فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله.

قال: ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك.

قال: فقال له القرشيّ: فأولداهما؟

قال: نعم قال: فقال القرشيّ: فهذا فعل المجوس اليوم.

قال: فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله. ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: لا تنكر هذا أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك[١].

---

(١) الإحتجاج: ص ١٧١، البحار: ج ١١/ص ٢٢٥-٢٢٦، باب ٥/ح ٤.

عن أبان بن تغلب قال: دخل طاوس اليمانيّ إلى الطواف ومعه صاحب له فإذا هو بأبي جعفر عليه السلام يطوف أمامه وهو شابّ حدث.

فقال طاوس لصاحبه: إنّ هذا الفتى لعالمٌ، فلمّا فرغ من طوافه صلّى ركعتين ثمّ جلس فأتاه الناس.

فقال طاوس لصاحبه: نذهب إلى أبي جعفر عليه السلام نسأله عن مسألة لا أدري عنده فيها شيء، فأتياه فسلّما عليه ثمَّ قال له طاوس: يا أبا جعفر هل تعلم أيّ يوم مات ثلث الناس؟

فقال: يا أبا عبد الرحمن لم يمت ثلث الناس قطّ، بل إنّما أردت ربع الناس!

قال: وكيف ذلك؟

قال: كان آدم وحوّاء وقابيل وهابيل فقتل قابيل هابيل فذلك ربع النّاس.

قال: صدقت، قال أبو جعفر عليه السلام: هل تدري ما صنع بقابيل؟

قال: لا.

قال: علّق بالشمس ينضح بالماء الحارّ إلى أن تقوم الساعة[1].

لعلّه كان ماتت أُختا قابيل وهابيل قبل شهادة هابيل ولم يحضر قابيل دفنهما أو كان ذكر أُختيهما[2] محمولاً على التقيّة، أو كان هذا الجواب على وفق علم السائل للمصلحة[3].

عن الثماليّ، عن ثوير بن أبي فاختة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا قرّب أبناء آدم القربان قرّب أحدهما أسمن كبش كان في ضأنه، وقرّب الآخر ضغثاً من سنبل فتقبّل من صاحب الكبش وهو هابيل، ولم يتقبّل من الآخر، فغضب قابيل فقال لهابيل: والله لأقتلنّك.

فقال هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي

(١) الإحتجاج: ص ١٧٧، البحار: ج ١١/ص ٢٢٩، باب ٥/ح ٧.
(٢) لعله سقط لفظة (عدم) فكانت العبارة: أو كان عدم ذكر أختيهما.
(٣) البحار: ج ١١/ص ٢٣٠، باب ٥.

وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فلم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه فقال: ضع رأسه بين حجرين ثمّ اشدخه، فلمّا قتله لم يدر ما يصنع به فجاء غرابان فأقبلا يتضاربان حتّى اقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، ثمّ حفر الّذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيه صاحبه.

قال قابيل: ﴿يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[١] فحفر له حفيرةً ودفن فيها فصارت سنّة يدفنون الموتى، فرجع قابيل إلى أبيه فلم يرمعه هابيل.

فقال له آدم: أين تركت ابني قال له قابيل: أرسلتني عليه راعياً؟

فقال آدم: انطلق معي إلى مكان القربان وأحسّ قلب آدم بالّذي فعل قابيل، فلمّا بلغ مكان القربان استبان قتله، فلعن آدم الأرض الّتي قبلت دم هابيل، وأُمر آدم أن يلعن قابيل، ونودي قابيل من السّماء: لعنت كما قتلت أخاك، ولذلك لا تشرب الأرض الدم، فانصرف آدم فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة، فلمّا جزع عليه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه: إنّي واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل، فولدت حوّاء غلاماً زكيّاً مباركاً، فلمّا كان يوم السابع أوحى الله إليه: يا آدم إنّ هذا الغلام هبة منّي لك فسمّه هبة الله، فسمّاه آدم هبة الله[٢].

تفسير: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾ قيل: إنّ القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت.

وقيل: إنَّ المعنى: لئن بسطت إليّ يدك على سبيل الظلم والابتداءِ لتقتلني ما أنا بباسط إليك يدي على وجه الظلم والابتداء.

وقال السيّد المرتضى قدّسى سرّه: المعنى إنّي لا أبسط يدي إليك للقتل، لأنّ المدافع إنّما يحسن منه المدافعة للظالم طلباً للتخلّص من غير أن يقصد إلى قتله ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ أي إثمي لو بسطت إليك يدي، وإثمك ببسطك يدك إليّ، أو بإثم قتلي وبإثمك الّذي من أجله لم يتقبّل قربانك.

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢٧-٣١.

(٢) تفسير القمي: ص ١٥٣-١٥٤، البحار: ج ١١/ ص ٢٣٠-٢٣١، باب ٥/ح ٨.

قيل: لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام إلى أن ذلك إن كان لا محالة واقعاً فأُريد أن يكون لك لا لي، فالمقصود بالذّات أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه، ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي جائزة[١].

وقال الجوهريّ: الشدخ: كسر الشيء الأجوف، تقول: شدخت رأسه فانشدخ.

عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت جالساً معه في المسجد الحرام فإذا طاوس في جانب يحدّث أصحابه حتّى قال: أتدري أيّ يوم قتل نصف الناس؟

فأجابه أبو جعفر عليه السلام فقال: أو ربع الناس يا طاوس.

فقال: أو ربع الناس.

فقال: أتدري ما صنع بالقاتل؟

فقلت: إنّ هذه لمسألةٌ فلمّا كان من الغد غدوت على أبي جعفر عليه السلام فوجدته قد لبس ثيابه وهو قاعدٌ على الباب ينتظر الغلام أن يسرج له، فاستقبلني بالحديث قبل أن أسأله فقال: إنّ بالهند - أو من وراءِ الهند - رجل معقول برجل يلبس المسح[٢] موكّل به عشرة نفر، كلّما مات رجل منهم أخرج أهل القرية بدله، فالناس يموتون والعشرة لا ينقصون ويستقبلون بوجهه الشمس حين تطلع يديرونه معها حتّى تغيب، ثمَّ يصبّون عليه في البرد الماء البارد، وفي الحرّ الماء الحارّ.

قال: فمرّ عليه رجلٌ من الناس فقال له: من أنت يا عبدالله؟ فرفع رأسه ونظر إليه ثمّ قال: إمّا أن تكون أحمق الناس، وإمّا أن تكون أعقل النّاس إنّي لقائم ههنا منذ قامت الدنيا ما سألني أحدٌ غيرك من أنت.

ثمّ قال: يزعمون أنّه ابن آدم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

(١) مجمع البيان: ج ٣/ص ١٨٤، البحار: ج ١١/ص ٢٣١، باب ٥/ح ٨.
(٢) المسح: ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد. وفي نسخة: معقود.

جَمِيعًا﴾[(١)] ولفظ الآية خاصّ من بني إسرائيل ومعناها عامّ جار في الناس كلّهم[(٢)].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله رأيت أمراً عظيماً.

فقال: وما رأيت؟

قال: كان لي مريض ونعت له ماء من بئر الأحقاف يستشفى به في برهوت.

قال: فتهيّأت ومعي قربة وقدح لآخذ من مائها وأصبّ في القربة إذا شيء قد هبط من جوّ السماءِ كهيئة السلسلة وهو يقول: يا هذا اسقني الساعة أموت، فرفعت رأسي ورفعت إليه القدح لأُسقيه فإذا رجلٌ في عنقه سلسلةٌ فلمّا ذهبت أُناوله القدح اجتذب حتى علّق بالشمس، ثمّ أقبلت على الماءِ أغرف إذ أقبل الثانية وهو يقول: العطش يا هذا اسقني الساعة أموت، فرفعت القدح لأُسقيه فاجتذب حتّى علّق بالشمس حتّى فعل ذلك الثالثة فشدّدت قربتي ولم أُسقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذاك قابيل بن آدم قتل أخاه وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾[(٣)] [(٤)].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴾[(٥)] فقال عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل. وسأله عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطيّر منه، فقال عليه السلام: هو آخر أربعاء وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه[(٦)].

عن حنان بن سدير، عن رجل من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.
(٢) تفسير القمي: ص ١٥٤-١٥٥؛ البحار: ج ١١/ص ٢٣١-٢٣٢، باب ٥/ح ٩.
(٣) سورة الرعد، الآية: ١٤.
(٤) تفسير القمي: ص ٣٣٨، البحار: ج ١١/ص ٢٣٢، باب ٥/ح ١٠.
(٥) سورة عبس: الآية: ٣٤.
(٦) علل الشرائع: ص ١٩٩، عيون الأخبار: ص ١٣٦، الخصال: ج ٢/ص ٢٨، البحار: ج ١١/ ص ٢٣٣، باب ٥/ح ١١.

يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، واثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهم ونصّراهم، وفرعون الّذي قال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[1] واثنان في هذه الأُمّة[2] [3].

عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: من شرّ خلق الله خمسة:

١ - إبليس وابن آدم الّذي قتل أخاه.

٢ - وفرعون ذو الأوتاد.

٣ - ورجل من بني إسرائيل ردّهم عن دينهم.

٤ - ورجل من هذه الأُمّة يبايع على كفر عند باب لدّ. قال: ثمّ قال: إنّي لمّا رأيت معاوية يبايع عند باب لدّ ذكرت قول رسول الله ﷺ فلحقت بعليّ عليه السلام فكنت معه[4].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل من قال الشعر قال آدم.

فقال: وما كان شعره؟

قال: لمّا أُنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها هواها وقتل قابيل هابيل فقال آدم عليه السلام:

تغيرت البلاد ومن عليها … فوجه الأرض مغبرٌّ قبيح
تغيّر كلّ ذي لون وطعم … وقل بشاشة الوجه المليح

فأجابه إبليس:

تنحّ عن البلاد وساكنيها … فبي بالخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في قرار … وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفكَّ من كيدي ومكري … إلى أن فاتك الثمن الربيح

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
(٢) الأثنان من هذه الأمة أبو بكر وعمر.
(٣) الخصال: ج ٢/ص ٤، البحار: ج ١١/ص ٢٣٣، باب ٥/ح ١٢.
(٤) الخصال: ج ١/ص ١٥٥، البحار: ج ١١/ص ٢٣٣، باب ٥/ح ١٣.

فلولا رحمة الجبّار أضحت بكفّك من جنان الخلد ريح[١]

تتميم: أقول: زاد المسعوديّ في مروج الذّهب في شعر آدم عليه السلام بعد قوله: وقلَّ شاشة الوجه الصبيح:

وبدّل أهلها أثلاً وخمطاً بجنّات من الفردوس فيح
وجاورنا عدوّاً ليس ينسى لعين ما يموت فنستريح
ويقتل قاين هابيل ظلماً فوا أسفا على الوجه المليح
فما لي لا أجود بسكب دمعي وهابيل تضمّنه الضريح
أرى طول الحياة عليّ غمّاً وما أنا من حياتي مستريح[٢]

عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ قابيل لمّا رأى النّار قد قبلت قربان هابيل قال له إبليس: إنّ هابيل كان يعبد تلك النار.

فقال قابيل: لا أعبد النار الّتي عبدها هابيل، ولكن أعبد ناراً أُخرى وأُقرّب قرباناً لها فتقبّل قرباني، فبنى بيوت النار فقرّب ولم يكن له علم بربّه عزّ وجلّ، ولم يرث منه ولد إلاّ عبادة النيران[٣].

عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت الوحوش والطّير والسباع وكلّ شيء خلق الله عزّ وجلّ مختلطاً بعضه ببعض، فلمّا قتل ابن آدم أخاه نفرت وفزعت فذهب كلّ شيءٍ إلى شكله[٤].

عن بريد العجليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنزل حوراء من الجنّة إلى آدم فزوّجها أحد ابنيه، وتزوّج الآخر الجنّ فولدتا جميعاً، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراءِ، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجانّ، وأنكر أنّ يكون زوّج بينه من بناته[٥].

---

(١) علل الشرائع: ص ١٩٧، عيون الأخبار، ص ١٣٤، الخصال: ج ١/ص ٩٨، البحار: ج ١١/ص ٢٣٣-٢٣٤، باب ٥/ح ١٤.
(٢) مروج الذهب: ج ١/ص ١٦، البحار: ج ١١/ص ٢٣٤، باب ٥/ح تتميم.
(٣) علل الشرائع: ص ٩٣، البحار: ج ١١/ص ٢٣٦، باب ٥/ح ١٦.
(٤) علل الشرائع: ص ١٣، البحار: ج ١١/ص ٢٣٦، باب ٥/ح ١٧.
(٥) علل الشرائع: ص ٤٥، البحار: ج ١١/ص ٢٣٦، باب ٥/ح ١٨.

عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم وزوجته، وهبط إبليس ولا زوجة له، وهبطت الحيّة ولا زوج لها، فكان أوّل من يلوط بنفسه إبليس فكانت ذرّيّته من نفسه، وكذلك الحيّة، وكانت ذرّيّة آدم من زوجته فأخبرهما أنّهما عدوّان لهما(١).

عن أبي خالد قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام النّاس أكثر أم بنو آدم؟

فقال: النّاس.

قيل: وكيف ذلك؟

قال: لأنّك إذا قلت «الناس» دخل آدم فيهم، وإذا قلت «بنو آدم» فقد تركت آدم لم تدخله مع بنية، فلذلك صار الناس أكثر من بني آدم وإدخالك إيّاه معهم، ولمّا قلت بنو آدم نقص آدم من الناس(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها الناس إنّ أوّل من بغى على الله عزّ وجلّ على وجه الأرض عناق بنت آدم، خلق الله لها عشرين إصبعاً في كلّ إصبع منها ظفران طويلان كالمنجلين العظيمين، وكان مجلسها في الأرض موضع جريب، فلمّا بغت بعث الله لها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار وكان ذلك في الخلق الأوّل فسلّطهم الله عليها فقتلوها(٣).

عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ ابن آدم حين قتل أخاه لم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه قال: ضع رأسه بين حجرين ثمَّ اشدخه(٤).

عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان هابيل راعي الغنم، وكان قابيل حرّاثاً، فلمّا بلغا قال لهما آدم عليه السلام: إنّي أُحبّ أنّ تقرّبا إلى الله قرباناً لعلّ الله يتقبّل منكما، فانطلق هابيل إلى أفضل كبش في غنمه فقرّبة التماساً لوجه الله ومرضاة أبيه، فأمّا قابيل فإنّه قرَّب الزّوان الّذي يبقى في البيدر

---

(١) علل الشرائع: ص ١٨٣، البحار: ج ١١/ص ٢٣٧، باب ٥/ح ١٩.
(٢) علل الشرائع: ص ٣٧-٣٨، البحار: ج ١١/ص ٢٣٧، باب ٥/ح ٢٠.
(٣) البحار: ج ١١/ص ٢٣٨، باب ٥/ح ٢١ نقلاً عن تفسير القمي.
(٤) البحار: ج ١١/ص ٢٣٨، باب ٥/ح ٢٣. نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي.

الّذي لا يستطيع البقر أن تدوسه فقرّب ضغثاً منه لا يريد به وجه الله تعالى ولا رضى أبيه، فقبل الله قربان هابيل، وردّ على قابيل قربانه، فقال إبليس لقابيل: إنّه يكون لهذا عقب يفتخرون على عقبك بأن قبل قربان أبيهم، فاقتله حتّى لا يكون له عقب، فقتله فبعث الله تعالى جبرئيل فأجنّه(١).

فقال قابيل: يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب، يعني به مثل هذا الغريب الّذي لا أعرفه جاء ودفن أخي ولم أهتد لذلك، ونودي قابيل من السّماء: لعنت لما قتلت أخاك، وبكى آدم على هابيل أربعين يوماً وليلة(٢).

قال الشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحه: قالوا كان هابيل أوّل ميّت من الناس، فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتّى بعث الله غرابين أحدهما حيّ والآخر ميت.

وقيل: كانا حيّين فقتل أحدهما صاحبه ثمّ بحث الأرض ودفنه فيه، ففعل قابيل مثل ذلك، عن ابن عبّاس وابن مسعود وجماعة؛

وقيل: معناه: بعث الله غراباً يبحث التّراب على القتيل، فلمّا رأى قابيل ما أكرم الله به هابيل وأن بعث طيراً ليواريه وتقبّل قربانه قال: يا ويلتى، عن الأصمّ، وقيل: كان ملكاً في صورة الغراب(٣).

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله عليه الصلاة والسّلام قال: لمّا أوصى آدم عليه السلام إلى هابيل حسده قابيل فقتله، فوهب الله تعالى لآدم هبة الله، وأمره أن يوصي إليه، وأمره أنّ يكتم ذلك، قال: فجرت السنّة بالكتمان في الوصيّة، فقال قابيل لهبة الله: قد علمت أنّ أباك قد أوصى إليك فإن أظهرت ذلك أو نطقت بشيءٍ منه لأقتلنّك كما قتلت أخاك(٤).

عن ابن أبي الديلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ قابيل أتى هبة الله عليه السلام

---

(١) أي دفنه.
(٢) البحار: ج ١١/ص ٢٣٩-٢٤٠، باب ٥/ح ٢٨. نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي.
(٣) تفسير مجمع البيان: ج ٣/ص ١٨٥، البحار: ج ١١/ص ٢٤٠، بيان الآية.
(٤) البحار: ج ١١/ص ٢٤٠، باب ٥/ح ٩، نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي.

فقال: إنّ أبي قد أعطاك العلم الّذي كان عنده، وأنا كنت أكبر منك وأحقّ به منك، ولكن قتلت ابنه فغضب عليّ فآثرك بذلك العلم عليّ، وإنّك والله إنّ ذكرت شيئاً ممّا عندك من العلم الّذي ورّثك أبوك لتتكبّربه عليّ وتفتخر عليّ لأقتلنّك كما قتلت أخاك، واستخفى هبة الله بما عنده من العلم لينقضي دولة قابيل، ولذلك يسعنا في قومنا التقيّة، لأنّ لنا في ابن آدم أُسوة.

قال: فحدّث هبة الله ولده بالميثاق سرّاً فجرت والله السنّة بالوصيّة من هبة الله في ولده يتوارثونها عالمٌ بعد عالم، فكانوا يفتحون الوصيّة كلّ سنّة يوماً فيحدّثون أنّ أباهم قد بشّرهم بنوح عليه السلام.

قال: وإنّ قابيل لمّا رأى النار الّتي قبلت قربان هابيل ظنّ قابيل أنَّ هابيل كان يعبد تلك النّار ولم يكن له علم بربّه.

فقال قابيل: لا أعبد النّار الّتي عبدها هابيل، ولكن أعبد ناراً وأُقرّب قرباناً لها، فبنى بيوت النيران[1].

بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب قال: لمّا أراد قابيل أن يقتل أخاه ولم يدر كيف يصنع عمد إبليس إلى طائر فرضح رأسه بحجر فقتله فتعلّم قابيل، فساعة قتله أُرعش جسده ولم يعلم ما يصنع أقبل غراب يهوي على الحجر الّذي دمغ أخاه فجعل يمسح الدم بمنقاره، وأقبل غراب آخر حتّى وقع بين يديه فوثب الأوّل على الثاني فقتله، ثمّ هزّ بمنقاره فواراه فتعلّم قابيل[2].

وروي أنّه لم يوار سوأة أخيه وانطلق هارباً حتّى أتى وادياً من أودية اليمن في شرقيّ عدن، فكمن فيه زماناً، وبلغ آدم عليه السلام ما صنع قابيل بهابيل، فأقبل فوجده قتيلاً ثمّ دفنه، وفيه وفي إبليس نزلت: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[3] لأنّ قابيل أوّل من سنَّ القتل، ولا يقتل مقتولٌ إلى يوم القيامة إلاّ كان فيه له شركة[4].

(١) البحار: ج ١١/ص ٢٤١، باب ٥/ح ٣١. نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي.
(٢) البحار: ج ١١/ص ٢٤٢، باب ٥/ح ٣٣، نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٩.
(٤) البحار: ج ١١/ص ٢٤٢-٢٤٣، باب ٥/ح ٣٤. نقلاً عن قصص الأنبياء للراوندي.

عن سدير الصيرفيّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّي لأعرف رجلاً من أهل المدينة أخذ قبل انطباق الأرض إلى الفئة الّتي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾(١) لمشاجرة كانت فيما بينهم وأصلح بينهم ورجع ولم يقعد فمرّ بنطفكم فشرب منها يعني الفرات، ثمّ مرّ عليك يا أبا الفضل يقرع عليك بابك، ومرّ برجل عليه مسوح معقّل به عشرة موكّلون يستقبل في الصّيف عين الشمس ويوقد حوله النيران ويدورون به حذاء الشمس حيث دارت، كلّما مات من العشرة واحد أضاف إليه أهل القرية واحداً، الناس يموتون والعشرة لا ينقصون، فمرّ به رجل فقال: ما قصّتك قال له الرجل: إنّ كنت عالماً فما أعرفك بأمري؟ ويقال: إنّه ابن آدم القاتل. وقال محمّد ابن مسلم: وكان الرجل محمّد بن عليّ عليه السلام (٢).

عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ آدم ولد له أربعة ذكور، فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين، فزوّج كلّ واحد منهم واحدةً فتوالدوا، ثمّ إنّ الله رفعهنّ وزوَّج هؤلاء الأربعة أربعة من الجنّ فصار النسل فيهم، فما كان من حلم فمن آدم، وما كان من جمال فمن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجنّ(٣).

عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: ما يقول الناس في تزويج آدم ولده؟

قال: يقولون: إنّ حوّاء كانت تلد لآدم في كلّ بطن غلاماً وجارية فتزوّج الغلام الجارية الّتي من البطن الآخر الثّاني، وتزوّج الجارية الغلام الّذي من البطن الآخر الثاني، حتّى توالدوا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: ليس هذا كذاك، ولكنّه لمّا ولد آدم هبة الله وكبر سأل الله أن يزوّجه، فأنزل الله له حوراء من الجنّة فزوجها إيّاه فولد له أربعة بنين، ثمّ ولد لآدم ابن آخر فلمّا كبر أمره فتزوّج إلى الجانّ فولد له أربع بنات فتزوّج بنو هذا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.
(٢) بصائر الدرجات: ص ١١٧، البحار: ج ١١/ ص ٢٤٣-٢٤٤، باب ٥/ ح ٣٧.
(٣) البحار: ج ١١/ ص ٢٤٤، باب ٥ ح ٣٩. عن تفسير العياشي.

بنات هذا، فما كان من جمال فمن قبل الحوراءِ، وما كان من حلم فمن قبل آدم، وما كان من خفّة فمن قبل الجانّ، فلمّا توالدوا صعدت الحوراء إلى السّماء(١).

عن عيسى بن عبدالله العلويّ، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: إنَّ ابن آدم الّذي قتل أخاه كان القابيل الّذي ولد في الجنّة(٢).

هذا موافقٌ لمّا ذكره بعض العامّة من كون ولادة قابيل وأُخته في الجنّة، وظاهر بعض الأخبار أنّه لم يولد له إلاّ في الدنيا.

تأويل قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾(٣)

في خبر ابن الجهم أنّه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن معنى قوله الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.

فقال الرّضا عليه السلام: إن حوّاء ولدت لآدم خمسمائة بطن في كلّ بطن ذكراً وأُنثى، وإنّ آدم وحوّاء عاهدا الله عزّ وجلّ ودعواه وقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ من النسل خلقاً سويّاً بريئاً من الزمانة والعاهة كان ما آتاهما صنفين: صنفاً ذكراناً، وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّ وجلّ.

قال الله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤) (٥).

ما اوحى إلى آدم عليه السلام

عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم إنّي أجمع لك الخير كلّه في أربع كلمات: واحدةٌ منهنّ لي،

(١) البحار: ج ١١/ ص ٢٤٤/ باب ٥/ ح ٤٠. نقلاً عن تفسير العياشي.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ ص ٣٤٠/ح ٨٢. البحار: ج ١١/ ص ٢٤٥، باب ٥/ح ٤٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠.
(٥) العيون: ص ١٠٩، البحار: ج ١١/ ص ٢٥٢، باب ٦/ح ٣.

وواحدةٌ لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدةٌ فيما بينك وبين النّاس.

فأمّا الّتي لي: فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً.

وأمّا الّتي لك: فأُجازيك بعملك أحوج ما تكون إليه.

وأمّا الّتي بيني وبينك: فعليك الدّعاء وعليّ الإجابة.

وأمّا الّتي فيما بينك وبين الناس: فترضى للنّاس ما ترضى لنفسك(١).

عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى آدم عليه السلام: إنّي سأجمع لك الكلام في أربع كلمات.

فقال: يا ربّ وما هنّ؟

قال: واحدةٌ لي، وواحدةٌ لك، وواحدةٌ فيما بيني وبينك، وواحدةٌ فيما بينك وبين الناس.

فقال: يا ربّ بيّنهنّ لي حتّى أعلمهنّ، فقال: أمّا الّتي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأمّا الّتي لك فأُجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأمّا الّتي بيني وبينك فعليك الدّعاء وعليّ الإجابة، وأمّا الّتي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضاه لنفسك(٢).

قال السيّد في سعد السعود: وجدت في صحف إدريس النبيّ عليه السلام عند ذكر أحوال آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام ما هذا لفظه: حتّى إذا كان الثلث الأخير من اللّيل ليلة الجمعة لسبع وعشرين خلت من شهر رمضان أنزل الله عليه كتاباً بالسريانيّة وقطع الحروف في إحدى وعشرين ورقة، وهو أوّل كتاب أنزل الله في الدنيا، أنزل الله عليه الألسن كلّها، فكان فيه ألف ألف لسان لا يفهم فيه أهل لسان عن أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم، فيه دلائل الله وفروضه وأحكامه وشرائعه وسننه وحدوده(٣).



(١) أمالي الصدوق: ص ٣٦٢، البحار: ج ١١/ ص ٢٥٧، باب ٧/ج ١.

(٢) الخصال: ج ١/ص ١١٦، البحار: ج ١١/ ص ٢٥٧، باب ٧/ح ٢.

(٣) سعد السعود: ص ٣٧، وفيه أنزله الله عليه ا هـ، البحار: ج ١١/ ص ٢٥٧، باب ٧/ ح ٣.

عمر آدم ووفاته ووصيته إلى شيث وقصصه عليه السلام

عن عبدالله ابن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا مات آدم عليه السلام فبلغ إلى الصّلاة عليه، قال هبة الله لجبرئيل: تقدّم يا رسول الله فصلّ على نبيّ الله.

فقال جبرئيل عليه السلام: إنّ الله أمرنا بالسجود لأبيك فلسنا نتقدّم أبرار ولده وأنت من أبرّهم، فتقدّم فكبّر عليه خمساً عدّة الصّلوات الّتي فرضها الله على أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وهي السنّة، الجارية في ولده إلى يوم القيامة(١).

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وإنَّ آدم لفي حرم الله عزّ وجلّ (٢).

عن سفيان بن السمط، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام اشتكى فاشتهى فاكهةً فانطلق هبة الله يطلب له فاكهة فاستقبل جبرئيل فقال له: أين تذهب يا هبة الله.

فقال: إنّ آدم يشتكي وإنّه اشتهى فاكهة، قال له: فارجع فإنّ الله عزّ وجلّ قد قبض روحه، قال: فرجع فوجده قد قبضه الله فغسّلته الملائكة، ثمّ وضع وأمر هبة الله أن يتقدّم ويصلّي عليه، فتقدّم فصلّى عليه والملائكة خلفه، وأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن يكبّر عليه خمساً، وأن يسلّه وأن يسوّي قبره، ثمّ قال: هكذا فاصنعوا بموتاكم(٣).

عن سماعة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لمّا مات آدم وشمت به إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم عليه السلام فكلّ ما كان في الأرض من هذا الضّرب الّذي يتلذّذ به الناس فإنّما هو من ذاك(٤).

---

(١) التهذيب: ج ١/ص ٢١٤. وفيه: فقال هبة الله لجبرئيل ا هـ، البحار: ج ١١/ص ٢٦٠، باب ٨/ح ٣.

(٢) فروع الكافي: ج ١/ص ٢٢٤. وفي صدره: صلى في مسجد الخيف سبعمائة نبي، إن ا هـ، البحار: ج ١١/ص ٢٦٠، باب ٨/ح ٤.

(٣) الخصال: ج ١/ص ١٣٥، البحار: ج ١١/ص ٢٦٠، باب ٨/ح ٥.

(٤) فروع الكافي: ج ٢/ص ٢٠٠، البحار: ج ١١/ص ٢٦١، باب ٦/٨.

سمعت مرسلاً من الشّيوخ ومذاكرةً ولم يحضرني الآن إسناده أنّ آدم عليه السلام لمّا أهبطه الله من جنّة المأوى إلى الأرض استوحش فسأل الله تعالى أن يؤنسه بشيءٍ من أشجار الجنّة، فأنزل الله تعالى إليه النخلة، فكان يأنس بها في حياته، فلمّا حضرته الوفاة قال لولده: إنّي كنت آنس بها في حياتي وأرجو الأُنس بها بعد وفاتي، فإذا متُّ فخذوا منها جريداً وشقّوه بنصفين وضعوهما معي في أكفاني، ففعل ولده ذلك، وفعلته الأنبياء بعده، ثمّ اندرس ذلك في الجاهليّة فأحياه النبيّ صلى الله عليه وآله وفعله فصارت سنّة متّبعة(١).

الحسين بن عبدالله السّكينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام في خبر طويل أنّه عرض ملك الرّوم على الحسن بن عليّ عليه السلام صور الأنبياء فعرض عليه صنماً في صفة حسنة.

فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة شيث بن آدم عليه السلام، وكان أوّل من بعث وبلغ عمره في الدّنيا ألف سنّة وأربعين يوماً(٢).

أوّل من بعث أي بعد آدم عليه السلام أو من ذرّيّته، قال في الكامل: قيل: إنّ شيثاً كان لم يزل مقيماً بمكّة يحجّ ويعتمر إلى أن مات، وإنّه كان قد جمع ما أُنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها، وإنّه بني الكعبة بالحجارة والطّين.

وقيل: إنّه لمّا مرض أوصى إلى ابنه أنوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قيس، وكان مولده لمضيّ مائتي سنّة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم، وقيل غير ذلك، وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنّة واثنتا عشر سنة(٣).

في خبر أبي ذرّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ أربعة من الأنبياءِ سريانّيون: آدم وشيث وإدريس ونوح، وأنّ الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة(٤).

---

(١) التهذيب: ج ١/ص ٩٣، البحار: ج ١١/ص ٢٦١، باب ٨/ح ٧.

(٢) تفسير القمي: ص ٥٩٧ وفيه: وبلغ عمره ألف سنة وأربعين عاماً. وسنده يغاير ما في المتن، البحار: ج ١١/ص ٢٦١، باب ٨/ح ٩.

(٣) كامل التواريخ: ج ١/ص ٢٢، وبه قال اليعقوبي وقد تقدم قبل ذلك، البحار: ج ١١/ص ٢٦١-٢٦٢، باب ٨/ح ٩.

(٤) معاني الأخبار: ص ٩٥، الخصال: ج ٢/ص ١٠٤، البحار: ج ١١/ص ٢٦٢، باب ٨/ح ١٠.

عن مقاتل بن مقاتل، عمّن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن بدء النسل من آدم عليه السلام كيف كان؟ وعن بدء النسل من ذرّيّة آدم - وساق الحديث إلى آخر ما أوردنا في باب تزويج آدم - ثمّ قال: فلم يلبث آدم عليه السلام بعد ذلك إلاّ يسيراً حتّى مرض فدعا شيثاً وقال: يا بنيّ إنَّ أجلي قد حضر وأنا مريض، وإنّ ربّي قد أنزل من سلطانه ما قد ترى، وقد عهد إليّ فيما قد عهد أن أجعلك وصيّي وخازن ما استودعني، وهذا كتاب الوصيّة تحت رأسي وفيه أثر العلم واسم الله الأكبر، فإذا أنا متّ فخذ الصحيفة وإيّاك أن يطّلع عليها أحد، وأن تنظر فيها إلى قابل في مثل هذا اليوم الّذي يصير إليك فيه، وفيها جميع ما تحتاج إليه من أُمور دينك ودنياك، وكان آدم عليه السلام نزل بالصّحيفة الّتي فيها الوصيّة من الجنّة.

ثمّ قال آدم عليه السلام لشيث: يا بنيّ إنّي قد اشتهيت ثمرةً من ثمار الجنّة فاصعد إلى جبل الحديد فانظر من لقيته من الملائكة فاقرأه منّي السلام وقل له: إنّ أبي مريض وهو يستهديكم من ثمار الجنّة.

قال: فمضى حتّى صعد إلى الجبل فإذا هو بجبرئيل في قبائل من الملائكة، فبدأه جبرئيل بالسّلام ثمّ قال: إلى أين يا شيث؟

فقال له شيث: ومن أنت يا عبدالله؟

قال: أنا الرّوح الأمين جبرئيل.

فقال: إنّ أبي مريض وقد أرسلني إليكم وهو يقرؤكم السّلام ويستهديكم من ثمار الجنّة.

فقال له جبرئيل عليه السلام: وعلى أبيك السّلام يا شيث أما إنّه قد قبض، وإنّما نزلت لشأنه فعظّم الله على مصيبتك فيه أجرك، وأحسن على العزاء منه صبرك، وآنس بمكانه منك عظيم وحشتك، ارجع فرجع معهم ومعهم كلّ ما يصلح به أمر آدم عليه السلام قد جاؤوا به من الجنّة، فلمّا صاروا إلى آدم عليه السلام كان أوّل ما صنع شيث أن أخذ صحيفة الوصيّة من تحت رأس آدم عليه السلام فشدّها على بطنه فقال جبرئيل عليه السلام: من مثلك يا شيث قد أعطاك الله سرور كرامته وألبسك لباس عافيته؟ فلعمري لقد خصّك الله منه بأمر جليل.

ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام وشيثاً أخذا في غسله وأراه جبرئيل كيف يغسّله حتّى فرغ، ثمّ أراه كيف يكفّنه ويحنّطه حتّى فرغ.

ثمّ أراه كيف يحفر له، ثمّ إنّ جبرئيل أخذ بيد شيث فأقامه للصلاة عليه كما نقوم اليوم نحن، ثمّ قال: كبّر على أبيك سبعين تكبيرةً وعلمه كيف يصنع.

ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام أمر الملائكة أن يصطفّوا قياماً خلف شيث كما يصطفُّ اليوم خلف المصلّي على الميّت.

فقال شيث عليه السلام: يا جبرئيل ويستقيم هذا لي وأنت من الله بالمكان الّذي أنت ومعك عظماء الملائكة؟

فقال جبرئيل: يا شيث ألم تعلم أنّ الله تعالى لمّا خلق أباك آدم أوقفه بين الملائكة وأمرنا بالسجود له فكان إمامنا ليكون ذلك سنّة في ذرّيّته، وقد قبضه اليوم وأنت وصيّه ووارث علمه وأنت تقوم مقامه، فكيف نتقدّمك وأنت إمامنا؟ فصلّى بهم عليه كما أمره، ثمّ أراه كيف يدفنه فلمّا فرغ من دفنه وذهب جبرئيل عليه السلام ومن معه ليصعدوا من حيث جاؤوا بكى شيث ونادى: يا وحشتاه.

فقال له جبرئيل: لا وحشة عليك مع الله تعالى يا شيث، بل نحن نازلون عليك بأمر ربّك وهو يؤنسك فلا تحزن وأحسن ظنّك بربّك فإنّه بك لطيف وعليك شفيق. ثمّ صعد جبرئيل ومن معه، وهبط قابيل من الجبل وكان على الجبل هارباً من أبيه آدم عليه السلام أيّام حياته لا يقدر أن ينظر إليه، فلقي شيثاً فقال: يا شيث إني إنّما قتلت هابيل أخي لأنّ قربانه تقبّل ولم يتقبّل قرباني، وخفت أن يصير بالمكان الّذي قد صرت أنت اليوم فيه، وقد صرت بحيث أكره وإن تكلّمت بشيء ممّا عهد إليك به أبي لأقتلنك كما قتلت هابيل.

قال زرارة: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام بيده إلى فمه فأمسكه يعلّمنا، أي هكذا أنا ساكت فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة معشر شيعتنا! فتمكّنوا عدوّكم من رقابكم فتكونوا عبيداً لهم بعد إذ أنتهم أربابهم وساداتهم، فإنّ في التقيّة منهم لكم ردّاً عمّا قد أصبحوا فيه من الفضائح بأعمالهم الخبيثة علانية، وما يرون منكم من تورّعكم

عن المحارم وتنزّهكم عن الأشربة السوء والمعاصي وكثرة الحجّ والصلاة وترك كلامهم[١].

عن عليّ ابن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ ابن آدم حين قتل أخاه قتل شرُّهما خيرهما فوهب الله لآدم ولداً فسمّاه هبة الله وكان وصيّه، فلمّا حضر آدم عليه السلام وفاته قال: يا هبة الله قال: لبّيك.

قال: انطلق إلى جبرئيل فقل: إنّ أبي آدم يقرؤك السلام ويستطعمك من طعام الجنّة وقد اشتاق إلى ذلك، فخرج هبة الله فاستقبله جبرئيل فأبلغه ما أرسله به أبوه إليه.

فقال له جبرئيل: رحم الله أباك، فرجع هبة الله وقد قبض الله تعالى آدم عليه السلام فخرج به هبة الله وصلّى عليه وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة، سبعين لآدم وخمسة لأولاده من بعده[٢].

عن عبد الحميد ابن أبي الديلم، عن الصادق عليه السلام قال: أوحى الله إلى آدم عليه السلام أنّ قابيل عدوّ الله قتل أخاه، وإنّي أُعقبك منه غلاماً يكون خليفتك ويرث علمك ويكون عالم الأرض وربّانيّها بعدك، وهو الّذي يدعى في الكتب شيثاً وسمّاه أبا محمّد هبة الله، وهو اسمه بالعربيّة، وكان آدم بشّر بنوح عليه السلام وقال: إنّه سيأتي نبيّ من بعدي اسمه نوح فمن بلغه منكم فليسلّم له، فإنّ قومه يهلكون بالغرق إلاّ من آمن به وصدّقه فيما قيل لهم وما أُمروا به[٣].

عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أرسل آدم ابنه إلى جبرئيل عليه السلام فقال: قل له: يقول لك أبي: أطعمني من زيت الزّيتون الّتي في موضع كذا وكذا من الجنّة، فلقاه جبرئيل فقال له: ارجع إلى أبيك فقد قبض وأُمرنا بإجهازه والصّلاة عليه.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٥٤-٥٧/ح ٣٢، البحار: ج ١١/ ص ٢٦٢-٢٦٤، باب ٨/ ح ١١.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٥٩/ الفصل ٧/ ح ٣٤، البحار: ج ١١/ ص ٢٦٤، باب ٨/ ح ١٢.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٦٢/ الفصل ٨/ ح ٤٢، البحار: ج ١١/ ص ٢٦٤، باب ٨/ ح ١٣.

قال: فلمّا جهّزوه قال جبرئيل: تقدّم يا هبة الله فصلّ على أبيك، فتقدّم وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة، سبعين تفضيلاً لآدم عليه السلام وخمساً للسنّة.

قال: وآدم عليه السلام لم يزل يعبد الله بمكّة حتّى إذا أراد أن يقبضه بعث إليه الملائكة معهم سرير وحنوط وكفن من الجنّة، فلمّا رأت حوّاء عليها السلام الملائكة ذهبت لتدخل بينه وبينهم، فقال لها آدم: خلّي بيني وبين رسل ربّي، فقبض فغسّلوه بالسدر والماءِ ثمّ لحّدوا قبره، وقال: هذا سنّة ولده من بعده، فكان عمره منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة وستّاً وثلاثين سنة، ودفن بمكّة وكان بين آدم ونوح عليه السلام ألف وخمسمائة سنة[1].

بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: لمّا حضر آدم الوفاة أوصى إلى شيث وحفر لآدم في غار في أبي قيس يقال له غار الكنز، فلم يزل آدم عليه السلام في ذلك الغار حتّى كان زمن الغرق استخرجه نوح عليه السلام في تابوت وجعله معه في السّفينة[2].

عن المفضّل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السّفينة أنّ يطوف بالبيت أُسبوعاً فطاف بالبيت أسبوعاً كما أوحى الله إليه، ثمّ نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السّفينة حتّى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف، ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض: ﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾[3] فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها وتفرّق الجمع الّذي كان مع نوح في السفينة فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغريّ[4].

عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٦٥/ الفصل ١٠/ح ٤٤، البحار: ج ١١/ ص ٢٦٦-٢٦٧، باب ٨/ ح ١٥.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٧٢/ الفصل ١٢/ح ٥٥، البحار: ج ١١/ ص ٢٦٧، باب ٨/ح ١٧.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٤) كامل الزيارة: ص ٣٨-٣٩، البحار: ج ١١/ ص ٢٦٨، باب ٨/ح ١٨.

النبيّ ﷺ: عاش آدم أبو البشر تسعمائة وثلاثين سنة[(١)].

اعلم أنّ الناس اختلفوا في عمر آدم عليه السلام فروى العامّة عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ أنّه كان كتب له ألف سنة فوهب ستّين لدواد عليه السلام ثمّ رجع، ورووا عن ابن عبّاس أنه وهب من الألف أربعين فجحد، فأكمل الله لآدم ألف سنة، ولداود عليه السلام مائة سنة، ورووا مثل ذلك عن جماعة منهم سعيد بن جبير، ورووا أنّه قال ابن عبّاس: كان عمره تسعمائة وستّاً وثلاثين سنة، وأهل التّوراة يزعمون أنّ عمره تسعمائة وثلاثون سنة، وقال ابن الأثير في الكامل: على رواية أبي هريرة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما في التوراة فلعلّ الله ذكر عمره في التّوراة سوى ما وهبه لداود؛ انتهى[(٢)].

وقال المسعوديّ: توفّي يوم الجمعة لستّ خلون من نيسان في السّاعة الّتي كان فيها خلقه، وكان عمره تسعمائة وثلاثين سنة؛ انتهى[(٣)].

وذكر السيّد في سعد السّعود من صحف إدريس عليه السلام مرضه عشرة أيّام بالحمّى ووفاته يوم الجمعة لإحدى عشر يوماً خلت من المحرّم، ودفنه في غار في جبل أبي قبيس، ووجهه إلى الكعبة، وأنّ عمره عليه السلام من وقت نفخ الرّوح إلى وفاته ألف سنة وثلاثين.

وأنّ حوّاء عليها السلام ما بقيت بعده إلاّ سنة ثمّ مرضت خمسة عشر يوماً ثمّ توفّيت ودفنت إلى جنب آدم عليه السلام. ثمّ قال: ونبّأ الله شيثاً وأنزل عليه خمسين صحيفة فيها دلائل الله وفرائضه وأحكامه وسننه وشرائعه وحدوده، فأقام بمكّة يتلو تلك الصحّف على بني آدم ويعلّمها ويعبد الله ويعمّر الكعبة فيعتمر في كلّ شهر ويحجّ في أوان الحجّ حتّى تمّ له تسعمائة سنة واثنا عشر سنة فمرض فدعا ابنه أيوس فأوصى به إليه وأمره بتقوى الله، ثمّ توفّي فغسله أيوس ابنه وقينان بن أيوس

---

(١) البحار: ج ١١/ص ٢٦٨، باب ٨/ح ١٩.
(٢) كامل التواريخ: ج ١/ص ٢١، البحار: ج ١١/ص ٢٦٨، باب ٨/ج ١٩.
(٣) مروج الذهب: ج ١/ص ١٧. وبه قال اليعقوبي في التاريخ، وقال المسعودي في إثبات الوصية: وكان عمره ألف سنة وهب لداود منها سبعين سنة فصار عمره بعد ذلك تسعمائة وثلاثين سنة. البحار: ج ١١/ص ٢٦٩، باب ٨/ح ٦٩.

ومهلائيل بن قينان، فتقدّم أيوس فصلّى عليه ودفنوه عن يمين آدم في غار أبي قبيس[١].

ثمّ قال السيّد رضي الله عنه : وجدت في السفر الثالث من التوراة أنّ حياة آدم كانت تسعمائة وثلاثين سنة، وقال محمّد بن خالد البرقيّ رحمه الله : إنّ عمر آدم عليه السلام كان تسع مائة وستّاً وثلاثين سنّة ذكر ذلك في كتاب البداء عن الصّادق عليه السلام [٢].



(١) سعد السعود: ص ٣٧-٣٨، البحار: ج ١١/ ص ٢٦٩/ باب ٨/ح ١٩.

(٢) سعد السعود: ص ٤٠. وفيه تسعمائة وست وثلاثون ا هـ. البحار: ج١١/ ص٢٦٩/ باب ٨ ح ١٩.

قصص إدريس

الآيات: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[(١)].

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾[(٢)].

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي القرآن ﴿إِدْرِيسَ﴾ هو جدّ أب نوح عليه السلام، واسمه في التوراة أُخنوخ.

وقيل: إنّه سمّي إدريس لكثرة درسه الكتب وهو أوّل من خطّ بالقلم، وكان خيّاطاً، وأوّل من خاط الثياب.

وقيل: إنّ الله سبحانه علّمه النجوم والحساب وعلم الهيئة وكان ذلك معجزةً له ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ أي كثير التصديق في أُمور الدين.

وقيل: صادقاً مبالغاً في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى ﴿نَبِيًّا﴾ أي عليّاً رفيع الشأن برسالات الله تعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أي عالياً رفيعاً؛ وقيل: إنّه رفع إلى السماء السادسة، عن ابن عبّاس والضحّاك؛ وقال مجاهد: رفع إدريس كما رفع عيسى وهو حيّ لم يمت.

وقال آخرون: إنّه قبض روحه بين السماءِ الرابعه والخامسة، وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام؛ وقيل: إنَّ معناه: ورفعناه محلّه ومرتبته بالرسالة ولم يرد رفعة المكان[(٣)].

---

(١) سورة مريم: الآيتين ٥٦ . ٥٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية، ٨٦.

(٣) مجمع البيان ج ٦/٥١٩، البحار: ج ١١/ص ٢٧٠/باب ٩.

بالإسناد إلى وهب أنّ إدريس عليه السلام كان رجلاً ضخم البطن، عريض الصدر، قليلاً شعر الجسد، كثيراً شعر الرأس، وكانت إحدى أُذنيه أعظم من الأُخرى، وكان دقيق الصدر، دقيق المنطق، قريب الخطاء إذا مشى، وإنّما سمّي إدريس لكثرة ما كان يدرس من حكم الله عزّ وجلّ وسنن الإسلام وهو بين أظهر قومه، ثمّ إنّه فكّر في عظمة الله وجلاله فقال: إنّ لهذه السماوات ولهذه الأرضين ولهذا الخلق العظيم والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطرو وهذه الأشياء الّتي تكون لربّاً يدبّرها ويصلحها بقدرته فكيف لي بهذا الربّ فأعبده حقّ عبادته، فجلا بطائفة من قومه فجعل يعظهم ويذكّرهم ويخوّفهم ويدعوهم إلى عبادة خالق الأشياء، فلا يزال يجيبه واحد بعد واحد حتّى صاروا سبعة ثمّ سبعين إلى أنّ صاروا سبعمائة ثمّ بلغوا ألفاً، فلمّا بلغوا ألفاً قال لهم: تعالو نختر من خيارنا مائة رجل، فاختاروا من خيارهم مائة رجل، واختاروا من المائة سبعين رجلاً، ثمّ اختاروا من السبعين عشرة، ثمّ اختاروا من العشرة سبعة، ثمّ قال لهم: تعالوا فليدع هؤلاء السبعة وليؤمّن بقيّتنا فلعلّ هذا الربّ جلّ جلاله يدلّنا على عبادته فوضعوا أيديهم على الأرض ودعوا طويلاً فلم يتبيّن لهم شيء، ثمّ رفعوا أيديهم إلى السماء فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إدريس عليه السلام ونبّأه ودلّه على عبادته، ومن آمن معه فلم يزالوا يعدون الله عزّ وجلّ لا يشركون به شيئاً حتّى رفع الله عزّ وجلّ إدريس إلى السماء وانقرض من تابعه على دينه إلاّ قليلاً، ثمّ إنّهم اختلفوا بعد ذلك وأحدثوا الأحداث وأبدعوا البدع حتّى كان زمان نوح عليه السلام (١).

عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: كان بدء نبوّة إدريس عليه السلام أنّه كان في زمانه ملك جبّار وإنّه ركب ذات يوم في بعض نزهه فمرّ بأرض خضرة لعبد مؤمن من الرافضة فأعجبته، فسأل وزراءه: لمن هذه الأرض؟

قالوا: لعبد من عبيد الملك فلان الرافضيّ، فدعابه فقال له: أمتعني بأرضك هذه، فقال لها: عيالي أحوج إليها منك، قال: فسمني بها أثمن لك.

(١) علل الشرائع: ص ٢١؛ البحار ج ١١/ص ٢٧٠ - ٢٧١/ باب ٩/ح١.

قال: لا أمتعك ولا أسومك دع عنك ذكرها، فغضب الملك عند ذلك وأسف وانصرف إلى أهله وهو مغمومٌ مفكّرٌ في أمره، وكانت له امرأة من الأزارقة[١] وكان بها معجباً يشاورها في الأمر إذا نزل به، فلمّا استقرّ في مجلسه بعث إليها ليشاورها في أمر صاحب الأرض فخرجت إليه فرأت في وجهه الغضب، فقالت له: أيّها الملك ما الّذي دهاك حتّى بدا الغضب في وجهك قبل فعلك فأخبرها بخبر الأرض وما كان من قوله لصاحبها ومن قول صاحبها له.

فقالت: أيّها الملك إنّما يغتمّ ويأسف من لا يقدر على التغيير والانتقام وإن كنت تكره أن تقتله بغير حجّة فأنا أكفيك أمره وأُصيّر أرضه بيدك بحجّة لك فيها العذر عند أهل مملكتك.

قال: وما هي؟ قالت: أبعث إليه أقواماً من أصحابي أزراقة حتّى يأتوك به فيشهدوا عليه عندك إنّه قد برئ من دينك فيجوز لك قتله وأخذ أرضه.

قال: فافعلي ذلك.

قال: فكان لها أصحاب من الأزارقة على دينها يرون قتل الرافضة من المؤمنين، فبعثت إلى قوم منهم فأتوهم فأمرتهم أن يشهدوا على فلان الرافضيّ عند الملك أنّه قد برئ من دين الملك فشهدوا عليه أنّه قد برئ من دين الملك فقتله واستخلص أرضه، فغضب الله للمؤمن عند ذلك فأوحى الله إلى إدريس عليه السلام أن ائت عبدي هذا الجبّار فقل له: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتّى استخلصت أرضه خالصةً لك فأحوجت عياله من بعده وأجعتهم؟ أما وعزّتي لأنتقمنّ له منك في الآجل، ولأسلبنّك ملكك في العاجل، ولأُخرّبنّ مدينك، ولأُذلنّ عزّك، ولأُطعمنّ الكلاب لحم امرأتك، فقد غرّك يا مبتلى حلمي عنك.

فأتاه إدريس عليه السلام برسالة ربّه وهو في مجلسه وحوله أصحابه. فقال: أيّها الجبّار إنّي رسول الله إليكم وهو يقول لك: أما رضيت أنّ قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتّى استخلصت أرضه خالصة لك، وأحوجت عياله من بعده وأجعتهم؟ أما

(١) أي كانت بصفة الأزارقة، فكما أن الأزارقة يرون غير أهل نحلتهم مشركاً ويستحلون دمه وأمواله فكذلك هي المرأة والأزارقة فرقة من الخوارج.

وعزّتي لأنتقمنّ له منك في الآجل، ولأسلبنّك ملكك في العاجل، ولأُخرّ بنّ مدينتك، ولأُذّلنّ عزّك، ولأُطعمنّ الكلاب لحم امرأتك، فقال الجبّار: اخرج عنّي يا إدريس فلن تسبقني بنفسك، ثمَّ أرسل إلى امرأته فأخبرها بما جاء به إدريس.

فقالت: لا يهولنّك رسالة إله إدريس، أنا أُرسل إليه من يقتله فتبطل رسالة إلهه وكلّ ما جاءك به.

قال: فافعلي، وكان لإدريس أصحاب من الرّافضة مؤمنون يجتمعون إليه في مجلس له فيأنسون به ويأنس بهم، فأخبرهم إدريس بما كان من وحي الله عزّوجلّ إليه ورسالته إلى الجبّار وما كان من تبليغ رسالة الله إلى الجبّار، فأشفقوا على إدريس وأصحابه وخافوا عليه القتل، وبعثت امرأة الجبّار إلى إدريس أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوه فأتوه في مجلسه الّذي كان يجتمع إليه فيه أصحابه فلم يجدوه، فانصرفوا وقد رآهم أصحاب إدريس فحسّوا أنّهم أتوا إدريس ليقتلوه فتفرَّقوا في طلبه فلقوا فقالوا له: خذ حذرك يا إدريس فإنّ الجبّار قاتلك، قد بعث اليوم أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوك فاخرج من هذه القرية، فتنحّى إدريس عن القرية من يوم ذلك ومعه نفر من أصحابه، فلمّا كان في السّحر ناجى إدريس ربّه.

فقال: يا ربّ بعثتني إلى جبّار فبلّغت رسالتك، وقد توعّدني هذا الجبّار بالقتل، بل هو قاتلي إن ظفر بي، فأوحى الله إليه أن تنحّ عنه واخرج من قريته وخلّني وإيّاه، فوعزّتي لأُنفذنّ فيه أمري، ولأُصدّقنّ قولك فيه وما أرسلتك به إليه.

فقال إدريس: يا ربّ إنّ لي حاجة، قال الله: سلها تعطها.

قال: أسألك أن لا تمطر السماء على أهل هذه القرية وما حولها وما حوت عليه حتّى أسألك ذلك.

قال الله عزّوجلّ: يا إدريس إذاً تخرّب القرية ويشتدّ جهد أهلها ويجوعون.

فقال إدريس: وإن خربت وجهدوا وجاعوا.

قال الله: فإنّي قد أعطيتك ما سألت ولن أُمطر السماء عليهم حتّى تسألني ذلك وأنا أحقّ من وفى بعهده، فأخبر إدريس أصحابه بما سأل الله عزّوجلّ من حبس

المطر عنهم وبما أوحى الله إليه ووعده أن لا يمطر السماء عليهم حتّى أسأله ذلك، فاخرجوا أيّها المؤمنون من هذه القرية إلى غيرها من القرى، فخرجوا منها وعدّتهم يومئذ عشرون رجلاً فتفرّقوا في القرى، وشاع خبر إدريس في القرى بما سأل الله تعالى، وتنحّى إدريس إلى كهف في الجبل شاهق فلجأ إليه ووكّل الله عزّوجلّ به ملكاً يأتيه بطعامه عند كلّ مساء وكان يصوم النهار فيأتيه الملك بطعامه عند كلّ مساء، وسلب الله عزّوجلّ عند ذلك ملك الجبّار وقتله وأخرب مدينته وأطعم الكلاب لحم امرأته غضباً للمؤمن، وظهر في المدينة جبّار آخر عاص فمكثوا بذلك بعد خروج إدريس من القرية عشرين سنة لم تمطر السماء قطرةً من مائها عليهم، فجهد القوم واشتدّت حالهم وصاروا يمتارون الأطعمة من القرى من بعد، فلمّا جهدوا مشى بعضهم إلى بعض فقالوا: إنّ الّذي نزل بنا ممّا ترون بسؤال إدريس ربّه أن لا يمطر السماء علينا حتّى يسأله هو، وقد خفي إدريس عنّا ولا علم لنا بموضعه والله أرحم بنا منه، فأجمع أمرهم على أن يتوبوا إلى الله ويدعوه ويفزعوا إليه ويسألوه أن يمطر السّماء عليهم وعلى ما حوت قريتهم، فقاموا على الرماد ولبسوا المسوح، وحثوا على رؤوسهم التراب ورجعوا إلى الله عزّوجلّ بالتّوبة والاستغفار والبكاء والتضرّع إليه، وأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إدريس أهل قريتك قد عجّوا إليّ بالتوبة والاستغار والبكاء والتضرّع، وأنا الله الرحمن الرحيم أقبل التوبة وأعفو من السيّئة وقد رحمتهم، ولم يمنعني إجابتهم إلى ما سألوني من المطر إلاّ مناظرتك فيما سألتني أن لا أُمطر السماء عليهم حتّى تسألني، فاسألني يا إدريس حتّى أُغيثهم وأُمطر السماء عليهم.

قال إدريس: اللّهمّ إنّي لا أسألك ذلك، قال الله عزّوجلّ: ألم تسألني يا إدريس فسلني.

قال إدريس: اللّهمّ إنّي لا أسألك، فأوحى الله عزّوجلّ إلى الملك الّذي أمره أن يأتي إدريس بطعامه كلّ مساء أن احبس عن إدريس طعامه ولا تأته به، فلمّا آمسى إدريس في ليلة ذلك اليوم فلم يؤت بطعامه حزن وجاع فصبر، فلمّا كان في اليوم الثاني فلم يؤت بطعامه اشتدّ حزنه وجوعه، فلمّا كانت اللّيلة من اليوم الثالث فلم يؤت بطعامه اشتدَّ جهده وجوعه وحزنه وقلّ صبره فنادى ربّه: يا ربّ حبست عنّي رزقي من قبل أن تقبض روحي؟!

فأوحى الله عزوجل إليه: يا إدريس جزعت أنّ حبست عنك طعامك ثلاثة أيّام ولياليها، ولم تجزع ولم تنكر جوع أهل قريتك وجهدهم منذ عشرين سنة؟! ثمّ سألتك عن جهدهم ورحمتي إيّاهم أن تسألني أن أُمطر السماء عليهم فلم تسألني وبخلت عليهم بمسألتك إيّاي فأذقتك الجوع فقلّ عند ذلك صبرك وظهر جزعك، فاهبط من موضعك فاطلب المعاش لنفسك فقد وكلتك في طلبه إلى حيلك، فهبط إدريس من موضعه إلى غيره يطلب أُكلةً من جوع، فلمّا دخل القرية نظر إلى دخان في بعض منازلها فأقبل نحوه فهجم على عجوز كبيرة وهي ترقّق قرصتين لها على مقلاة فقال لها: أيّتها المرأه أطعميني فإنّي مجهود من الجوع.

فقالت له: يا عبد الله ما تركت لنا عدوة إدريس فضلاً نطعمه أحداً - وحلفت أنّها ما تملك شيئاً غيره - فاطلب المعاش من غير أهل هذه القرية.

قال لها: أطعميني ما أُمسك به روحي وتحملني به رجلي إلى أن أطلب.

قالت: إنّهما قرصتان: واحدةٌ لي والأُخرى لابني فإن أطعمتك قوتي متُّ، وإن أطعمتك قوت ابني مات، وما هنا فضل أُطعمكاه.

فقال لها: إنّ ابنك صغير يجزيه نصف قرصة فيحيى بها ويجزيني النصف الآخر فأحيى به وفي ذلك بلغةٌ لي وله، فأكلت المرأة قرصها وكسرت القرص الآخر بين إدريس وبين ابنها، فلمّا رأى ابنها إدريس يأكل من قرصه اضطرب حتّى مات.

قالت أُمّه: يا عبدالله قتلت عليّ ابني جزعاً على قوته؟!

قال إدريس: فأنا أُحييه بإذن الله تعالى فلا تجزعي، ثمّ أخذ إدريس بعضدي الصبيّ ثمّ قال: أيّتها الروح الخارجة من بدن هذا الغلام بإذن الله ارجعي إلى بدنه بإذن الله وأنا إدريس النبيّ، فرجعت روح الغلام إليه بإذن الله فلمّا سمعت المرأة كلام إدريس وقوله: أنا إدريس ونظرت إلى ابنها قد عاش بعد الموت قالت: أشهد أنّك إدريس النبيّ، وخرجت تنادي بأعلى صوتها في القرية: ابشروا بالفرج فقد دخل إدريس قريتكم، ومضى إدريس حتّى جلس على موضع مدينة الجبّار الأوّل وهي على تلّ فاجتمع إليه أُناس من أهل قريته فقالوا له: يا إدريس أما

رحمتنا في هذه العشرين سنة الّتي جهدنا فيها مسّنا الجوع والجهد فيها؟ فادع الله لنا أنّ يمطر السماء علينا.

قال: لا حتّى يأتيني جبّاركم هذا وجميع أهل قريتكم مشاةً حفاةً فيسألوني ذلك، فبلغ الجبّار قوله فبعث إليه أربعين رجلاً يأتوه بإدريس، فأتوه فقالوا له: إنّ الجبّار بعث إليك لتذهب إليه فدعا عليهم فماتوا، فبلغ الجبّار ذلك فبعث إليه خمسمائة رجل ليأتوه به فقالوا له: يا إدريس إنّ الجبّار بعثنا إليك لنذهب بك إليه.

فقال لهم إدريس: انظروا إلى مصارع أصحابكم.

فقالوا له: يا إدريس قتلتنا بالجوع منذ عشرين سنة ثمّ تريد أن تدعو علينا بالموت! أما لك رحمة؟

فقال: ما أنا بذاهب إليه، ولا أنا بسائل الله أن يمطر السماء عليكم حتّى يأتيني جبّاركم ماشياً حافيا وأهل قريتكم، فانطلقوا إلى الجبّار فأخبروه وبقول إدريس واسألوه أن يمضي معهم وجميع أهل قريتهم إلى إدريس حفاةً مشاةً، فأتوه حتّى وقفوا بين يديه خاضعين له طالبين إليه أن يسأل الله لهم أن يمطر السماء عليهم، فقال لهم إدريس: أمّا الآن فنعم، فسأل الله تعالى إدريس عند ذلك أن يمطر السماء عليهم وعلى قريتهم ونواحيها فأظلّتهم سحابة من السماء وأرعدت وأبرقت وهطلت عليهم من ساعتهم حتّى ظنّوا أنّها الغرق فما رجعوا إلى منازلهم حتّى أهمّتهم أنفسهم من الماءِ[(١)].

أبي عن ابن أبي عمير، عمّن حدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر، فلمّا بعث الله إدريس عليه السلام جاء ذلك الملك إليه فقال: يا نبيّ الله ادع الله أن يرضى عنّي ويردّ عليّ جناحي.

قال: نعم، فدعا إدريس ربّه فردّ الله عليه جناحه ورضي عنه.

قال الملك لإدريس: ألك إليّ حاجة؟

قال: نعم، أُحبّ أن ترفعني إلى السماء حتّى أنظر إلى ملك الموت، فإنّه لا

(١) كمال الدين: ص ٧٦ - ٧٨؛ البحار ج ١١/ص ٢٧١ - ٢٧٦/ باب ٩/ ح ٢.

تعيّش لي مع ذكره، فأخذه الملك إلى جناحه حتّى انتهى به إلى السماء الرابعة فإذا ملك الموت جالسٌ يحرّك رأسه تعجّباً، فسلّم إدريس على ملك الموت وقال له: مالك تحرّك رأسك؟

قال: إنّ ربّ العزّة أمرني أنّ أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة.

فقلت: ربّ كيف يكون هذه وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام (ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام خ ل) وكلّ سماء وما بينهما كذلك، فكيف يكون هذا؟! ثمّ قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1] قال: وسمّي إدريس لكثرة دراسة الكتب[2].

معنى إدريس أنّه كان يكثر الدرس بحكم الله عزّ وجلّ وسنن الإسلام[3].

في خبر أبي ذرّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة[4].

فيما احتجّ به أمير المؤمنين عليه السلام على يهوديّ الشام: إنّ إدريس عليه السلام رفعه الله مكاناً عليّاً، وأُطعم من تحف الجنّة بعد وفاته[5].

عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ ملكاً من الملائكة كانت له منزلة فأهبطه الله من السماء إلى الأرض فأتى إدريس النبيّ عليه السلام فقال له: اشفع لي عند ربّك، فصلّى ثلاث ليال لا يفتر وصام أيّامها لا يفطر ثمّ طلب إلى الله في السحر للملك فأذن له في الصعود إلى السماء.

فقال له الملك: أُحبّ أن أُكافيك فاطلب إليّ حاجة.

فقال: تريني ملك الموت ل عليّ آنس به فإنّه ليس يهنؤني مع ذكره شيء، فبسط جناحيه ثمّ قال: اركب، فصعد به فطلب ملك الموت في سماء الدنيا فقيل: إنّه قد

---

(١) سورة مريم: الآية ٥٧.

(٢) تفسير القمي: ص ٤١١ - ٤١٢. وفي نسخة لكثرة دراسته للكتب؛ البحار ج ١١/ ص ٢٧٧/ باب ٩/ح٣.

(٣) معاني الأخبار: ص ١٨، البحار ج ١١/ ص ٢٧٧/ باب ٩/ح ٤.

(٤) الخصال ج ٢/ ص ١٠٤، معاني الأخبار: ص ٩٥؛ البحار ج ١١/ ٢٧٧/ باب ٩/ح ٥.

(٥) الإحتجاج: ص ١١١، البحار ج ١١/ ص ٢٧٧/ باب ٩/ ح ٦.

صعد، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة فقال الملك لملك الموت: مالي أراك قاطباً؟

قال: أتعجّب إنّي كنت تحت ظلّ العرش حتّى أُمرت أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس ذلك فانتفض من جناح الملك وقبض ملك الموت روحه مكانه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾(١) (٢).

عن ابن عبّاس قال: كان إدريس النبيّ عليه السلام يسيح النهار ويصومه ويبيت حيث ما جنّه اللّيل ويأتيه رزقه حيث ما أفطر، وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الأرض كلّهم، فسأل ملك الموت ربّه في زيارة إدريس عليه السلام وأن يسلّم. عليه، فأذن له فنزل وأتاه، فقال: إنّي أُريد أن أصحبك فأكون معك، فصحبه وكانا يسيحان النّهار ويصومانه فإذا جنّهما اللّيل أُتي إدريس فطره فيأكل ويدعو ملك الموت إليه فيقول: لا حاجة لي فيه: ثمّ يقومان يصلّيان، وإدريس يصلّي ويفتر وينام، وملك الموت يصلّي ولا ينام ولا يفتر، فمكثا بذلك أيّاماً ثمّ إنّهما مرّا بقطيع غنم وكرم قد أينع.

فقال ملك الموت: هل لك أنّ تأخذ من ذلك حملاً أو من هذا عناقيد فنفطر عليه؟

فقال: سبحان الله أدعوك إلى مالي فتأبى فكيف تدعوني إلى مال الغير!؟

ثمّ قال إدريس عليه السلام: قد صحبتني وأحسنت فيما بيني وبينك من أنت؟

قال: أنا ملك الموت.

قال إدريس: لي إليك حاجة.

فقال: وما هي؟

قال: تصعد بي إلى السّماء، فاستأذن ملك الموت ربّه في ذلك فأذن له، فحمله

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٦-٥٧.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٧٦-٧٧، المتصل ١/ح ٥٩، البحار: ج ١١/ص ٢٧٨، باب ٩/ح ٧.

على جناحه فصعد به إلى السماء، ثمّ قال له إدريس عليه السلام: إنّ لي إليك حاجة أُخرى.

قال: وما هي؟

قال: بلغني من الموت شدّة فأُحبّ أن تذيقني منه طرفاً فأنظر هو كما بلغني، فاستأذن ربّه له فأذن فأخذ بنفسه ساعة ثمّ خلّى عنه.

فقال له: كيف رأيت؟

قال: بلغني عنه شدّة وأنّه لأشدّ ممّا بلغني، ولي إليك حاجة أُخرى تريني النار، فاستأذن ملك الموت صاحب النّار، ففتح له فلمّا رآها إدريس عليه السلام سقط مغشيّاً عليه، ثمّ قال: لي إليك حاجة أُخرى تريني الجنّة، فاستأذن ملك الموت خازن الجنّة فدخلها فلمّا نظر إليها قال: يا ملك الموت ما كنت لأخرج منها، إنّ الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1] وقد ذقته، ويقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[2] وقد وردتها، ويقول في الجنّة: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[3] [4].

عن ابن مهران، عن الصّادق عليه السلام قال: إذا دخلت الكوفة فأت مسجد السّهلة فصلّ فيه واسأل الله حاجتك لدينك ودنياك، فإنّ مسجد السهلة بيت إدريس النبيّ عليه السلام الّذي كان يخيط فيه ويصلّي فيه، ومن دعا الله فيه بما أحبّ قضى له حوائجه ورفعه يوم القيامة مكاناً عليّاً إلى درجة إدريس عليه السلام، وأُجير من مكروه الدنيا ومكائد أعدائه[5].

وقال المسعوديّ: أُخنوخ هو إدريس النبيّ عليه السلام والصابئة تزعم أنّه هرمس، ومعنى هرمس عطارد، وهو الّذي أخبر الله في كتابه أنّه رفعه مكاناً عليّاً، وكان عالماً بالنجوم، وكانت حياته في الأرض ثلاثمائة سنة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥، وسورة الأنبياء، الآية: ٣٥، وسورة العنكبوت، الآية: ٥٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

(٤) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧٧-٧٨، الفصل ١/ح ٦٠، البحار: ١١/ص ٢٧٨-٢٧٩، باب ٩/ح ٨.

(٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص: ٨٠-٨١، الفصل ٢/ح ٦٤، البحار: ج ١١/ص ٢٨٠، باب ٩/ح ١٠.

وقيل: أكثر من ذلك، وهو أوّل من طرّز الطرز وخاط بالإبرة، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة، وكان نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة ونزل على شيث تسعة وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح(١).

وقال الطبرسيّ رحمه الله والرّازيّ: إنّه جدّ أبي نوح عليه السلام واسمه أُخنوخ، وهو أوّل من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود(٢).

وقال ابن الأثير في الكامل: قام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت يديه من رعيّته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل، وكان جميع عمر أنوش سبعمائة وخمس سنين، وكان مولده بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستّمائة وخمس سنين، هذا قول أهل التوراة.

وقال ابن عبّاس: ولّد شيث أنوش ومعه نفراً كثيراً وإليه أوصى شيث، ثمّ ولد لأنوش ابنه قينان بعد مضيّ تسعين سنّة من عمر أنوش، وولّد معه نفراً كثيراً وإليه الوصيّة، وولّد قينان مهلائيل وولداً كثيراً معه، وإليه الوصيّة، وولّد مهلائيل يرد، - وقيل: يارد - ونفراً معه وإليه الوصيّة، فولّد يرد خنوخ وهو إدريس النبيّ عليه السلام ونفراً معه وإليه الوصيّة(٣).

ثمّ قال: والحكماء اليونانيّون يسمّونه هرمس الحكيم، فعاش يرد بعد مولد إدريس ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستّين سنة، وتوفّي آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر إدريس ثلاثمائة سنة وثمان وستّون.

قال: وفي التوراة: أنّ الله رفع إدريس بعد ثلاثمائة سنة وخمس وستّين سنة من عمره، وبعد أنّ مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمساً وثلاثين سنة، تمام تسعمائة واثنتين وستّين سنة(٤).

---

(١) مروج الذهب: ج ١/ ص ١٨. وقد فصل ترجمته في إثبات الوصية: ص ١١. وقال: وفي أيامه ملك بيوراسب من ولد قابيل ألف سنة، وقال كان منزله مسجد السهلة بظاهر الكوفة، وقال: وكانت سنه في الوقت الذي رفع فيه ثلاث مائة وستاً وخمسين سنة.

(٢) مجمع البيان: ج ٦/ ص ٥١٩، مفاتيح الغيب ٥٥/ ص ٥٦٦ البحار: ج ١١/ ص ٢٨٠، باب ٩ (رقم ١٠).

(٣) كامل التواريخ: ج ١/ ص ٢٢؛ البحار: ج ١١/ ص ٢٨٠-٢٨١، باب ٩ رقم (١٠).

(٤) كامل التواريخ: ج ١/ ص ٢٤، البحار: ج ١١/ ص ٢٨٢، باب ٩ رقم (١٠).

ثمّ قال: ولد لخنوخ متوشلخ فعاش بعد ما ولد متوشلخ ثلاثمائة سنة، ثمّ رفع واستخلفه خنوخ على أمر ولده فعاش تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة، ثمّ مات وأوصى إلى ابنه لمك وهو أبو نوح عليه السلام [١].

وقال السيّد ابن طاوس في كتاب سعد السعود: وجدت في صحف إدريس عليه السلام: فكأنّك بالموت قد نزل، فاشتدَّ أنينك، وعرق جبينك، وتقلّصت شفتاك، وانكسر لسانك، ويبس ريقك، وعلا سواد عينيك بياض، وأزبد فوك، واهتزّ جميع بدنك، وعالجت غصّة الموت وسكرته ومرارته وزعقته، ونوديت فلم تسمع، ثمّ خرجت نفسك وصرت جيفة بين أهلك، إنّ فيك لعبرة لغيرك، فاعتبر في معاني الموت، إنّ الّذي نزل نازل بك لا محالة، وكلّ عمر وإن طال فعن قليل يفنى، لأنّ كلّ ما هو آت قريبٌ لوقت معلوم، فاعتبر بالموت يا من يموت، واعلم أيّها الإنسان أنّ أشدّ الموت ما قبله، والموت أهون ممّا بعده من شدّة أهوال يوم القيامة، ثمّ ذكر من أحوال الصيحة والفناءِ ويوم القيامة ومواقف الحساب والجزاءِ ما يعجز عن سماعه قوّة الأقوياء [٢].

عن عبدالله بن أبان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مسجد السهلة موضع بيت إدريس النبيّ عليه السلام الّذي كان يخيط فيه [٣].



(١) كامل التواريخ: ج ١/ص ٢٥، البحار: ج ١١/ص ٢٨٢، باب ٩ رقم (١٠).
(٢) سعد السعود: ص ٣٨، البحار: ج ١١/ص ٢٨٢، باب ٩ رقم (١٠).
(٣) فروع الكافي: ج ١/ص ١٣٩، البحار: ج ١١/ص ٢٨٤، باب ٩ ح ١٢.

قصص نوح
على نبينا وآله وعليه السلام

مدة عمره وولادته ووفاته وعلل تسميته
ونقش خاتمه وجمل أحواله عليه السلام

عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب السفينة أوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا نوح إنّ خفت الغرق فهلّلني ألفاً ثمّ سلني النجاة أُنجك من الغرق ومن آمن معك.

قال: فلمّا استوى نوح ومن معه في السفينة ورفع القلس(١) عصفت الريح عليهم فلم يأمن نوح الغرق فأعجلته الريح فلم يدرك أن يهلّل ألف مرّة، فقال بالسريانيّة: «هلوليا ألفاً ألفاً يا ماريّا أتقن».

قال: فاستوى القلس واستمرّت السفينة.

فقال نوح عليه السلام: إنّ كلاماً نجّاني الله به من الغرق لحقيقٌ أن لا يفارقني.

قال: فنقش في خاتمه: «لا إله إلاّ الله - ألف مرّة - يا ربّ أصلحني» الخبر(٢).

عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلاّ خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتا عام في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار وأسكن ولده

---

(١) القلس: حبل للسفينة ضخم.
(٢) العيون: ص ٢١٧، أمالي الصدوق، ص ٢٧٤، البحار: ج ١١/ ص ٢٨٥، باب ١/ ح ١.

البلدان، ثمّ إنّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السّلام عليك، فردّ عليه نوح عليه السلام وقال له: ما حاجتك يا ملك الموت؟

فقال: جئت لأقبض روحك، فقال له: تدعني أدخل من الشمس إلى الظلّ؟

فقال له: نعم، فتحوّل نوح عليه السلام ثمّ قال: يا ملك الموت فكان ما مرّ بي في الدنيا مثل تحوّلي من الشمس إلى الظلّ، فامض لما أُمرت به، قال: فقبض روحه عليه السلام [1].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم نوح عليه السلام ما كان؟

فقال: اسمه السكن، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه ناح على قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً [2].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اسم نوح عليه السلام عبد الغفّار، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه.

عن ابن أبي نجران، عن سعيد بن جناح، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اسم نوح عبد الملك، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه بكى خمس مائة سنة [3].

عن سعيد ابن جناح، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اسم نوح عبد الأعلى، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه بكى خمسمائة عام.

قال الصدوق رحمه الله: الأخبار في اسم نوح كلّها متّفقة غير مختلفة، تثبت له التسمية بالعبوديّة وهو عبد الغفّار والملك والأعلى [4].

بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: إنّ نوحاً عليه السلام كان نجّاراً، وكان إلى الأدمة ما هو، دقيق الوجه، في رأسه طول، عظيم العينين، دقيق الساقين، كثيراً لحم الفخذين، ضخم السرّة، طويل اللّحية، عريضاً طويلاً

(١) أمالي الصدوق: ص ٣٠٦، البحار: ج ١١/ ص ٢٨٥-٢٨٦، باب ١/ح ٢.
(٢) علل الشرائع: ص ١٩٨، العيون: ص ١٣٥، البحار: ج ١١/ ص ٢٨٦، باب ١/ح٣.
(٣) علل الشرائع: ص ٢١، البحار: ج ١١/ ص ٢٨٦-٢٨٧، باب ١/ح٥.
(٤) معاني الأخبار: ص ١٨، البحار: ج ١١/ ص ٢٨٧، باب ١/ح٦.

جسيماً، وكان في غضبه وانتهاره شدّة، فبعثه الله وهو ابْن ثمانمائة وخمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى، فلا يزدادون إلاّ طغياناً، ومضى ثلاثة قرون من قومه، وكان الرجل منهم يأتي بابنه هو صغير فيقفه على رأس نوح عليه السلام فيقول: يا بنيّ إن بقيت بعدي فلا تطيعنّ هذا المجنون(١).

عبد العظيم الحسنيّ قال: سمعت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة، وكان يوماً في السفينة نائماً فهبّت ريح فكشفت عورته، فضحك حام ويافث فزجرهما سام ونهاهما عن الضحك، فانتبه نوح عليه السلام وقال لهما: جعل الله عزّ وجلّ ذرّيّتكما خولاً لذرّيّة سام إلى يوم القيامة، لأنّه برّبي وعققتماني، فلا زالت سمة عقوقكما في ذرّيّتكما ظاهرة، وسمة البرّفي ذرّيّة سام ظاهرة ما بقيت الدنيا فجميع السودان حيث كانوا من ولد حام، وجميع الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا، وجميع البيض سواهم من ولد سام.

وأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام: إنّي قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً منّي بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق ومن أوفى بعهده منّي! ففرح نوح عليه السلام وتباشر، وكان القوس فيها وتروسهم، فنزع منها السهم والوتر وجعلت أماناً من الغرق، وجاء إبليس إلى نوح عليه السلام فقال: إنّ لك عندي يداً عظيمة فانتصحني فإنّي لا أخونك، فتأثّم نوح عليه السلام بكلامه ومساءلته، فأوحى الله إليه أن كلّمه وسله فإنّي سأُنطقه بحجّة عليه.

فقال نوح عليه السلام: تكلّم، فقال إبليس إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جبّاراً أو عجولاً تلقّفناه تلقّف الكرة فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سمّيناه شيطاناً مريداً.

فقال نوح: ما اليد العظيمة الّتي صنعت؟

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨٤، الفصل ٤/ح ٧٤، البحار: ج ١١/ ص ٢٨٧، باب١/ح ٩.

قال: إنّك دعوت الله على أهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنار فصرت فارغاً، ولو لا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً[١].

عن عبد الحيمد بن أبي الديلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عاش نوح عليه السلام بعد النزول من السفينة خمسين سنة، ثمّ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا نوح إنّه قد انقضت نبوتّك واستكملت أيّامك فانطر الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة الّتي معك فادفعها إلى ابنك سام فإنّي لا أترك الأرض إلاّ وفيها عالم يعرف به طاعتي، ويكون نجاة فيما بين قبض النبيّ وبعث النبيّ الآخر، ولم أكن أترك الناس بغير حجّة وداع إليّ وهاد إلى سبيلي وعارف بأمري، فإنّي قد قضيت أن أجعل لكلّ قوم هادياً أهدي به السعداء، ويكون حجّة على الأشقياء، قال: فدفع نوح عليه السلام الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة إلى ابنه سام، فأمّا حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به.

قال: وبشّرهم نوح بهود عليه السلام وأمرهم باتّباعه وأمرهم أنّ يفتحوا الوصيّة كلّ عام فينظروا فيها فيكون ذلك عيداً لهم كما أمرهم آدم عليه السلام.

قال: وظهرت الجبريّة في ولد حام ويافث، واستخفى ولد سام بما عندهم من العلم وجرت على سام بعد نوح الدولة لحام ويافث وهو قوله الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[٢] يقول: تركت على نوح دولة الجبّارين، ويعزّي الله محمّد صلى الله عليه وآله بذلك، وولد الحام السند والهند والحبش، وولد السام العرب والعجم، وجرت عليهم الدولة، وكانوا يتوارثون الوصيّة عالم بعد عالم حتّى بعث الله عزّ وجلّ هوداً[٣].

عن أيّوب بن راشد، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة، ثلاثمائة سنة[٤].

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨٥، الفصل ٤/ح ٧٧، البحار: ج ١١/ص ٢٨٧-٢٨٨، باب ١/ح ١٠.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٧٨.
(٣) كمال الدين: ص ٨٠-٨١، البحار: ج ١١/ص ٢٨٨-٢٨٩، باب ١/ح ١١.
(٤) كمال الدين: ص ٢٨٩، البحار: ج ١١/ص ٢٨٩، باب ١/ح ١٢.

عن الصادق، عن آبائه، عن النبيّ ﷺ قال: عاش نوح ألفي سنّة وأربعمائة وخمسين سنة[(١)].

اعلم أنّ أرباب السير اختلفوا في عمره عليه السلام فقيل كان ألف سنة.

وقيل: كان ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة؛ وقيل: كان ألفاً وأربعمائة وسبعين سنة، وقيل: ألفاً وثلاثمائة سنة.

وأخبارنا المعتبرة تدلّ على أنّه عاش ألفين وخمسمائة سنة وهذا الخبر لا يعتمد عليه لمخالفته لأقوال الفريقين وأخبارهم، ولعلّه لم يحسب فيه بعض زمن حياته عليه السلام لعلّة كالزمان السابق على البعثة، أو زمان عمل السفينة، أو أواخر عمره عليه السلام [(٢)].



مكارم أخلاقه وما جرى بينه وبين إبليس وأحوال أولاده وما أوحى اليه وصدر عنه من الحكم والادعية وغيرها

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[(٣)] معناه أنّ نوحاً كان عبدالله كثير الشكر، وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماءً شكر الله تعالى وقال: الحمد لله.

وقيل: إنّه كان يقول في ابتداءِ الأكل والشرب: بسم الله، وفي انتهائه: الحمد لله.

وروي عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام أنّ نوحاً كان إذا أصبح وأمسى قال: «اللّهمّ إنّي أُشهدك أنّ ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أودنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتّى ترضى وبعد الرضى» فهذا كان شكره[(٤)].

(١) كمال الدين: ص ٢٨٩، البحار: ج ١١/ص ٢٩٠، باب ١/ح ١٣.
(٢) البحار: ج ١١/ص ٢٩٠، باب ١/رقم (١٣).
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.
(٤) مجمع البيان: ج ٦/ص ٣٩٦، البحار: ج ١١/ص ٢٩٠، باب ٢.

عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة:

١ - أخذوا الصبر عن أيّوب.

٢ - والشكر عن نوح.

٣ - والحسد عن بني يعقوب[١].

عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ نوحاً إنّما سمّي عبداً شكوراً لأنّه كان يقول إذا أصبح وأمسى: اللّهمّ إنّي أشهد أنّه ما أمسى وأصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد والشكر بها عليّ حتّى ترضى إلهنا[٢].

عن العلاء، عن محمّد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أبي يقول: إنّ نوحاً عليه السلام حين أُمر بالغرس كان إبليس إلى جانبه، فلمّا أراد أن يغرس العنب قال: هذه الشجرة لي، فقال له نوح عليه السلام: كذبت، فقال إبليس: فمالي منها؟

فقال نوح عليه السلام: لك الثلثان، فمن هناك طاب الطلاء على الثلث[٣].

بالإسناد إلى وهب قال: لمّا خرج نوح عليه السلام من السفينة غرس قضباناً كانت معه في السفينه من النخل والأعناب وسائر الثمار فأطعمت من ساعتها وكانت معه حبلة العنب وكانت آخر شيءٍ أخرج حبلة العنب فلم يجدها نوح عليه السلام، وكان إبليس قد أخذها فخبأها، فنهض نوح عليه السلام ليدخل السفينة فيلتمسها فقال له الملك الّذي معه: اجلس يا نبيّ الله ستؤتى بها، فجلس نوح عليه السلام فقال له الملك: إنّ لك فيهاً شريكاً في عصيرها فأحسن مشاركته.

قال: نعم له السبع ولي ستّة أسباع.

قال له الملك: أحسن فأنت محسن.

قال نوح عليه السلام: له السدس ولي خمسة أسداس.

قال له الملك: أحسن فأنت محسن.

---

(١) عيون الأخبار: ص ٢٠٩، البحار: ج ١١/ص ٢٩١، باب ٢/ح ١.

(٢) علل الشرائع: ص ٢١، البحار: ج ١١/ص ٢٩١، باب ٢/ح ٢.

(٣) علل الشرائع: ص ١٦٣، البحار: ج ١١/ص ٢٩٢، باب ٢/ح ٥.

قال نوح عليه السلام: له الخمس ولي الأربعة الأخماس.

قال له الملك: أحسن فأنت محسن.

قال نوح عليه السلام: له الربع ولي ثلاثة أرباع.

قال له الملك: أحسن فأنت محسن.

قال: فله النصف ولي النصف ولي التصرُّف.

قال له الملك: أحسن فأنت محسن.

قال عليه السلام: لي الثلث وله الثلثان فرضي، فما كان فوق الثلث من طبخها فلإبليس وهو حظّه، وما كان من الثلث فما دونه فهو لنوح عليه السلام وهو حظّه وذلك الحلال الطيّب ليشرب منه[1].

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة غرس غرساً فكان فيما غرس النخلة ثمّ رجع إلى أهله فجاء إبليس لعنه الله فقلعها، ثمّ إنّ نوحاً عليه السلام عاد إلى غرسه فوجده على حاله ووجد النخلة قد قلعت ووجد إبليس عندها فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره أنّ إبليس لعنه الله قلعها، فقال نوح عليه السلام لإبليس لعنه الله: ما دعاك إلى قلعها فوالله ما غرست غرساً أحبّ إليّ منها، ووالله لا أدعها حتّى أغرسها.

وقال إبليس لعنه الله: وأنا والله لا أدعها حتّى أقلعها.

فقال له: اجعل لي منها نصيباً.

قال: فجعل له منها الثلث، فأبى أن يرضى فجعل له النصف فأبى أن يرضى وأبى نوح عليه السلام أنّ يزيده.

فقال جبرئيل عليه السلام لنوح: يا رسول الله أحسن فإنّ منك الإحسان، فعلم نوح عليه السلام أنّه قد جعل الله له عليها سلطاناً فجعل نوح له الثلثين.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فإذا أخذت عصيراً فاطبخه حتّى يذهبا الثلثان نصيب الشيطان فكل واشرب حينئذ[2].

---

(١) علل الشرائع: ص ١٦٣، البحار: ج ١١/ص ٢٩٢-٢٩٣، باب ٢/ح ٦.

(٢) فروع الكافي: ج ٢/ص ١٨٩، البحار: ج ١١/ص ٢٩٤، باب ٢/ح ٨.

عن سعيد بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ إبليس نازع نوحاً في الكرم فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: إنّ له حقّاً فأعطه فأعطاه الثلث فلم يرض إبليس، ثمّ أعطاه النصف فلم يرض، فطرح جبرئيل ناراً فأحرقت الثلثين وبقي الثلث.

فقال: ما أحرقت النار فهو نصيبه، وما بقي فهولك يا نوح[١].



بعثته عليه السلام على قومه وقصة الطوفان

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ هو نوح بن ملك ابن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس عليه السلام وهو أوّل نبيّ بعد إدريس عليه السلام.

وقيل: إنّه كان نجّاراً وولد في العام الّذي مات فيه آدم عليه السلام قبل موت آدم في الألف الأُولى وبعث في الألف الثانية وهو ابن أربعمائة.

وقيل: بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وكان في تلك الألف ثلاثة قرون عايشهم وعمّر فيهم وكان يدعوهم ليلاً ونهاراً فلا يزيدهم دعاؤه إلاّ فراراً، وكان يضربه قومه حتّى يغشى عليه فإذا أفاق قال: اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون، ثمّ شكاهم إلى الله تعالى فغرقت له الدنيا وعاش بعده تسعين سنة، وروي أكثر من ذلك أيضاً ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ إنّما لم يقطع لأنّه جوّز أن يؤمنوا ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي الجماعة ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ أو الأشراف والرؤساء منهم ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ أي بالقلب أوالبصر، أو من الرأي بمعنى الظنّ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي من صفاته وتوحيده وعدله وحكمته، أو من دينه أو من قدرته سلطانه وشدّة عقابه ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أي بيان أو نبوّة ورسالة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾[٢] عن الحقّ، أي ذاهبين عنه جاهلين به يقال: رجل عم: إذا كان أعمى القلب ورجل أعمى في البصر[٣].

قال ابن عبّاس: كانت امرأة نوح كافرةً تقول للنّاس: إنّه مجنون وإذا آمن بنوح

(١) فروع الكافي: ج ٢/ص ١٨٩، البحار: ج ١١/ ٢٩٤، باب ٢/ح ٩.
(٢) سورة الأعراف: الآيات: ٥٩-٦٤.
(٣) مجمع البيان: ج ٤/ص ٤٣٣-٤٣٤، البحار: ج ١١/٢٩٨، باب ٣/تفسير.

أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وكان أمرأة لوط تدلّ على أضيافه وكان ذلك خيانتهما لهما، وما بغت امرأة نبيّ قطّ وإنّما كانت خيانتهما في الدين؛ وقال السدّيّ: كانت خيانتهما أنّهما كانتا كافرتين.

وقيل: كانتا منافقتين؛ وقال الضحّاك: خيانتهما النميمة إذا أوحى الله إليهما أفشتاه إلى المشركين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي فلم يغن نوح ولوط مع نبوّتهما عن امرأتيهما من عذاب الله شيئاً، وقيل: أي ويقال لهما يوم القيامة: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[(١)] قيل: إنّ اسم امرأة نوح واغلة، واسم امرأة لوط واهلة، وقال مقاتل: والغة ووالهة[(٢)].

﴿لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي جاوز الحدّ حتّى غرقت الأرض بمن عليها ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي حملنا آباءكم في السفينة ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾[(٣)] أي تلك الفعلة[(٤)].

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[(٥)] يقول: الحقّ والنبوّة والكتاب والإيمان في عقبه، وليس كلّ من في الأرض من بني آدم من ولد نوح، قال الله في كتابه: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[(٦)] وقال أيضاً: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[(٧)] [(٨)].

عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بقي نوح في قومه ثلاث مائة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه، فهمّ أن يدعو عليهم فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا وهم العظماء من الملائكة، فقال لهم نوح: ما أنتم؟

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.
(٢) مجمع البيان: ج ١٠-٣١٩، البحار: ج ١١/ ص ٣٠٨-٣٠٩، باب ٣/ تفسير.
(٣) سورة الحاقة، الآيات: ١١-١٢.
(٤) مجمع البيان: ج ١٠/ ٣٤٥، البحار: ج ١١/ ص ٣٠٩، باب ٣/ تفسير.
(٥) سورة الصافات، الآية: ٧٧.
(٦) سورة هود، الآية: ٤.
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٣.
(٨) تفسير القمي: ص ٥٥٧، البحار: ج ١١/ ص ٣١٠، باب ٣/ ح ٣.

فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا وإنّ غلظ مسيرة سماء الدنيا خمسمائة عام ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وخرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك في هذا الوقت، فنسألك أن لا تدعو على قومك.

قال نوح: أجّلتهم ثلاثمائة سنة؛ فلمّا أتى عليهم ستّمائة سنّة ولم يؤمنوا همّ أنّ يدعو عليهم فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل سماء الثانية فقال نوح: من أنتم؟

قالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الثانية، وغلظ سماء الثانيه مسيرة خمسمائة عام، ومن سماء الثانيه إلى سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وغلظ سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، خرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك ضحوةً، نسألك أن لا تدعو على قومك.

فقال نوح: قد أجّلتهم ثلاثمائة سنة؛ فلمّا أتى عليهم تسعمائة سنة ولم يؤمنوا همّ أن يدعو عليهم فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1] فقال نوح: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[2] فأمره الله عزّوجلّ أن يغرس النخل فأقبل يغرس النخل فكان قومه يمرون به فيسخرون منه ويستهزؤون به ويقولون: شيخ قدأتى له تسعمائة سنة يغرس النخل، وكانوا يرمونه بالحجارة، فلمّا أتى لذلك خمسون سنة وبلغ النخل واستحكم أمر بقطعه فسخروا منه، وقالوا: بلغ النخل مبلغه قطعه، إنّ هذا الشيخ قد خرف وبلغ منه الكبر وهو قوله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[3] فأمره الله أن يتّخذ السفينة وأمر جبرئيل أن ينزل عليه ويعلّمه كيف يتّخذها، فقدّر طولها في الأرض ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ثمان مائة ذراع، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً.

فقال: يا ربّ من يعينني على اتّخاذها؟

(١) سورة هود، الآية: ٣٦.
(٢) سورة نوح، الآيتان: ٢٦-٢٧.
(٣) سورة هود، الآية: ٣٨.

فأوحى الله إليه: ناد في قومك: من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضّة، فنادى نوح فيهم بذلك فأعانوه عليهم وكانوا يسخرون منه يقولون: يتّخذ سفينة في البرّ[١].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أراد الله عزّ وجلّ هلاك قوم نوح عقم أرحام النساء أربعين سنة فلم يلد فيهم مولود، فلمّا فرغ نوح من اتّخاذ السفينة أمره الله أن ينادي بالسريانيّة، لا يبقى بهيمةٌ ولا حيوان إلاّ حضر، فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين في السفينة، وكان الّذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٢] وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة، فلمّا كان في اليوم الّذي أراد الله هلاكهم كانت امرأة نوح تخبز في الموضع الّذي يعرف بفار التنّور في مسجد الكوفة، وقد كان نوح اتّخذ لكلّ ضرب من أجناس الحيوان موضعاً في السفينة، وجمع لهم فيها ما يحتاجون إليه من الغذاء، فصاحت امرأته لمّا فار التنّور فجاء نوح إلى التنّور، فوضع عليها طيناً وختمه حتّى أدخل جميع الحيوان السفينة، ثمّ جاء إلى التنّور ففضّ الخاتم ورفع الطين، وانكسفت الشمس، وجاء من السماء ماء منهمر صبّ بلا قطر، وتفجّرت الأرض عيوناً، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[٣].

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ يقول: مجراها أي مسيرها، ومرساها أي موقفها، فدارت السفينة ونظر نوح إلى ابنه يقع ويقوم فقال له: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فقال ابنه كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾[٤] فقال نوح: «لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم».

(١) تفسير القمي: ص ٦٨٨، البحار: ج ١١/ص ٣١٠-٣١١، باب ٣/ح ٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٠.
(٣) سورة القمر، الآيات: ١١-١٣.
(٤) سورة هود، الآيتان: ٤١-٤٣.

ثم قال نوح: «ربّ انّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين» فقال الله: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

فقال نوح كما حكى الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(١) فكان كما حكى الله: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: فدارت السفينة وضربتها الأمواج حتّى وافت مكّة، بالبيت وغرق جميع الدنيا إلاّ موضع البيت، وإنّما سمّي البيت العتيق لأنّه أُعتق من الغرق، فبقي الماء ينصبّ من السماء أربعين صباحاً، ومن الأرض العيون حتّى ارتفعت السفينة فمسحت السماء.

قال: فرفع نوح يده ثمّ قال: (يا رهمان اتقن) وتفسيرها ربّ أحسن، فأمر الله الأرض أن تبلع ماءها وهو قوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أي أمسكي ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾(٢) فبلعت الأرض ماءها فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها وقالت: إنّما أمرني الله عزّ وجلّ أن أبلع مائي، فبقي ماء السماء على وجه الأرض، واستوت السفينة على جبل الجوديّ وهو بالموصل جبلٌ عظيم، وفبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدنيا، وأنزل الله على نوح: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فنزل نوح بالموصل من السفينة مع الثمانين وبنوا مدينة الثمانين، وكانت لنوح بنت ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها، وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: نوح أحد الأبوين، ثمّ قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾(٣) (٤).

---

(١) سورة هود، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٣-٤٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٨.

(٤) تفسير القمي: ص ٣٠١-٣٠٤، البحار: ج ١١/ ص ٣١٢-٣١٣، باب ٣/ ح ٦.

قال الشيخ الطبرسيّ: قدّس الله روحه قد قيل في معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾(١) أقوال:

أحدها: أنّه كان ابنه لصلبه، والمعنى أنّه ليس من أهلك الّذين وعدتك بنجاتهم معك، لأنّ الله تعالى قد استثنى من أهله الّذين وعده أن ينجّيهم من أراد إهلاكهم بالغرق فقال: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾(٢) عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير والضحّاك وعكرمة، واختاره الجبّائيّ.

وثانيها: أنّ المراد من قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أنه ليس على دينك، فكأنّ كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله، عن جماعة من المفسّرين، وهذا كما قال النبيّ ﷺ: «سلمان منا أهل البيت».

وإنّما أراد: على ديننا، ويؤيّد هذا التأويل أنّ الله سبحانه قال على طريق التعليل: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فبين أنّه إنّما أُخرج عن أحكامه أهل لكفره وشرّ عمله، وروي عن عكرمة أنّه قال: كان ابنه، ولكنّه كان مخالفاً له في العمل والنيّة، فمن ثمّ قيل: إنّه ليس من أهلك.

وثالثها: أنّه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنّما ولد على فراشه، فقال عليه السلام: إنّه ابني على ظاهر الأمر، فأعلمه الله أنّ الأمر بخلاف الظاهر ونبّهه على خيانة امرأته، عن الحسن ومجاهد، وهذا الوجه بعيدٌ من حيث إنّ فيه منافات للقرآن لأنّه تعالى قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾(٣) ولأنّ الأنبياء يجب أن ينزّهوا عن مثل هذه الحال لأنّها تعيّر وتشيّن، وقد نزّه الله أنبياءه عمّا دون ذلك توقيراً وتعظيماً عمّا ينفر من القبول منهم، وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: ما زنت أمرأة بنيّ قطّ؛ وكانت الخيانة من امرأة نوح أنّها كانت تنسبه إلى الجنون والخيانة ومن امرأة لوط أنّها كانت تدلّه على أضيافه.

ورابعها: أنّه كان ابن امرأته وكان ربيبه، ويعضده قراءة من قرأ: ﴿ٱبْنَهُۥ﴾ بفتح

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٢.

الهاء أو ﴿وَأَبَنَهَآ﴾ والمعتمد المعوّل عليه في تأويل الآية القولان الأوّلان انتهى[(١)].

عن صالح بن ميثم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما كان علم نوح حين دعا على قومه أنّهم لا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً؟

فقال: أما سمعت قول الله لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾[(٢)] [(٣)].

عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ نوحاً لمّا كان أيّام الطوفان دعا مياه الأرض فأجابته إلاّ الماء المرّ والكبريت[(٤)].

عن العلاء بن سيّابة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس فقال له: ما في الأرض رجل أعظم منّة عليّ منك، دعوت الله على هؤلاءِ الفسّاق فأرحتني منهم، ألا أُعلّمك خصلتين؟ إيّاك والحسد فهو الّذي عمل بي ما عمل، وإيّاك الحرص فهو الّذي عمل بآدم ما عمل[(٥)].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾[(٦)] من هم؟

فقال عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل، والّذي يفرُّ من أُمّه موسى، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم، والّذي يفرّ من صاحبته لوط، والّذي يفرّ من ابنه نوح يفرّ من ابنه كنعان[(٧)].

هذا هو المشهور في اسم ابنه عليه السلام: وقيل: اسمه يام.

---

(١) مجمع البيان: ج ٥/ص ١٦٧، البحار: ج ١١/ص ٣١٣-٣١٤، باب ٣ رقم (٦).
(٢) سورة هود، الآية: ٣٦.
(٣) تفسير القمي، ص ٦٩٨، البحار: ج ١١/ص ٣١٥، باب ٣/ح ٩.
(٤) الخصال: ج ١/ص ٢٨، البحار: ج ١١/ص ٣١٦-٣١٧، باب ٣/ح ١٣.
(٥) الخصال: ج ١/ص ٢٧، البحار: ج ١١، ص ٣١٧، باب ٣/ح ١٤.
(٦) سورة عبس، الآيات: ٣٤-٣٦.
(٧) العيون: ص ١٣٦، علل الشرائع: ص ١٩٨، الخصال: ج ١/ص ١٥٤، البحار: ج ١١/ص ٣١٧، باب ٣/ح ١٥.

عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبد الله قال: إنّ نوحاً عليه السلام لمّا كان أيّام الطوفان دعا المياه كلّها فأجابته إلاّ ماء الكبريت وماء المرّ فلعنهما(١).

عن كثير النواء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ نوحاً عليه السلام ركب السفينة أوّل يوم من رجب فأمر من كان معه أن يصوموا ذلك اليوم. الخبر(٢).

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا دعا نوح عليه السلام ربّه عزّ وجلّ على قومه أتاه إبليس لعنه الله.

فقال: يا نوح إنّ لك عندي يداً أُريد أن أُكافيك عليها.

فقال له نوح عليه السلام: إنّه ليبغض إليّ أن يكون لك عندي يد فما هي؟

قال: بلى دعوت الله على قومك فأغرقتهم فلم يبق أحد أُغويه فأنا مستريح حتّى ينسق قرن آخر وأُغويهم.

فقال له نوح عليه السلام: ما الّذي تريد أن تكافيني به؟

قال: اذكرني في ثلاث مواطن فإنّي أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهنّ: اذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد(٣).

عن ابن عبّاس فيما سأل اليهوديّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: فما الخمسون؟

قال: لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً.

قال: فما الثمانون؟

قال: قرية بالجزيرة يقال لها ثمانون، منها قعد نوح في السفينة واستوت على الجوديّ وأغرق الله القوم.

قال: فما التسعون؟

قال: الفلك المشحون اتّخذ نوح عليه السلام فيه تسعين بيتاً للبهائم(٤).

---

(١) فروع الكافي: ج ٢/ص ١٨٨، البحار: ج ١١/ص ٣١٧، باب ٣/ح ١٦.
(٢) الخصال: ج ٢/ص ٩٢-٩٣، البحار: ج ١١/ص ٣١٧، باب ٣/ح ١٨.
(٣) الخصال: ج ١/ص ٦٥، البحار: ج ١١/ص ٣١٨، باب ٣/ح ٢٠.
(٤) الخصال: ج ٢/ص ١٤٨، البحار: ج ١١/ص ٣١٩، باب ٣/ح ٢٢.

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن سفينة نوح ما كان عرضها وطولها؟

فقال: كان طولها ثمان مائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذرّاع، وارتفاعها في السماء ثمانين ذراعاً[(١)].

عن الحسين بن موسى الوشّاء، عن الرضا عليه السلام قال: قال لي: كيف تقرؤون: «قال يا نوح إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح»؟

فقلت: من الناس من يقرء: «إنّه عمل غير صالح» نفاه عن أبيه.

فقال عليه السلام: كلاّ، لقد كان ابنه، ولكن لمّا عصى الله عزّ وجلّ نفاه عن أبيه. الخبر[(٢)].

عن الهرويّ، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له، لأيّ علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال، وفيهم من لا ذنب له؟

فقال عليه السلام: ما كان فيهم الأطفال، لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله عزّ وجلّ ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح عليه السلام فأُغرقوا لتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السلام وسائرهم أُغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه[(٣)].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين فقال: ما بال الماعزة مرفوعة الذنب بادية الحياء والعورة؟

فقال: لأنّ الماعزة عصت نوحاً لمّا أدخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها، والنعجة مستورة الحياء والعورة، لأنّ النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة فمسح نوح عليه السلام يده على حياها وذنبها فاستوت الإلية[(٤)].

---

(١) علل الشرائع: ص ١٩٨، العيون: ص ١٣٥، البحار: ج ١١/ص ٣١٩، باب ٣/ح ٢٣.

(٢) العيون: ص ٣٤٦، وفيه بعد قوله: «أنه عمل غير صالح» ومنهم من يقرأ: «أنه عمل غير صالح» فمن قرأ أنه عمل غير صالح ا هـ. البحار: ج ١١/ص ٣٢٠، باب ٣/ح ٢٠.

(٣) علل الشرائع: ص ٢٢، العيون: ص ٢٣١، البحار: ج ١١/ص ٣٢٠، باب ٣/ح ٢٥.

(٤) علل الشرائع: ص ١٩٩، العيون: ص ١٣٦، البحار: ج ١١/ص ٣٢١، باب ٣/ح ٢٧.

عن ياسر الخادم، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ نوحاً قال: «ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين».

فقال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾(١) فأخرجه الله عزّ وجلّ من أن يكون من أهله بمعصيته(٢).

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ النجف كان جبلا وهو الّذي قال ابن نوح: «سآوي إلي جبل يعصمني من الماء» ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه.

فأوحى الله عزّ وجلّ: إليه يا جبل أيعتصم بك منّي؟! فتقطّع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام وصار رملاً دقيقاً وصار بعد ذلك بحراً عظيماً، وكان يسمّى ذلك البحر بحرني ثمّ جفّ بعد ذلك.

فقيل: ني جفّ فسمّي بني جفّ ثمّ صار بعد ذلك يسمّونه نجف لأنّه كان أخفّ على ألسنتهم(٣).

عن الهرويّ قال: قال الرضا عليه السلام: لمّا هبط نوح عليه السلام إلى الأرض كان هو وولده ومن تبعه ثمانين نفساً فبنى حيث نزل قريةً فسمّاها قرية الثمانين لأنّهم كانوا ثمانين(٤).

عن حنان ابن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾(٥) قال عليه السلام: علم أنّه لا ينجب من بينهم أحد.

قال: قلت: وكيف علم ذلك؟

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٤٦-٤٧.
(٢) العيون: ص ٣٤٨، البحار: ج ١١/ ص ٣٢١، باب ٣/ح ٢٨.
(٣) علل الشرائع: ص ٢٢، البحار: ج ١١/ ص ٣٢١-٣٢٢، باب ٣/ح ٢٩.
(٤) علل الشرائع: ص ٢٢، البحار: ج ١١/ ص ٣٢٢، باب ٣/ح ٣٠.
(٥) سورة نوح، الآيتان: ٢٦-٢٧.

قال: أوحى الله إليه: «**أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**» فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء[١].

بالإسناد إلى وهب قال: لمّا ركب نوح عليه السلام في السفينة ألقى الله عزّ وجلّ السكينة على ما فيها من الدوابّ والطير والوحش، فلم يكن شيء فيها يضرّ شيئاً، كانت الشاة تحتكّ بالذئب، والبقرة تحتكّ بالأسد، والعصفور يقع على الحيّة فلا يضرّ شيءٌ شيئاً ولا يهيجه، ولم يكن فيها ضجر ولا صخب ولا سبّة ولا لعن، قد أهمّتهم أنفسهم، وأذهب الله عزّ وجلّ حمة كلّ ذي حمة، فلم يزالوا كذلك في السفينة حتّى خرجوا منها وكان الفأر قد كثر في السفينة والعذرة، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نوح عليه السلام أن يمسح الأسد فمسحه فعطس فخرج من منخريه هرّان: ذكر وأُنثى فخفّ الفأر، ومسح وجه الفيل فعطس فخرج من منخريه خنزيران: ذكر وأُنثى فخفّت العذرة[٢].

عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعا نوح عليه السلام قومه علانيةً فلمّا سمع عقب هبة الله من نوح تصديق ما في أيديهم من العلم صدّقوه، فأمّا ولد قابيل فإنّهم كذّبوه وقالوا: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٣] ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[٤] يعنون عقب هبة الله[٥].

عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم سرّاً وعلانية فلمّا عتوا وأبوا قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[٦] فأوحى الله تعالى إليه: أن اصنع الفلك، وأمره بغرس النوى، فمرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد غرّاساً، حتّى إذا طال وصار طوالاً قطعه

---

(١) علل الشرائع: ص ١٦٩، البحار: ج ١١/ ص ٣٢٢، باب ٣/ح ٣١.
(٢) معاني الأخبار: ص ١٨، البحار: ج ١١/ ص ٣٢٢، باب ٣/ح ٣٢.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ١١١.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨١، فصل ٣/ح ٦٥، البحار: ج ١١/ ص ٣٢٣، باب ٣/ح ٣٤.
(٦) سورة القمر، الآية: ١٠.

ونجره فقالوا: قد قعد نجّاراً، ثمّ ألّفه فجعله سفينة فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاّحاً في أرض فلاة حتّى فرغ منها(١).

عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صنعها في ثلاثين سنة ثمّ أمر أن يحمل فيها من كلّ زوجين اثنين الأزواج الثمانية الّتي خرج بها آدم عليه السلام من الجنّة ليكون معيشة لعقب نوح عليه السلام في الأرض، كما عاش عقب آدم عليه السلام فإنّ الأرض تغرق بما فيها إلاّ ما كان معه في السفينة(٢).

عن أبي رزين الأسديّ، عن عليّ عليه السلام قال: لمّا فرغ نوح من السفينة فكان ميعاده عليه السلام فيما بينه وبين ربّه تعالى في إهلاك قومه أن يفور التنّور ففار، فقالت امرأته له: إنّ التنور قد فار.

فقال إليه فختمه فقام الماء فأدخل من أراد أن يدخل، ثمّ أتى إلى خاتمه فنزعه وقال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾(٣) (٤).

عن الحسن بن صالح، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: سمعت أبي عليه السلام يحدّث عطا قال: كان طول سفينة نوح عليه السلام ألفاً ومائتي ذراع، وكان عرضها ثمانمائة ذرّاع، وعمقها ثمانين ذراعاً، فطافت بالبيت وسعت بين الصفا والمروة سبعة أشواط ثمّ استوت على الجوديّ(٥).

قال صاحب الكامل: أُمر أن يجعل طوله ثمانين ذراعاً، وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً.

وقال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً.

---

(١) قصص الراوندي، الآية: ص ٨١-٨٢، الفصل ٣/ح ٦٦، البحار: ج ١١/ص ٣٢٣، باب ٣/ح ٣٥.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨٢، الفصل ٣/ح ٦٧، البحار: ج ١١/ص ٣٢٤، باب ٣/ح ٤٠.
(٣) سورة القمر، الآيتان: ١١-١٢.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨٢/ الفصل ٣/ ح ٦٨، البحار: ج ١١/ص ٣٢٤، باب ٣/ح ٤١.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨٢، الفصل ٣/ح ٦٩، البحار: ج ١١/ص (٣٢٤-٣٢٥) باب ٣/ح ٤٢.

وقال الحسن: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع انتهى[١]. وما ورد في الخبر هو المعتمد.

عن ذريح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أغرق الأرض كلّها يوم نوح عليه السلام إلاّ البيت فمن يومئذ سمّي العتيق لأنّه أُعتق من الغرق، فقلت له: صعد إلى السماء؟ فقال: لم يصل الماء إليه وإنّما رفع عنه[٢].

عن حنان بن سدير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: آمن بنوح عليه السلام من قومه ثمانية نفر، وكان اسمه عبد الجبّار، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه[٣].

عن عبدالله بن الفضل الهاشميّ قال: قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: لمّا أظهر الله تبارك وتعالى نبوّة نوح عليه السلام وأيقن الشيعة بالفرج اشتدّت البلوى وعظمت الفرية إلى أن آل الأمر إلى شدّة شديدة نالت الشيعة، والوثوب إلى نوح بالضرب المبرّح، حتّى مكث عليه السلام في بعض الأوقات مغشيّاً عليه ثلاثة أيّام يجري الدم من أذنه ثمّ أفاق وذلك بعد سنة ثلاثمائة من مبعثه، وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلاً ونهارا فيهربون ويدعوهم سرّاً فلا يجيبون، ويدعوهم علانية فيولّون، فهمّ بعد ثلاث مائة سنة بالدعاء عليهم، وجلس بعد صلاة الفجر للدعاءِ فهبط إليه وفد من السماء السابعة وهو ثلاثة أملاك فسلّموا عليه، ثمّ قالوا له: يا نبيّ الله لنا حاجة، قال: وما هي؟

قالوا: تؤخّر الدعاء على قومك فإنّها أوّل سطوة لله عزّ وجلّ في الأرض.

قال: قد أخّرت الدعاء عليهم ثلاث مائة سنة أُخرى، وعاد إليهم فصنع ما كان يصنع ويفعلون ما كانوا يفعلون حتّى إذا انقضت ثلاث مائة سنة أُخرى ويئس من إيمانهم جلس في وقت ضحى النهار للدعاءِ فهبط عليه وفد من السماء السادسة فسلّموا عليه فقالوا: خرجنا بكرة وجئناك ضحوة، ثمّ سألوه مثل ما سأله وفد

---

(١) كامل التواريخ: ج ٢/ص ٢٨، البحار: ج ١١/ص ٣٢٥، باب ٣/ رقم (٤٢).
(٢) قصص الأنبياء: ص ٨٣، الفصل ٣/ح ٧٣. البحار: ج ١١/ص ٣٢٥، باب ٣/ج ٤٣.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨٤ الفصل ٤/ح ٧٥؛ البحار: ج ١١/ ص ٣٢٦، باب ٣/ح ٤٤.

السماءِ السابعة فأجابهم إلى مثل ما أجاب أُولئك إليه، وعاد عليه السلام إلى قوم يدعوهم فلا يزيدهم دعاؤه إلاّ فراراً حتّى انقضت ثلاثمائة سنة تتمّة تسعمائة سنة فصارت إليه الشيعة وشكوا ما ينالهم من العامّة والطواغيت وسألوا الدعاء بالفرج، فأجابهم إلى ذلك وصلّى ودعا، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: إنّ الله تبارك ونعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعة: يأكلوا التمر ويغرسوا النوى ويراعوه حتّى يثمر، فإذا أثمر فرَّجت عنهم، فحمد الله وأثنى عليه وعرَّفهم ذلك فاستبشروا فأخبرهم نوح بما أوحى الله تعالى إليه ففعلوا ذلك وراعوه حتّى أثمر، ثمّ صاروا بالثمر إلى نوح عليه السلام وسألوه أن ينجزلهم الوعد، فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك.

فأوحى إليه: قل لهم: كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فإذا أثمرت فرَّجت عنكم، فلمّا ظنّوا أنّ الخلف قد وقع عليهم ارتدَّ منهم الثلث وثبت الثلثان فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتّى إذا أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام فأخبروه وسألوه أن ينجزلهم الوعد فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك.

فأوحى إليه: قل لهم: كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فارتدَّ الثلث الآخر وبقي الثلث فأكلوا التمر وغرسوا النوى، فلمّا أثمر أتوابه نوحاً عليه السلام ثمّ قاوا له: لم يبق منّا إلاّ القليل ونحن نتخوّف على انفسنا بتأخّر الفرج أن نهلك، فصلّى نوح عليه السلام ثمّ قال: يا ربّ لن يبق من أصحابي إلاّ هذه العصابة وإنّي أخاف عليهم الهلاك إن تؤخّر الفرج عنهم.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: قد أجبت دعوتك فاصنع الفلك، فكان بين إجابة الدعاءِ وبين الطوفان خمسون سنة[1].

عن أبي هارون العبديّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لبعض غلمانه في شيء جرى: لئن انتهيت وإلاّ ضربتك ضرب الحمار.

قال: جعلت فداك وما ضرب الحمار؟

قال: إنّ نوحاً عليه السلام لمّا أدخل السفينة من كلّ زوجين اثنين جاء إلى الحمار

(١) كمال الدين: ص ٧٩-٨٠، البحار: ج ١١/ ص ٣٢٦-٣٢٨، باب ٣/ح ٤٨.

فأبى يدخل، فأخذ جريدة من نخل فضربه ضربة واحدة وقال له: «عبسا شاطانا» أي ادخل يا شيطان[١].

عن مؤمن بن العلاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا حسر الماء عن عظام الموتى فرأى ذلك نوح عليه السلام فجزع جزعاً شديداً واغتمّ لذلك.

فأوحى الله إليه: أن كل العنب الأسود ليذهب غمّك[٢].

عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد وهي الفطرة الّتي فطر الناس عليها، وأخذ ميثاقه على نوح عليه السلام والنبيّين أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأمره بالصلاة والأمر والنهي والحرام والحلال، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث فهذه شريعته، فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية، فلمّا أبوا وعتوا قال: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾.

فأوحى الله إليه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٣] فلذلك قال نوح: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٤] وأوحى الله إليه: أن اصنع الفلك[٥].

عن المفضّل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أرأيت قول الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[٦] ما هذا التنور؟ وأنّى كان موضعه؟ وكيف كان؟

فقال: كان التنّور حيث وصفت لك، فقلت فكان بدو خروج الماءِ من ذلك التنّور؟

فقال: نعم إنّ الله أحبّ أن يرى قوم نوح الآية، ثمّ إنّ الله بعد أرسل عليهم

(١) بصائر الدرجات: ص ٩٦، البحار: ج ١١/ص ٣٢٩، باب ٣/ح ٥٠.
(٢) محاسن البرقي: ص ٥٤٨، البحار: ج ١١/ص ٣٣١، باب ٣/ح ٥٢.
(٣) سورة هود، الآية: ٣٤.
(٤) سورة نوح، الآية: ٢٧.
(٥) البحار: ج ١١/ص ٣٣١، باب ٣/ح ٥٣، تفسير العياشي.
(٦) سورة هود، الآية: ٤٠.

مطراً يفيض فيضاً وفاض الفرات أيضاً والعيون كلّهنّ فيضاً فغرهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة.

فقلت له: فكم لبث نوح عليه السلام ومن معه في السفينة حتّى نضب الماء وخرجوا منها؟

فقال: لبثوا فيها سبعه أيّام ولياليها، وطافت بالبيت ثمّ استوت على الجوديّ وهو فرات الكوفة.

فقلت له: إنّ مسجد الكوفة لقديم؟ فقال: نعم وهو مصلّى الأنبياء، ولقد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انطلق به جبرئيل على البراق، فلمّا انتهى به إلى دار السلام وهو ظهر الكوفة وهو يريد بيت المقدس قال له: يا محمّد هذا مسجد أبيك آدم ومصلّى الأنبياء فانزل فصلّ فيه، فنزل رسول الله فصلّى ثمّ انطلق به إلى بيت المقدس فصلّى، ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام عرج به إلى السماء(١).

قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: في التنّور أقوال:

أوّلها: إنّه تنّور الخابزة، وأنّه تنّور كان لآدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، فار الماء عنه علامة لنوح عليه السلام إذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه، عن ابن عبّاس والحسن ومجاهد، ثمّ اختلف في ذلك فقال قوم: إنّ التنّور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام، وقال قوم: بل كان في ناحية الكوفة وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام.

وثانيهما: أنّ التنّور وجه الأرض، عن ابن عبّاس وعكرمة والزهريّ واختاره الزجّاج.

وثالثها: أنّ معنى قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ طلع الفجر وظهرت أما رات دخول النهار وتقضّي اللّيل من قولهم: نوّر الصبح تنويراً، روي ذلك عن عليّ عليه السلام.

ورابعها: أنّ التنّور أعلى الأرض وأشرفها، والمعنى: نبع الماء من الأمكنة المرتفعة فشبّهت بالتنانير لعلوّها، عن قتادة.

---

(١) البحار: ج ١١، ص ٣٣٣، باب ٣/ح ٥٦، تفسير العياشي.

وخامسها: أنّ فار التنّور معناه: اشتدّ غضب الله عليهم ووقعت نقمته بهم، كما تقول العرب: حمى الوطيس: إذا اشتدّ الحرب انتهى(١).

أقول: الأظهر هو الوجه الأوّل لوروده في الأخبار المعتبرة، وما سيأتي من خبر الأعمش لا يصلح لمعارضتها(٢).

ثمّ اعلم أنّه اختلف في مدّة مكثهم في السفينة.

قال الشيخ الطبرسيّ بعد إيراد هذه الرواية: وفي رواية أُخرى أنّ السفينة استقلّت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوماً بلياليها. ثمّ قال: وقيل: إنّ سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستّة أشهر حتّى طافت الأرض كلّها، لا تستقرّ في موضع حتّى أتت الحرم فطافت موضع الكعبة أُسبوعاً، وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثمّ سارت بهم حتّى انتهت إلى الجوديّ وهو جبل بأرض الموصل فاستقرّت عليه اليوم العاشر من المحرَّم انتهى(٣).

وذكر صاحب الكامل نحواً ممّا ذكره أخيراً(٤).

وقال المسعودي: كان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع عشر ليلة خلت من آذار ثمّ أغرق الله جميع الأرض خمسة أشهر(٥).

عن الحسن بن عليّ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءت امرأة نوح إليه وهو يعمل السفينة فقالت له: إنّ التنّور قد خرج منه ماء فقام إليه مسرعاً حتّى جعل الطبق عليه فختمه بخاتمه فقام الماء، فلمّا فرغ نوح من السفينة جاء إلى خاتمه ففضّه وكشف الطبق ففار الماء(٦).

---

(١) مجمع البيان: ج ٥/ص ١٦٣، البحار: ج ١١، ص ٣٣٤، باب ٣/ح رقم (٥٦).
(٢) لإرساله وعدم توثيق من الخاصة للأعمش.
(٣) مجمع البيان: ج ٥/ص ١٦٤، البحار: ج ١١/ص ٣٣٤-٣٣٥، باب ٣/ح رقم (٥٦).
(٤) كامل التواريخ: ج ١/ص ٢٩، البحار: ج ١١/ص ٣٣٥، باب ٣/ح رقم (٥٦).
(٥) مروج الذهب: ج ١/ص ١٨، البحار: ج ١١/ص ٣٣٥، باب ٣/ح رقم (٥٦).
(٦) البحار: ج ١١/ص ٣٣٥، باب ٣/ح ٥٧. تفسير العياشي.

عن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ نوحاً حمل الكلب في السفينة ولم يحمل ولد الزنا[١].

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول نوح: «يا بني اركب معنا» قال: ليس بابنه.

قال: قلت: إنّ نوحاً قال: يا بنيّ.

قال: فإنّ نوحاً قال ذلك وهو لا يعلم[٢].

عن بشير النبّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الجبال تطاولت لسفينة نوح عليه السلام وكان الجوديّ أشدّ تواضعاً فحطّ الله بها على الجوديّ[٣].

عن أبي بصير، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان نوح في السفينة فلبث فيها ما شاء الله، وكانت مأمورة فخلّى سبيلها نوح، فأوحى الله إلى الجبال: إنّي واضع سفينة عبدي نوح على جبل منكم، فتطاولت الجبال وشمخت غير الجوديّ وهو جبل بالموصل، فضرب جؤجؤ السفينة الجبال.

فقال نوح عند ذلك: يا ماريا أتقن، وهو بالعربيّة: ربّ أصلح[٤].

عن أبي بصير، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: يا أبا محمّد إنّ نوحاً عليه السلام كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله، وكانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء، فخلّى سبيلها نوح.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الجبال: إنّي واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكنّ، فتطاولت وشمخت، وتواضع الجوديّ وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل.

قال: فقال نوح عند ذلك: يا ماري أتقن، وهو بالسريانيّة: ربّ أصلح[٥].

---

(١) البحار: ج ١١/ص ٣٣٦، باب ٣/ح ٦٧. تفسير العياشي.
(٢) البحار: ج ١١/ص ٣٣٧، باب ٣/ح ٦٧، تفسير العياشي.
(٣) البحار: ج ١١/ص ٣٣٧، باب ٣/ح ٦٨، نقلاً عن النوادر للحسين بن سعد.
(٤) البحار: ج ١١/ص ٣٣٨، باب ٣/ح ٧٢، تفسير العياشي.
(٥) فروع الكافي: ج ٢/ص ١٢٤، باب ١٢، الكتاب ٥٩، الحديث ١٢، البحار: ج ١١/ص ٣٣٨، باب ٣/ح ٧٣.

عن ابن عيسى عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأل نوح عليه السلام ربّه أن ينزل على قومه العذاب فأوحى الله إليه أن يغرس نواة من النخل فإذا بلغت فأثمرت وأكل منها أهلك قومه وأنزل عليهم العذاب، فغرس نوح النواة وأخبر أصحابه بذلك فلمّا بلغت النخلة وأثمرت واجتنى نوح منها وأكل وأطعم أصحابه قالوا له: يا نبيّ الله الوعد الّذي وعدتنا، فدعا نوح ربّه وسأله الوعد الّذي وعده.

فأوحى إليه أن يعيد الغرس ثانية حتّى إذا بلغ النخل وأثمر فأكل منه أنزل عليهم العذاب، فأخبر نوح عليه السلام أصحابه بذلك فصاروا ثلاث فرق فرقة ارتدّت، وفرقة نافقت، وفرقة ثبتت مع نوح، ففعل نوح ذلك حتّى إذا بلغت النخلة وأثمرت وأكل منها نوح وأطعم أصحابه.

قالوا: يا نبيّ الله الوعد الّذي وعدتنا، فدعا نوح ربّه فأوحى إليه أن يغرس غرسه الثالثة فإذا بلغ وأثمر أهلك قومه، فأخبر أصحابه فافترقوا ثلاث فرق: فرقة ارتدت، فرقة نافقت، وفرقة ثبتت معه، حتّى فعل نوح ذلك عشر مرّات وفعل الله ذلك بأصحابه الّذين يبقون معه فيفترقون كلّ فرقة ثلاث فرق على ذلك فلمّا كان في العاشرة جاء إليه رجل من أصحابه الخاصّ والمؤمنون فقالوا: يا نبيّ الله فعلت بنا ما وعدت أولم تفعل فأنت صادق نبيٌّ مرسلٌ لا نشكّ فيك ولو فعلت ذلك بنا.

قال: فعند ذلك من قولهم أهلكهم الله لقول نوح، وأدخل الخاصّ معه السفينة، فنجّاهم الله تعالى ونجّى نوحاً معهم بعدما صفوا وذهب الكدر منهم[١].

روى الشيخ الطبرسيّ رحمه الله من كتاب النبوّة مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا أنّ بعث الله نوحاً دعا قومه علانية، فلمّا سمع عقب هبة الله بن آدم تصديق ما في أيديهم من العلم وعرفوا أنّ العلم الّذي في أيديهم هو العلم الّذي جاء به نوح صدّقوه وسلّموا له: فأمّا ولد قابيل فإنّهم كذّبوه وقالوا: إنّ الجنّ كانوا قبلنا فبعث الله إليهم ملكاً، فلو أراد أن يبعث إلينا لبث إلينا ملكاً من الملائكة[٢].

عن البطائنيّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ سفينة نوح كانت مأمورة فطافت

---

(١) غيبة النعماني: ص ١٥٤-١٥٥، البحار: ج ١١/ص ٣٣٩-٣٤٠، باب ٣/ح ٧٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٤/ص ٤٣٤، البحار: ج ١١/ص ٣٤٠، باب ٣/ح رقم (٧٧).

بالبيت حيث غرقت الأرض ثمّ أتت منى في أيّامها، ثمَّ رجعت السفينة وكانت مأمورة وطافت بالبيت طواف النساء[(١)].

وروى من كتاب القصص لمحمّد بن جرير الطبري أنّ الله تعالى أكرم نوحاً بطاعته والعزلة لعبادته، وكان طوله ثلاثمائة وستّين ذرّاعاً بذراع زمانه، وكان لباسه الصوف، ولباس إدريس قبله الشعر، وكان يسكن في الجبال ويأكل من نبات الأرض، فجاءه جبرئيل عليه السلام بالرسالة وقد بلغ عمر نوح أربعمائة سنة وستّين سنة، فقال له: ما بالك معتزلاً؟

قال: لأنَّ قومي لا يعرفون الله فاعتزلت عنهم.

فقال له جبرئيل: فجاهدهم.

فقال نوح: لا طاقة لي بهم ولو عرفوني لقتلوني.

فقال له: فإن أُعطيت القوّة كنت تجاهدهم؟

قال: واشوقاه إلى ذلك.

فقال له نوح: من أنت؟

قال: فصاح جبرئيل صيحة واحدة تداعت فأجابته الملائكة بالتلبية ورجّت الأرض وقالت: لبّيك لبّيك يا رسول ربّ العالمين.

قال: فبقي نوح مرعوباً.

فقال له جبرئيل: أنا صاحب أبويك آدم وإدريس، والرحمن يقرؤك السلام، وقد أتيتك بالبشارة، وهذا ثوب الصبر وثوب اليقين وثب النصرة وثوب الرسالة والنبوّة وآمرك أنّ تتزوّج بعمورة بنت ضمران بن أُخنوخ فإنّها أوّل من تؤمن بك، فمضى نوح يوم عاشورا إلى قومه وفي يده عصا بيضاء وكانت العصا يخبره بما يكنّ به قومه وكان رؤساؤهم سبعين ألف جبّار عند أصنامهم في يوم عيدهم، فنادى لا إله إلاّ الله، آدم المصطفى وإدريس الرفيع وإبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى المسيح خلق من روح القدس ومحمّد المصطفى آخر الأنبياء هو

(١) فروع الكافي: ج ١/ص ٢٢٣، البحار: ج ١١/ص ٣٤٠، باب ٣/ح ٧٩.

شهيدي عليكم أنّي قد بلّغت الرسالة، فارتجّت الأصنام، وخمدت النيران، وأخذهم الخوف، وقال الجبّارون: من هذا؟

فقال نوح: أنا عبدالله وابن عبده، بعثني رسولاً إليكم، ورفع صوته بالبكاء.

وقال: إنّي لكم نذير مبين.

قال: وسمعت عمورة كلام نوح فآمنت به فعاتبها أبوها.

وقال: أيؤثّر فيك قول نوح في يوم واحد؟ وأخاف أن يعرف الملك بك فيقتلك.

فقالت عمورة: يا أبت أين عقلك وفضلك وحلمك؟ نوح رجل وحيد ضعيف يصيح فيكم تلك الصيحة فيجري عليكم ما يجري، فتوعّدها فلم ينفع، فأشار عليه أهل بيته بحبسها ومنعها الطعام فحبسها وبقيت في الحبس سنة وهم يسمعون كلامها فأخرجها بعد سنة وقد صار عليها نورٌ عظيم وهي في أحسن حال، فتعجّبوا من حياتها بغير طعام فسألوها فقالت: إنّها استغاثت بربّ نوح عليه السلام وإنّ نوحاً عليه السلام كان يحضر عندها بما تحتاج إليه، ثمَّ ذكر تزويجه بها وأنّها ولدت له سام بن نوح، لأنّ الرواية في غير هذا الكتاب تضمّنت أنّه كان لنوح عليه السلام امرأتان: اسم واحدة رابعا وهي الكافرة فهلكت، وحمل نوح معه في السفينة امرأته المسلمة.

وقيل: إنّ اسم المسلمة هيكل، وقيل ما ذكره الطبريّ، ويمكن أن يكون عمورة اسمها، وهيكل صفتها بالزهد(١).



(١) سعد السعود: ص ٤٠-٤١، البحار: ج ١١/ص ٣٤١-٣٤٢، باب ٣/ح رقم (٧٩).

قصة هود عليه السلام وقومه عاد

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾(١) قال: إنّ عاداً كانت بلادهم في البادية من الشقوق إلى الأجفر أربعة منازل، وكان لهم ذرع ونخل كثير، ولهم أعمار طويلة وأجسام طويلة، فعبدوا الأصنام، وبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلع الأنداد فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه، فكفّ السماء عنهم سبع سنين حتّى قحطوا، وكان هود زرّاعاً وكان يسقي الزرع فجاء قوم إلى بابه يريدونه، فخرجت عليهم امرأته شمطاء عوراء فقالت: من أنتم؟

فقالوا: نحن من بلاد كذا وكذا، أجدبت بلادنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله لنا حتّى تمطر وتخصب بلادنا.

فقالت: لو استجيب لهود لدعا لنفسه فقد احترق زرعه لقلّة الماء.

قالوا: فأين هو؟

قالت: هو في موضع كذا وكذا، فجاؤوا إليه فقالوا: يا نبيّ الله قد أجدبت بلادنا ولم نمطر فاسأل الله أن تخصب بلادنا ونمطر، فتهيّأ للصلاة وصلّى ودعا لهم.

فقال لهم: ارجعوا فقد أُمطرتم فأخصبت بلادكم.

فقالوا: يا نبيّ الله إنّا رأينا عجباً.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٥٠-٥١.

قال: وما رأيتم؟

قالوا: رأينا في منزلك امرأة شمطاء عوراء.

قالت لنا: من أنتم؟ ومن تريدون؟

قلنا: جئنا إلى نبيّ الله هود ليدعو الله لنا فنمطر.

فقالت: لو كان هود داعياً لدعا لنفسه فإنّ زرعه قد احترق.

فقال هود: ذلك امرأتي وأنا أدعو الله لها بطول البقاء.

فقالوا: فكيف ذلك؟

قال: لأنّه ما خلق الله مؤمناً إلاّ وله عدوّ يؤذبه وهي عدوّتي، فلئن يكون عدوّي ممّن أملكه خير من أن يكون عدوّي ممّن يملكني، فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتّى تخصب بلادهم وأنزل الله عليهم المطر وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[1] فقالوا كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2] إلى آخر الآية، فلمّا لم يؤمنوا أرسل الله عليهم الريح الصرصر يعني الباردة وهو قوله في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾[3] وحكى في سورة الحاقّة فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[4].

قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيّام، فحدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن عبدالله بن سنان، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرج منها شيء قطّ إلاّ على قوم عاد حين غضب عليهم، فأمر الخزّان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم فعصت

(١) سورة هود، الآيتان: ٥٢-٥٣.

(٢) سورة هود، الآيتان: ٥٢-٥٣.

(٣) سورة القمر، الآيتان: ١٨-١٩.

(٤) سورة الحاقة، الآيتان: ٦-٧.

على الخزنة فخرج منها مثل مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد، فضجَّ الخزنة إلى الله من ذلك وقالوا: يا ربّنا إنّها قد عتت علينا ونحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك فبعث الله جبرئيل فردّها بجناحه وقال لها: اخرجي على أُمرت به، فرجعت وخرجت على ما أُمرت به فأُهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم(١).

عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله تعالى رياح رحمة ورياح عذاب، فإن شاء الله أن يجعل العذاب من الرياح رحمةً فعل، قال: ولن يجعل الرحمة من الريح عذاباً.

قال: وذلك أنّه لم يرحم قوماً قطّ أطاعوه وكانت طاعتهم إيّاه وبالاً عليهم إلاّ من بعد تحوّلهم من طاعته.

قال: وكذلك فعل بقوم يونس لمّا آمنوا رحمهم الله بعد ما قد كان قدّر عليهم العذاب وقضاه، ثمّ تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدّر عليهم رحمةً فصرفه عنهم وقد أنزله عليهم وغشيهم، وذالك لمّا آمنوا به وتضرّعوا إليه.

قال: وأمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريح قطّ إلاّ على قوم عاد. وساق الحديث إلى آخر ما مرّ(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خرجت ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ زمن عاد فإنّها عتت على خزّانها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد(٣).

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله جنوداً من الرياح يعذّب بها من يشاء ممّن عصاه، ولكلّ ريح منها ملكٌ موكّلٌ بها، فإذا أراد الله أن يعذّب قوماً بنوعٍ من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح الّتي يريد أن يعذّبهم بها.

(١) تفسير القمي: ص ٣٠٥-٣٠٦، البحار: ج ١١/ص ٣٥٠-٣٥١، باب ٤/ح ٢.
(٢) روضة الكافي: ص ٩٢، البحار: ج ١١/ص ٣٥٢، باب ٤/ح ٣.
(٣) البحار: ج ١١/ص ٣٥٣-٣٥٤، باب ٤/ح ٥. نقلاً عن كتاب من لا يحضره الفقيه.

قال: فيأمر بها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب.

قال: ولكلّ ريح منهنّ اسم، أما تسمع قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩﴾[١] وقال تعالى: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ وقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقال: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ وما ذكر من الرياح الّتي يعذّب الله بها من عصاه؛ الخبر[٢].

معنى هود إنّه هدى إلى ما ضلّ عنه قومه وبعث ليهديهم من ضلالتهم ومعنى الريح العقيم الّتي أهلك الله عزّوجلّ بها عاداً أنّها تلقّحت بالعذاب وتعقّمت عن الرحمة كتعقّم الرجل إذا كان عقيماً لا يولد له، فطحنت تلك القصور والحصون والمدائن والمصانع حتّى عاد ذلك كلّه رملاً دقيقاً تسفيه الريح؛ ومعنى ذات العماد أوتاداً كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الّذي يسلخونه من أسفله إلى أعلاه ثمّ ينقلون تلك العمد فينصبونها، ثمّ يبنون فوقها القصور، فسمّيت ذات العماد لذلك[٣].

بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: كان من أمر عاد أنّ كلّ رمل على ظهر الأرض وضعه الله لشيء من البلاد كان مساكن في زمانها وقد كان الرمل قبل ذلك في البلاد ولكن لم يكن كثيراً حتّى كان زمان عاد وإنَّ ذلك الرمل كانت قصوراً مشيّدة وحصوناً ومدائن ومصانع ومنازل وبساتين.

وكانت بلاد عاد أخصب بلاد العرب وأكثرها أنهاراً وجناناً، فلمّا غضب الله عليهم وعتوا على الله تعالى وكانوا أصحاب الأوثان يعبدونها من دون الله فأرسل الله عليهم الريح العقيم، وإنّما سمّيت العقيم لأنها تلقّحت بالعذاب، وعقمت عن الرحمة، وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن والمصانع حتّى عاد ذلك كلّه رملاً دقيقاً تسفيه الريح، وكانت تلك الريح ترفع الرجال والنساء فتهبُّ بهم صعداً ثمّ ترمي بهم من الجوّ فيقعون على رؤوسهم منكّسين.

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ١٨-١٩.

(٢) روضة الكافي: ص ٤٧٣-٤٧٤، البحار: ج ١١، ص ٣٥٤، باب ٤/ح ٦.

(٣) معاني الأخبار: ص ١٨ وفيه: ان عاداً كانوا يسلخون ا هـ. البحار: ج ١١/ ص ٣٥٧/ باب ٤/ ح ١٤.

وكانت عاد ثلاثة عشر قبيلة وكان هود عليه السلام في حسب عاد وثروتها، وكان أشبه ولد آدم بآدم صلوات الله عليهما، وكان رجلاً آدم كثير الشعر حسن الوجه ولم يكن أحد من الناس أشبه بآدم منه إلاّ ما كان من يوسف بن يعقوب عليه السلام. فلبث هود فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك بالله تعالى وظلم الناس ويخوّفهم بالعذاب، فلجّوا وكانوا يسكنون أحقاف الرمال، وإنّه لم يكن أُمّة أكثر من عاد ولا أشدّ منهم بطشاً.

فلمّا رأوا الريح قد أقبلت عليهم قالوا لهود: أتخوّفنا بالريح؟ فجمعوا ذراريهم وأموالهم في شعب من تلك الشعاب، ثمّ قاموا على باب ذلك الشعب يردُّون الريح عن أموالهم وأهاليهم، فدخلت الريح من تحت أرجلهم بينهم وبين الأرض حتّى قلعتهم فهبّت بهم صعداً، ثمّ رمت بهم من الجوّ، ثمّ رمت بهم الريح في البحر، وسلّط الله عليهم الذرّ فدخلت في مسامعهم، وجاءهم من الذرّ ما لا يطاق قبل أن يأخذهم الريح، فسيّرهم من بلادهم وحال بينهم وبين موادّهم حتّى أتاهم الله.

وقد كان سخّر لهم من قطع الجبال والصخور والعمد والقوّة على ذلك والعمل به شيئاً لم يسخّره لأحد كان قبله ولا بعدهم، وإنّما سمّيت «ذات العماد» من أجل أنّهم يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الّذي يسلخونه منه من أسفله إلى أعلاه، ثمّ ينقلون تلك العمد فينصبونها، ثمّ يبنون فوقها القصور، وقد كانوا ينصبون تلك العمد أعلاماً في الأرض على قوارع الطريق: وكان كثرتهم بالدهناء ويبرين وعالج إلى اليمن إلى حضرموت[1].

وسئل وهب عن هود أكان أبا اليمن الّذي ولّدهم؟

فقال: لا ولكنّه أخو اليمن الّذي في التوراة تنسب إلى نوح عليه السلام، فلمّا كانت العصبيّة بين العرب وفخرت مضر بأبيها إسماعيل ادّعت اليمن هوداً أباً ليكون لهم أب ووالد من الأنبياء، وليس بأبيهم ولكنّه أخوهم، ولحق هود ومن آمن معه بمكّة فلم يزالوا بها حتّى ماتوا، وكذلك فعل صالح عليه السلام بعده وقد سلك فجّ الروحاء

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص٨٨-٨٩، باب ٣/ح ٨١، البحار: ج ١١/ ص ٣٥٧-٣٥٨، باب ٤/ح ١٥.

سبعون ألف نبيّ حجّاجاً عليهم ثياب الصوف مخطمين إبلهم الصوف، يلبّون الله بتلبية شتّى، منهم هود وصالح وإبراهيم وموسى وشعيب ويونس صلوات الله عليهم، وكان هود رجلاً تاجراً[١].

عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا بعث الله تعالى هوداً أسلم له العقب من ولد سام، وأمّا الآخرون فقالوا: من أشدّ منّا قوّة فأُهلكوا بالريح العقيم، وأوصاهم هود وبشّرهم بصالح عليه السلام [٢].

عن أيّوب بن راشد، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت أعمار قوم هود عليه السلام أربعمائة سنة، وقد كانوا يعذّبون بالقحط ثلاث سنين فلم يرجعوا عمّا هم عليه، فلمّا رأوا ذلك بعثوا وفداً لهم إلى جبال مكّة وكانوا لا يعرفون موضع الكعبة، فمضوا واستسقوا فرفعت لهم ثلاث سحابات فقالوا: هذه حفا، يعني الّتي ليس فيها ماء، وسمّوا الثانية فاجياً، واختاروا الثالثة الّتي فيها العذاب.

قال: والريح عصفت عليهم وكان رئيسهم يقال له الخلجان.

فقال: يا هود ما ترى الريح إذ أقبلت أقبل معها خلق كأمثال الأباعر أعمدة، هم الّذين يفعلون بنا الأفاعيل.

فقال: أُولئك الملائكة.

فقال: أترى ربّك إن نحن آمنّا به أن يديلنا منهم.

فقال لهم هود عليه السلام: إنّ الله تعالى لا يديل أهل المعاصي من أهل الطاعة.

فقال له الخلجان: وكيف لي بالرجال الّذين هلكوا؟

فقال له هود: يبدّلك الله بهم من هو خير لك منهم، فقال: لا خير في الحياة بعدهم، فاختار اللّحاق بقومه فأهلكه الله تعالى[٣].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٨٩-٩٠، الباب ٣/ح ٨٢، البحار: ج ١١/ص ٣٥٨-٣٥٩، باب ٤/ح ١٥.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٩٠/ باب ٣/ح ٨٣، البحار: ج ١١/ص ٣٥٩، باب ٤/ح ١٦، إكمال الدين: ص ٨١.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٩٠-٩١، باب ٣/ح ٨٤، البحار: ج ١١/ص ٣٥٩، باب ٤/ح ١٧.

عن ابن نباتة قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى نخيلة فإذا أُناس من اليهود معهم ميّت لهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن: انظر ما يقول هؤلاء في هذا القبر.

فقال: يقولون: هو هود عليه السلام، فقال: كذبوا أنا أعلم به منهم، هذا قبر يهودا ابن يعقوب، ثمّ قال: مَن ههنا من مهرة؟

فقال: شيخ كبير أنا منهم فقال لهم: أين منزلك؟

فقال: في مهرة على شاطئ البحر.

فقال: أين هو من الجبل الّذي عليه الصومعة.

قال: قريبٌ منه.

فقال: ما يقول قومك فيه؟

فقال: يقولون: قبر ساحر.

فقال: كذبوا أنا أعلم به منهم ذلك قبر هود عليه السلام وهذا قبر يهودا[١].

عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا هاجت الرياح فجاءت بالسا في الأبيض والأسود والأصفر فإنّه رميم قوم عاد[٢].

في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أخبرني عن يوم الأربعاء والتطيّر منه.

فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق وساق الحديث إلى أن قال: - ويوم الأربعاء أرسل الله عزّ وجلّ الريح على قوم عاد، ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة[٣].

عن عليّ بن سالم عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: لمّا حضرت نوحاً عليه السلام الوفاة دعا الشيعة فقال لهم: اعلموا أنّه ستكون بعدي غيبة تظهر فيها الطواغيت،

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٩١/ باب ٣/ح ٨٥، البحار: ج ١١/ ص ٣٥٩-٣٦٠، باب ٤/ح ١٨.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٩١/باب ٣/ح ٨٦، البحار: ج ١١/ ص ٣٦١، باب ٤/ح ١٣.

(٣) علل الشرائع: ص ١٩٩، العيون ص ١٣٦-١٣٧، الخصال: ج ٢/ ص ٢٨، البحار: ج ١١/ ص ٣٦٢-٣٦٣، باب ٤/ح ٢٢.

وأنّ الله عزّ وجلّ يفرّج عنكم بالقائم من ولدي اسمه هود، له سمت وسكينة ووقار، يشبهني في خلقي وخلقي، وسيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالريح، فلم يزالوا يترقّبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد فقست قلوب كثير منهم، فأظهر الله تعالى ذكره نبيّه هوداً عنه اليأس منهم وتناهي البلاء بهم، وأهلك الأعداء بالريح العقيم الّتي وصفها الله تعالى ذكره، فقال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾(١) ثمّ وقعت الغيبة به بعد ذلك إلى أن ظهر صالح عليه السلام (٢).

قال الشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحه: جملة ما ذكره السدّيّ ومحمّد بن إسحاق وغيرهما من المفسّرين في قصّة هود أنّ عاداً كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشجر والأحقاف وهو رمال يقال لها: رمل عالج والدهناء وبيرين ما بين عمّان إلى حضرموت، وكان لهم ذرع ونخل، ولهم أعمار طويلة، وأجساد عظيمة، وكانوا أصحاب أصنام يعبدونها، فبعث الله إليهم هوداً نبيّاً، وكان من أوسطهم نسباً، وأفضلهم حسباً، فدعاهم إلى التوحيد وخلع الأنداد، فأبوا عليه فكذّبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين، وقيل ثلاث سنين حتّى قحطوا.

وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجؤوا إلى بيت الله الحرام بمكّة مسلمهم وكافرهم، وأهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ ابن سام بن نوح(٣)، وكان سيّد العماليق إذ ذاك بمكّه رجلاً يقال له: معاوية بن بكر(٤)، وكانت أُمّه من عاد فبعث عاد وفداً إلى مكّة ليستسقوا لهم، فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكّة خارجاً من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر، فلمّا رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوّثون من البلاء الّذي نزل بهم شقّ ذلك عليه.

وقال: هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي أستحيي أنّ آمرهم

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٢.

(٢) إكمال الدين: ص ٨١، البحار: ج ١١/ص ٣٦٣-٣٦٤، باب ٤/ح ٢٧.

(٣) قال الفيروزآبادي: عمليق -كقنديل أوقرطاس - ابن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح.

(٤) في العرائس: اسمها يا هدة بنت الخبيري رجل من عاد.

بالخروج إلى ما بعثوا إليه وشكا ذلك إلى قينتيه[١] اللّتين كانتا تغنّيانهم وهما الجرادتان فقالتا: قل شعراً نغنّيهم به لا يدرون من قاله، فقال معاوية ابن بكر:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعلّ الله يسقينا غماماً[٢]
فيسقي أرض عاد إنّ عاداً قد أمسوا ما يبينون الكلاما
وإنّ الوحش تأتيهم جهاراً ولا تخشى لعاديّ سهاماً
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبّح وفدكم من وفد قوم ولا لقّوا التحيّة والسلاما

فلمّا غنّتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض: إنّما بعثكم قوم يتغوّثون بكم من هذا البلاءِ فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم.

فقال رجل منهم قد آمن بهود سرّاً: والله لاتسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيّكم سقيتم فزجروه وخرجوا إلى مكّة يستسقون بها لعاد، وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فقال: يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فإنّا قد هلكنا، فأنشأ الله سحاباً ثلاثا: بيضاء وحمراء وسوداء، ثمّ ناداه مناد من السماء: يا قيل اختر لنفسك ولقومك، فاختار السحابة السوداء الّتي فيها العذاب، فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة إلى عاد، فلمّا رأوها استبشروا بها وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] فسخّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيّام حسوماً أي دائمة، فلم تدع من عاد أحداً إلاّ هلك، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلاّ ما تلين عليه الجلود وتلتذّ النفوس[٤].

(١) القينة: المغنية.
(٢) الهينم: الكلام الخفي.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤.
(٤) مجمع البيان: ج ٤/ ص ٤٣٨-٤٣٩، البحار: ج ١١/ ص ٣٦٤-٣٦٥، باب ٤/ح رقم (٢٧).

قصة شداد وإرم ذات العماد

الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾[1].

قال الطبرسيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلفوا في إرم على أقوال:

أحدهما: أنّه اسم قبيلة، قال أبو عبيدة: هما عادان، فالأولى هي إرم وهي الّتي قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾.

وقيل: هو جدّ عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، عن محمّد بن إسحاق.

وقيل: هو سام بن نوح نسب عاد إليه، عن الكلبيّ؛ وقيل: إرم عاد قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم.

وثانيها: أنّ إرم اسم بلد، ثمّ قيل هو دمشق؛ وقيل: مدينة الإسكندريّة.

وقيل: هو مدينة بناها شدّاد بن عاد فلمّا أتمّها وأراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحة نزلت من السماء.

وثالثها: أنّه ليس بقبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد، وكان عاد يعرف به، وروي عن الحسن أنّه قرأ: «بعاد إرم» على الإضافة، وقال: هو اسم آخر لعاد، وكان له اسمان، ومن جعله بلداً فالتقدير: بعاد صاحب إرم.

وقوله: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ يعني أنّهم كانوا أهل عمد سيّارة في الربيع، فإذا هاج البيت رجعوا إلى منازلهم.

---

(١) سورة الفجر، الآيات: ٦-٨.

وقيل: معناه: ذات الطول والشدّة من قولهم: رجل معمّدٌ طويل، ورجل طويل العماد أي القامة.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا﴾ أي مثل تلك القبيلة في الطول والقوّة وعظم الأجسام، وهو الّذين قالوا: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وروي أنّ الرجل منهم كان يأتي بالصخرة فيحملها على الحيّ فيهلكهم.

وقيل: ذات العماد أي ذات الأبنية العظام المرتفعة: وقال ابن زيد: ذات العماد في إحكام البنيان.

﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا﴾ أي مثل أبنيتها في البلاد[1].

عن منصور، عن أبي وائل قال: إنّ رجلاً يقال له عبدالله بن قلاّبة خرج في طلب إبل له قد شردت، فبينا هو في صحارى عدن في تلك الفلوات إذ هو قد وقع على مدينة عليها حصن، حول ذلك الحصن قصور كثيرةٌ وأعلام طوالٌ، فلمّا دنا منها ظنّ أنّ فيها من يسأله عن إبله فلم ير داخلاً ولا خارجاً، فنزل عن ناقته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن، فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول، وإذا خشبها من أطيب عود، وعليها نجومٌ من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان.

فلمّا رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين ودخل فإذا هو بمدينة لم يرالراؤون مثلها قطّ، وإذا هو بقصور كلّ قصر منها معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كلّ قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنيّة بالذهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعلى كلّ باب من أبواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود طيّب قد نضدت عليه اليواقيت، وقد فرشت تلك القصور باللّؤلؤ وبنادق المسك والزعفران.

فلمّا رأى ذلك ولم ير هناك أحداً أفزعه ذلك ونظر إلى الأزقّة وإذا في كلّ زقاق منها أشجار قد أثمرت، تحتها أنهار تجري.

فقال: هذه الجنّة الّتي وصف الله عزّوجلّ لعباده في الدنيا، فالحمد لله الّذي

(١) مجمع البيان: ج ١٠/ ص ٤٨٥-٤٨٦، البحار: ج ١١/ ص ٣٦٦، باب ٥/ تفسير الآية.

أدخلني الجنّة، فحمل من لؤلوئها وبنادقها بنادق المسك والزعفران، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها لأنّه كان مثبتاً في أبوابها وجدرانها، وكان اللّؤلؤ وبنادق المسك والزعفران بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف كلّها، فأخذ منها ما أراد وخرج حتّى أتى ناقته وركبها، ثمّ سار يقفو أثره حتّى رجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وأعلم الناس أمره، وباع بعض ذلك اللّؤلؤ وكان قد اصفارّ وتغيّر من طول ما مرّ عليه اللّيالي والأيّام، فشاع خبره وبلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولاً إلى صاحب صنعاء وكتب بإشخاصه، فشخص حتّى قدم على معاوية فخلا به وسأله عمّا عاين فقصّ عليه أمر المدينة وما رأى فيها وعرض عليه ما حمله منها من اللّؤلؤ وبنادق المسك والزعفران.

فقال: والله ما أُعطي سليمان بن داود مثل هذه المدينة، فبعث معاوية إلى كعب الأحبار فدعاه فقال له: يا أبا إسحاق هل بلغك أنّ في الدنيا مدينة مبنيّة بالذهب والفضّة، وعمدها زبرجد وياقوت، وحصى قصورها وغرفها اللّؤلؤ، وأنهارها في الأزقّة تجري تحت الأشجار.

قال كعب: أمّا هذه المدينة صاحبها شدّاد بن عاد الّذي بناها، وأمّا المدينة فهي إرم ذات العماد وهي الّتي وصفها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه المنزل على نبيّه محمّد ﷺ، وذكر أنّه لم يخلق مثلها في البلاد.

قال معاوية: حدّثنا بحديثها.

فقال: إنّ عاد الأُولى - وليس بعاد قوم هود - كان له ابنان سمّي أحدهما شديداً، والآخر شدّاداً، فهلك عاد وبقيا وملكا وتجبّرا وأطاعهما الناس في الشرق والغرب، فمات شديدّ وبقي شداد فملك وحده لم ينازعه أحد، وكان مولعاً بقراءة الكتب، وكان كلّما سمع يذكر الجنّة وما فيها من البنيان والياقوت والزبرجد واللّؤلؤ رغب أنّ يفعل مثل ذلك في الدنيا عتوّا على الله عَزَّوَجَلَّ، فجعل على صنعتها مائة رجل تحت كلّ واحد منهم ألف من الأعوان فقال:

انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضّة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، واصنعوا تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد، وعلى المدينة قصوراً، وعلى القصور غرفاً، وفوق الغرف غرفاً، واغرسوا تحت

القصور في أزقّتها أصناف الثمار كلّها، وأجروا فيها الأنهار حتّى تكون تحت أشجارها فإنّي أرى في الكتاب صفة الجنّة وأنا أُحبّ أن أجعل مثلها في الدنيا، قالوا له: كيف نقدر على ما وصفت لنا من الجواهر والذهب والفضّة حتّى يمكننا أنّ نبني مدينة كما وصفت؟ قال شدّاد: ألا تعلمون أنّ ملك الدنيا بيدي؟ قالوا: بلى، قال:

فانطلقوا إلى كلّ معدن من معادن الجواهر والذهب والفضّة فوكلوا بها حتّى تجمعوا ما تحتاجون إليه، وخذوا جميع ما تجدونه في أيدي الناس من الذهب والفضّة، فكتبوا إلى كلّ ملك في الشرق والغرب فجعلوا يجمعون أنواع الجواهر عشر سنين فبنوا له هذه المدينة في مدّة ثلاث مائة سنة، وعمّر شدّاد تسعمائة سنة، فلمّا أتوه وأخبروه بفراغهم منها قال:

فانطلقوا فاجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كلّ قصر ألف علم، يكون في كلّ قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، فرجعوا وعملوا ذلك كلّه، ثمّ أتوه فأخبروه بالفراغ منها كما أمرهم، فأمر النّاس بالتجهيز إلى إرم ذات العماد، فأقاموا في جهازهم إليها عشر سنين، ثمّ سار الملك يريد إرم فلمّا كان من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عزّ وجلّ عليه وعلى جميع من كان معه صيحة من السماءِ فأهلكتهم، ولا دخل إرم ولا أحد ممّن كان معه؛ فهذه صفة إرم ذات العماد الّتي لم يخلق مثلها في البلاد وإنّي لأجد في الكتب أنّ رجلاً يدخلها ويرى ما فيها ثمّ يخرج فيحدّث الناس بما يرى فلا يصدّق، وسيدخلها أهل الدين في آخر الزمان[1].



(١) إكمال الدين: ص ٣٠٥-٣٠٧. قال المسعودي في مروج الذهب ولنعم ما قال: إن هذا من أكاذيب الندماء ليتقربوا بها عند السلاطين؛ البحار: ج ١١/ ص ٣٦٧-٣٦٩، باب ٥/ح ٢.

قصة صالح عليه السلام وقومه

عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم صالح؟

فقال: يا محمّد إنّ صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ستّ عشر سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير.

قال: وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله.

فلمّا رأى ذلك منهم قال: يا قوم إنّي قد بعثت إليكم وأنا ابن ستّ عشر سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة وأنا أعرض عليكم أمرين: إن شئتم فاسألوني حتّى أسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألوني، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتني بالّذي أسألها خرجت عنكم فقد شنأتكم وشنأتموني.

فقالوا: قد أنصفت يا صالح فاتّعدوا اليوم يخرجون فيه.

قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم ثمّ قرّبوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا، فلمّا أن فرغوا دعوه.

فقالوا: يا صالح سل، فدعا صالح كبير أصنامهم.

فقال: ما اسم هذا؟

فأخبروه باسمه، فناداه باسمه فلم يجب.

فقال صالح: ماله لا يجيب؟

فقالوا له: ادع غيره، فدعاها كلّها بأسمائها فلم يجبه واحدٌ منهم!

فقال: يا قوم قد ترون قد دعوت أصنامكم فلم يجبني واحدٌ منهم فاسألوني

حتّى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها: ما بالكنّ لا تجبن صالحاً؟ فلم تجب.

فقالوا: يا صالح تنحّ عنّا ودعنا وأصنامنا قليلاً.

قال: فرموا بتلك البسط الّتي بسطوها، وبتلك الآنية وتمرّغوا في التراب وقالوا لها: لئن لم تجبن صالحاً اليوم لنفضحنّ، ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح تعال فسلها، فعاد فسألها فلم تجبه.

فقالوا: إنّما أراد صالح أن تجيبه وتكلّمه بالجواب.

قال: فقال: يا قوم هوذا ترون قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبني، فاسألوني حتّى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة.

قال: فانتدب له سبعون رجلاً من كبرائهم وعظمائهم والمنظور إليهم منهم فقالوا: يا صالح نحن نسألك.

قال: فكلّ هؤلاء يرضون بكم؟

قالوا: نعم فإن أجابوك هؤلاء أجبناك.

قالوا: يا صالح نحن نسألك فإن أجابك ربّك اتّبعناك وأجبناك وتابعك جميع أهل قريتنا.

فقال لهم صالح: سلوني ما شئتم.

فقالوا: انطلق بنا إلى هذا الجبل - وجبل قريب - منه حتّى نسألك عنده.

قال: فانطلق وانطلقوا معه فلمّا انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح اسأل ربّك أن يخرج لنا الساعة من هذا الجبل ناقةً حمراء شقراء وبراء عشراء - وفي رواية محمّد بن نصر: حمراء شعراء بين جنبيها ميل - قال: قد سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربّي، فسأل الله ذلك فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه العقول لمّا سمعوا صوته، قال: واضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض ثمّ لم يفجأهم إلاّ ورأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع، فما استتمّت رقبتها حتّى اجترّت ثمّ خرج سائر جسدها ثمّ استوت على الأرض قائمةً، فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك! فسله أنّ يخرج لنا فصيلها.

قال: فسأل الله تعالى ذلك فرمت به فدبّ حولها، فقال: يا قوم أبقي شيءٌ؟

قالوا: لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم ما رأينا ويؤمنوا بك.

قال: فرجعوا فلم يبلغ السبعون الرجل إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعة وستّون رجلاً وقالوا: سحرٌ، وثبت السنّة وقالوا: الحقّ ما رأينا، قال: فكثر كلام القوم ورجعوا مكذّبين إلاّ السنّة ثمّ ارتاب من السنّة واحدٌ فكان فيمن عقرها.

وزاد محمّد ابن نصر في حديثه: قال سعيد بن يزيد: فأخبرني أنّه رأى الجبل الّذي خرجت منه بالشام فرأى جنبها قدحكّ الجبل فأثّر جنبها فيه، وجبل آخر بينه وبين هذا ميلٌ(1).

عن أبي مطر قال: لمّا ضرب ابن ملجم الفاسق لعنه الله أمير المؤمنين عليه السلام قال له الحسن: أقتله؟

قال: لا ولكن احبسه فإذا متُّ فاقتلوه، وإذا متُّ فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخويّ: هود وصالح(2).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها النّاس إنّما يجمع الناس الرضى والسخط وإنّما عقر ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضى، فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾(3) فما كان إلاّ أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكّة المحماة في الأرض الخوّارة(4).

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾(5).

يقول: مصدّق ومكذّب، قال الكافرون منهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾.

---

(1) البحار: ج 11/ ص 378-379، باب 6/ح 3. تفسير العياشي.
(2) التهذيب: ج 2/ ص 12، البحار: ج 11/ ص 379، باب 6/ ح 4.
(3) سورة الشعراء، الآية: 157.
(4) نهج البلاغة: الخطبة رقم: (201).
(5) سورة النمل، الآية: 45.

قال المؤمنون: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾[١].

فقال الكافرون: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٧٦ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧٧﴾[٢] فجاءهم بناقة فعقروها وكان الّذي عقرها أزرق أحمر ولد الزنا.

وأمّا قوله: ﴿لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ فإنّهم سألون قبل أن تأتيهم الناقة أن يأتيهم بعذاب أليم، فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾[٣] يقول: بالعذاب قبل الرحمة. قول: ﴿ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ فإنّهم أصابهم جوع شديد.

فقالوا: هذا من شؤمك وشؤم من معك أصابنا هذا وهي الطيرة ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ يقول خيركم وشرّكم من عند الله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ أي تبتلون.

قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ كانوا يعملون في الأرض بالمعاصي.

قوله: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي تحالفوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ لنحلفنّ ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ منهم ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[٤] يقول: لنفعلنّ فأتوا صالحاً ليلاً ليقتلوه وعند صالح ملائكة يحرسونه فلمّا أتوه قاتلتهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة فأصبحوا في داره مقتّلين، وأخذت قومه الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين[٥].

قال صاحب الكامل: أوحى الله إلى صالح أنّ قومك سيعقرون الناقة، فقال لهم: ذلك.

فقالوا: ما كنّا لنفعل.

قال: إن لا تعقروها أنتم يوشك أن يولد منكم مولود يعقرها.

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٧٥-٧٧.
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٦.
(٣) سورة النمل، الآيات: ٤٦-٤٩.
(٤) سورة النمل، الآيات: ٤٦-٤٩.
(٥) تفسير القمي: ص ٤٨١، البحار: ج ١١/ ص ٣٨٠-٣٨١، باب ٦/ح ٧.

قالوا: فما علامته فوالله لا نجده إلاّ قتلناه؟

قال: إنّه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر.

قال: فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب له عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفواً، فزوّج أحدهما ابنته بابن الآخر فولد بينهما المولود، فلمّا قال لهم صالح: إنّما يعقرها مولودٌ فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهنّ شرطاً يطوفون في القرية، فإذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ماهو، فلمّا وجدوا ذلك المولود صرخت النسوة وقلن: هذا الّذي يريد نبيّ الله صالح، فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جدّاه بينه وبينهم وقالوا: لو أراد صالح هذا لقتلناه، فكان شرّ مولود، وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون كانوا قتلوا أولادهم خوفاً من أن يكون عاقر الناقة منهم ثمّ ندموا فأقسموا ليقتلنّ صالحاً وأهله.

وقالوا: نخرج فنري الناس إنّنا نريد السفر فنأتي الغار الّذي على طريق صالح فنكون فيه، فإذا جاء اللّيل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه ثمّ رجعنا إلى الغار ثمّ انصرفنا إلى رحالنا وقلنا: ما شهدنا قتله فيصدّقنا قومه، وكان صالح لا ينام معهم، كان يخرج إلى مسجد له يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه، فلمّا دخلوا الغار سقط عليهم صخرة فقتلتهم، فانطلق رجال ممّن عرف الحال إلى الغار فرأوهم هلكى فعادوا يصيحون أنّ صالحاً أمرهم بقتل أولادهم ثمّ قتلهم.

وقيل: إنّما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وإنذار صالح إيّاهم بالعذاب، وذلك أنّ التسعة الّذين عقروا الناقة.

قالوا: تعالوا فلنقتل صالحاً، فإن كان صادقاً عجّلنا قتله، وإن كان كاذباً ألحقناه بالناقة، فأتوه ليلاً في أهله فدفعتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا، فأتى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح: أنت قتلتهم فأرادوا قتله فمنعهم عشيرته.

وقالوا: إنّه قد وعدكم العذاب فإن كان صادقاً فلا تزيدوا ربّكم غضباً، وإن كان كاذباً فنحن نسلّمه إليكم، فعادوا عنه.

فعلى القول الأوّل يكون التسعة الّذين تقاسموا غير الّذين عقروا الناقة، والثاني أصحّ انتهى[١].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن ستّة لم يركضوا في رحم فقال: آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخفّاش الّذي عمله عيسى بن مريم فطار بإذن الله عزّ وجلّ[٢].

عن سفيان بن ليلى قال: سأل ملك الروم الحسن بن عليّ عليه السلام عن سبعة أشياء خلقها الله عزّ وجلّ لم تخرج من رحم.

فقال: آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وناقة صالح وحيّة الجنّة والغراب الّذي بعثه الله عزّ وجلّ يبحث في الأرض وإبليس لعنه الله[٣].

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾[٤].

فقال: هذا لمّا كذّبوا صالحاً عليه السلام، وما أهلك الله قوماً قطّ حتّى يبعث إليهم الرسل قبل ذلك فيحتجّوا عليهم، فإذا لم يجيبوهم أُهلكوا، وقد كان بعث الله صالحاً عليه السلام فدعاها إلى الله تعالى فلم يجيبوه وعتوا عليه فقالوا: لن نؤمن حتّى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء، وكانت صخرة يعظّمونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجتمعون عندها، فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً فادع الله يخرج لنا ناقة منها، فأخرجها لهم كما طلبوا منه.

وأوحى الله تعالى إلى صالح أن قل لهم: إنّ الله جعل لهذه الناقة شرب يوم ولكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا شربت يومها شربت الماء كلّه فيكون شرابهم ذلك اليوم من لبنها فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلاّ شرب من لبنها يومه ذلك، فإذا كان اللّيل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربواهم ذلك اليوم ولا تشرب الناقة، فمكثوا بذلك ما شاء الله حتّى عتوا ودبّروا في قتلها، فبعثوا رجلاً أحمر

---

(١) كامل التواريخ: ج ١/ص ٣٦، البحار: ج ١١/ص ٣٨١-٣٨٢، باب ٦/ح رقم (٧).
(٢) الخصال: ج ١/ص ١٥٦، علل الشرائع: ص ١٩٨، العيون: ص ١٣٥، البحار: ج ١١/ص ٣٨٥، باب ٦/ح ٩.
(٣) البحار: ج ١١/ص ٣٨٥، باب ٦/ح ١٠.
(٤) سورة القمر، الآية: ٢٣.

أشقر أزرق لا يعرف له أبٌ ولد الزنا يقال له: فدار ليقتلها، فلمّا توجّهت الناقة إلى الماء ضربها ضربةً ثمّ ضربها أُخرى فقتلها، ومرّ فصيلتها حتّى صعد إلى جبل فلم يبق منهم صغيرٌ ولا كبيرٌ إلاّ أكل منها.

فقال لهم صالح عليه السلام: أعصيتم ربّكم إنَّ الله تعالى يقول: إن تبتم قبلت توبتكم، وإن لم ترجعوا بعثت إليكم العذاب في اليوم الثالث.

فقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

قال: إنّكم تصبحون غداً وجوهكم مصفرَّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودّة؛ فاصفرّت وجوههم فقال بعضهم: يا قوم قد جاءكم ما قال صالح:

فقال العتاة: لا نسمع ما يقول صالح ولو هلكنا، وكذلك في اليوم الثاني والثالث، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخ صرخةً خرقت أسماعهم، وقلقلت قلوبهم، فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم، ثمّ أرسل الله عليهم ناراً من السماء فأحرقتهم[١].

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾[٢]: وإنّما قال: ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ لأنّ العذاب أخذهم عند الصباح.

وقيل: أتتهم الصيحة ليلاً فأصبحوا على هذه الصفة، والعرب تقول عند الأمر العظيم: واسوء صباحاه. انتهى[٣].

عن الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ صالحاً عليه السلام غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب كهلاً حسن الجسم، وافر اللّحية، ربعة من الرجال، فلمّا رجع إلى قومه لم يعرفون، وكانوا على ثلاث طبقات: طبقة جاحدة لا ترجع أبداً، وأُخرى شاكّة، وأُخرى على يقين، فبدأ حين رجع بالطبقة الشاكّة فقال

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٩٧-٩٨، باب ٣/ح ٩٠، البحار: ج ١١/ ٣٨٥-٣٨٦، باب ٦/ح ١١.

(٢) سورة هود، الآيات: ٦٧-٩٤.

(٣) مجمع البيان: ج ٥/ ص ١٧٥، البحار: ج ١١/ ص ٣٨٦، باب ٦/ رقم ح (١١).

لهم: أنا صالح، فكذّبوه وشتموه وزجروه وقالوا: إنّ صالحاً كان على غير صورتك وشكلك، ثمَّ أتى إلى الجاحدة فلم يسمعوا منه ونفروا منه أشدَّ النفور.

ثمّ انطلق إلى الطبقة الثالثة وهم أهل اليقين فقال لهم: أنا صالح.

فقالوا: أخبرنا خبراً لا نشكّ أنّك صالح، إنّا نعلم أنّ الله تعالى الخالق يحوِّل في أيّ صورة شاء، وقد أُخبرنا وتدارسنا بعلامات صالح عليه السلام إذا جاء.

فقال: أنا الّذي أتيتكم بالناقة.

فقالوا: صدقت وهي الّتي نتدارس، فما علامتها؟

قال: لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم.

فقالوا: آمنّا بالله وبما جئتنا به، قال عند ذلك الّذين استكبروا وهم الشكّاك والجحّاد: إنّا بالّذي آمنتم به كافرون. قال زيد الشحّام: قلت: يا ابن رسول الله هل كان ذلك اليوم عالم؟ قال: الله أعدل من أن يترك الأرض بلاعالم، فلمّا ظهر صالح عليه السلام اجتمعوا عليه، وإنّما مثل عليّ والقائم صلوات الله عليهما في هذه الأُمّة مثل صالح عليه السلام (١).

عن يعقوب بن إبراهيم قال: سأل رجل أبا الحسن موسى عليه السلام عن أصحاب الرسّ الّذين ذكرهم الله من هم؟ وممّن هم؟ وأيّ قوم كانوا؟ فقال: كانا رسّين: أمّا أحدهما فليس الّذي ذكره الله في كتابه، كان أهله بدو أصحاب شاة وغنم، فبعث الله تعالى إليهم صالح النبيّ رسولاً فقتلوه، وبعث إليهم رسولاً آخر فقتلوه، ثمّ بعث إليهم رسولاً آخر وعضّده بوليّ فقتل الرسول وجاهد الوليُّ حتّى أفحمهم، وكانوا يقولون: إلهنا في البحر وكانوا على شفيره، وكان لهم عيدٌ في السنّة يخرج حوتٌ عظيمٌ من البحر في ذلك اليوم فيسحدون له.

فقال وليُّ صالح لهم: لا أُريد أن تجعلوني ربّاً، ولكن هل تجيبوني إلى ما دعوتكم إن أطاعني ذلك الحوت؟

فقالوا: نعم، وأعطوه عهوداً ومواثيق، فخرج حوت راكب على أربعة

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٩٨-٩٩، باب ٣/ح ٩١، البحار: ج ١١/ ص ٣٨٦-٣٨٧، باب ٦/ح ١٢.

أحوات، فلمّا نظروا إليه خرّوا سجّداً، فخرج وليّ صالح النبيّ إليه وقال له: ايتني طوعاً أو كرهاً بسم الله الكريم، فنزل عن أحواته فقال الوليّ: ايتني عليهنّ لئلاّ يكون من القوم في أمري شكّ، فأتى الحوت إلى البرّ يجرّها وتجرّه إلى عند وليّ صالح، فكذّبوه بعد ذلك فأرسل الله إليهم ريحاً فقذفهم في اليمّ أي البحر ومواشيهم، فأتى الوحي إلى وليّ صالح بموضع ذلك البئر وفيها الذهب والفضّة، فانطلق فأخذه ففضّه على أصحابه بالسويّة على الصغير والكبير[١].

عليّ بن محمّد، عن عليّ بن عبّاس، عن الحسن بن عبد الرحمن عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾[٢] قال: هذا كان بما كذّبوا صالحاً، وما أهلك الله عزّ وجلّ قوماً حتّى يبعث إليهم قبل ذلك الرسل فيحتجّوا عليهم، فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبوه وعتوّا عليه عتواً وقالوا:

لن نؤمن لك حتّى تخرج إلينا من هذه الصخرة ناقة عشراء، وكانت الصخرة يعظّمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجتمعون عندها، فقالوا له:

إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً فادع لنا إلهك حتّى يخرج لنا من هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء، فأخرجها الله كما طلبوا منه، ثمّ أوحى الله تبارك وتعالى إليه:

أنّ يا صالح قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه الناقة شرب يوم ولكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت الماء ذلك اليوم فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلاّ شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا:

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص٩٦/ باب ٣/ح ٨٩، البحار: ج ١١/ ص ٣٨٧-٣٨٨، باب ٦/ ح ١٣.

(٢) سورة القمر، الآيات: ٢٣-٢٥.

اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم. ثمّ قالوا:

مَن الّذي يلي قتلها ونجعل له جعلاً ما أحبّ؟ فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لا يعرف له أب يقال له: قدار، شقيّ من الأشقياء، مشؤوم عليهم، فجعلوا له جعلاً، فلمّا توجّهت الناقة إلى الماءِ الّذي كانت ترده تركها حتّى شربت الماء وأقبلت راجعة فقعد لها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئاً، فضربها ضربة أُخرى فقتلها، وخرّت إلى الأرض على جنبها، وهرب فصيلها حتّى صعد على الجبل فرغا ثلاث مرّات إلى السماء.

وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد إلاّ شركه في ضربته، واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها، فلمّا رأى ذلك صالح أقبل إليهم فقال:

يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم؟ أعصيتم ربّكم؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام: أنّ قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجّة عليهم، ولم يكن عليهم فيها ضررٌ، وكان لهم أعظم المنفعة، فقل لهم: إنّي مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام، فإن هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعث عليهم عذابي في اليوم الثالث.

فأتاهم صالح عليه السلام فقال لهم: يا قوم إنّي رسول ربّكم إليكم وهو يقول لكم: إنّ أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم.

فلمّا قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأخبث وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.

قال: يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني وجوهكم محمرَّة، واليوم الثالث وجوهكم مسودَّة، فلمّا أن كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرّة، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح.

فقال العتاة منهم: لا نسمع قوم صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيماً، فلمّا كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرَّة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا:

يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح.

فقال العتاة منهم: لو أُهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا الّتي كان آباؤنا يعبدونها، ولم يتوبوا ولم يرجعوا، فلمّا كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودّة يمشي بعضهم لم بعض فقالوا: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح.

فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم، وفلقت قلوبهم، وصدعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثلاثة أيّام قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازلٌ بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ثاغية ولا راغية ولا شيء إلاّ أهلكه الله، فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماءِ فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصّتهم[١].

قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: فإذا كان يوم الناقة وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتّى تشرب كلّ ما فيه، ثمّ ترفع رأسها فتفحّج لهم فيحتلبون ما شاؤوا من لبن، فيشربون ويدّخرون حتّى يملؤوا أوانيهم كلّها.

قال الحسن بن محبوب: حدّثني رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت أثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعاً، وكانت تصدر من غير الفجّ الّذي منه وردت، لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد، يضيق عنها، فكانوا في سعة ودعة منها، وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشقّ ذلك عليهم، وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها فهمّوا بقتلها.

قالوا: وكانت امرأته جميلة، يقال لها: صدوف[٢] ذات مال من إبل وبقر وغنم وكانت أشدّ النّاس عداوةً لصالح فدعت رجلاً من ثمود يقال له: مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة، وامرأة أُخرى يقال لها: غنيرة[٣] دعت قدار

(١) روضة الكافي: ص ١٨٧-١٨٩، البحار: ج ١١/ ص ٣٨٨-٣٩٠، باب ٦/ح ١٤.

(٢) قال الثعلبي: يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة.

(٣) قال الثعلبي: يقال لها عنيزة بن غنم بن مخلدة وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمر وكانت عجوزة مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الإبل والبقر والغنم.

ابن سالف وكان أحمر أزرق قصيراً، وكان ولدزنا، ولم يكن لسالف الذي يدعى إليه ولكنّه ولد على فراشه، وقالت: أُعطيك أيّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه، فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فأتبعهما سبعة نفر وأجمعوا على عقر الناقة.

قال السدّيّ: ولمّا ولد قدار وكبر جلس مع أُناس يصيبون من الشراب فأرادوا ما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتدّ ذلك عليهم فقال قدار: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم.

وقال كعب: كان سبب عقرهم الناقة أنّ امرأةً يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثموداً، فلمّا أقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة إليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها: قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أُخرى يقال لها: قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كلّ ليلة ويشربون الخمر، فقالت لهما ملكاء: إن أتاكما اللّيلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما: إنّ الملكة حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتّى تعقرا الناقة فلمّا أتياهما قالتا لهما هذه المقالة، فقالا: نحن نكون من وراء عقرها، قال: فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في أصل أُخرى، فمرّت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فاسفرّت لقدار ثمّ زمّرته[1] فشدّ على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرّت ورغت رغاةً واحدةً تحذّر سقبها، ثمّ طعن في لبّتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه، فلمّا رأى الفصيل ما فعل بأُمّه ولّى هارباً حتّى صعد جبلاً ثمّ رغارغاءً تقطّع منه قلوب القوم، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنّما عقرها فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها؟ فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه، وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء، فقال لهم صالح: تمتّعوا في داركم يعني في محلّتكم في الدنيا ثلاثة أيّام فإنّ العذاب نازل

(١) في حديث علي عليه السلام: ألا وإن الشيطان قد زمر حزبه أي حضهم وشجعهم. منه عفى عنه.

بكم، ثمّ قال: يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني تصبحون ووجوهكم محمرَّة، واليوم الثالث وجوهكم مسودّة، فلمّا كان أوّل يوم أصبحت وجوههم مصفرّة فقالوا: جاءكم ما قال لكم صالح، ولمّا كان اليوم الثاني احمرّت وجوههم واليوم الثالث اسودّت وجوههم، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخةً خرقت أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم، وكانوا قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازلٌ بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين كبيرهم وصغيرهم، فلم يبق الله منهم ثاغيةً ولا راغيةً شيئاً يتنفس إلاّ أهلكها، فأصبحوا في ديارهم موتى، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين، فهذه قصّتهم.

وروى الثعلبيّ(١) بإسناده مرفوعاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يا عليّ أتدري من أشقى الأوّلين؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: عاقر الناقة. قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك.



(١) رواه الثعلبي في العرائس: ص ٤٣ باسناده عن محمد بن عبد الله بن حمدون قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا وكيع بن الحاج، قال: حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله، البحار: ج ١١/ص ٣٩١-٣٩٣، باب ٦/ح رقم (١٤)، مجمع البيان: ج ٤/ص ٤٤١-٤٤٣.

قصص إبراهيم عليه السلام

علل تسميته وسننه وفضائله ومكارم أخلاقه وسننه ونقش خاتمه عليه السلام

قال ابن عبّاس وغيره: إنّ أحبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتنازعوا في إبراهيم فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلاّ يهودياً.

وقالت النصارى: ما كان إلاّ نصرانياً، فنزلت الآية ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾(١) أي مائلاً عن الأديان كلّها إلى دين الإسلام؛ وقيل: أي مستقيماً في دينه(٢).

عن موسى بن جعفر عليه السلام في خبر اليهوديّ الّذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: تيقّظ إبراهيم بالاعتبار على معرفة الله وأحاطت دلائله بعلم الإيمان به وهو ابن خمسة عشر سنة(٣).

عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله اختار من كلّ شيء أربعة: اختار من الأنبياء للسيف إبراهيم وداود وموسى وأنا؛ واختار من البيوتات أربعة فقال عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٤) (٥) الخبر.

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عمّن خلق الله عزّ وجلّ من الأنبياء مختوناً.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.
(٢) مجمع البيان: ج ٢/ص ٤٥٦-٤٥٧، البحار: ج ١٢، ص ١-٢، باب ١/ تفسير الآية.
(٣) الإحتجاج: ص ٢١٣، البحار: ج ١٢/ص ٢-٣، باب ١/ح ١.
(٤) سورة آل عمران، الآيات؛ ٣٣-٣٤.
(٥) الخصال: ص ٢٢٥، باب الأربعة/ح ٥٨، البحار: ج ١٢، ص ٣، باب ١/ح ٣.

فقال: خلق الله عزّ وجلّ آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس ونوح وسام بن نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسأله عن أوّل من أمر بالختان، فقال: إبراهيم عليه السلام [(١)].

عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه عليه السلام أنّه قال: إنّما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً لأنّه لم يردّ أحداً، ولم يسأل أحداً قطّ غير الله عزّ وجلّ [(٢)].

عن عبيد الله بن عليّ، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: كان إبراهيم أوّل من أضاف الضيف، وأوّل من شاب، فقال: ما هذه؟

قيل: وقارٌ في الدنيا، ونور في الآخرة[(٣)].

عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لِمَ اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً؟

قال: لكثرة سجوده على الأرض[(٤)].

عن عبد العظيم الحسنيّ قال: سمعت عليّ ابن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: إنّما اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً لكثرة صلواته على محمّد وأهل بيته صلوات الله عليه وآله[(٥)].

عن جابر الأنصاريّ قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً إلاّ لإطعامه الطعام، وصلاته باللّيل والناس نيام[(٦)].

عن محمّد بن مروان، عمّن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اتّخذ الله

---

(١) علل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١/ص ٢١٩، باب ٢٤، ح ١، البحار: ج ١٢، ص ٣، باب ١/ح ٤.

(٢) علل الشرائع: ج ١/ص ٤٩، باب ٣٢/ح ٢، العيون: ص ٢٣١، البحار: ج ١٢/ ص ٤/باب ١/ح ٥.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٣٤٨، البحار: ج ١٢/ص ٤، باب ١/ح ٦.

(٤) علل الشرائع: ج ٢، من ٤٩، باب ٣٢/ح ١، البحار: ج ١٢/ ص ٤، باب ١/ح ٨.

(٥) علل الشرائع: ج ٢/ص ٤٩، باب ٣٢/ح ٣، البحار: ج ١٢، باب ١/ص ٤/ ح ٩.

(٦) علل الشرائع: ج ١/ص ٤٩، باب ٣٢/ح ٤، البحار: ج ١٢، باب ١/ص ٤/ح ١٠.

إبراهيم خليلاً أتاه ببشارة الخلّة ملك الموت في صورة شابّ أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً ودهناً، فدخل إبراهيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجاً من الدار، وكان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه؛ فخرج ذات يوم في حاجة وأغلق بابه ثمَّ رجع ففتح بابه فإذا هو برجل قائم كأحسن ما يكون من الرجال فأخذته الغيرة وقال له: يا عبد الله ما أدخلك داري؟

فقال: ربّها أدخلنيها.

فقال إبراهيم: ربّها أحقّ بها منّي، فمن أنت؟

قال: أنا ملك الموت.

قال: ففزع إبراهيم عليه السلام وقال: جئتني لتسلبني روحي؟

فقال: لا ولكن اتّخذ الله عزّ وجلّ عبداً خليلاً فجئت ببشارته.

فقال إبراهيم: فمن هذا العبد لعلي أخدمه حتّى أموت؟

قال: أنت هو.

قال: فدخل على سارة فقال: إنّ الله اتخذني خليلاً(١).

عن ابن صدقة، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّ إبراهيم عليه السلام هو أوّل من حول له الرمل دقيقاً، وذلك أنّه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام فلم يجده في منزله فكره أن يرجع بالحمار خالياً، فملأ جرابه رملاً فلمّا دخل منزله خلّى بين الحمار وبين سارة استحياءً منها ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون فخبزت وقدَّمت إليه طعاماً طيّباً، فقال إبراهيم: من أين لك هذا؟

فقالت: من الدقيق الّذي حملته من عند خليلك المصريّ.

فقال: أمّا إنّه خليلي وليس بمصريّ؛ فلذلك أُعطي الخلّة فشكر لله وحمده وأكل(٢).

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٤٩، باب ٣٢/ح ٥، البحار: ج ١٢/ باب ١/ص ٤-٥/ح ١١.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ١٦٠، البحار: ج ١٢/ باب ١/ص ٥-٦/ ح ١٣.

عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: عرض ملك الروم على الحسن بن عليّ صور الأنبياء فأخرج صنماً، فقال عليه السلام: هذه صفة إبراهيم عليه السلام عريض الصدر طويل الجبهة؛ الخبر[١].

عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الناس لا يشيبون فأبصر إبراهيم عليه السلام شيباً في لحيته.

فقال: يا ربّ ما هذا؟

فقال: هذا وقارٌ.

فقال: ربّ زدني وقاراً[٢].

عن نعيم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أصبح إبراهيم عليه السلام فرأى في لحيته شيباً شعرة بيضاء.

فقال: الحمد لله ربّ العالمين الّذي بلغني هذا المبلغ ولم أعص الله طرفة عين[٣].

عن محمّد بن عرفة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ من قبلنا يقولون إنّ إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ختن نفسه بقدوم على دنّ.

فقال: سبحان الله! ليس كما يقولون كذبوا.

فقلت له: صف لي ذلك.

فقال: إنّ الأنبياء عليهم السلام كانت تسقط عنهم غلفهم مع سررهم يوم السابع. الخبر[٤].

عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

فأمّا موسى فرجل طوّال سبط يشبه رجال الزطّ ورجال أهل شنوة.

---

(١) تفسير القمي: ج ٢/ص ٢٤٣، البحار: ج ١٢/باب ١/ص ٧/ح ١٨.
(٢) علل الشرائع: ج ١/ص ١٢٨، باب ٩٥/ح ١، البحار: ج ١٢/ باب ١/ص ٨/ح ١٩.
(٣) علل الشرائع: ج ١/ص ١٢٨، باب ٩٥/ح ٢، البحار: ج ١٢/ باب ١/ص ٨/ ٢٠.
(٤) علل الشرائع: ج ٢/ص ٢١٩، باب ٢٧٤/ح ١، البحار: ج ١٢/ص ٨، باب ١/ح ٢٢.

وأمّا عيسى فرجل أحمر جعد ربعة، قال: ثمّ سكت، فقيل له: يا رسول الله فإبراهيم؟

قال: انظروا إلى صاحبكم. يعني نفسه ﷺ (١).

نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أوّل من قاتل في سبيل الله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أسرت الروم لوطاً عليه السلام فنفر إبراهيم عليه السلام واستنقذه من أيديهم، وأوّل من اختتن إبراهيم عليه السلام اختتن بالقدوم على رأس ثمانين سنة(٢).

كان إبراهيم عليه السلام مضيافاً فنزل عليه يوماً قومٌ ولم يكن عنده شيء، فقال: إن أخذت خشب الدار وبعته من النجّار فإنّه ينحته صنماً ووثناً فلم يفعل، وخرج بعد أن أنزلهم في دار الضيافة ومعه إزار إلى موضع وصلّى ركعتين فلمّا فرغ، لم يجد الإزار علم أنّ الله هيأ أسبابه، فلمّا دخل داره رأى سارة تطبخ شيئاً، فقال لها: أنّى لك هذا؟

قالت: هذا الّذي بعثته على يد الرجل، وكان الله سبحانه أمر جبرئيل أن يأخذ الرمل الّذي كان في الموضع الّذي صلّى فيه إبراهيم ويجعله في إزاره والحجارة الملقاة هناك أيضاً، ففعل جبرئيل عليه السلام ذلك، وقد جعل الله الرمل جاورس مقشّراً، والحجارة المدوّرة شلجماً، والمستطيلة جزراً(٣).

عن عبيد الله الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب، ولا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾(٤) يقول: كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد ﷺ (٥).

عن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٤، البحار: ج ١٢/ص ١٠، باب ١/ح ٢٤.
(٢) نوادر الراوندي: ص ١٤٧/ح ٢٠٤، البحار ج ١٢/ص ١٠/باب ١/ح ٢٥.
(٣) الخرائج والجرائح: ج ٣/ص ٩٢٨، البحار: ج ١٢/ص ١١، باب ١/ح ٢٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٧.
(٥) تفسير العياشي: ج ١/ص ٢٠١/ح ٦٠، البحار: ج ١٢/ص ١١، باب ١/ح ٢٩.

اتّخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أنّ يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

قال: لا يكون السفيه إمام التقيّ[2].

عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف، وإنّه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار.

فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار؟

قال: دخلتها بإذن ربّها، يردّد ذلك ثلاث مرّات، فعرف إبراهيم عليه السلام أنّه جبرئيل فحمد ربّه، ثمّ قال: أرسلني ربّك إلى عبد من عبيده يتّخذه خليلاً، قال إبراهيم فأعلمني من هو، أخدمه حتّى أموت.

فقال: فأنت هو. قال: ولمَ ذلك.

قال: لأنّك لم تسأل أحداً شيئاً قطّ، ولم تُسأل شيئاً قط فقلت: لا[3].



قصص ولادته عليه السلام إلى كسر الاصنام وما جرى بينه وبين فرعونه، وبيان حال أبيه

وذكر أهل التفسير والتاريخ: أنّ إبراهيم عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان، وزعم بعضهم أنّ نمرود كان من ولاة كيكاوس: وبعضهم قال: كان ملكاً برأسه؛ وقيل لنمرود: إنه يولد مولود في بلده هذه السنة يكون هلاكه وزوال ملكه على يده، ثمّ اختلفوا فقال بعضهم: إنّما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهّن.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) أصول الكافي: ج ١/ص ٩٨، باب طبقات الأنبياء/ح ٢، البحار: ج ١٢، ص ١٢/ح ٣٦.

(٣) الكافي: ج ٤/ص ٣١٨، باب ٣٤/ح ٦، البحار: ج ١٢/ص ١٣، باب ١/ح ٤٠.

وقال آخرون: بل وجد ذلك في كتب الأنبياء.

وقال آخرون: رأى نمرود كأنّ كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر، فسأل عنه فعبّر بأنّه يولد غلام يذهب ملكه على يده، عن السدّيّ، فعند ذلك أمر بقتل كلّ غلام يولد تلك السنة، وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء، وبأن يتفحّص عن أحوال النساء، فمن وجدت حبلى تحبس حتّى تلد، فإن كان غلاماً قتل، وإن كانت جارية خلّيت، حتّى حبلت أُمّ إبراهيم فلمّا دنت ولادته خرجت هاربةً فذهبت به إلى غار ولفّته في خرقة ثمّ جعلت على باب الغار صخرة ثمَّ انصرفت عنه، فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصّها فتشخب لبناً، وجعل يشبّ في اليوم كما يشبّ غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة كما يشبّ غيره في الشهر ويشبُّ في الشهر كما يشبّ غيره في السنة، فمكث ما شاء الله أن يمكث.

وقيل: كانت تختلف إليه أُمّه فكان يمصّ أصابعه، فوجدته يمصّ من إصبع ماءً ومن إصبع لبناً ومن إصبع عسلاً ومن إصبع تمراً ومن إصبع سمناً، عن أبي روق ومحمّد بن إسحاق؛ ولمّا خرج من السرب نظر إلى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ثمَّ رأى القمر ثمَّ الشمس فقال ما قال، ولمّا رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم، وكان يعيب آلهتهم حتّى فشا أمره وجرت المناظرات(١).

عن ابن مسكان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ آزر أبا إبراهيم كان منجّماً لنمرود بن كنعان.

فقال له: إنّي أرى في حساب النجوم أنّ هذا الزمان يحدث رجلاً فينسخ هذا الدين ويدعو إلى دين آخر.

فقال له نمرود: في أيّ بلاد يكون؟

قال: في هذه البلاد، وكان منزل نمرود بكوثى ربى.

فقال له نمرود: قد خرج إلى الدنيا؟

قال آزر: لا.

---

(١) مجمع البيان: ج ٤/ ص ٩٠، البحار: ج ١٢/ ص ١٢-١٨-١٩، باب ٢/ ح ١.

قال: فينبغي أن يفرّق بين الرجال والنساء، ففرّق بين الرجال والنساء، وحملت أُمّ إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ولم يبيّن حملها، فلمّا حانت ولادتها قالت: يا آزر إنّي قد اعتللت وأُريد أن أعتزل عنك، وكان في ذلك الزمان المرأة إذا اعتلّت اعتزلت عن زوجها، فخرجت واعتزلت في غار ووضعت بإبراهيم عليه السلام وهيّأته وقمّطته ورجعت إلى منزلها وسدّت باب الغار بالحجارة، فأجرى الله لإبراهيم عليه السلام لبناً من إبهامه وكانت تأتيه أُمّه ووكّل نمرود بكلّ امرأة حامل، فكان يذبّح كلّ ولد ذكر، فهربت أُمُّ إبراهيم بإبراهيم من الذبح، وكان يشبّ إبراهيم عليه السلام في الغار يوماً كما يشبّ غيره في الشهر حتّى أتى له في الغار ثلاث عشرة سنة، فلمّا كان بعد ذلك زارته أُمّه فلمّا أرادت أن تفارقه تشبّث بها فقال: يا أُمّي أخرجيني.

فقالت له: يابنيّ إنّ الملك إنّ علم أنّك ولدت في هذا الزمان قتلك، فلمّا خرجت أُمّه خرج من الغار وقد غابت الشمس نظر إلى الزهرة في السماء فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ فلمّا غابت الزهرة فقال: لو كان هذا ربّي ما تحرّك ولا برح، ثمّ قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾ والآفل: الغائب.

فلمّا نظر إلى المشرق رأى وقد طلع القمر قال: «هذا ربّي هذا أكبر وأحسن».

فلمّا تحرك وزال قال: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فلما أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الشمس الدنيا لطلوعها قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ وأحسن فلمّا تحرّكت وزالت كشط الله عن السماوات حتّى رأى العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السماوات والأرض، فعند ذلك قال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾(١) فجاء إلى أُمّه وأدخلته دارها وجعلته بين أولادها(٢).

وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ لغير الله هل أشرك في

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٦-٧٩.

(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ٢٥٦، البحار: ج ١٢/ص ٢٩-٣٠، باب ٢/ح ٦.

قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾؟ فقال: من قال هذا اليوم فهو مشركٌ، ولم يكن من إبراهيم شركٌ، وإنّما كان في طلب ربّه، وهو من غير شرك، فلمّا أدخلت أُمّ إبراهيم إبراهيم دارها نظر إليه آزر فقال: من هذا الّذي قد بقي في سلطان الملك والملك يقتل أولاد الناس؟

قالت: هذا ابنك ولدته وقت كذا وكذا حين اعتزلت.

فقال: ويحك إن علم الملك هذا زالت منزلتنا عنده، وكان آزر صاحب أمر نمرود ووزيره، وكان يتّخذ الأصنام له وللناس ويدفعها إلى ولده فيبيعونها وكان على دار الأصنام.

فقالت أُمّ إبراهيم لآزر: لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا ولدنا وإن شعر به كفيتك الاحتجاج عنه، وكان آزر كلّما نظر إلى إبراهيم أحبّه حبّاً شديداً وكان يدفع إليه الأصنام. ليبيعها كما يبيع إخوته، فكان يعلّق في أعناقها الخيوط ويجرّها على الأرض ويقول: من يشتري ما لا يضرّه ولا ينفعه؟! ويغرقها في الماء والحمأة ويقول لها: اشربي وتكلّمي، فذكرا إخوته ذلك لأبيه فنهاه فلم ينته فحبسه في منزله ولم يدعه يخرج.

﴿وَحَاجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ إبراهيم ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ أي بيّن لي ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ثمّ قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١] أي أنا أحقّ بالأمن حيث أعبد الله أو أنتم الّذين تعبدون الأصنام[٢].

عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: في أوّل يوم من ذي الحجّة ولد إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام[٣].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٩-٨١.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٢١٣، البحار: ج ١٢/ص ٣٠-٣١، باب ٢/ح ٦.
(٣) فروع الكافي: ج ٤/ص ٣٧٣، باب ١٠٧/ح ٢ وللحديث صدر فراجع، البحار: ج ١٢/ص ٣١، باب ٢/ح ٧.

عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا وضع في كفّة المنجنيق غضب جبرئيل عليه السلام، فأوحى الله عزّ وجلّ: ما يغضبك يا جبرئيل؟

قال: يا ربّ خليلك ليس من يعبدك على وجه الأرض غيره، سلّطت عليه عدوّك وعدوّه.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: اسكت إنّما يعجل العبد الّذي يخاف الفوت مثلك، فأمّا أنا فإنّه عبدي آخذه إذا شئت.

قال: فطابت نفس جبرئيل عليه السلام فالتفت إلى إبراهيم عليه السلام فقال: هل لك حاجة؟

فقال: أمّا إليك فلا، فأهبط الله عزّ وجلّ عندها خاتماً فيه ستّة أحرف: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، فوّضت أمري إلى الله، أسندت ظهري إلى الله، حسبي الله» فأوحى الله جل جلاله إليه: أن تختّم بهذا الخاتم فإنّي أجعل النّار عليك برداً وسلاماً[1].

عن إسماعيل بن الفضل الهاشميّ قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن موسى بن عمران عليه السلام لمّا رأى حبالهم وعصيّهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق وقذف به في النار؟

فقال عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق كان مستنداً إلى ما في صلبه من أنوار حجج الله عزّ وجلّ، ولم يكن موسى عليه السلام كذلك، فلهذا أوجس في نفسه خيفة، ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام[2].

عليّ بن محمّد بن عمر الزهريّ معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3] قال: إنّ أوّل منجنيق عمل في الدنيا منجنيق عمل لإبراهيم بسور الكوفة في نهر يقال لها كوثى، وفي قرية يقال لها قنطانا.

---

(١) الأمالي الصدوق: ص ٣٧٠ مجلس ٧٠/ح ٥، وعيون أخبار الرضا: ج ٢/ ص ٥٩، باب ٣١/ ح ٢٠٦ والبحار: ج ١٢/ ص ٣٥، باب ٢/ح ١١.

(٢) لم أجده في الخصال ولكنه في الأمالي للصدوق ص ٥٢١/ مجلس ٩٤/ح ٢ والبحار: ج ١٢/ ص ٣٥-٣٦، باب ٢/ح ١٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٦٩.

قال: لمّا عمل إبليس المنجنيق وأجلس فيه إبراهيم عليه السلام وأرادوا أن يرموا به في نارها أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: السّلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته، ألك حاجة؟

قال: ما لي إليك حاجة، بعدها قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

عن داود الرقّي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُضرمت النار على إبراهيم عليه السلام شكت هوامّ الأرض إلى الله عز وجل واستأذنته أن تصبّ عليها الماء، فلم يأذن الله عز وجل بشيء منها إلاّ للضفدع فاحترق منه الثلثان وبقي منه الثلث، الخبر[2].

عن حنان بن سدير، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر:

١ - أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه.

٢ - ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه.

٣ - واثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهم ونصّراهم.

٤ - وفرعون الّذي قال: أنا ربّكم الأعلى واثنان في هذه الأُمّة[3].

قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب أسئلة الشامّي يوم الأربعاء أُلقي إبراهيم الخليل عليه السلام في النار، ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق، ويوم الأربعاء سلّط الله على نمرود البقّة، ويوم الأربعاء خرّ عليهم السقف من فوقهم[4].

عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّه قال: يا إسحاق إنّ في النار لوادياً يقال له: سقر لم يتنفّس منذ خلقه الله لو أذن الله عز وجل له في التنفّس

(١) تفسير فرات الكوفي: ج ١/ص ٢٦٣، البحار: ج ١٢/ص ٣٦، باب ٢/ح ١٤.
(٢) الخصال: ص ٣٢٧، باب الستة/ح ١٨، البحار: ج ١٢/ص ٣٦-٣٧، باب ٢/ح ١٦.
(٣) الخصال: ص ٣٤٦، باب السبعة/ح ١٥، البحار: ج ١٢/ص ٣٧، باب ٢/ح ١٧.
(٤) علل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٣، باب ٣٨٥/ح ٤٤، والخصال ص ٣٨٨، باب السبعة/ح ٧٨ وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ٢٢٣. باب/ ٢٥، ح ١ والبحار: ج ١٢/ص ٣٧، باب ٢/ح ١٩.

بقدر مخيط لاحترق ما على وجه الأرض، وإنّ أهل النار ليتعوّذون من حرّ ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الوادي، لجبلاً يتعوّذ جميع أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الجبل لشعباً يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الشعب لقليباً يتعوّذ جميع أهل ذلك الشعب من حرّ ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك القليب لحيّة يتعوّذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّة ونتنها وقذرها وما أعدّ الله في أنيابها من السمّ لأهلها، وإنّ في جوف تلك الحيّة لسبعة صناديق فيها خمسة من الأُمم السالفة واثنان من هذه الأُمّة.

قال: قلت: جعلت فداك من الخمسة، ومن الاثنان؟

قال: فأمّا الخمسة فقابيل الّذي قتل هابيل، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه فقال: أنا أُحيي وأُميت، وفرعون الّذي قال: أنا ربّكم الأعلى، ويهود الّذي هوّد اليهود، وبولس الّذي نصّر النصارى، ومن هذه الأُمّة أعرابيّان[1].

عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار فلقاه جبرئيل في الهواء وهو يهوي فقال يا إبراهيم ألك حاجة؟

فقال: أمّا إليك فلا[2].

عن الحسن بن عليّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُلقي إبراهيم في النّار أوحى الله عزّ وجلّ إليها: وعزّتي وجلالي لئن آذيته لأعذّبنك وقال: لمّا قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3] ما انتفع أحد بها ثلاثة أيّام، وما سخنت ماؤهم[4].

عن أبان، عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خالف إبراهيم عليه السلام قومه

---

(١) الخصال: ص ٣٨٩، باب السبعة/ح ١٠٦، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٧-٣٨، باب ٢/ح ٢٠.
(٢) علل الشرائع: ج ١/ ص ٥٠، باب ٣٢/ح ٦ و٧ والبحار: ج ١٢/ ص ٣٨، باب ٢/ح ٢١ و٢٢.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.
(٤) المصدر نفسه.

وعادى آلهتهم حتّى أُدخل على نمرود فخاصمه، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾[١] الآية، وكان في عيد لهم دخل على آلهتهم، قالوا: ما اجترأ عليها إلا الفتى الّذي يعيبها ويبرء منها، فلم يجدوا له مثلة أعظم من النّار، فأخبروا نمرود فجمع له الحطب وأوقد عليه ثمَّ وضعه في المنجنيق ليرمي به في النّار، وإنّ إبليس دلّ على عمل المنجنيق لابراهيم عليه السلام[٢].

عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أخبرني أبي عن جدّي، عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل قال: لمّا أخذ نمرود إبراهيم ليلقيه في النّار قلت: يا ربّ عبدك وخليلك ليس في أرضك أحد يعبدك غيره.

قال الله تعالى: هو عبدي آخذه إذا شئت. ولمّا أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار تلقّاه جبرئيل عليه السلام في الهواء وهو يهوي إلى النار.

فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟

فقال: أمّا إليك فلا، وقال: «يا الله يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجّني من النار برحمتك».

فأوحى الله تعالى إلى النار: كوني برداً وسلاماً على إبراهيم[٣].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لنمرود مجلس يشرف منه على النار، فلمّا كان بعد ثالثة أشرف على النّار هو وآزر فإذا إبراهيم عليه السلام مع شيخ يحدّثه في روضة خضراء، قال: فالتفت نمرود إلى آزر فقال: يا آزر ما أكرم ابنك على ربّه!

قال: ثمَّ قال نمرود لإبراهيم: اخرج عنّي ولا تساكنّي[٤].

عن محمّد بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ: يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثمَّ توكّلت على الله فقال: كفيت.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٠٤، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨-٣٩، باب ٢/ح ٢٣ و٢٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) أمالي الطوسي: ص ٦٧١، البحار: ج ١٢/ص ٣٩، ح ٢٥، باب ٢.

وقال: لمّا قال الله تعالى للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ لم يعمل يومئذ نار على وجه الأرض، ولا انتفع بها أحد ثلاثة أيّام، قال: فنزل جبرئيل يحدّثه وسط النّار.

قال نمرود: من اتّخذ إلهاً فليتّخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظمائهم: إنّي عزّمت على النيران أن لا تحرقه.

قال: فخرجت عنق من النار[١] فأحرقته، وكان نمرود ينظر بشرفة على النار، فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام قال نمرود لآزر: اصعد بنا حتّى ننظر، فصعدا فإذا إبراهيم في روضة خضراء ومعه شيخ يحدّثه.

قال: فالتفت نمرود إلى آزر فقال: ما أكرم ابنك على الله! والعرب تسمّي العمّ أباً، قال تعالى في قصّة يعقوب: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[٢] وإسماعيل كان عمّ يعقوب وقد سمّاه أباً في هذه الآية[٣].

عن عليّ بن الحسن ابن فضّال، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام قال: لمّا رمى إبراهيم في النار دعا الله بحقّنا فجعل الله النّار عليه برداً وسلاماً[٤].

عن أبي عمرو وأبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر طويل قال: إنّ إبراهيم عليه السلام هرب به أبوه من الملك الطاغي فوضعته أُمّه بين تلال بشاطىء نهر متدفّق يقال له حزران من غروب الشمس إلى إقبال اللّيل، فلمّا وضعته واستقرّ على وجه الأرض قام من تحتها يمسح وجهه ورأسه ويكثر من شهادة أن لا إله إلاّ الله، ثمّ أخذ ثوباً واتّشح به وأُمّه تراه فذعرت منه ذعراً شديداً، ثمّ مضى يهرول بين يديها مادّاً عينيه إلى السماء فكان منه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا﴾[٥] إلى آخر الآيات[٦].

---

(١) في النهاية: يخرج عنق من النار أي طائفة.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٠٥، البحار: ج ١٢/ص ٣٩-٤٠، باب ٢/ح ٢٦ و٢٧.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ٧٥-٧٦.
(٦) روضة الواعظين: ص ٩٣، البحار: ج ١٢، ص ٤٠-٤١، باب ٢/ح ٢٩.

عن أبي بصير، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو إبراهيم منجّماً لنمرود بن كنعان، وكان نمرود لا يصدر إلاّ عن رأيه، فنظر في النجوم ليلةً من اللّيالي فأصبح فقال: لقد رأيت في ليلتي هذه عجباً، فقال له نمرود: وما هو؟

فقال: رأيت مولوداً يولد في أرضنا هذه يكون هلاكنا على يديه، ولا يلبث إلا قليلاً حتّى يحمل به، فعجب من ذلك نمرود وقال: هل حمل به النساء؟

فقال: لا، وكان فيما أُوتي من العلم أنّه سيحرق بالنار، ولم يكن أُوتي أنّ الله سينجّيه.

قال: فحجب النساء عن الرجال فلم يترك امرأةً إلاّ جعلت بالمدينة حتّى لا يخلص إليهنّ الرجال.

قال: وباشر أبو إبراهيم امرأته فحملت به فظنّ أنّه صاحبه، فأرسل إلى نساء من القوابل لا يكون في البطن شيء إلاّ علمن به، فنظرن إلى أُمّ إبراهيم فألزم الله تبارك وتعالى ذكره ما في الرحم الظهر.

فقلن: ما نرى شيئاً في بطنها، فلمّا وضعت أُمُّ إبراهيم [به] أراد أبوه أن يذهب به إلى نمرود، فقالت له امرأته: لا تذهب بابنك إلى نمرود فيقتله، دعني أذهب به إلى بعض الغيران أجعله فيه حتّى يأتي عليه أجله ولا تكون أنت تقتل ابنك.

فقال لها: فاذهبي، فذهبت به إلى غار ثمّ أرضعته، ثمّ جعلت على باب الغار صخرة، ثمّ انصرفت عنه، فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصّها فيشرب لبناً، وجعل يشبّ في اليوم كما يشبّ غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة كما يشبّ غيره في الشهر، ويشبّ في الشهر كما يشبّ غيره في السنة، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثمّ إنّ أُمّه قالت لأبيه: لو أذنت لي أن أذهب إلى ذلك الصبيّ فأراه فعلت.

قال: ففعل فأتت الغار فإذا هي بإبراهيم عليه السلام وإذا عيناه تزهران كأنّهما سراجان، فأخذته وضمّته إلى صدرها وأرضعته ثمّ انصرفت عنه، فسألها أبوه عن الصبيّ فقالت: قد واريته في التراب، فمكثت تعتلّ فتخرج في الحاجة وتذهب إلى ابراهيم عليه السلام فتضمّه إليها وترضعه، ثمّ تنصرف، فلمّا تحرّك أتته أُمّه كما كانت تأتيه وصنعت كما كانت تصنع، فلمّا أرادت الانصراف أخذ ثوبها، فقالت له: ما لك؟ فقال: اذهبي بي معك.

فقالت له: حتّى أستأمر أباك، فلم يزل إبراهيم في الغيبة مخفيّاً لشخصه كاتماً لأمره حتّى ظهر فصدع بأمر الله تعالى ذكره وأظهر الله قدرته فيه[١].

عن حنان بن سدير، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه ونمرود بن كنعان الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه[٢].

عن المعلّى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم النيروز هو اليوم الّذي كسّر فيه إبراهيم عليه السلام أصنام قومه[٣].

عن الحارث، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إنّ نمرود أراد أنّ ينظر إلى مُلك السماء فأخذ نسوراً أربعةً فربّاهنّ وجعل تابوتاً من خشب وأدخل فيه رجلاً، ثمّ شدّ قوائم النسور بقوائم التابوت، ثم أطارهنَّ ثمّ جعل في وسط التابوت عموداً، وجعل في رأس العمود لحماً، فلمّا رأى النسور اللّحم طِرن وطِرن بالتابوت والرجُل فارتفعن إلى السماء فمكث ما شاء الله.

ثمّ إنّ الرجل أخرج من التابوت رأسه فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها، ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى الجبال إلا كالذرّ.

ثمّ مكث ساعةً فنظر إلى السماء، فإذا هي على حالها، ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى إلاّ الماء.

ثمّ مكث ساعة فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها، ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى شيئاً.

ثمّ وقع في ظلمة لم ير ما فوقه وما تحته ففزع فألقى اللّحم فاتّبعته النسور منقضات، فلمّا نظرت الجبال إليهنّ وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهنّ فزعت وكادت أن تزول مخافة أمر السماء وهو قول الله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[٤] [٥].

---

(١) كمال الدين: ص ١٣٨، البحار: ج ١٢/ص ٤١-٤٢، باب ٢/ح ٣٠.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ص ١٥٩/ح ٤٦٦، البحار: ج ١٢/ص ٤٣، باب ٢/ح ٣٤.
(٣) البحار: ج ١٢/ص ٤٣، باب ٢/ح ٣٥ نقلاً عن المهذب البارع.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.
(٥) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٢٥٣/ح ٥١، البحار: ج ١٢/ص ٤٣-٤٤، باب ٢/ح ٣٦.

عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خالف إبراهيم عليه السلام: قومه وعاب آلهتهم حتّى أُدخل على نمرود فخاصمهم، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: عاب آلهتهم ونظر نظرة في النجوم فقال: إنّي سقيم.

قال أبو جعفر عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب، فلمّا تولّوا عنه مدبرين إلى عيد لهم دخل إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم بقدوم فكسرها إلاّ كبيراً لهم، ووضع القدوم في عنقه فرجعوا إلى آلهتهم فنظروا إلى ما صنع بها فقالوا: لا والله ما اجترأ عليها ولا كسّرها إلاّ الفتى الّذي كان يعيبها ويبرأ منها، فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار، فجمع له الحطب واستجادوه حتّى إذا كان اليوم الّذي يحرق فيه برز له نمرود وجنوده وقد بني له بناء لينظر إليه كيف تأخذه النار، ووضع إبراهيم عليه السلام في منجنيق وقالت الأرض: يا ربّ ليس على ظهري أحد يعبدك غيره يحرق بالنار.

قال الربّ: إن دعاني كفيته(٢).

ثمّ إنّ ههنا فوائد لا بدّ من التعرّض لها:

الأولى: اعلم أنّ العامة اختلفوا في والد إبراهيم عليه السلام قال الرازيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾(٣): ظاهر هذه الآية تدلّ على أنّ اسم والد إبراهيم هو آزر، ومنهم من قال: اسمه تارخ، وقال الزجّاج: لا خلاف بين النسّابين أنّ اسمه تارخ، ومن الملحدة من جعل هذا طعناً في القرآن.

أقول: ثمّ ذكر لتوجيه ذلك وجوهاً إلى أن قال: والوجه الرابع أنّ والد إبراهيم كان تارخ وآزر كان عمّاً له، والعمّ قد يطلق عليه لفظ الأب كما حكى الله عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) الروضة من الكافي الموجود مع الأصول: ص ٨٤٥/ح ٥٥٩، البحار: ج ١٢/ ص ٤٤، باب ٢/ ح ٣٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٤.

أولاد يعقوب أنّهم قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾(١) ومعلوم أنّ إسماعيل كان عمّاً ليعقوب، وقد أطلقوا عليه لفظ الأب فكذا ههنا.

أقول: ثمّ قال بعد كلام: قالت الشيعة أنّ أحداً من آباء الرسول وأجداده ما كانوا كافراً، وأنكروا أنّ والد إبراهيم كان كافراً، وذكروا أنّ آزركان عمّ إبراهيم وما كان والداً له واحتجّوا على قولهم بوجوه:

الحجّة الأُولى: أنّ آباء نبيّنا ما كانوا كفّاراً ويدلّ عليه وجوه:

منها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾(٢) قيل: معناه أنّه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالّة على أنّ جميع آباء محمّد صلوات الله عليهم أجمعين كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأنّ والد إبراهيم كان مسلماً.

ثمَّ قال: وممّا يدلّ أيضاً على أنَّ أحداً من آباء محمّد صلوات الله عليهم ما كانوا مشركين قوله صلى الله عليه وآله: «لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات».

و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(٣) وذلك يوجب أن يقال: إنّ أحداً من أجداده ما كان من المشركين انتهى(٤).

وقال الشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحه بعد نقل ما مرّ من كلام الزجّاج: وهذا الذي قاله الزجّاج يقوي ما قاله أصحابنا إنّ آزر كان جدّ إبراهيم لأُمّه أو كان عمّه من حيث صحّ عندهم أنّ آباء النبيّ صلوات الله عليهم إلى آدم كلّهم كانوا موحّدين، وأجمعت الطائفة على ذلك انتهى(٥).

أقول: الأخبار الدالة على إسلام آباءِ النبيّ صلوات الله عليهم من طرق الشيعة مستفيضةٌ بل متواترةٌ، وقد عرفت إجماع الفرقة المحقّة على إسلام ولد إبراهيم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١٨-٢١٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٨.
(٤) تفسير فخر الرازي: ج ١٣/ المجلدة، ص ٣١، البحار: ج ١٢/ ص ٤٨/ باب ٢.
(٥) مجمع البيان: ج ٤/ ص ٩٠، البحار: ج ١٢/ ص ٤٨-٤٩، باب ٢.

بنقل المخالف والمؤالف، فالأخبار الدالّة على أنّه كان أباه حقيقة محمولةٌ على التقيّة.

الثانية: في قول إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ واختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أنّه عليه السلام نظر في النجوم فاستدلّ بها على وقت حمّى كانت تعتوره، فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أراد أنّه قد حضر وقت علّته وزمان نوبتها، فكأنّه قال: إنّي سأسقم لا محالة وحان الوقت الّذي يعتريني فيه الحمّى، وقد يسمّى المشارف للشيء باسم الداخل فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(١).

وثانيها: أنّه نظر في النجوم كنظرهم لأنّهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنّه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فتركوه ظنّاً منهم أنّ نجمه يدلّ على سقمه.

وثالثها: أنّ يكون الله أعلمه بالوحي أنّه سيسقمه في وقت مستقبل، وجعل العلامة على ذلك إمّا طلوع نجم على وجه مخصوص، أو اتّصاله بآخر على وجه مخصوص، فلمّا رأى إبراهيم تلك الأمارة قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ تصديقاً لما أخبره الله تعالى.

ورابعها: أنّ معنى قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إنّي سقيم القلب أوالرأي حزناً من إصرار القوم على عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر، ويكون على هذا معنى نظره في النجوم فكرته في أنّها محدثة مخلوقة مدبّرة، وتعجّبه في أنّه كيف ذهب على العقلاءِ ذلك من حالها حتّى عبدوها.

وخامسها: أنّ معناه: نظر في النجوم نظر تفكّر فاستدلّ بها كما قصّه الله في سورة الأنعام على كونها محدثة غير قديمة ولا آلهة، وأشار بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إلى أنّه في حال مهلة النظر، وليس على يقين من الأمر ولا شفاء من العلم، وقد يسمّى الشكُّ بأنّه سقم كما يسمّى العلم بأنّه شفاء ذكره أبو مسلم، ولا يخفى ضعفه.

هذا ما ذكره القوم من الوجوه، وقد عرفت ممّا أوردنا من الأخبار في هذا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

الباب وباب العصمة أنّ الظاهر منها أنّه عليه السلام أوهمهم بالنظر في النجوم موافقتهم وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ توريةً، وقد وردت أخبار كثيرة في تجويز الكذب والتورية عند التقيّة وفيها الاستدلال بهذه الآية وبيان أنّها لكونها على جهة التورية والمصلحة ليست بكذب، وما ذكر من الوجوه يصلح للتورية؛ وقد مرّ أنّه كان مراده حزن القلب بما يفعل بالحسين عليه السلام.

وقيل: يمكن أنّ يكون على وجه التعريض بمعنى أنّ كلّ من كتب عليه الموت فهو سقيم وإن لم يكن به سقم في الحال.

الثالثة: قوله عليه السلام: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ وفي تأويله وجوه:

الأوّل: أنّه عليه السلام إنّما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر فإنّه تعالى لمّا أكمل عقله وحرّك دواعيه على الفكر والتأمّل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبه نوره وحسنه وبهاؤه، وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على سبيل الفكر، فلمّا غاب علم أنّ الأُفول لا يجوز على الإله، فاستدلّ بذلك على أنّه محدث مخلوق، وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس.

وقال في آخر كلامه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأنّ صفات المحدثين لا تجوز عليه، ويحتمل أن يكون هذا قبل البلوغ والتكليف وبعده، والأوّل هو مختار الأكثر وهو أظهر، وإلى هذا الوجه يشير بعض الأخبار السالفة، ويمكن حملها على بعض الوجوه الآتية كما لا يخفى.

الثاني: أنّه عليه السلام كان عارفاً بعدم صلاحيّتها للربوبيّة، ولكن قال ذلك في مقام الاحتجاج على عبدة الكواكب على سبيل الفرض الشائع عند المناظرة، فكأنّه أعاد كلام الخصم ليلزم عليه المحال، ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

الثالث: أن يكون المراد: هذا ربّي في زعمكم واعتقادكم، ونظيره أنّ يقول

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

الموحّد للمجسّم: إنّ إلهه جسم محدود، أي في زعمه واعتقاده، وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾(١).

الرابع: أنّ المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار إلاّ أنّه أسقط حرف الاستفهام عنه كما هو الشائع.

الخامس: أن يكون القول مضمراً فيه، والتقدير، قال: يقولون هذا ربّي، وإضمار القول كثير، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾(٢) أي يقولان.

السادس: أن يكون قوله ذلك على سبيل الاستهزاء كما يقال لذليل ساد قوماً: هذا سيّدكم! على وجه الهزء.

السابع: أنّه عليه السلام أراد أن يبطل قولهم بربوبيّة الكواكب إلاّ أنّه كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طبائعهم عن قبول الدلائل أنّه لو صرّح بالدعوة إلى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجّة، وذلك بأنّه ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم، مع أنّ قلبه كان مطمئناً بالإيمان فكأنّه بمنزلة المكره على إجراء كلمة الكفر على اللّسان على وجه المصلحة لإحياء الخلق بالإيمان.

الرابعة: وجه استدلاله عليه السلام بالأفول على عدم صلاحيّتها للربوبيّة.

قال الرازيّ في تفسيره: الأُفول عبارة عن غيبوبة الشيء بعد ظهوره. وإذا عرفت هذا فلسائل أن يقول: الأُفول إنّما يدلّ على الحدوث من حيث إنّه حركة، وعلى هذا يكون الطلوع أيضاً دليلاً على الحدوث، فلمَ ترك إبراهيم عليه السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع، وعوّل في إثبات هذا المطلوب على الأُفول؟ والجواب أنّه لا شك أنّ الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث إلاّ أنّ الدليل الّذي يحتجُّ به الأنبياء في معرض دعوة الخلق كلّهم إلى الاله لابدّ وأن يكون ظاهراً جليّاً بحيث يشترك في فهمه الذكيّ والغبيّ والعاقل، ودلالة الحركة

---

(١) سورة طه، الآية: ٩٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

على الحدوث وإن كانت يقينيّة إلاّ أنّها دقيقة لا يعرفها إلاّ الأفاضل من الخلق، وأمّا دلالة الأُفول فكانت على هذا المقصود أتمّ.

وأيضاً قال بعض المحقّقين: الهويّ في خطيرة الإمكان أُفول، وأحسن الكلام ما يحصل فيه حصّة الخواصّ وحصّة الأوساط وحصّة العوامّ، فالخواصُّ يفهمون من الأُفول الإمكان، وكلّ ممكن محتاج، والمحتاج لا يكون مقطعاً للحاجة، فلابدّ من الانتهاء إلى ما يكون منزّهاً عن الإمكان حتّى تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[1] وأمّا الأوساط فإنّهم يفهمون من الأُفول مطلق الحركة، فكلّ متحرّك محدث، وكلّ محدث فهو محتاج إلى القديم القادر، فلا يكون الآفل إلهاً بل الإله هو الّذي احتاج إليه هذا الآفل.

وأمّا العوامّ فإنّهم يفهمون من الأُفول الغروب وهم يشاهدون أنّ كلّ كوكب يقرب من الأُفول، فإنّه يزول نوره وينتقص ضوؤه ويذهب سلطانه ويصير كالمعدوم، ومن كان كذلك فإنّه لم يصلح للإلهيّة، فهذه الكلمة الواحدة أعني قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ كلمة مشتملة على نصيب المقرّبين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فكانت أكمل الدلائل وأفضل البراهين، وفيه دقيقة أُخرى وهي أنه عليه السلام إنّما كان يناظرهم وهم كانوا منجّمين.

ومذهب أهل النجوم أنّ الكواكب إذا كان في الربع الشرقيّ ويكون صاعداً إلى وسط السماء كان قويّاً عظيم التأثير، وأمّا إذا كان غربيّاً وقريباً من الأُفول فإنّه يكون ضعيف الأثر، قليل القوّة، فنبّه بهذه الدقيقة على أنّ الإله هو الّذي لا يتغيّر قدرته إلى العجز، وكماله إلى النقص، ومذهبكم أنّ الكوكب حال كونه في الربع الغربيّ يكون ضعيف القوّة، ناقص التأثير، عاجزاً عن التدبير، وذلك يدلّ على القدح في إلهيّته، فظهر أنّ على قول المنجّمين للأُفول مزيد اختصاص في كونه موجباً للقدح في الإلهية انتهى[2].

أقول: يمكن إرجاع كلامه عليه السلام إلى الدليل المشهور بين المتكلّمين من عدم

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٢) تفسير فخر الرازي، ج ١٣/ المجلد ٥/ ص ٤٣، مفاتيح الغيب ج ٤/ ص ٨٠، البحار: ج ١٢/ ص ٤٩-٥٣، باب ١٢.

الانفكاك عن الحوادث، والاستدلال به على إمكانها وافتقارها إلى المؤثّر، أو إلى أنّها محلّ للتغيّرات والحوادث، والواجب تعالى لا يكون كذلك.

أو إلى أنّ الأُفول والغروب نقص وهو لا يجوز على الصانع.

أو إلى أنّ هذه الحركة الدائمة المستمرّة تدلّ على أنّها مسخّرة لصانع كما مرّ في كتاب التوحيد، والعقل يحكم بأنّ الصانع مثل هذا الخلق لا يكون مصنوعاً.

أو أنّ الغيبة والحضور والطلوع والأُفول من خواصّ الأجسام ويلزمها الإمكان لوجوه شتّى، ولعلّ الوجه الثاني والثالث بتوسّط ما ذكره الرازيّ أخيراً أظهر الوجوه، وأمّا ما سواهما فلايخفى بعدها، ولنقتصر على ذلك فإنَّ بسط القول في تلك البراهين يوجب الإطناب الّذي عزمنا على تركه في هذا الكتاب.

الخامسة: تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾[1] ويمكن توجيهه بوجوه:

الأوّل: ما ذكره السيّد المرتضى قدّس الله روحه وهو أنّ الخبر مشروط غير مطلق لأنّه قال: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ ومعلوم أنّ الأصنام لا تنطق، وأنّ النطق مستحيل عليها، فما علّق بهذا المستحيل من الفعل أيضاً مستحيل، وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تنبيه القوم وتوبيخهم وتعنيفهم بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يقدر أن يخبر عن نفسه بشيء.

فقال: إن كانت هذه الأصنام تنطق فهي الفاعلة للتكسير، لأنّ من يجوز أن ينطق يجوز أنّ يفعل، وإذا علم استحالة النطق عليها علم استحالة الفعل، وعلم باستحالة الأمرين أنّه لا يجوز أن تكون آلهة معبودة، وأن من عبدها ضالّ مضلّ، ولا فرق بين قوله: إنّهم فعلوا ذلك إنّ كانوا ينطقون وبين قوله: إنّهم ما فعلوا ذلك ولا غيره لأنّهم لا ينطقون ولا يقدرون.

وأمّا قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ فإنما هو أمر بسؤالهم أيضاً على شرط، والنطق منهم شرط في الأمرين فكأنّه قال: إن كانوا ينطقون فاسألوهم فإنّه لا يمتنع أن يكونوا فعلوه، وهذا يجري مجرى قول أحدنا لغيره: من فعل هذا الفعل؟

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

فيقول: زيد إن كان فعل كذا وكذا، ويشير إلى فعل يضيفه السائل إلى زيد، وليس في الحقيقة من فعله ويكون غرض المسؤول نفي الأمرين عن زيد، وتنبيه السائل على خطائه في إضافة ما أضافه إلى زيد، وقد قرأ محمّد بن السميع اليمانيّ: ﴿فَعَلَّهُ كَبِيرُهُمْ﴾ بتشديد اللاّم، والمعنى فلعلّه أي فلعلَّ فاعل ذلك كبيرهم، وقد جرت عادة العرب بحذف اللّام الأُولى من لعلّ انتهى(١).

الثاني: أنّه لم يكن قصد إبراهيم عليه السلام إلى أنّ ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على وجه تعريضيّ، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخطّ رشيق وأنت تحسن الخطّ: أنت كتبت هذا؟ وصاحبك أُمّيّ لا يحسن الخطّ، فقلت له: بل كتبت أنت! كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء، لا نفيه عنك.

والثالث: أنّ إبراهيم عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصفّفة مرتّبة، فكان غيظه من كبيرتها أشدّ لما رأى من زيادة تعظيمهم لها، فأسند الفعل إليه لأنّه هو السبب في استهانته وحطمه لها، والفعل كما يسند إلى مباشرة يسند إلى الحامل عليه.

والرابع: أنّ يكون حكاية لمّا يلزم على مذهبهم، كأنّه قال: نعم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإنّ من حقّ من يعبد أو يدعى إلهاً أن يقدر على هذا وأشدّ منه، أو أنّه يلزمكم على قولكم أن لا يقدر على كسرهم إلاّ إله أكبر منهم، فإنَّ غير الإله لا يقدّر أن يكسر الاله.

والخامس: أنّه كنايةٌ عن غير مذكور، أي فعله من فعله، وكبيرهم ابتداء كلام.

والسادس: ما يروى عن الكسائيّ أنّه كان يقف عند قوله: ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ ثمّ يبتدئ فيقول: ﴿هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ والمعنى: بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لأنّ الإنسان أكبر من كلّ صنم(٢).

---

(١) تنزيه الأنبياء: ص ٢٣، البحار: ج ١٢/ ص ٥٣-٥٤، باب ٢.

(٢) البحار: ج ١٢، ص ٥٤، باب ٢.

اراءته عليه السلام ملكوت السماوات والارض وسؤاله احياء الموتى والكلمات التي سأل ربه وما أوحى إليه وصدر عنه من الحكم

بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ إبراهيم الخليل لمّا رفع في الملكوت وذلك قول ربّي: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾(١) قوّى الله بصره لمّا رفعه دون السماء حتّى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا.

ثمّ رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثمّ رأى آخرين فدعا عليها بالهلاك فهلكا.

ثمّ رأى آخرين فهمّ بالدعاء عليهما بالهلاك فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإنّي أنا الغفور الرحيم الجبّار الحليم لا تضرُّني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي فإنّما أنت عبدٌ نذيرٌ، لا شريك في المملكة، ولا مهيمن عليّ ولا على عبادي، وعبادي معي بين خلال ثلاث: إمّا تابوا إليَّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم؛ وإمّا كففت عنهم عذابي لعلمي بأنّه سيخرج من أصلابهم ذرّيّات مؤمنون فأرفق بالآباء الكافرين، وأتأنّى بالأُمهات الكافرات، وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فإذا تزايلوا حقَّ بهم عذابي وحاق بهم بلائي؛ وإن لم يكن هذا ولا هذا فإنّ الّذي أعددته لهم من عذابي أعظم ممّا تريدهم به، فإنّ عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي، يا إبراهيم فخلّ بيني وبين عبادي فإنّي أرحم بهم منك، وخلّ بيني وبين عبادي فإنّي أنا الجبّار الحليم العلاّم الحكيم، أُدبّرهم بعلمي، وأُنفذ فيهم قضائي وقدري(٢).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا رأى إبراهيم ملكوت

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.
(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥١٣/ح ٣١٤ والإحتجاج ص ٣٥، البحار: ج ١٢/ ص ٦٠، باب ٣/ح ٥.

السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات، ثمّ رأى آخر فدعا عليه فمات. حتّى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا.

فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم دعوتك مجابة، فلا تدعو على عبادي فإنّي لو شئت لم أخلقهم، إنّي خلقت خلقي على ثلاثة أصناف:

١ - عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأُثيبه.

٢ - وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني.

٣ - وعبداً يعبد غيري فأُخرج من صلبه من يعبدني.

ثمّ التفت فرأى جيفةً على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البرّ، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، ويجيء سباع البرّ فتأكل منها فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجب إبراهيم ممّا رأى وقال: يا ربّ أرني كيف تحيي الموتى هذه أُمم يأكل بعضها بعضاً.

قال: أولم تؤمن؟

قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي - يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها.

قال: خذ أربعة من الطير فقطّعهن، واخلطهنّ كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع الّتي أكل بعضها بعضاً فخلط ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً ثمَّ ادعهنّ يأتينك سعياً فلمّا دعاهنّ أجبنه كانت الجبال عشرة.

قال: وكانت الطيور الديك والحمامة، والطاووس والغراب[1].

إراءته ملكوت السماوات والأرض يحتمل أن يكون ببصر العين بأن يكون الله تعالى قوّى بصره، ورفع له كلّ منخفض وكشط له عن أطباق السماء والأرض حتّى رأى ما فيهما ببصره، وأن يكون المراد رؤية القلب بأن أنار قلبه حتّى أحاط بها علماً، والأوّل أظهر نقلاً والثاني عقلاً، والظاهر على التقديرين أنّه أحاط علماً بكلّ ما فيهما من الحوادث والكائنات.

(١) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٣٠٩، باب ٣٨٥/ح ٣١. والبحار: ج ١٢/ ص ٦١، باب ٣/ح ٦.

وأمّا حمله على أنّه رأى الكواكب وما خلقه الله في الأرض على وجه الاعتبار والاستبصار واستدلّ بها على إثبات الصانع فلا يخفى بعده عمّا يظهر من الأخبار.

عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾(١) الآية.

قال: أخذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب فذبحهنّ وعزل رؤوسهنّ ثمّ نحز أبدانهنّ في المنحاز بريشهنّ ولحومهنّ وعظامهنّ حتّى اختلطت، ثمّ جزّأهنّ عشرة أجزاء على عشرة أجبل، ثمّ وضع عنده حبّاً وماءً ثمّ جعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ قال: ائتين سعياً بإذن الله عزّ وجلّ، فتطاير بعضها إلى بعض اللّحوم والريش والعظام حتّى استوت الأبدان كما كانت، وجاء كلّ بدن حتّى التزق برقبته الّتي فيها رأسه والمنقار، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فوقعن وشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ، ثمّ قلن: يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله.

فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت، فهذا تفسير الظاهر.

قال عليه السلام: وتفسيره في الباطن: خذ أربعة ممّن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك، ثمّ ابعثهم في أطراف الأرضين حججاً لك على النّاس، وإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتوك سعياً بإذن الله عزّ وجلّ.

قال الصّدوق رحمه الله: الّذي عندي في ذلك أنّه عليه السلام أمر بالأمرين جميعاً.

وروي أنّ الطيور الّتي أُمر بأخذها: الطاووس والنسر والديك والبطّ(٢).

عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال: سأل مأمون الرضا عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾(٣).

قال الرضا عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنّي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٢) الخصال: ص ٢٦٥، باب الأربعة/ح ١٤٦، والبحار: ج ١٢/ ص ٦٣، باب ٣/ح ٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

متّخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنّه ذلك الخليل.

فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلّة ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأخذ إبراهيم عليه السلام: نسراً وبطاً وطاووساً وديكاً فقطّعهن فخلطهنّ، ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال الّتي حوله - وكانت عشرة - منهن جزءاً، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ ووضع عنده حبّاً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان وجاء كلّ بدن حتّى انضمّ إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنَّ فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبّ وقلن: يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله.

فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير. الخبر[(١)].

هذا أحد وجوه التأويل في هذه الآية، وقد ذكره جماعة من المفسّرين ورووه عن ابن عبّاس وابن جبير والسدّيّ.

والثاني: أنّه أحبّ أن يعلم ذلك علم عيان بعدما كان عالماً به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر والوساوس، وإليه يومىء خبر أبي بصير وغيره.

والثالث: أنّ سبب السؤال منازعة نمرود إيّاه في الإحياء فقال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ وأطلق محبوساً وقتل إنساناً.

فقال إبراهيم: ليس هذا بإحياء، وقال: يا ربّ أرني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك. وروي أنّ نمرود توعّده بالقتل إن لم يحيي الله الميّت بحيث يشاهده فلذلك قال: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بأن لا يقتلني الجبّار[(٢)].

---

(١) التوحيد: ص ١٣٢، وعيون الأخبار: ج ١/ص ١٧٦، باب ١٥، ح ١ والبحار ج ١٢/ص ٦٣-٦٤، باب ٣/ح ١٠.

(٢) البحار: ج ١٢/ ص ٦٤، باب ٣/ح ١٠.

عن عتبة بن عمير اللّيثيّ، عن أبي ذرّ رحمه الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنزل الله على إبراهيم عشرين صحيفة، قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟

قال: كانت أمثالاً كلّها، وكان فيها: أيّها الملك المبتلى المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك لترد عنّي دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن يكون له ثلاث ساعات:

١ - ساعة يناجي فيها ربّه عزّ وجلّ.

٢ - وساعة يحاسب فيها نفسه.

٣ - وساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّ وجلّ إليه.

٤ - وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال، فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات، واستجمام للقلوب وتوزيع لها، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه فإنّ من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مرمّة لمعاش، أو تزوّد لمعاد، أو تلذّذ في غير محرّم.

قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟

قال: كانت عبراً كلّها، وفيها: عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ ولمن أيقن بالنار لمَ يضحك؟ ولمن يرى الدنيا وتقلّبها بأهلها لمَ يطمئنّ إليها؟ ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب؟ ولمن أيقن بالحساب لمَ لا يعمل؟

قلت: يا رسول الله هل في أيدينا ممّا أنزل الله عليك شيء ممّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟

قال: يا أبا ذرّ اقرء: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (١) (٢).

---

(١) سورة الأعلى، الآيات: ١٤-١٩.

(٢) الخصال: ص ٥٢٣/ باب العشرون/ح ١٣، ومعاني الأخبار: ص ٣٣٤، والبحار: ج ١٢/ ص ٧١، باب ٣/ح ١٤.

عن عبد الرحيم، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[١].

قال: كشط له عن الأرض حتّى رآها ومن فيها، وعن السماء حتّى رآها ومن فيها، والملك الّذي يحملها، والعرش ومن عليه، وكذلك أرى صاحبكم[٢].

عن عليّ بن أسباط، أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام سئل عن قول الله: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾[٣] أكان في قلبه شكّ، قال: لا ولكنّه أراد من الله الزيادة في يقينه.

قال: والجزء واحد من عشرة[٤].

في الحديث أنّ إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً فقال له: من أنت؟

قال: أنا ملك الموت.

فقال: أتستطيع أن تريني الصورة الّتي تقبض فيها روح المؤمن؟

قال: نعم اعرض عنّي، فأعرض عنه فإذا هو شابّ حسن الصورة، حسن الثياب، حسن الشمائل، طيّب الرائحة.

فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلاّ حسن صورتك لكان حسبه، ثمّ قال له: هل تستطيع أن تريني الصورة الّتي تقبض فيها روح الفاجر؟

فقال: لا تطيق.

فقال: بلى.

قال: فأعرض عنّي، فأعرض عنه ثمَّ التفت إليه فإذا هو رجل أسود، قائم الشعر، منتن الرائحة، أسود الثياب، يخرج من فيه ومن مناخره النيران والدخان، فغشي على إبراهيم ثمّ أفاق وقد عاد ملك الموت إلى حالته الأُولى.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.
(٢) بصائر الدرجات: ص ١١٢/ج ٢، باب ٢٠/ح ١ وفيه: محمد بن الحجّال. . .، والبحار: ج ١٢/ص ٧٢، باب ٣/ح ١٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٤) تفسير العياشي: ج ١/ص ١٦٢، ح ٤٧١ والبحار: ج ١٢/ص ٧٣، باب ٧٣/ح ٢١.

فقال: ياملك الموت لو لم يلق الفاجر إلاّ صورتك هذه لكفته(١).

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر عليه السلام: الجزء واحد من عشرة لأنّ الجبال كانت عشرة والطيور أربعة(٢).

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أُنزل صحف إبراهيم عليه السلام في أوّل ليلة من شهر رمضان(٣).

جمل أحواله ووفاته عليه السلام

عن محمّد بن جعفر التميمي قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: بينا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في جبل بيت المقدس يطلب مرعى لغنمه إذ سمع صوتاً، فإذا هو برجل قائم يصلّي، طوله اثنا عشر شبراً، فقال له: يا عبد الله لمن تصلّي؟

قال: لإله السماء.

فقال له إبراهيم عليه السلام: هل بقي أحد من قومك غيرك؟

قال: لا.

قال: فمن أين تأكل؟

قال: أجتني من هذا الشجر في الصيف وآكله في الشتاء.

قال له: فأين منزلك؟

قال: فأومأ بيده إلى جبل.

فقال له إبراهيم عليه السلام: هل لك أن تذهب بي معك فأبيت عندك اللّيلة؟

فقال: إنّ قدّامي ماء لا يخاض.

قال: كيف تصنع؟

---

(١) غوالي اللئالي: ج ١/ص ٢٧٤، ح ١٠٠، والبحار: ج ١٢/ص ٧٤-٧٥، باب ٣/ح ٢٥.
(٢) الكافي: ج ٧/ص ١٢٢١، باب ٢٤/ح ٣، والبحار: ج ١٢/ص ٧٥، باب ٣/ح ٢٨.
(٣) أصول الكافي: ج ٢/ص ٦٤٧، باب النوادر ٦٤، البحار: ج ١٢/ص ٧٥، باب ٣/ح ٢٩.

قال: أمشي عليه.

قال: فاذهب بي معك فلعلّ الله أن يرزقني ما رزقك.

قال: فأخذ العابد بيده فمضيا جميعاً حتّى انتهيا إلى الماء فمشى ومشى إبراهيم عليه السلام معه حتّى انتهيا إلى منزله.

فقال له إبراهيم عليه السلام: أيُّ الأيّام أعظم؟

فقال له العابد: يوم الدين، يوم يدان الناس بعضهم من بعض.

قال: فهل لك أن ترفع يدك وأرفع يدي فندعو الله عزّ وجلّ أن يؤمننا من شرّ ذلك اليوم؟

فقال: وما تصنع بدعوتي فوالله إنّ لي لدعوة منذ ثلاث سنين فما أُجبت فيها بشيء؟

فقال له إبراهيم عليه السلام: أولا أُخبرك لأيّ شيء احتبست دعوتك؟

قال: بلى.

قال له: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبداً احتبس دعوته ليناجيه ويسأله ويطلب إليه، وإذا أبغض عبداً عجّل له دعوته أو ألقى اليأس في قلبه منها. ثمّ قال له: وما كانت دعوتك؟

قال: مرّ بي غنم ومعه غلام له ذؤابة فقلت: يا غلام لمن هذا الغنم؟

فقال: لإبراهيم خليل الرحمن.

فقلت: اللّهمّ إن كان لك في الأرض خليل فأرنيه.

فقال له إبراهيم: فقد استجاب الله لك أنا إبراهيم خليل الرحمن، فعانقه، فلمّا بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جاءت المصافحة(١).

عن محمّد الواسطيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى

(١) أمالي الصدوق: ص ٢٤٤، مجلس ٤٩/ح ١١، البحار: ج ١٢/ص ٧٦، باب ٤/ح ١.

إبراهيم عليه السلام: أنّ الأرض قد شكت إليّ الحياء من رؤية عورتك، فاجعل بينك وبينها حجاباً، فجعل شيئاً هو أكثر من الثياب ومن دون السراويل، فلبسه فكان إلى ركبتيه[١].

قوله عليه السلام: (هو أكثر من الثياب) أي زائد على سائر أثوابه، والظاهر: هو أكبر من التبّان؛ قال في النهاية: التبّان: سراويل صغير يستر العورة المغلّظة فقط، ويكثر لبسه الملاّحون.

بإسناد العمريّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل ممّا خلق الله عزّ وجلّ الجزر؟

فقال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان له يوماً ضيف ولم يكن عنده ما يمون ضيفه.

فقال في نفسه: أقوم إلى سقفي فأستخرج من جذوعه فأبيعه من النجّار فيعمل صنماً فلم يفعل، وخرج ومعه إزار إلى موضع وصلّى ركعتين، فجاء ملك وأخذ من ذلك الرمل والحجارة فقبضه في إزار إبراهيم عليه السلام وحمله إلى بيته كهيئة رجل، فقال لأهل إبراهيم عليه السلام: هذا إزار إبراهيم فخذيه، ففتحوا الإزار فإذا الرمل قد صار ذرة، وإذا الحجارة الطوال قد صارت جزراً. وإذا الحجارة المدوّرة قد صارت لفتاً[٢].

عن يونس بن ظبيان، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: لمّا أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط إليه ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم.

قال: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع؟

قال: بل داع يا إبراهيم فأجب، قال إبراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟

قال: فرجع ملك الموت حتّى وقف بين يدي الله جلّ جلاله فقال: إلهي قد سمعت بما قال خليلك إبراهيم.

---

(١) علل الشرائع: ج ٢/ص ٣٠٩، باب ٣٨٥/ح ٢٩، البحار: ج ١٢/ص ٧٧، باب ٤/ح ٣.
(٢) علل الشرائع: ج ٢/ص ٢٩٨، باب ٣٧٦/ح ٣، البحار: ج ١٢/ ص٧٧-٧٨، باب ٤/ح ٤.

فقال الله جلّ جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه، إنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه[١].

المراد بالداعي أنّ يكون طلبه على سبيل التخيير والرضى كما هو المتعارف فيمن يدعو ضيفاً لكرامته، وبالناعي أنّ يكون قاهراً طالباً على الجزم والحتم، وكان غرض إبراهيم عليه السلام الشفاعة والدعاء لطلب البقاء ليكثر من عبادة ربّه إن علم الله صلاحه في ذلك.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا قضى مناسكه رجع إلى الشام فهلك، وكان سبب هلاكه أنّ ملك الموت أتاه ليقبضه فكَرِهَ إبراهيم الموت فرجع ملك الموت إلى ربّه عزّ وجلّ فقال: إنّ إبراهيم كره الموت، فقال: دع إبراهيم فإنّه يحبّ أن يعبدني.

قال: حتّى رأى إبراهيم شيخاً كبيراً يأكل ويخرج منه ما يأكله فكره الحياة وأحبّ الموت فبلغنا أنّ إبراهيم أتى داره فإذا فيها أحسن صورة ما رآها قطّ.

قال: من أنت؟

قال: أنا ملك الموت.

قال: سبحان الله من الّذي يكره قربك وزيارتك وأنت بهذه الصورة؟

فقال: يا خليل الرحمن إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً بعثني إليه في هذه الصورة، وإذا أراد بعبد شرّاً بعثني إليه في غير هذه الصورة، فقبض عليه السلام بالشام، وتوفّي بعده إسماعيل وهو ابن ثلاثين ومائة سنة، فدفن في الحجر مع أُمّه[٢].

عن محمّد بن القاسم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سارة قالت لإبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم قد كبرت فلو دعوت الله أن يرزقك ولداً تقرّ أعيننا به فإنّ الله قد اتّخذك خليلاً وهو مجيب لدعوتك إن شاء.

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٥١، باب ٣٢/ح ٩، وأمالي الصدوق: ص ١٦٤، مجلس ٣٦/ح ١ والبحار: ج ١٢/ص ٧٨، باب ٤/ح ٧.

(٢) علل الشرائع: ج ١/ص ٥٣، باب ٣٦/ح ١؛ والبحار: ج ١٢/ص ٧٩/ باب ٤/ح٨.

قال عليه السلام: فسأل إبراهيم ربّه أن يرزقه غلاماً عليماً.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّي واهب لك غلاماً عليماً ثمّ أبلوك بالطاعة لي.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فمكث إبراهيم بعد البشارة ثلاث سنين ثمّ جاءته البشارة من الله عزّ وجلّ وإنَّ سارة قد قالت لإبراهيم: إنّك قد كبرت وقرب أجلك، فلو دعوت الله عزّ وجلّ أن ينسيء في أجلك وأن يمدّ لك في العمر فتعيش معنا وتقرّ أعيننا.

قال: فسأل إبراهيم ربّه ذلك.

قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: سل من زيادة العمر ما أحببت تعطه.

قال: فأخبر إبراهيم سارة بذلك فقالت له: سل الله أن لا يميتك حتّى تكون أنت الّذي تسأله الموت.

قال: فسأل إبراهيم ربّه ذلك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ذلك لك.

قال: فأخبر إبراهيم سارة بما أوحى الله عزّ وجلّ إليه في ذلك.

فقالت سارة لإبراهيم: اشكر الله واعمل طعاماً وادع عليه الفقراء وأهل الحاجة.

قال: ففعل ذلك إبراهيم ودعا إليه الناس، فكان فيمن أتى رجل كبير ضعيف مكفوف معه قائد له فأجلسه على مائدته.

قال: فمدّ الأعمى يده فتناول لقمةً وأقبل بها نحو فيه فجعلت تذهب يميناً وشمالاً من ضعفه، ثمّ أهوى بيده إلى جبهته فتناول قائده يده فجاء بها إلى فمه، ثمَّ تناول المكفوف لقمة فضرب بها عينه.

قال: وإبراهيم عليه السلام ينظر إلى المكفوف وإلى ما يصنع.

قال: فتعجّب إبراهيم من ذلك وسأل قائده عن ذلك.

فقال له القائد: هذا الّذي ترى من الضعف.

فقال إبراهيم في نفسه: أليس إذا كبرت أصير مثل هذا؟ ثمّ إنَّ إبراهيم عليه السلام سأل الله عزّ وجلّ حيث رأى من الشيخ ما رأى.

فقال: اللّهمّ توفّني في الأجل الّذي كتبت لي فلا حاجة لي في الزيادة في العمر بعد الّذي رأيت[١].

عن ابن أُورمة، عن يحيى اللّحّام، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم ناجى ربّه فقال: يا ربّ كيف ذا العيال؟ من قبل أن يجعل له من ولده خلفاً يقوم من بعده في عياله.

فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم أو تريد لها خلفاً منك يقوم مقامك من بعدك خيراً منّي؟!

قال إبرهيم: اللّهم لا، الآن طابت نفسي[٢].

عن عبد الله بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مسجد السهلة سار إبراهيم عليه السلام إلى اليمن بالعمالقة[٣].



أحوال أولاده وأزواجه صلوات الله عليهم وبناء البيت

قوله: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾[٤] قال الصادق عليه السلام: يعني نحّ عنه المشركين.

وقال: لمّا بنى إبراهيم عليه السلام البيت وحجّ الناس شكت الكعبة إلى الله تبارك وتعالى ما تلقى من أنفاس المشركين، فأوحى الله إليها قرّي كعبة فإنّي أبعث في آخر الزمان قوماً يتنظّفون بقضبان الشجر ويتخلّلون.

قوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ﴾[٤] فإنّه دعا إبراهيم ربّه أن يرزق من آمن به.

فقال الله: يا إبراهيم ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أيضاً أرزقه ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾[٤] [٥].

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٥٤، باب ٣٦/ح ٢؛ البحار: ج ١٢/ص ٧٩ - ٨٠/ باب ٤/ح ٩.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١١٢؛ البحار: ج ١٢/ ص ٨٢/ باب ٤/ ح١١.
(٣) الكافي: ج ٣/ص ٢٥٨/ باب ٢٧٤/ ح ١، البحار: ج ١٢/ص ٨٢/ باب ٤/ ح ١٢.
(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٢٥، ١٢٦.
(٥) تفسير القمي: ج ١/ص ٦٩؛ البحار: ج ١٢/ص ٩٢/ باب ٥/ ح ١.

قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولًا﴾(١) فإنّه يعني من ولد إسماعيل عليه السلام فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام (٢).

عن كلثوم بن عبد المؤمن الحرّانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يحجَّ ويحجَّ بإسماعيل معه ويسكنه الحرم.

قال: فحجّا على جمل أحمر ما معهما إلاّ جبرئيل، فلمّا بلغا الحرم قال له جبرئيل عليه السلام: يا إبراهيم انزلا فاغتسلا قبل أن تدخلا الحرم، فنزلا واغتسلا، وأراهما كيف يتهيّئا للإحرام ففعلا، ثمّ أمرهما فأهلاّ بالحجّ وأمرهما بالتلبيات الأربع الّتي لبّى بها المرسلون، ثمّ سار بهما حتّى أتى بهما باب الصفا فنزلا عن البعير وقام جبرئيل بينهما فاستقبل البيت فكبّر وكبّرا، وحمد الله وحمدا، ومجد الله ومجدا، وأثنى عليه ففعلا مثل ما فعل، وتقدّم جبرئيل وتقدّما يثنون على الله ويمجّدونه حتّى انتهى بهما إلى موضع الحجر فاستلم جبرئيل عليه السلام (الحجر خ ل) وأمرهما أن يستلما، وطاف بهما أُسبوعاً، ثمّ قام بهما في موضع مقام إبراهيم فصلّى ركعتين وصلّيا، ثمّ أراهما المناسك وما يعملانه فلمّا قضيا نسكهما أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم بالانصراف.

وأقام إسماعيل وحده ما معه أحد غيره، فلمّا كان من قبل قابل أذن الله عزّ وجلّ لإبراهيم في الحجّ وبناءِ الكعبة وكانت العرب تحجّ إليه وكان ردماً إلاّ أنّ قواعده معروفة، فلمّا صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها في جوف الكعبة.

فلمّا أن أذن الله عزّ وجلّ في البناء قدم إبراهيم فقال: يا بنيّ قد أمرنا الله عزّ وجلّ ببناء الكعبة، فكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ضع بناءها عليه، وأنزل الله عزّ وجلّ عليه أربعة أملاك يجمعون له الحجارة فصار إبراهيم وإسماعيل يضعان الحجارة والملائكة تناولهما حتّى تمّت اثنا عشر ذراعاً وهيّئا له باباً يدخل منه، وباباً يخرج منه، ووضع عليه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٧١؛ البحار: ج ١٢/ص ٩٢/ باب ٥/ ح ١.

عتبة وشريجاً من حديد على أبوابه، وكانت الكعبة عريانة، فلمّا ورد عليه النّاس أتى امرأة من حمير أعجبه جمالها، فسأل الله عزّ وجلّ أن يزوّجها إيّاه وكان لها بعل، فقضى الله عزّ وجلّ على بعلها الموت فأقامت بمكّة حزناً على بعلها فأسلى الله عزّ وجلّ ذلك عنها وزوجها إسماعيل، وقدم إبراهيم عليه السلام للحج وكانت امرأة موافقة وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً، فنظرت إلى شيخ شعث فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حالهم، وسألها عنه خاصّة فأخبرته بحسن حاله، وسألها ممّن أنت؟

فقال: امرأة من حمير، فسار إبراهيم عليه السلام ولم يلق إسماعيل، وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال: ادفعي هذا الكتاب إلى بعلك إذا أتى إن شاء الله، فقدم عليها إسماعيل عليه السلام فدفعت إليه الكتاب فقرأه وقال: أتدرين من ذلك الشيخ؟

فقالت: لقد رأيته جميلاً فيه مشابهة منك.

قال: ذاك أبي.

فقالت: يا سوأتاه منه.

قال: ولِمَ؟ نظر إلى شيء من محاسنك؟

قالت: لا ولكن خفت أن أكون قد قصّرت.

وقالت له امرأته وكانت عاقلة: فهلاّ نعلّق على هذين البابين سترين: ستراً من ههنا وستراً من ههنا.

قال: نعم فعملا له سترين طولهما اثنا عشر ذراعاً فعلّقهما على البابين فأعجبها ذلك.

فقالت: فهلاّ أحوك للكعبة ثياباً ونسترها كلّها فإنّ هذه الأحجار سمجة؟

فقال لها إسماعيل: بلى، فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزل بهنّ.

قال أبو عبد الله عليه السلام: وإنّما وقع استغزال النساء بعضهنّ من بعض لذاك.

قال: فأسرعت واستعانت في ذلك، فكلّما فرغت من شقّة علّقتها فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة.

فقالت لإسماعيل عليه السلام: كيف نصنع بهذا الوجه الّذي لم ندركه بكسوة فنكسوه خصفاً، فجاء الموسم فجاءته العرب على حال ما كانت تأتيه فنظروا إلى أمر فأعجبهم فقالوا: ينبغي لعامر هذا البيت أن يهدى إليه، فمن ثمّ وقع الهدي، فأتى كلّ فخذ من العرب بشيء تحمله من ورق ومن أشياء غير ذلك حتّى اجتمع شيء كثير فنزعوا ذلك الخصف وأتمّوا كسوة البيت، وعلّقوا عليها بابين، وكانت الكعبة ليست بمسقّفة، فوضع إسماعيل عليها أعمدة مثل هذه الأعمدة الّتي ترون من خشب فسقّفها إسماعيل بالجرائد وسوّاها بالطين، فجاءت العرب من الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغي لعامر هذا البيت أن يزاد، فلمّا كان من قابل جاءه الهدي فلم يدر إسماعيل كيف يصنع به.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن انحره وأطعمه الحاجّ.

قال: وشكا إسماعيل قلّة الماء إلى إبراهيم عليه السلام فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم عليه السلام: أن احتفر بئراً يكون فيها شرب الحاجّ، فنزل جبرئيل عليه السلام فاحتفر قليبهم يعني زمزم حتّى ظهر ماؤها، ثمّ قال جبرئيل: انزل يا إبراهيم، فنزل بعد جبرئيل عليه السلام، فقال: اضرب يا إبراهيم في أربع زوايا البئر وقل: بسم الله.

قال: فضرب إبراهيم عليه السلام في الزاوية الّتي تلي البيت وقال: بسم الله فانفجرت عيناً ثمّ ضرب في الأُخرى وقال بسم الله فانفجرت عيناً، ثمَّ ضرب في الثالثة وقال: بسم الله فانفجرت عيناً، ثمّ ضرب في الرابعة وقال: بسم الله فانفجرت عيناً.

فقال جبرئيل عليه السلام: اشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة.

فخرج إبراهيم عليه السلام وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: افض عليك يا إبراهيم وطف حول البيت فهذه سقيا سقاها الله ولدك إسماعيل، وسار إبراهيم وشيعه إسماعيل حتّى خرج من الحرم، فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم فرزقه الله من الحميريّة ولداً ولم يكن له عقب.

قال: وتزوّج إسماعيل عليه السلام من بعدها أربع نسوة فولد له من كلّ واحدة أربعة غلمان، وقضى الله على إبراهيم الموت فلم يره إسماعيل ولم يخبر بموته حتّى

كان أيّام الموسم، وتهيّأ إسماعيل عليه السلام لأبيه إبراهيم فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فعزّاه بإبراهيم عليه السلام فقال له: يا إسماعيل لا تقول في موت أبيك ما يسخط الربّ.

وقال: إنّما كان عبداً دعاه الله فأجابه، وأخبره أنّه لاحق بأبيه، وكان لإسماعيل ابن صغير يحبّه وكان هوى إسماعيل فيه فأبى الله عليه ذلك.

فقال: يا إسماعيل هو فلان.

قال: فلمّا قضى الموت على إسماعيل دعا وصيّه فقال: يابنيّ إذا حضرك الموت فافعل كما فعلت فمن ذلك ليس يموت إمام إلاّ أخبره الله إلى من يوصي(١).

عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام فلمّا ولد له من هاجر إسماعيل عليه السلام اغتمّت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنّه لم يكن له منها ولد، وكانت تؤذي إبراهيم في هاجر فتغمّه فشكا إبراهيم ذلك إلى الله عزّ وجلّ، فأوحى الله إليه: إنّما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء إن تركتها استمتعت بها، وإن أقمتها كسرتها.

ثمّ أمره أن يخرج إسماعيل عليه السلام وأُمّه عنها، فقال: يا ربّ إلى أي مكان؟

قال: إلى حرمي وأمني وأوّل بقعة خلقتها من الأرض وهي مكّة، فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل وإبراهيم عليه السلام وكان إبراهيم لا يمرّ بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلاّ وقال: يا جبرئيل إلى ههنا إلى ههنا.

فيقول جبرئيل: لا امض امض، حتّى وافى به مكّة، فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتّى يرجع إليها، فلمّا نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساءً كان معها فاستظلّوا تحته، فلمّا سرحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الانصراف عنهم إلى سارة قالت له هاجر: يا إبراهيم لِمَ تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟

(١) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٣١٠/ باب ٣٨٥/ ح ٣٢؛ والبحار: ج ١٢/ ص٣٩ - ٩٧/ باب ٥/ ح٥.

فقال إبراهيم: الّذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يكفيكم، ثمّ انصرف عنهم، فلمّا بلغ كدى[١] وهو جبل بذي طوى التفت إليهم إبراهيم فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٢] ثمّ مضى وبقيت هاجر، فلمّا ارتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى فنادت: هل في الوادي من أنيس؟

فغاب إسماعيل عنها فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنّت أنّه ماء، فنزلت في بطن الوادي وسعت فلمّا بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل ثمّ لمع لها السراب في ناحية الصفا فهبطت إلى الوادي تطلب الماء فلمّا غاب عنها إسماعيل عادت حتّى بلغت الصفا فنظرت حتّى فعلت ذلك سبع مرّات، فلمّا كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه، فعدت حتّى جمعت حوله رملاً فإنّه كان سائلاً فزمّته بما جعلته حوله فلذلك سمّيت زمزم، وكانت جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلمّا ظهر الماء بمكّة عكفت الطير والوحش على الماء، فنظرت جرهم إلى تعكّف الطير على ذلك المكان واتبّعوها حتّى نظروا إلى امرأة وصبيّ نازلين في ذلك الموضع قد استظلاّ بشجرة وقد ظهر الماء لهما، فقالوا لهاجر: من أنت؟ وما شأنك وشأن هذا الصبيّ؟

قالت: أنا أُمّ ولد إبراهيم خليل الرحمن، وهذا ابنه أمره الله أن ينزلنا ههنا.

فقالوا لها: فتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم؟

قالت لهم: حتّى يأتي إبراهيم عليه السلام، فلمّا زارهم إبراهيم يوم الثالث قالت هاجر: يا خليل الله إنّ ههنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتّى يكونوا بالقرب منّا، أفتأذن لهم في ذلك؟

---

(١) قال الفيروزآبادي: كداء كسماء: اسم لعرفات وجبل بأعلى مكة، دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة منه. وكسمى: جبل بأسفلها وخرج منه. وجبل آخر بقرب عرفة. وكقرى: جبل مسفلة مكة على طريق اليمن.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

فقال إبراهيم: نعم، فأذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم فأنست هاجر وإسماعيل بهم، فلمّا زارهم إبراهيم في المرّة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرّ بذلك سروراً شديداً، فلمّا ترعرع إسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كلّ واحد منهم شاةً وشاتين وكانت هاجر وإسماعيل يعيشان بها، فلمّا بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت فقال: يا ربّ في أيّة بقعة؟

قال: في البقعة الّتي أُنزلت على آدم القبّة فأضاء لها الحرم، فلم تزل القبّة الّتي أنزلها الله على آدم قائمة حتّى كان أيّام الطوفان أيّام نوح عليه السلام، فلمّا غرقت الدنيا رفع الله تلك القبّة وغرقت الدنيا إلاّ موضع البيت، فسمّيت البيت العتيق لأنّه أُعتق من الغرق.

فلمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم أن يبني البيت لم يدر في أيّ مكان يبنيه، فبعث الله جبرئيل عليه السلام فخطّ له موضع البيت، فأنزل الله عليه القواعد من الجنّة، وكان الحجر الّذي أنزله الله على آدم أشدّ بياضاً من الثلج، فلمّا مسّته أيدي الكفّار اسودّ، فبنى إبراهيم البيت ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى، فرفعه في السماء تسعة أذرع، ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم ووضعه في موضعه الّذي هو فيه الآن، وجعل له بابين: باباً إلى المشرق، وباباً إلى المغرب، والباب الّذي إلى المغرب يسمّى المستجار، ثمّ ألقى عليه الشجر والأذخر، وعلّقت هاجر على بابه كساءاً كان معها، وكانوا يكونون تحته، فلمّا بناه وفرغ منه حجّ إبراهيم وإسماعيل ونزل عليهما جبرئيل يوم التروية لثمان من ذي الحجّة فقال: يا إبراهيم قم فارتو من الماء، لأنّه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسمّيت التروية لذلك، ثمّ أخرجه إلى منى فبات بهافقعل به ما فعل بآدم عليه السلام فقال إبراهيم عليه السلام لمّا فرغ من بناء البيت: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[1].

قال: من ثمرات القلوب، أي حبّبهم إلى الناس لينتابوا إليهم ويعودوا إليه[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٦٩، البحار: ج ١٢/ ص ٩٧ - ١٠٠/باب ٥/ ح ٦.

أبو البختريّ، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام إنّ الجمار إنّما رميت أنّ جبرئيل عليه السلام حين أرى إبراهيم عليه السلام المشاعر برز له إبليس فأمره جبرئيل أن يرميه فرماه بسبع حصيات، فدخل عند الجمرة الأولى تحت الأرض فأمسك، ثمّ إنّه برز له عند الثانية فرماه بسبع حصيات أُخر فدخل تحت الأرض في موضع الثانية، ثمّ برز له في موضع الثالثة فرماه بسبع حصيات فدخل موضعها(١).

عن إسماعيل بن همّام، عن الرضا عليه السلام أنّه قال لرجل: أيّ شيء السكينة عندكم؟ فلم يدر القوم ما هي، فقالوا: جعلنا الله فداك ما هي؟

قال: ريح تخرج من الجنّة طيّبة، لها صورة كصورة الإنسان، تكون مع الأنبياء عليهم السلام وهي الّتي أُنزلت على إبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا ويبني الأساس عليها(٢).

عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل دفن أُمّه في الحجر وجعله عليّاً، وجعل عليها حائطاً لئلاّ يوطأ قبرها(٣).

عن الحسن بن نعمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا زادوا في المسجد الحرام، فقال: إنّ إبراهيم وإسماعيل حدّا المسجد الحرام ما بين الصفا والمروة(٤).

عن عبد الله ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم وإسماعيل عليه السلام ببنيان البيت وتمّ بناؤه أمره أن يصعد ركناً ثمّ ينادي في الناس: ألا هلم الحجّ، فلو نادى هلمّوا إلى الحجّ لم يحجَّ إلاّ من كان يومئذ إنسيّاً مخلوقاً، ولكن نادى هلمّ الحجّ، فلبّى النّاس في أصلاب الرجال: لبّيك داعي الله لبّيك داعي الله، فمن لبّى عشراً حجّ عشراً، ومن لبّى خمساً حجّ خمساً، ومن

(١) قرب الإسناد: ٦٨-٦٩، البحار ج ١٢/ ص ١٠٢/ باب ٥/ ح ٨.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ ص ٢٧٨/ باب ٢٨/ ح ٨٠، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٢/ باب ٥/ ح ٩.
(٣) علل الشرائع: ج ١/ص ٥٢/ باب ٣٤/ ح ١ والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٤/ باب ٥/ ح ١٣.
(٤) فروع الكافي: ج ٤/ ص ٤٠٤/ باب ١٣٤/ ح ١١، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٤/ باب ٥/ ح ١٤.

لبّى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبّى واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبِّ لم يحجّ[(١)].

عن غالب بن عثمان، عن رجل من أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله جلّ جلاله لمّا أمر إبراهيم ينادي في الناس بالحجّ قام على المقام فارتفع به حتّى صار بإزاء أبي قبيس فنادى في النّاس بالحجّ فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة[(٢)].

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا خلّف إسماعيل بمكّة عطش الصبيّ وكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أُمّه حتّى قامت على الصفا فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحدٌ، فمضت حتّى انتهت إلى المروة فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحدٌ، ثمّ رجعت إلى الصفا فقالت كذلك حتّى صنعت ذلك سبعاً، فأجرى الله ذلك سنّة.

فأتاها جبرئيل عليه السلام فقال لها: من أنت؟

فقالت: أنا أُمّ ولد إبراهيم.

فقال: إلى من وكلكم؟

فقالت: أما إذا قلت ذلك فقد قلت له حيث أراد الذهاب: يا إبراهيم إلى من تكلنا؟

فقال: إلى الله عزّ وجلّ.

فقال جبرئيل عليه السلام: لقد وكلكم إلى كاف.

قال: وكان النّاس يتجنّبون الممرّ بمكّة لمكان الماء، ففحص الصبيّ برجله فنبعت زمزم، ورجعت من المروة إلى الصبي وقد نبع الماء فأقبلت تجمع التراب حوله مخافة أن يسيح الماء ولو تركته لكان سيحاً.

(١) فروع الكافي: ج ٢/ ص ١٢٤/ باب ١٥٨/ ح ١، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٥/ باب ٥/ ح ١٧.
(٢) علل الشرائع: ج٢/ ص ١٢٤/ باب ١٥٨/ ح ٢، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٦/ باب ٥/ ح ١٨.

قال: فلمّا رأت الطير الماء حلقت عليه، قال: فمرّ ركب من اليمن فلمّا رأوا الطير حلقت عليه قالوا: ما حلقت إلاّ على ماء فأتوهم فسقوهم من الماء وأطعموهم الركب من الطعام وأجرى الله عزّوجلّ لهم بذلك رزقاً، فكانت الركب تمرّ بمكّة فيطعمونهم من الطعام ويسقونهم من الماء(١).

عن عبيد الله الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته لمَ جعلت التلبية؟

فقال: إنَّ الله عزّوجلّ أوحى إلى إبراهيم: وأذّن في النّاس بالحجّ يأتوك رجالاً، فنادى فأُجيب من كلّ فجّ (عميق خ) يلبّون(٢).

عن عبدوس بن أبي عبيدة قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: أوّل من ركب الخيل إسماعيل وكانت وحشيّة لا تركب فحشرها الله عزّوجلّ على إسماعيل من جبل منى، وإنّما سمّيت الخيل العراب لأنّ أوّل من ركبها إسماعيل(٣).

عن أبي جميلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ بنات الأنبياء صلوات الله عليهم لا يطمثن، إنّما الطمث عقوبة وأوّل من طمثت سارة(٤).

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صار السعي بين الصفا والمروة لأنّ إبراهيم عليه السلام عرض له إبليس فأمره جبرئيل عليه السلام فشدّ عليه، فهرب منه فجرت به السنّة، يعني به الهرولة(٥).

في علل ابن سنان أنّ الرضا عليه السلام كتب إليه: إنّما سميت منى منى لأنّ جبرئيل عليه السلام قال هناك: ياإبراهيم تمنّ على ربّك ما شئت، فتمنّى إبراهيم في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداءً له، فأُعطي مناه(٦).

(١) علل الشرائع: ج ٢/ ص ١٣٨/ باب ١٦٦/ ح ١. والبحار: ج١٢/ ص ١٠٦-١٠٧/ باب ٥/ ح ١٩.
(٢) علل الشرائع: ج ٢/ ص ١٢٠/ باب ١٥٧/ ح١، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٧/ باب ٥/ ح ٢٠.
(٣) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٩٥/ باب ١٣١/ ح ٥، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٧، باب ٥/ ح ٢١.
(٤) علل الشرائع: ج ١/ ص ٣٣٧، باب ٢١٥/ ح ١، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٧، باب ٥/ ح ٢٢.
(٥) علل الشرائع: ج ٢/ ص ١٣٨، باب ١٦٧/ ح ١، والبحار: ١٢/ ص ١٠٧-١٠٨، باب ٥/ ح ٢٣.
(٦) علل الشرائع: ج ٢/ ص ١٤٢، باب ١٧٢/ ح ٢، والبحار: ج ١٢/ ص ١٠٨، باب ٥/ ح ٢٦.

عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عرفات لمَ سمّيت عرفات؟

فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام خرج بإبراهيم عليه السلام يوم عرفة، فلمّا زالت الشمس قال له جبرئيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك، فسمّيت عرفات لقول جبرئيل عليه السلام له: اعترف، فاعترف(١).

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في حديث إبراهيم: إنَّ جبرئيل عليه السلام انتهى به إلى الموقف فأقام به حتّى غربت الشمس، ثمّ أفاض به فقال: يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام، فسمّيت مزدلفة(٢).

عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بإسناده قال: قال أبو الحسن عليه السلام في الطائف: أتدري لمَ سمّي الطائف؟

قلت: لا.

فقال: إنّ إبراهيم عليه السلام دعا ربّه أن يرزق أهله من كلّ الثمرات، فقطع لهم قطعة من الأُردّن فأقبلت حتّى طافت بالبيت سبعاً، ثمّ أقرّها الله عزّ وجلّ في موضعها، فإنّما سمّيت الطائف للطواف بالبيت(٣).

عن العمركيّ، عن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألته عن رمي الجمار لمَ جعل؟

قال: لأنّ إبليس اللعين كان يتراءى لابراهيم عليه السلام في موضع الجمار فرجمه إبراهيم فجرت السنّة بذلك(٤).

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوّل من رمى الجمار آدم عليه السلام.

---

(١) علل الشرائع: ج ٢/ص ١٤٢، باب ١٧٣/ح ١، والبحار: ج ١٢/ص ١٠٨-١٠٩، باب ٥/ح ٢٧.
(٢) علل الشرائع: ج ٢/ص ١٤٣، باب ١٧٥/ح ١، والبحار: ج ١٢/ص ١٠٩، باب ٥/ح ٢٨.
(٣) علل الشرائع: ج ٢/ص ١٤٩، باب ١٨٩/ح١، والبحار: ج ١٢/ص ١٠٩، باب ٥/ح ٣٠.
(٤) علل الشرائع: ج ٢/ص ١٤٣، باب ١٧٧/ح ١، والبحار: ج ١٢/ص ١١٠، باب ٥/ح ٣٣.

وقال: أتى جبرئيل إبراهيم عليه السلام وقال: ارم يا إبراهيم، فرمى جمرة العقبة وذلك أنّ الشيطان تمثّل له عندها[١].

عن إبراهيم الكرخيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى وكان من أهلها، وكانت أُمّ إبراهيم وأُمّ لوط عليه السلام أُختين، وأنّه تزوّج سارة بنت لاحج وهي بنت خالته، وكانت صاحبة ماشية كثيرة وحال حسنة، فملّكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه فكثرت الماشية والزرع حتّى لم يكن بأرض كوثى رجل أحسن حالاً منه. إلى آخر ما مرّ في رواية الكلينيّ[٢].

عن حارثة بن مضرّب[٣]، عن عليّ عليه السلام قال: شبّ إسماعيل وإسحاق فتسابقا، فسبق إسماعيل، فأخذه إبراهيم فأجلسه في حجره وأجلس إسحاق إلى جنبه، فغضبت سارة وقالت: أما إنّك قد جعلت أن لا تسوّي بينهما فاعزلها عنّي، فانطلق إبراهيم بإسماعيل وبأُمه هاجر حتّى أنزلهما مكّة فنفد طعامهم، فأراد إبراهيم أن ينطلق فيلتمس لهم طعاماً فقالت هاجر: إلى من تكلنا؟

فقال: أكلكم إلى الله تعالى، وأصابهما جوع شديد فنزل جبرئيل وقال لهاجر: إلى من وكلكما؟

قالت: وكلنا إلى الله.

قال: لقد وكلكما إلى كاف، ووضع جبرئيل يده في زمزم ثمّ طواها فإذا الماء قد نبع، فأخذت هاجر قربة مخافة أن يذهب.

فقال جبرئيل: إنّها تبقى، فادعي ابنك فأقبل فشربوا وعاشوا حتّى أتاهم إبراهيم فأخبرته الخبر فقال: هو جبرئيل عليه السلام[٤].

---

(١) علل الشرائع: ج ٢/ص ١٤٣، باب ١٧٧/ح ٢، والبحار: ج ١٢/ص ١١٠، باب ٥/ح ٣٣.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٠٦، والبحار: ج ١٢/ص ١١٠، باب ٥/ح ٣٤.
(٣) بتشديد الراء المكسورة هو حارثة بن مضرب العبدي الكوفي وثقه ابن حجر في التقريب، ص ٩١.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١١٠، والبحار: ج ١٢/ص ١١١، باب ٥/ح ٣٧.

عن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل عليه السلام تزوّج امرأة من العمالقة يقال لها سامة، وإنّ إبراهيم اشتاق إليه فركب حماراً، فأخذت عليه سارة أن لا ينزل حتّى يرجع، قال: فأتاه وقد هلكت أُمّه فلم يوافقه ووافق امرأته فقال لها: أين زوجك؟

فقالت: خرج يتصيّد.

فقال: كيف حالكم؟

فقالت: حالنا شديدةٌ وعيشنا شديدٌ.

قال: ولم تعرض عليه المنزل.

فقال: إذا جاء زوجك فقولي له: جاء ههنا شيخ وهو يأمرك أن تغيّر عتبة بابك، فلمّا أقبل إسماعيل وصعد الثنية وجد ريح أبيه فأقبل إليها وقال: أتاك أحد؟

قالت: نعم شيخ قد سألني عنك.

فقال لها: هل أمرك بشيء؟

قالت: نعم.

قال لي: إذا دخل زوجك فقولي له: جاء شيخ وهو يأمرك أن تغيّر عتبة بابك، قال: فخلّى سبيلها.

ثمّ إنّ إبراهيم عليه السلام ركب إليه الثانية فأخذت عليه سارة أن لا ينزل حتّى يرجع فلم يوافقه ووافق امرأته فقال: أين زوجك؟

قالت: خرج عافاك الله للصيد.

فقال: كيف أنتم؟

فقالت: صالحون.

قال: وكيف حالكم؟

قالت: حسنة ونحن بخير انزل يرحمك الله حتّى يأتي.

قال: فأبى ولم تزل به تريده على النزول فأبى.

قالت: أعطني رأسك حتّى أغسله فإنّي أراه شعثاً، فجعلت له غسولاً ثمّ أدنت منه الحجر فوضع قدمه عليه فغسلت جانب رأسه، ثمّ قلبت قدمه الأُخرى فغسلت الشقّ الآخر، ثمّ سلّم عليها وقال: إذا جاء زوجك فقولي له: قد جاء ههنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيراً، ثمّ إنّ إسماعيل عليه السلام أقبل فلمّا انتهى إلى الثنية وجد ريح أبيه فقال لها: هل أتاك أحدٌ؟

قالت: نعم شيخ وهذا أثر قدميه، فأكبّ على المقام وقبّله.

وقال: شكا إبراهيم إلى الله تعالى ما يلقى من سوءِ خلق سارة فأوحى الله تعالى إليه إنّ مثل المرأة مثل الضلع الأعوج، إن تركته استمتعت به، وإنّ أقمته كسرته.

وقال: إن إبراهيم عليه السلام تزوّج سارة وكانت من أولاد الأنبياء على أن لا يخالفها ولا يعصي لها أمراً فيما وافق الحقّ، وإنّ إبراهيم كان يأتي مكّة من الحيرة في كلّ يوم[(١)].

عن عبد الرّحمن بن الحجّاج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أنّ يزور إسماعيل بمكّة فأذنت له على أن لا يبيت عنها ولا ينزل عن حماره، قلت: كيف كان ذلك؟

قال: طويت له الأرض[(٢)].

لمّا ترعرع إسماعيل عليه السلام وكبر أعطوه سبعة أعنز، فكان ذلك أصل ماله، فنشأ وتكلّم بالعربيّة وتعلم الرمي، وكان إسماعيل عليه السلام بعد موت أُمّه تزوّج امرأة من جرهم اسمها زعلة أوعمادة وطلّقها ولم تلد له شيئاً، ثمّ تزوّج السيّدة بنت الحارث بن مضاض فولدت له، وكان عمر إسماعيل عليه السلام مائة وسبعاً وثلاثين، ومات عليه السلام ودفن في الحجر، وفيه قبور الأنبياء عليهم السلام، ومن أراد أن يصلّي فيه فليكن صلاته على ذراعين من طرفه ممّا يلي باب البيت فإنّه موضع شبير وشبر ابني هارون عليه السلام[(٢)].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١١١-١١٢/ح ١٠٩، والبحار: ج ١٢/ص ١١١-١١٢، باب ٥/ح ٣٨.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١١٢-١١٣/ح ١١١ و١١٢. والبحار: ج ١٢/ص ١١٢-١١٣، باب ٥/ح ٣٩ و٤٠ و٤١.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل عليه السلام توفّي وهو ابن مائة وثلاثين سنة، ودفن بالحجر مع أُمّه، فلم يزل بنو إسماعيل ولاة الأمر يقيمون للناس حجّهم وأمر دينهم يتوارثونها كابراً عن كابر حتّى كان زمن عدنان بن أُدد[1].

عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عن جدّه عليهما السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: عاش إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة، وعاش إسحاق بن إبراهيم عليه السلام مائة وثمانين سنة[2].

لعلّ هذا أصح الأخبار في عمره عليه السلام، إذ هو أبعد عن أقوال المخالفين، إذ الأشهر بينهم أنّه عاش مائة وسبعاً وثلاثين سنة.

وقيل: مائة وثلاثين، ولم أر القول بما في هذا الخبر بينهم، فيمكن حمل الخبرين السابقين على التقيّة.

عن معاوية بن عمّار قال: سألته عن السعي فقال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا خلّف هاجر وإسماعيل بمكّة عطش إسماعيل فبكى فخرجت حتّى علت على الصفا وبالوادي أشجار، فنادت: هل بالوادي من أنيس؟

فلم يجبها أحدٌ، فانحدرت حتّى علت على المروة فنادت: هل بالوادي من أنيس؟

فلم تزل تفعل ذلك حتّى فعلته سبع مرّات، فلمّا كانت السابعة هبط عليها جبرئيل عليه السلام فقال لها: أيّتها المرأة من أنت؟

فقالت: أنا هاجر أُمّ ولد إبراهيم.

قال لها: وإلى من خلّفك؟

قالت: أمّا إذا قلت ذلك لقد قلت له: يا إبراهيم إلى من تخلّفني ههنا؟

فقال: إلى الله عزّ وجلّ أُخلّفك.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١١٢-١١٣/ح ١١١ و١١٢. والبحار: ج ١٢/ ص ١١٢-١١٣، باب ٥/ح ٣٩ و٤٠ و٤١.

(٢) كمال الدين، ص ٤٧٤، البحار: ج ١٢/ ص ١١٣/ح ٤٢.

فقال لها جبرئيل عليه السلام: نعم ما خلّفك إليه، لقد وكلكم إلى كاف فارجعي إلى ولدك، فرجعت إلى البيت وقد نبعت زمزم والماء ظاهر يجري فجمعت حوله التراب فحبسه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: لو تركته لكان سيحاً. ثمّ قال: مرّ ركب من اليمن ولم يكونوا يدخلون مكّة فنظروا إلى الطير مقبلة على مكّة من كلّ فجّ فقالوا: ما أقبلت الطير على مكّة إلاّ وقد رأت الماء فمالوا إلى مكّة حتّى أتوا موضع البيت فنزلوا واستقوا من الماءِ وتزّودوا ما يكفيهم وخلّفوا عندهما من الزاد ما يكفيهما، فأجرى الله لهم بذلك رزقاً(١).

عن الفضل بن موسى الكاتب، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أسكن إسماعيل وهاجر مكّة وودعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما إبراهيم: ما يبكيكما فقد خلّفتكما في أحبّ الأرض إلى الله وفي حرم الله؟

فقالت له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى أنّ نبيّاً مثلك يفعل ما فعلت، قال: وما فعلت؟

فقالت: إنّك خلّفت امرأةً ضعيفةً وغلاماً ضعيفاً لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر ولا زرع قد بلغ ولا ضرع يحلب.

قال: فرقّ إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتّى انتهى إلى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضادتي الكعبة ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أسكنت من ذرّيّتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون.

قال أبو الحسن: فأوحى الله إلى إبراهيم: أن اصعد أبا قبيس فناد في الناس: يا معشر الخلائق إنّ الله يأمركم بحجّ هذا البيت الّذي بمكّة محرماً من استطاع إليه سبيلاً، فريضةً من الله.

قال: فصعد إبراهيم أبا قبيس فنادى في الناس بأعلى صوته: يا معشر الخلائق

---

(١) محاسن البرقي: ص ٣٣٧-٣٣٨، البحار: ج ١٢/ص ١١٣-١١٤، باب ٥/ح ٤٣.

إنّ الله يأمركم بحجّ هذا البيت الّذي بمكّة محرّماً من استطاع إليه سبيلاً فريضةً من الله.

قال: فمدّ الله لإبراهيم في صوته حتّى أسمع به أهل المشرق والمغرب وما بينهما من جميع ما قدّر الله وقضى في أصلاب الرجال من النطف، وجميع ما قدّر الله وقضى في أرحام النساء إلى يوم القيامة، فهناك يا فضل وجب الحجّ على جميع الخلائق، فالتلبية من الحاجّ في أيّام الحجّ هي إجابة لنداءِ إبراهيم عليه السلام يومئذ بالحجّ عن الله(١).

عن محمّد بن الحسن الواسطيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم خليل الرحمن سأل ربّه أن يرزقه ابنة تبكيه بعد موته(٢).

عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجر بيت إسماعيل، وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل عليه السلام (٣).

قصة الذبح وتعيين الذبيح

عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنا ابن الذبيحين.

قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وعبد الله بن عبد المطّلب أمّا إسماعيل فهو الغلام الحليم الّذي بشّر الله به إبراهيم ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤) فلمّا عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنّة

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٢٤٩/ح ٣٧، البحار: ج ١٢/ ص ١١٤-١١٥، باب ٥/ح ٤٧.
(٢) تهذيب الأحكام: ج ١/ ص ٢٤٦، باب ٢٣/ح ١٦٩، البحار: ج ١٢/ ص ١١٧، باب ٥/ح ٥٣.
(٣) فروع الكافي: ج ٤/ ص ٤٠٤، باب ١٣٤/ج ١٤، البحار: ج ١٢/ ص ١١٧، باب ٥/ح ٥٤.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

أربعين عاماً، وما خرج من رحم أُنثى، وإنّما قال الله عَزَّوَجَلَّ له: كن فكان، ليفتدي به إسماعيل، فكلّما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة، فهذا أحد الذبيحين[١].

قال الصدوق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فد اختلفت الروايات في الذبيح، فمنها ما ورد بأنه إسماعيل، ومنها ما ورد بأنّه إسحاق، ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صحّ طرقها، وكان الذبيح إسماعيل، لكنّ إسحاق لمّا ولد بعد ذلك تمنّى أن يكون هو الّذي أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله عَزَّوَجَلَّ ذلك من قلبه فسمّاه بين ملائكته ذبيحاً لتمنّيه لذلك.

وحدّثنا بذلك محمّد بن عليّ بن بشّار، عن المظفّر بن أحمد القزوينيّ، عن محمّد بن جعفر الكوفيّ الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن عبد الله ابن داهر، عن أبي قتادة الحرّاني، عن وكيع بن الجرّاح، عن سليمان بن مهران، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقول النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنا ابن الذبيحين» يؤيّد ذلك، لأنّ العمّ قد سمّاه الله عَزَّوَجَلَّ أباً في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[٢] وكان إسماعيل عمّ يعقوب فسمّاه الله في هذا الموضع أباً، وقد قال النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «العمّ والدٌ» فعلى هذا الأصل أيضاً يطّرد قول النبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنا ابن الذبيحين» أحدهما ذبيحٌ بالحقيقة، والآخر ذبيحٌ بالمجاز، واستحقاق الثواب على النيّة والتمنّي، فالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو ابن الذبيحين من وجهين على ما ذكرناه.

وللذبح العظيم وجه آخر: حدّثنا ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل قال: سمعت الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول: لمّا أمر الله عَزَّوَجَلَّ إبراهيم أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الّذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١/ص ١٨٩، باب ١٨/ح١، والخصال: ص ٥٦/ باب ٢/ح ٧٨، البحار: ج ١٢/ص ١٢٢-١٢٣، باب ٦/ح١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الّذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك؟

فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.

قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟

قال: يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّة محمّد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي؛ فجزع إبراهيم لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[١].

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ إبراهيم أتاه جبرئيل عليه السلام عند زوال الشمس من يوم التروية، فقال:

يا إبراهيم ارتو من الماء لك ولأهلك، ولم يكن بين مكّة وعرفات ماء فسمّيت التروية لذلك، فذهب به حتّى انتهى به إلى منى فصلّى به الظهر والعصر والعشائين والفجر حتّى إذا بزغت الشمس خرج إلى عرفات فنزل بنمرة وهي بطن عرنة[٢]،

(١) الخصال: ص ٥٧/ باب ٢ ذيل ح ٧٨ وح ٧٩، البحار: ج ١٢/ ص ١٢٣-١٢٥، باب ٦/ ذيل ح ١.

(٢) بالفتح فالكسر: ناحية بعرفة، وعرنة كهمزة: واد بحذاء عرفات، قيل: بطن عرنة: مسجد عرفة والمسيل كله.

فلمّا زالت الشمس خرج وقد اغتسل فصلى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وصلّى في موضع المسجد الّذي بعرفات وقد كانت ثمّ أحجار بيض فأُدخلت في المسجد الّذي بني، ثمّ مضى به إلى الموقف فقال:

يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك؛ ولذلك سمّيت عرفة، وأقام به حتّى غربت الشمس، ثم أفاض به فقال:

يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام فسمّيت المزدلفة، وأتى به المشعر الحرام فصلّى به المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثمّ بات بها حتّى إذا صلّى بها صلاة الصبح أراه الموقف، ثمّ أفاض به إلى منى فأمره فرمى جمرة العقبة، وعندها ظهر له إبليس، ثمّ أمره بالذّبح وإنّ إبراهيم عليه السلام حين أفاض من عرفات بات على المشعر الحرام وهو قزح[1] فرأى في النوم أن يذبح ابنه، وقد كان حجّ بوالدته فلمّا انتهى إلى منى رمى الجمرة هو وأهله، وأمر سارة أن زوري البيت، واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشار ابنه وقال كما حكى الله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ فقال الغلام كما ذكر الله: امض لما أمرك الله به ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] وسلّما لأمر الله وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟

قال: أُريد أن أذبحه.

فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين.

فقال إبراهيم: إنّ الله أمرني بذلك.

فقال: ربّك ينهاك عن ذلك، وإنّما أمرك بهذا الشيطان.

فقال له إبراهيم: ويلك إنّ الّذي بلغني هذا المبلغ هو الّذي أمرني به والكلام الّذي وقع في أذني فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلاّ الشيطان.

---

(١) قزح بالضم فالفتح: القرن الذي يقف الإمام عنده بالمزدلفة عن يمين الإمام وهو الميقدة وهو الموضع الذي كانت توقد فيه النيران في الجاهلية، وهو موقف قريش في الجاهلية إذ كانت لا تقف بعرفة، قاله ياقوت في المعجم. قلت القرن بإسكان الراء: الجبل الصغير.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

فقال إبراهيم: لا والله لا أُكلّمك، ثمّ عزم على الذبح فقال: يا إبراهيم إنّك إمام يقتدى بك، وإنّك إن ذبحته ذبح النّاس أولادهم، فلم يكلّمه وأقبل على الغلام واستشاره في الذبح فلمّا أسلما جميعاً لأمر الله قال الغلام: ياأبتاه خمّر وجهي، وشدّ وثاقي.

فقال إبراهيم: يا بنيّ الوثاق مع الذبح؟ لا والله لا أجمعهما عليك اليوم، فرمى له بقرطان الحمار، ثمّ أضجعه عليه، وأخذ المدية فوضعها على حلقه ورفع رأسه إلى السّماء، ثمّ انتحى عليه المدية وقلب جبرئيل المدية على قفاها، واجترّ الكبش من قبل ثبير وأثار الغلام من تحته، ووضع الكبش مكان الغلام، ونودي من ميسرة مسجد الخيف: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾[١].

قال: ولحق إبليس بأُمّ الغلام حين نظرت إلى الكعبة في وسط الوادي بحذاء البيت فقال لها: ما شيخ رأيته؟

قالت: ذاك بعلي.

قال: فوصيف رأيته معه؟

قالت: ذاك ابني.

قال: فإنّي رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه، فقالت: كذبت إنَّ إبراهيم أرحم النّاس كيف يذبح ابنه؟!

قال: فوربّ السّماء والأرض وربّ هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية، فقالت: ولـِمَ؟

قال: زعم أنّ ربّه أمره بذلك.

قالت: فحقّ له أن يطيع ربّه؛ فوقع في نفسها أنّه قد أُمر في ابنها بأمر، فلمّا قضت نسكها أسرعت في الوادي راجعة إلى منى وهي واضعة يدها على رأسها تقول: يا ربّ لا تؤاخذني بما عملت بأُمّ إسماعيل.

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٤-١٠٦.

قلت: فأين أراد أن يذبحه؟

قال: عند الجمرة الوسطى.

قال: ونزل الكبش على الجبل الّذي عن يمين مسجد منى نزل من السماء وكان يأكل في سواد، ويمشي في سواد، أقرن.

قلت: ما كان لونه؟

قال: كان أملح أغبر[١].

عن الحسن بن عليّ بن فضّال قال: سأل الحسين بن أسباط أبا الحسن الرضا عليه السلام - وأنا أسمع - عن الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟

فقال: إسماعيل أما سمعت قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾[٢] [٣]؟

عن أبان بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف صار الطحال حراماً وهو من الذبيحة؟

فقال: إن إبراهيم عليه السلام هبط عليه الكبش من ثبير - وهو جبل بمكّة - ليذبحه أتاه إبليس فقال له: أعطني نصيبي من هذا الكبش.

قال: وأيّ نصيب لك وهو قربان لربّي وفداء لابني؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّ له فيه نصيباً وهو الطحال، لأنّه مجمع الدم؛ وحرَّم الخصيتان لأنّهما موضع للنّكاح ومجرى للنطفة، فأعطاه إبراهيم عليه السلام الطحال والأُنثيين وهما الخصيتان، قال: فقلت: فكيف حرّم النخاع؟

قال: لأنّه موضع الماء الدافع من كلّ ذكر وأُنثى وهو المخّ الطويل الّذي يكون في فقار الظهر[٤].

عن داود ابن كثير الرقيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّهما كان أكبر إسماعيل أو إسحاق؟ وأيّهما كان الذبيح؟

---

(١) تفسير القمي: ج ٢/ ص ١٩٩، البحار: ج ١٢/ ص ١٢٥-١٢٧، باب ٦/ ح ٢.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١١٢.
(٣) قرب الإسناد: ص ٣٨٩، البحار: ج ١٢/ ص ١٢٩، باب ٦/ ح ٧.
(٤) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٢٨٣، باب ٣٥٧/ ح ١، البحار: ج ١٢/ ص ١٣٠، باب ٦/ ح ١٠.

فقال: كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل، وكانت مكّة منزل إسماعيل، وإنّما أراد إبراهيم أن يذبح إسماعيل أيّام الموسم بمنى.

قال: وكان بين بشارة الله لإبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق خمس سنين، أما تسمع لقول إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إنّما سأل الله عزّ وجلّ أن يرزقه غلاماً من الصالحين، وقال في سورة الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[1] يعني إسماعيل من هاجر.

قال: ففدي إسماعيل بكبش عظيم.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾[2] يعني بذلك إسماعيل قبل البشارة بإسحاق، فمن زعم أنّ إسحاق أكبر من إسماعيل وأن الذبيح إسحاق فقد كذب بما أنزل الله عزّ وجلّ في القرآن من نبأهما[3].

عن سعد بن سعد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: لو علم الله عزّ وجلّ شيئاً أكرم من الضأن لفدى به إسماعيل عليه السلام[4].

عن الرضا عليه السلام قال: لو خلق الله مضغة هي أطيب من الضأن لفدى بها إسماعيل عليه السلام[4].

عن محمّد بن القاسم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سارة قالت لابراهيم عليه السلام: قد كبرت، فلو دعوت الله أن يرزقك ولداً فيقر أعيننا فإنَّ الله قد اتخذك خليلاً وهو مجيب دعوتك إن شاء الله، فسأل إبراهيم ربّه أن يرزقه غلاماً عليما.

فأوحى الله إليه: إنّي واهب لك غلاماً عليماً.

---

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٠٠-١٠١.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١١٢-١١٣.

(٣) معاني الأخبار: ص ٣٩١، البحار: ج ١٢/ص ١٣٠، باب ٦/ح ١١.

(٤) فروع الكافي: ج ٦/ص ١٦٢، باب ٢٢٨/ح ١-٢، البحار: ج ١٢/ص ١٣٠-١٣١، باب ٦/ح ١٢-١٣.

ثمَّ أبلوك فيه بالطاعة لي.

قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: فمكث إبراهيم بعد البشارة ثلاث سنين، ثمَّ جاءته البشارة من الله بإسماعيل مرّة أُخرى بعد ثلاث سنين(١).

عن العلاء، عن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أين أراد إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه؟

قال: على الجمرة الوسطى.

وسألته عن كبش إبراهيم عليه السلام: ما كان لونه؟ وأين نزل؟

فقال: أملح، وكان أقرن، ونزل من السماء على الجبل الايمن من مسجد منى، وكان يمشي في سواد، ويأكل في سواد، وينظر ويبعر ويبول في سواد(٢).

فوائد لا بدّ من التعرُّض لها:

الأولى: في تعيين الذبيح، قال الرازيّ في تفسيره: اختلفوا في أنّ هذا الذبيح من هو؟

فقيل: إنّه إسحاق، وقيل: إنّ هذا قول عمر وعليّ والعبّاس بن عبد المطّلب وابن مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهريّ والسديّ ومقاتل.

وقيل: إنّه إسماعيل وهو قول ابن عبّاس وابن عمر وسعيد بن المسيّب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبيّ. واحتج القائلون بأنّه إسماعيل بوجوه:

الأوّل: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أنا ابن الذبيحين».

وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين فتبسّم فسئل عن ذلك فقال: إنّ عبد المطّلب لمّا حفر بئر زمزم نذر إن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده، فخرج السهم على

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٢٦٤/ح ٢٥ من سورة الحجر، البحار: ج ١٢/ص ١٣١، باب ٦/ح ١٦.
(٢) فروع الكافي: ج ٤/ص ٤٠٤، باب ١٣٤/ح ١٠، والبحار: ج ١٢/ص ١٣١-١٣٢، باب ٦/ح ١٧.

عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الابل؛ والذبيح الثاني إسماعيل.

الحجّة الثانية: نقل عن الاصمعيّ أنّه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح.

فقال: أيا أصمعيّ أين عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة، وإنّما كان إسماعيل بمكة، وهو الّذي بنى البيت مع أبيه والنحر بمكة.

الحجّة الثالثة: أنّ الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾(١) وهو صبره على الذبح فوفى به.

الحجّة الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾(٢) فنقول: لو كان الذبيح إسحاق لكان الامر بذبحه قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك، والأوّل باطل لأنّه تعالى لمّا بشره بإسحاق وبشر معه بأنّه يحصل منه يعقوب، فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الامر بذبحه وإلا حصل الخلف في قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ والثاني باطل لأنّ قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾(٣) يدلّ على أنّ ذلك الابن لمّا قدر على السعي ووصل إلى حدّ القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه، وهذه تنافي وقوع هذه القصّة في زمان آخر، فثبت أنّه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق.

الحجّة الخامسة: حكى الله تعالى عنه أنّه قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾(٤) ثم طلب من الله تعالى ولداً ليستأنس به في غربته قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهذا السؤال إنّما يحسن قبل أن يحصل له الولد، لأنّه لوحصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد لأنّ طلب الحاصل محال وقوله: ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الواحد، وكلمة من للتبعيض، وأقل درجات البعضيّة الواحد، فكان قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، فثبت أنّ هذا السؤال لا

(١) سورة ص، الآية: ٤٨.
(٢) سورة هود، الآية: ٧١.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

يحسن إلّا عند عدم كلّ الاولاد فثبت أنّ هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاوّل، وأجمع النّاس على أنّ إسماعيل متقدّم في الوجود على إسحاق فثبت أنّ المطلوب بهذا الدعاء هو إسماعيل. ثمّ إنّ الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبح، فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.

الحجّة السادسة: الأخبار كثيرة في تعليق قرني الكبش بالكعبة وكان الذبح بمكّة ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح بالشام.

واحتجّ من قال بأنّه إسحاق بأن أوّل الآية وآخرها يدلّ على ذلك، أمّا أوّلها فإنّه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام قبل هذه الآية أنّه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ وأجمعوا على أن المراد مهاجرته إلى الشام، ثمَّ قال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ فوجب أن يكون هذا الغلام الحليم قد حصل له في الشام، وذلك الغلام ليس إلا إسحاق، ثمّ قال بعده: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ هو ذلك الغلام الّذي حصل في الشام، فثبت أنّ مقدمة هذه الآية تدلّ على أنّ الذبيح هو إسحاق؛ وأمّا مؤخرة الآية فهي أيضاً تدلّ على ذلك لأنّه تعالى لمّا تمم قصة الذبيح قال بعده: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(١) ومعناه أنّه بشّره بكونه نبيّاً من الصالحين، وذكر هذه البشارة عند حكاية تلك القصة يدلّ على أنّه تعالى إنّما بشره بهذه النبوة لاجل أنّه تحمل الشدائد في قصّة الذبح فثبت لمّا ذكرنا أنّ أوّل الآية وآخرها يدلّ على أنّ الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

الحجة الثانية: ما اشتهر من كتاب يعقوب عليه السلام: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله.

فهذا جملة الكلام في هذا الباب، وكان الزجّاج يقول: الله أعلم أيّهما الذبيح.

واعلم أنّه يتفرّع على ما ذكرناه اختلافهم في موضع الذبح، فالّذين قالوا: الذبيح هو إسماعيل قالوا: كان المذبح بمنى، والّذين قالوا: إنّه إسحاق قالوا: هو بالشام، وقيل بيت المقدس. والله أعلم انتهى(٢).

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١١٢.

(٢) تفسير فخر الرازي، ج ٢٦/ المجلد ٩/ ص ٣٤٧، البحار: ج ١٢/ ص ١٣١-١٣٤، باب ٦/ ذيل ح ١٧.

قصص لوط عليه السلام وقومه

عن هشام بن سالم، عن أبي بصير قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوّذ من البخل؟

فقال: نعم يا أبا محمّد في كلّ صباح ومساء، ونحن نتعوّذ بالله من البخل، الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١) وسأُخبرك عن عاقبة البخل، إنّ قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام، فأعقبهم البخل داءً لا دواء له في فروجهم، فقلت: وما أعقبهم؟

فقال: إنّ قرية قوم لوط كانت على طريق السيّارة إلى الشام ومصر، فكانت السيّارة تنزل بهم فيضيّفونهم، فلمّا كثر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعاً بخلاً ولؤماً، فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم إلى ذلك، وإنّما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتّى ينكل النازل عنهم، فشاع أمرهم في القرى وحذر منهم النازلة فأورثهم البخل بلاءً لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة لهم إلى ذلك، حتّى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل. ثمّ قال: فأيّ داء أدوى من البخل ولا أضرّ عاقبة ولا أفحش عند الله عزّ وجلّ؟

قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلّهم هكذا يعملون؟

فقال: نعم إلا أهل بيت من المسلمين أما تسمع لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾(٢) ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ويحذرهم

(١) سورة الحشر، الآية: ٩، والتغابن، الآية: ١٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥-٣٦.

عذابه، وكانوا قوماً لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهّرون من الجنابة، وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت امرأة إبراهيم سارة أُخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيّين مرسلين منذرين، وكان لوط رجلاً سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به، ويحذرهم قومه، قال: فلمّا رأى قوم لوط ذلك منه قالوا له: إنّا ننهاك عن العالمين، لا تقر ضيفاً ينزل بك إن فعلت فضحنا ضيفك الّذي ينزل بك وأخزيناك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، وذلك أنّه لم يكن للوط عشيرة.

قال: ولم يزل لوط وإبراهيم يتوقعان نزول العذاب على قومه، فكانت لابراهيم وللوط منزلة من الله عزّوجلّ شريفة، وإنّ الله عزّوجلّ كان إذا أراد عذاب قوم لوط أدركته مودّة إبراهيم وخلّته ومحبّة لوط فيراقبهم فيؤخّر عذابهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلمّا اشتد أسف الله على قوم لوط وقدّر عذابهم وقضى أن يعوّض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلي به مصابه بهلاك قوم لوط فبعث الله رسلا إلى إبراهيم يبشّرونه بإسماعيل، فدخلوا عليه ليلاً ففزع منهم وخاف أن يكونوا سرّاقاً، فلمّا رأته الرسل فزعاً مذعوراً قالوا: سلاماً.

قال: سلام إنّا منكم وجلون قالوا لا توجل إنّا رسل ربّك نبشّرك بغلام عليم.

قال أبو جعفر عليه السلام: والغلام العليم هو إسماعيل من هاجر، فقال: إبراهيم للرسل: أبشّرتموني على أن مسّني الكبر فبم تبشرون؟

قالوا: بشرناك بالحقّ فلا تكن من القانطين، فقال إبراهيم: فما خطبكم بعد البشارة؟

قالوا: إنّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين قوم لوط إنّهم كانوا قوماً فاسقين، لننذرهم عذاب ربّ العالمين.

قال أبو جعفر عليه السلام: فقال إبراهيم عليه السلام للرسل: إنَّ فيها لوطاً!

قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله أجمعين، إلاّ امرأته قدّرنا إنّها لمن الغابرين[1].

---

(١) جمع عليه السلام بين الآيتين: الأولى: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ فهي الآية ٣٢ من العنكبوت، والثانية: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ فهي الآية ٥٩ و٦٠ من سورة الحجر.

قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ﴾ قومك من عذاب الله ﴿يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ لتنذر قومك العذاب ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام ولياليها ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ إذا مضى نصف اللّيل ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ ﴿وَٱمْضُواْ﴾ في تلك الليلة ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[1].

قال أبو جعفر عليه السلام: فقضوا ذلك الأمر إلى لوط أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين.

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: فلمّا كان يوم الثامن مع طلوع الفجر قدّم الله عزّ وجلّ رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسحاق ويعزّونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ يعني زكياً مشويّاً نضيجاً ﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾ إبراهيم ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ يعني فتعجّبت من قولهم ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[2].

قال أبو جعفر عليه السلام: فلمّا جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق وذهب عنه الروع أقبل يناجي ربّه في قوم لوط ويسأله كشف البلاء عنهم فقال الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذابي بعد طلوع الشمس من يومك محتوماً غير مردود[3].

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾[4] من هم؟

(١) سورة الحجر، الآيات: ٦١-٦٥.
(٢) سورة هود، الآيات: ٦٩-٧٣.
(٣) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٢٦٨/ باب ٣٤٠/ح ٤، البحار: ج١٢/ ص ١٤٧-١٤٩، باب ٧/ح ١.
(٤) سورة عبس، الآية: ٣٦.

فقال عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل عليه السلام، والّذي يفرّ من أُمّه موسى عليه السلام، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم عليه السلام، والّذي يفرّ من صاحبته لوط عليه السلام. والّذي يفرّ من ابنه نوح عليه السلام يفرّ من ابنه كنعان(١).

عن الأصبغ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: ستّة في هذه الأُمّة من أخلاق قوم لوط: الجلاهق وهو البندق، والخذف، ومضغ العلك، وإرخاء الإزار خيلاء، وحلّ الإزرار من القباء والقميص(٢).

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عمّن خلق الله من الأنبياء مختوناً.

فقال: خلق الله آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس ونوح وسام بن نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليه وعليهم.

وسأله عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطيّر منه.

فقال عليه السلام: آخر أربعاء من الشهر إلى أن قال: ويوم الأربعاء جعل الله عزّ وجلّ أرض قوم لوط عاليها سافلها، ويوم الأربعاء أمطر عليهم حجارةً من سجّيل(٣).

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وأمّا القرية الّتي أُمطرت مطر السوء فهي سدوم قرية قوم لوط، أمطر الله عليهم حجارة من سجّيل يقول: من طين(٤).

عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟

فقال: إنّ قوم لوط كانوا أهل قرية لا يتنظّفون من الغائط، ولا يتطهّرون من

---

(١) الخصال: ص ٣١٨، باب الخمسة/ح ١٠٢، وعلل الشرائع: ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ٢٢، باب ٢٤/ح ١، والبحار: ج ١٢/ص ١٥١/ح ٢.

(٢) الخصال: ص ٣٣١، باب الستة/ح ٢٩، البحار: ج ١٢/ص ١٥١/ح ٣.

(٣) علل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٣، باب ٣٨٥/ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ٢١٩، باب ٢٤/ح ١، والبحار: ج ١٢/ح ١٥١/ح ٤.

(٤) تفسير القمي: ج ٢/ص ٩٠، والبحار: ج ١٢/ص ١٥٢، باب ٧/ح ٥.

الجنابة، بخلاء أشحّاء على الطعام، وإنّ لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة، وإنّما كان نازلاً عليهم ولم يكن منهم ولا عشيرة له فيهم ولا قوم، وإنّه دعاهم إلى الله عزّ وجلّ وإلى الإيمان واتّباعه، ونهاهم عن الفواحش، وحثّهم على طاعة الله فلم يجيبوه ولم يطيعوه، وإنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد عذابهم بعث إليهم رسلاً منذرين عذراً نذراً، فلمّا عتوا عن أمره بعث إليهم ملائكة ليخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين، فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين فأخرجوهم منها؛ وقالوا للوط: أسر بأهلك من هذه القرية اللّيلة بقطع من اللّيل ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون.

فلمّا انتصف اللّيل سار لوط ببناته وتولّت امرأته مدبرة فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أنّ لوطاً قد سار ببناته. وإنّي نوديت من تلقاء العرش لمّا طلع الفجر: يا جبرئيل حقَّ القول من الله بحتم عذاب قوم لوط فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حوت فاقلعها من تحت سبع أرضين ثمّ اعرج بها إلى السماء فأوقفها حتّى يأتيك أمر الجبّار في قلبها، ودع منها آية بيّنة من منزل لوط عبرة للسيّارة فهبطتُ على اهل القرية الظالمين فضربتُ بجناحي الأيمن على ماحوى عليه شرقيّها، وضربتُ بجناحي الأيسر على ماحوى عليه غربيّها فاقتلعتها يا محمّد من تحت سبع أرضين إلاّ منزل آل لوط آية للسيّارة، ثمَّ عرجت بها في جوافي جناحي حتّى أوقفتها حيث يسمع أهل السماء زقاء ديوكها ونباح كلابها، فلمّا طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش: يا جبرئيل اقلب القرية على القوم، فقلبتها عليهم حتّى صار أسفلها أعلاها، وأمطر الله عليهم حجارة من سجّيل مسوّمة عند ربّك، وما هي يا محمّد عن الظالمين من أُمّتك ببعيد.

قال: فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا جبرئيل وأين كانت قريتهم من البلاد؟

فقال جبرئيل: كان موضع قريتهم في موضع بحيرة طبريّة اليوم وهي في نواحي الشام.

قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: أرأيتك حين قلبتها عليهم في أيّ موضع من الأرضين وقعت القرية وأهلها؟

فقال: يا محمد وقعت فيما بين بحر الشام إلى مصر فصارت تلولاً في البحر[(١)].

عن أبان، عن أبي بصير وغيره، عن أحدهما قال: إنّ الملائكة لمّا جاءت في هلاك قوم لوط قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾[(٢)] قالت سارة: وعجبت من قلّتهم وكثرة أهل القرية.

فقالت: ومن يطيق قوم لوط؟ فبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فصكّت وجهها وقالت: عجوز عقيم! وهي يومئذ ابنة تسعين سنة، وإبراهيم يومئذ ابن عشرين ومائة سنة، فجادل إبراهيم عنهم وقال: إنّ فيها لوطاً.

قال جبرئيل: نحن أعلم بمن فيها، فزاده إبراهيم.

فقال جبرئيل: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذاب غير مردود.

قال: وإنّ جبرئيل لمّا أتى لوطاً في هلاك قومه فدخلوا عليه وجاؤوا قومه يهرعون إليه قام فوضع يده على الباب ثمّ ناشدهم فقال:

اتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي قالوا أولم ننهك عن العالمين؟ ثمّ عرض عليهم بناته نكاحاً قالوا:

ما لنا في بناتك من حقّ وإنّك لتعلم ما نريد.

قال: فما منكم رجل رشيد؟

قال: فأبوا.

فقال: لو أنّ لي بكم قوّةً أو آوي إلى ركن شديد.

قال: وجبرئيل ينظر إليهم قال: لو يعلم أيّ قوّة له، ثمّ دعاه فأتاه ففتحوا الباب ودخلوا فأشار إليهم جبرئيل بيده فرجعوا عمياناً يلتمسون الجدار بأيديهم، يعاهدون الله لئن أصبحنا لا نستبقي أحداً من آل لوط.

---

(١) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٢٧٠، باب ٣٤٠/ ح ٥، البحار: ج ١٢/ ص ١٥٢-١٥٣، باب ٧/ ح ٧.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣١.

قال: لمّا قال جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ قال له لوط: يا جبرئيل عجّل.

قال: نعم.

قال: يا جبرئيل عجّل.

قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[١] ثمّ قال جبرئيل: يا لوط اخرج منها أنت وولدك حتّى تبلغ موضع كذا وكذا.

قال: يا جبرئيل إنّ حمري ضعاف.

قال: ارتحل فاخرج منها، فارتحل حتّى إذا كان السحر نزل إليها جبرئيل فأدخل جناحه تحتها حتّى إذا استعلت قلّبها عليهم، ورمى جدران المدينة بحجارة من سجّيل، وسمعت امرأة لوط الهدّة فهلكت منها[٢].

قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في ذلك يعني عرض البنات فقيل: أراد بناته لصلبه، عن قتادة.

وقيل: أراد النساء من أُمته لأنّهن كالبنات له فإنّ كلّ نبيّ أبو أُمّته وأزواجه أُمّهاتهم، عن مجاهد وسعيد بن جبير.

واختلف أيضاً في كيفيّة عرضهن فقيل بالتزويج، وكان يجوز في شرعه تزويج المؤمنة من الكافر، وكذا كان يجوز أيضاً في مبتدأ الإسلام وقد زوّج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بنته من أبي العاص بن الربيع قبل أن يسلم. ثمّ نسخ ذلك.

وقيل: أراد التزويج بشرط الإيمان، عن الزجّاج، وكانوا يخطبون بناته فلا يزوّجهنّ منهم لكفرهم.

وقيل: إنّه كان لهم سيّدان مطاعان فيهم فأراد أن يزوّجهما بنتيه: زعوراء وريثاء[٣].

عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام في قول لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا

---

(١) سورة هود، الآية: ٨١.

(٢) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٢٧٢، باب ٣٤٠/ ح ٦، البحار: ج ١٢/ ص ١٦٠-١٦١، باب ٧/ ح ١٢.

(٣) مجمع البيان: ج ٥/ ص ٣١٤، البحار: ج ١٢/ ص ١٥٣، باب ٧/ ذيل ح ١٢.

سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] فقال: إنّ إبليس أتاهم في صورة حسنة فيه تأنيث عليه ثياب حسنة، فجاء إلى شباب منهم فأمرهم أن يقعوا به، ولو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه ولكن طلب إليهم أن يقعوا به، فلمّا وقعوا به التذّوه، ثمّ ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض[٢].

عن درست، عن عطيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في المنكوح من الرجال: هم بقية سدوم، أما إنّي لست أعني بقيّتهم أنّهم ولده ولكن من طينتهم.

قلت: سدوم الّذي قلبت عليهم؟

قال: هي أربعة مدائن: سدوم، وصديم، ولدنا وعميراء.

قال: فأتاهم جبرئيل عليه السلام وهنّ مقلوبات إلى تخوم الأرضين السابعة، فوضع جناحه تحت السفلى منهنّ ورفعهنّ جميعاً حتّى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم ثمّ قلبها[٣].

قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: كانت أربع مدائن وهي المؤتفكات: سدوم، وعامورا، وداذوما، وصبوايم. وأعظمها سدوم، وكان لوط يسكنها[٤].

وقال المسعوديّ: أرسل الله لوطاً إلى المدائن الخمسة وهي: سدوم وعموراء، وأدوما، وصاعورا، وصابورا[٥].

وقال صاحب الكامل: كانت خمسة: سدوم، وصبعة، وعمرة، ودوما، وصعوة[٦].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: كيف كان يعلم قوم لوط أنّه قد جاء لوطاً رجال؟

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٠.
(٢) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٢٦٧، باب ٣٤٠/ ح ٣، البحار: ج ١٢/ ص ١٦١-١٦٢، باب ٧/ ح ١٣.
(٣) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٢٧٣، باب ٣٤٠/ح٧، البحار: ج ١٢/ ص ١٦٢، باب ٧/ ح ١٤.
(٤) مجمع البيان: ج ٥/ ص ٣١٧، البحار: ج ١٢/ ص ١٦٢-١٦٣، باب ٧/ ذيل ح ١٤.
(٥) مروج الذهب: ج ١/ ص ٤٥، البحار: ج ١٢/ ص ١٦٣، باب ٧/ ذيل ح ١٤.
(٦) كامل التواريخ: ج ١/ ص ٤٨.

قال: كانت امرأته تخرج فتصفّر، فإذا سمعوا التصفير جاؤوا، فلذلك كره التصفير[١].

عن داود بن يزيد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا جاءت الملائكة في هلاك قوم لوط مضوا حتّى أتوا لوطاً وهو في زراعة له قرب المدينة، فسلّموا عليه، فلمّا رآهم رأى هيئةً حسنة وعليهم ثياب بيض وعمائم بيض، فقال لهم: المنزل؟

قالوا: نعم فتقدّمهم ومشوا خلفه فندم على عرضه عليهم المنزل فالتفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شرار خلق الله.

وكان جبرئيل قال الله له: لا تعذّبهم حتّى يشهد عليهم ثلاث شهادات.

فقال جبرئيل: هذه واحدة، ثمّ مشى ساعة فقال: إنّكم تأتون شراراً من خلق الله.

فقال جبرئيل: هذه ثنتان، ثمّ مشى فلمّا بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شراراً من خلق الله، فقال جبريل: هذه ثلاث، ثمّ دخل ودخلوا معه منزله فلمّا بصر بهم امرأته أبصرت هيئةً حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلمّا رأوا الدخان أقبلوا يهرعون إليه حتّى وقفوا بالباب.

فقال لوط: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾[٢] ثمّ كابروه حتّى دخلوا عليه.

قال: فصاح جبرئيل: يا لوط دعهم يدخلوا.

قال: فدخلوا، فأهوى جبرئيل إصبعيه وهو قوله: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾[٣] ثمّ قال جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾[٤] [٥].

(١) علل الشرائع: ج ٢/ص ٢٨٥، باب ٣٦٠/ح ١، البحار: ج ١٢/ص ١٦٣، باب ٧/ح ١٥.
(٢) سورة هود، الآية: ٧٨.
(٣) سورة القمر، الآية: ٣٧.
(٤) سورة هود، الآية: ٨١.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص/١١٩-١٢٠/ح ١١٩، البحار: ج ١٢/ص ١٦٣-١٦٤، باب ٧/ح ١٦.

عن زكريّا بن محمّد، عن أبيه، عن عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم لوط أفضل قوم خلقهم الله عزّ وجلّ، فطلبهم إبليس لعنه الله الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرهم أنّهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم فأتى إبليس عبادتهم وكانوا إذا رجعوا خرَّب إبليس ما يعملون، قال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد هذا الّذي يخرب متاعنا فرصدوه فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان.

فقالوا: أنت الّذي تخرب متاعنا؟

فقال: نعم مرّة بعد مرَّة، واجتمع رأيهم على أن يقتلوه فبيّتوه عند رجل فلمّا كان اللّيل صاح، فقال: ما لك؟ فقال: كان أبي ينوّمنّي على بطنه.

فقال: نعم فنم على بطني.

قال: فلم يزل يدلك الرجل حتّى علمه أن يعمل بنفسه، فأوّلاً علمه إبليس والثانية علّمه هو، ثمّ انسلَّ ففرّ منهم فأصبحوا فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه شيء لا يعرفونه، فوضعوا أيديهم فيه حتّى اكتفى الرجال بعضهم ببعض، ثمّ جعلوا يرصدون مارّ الطريق فيفعلون بهم حتّى ترك مدينتهم الناس، ثمّ تركوا نساءهم فأقبلوا على الغلمان فلمّا رأى إبليس لعنه الله أنّه قد أحكم أمره في الرجال دار إلى النساء فصيّر نفسه امرأةً ثمّ قال:

إنّ رجالكم يفعلون بعضهم ببعض.

قالوا: نعم قد رأينا ذلك وعلى ذلك يعظهم لوط ويوصيهم حتّى استكفت النساء بالنساء، فلمّا كملت عليهم الحجّة بعث الله عزّ وجلّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في زيّ غلمان عليهم أقبية فمرّوا بلوط عليه السلام وهو يحرث فقال: أين تريدون فما رأيت أجمل منكم قطُّ؟

قالوا: أرسلنا سيّدنا إلى ربّ هذه المدينة، قال: ولم يبلغ سيّدكم ما يفعل أهل هذه المدينة.

يا بنيّ إنّهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتّى يخرج الدم!

فقالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ وسطها.

قال: فلي إليكم حاجة.

قالوا: وما هي؟

قال: تصبرون ههنا إلى اختلاط الظلام.

قال: فجلسوا.

قال: فبعث ابنته فقال: جيئيني لهم بخبز وجيئيني لهم بماء في القرعة، وجيئيني لهم بعباءة يتغطّون بها من البرد، فلمّا أن ذهبت إلى البيت أقبل المطر وامتلأ الوادي.

فقال لوط: الساعة يذهب بالصبيان الوادي.

قال: قوموا حتّى نمضي، فجعل لوط عليه السلام يمشي في أصل الحائط وجعل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل يمشون وسط الطريق.

فقال: يا بنيّ ههنا.

قالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ في وسطها، وكان لوط عليه السلام يستغنم الظلام، ومرّ إبليس لعنه الله فأخذ من حجرامرأته صبياً فطرحه في البئر، فتصايح أهل المدينة كلّهم على باب لوط عليه السلام فلمّا نظروا إلى الغلمان في منزل لوط عليه السلام قالوا: يا لوط قد دخلت في عملنا؟

قال: هؤلاء ضيفي فلا تفضحون.

قالوا: هم ثلاثة، خذ واحداً وأعطنا اثنين.

قال: وأدخلهم الحجرة وقال لوط عليه السلام: لو أنّ لي أهل بيت يمنعونني منكم.

قال: وقد تدافعوا على الباب فكسروا باب لوط عليه السلام وطرحوا لوطاً.

فقال له جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ فأخذ كفّاً من بطحاء فضرب بها وجوههم وقال: شاهت الوجوه، فعمي أهل المدينة كلّهم.

فقال لهم لوط: يا رسل ربّي بما أمركم فيهم؟

قالوا: أمرنا أن نأخذهم بالسحر قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما حاجتك؟ قال: تأخذونهم الساعة.

قالوا: يا لوط ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[١] لمن يريد أنّ يؤخذ؟ فخذ أنت بناتك وامض ودع امرأتك.

قال أبو جعفر عليه السلام: رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنّه منصور حين يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٢] أيّ ركن أشدُّ من جبرئيل معه في الحجرة قال الله عزّ وجلّ لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[٣] أي من ظالمي أُمّتك إن عملوا عمل قوم لوط[٤].

عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عمل قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلى ربّها حتّى بلغت دموعها السماء وبكت السماء حتّى بلغت دموعها العرش.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى السماء: أن احصبيهم وأوحى إلى الأرض أن اخسفي بهم[٥].

عن أبي يزيد الحمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله بعث أربعة أملاك بإهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكرّوبيل. فمرّوا بإبراهيم وهم متعمّمون، فسلّموا عليه ولم يعرفهم ورأى هيئة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء إلاّ أنا بنفسي - وكان صاحب أضياف - فشوى لهم عجلاً سميناً حتّى أنضجه ثمّ قرّبه إليهم، فلمّا وضعه بين أيديهم ورأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، فلمّا رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم، فقال له: أنت هو؟

قال: نعم، ومرّت امرأته سارة ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[٦] قالت ما قال الله وأجابوها بما في الكتاب.

---

(١) سورة هود، الآية: ٨١.
(٢) سورة هود، الآية: ٨٠.
(٣) سورة هود، الآية: ٨٣.
(٤) ثواب الأعمال للصدوق: ص ٣١٢، البحار: ج ١٢/ ص ١٦٤-١٦٦، باب ٧/ ح ١٧.
(٥) ثواب الأعمال للصدوق: ص ٣١٢، البحار: ج ١٢/ ص ١٦٧، باب ٧/ ح ٢٢.
(٦) سورة هود، الآية: ٧١.

فقال إبراهيم: فيما جئتم؟

قالوا: في هلاك قوم لوط.

فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟

فقال له جبرئيل: لا، قال: فإن كانوا خمسين؟

قال: لا.

قال: فإن كانوا ثلاثين؟

قال: لا.

قال: فإن كانوا عشرين؟

قال: لا.

قال: فإن كانوا عشرة؟

قال: لا.

قال: فإن كانوا خمسة؟

قال: لا.

قال: فإن كانوا واحداً؟

قال: لا.

قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾(١) ثمّ مضوا.

قال: وقال الحسن بن عليّ: لا أعلم هذا القول إلاّ وهو يستبقيهم وهو قول الله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾(٢) (٣).

عن أبي يزيد الحمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكرّوبيل، فأتوا لوطاً وهو في زراعة

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٢.
(٢) سورة هود، الآية: ٧٤.
(٣) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٦٢/ح ٤٧، البحار: ج ١٢/ص ١٦٨، باب ٧/ح ٢٥.

قرب القرية، فسلّموا عليه وهم متعمّمون، فلمّا رآهم رأى هيئةً حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض، فقال لهم: المنزل؟

فقالوا: نعم، فتقدّمهم ومشوا خلفه فندم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أيّ شيء صنعتُ؟ آتي بهم قومي وأنا أعرفهم! فالتفت إليهم فقال: إنّكم لتأتون شراراً من خلق الله.

فقال جبرئيل: لا تعجل عليهم حتّى يشهد عليهم ثلاث مرّات، فقال جبرئيل: هذه واحدةٌ، ثمّ مضى ساعة ثمّ التفت إليهم فقال:

إنّكم لتأتون شراراً من خلق الله.

فقال جبرئيل: هذه اثنتان، ثمّ مشى فلمّا بلغ باب المدينة التفت إليهم.

فقال: إنّكم لتأتون شراراً من خلق الله.

فقال جبرئيل: هذه الثالثة، ثمّ دخل ودخلوا معه حتّى دخل منزله فلمّا رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا، فدخنت فلمّا رأوا الدخان أقبلوا يهرعون حتّى جاؤوا إلى الباب فنزلت المرأة فقالت: عنده قوم ما رأيت قوماً قطّ أحسن هيئة منهم، فجاؤوا إلى الباب ليدخلوا، فلمّا رآهم لوط قام إليهم فقال لهم: يا قوم اتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد؟

وقال: هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم؛ فدعاهم إلى الحلال فقالوا: ما لنا في بناتك من حقّ وإنّك لتعلم ما نريد.

قال لهم: لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد.

قال: فقال جبرئيل: لو يعلم أيّ قوّة له.

قال: فكاثروه حتّى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل فقال: يا لوط دعهم يدخلون، فلمّا دخلوا أهوى جبرئيل بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قول الله: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾(١) ثمّ ناداه جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾(٢) وقال له جبرئيل: إنّا بعثنا في إهلاكهم.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٣٧.
(٢) سورة هود، الآية: ٨١.

فقال: يا جبرئيل عجّل.

فقال: إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟ فأمره فتحمّل ومن معه إلاّ امرأته، ثمّ اقتلعها - يعني المدينة - جبرئيل بجناحه من سبع أرضين، ثمّ رفعها حتّى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الديوك ثمّ قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل(١).

عن أبي حمزة الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا قضى عذاب قوم لوط وقدّره أحبّ أن يعوّض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم ليسلّي به مصابه بهلاك قوم لوط، قال: فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسماعيل قال: فدخلوا عليه ليلاً ففزع منهم وخاف أن يكونوا سرّاقاً، فلمّا رأته الرسل فزعاً مذعوراً قالوا: سلاما.

قال: سلام إنّا منكم وجلون.

قالوا: لا توجل إنّا نبشّرك بغلام عليم.

قال أبو جعفر عليه السلام: والغلام العليم هو إسماعيل من هاجر.

فقال إبراهيم للرسل: أبشّرتموني على أن مسّني الكبر فبمَ تبشّرون؟

قالوا: بشّرناك بالحقّ فلا تكن من القانطين.

قال إبراهيم للرسل: فما خطبكم بعد البشارة؟

قالوا: إنّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين قوم لوط إنّهم كانوا قوماً فاسقين، لننذرهم عذاب ربّ العالمين.

قال أبو جعفر: قال إبراهيم: إنّ فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله إلاّ امرأته قدّرنا إنّها لمن الغابرين؛ فلمّا عذّبهم الله أرسل الله إلى إبراهيم رسلاً يبشّرونه بإسحاق ويعزّونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ يعني زكيّاً مشويّاً

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٦٥، ح ٥٣، البحار: ج ١٢/ص ١٦٩-١٧٠، باب ٧/ح ٢٧.

نضيجاً ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾.

قال أبو جعفر: إنّما عنوا سارة قائمة، فبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت - يعني فعجبت من قولهم - وفي رواية أبي عبد الله: فضحكت قال: حاضت فعجبت من قولهم وقالت: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ إلى قوله: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[1] فلمّا جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق فذهب عنه الروع أقبل يناجي ربّه في قوم لوط ويسأله كشف البلاء عنهم فقال الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذابي بعد طلوع الشمس من يومك محتوماً غير مردود[2].



(١) سورة هود، الآيات: ٦٩-٧٣.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٦١/ح ٤٤، البحار: ج ١٢/ص ١٧٠-١٧١، باب ٧/ح ٣٢.

قصص ذى القرنين

عن معاذ بن المثنّى العنبريّ، عن عبد الله بن أسماء، عن جويرية، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، عن وهب قال: وجدت في بعض كتب الله عَزَّوَجَلَّ: أنّ ذا القرنين لمّا فرغ من عمل السدّ انطلق على وجهه، فبينا هو يسير وجنوده إذ مرّ على شيخ يصلّي فوقف عليه بجنوده حتّى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يروّعك ما حضرك من جنودي؟

قال: كنت أُناجي من هو أكثر جنوداً منك، وأعزّ سلطاناً، وأشدّ قوّةً ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبله.

فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأُواسيك بنفسي، وأستعين بك على بعض أمري؟

قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال:

١ - نعيماً لا يزول.

٢ - وصحّة لا سقم فيها.

٣ - وشباباً لا هرم فيه.

٤ - وحياةً لا موت فيها.

فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال؟

فقال الشيخ: فإنّي مع من يقدر عليها ويملكها وإيّاك.

ثمّ مرّ برجل عالم فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عَزَّوَجَلَّ قائمين، وعن شيئين جاريين، وشيئين مختلفين، وشيئين متباغضين.

فقال له ذو القرنين:

أمّا الشيئان القائمان: فالسماوات والأرض.

وأمّا الشيئان الجاريان: فالشمس والقمر.

وأمّا الشيئان المختلفان: فاللّيل والنهار.

وأمّا الشيئان المتباغضان: فالموت والحياة.

فقال: انطلق فإنّك عالم، فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتّى مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيّها الشيخ لأيّ شيء تقلّب هذه الجماجم؟

قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغنيّ من الفقير فما عرفت وإنّي لأُقلّبها منذ عشرين سنة، فانطلق ذو القرنين وتركه.

فقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري.

فبينا هو يسير إذ وقع إلى الأُمّة العالمة من قوم موسى الّذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون، فلمّا رآهم قال لهم: أيّها القوم أخبروني بخبركم، فإنّي قد درت الأرض شرقها وغربها وبرّها وبحرها وسهلها وجبلها ونورها وظلمتها فلم ألق مثلكم، فأخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟

قالوا: فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا.

قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟

قالوا: ليس فينا لصّ ولا ظنين وليس فينا إلاّ أمين.

قال: فما بالكم ليس عليكم أُمراء؟

قالوا: لا نتظالم.

قال: فما بالكم ليس بينكم حكّام؟

قالوا: لا نختصم.

قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟

قالوا: لا نتكاثر.

قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟

قالوا: من قبل أنّا متواسون متراحمون.

قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟

قالوا: من قبل أُلفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا.

قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتلون؟

قالوا: من قبل أنّا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحلم.

قال: فما بالكم كلمتكم واحدةٌ وطريقتكم مستقيمةٌ؟

قالوا: من قبل أنّا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً.

قال: فأخبروني لمَ ليس فيكم مسكين ولا فقير؟

قالوا: من قبل أنّا نقسّم بالسويّة.

قال: فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ؟

قالوا: من قبل الذلّ والتواضع.

قال: فلمَ جعلكم الله عَزَّوَجَلَّ أطول النّاس أعماراً؟

قالوا: من قبل أنّا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل.

قال: فما بالكم لا تقحطون؟

قالوا: من قبل أنّا لا نغفل عن الاستغفار.

قال: فما بالكم لا تحزنون؟

قالوا: من قبل أنّا وطّنّا أنفسنا على البلاء فعزّينا أنفسنا.

قال: فما بالكم لا يصيبكم الآفات؟

قالوا: من قبل أنا لا نتوكّل على غير الله عَزَّوَجَلَّ، ولا نستمطر بالأنواءِ والنجوم.

قال: فحدّثوني أيّها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟

قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم، ويواسون فقيرهم، ويعفون عمّن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويستغفرون لمسيئهم ويصلون أرحامهم،

ويؤدّون أمانتهم، ويصدقون ولا يكذبون، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم. فأقام عندهم ذو القرنين حتّى قبض، وكان له خمسمائة عام[(١)].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾[(٢)] قال: إنّ ذا القرنين بعثه الله تعالى إلى قومه فضرب على قرنه الأيمن فأماته الله خمسمائة عام، ثمّ بعثه الله إليهم بعد ذلك فضرب على قرنه الأيسر فأماته الله خمسمائة عام ثمّ بعثه إليهم بعد ذلك فملّكه مشارق الأرض ومغاربها من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب فهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾[(٣)] قال: في النار، فجعل ذو القرنين بينهم باباً من نحاس وحديد وزفت وقطران فحال بينهم وبين الخروج.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه ألف ذكر. ثمّ قال: هم أكثر خلق خلقوا بعد الملائكة.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟

فقال: لا نبيّاً ولا ملكاً بل عبداً أحبّ الله فأحبّه، ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثمّ بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثمّ بعثه الله الثالثة فمكّن الله له في الأرض وفيكم مثله - يعني نفسه فبلغ مغرب الشمس فوجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

قال ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾[(٤)] إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي دليلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل

(١) علل الشرائع: ج ٢/ ص ١٨٣، باب ٢٢٢/ح ٣٤، أمالي الصدوق: ص ١٤٤/ مجلس ٣٢/ ٦٤، البحار: ج ١٢/ ص ١٧٦-١٧٧، باب ٨/ح ٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الكهف، الآيتين: ٨٦- ٨٧.

(٤) سورة الكهف، الآيات: ٨٦-٩٨.

لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ قال: لم يعلموا صنعة ثياب ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي دليلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

فقال ذو القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ فأمرهم أن يأتوه بالحديد فأتوا به فوضعه بين الصدفين يعني بين الجبلين حتّى سوّى بينهما، ثمَّ أمرهم أن يأتوا بالنار فأتوا بها فنفخوا تحت الحديد حتّى صار مثل النّار، ثمّ صبَّ عليه القطر وهو الصفر حتّى سده وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ إلى قوله: ﴿نَقْبًا﴾.

فقال ذو القرنين: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾(١).

قال: إذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزمان انهدم ذلك السدّ وخرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا وأكلوا الناس وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾(٢).

قال: فسار ذو القرنين إلى ناحية المغرب فكان إذا مرّ بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق يهلك من ناواه وخالفه، فلم يبلغ مغرب الشمس حتّى دان له أهل المشرق والمغرب.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾(٣) أي دليلاً.

فقيل له: إنّ الله في أرضه عيناً يقال لها عين الحياة لا يشرب منها ذو روح إلاّ لم يمت حتّى الصيحة، فدعا ذو القرنين الخضر وكان أفضل أصحابه عنده ودعا ثلاث مائة وستّين رجلاً ودفع إلى كلّ واحد منهم سمكة وقال لهم: اذهبوا إلى موضع كذا وكذا فإنّ هناك ثلاث مائة وستّين عيناً، فليغسل كلّ واحد منكم سمكته في عين غير عين صاحبه فذهبوا يغسلون، وقعد الخضر يغسل فانسابت السمكة

(١) سورة الكهف، الآيات: ٨٦-٩٨.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

منه في العين وبقي الخضر متعجّباً ممّا رأى، وقال في نفسه: ما أقول لذي القرنين؟ ثمّ نزع ثيابه يطلب السمكة فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر على السمكة، فرجعوا إلى ذي القرنين فأمر ذو القرنين بقبض السمك من أصحابه، فلمّا انتهوا إلى الخضر لم يجدوا معه شيئاً فدعاه وقال له: ما حال السمكة؟ فأخبره الخبر، فقال له: فصنعت ماذا؟

قال: اغتمست فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها.

قال: فشربت من مائها؟

قال: نعم.

قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر: كنت أنت صاحبها[1].

عن الأصبغ قال: قام ابن الكوّاء إلى عليّ عليه السلام: وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟

وأخبرني عن قرنيه أمِّن ذهب كان أم من فضّة؟

فقال له عليّ عليه السلام: لم يكن نبيّاً ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا من فضّة، ولكنه كان عبداً أحبَّ الله فأحبّه، ونصح لله فنصح الله له، وإنّما سمّي ذو القرنين لأنّه دعا قومه إلى الله عزّ وجلّ فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً، ثمّ عاد إليهم فضربوه بالسيف على قرنه الآخر، وفيكم مثله[2].

عن عبد الله بن حمّاد، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل في الظلمات فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع فقال له الملك: يا ذا القرنين أما كان خلفك مسلك؟

فقال له ذو القرنين: من أنت؟

قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل فليس من جبل خلقه

---

(١) تفسير القمي: ج ٢/ ص ١٥، البحار: ج ١٢/ ص ١٧٧-١٨٠، باب ٨/ح ٤ و٥.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٦٥/ح ٧١ من سورة الكهف، والإحتجاج: ص ٢٢٩، البحار: ج ١٢/ ص ١٨٠، باب ٨/ ح ٦.

الله عزّ وجلّ إلاّ وله عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها[(١)].

عن هشام بن سالم عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح: ذو القرنين واسمه عيّاش، وداود وسليمان ويوسف عليهم السلام.

فأمّا عيّاش: فملك ما بين المشرق والمغرب.

وأمّا داود: فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر، وكذلك ملك سليمان.

وأمّا يوسف: فملك مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها[(٢)].

قال الصدوق رحمه الله: جاء هذا الخبر هكذا، والصحيح الّذي أعتقده في ذي القرنين أنّه لم يكن نبيّاً، وإنّما كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله. ونصح لله فنصحه الله، قال أمير المؤمنين عليه السلام: وفيكم مثله.

وذو القرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبيّ كما كان طالوت، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[(٣)] وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبيّ، كما يجوز أن يذكر في جملة الملائكة من ليس بملك، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[(٤)] [(٥)].

عن الثماليّ، عن الباقر عليه السلام قال: أوّل اثنين تصافحا على وجه الأرض ذو القرنين وإبراهيم الخليل، استقبله إبراهيم فصافحه، وأوّل شجرة نبتت على وجه الأرض النخلة[(٦)].

---

(١) أمالي الصدوق الصدوق: ص ٣٧٥/ مجلس ٧١/ج ٢، البحار: ج ١٢/ ص ١٨٠-١٨١، باب ٨/ح ٨.

(٢) الخصال: ص ٢٤٨/ باب الأربعة/ج ١١٠، البحار: ج ١٢/ ص ١٨١، باب ٨/ ح ٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٥) الخصال: ص ٢٤٨، باب الأربعة/ح ١١٠، البحار: ج ١٢/ص ١٨١، باب ٨/ح ٩.

(٦) أمالي الطوسي: ص ٢١٨، البحار: ج ١٢/ ص ١٨٢، باب ٨/ ح ١١.

عن أبي خالد وأبي سلام، عن سورة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين قد خيّر السحابين واختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب قال: قلت: وما الصعب؟

قال: ما كان من سحاب فيه رعدٌ وصاعقةٌ أو برقٌ، فصاحبكم[1] يركبه، أمّا إنّه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع: خمس عوامر، واثنتان خرابان[2].

عن سماك بن حرب، عن رجل من بني أسد قال: سأل رجل عليّاً عليه السلام: أرأيت ذا القرنين كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب؟

قال: سخّر الله له السحاب، ومدّ له في الأسباب وبسط له النور فكان اللّيل والنهار عليه سواء[3].

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً لكنّه كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله، وناصح الله فناصحه الله، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً، ثمّ رجع إليهم فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنّته، وإنّه خيّر السحاب الصعب والسحاب الذلول فاختار الذلول فركب الذلول، وكان إذا انتهى إلى قوم كان رسول نفسه إليهم لكيلا يكذّب الرسل[4].

عن سماك بن حرب بن حبيب قال: أتى رجل عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين.

فقال له عليّ عليه السلام: سخّرت له السحاب، وقربت له الأسباب، وبسط له في النور، فقال عليه السلام: كان يبصر باللّيل كما يبصر بالنهار[5].

---

(١) يعني الحجّة المنتظر المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.
(٢) بصائر الدرجات: ص ٣٧٩/ج ٨، باب ١٥/ح ٣، البحار: ج ١٢/ ١٨٢-١٨٣، باب ٨/ح ١٢.
(٣) كمال الدين: ص ٣٦٤، البحار: ج ١٢، باب ٨/ص ١٩٤، ح ١٦.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٢٠، البحار: ج ١٢/ص ١٩٤، باب ٨/ح ١٧.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٢١، البحار: ج ١٢، ص ١٩٤، باب ٨/ح ١٨.

عن جابر الجعفيّ، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجّة على عباده، فدعا قومه إلى الله عزّوجلّ وأمرهم بتقواه فضربوه على قرنه، فغاب عنهم زماناً حتّى قيل: مات أو هلك، بأيّ واد سلك؟

ثمّ ظهر ورجع إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر، ألا وفيكم من هو على سنّته وإنّ الله عزّوجلّ مكّن له في الأرض وآتاه من كلّ شيء سبباً، وبلغ المشرق والمغرب، وإنّ الله تبارك وتعالى سيجري سنّته في القائم من ولدي، ويبلّغه شرق الأرض وغربها حتّى لا يبقى سهلٌ ولا موضعٌ من سهل ولا جبل وطئه ذو القرنين إلاّ وطئه، ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها، وينصره بالرعب، يملؤ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً(١).

عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: ملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر، ومكث في ملكه ثلاثين سنة(٢).

عن أسود بن رزين القاضي قال: دخلت على أبي الحسن الأوّل عليه السلام ولم يكن رآني قطّ، فقال: من أهل السدّ أنت؟

فقلت: من أهل الباب.

فقال الثانية: من أهل السدّ أنت؟

قلت: من أهل الباب.

قال: من أهل السدّ؟

قلت: نعم.

قال: ذاك السدّ الّذي عمله ذو القرنين(٣).

عن أبي الطفيل قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: إنّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً ولا

---

(١) كمال الدين: ص ٣٦٤، البحار: ج ١٢/ص ١٩٤-١٩٥، باب ٨/ح ١٩.
(٢) المحاسن للبرقي: ص ١٩٣، باب العقل، البحار: ج ١٢/ص ١٩٦، باب ٨/ح ٢١.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٩٦، البحار: ج ١٢، ص ١٩٦، باب ٨/ح ٢٢.

رسولاً كان عبداً أحبّ الله فأحبّه، وناصح الله فنصحه؛ دعا قومه فضربوه على أحد قرنيه فقتلوه، ثمَّ بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر فقتلوه[١].

عن ابن الورقاء قال: سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين ما كان قرناه؟

فقال: لعلّك تحسب كان قرنه ذهباً أو فضّة، أو كان نبيّاً؟ بل كان عبداً صالحاً بعثه الله إلى أُناس فدعاهم إلى الله وإلى الخير، فقام رجل منهم فضرب قرنه الأيسر فمات، ثمّ بعثه فأحياه وبعثه إلى أُناس فقام رجل فضرب قرنه الأيمن، فمات فسمّاه ذا القرنين[١].

عن ابن هشام، عن أبيه، عمّن حدّثه، عن بعض آل محمّد عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً طويت له الأسباب، ومكّن له في البلاد، وكان قد وصف له عين الحياة، وقيل له: من يشرب منها شربة لم يمت حتّى يسمع الصوت، وإنّه خرج في طلبها حتّى أتى موضعها، وكان في ذلك الموضع ثلاث مائة وستين عيناً، وكان الخضر على مقدّمته، وكان من أشدّ أصحابه عنده، فدعاه فأعطاه وأعطى قوماً من أصحابه كلّ رجل منهم حوتاً مملّحاً.

فقال: انطلقوا إلى هذه المواضع فليغسل كلّ رجل منكم حوته عند عين ولا يغسل معه أحد، فانطلقوا يلزم كلّ رجل منهم عيناً فغسل فيها حوته، وإنّ الخضر انتهى إلى عين من تلك العيون، فلمّا غمس الحوت ووجد الحوت ريح الماء حيي فانساب في الماء، فلمّا رأى ذلك الخضر رمى بثيابه وسقط وجعل يرتمس في الماء ويشرب ويجتهد أن يصيبه، فلمّا رأى ذلك رجع فرجع أصحابه، وأمر ذو القرنين بقبض السمك فقال: انظروا فقد تخلّفت سمكة.

فقالوا: الخضر صاحبها.

قال: فدعاه فقال: ما خلّف سمكتك؟

قال: فأخبره الخضر، فقال له: فصنعت ماذا؟

قال: سقطت عليها فجعلت أغوص فأطلبها فلم أجدها.

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٦٦/ح ٧٣ و٧٦ من سورة الكهف، البحار: ج ١٢/ ص ١٩٦-١٩٧، باب ٨/ح ٢٤ وح ٢٦.

فقال: فشربت من الماء؟

قال: نعم.

قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها.

فقال للخضر: أنت صاحبها[(١)].

جبرئيل بن أحمد، عن موسى بن جعفر رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير ثمّ حمل في مسيره ما شاء الله، ثمّ ركب البحر فلمّا انتهى إلى موضع منه قال لأصحابه: دلّوني، فإذا حرّكت الحبل فأخرجوني، فإن لم أُحرّك الحبل فأرسلوني إلى آخره، فأرسلوه في البحر وأرسلوا الحبل مسيرة أربعين يوماً، فإذا ضارب يضرب حيث الصندوق ويقول: يا ذا القرنين أين تريد؟

قال: أُريد أن أنظر إلى ملك ربّي في البحر كما رأيته في البرّ.

فقال: يا ذا القرنين إنّ هذا الموضع الّذي أنت فيه مرّ فيه نوح زمان الطوفان فسقط منه قدوم فهو يهوي في قعر البحر إلى الساعة لم يبلغ قعره، فلمّا سمع ذو القرنين ذلك حرّك الحبل وخرج[(٢)].

قال الرازيّ: اختلف النّاس في أنّ ذا القرنين من هو، وذكروا أقوالاً:

الأوّل: أنّه الإسكندر بن فيلقوس اليونانيّ، قالوا: والدليل عليه أنّ القرآن دلّ على أنّ الرجل المسمّى بذي القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب بدليل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وأيضاً بلغ ملكه أقصى المشرق بدليل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾[(٣)] وأيضاً بلغ ملكه أقصى الشمال بدليل أنّ يأجوج ومأجوج قوم من الترك ويسكنون في أقصى الشمال، وبدليل أنّ السدّ المذكور في القرآن يقال في كتب التواريخ إنّه في أقصى الشمال، فهذا

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣٦٧/ح ٧٧، البحار: ج ١٢/ص ١٩٧-١٩٨، باب ٨/ح ٢٧.
(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣٦٧/ح ٨٠ من سورة الكهف، البحار: ج ١٢/ص ٢٠٦، باب ٨/ح ٣٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

المسمّى بذي القرنين في القرآن قد دلّ القرآن على أنّ ملكه بلغ أقصى المشرق والمغرب والشمال، وهذا هو تمام القدر المعمور من الأرض، ومثل ذلك الملك البسيط لا شكَّ أنّه على خلاف العادة، وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلّداً على وجه الدهر، وأن لا يبقى مخفيّاً مستتراً، والملك الّذي اشتهر في كتب التواريخ أنّه بلغ ملكه إلى هذا القدر ليس إلاّ الإسكندر، وذلك لأنّه لمّا مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كانوا طوائف، ثمّ قصد ملوك المغرب وقهرهم، وأمعن حتّى انتهى إلى البحر الأخضر ثمّ عاد إلى مصر وبنى الاسكندريّة وسمّاها باسم نفسه ثمّ دخل الشام وقصد بني إسرائيل، وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه، ثمّ انعطف إلى أرمنيّة وباب الأبواب ودانت له العبرانيّون والقبط والبربر، وتوجّه بعد ذلك إلى دارا بن دارا وهزمه مرّات إلى أن قتله صاحب حرسه، واستولى الإسكندر على ملوك الفرس، وقصد الهند والصين وغزا الأُمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة، ورجع إلى العراق ومرض بشهر زور ومات بها، فلمّا ثبت بالقرآن أنّ ذا القرنين كان رجلاً ملك الأرض بالكليّة أو ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ أنّ الّذي هذا شأنه ما كان إلاّ الإسكندر وجب القطع بأنَّ المراد بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلقوس اليونانيّ.

ثمّ ذكروا في تسمية ذي القرنين بهذا الاسم وجوهاً:

الأوّل: إنّه لقب بهذا اللّقب لأجل بلوغه قرني الشمس أي مطلعها ومغربها كما لقّب أردشير بطول اليدين لنفوذ أمره حيث أراده.

والثاني: إنّ الفرس قالوا: إنّ دارا الأكبر كان تزوج بابنة فيلقوس، فلمّا قرب منها وجد منها رائحة منكرة فردّها إلى أبيها وكانت قد حملت منه بالإسكندر فولدت الإسكندر بعد عودها إلى أبيها فيلقس، فبقي الإسكندر عند فيلقس وأظهر أنّه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الأكبر.

قالوا: والدليل على ذلك أنّ الإسكندر لمّا أدرك دارا بن دارا وبه رمق وضع رأسه في حجره وقال لدارا: يا أخي أخبرني عمّن فعل هذا لأنتقم لك منه؟ فهذا ما قاله الفرس.

قالوا: فعلى هذا التقدير فالإسكندر أبوه دارا الأكبر، وأُمّه بنت فيلقس، فهذا

إنّما تولّد من أصلين مختلفين الفرس والروم، وهذا الّذي قاله الفرس، وإنّما ذكروه لأنّهم أرادوا أن يجعلوه من نسل ملوك العجم حتّى لا يكون ملك مثله من نسب غير نسب ملوك العجم، وهو في الحقيقة كذب، وإنّما قال الإسكندر لدارا «يا أخي» على سبيل التواضع وأكرم دارا بذلك الخطاب.

والقول الثاني: قال أبو الريحان البيرونيّ المنجّم في كتابه الّذي سمّاه بالآثار الباقية من القرون الخالية: قيل: إنّ ذا القرنين هو أبو كرب شمر بن عمير بن أفريقش الحميريّ، وهو الذي بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها، وهو الّذي افتخر به أحد الشعراء من حمير حيث قال:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير معبّد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب ملك من كريم سيّد

ثمّ قال أبو الريحان: ويشبه أنّ يكون هذا القول أقرب لأنّ الأذواء كانوا من اليمن وهم الّذين لا تخلوا أساميهم من ذي كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي يزن.

والثالث: أنّه كان عبداً صالحاً ملّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وإن كنا لا نعرف من هو، ثمَّ ذكروا في تسميته بذي القرنين وجوهاً:

الأوّل: سأل ابن الكوّاء عليّاً عليه السلام عن ذي القرنين وقال: أملك أو نبيّ؟

قال: لا ملك ولا نبيّ، كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن، فمات ثمّ بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمّي ذا القرنين وفيكم مثله.

الثاني: سمّي بذي القرنين لأنّه انقرض في وقته قرنان من الناس.

الثالث: قيل: كانت صفحتا رأسه من نحاس.

الرابع: كان على رأسه ما يشبه القرنين.

الخامس: كان لتاجه قرنان.

السادس: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سمّي ذا القرنين لأنّه طاف قرني الدنيا يعني شرقها وغربها.

السابع: كان له قرنان أي ضفيرتان.

الثامن: إنّ الله تعالى سخّر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه ويمتدّ الظلمة من ورائه.

التاسع: يجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما سمّي الشجاع بالقرن لأنّه يقطع أقرانه.

العاشر: أنّه رأى في المنام كأنّه صعد الفلك وتعلّق بطرفي الشمس وقرنيها - أي جانبيها - فسمي لهذا السبب بذي القرنين.

الحادي عشر: سمّي بذلك لأنّه دخل النور والظلمة.

والقول الرابع: أنّ ذا القرنين ملك من الملائكة، عن عمر؛ وإنّه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين.

فقال: اللّهمّ اغفر أما رضيتم أن تسمّوا بأسماء الأنبياء حتّى سمّيتم بأسماء الملائكة؟ فهذا جملة ما قيل في هذا الباب، والقول الأوّل أظهر لأجل الدليل الّذي ذكرناه، وهو أنَّ مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال، وهذا الملك العظيم هو الإسكندر، فوجب أن يكون المراد بذي القرنين هو إلاّ أنّ فيه إشكالاً قويّاً وهو أنّه كان تلميذاً لأرسطاطاليس الحكيم، وكان على مذهبه، فتعظيم الله إيّاه يوجب الحكم بأنّ مذهب أرسطاطاليس حقّ وصدق وذلك ممّا لا سبيل إليه.

المسألة الثانية: اختلفوا في أنّ ذا القرنين هل كان من الأنبياء أم لا، منهم من قال: إنّه كان من الأنبياء، واحتجّوا عليه بوجوه:

الأوّل: قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١) والأولى حمله على التمكين في الدين، والتمكين الكامل في الدين هو النبوّة.

والثاني: قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾(١) ومن جملة الأشياء النبوّة: فمقتضى العموم في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ هو أنّه تعالى آتاه من النبوّة سبباً.

والثالث: قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(٢)

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

والّذي يتكلّم الله معه لابدّ وأن يكون نبيّاً، ومنهم من قال: إنّه كان عبداً صالحاً وما كان نبيّاً. انتهى(١).

أقول: الظاهر من الأخبار أنّه غير الإسكندر، وأنّه كان في زمن إبراهيم عليه السلام وأنّه أوّل الملوك بعد نوح عليه السلام وأمّا استدلاله فلا يخفى ضعفه بعدما قد عرفت مع أنّ الملوك المتقدّمة لم يضبط أحوالهم بحيث لا يشذّ عنهم أحد، وأيضاً الظاهر من كلام أهل الكتاب الّذين عليهم يعوّلون في التواريخ عدم الاتّحاد، ثمّ الظاهر ممّا ذكرنا من الأخبار وغيرهما ممّا أورده الكلينيّ وغيره أنّه لم يكن نبيّاً ولكنّه كان عبداً صالحاً مؤيّداً من عنده تعالى.

وأمّا يأجوج ومأجوج فقد ذكر الشيخ الطبرسيّ أنّ فسادهم أنّهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابّهم؛ وقيل: كانوا يخرجون أيّام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلاّ أكلوه، ولا يابساً إلاّ احتملوه، عن الكلبيّ.

وقيل: أرادوا أنّهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم؛ وورد في الخبر عن حذيفة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن يأجوج ومأجوج.

فقال: يأجوج أُمّة ومأجوج أُمة، كلّ أمّة أربعمائة أُمّة، لا يموت الرجل منهم حتّى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السلاح.

قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز.

قلت: يا رسول الله وما الأرز؟

قال: شجر بالشام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء، وهؤلاء الّذين لا يقوم لهم جبلٌ ولا حديدٌ، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أُذنيه ويلتحف بالأُخرى ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلاّ أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبريّة.

(١) تفسير فخر الرازي: ج ٢١/ المجلد ٧/ ص ٤٩٣، البحار: ج ١٢/ ص ٢٠٧-٢١١، باب ٨/ ذيل ح ٣٤.

قال وهب ومقاتل: إنّهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك.

وقال السدّيّ: الترك سريّة من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجه.

وقال قتادة: إنّ ذا القرنين بنى السدّ على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السدّ فهم الترك.

وقال كعب: هم نادرة من ولد آدم، وذلك أنّ آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الأمّ؛ وهذا بعيد انتهى(١).



(١) مجمع البيان: ج ٦/ص ٣٨٧، البحار: ج ١٢/ص ٢١١-٢١٢، باب ٨/ذيل ح ٣٤.

قصص يعقوب ويوسف على نبينا وآله وعليهما الصلاة والسلام

عن عبد الرحمن بن أسباط القرشيّ عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ في قول الله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(١) قال في تسمية النجوم: هو الطارق وحوبان والذيال وذو الكتفين ووثاب وقابس وعمودان وفيلق ومصبح والصرح والفروغ والضياء والنور. يعني الشمس والقمر، وكلّ هذا النجوم محيطة بالسماء.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تأويل هذه الرؤيا إنّه سيملك مصر ويدخل عليه أبواه وإخوته، أمّا الشمس فأُمّ يوسف راحيل، والقمر يعقوب، وأمّا أحد عشر كوكباً فإخوته، فلمّا دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه وكان ذلك السجود لله.

قال عليّ بن إبراهيم: فحدّثني أبي، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كان من خبر يوسف أنّه كان له أحد عشر أخاً، وكان له من أُمّه أخٌ واحدٌ يسمّى بنيامين، وكان يعقوب إسرائيل الله - ومعنى إسرائيل الله أي خالص الله - ابن إسحاق نبيّ الله ابن إبراهيم خليل الله، فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين فقصّها على أبيه، فقال يعقوب: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢) قوله: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي يحتالوا عليك.

فقال يعقوب ليوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف، الآيات: (٥) إلى قوله (١٥).

نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وكان يوسف من أحسن النّاس وجهاً، وكان يعقوب يحبّه ويؤثره على أولاده، فحسدوه إخوته على ذلك؛ وقالوا فيما بينهم ما حكى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ أي جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ فعمدوا على قتل يوسف فقالوا: نقتله حتّى يخلو لنا وجه أبينا.

فقال لاوي: لا يجوز قتله ولكن نغيبه عن أبينا ونحن نخلو به، فقالوا: كما حكى الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ أي يرعى الغنم ويلعب ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فأجرى الله على لسان يعقوب ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾.

فقالوا: كما حكى الله: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ العصبة، عشرة إلى ثلاثة عشر ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي تخبرهم بما همّوا به.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾(١) يقول: لا يشعرون إنّك أنت يوسف، أتاه جبرئيل فأخبره بذلك(٢).

عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: قلت له: أخبرني عن يعقوب حين قال لولده: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾(٣) أكان علم أنّه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عيناه عليه من البكاء.

قال: نعم علم أنّه حيٌّ حتّى أنّه دعا ربّه في السحر أن يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه ملك الموت بأطيب رائحة وأحسن صورة، فقال له: من أنت؟

قال: أنا ملك الموت، أليس سألت الله أن ينزلني عليك؟

قال: نعم.

---

(١) سورة يوسف، الآيات: (٥) إلى قوله (١٥).
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٣٤١، البحار: ج ١٢/ص ٢١٧-٢١٨، باب ٩/ح ١.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

قال: ما حاجتك يا يعقوب؟

قال له: أخبرني عن الأرواح تقبضها جملة أو تفاريقاً؟

قال: تقبضها أعواني متفرّقة وتعرض عليّ مجتمعة، قال يعقوب: فأسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هل عرض عليك في الأرواح روح يوسف؟

فقال: لا فعند ذلك علم أنّه حيّ، فقال لولده: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(١) وكتب عزيز مصر إلى يعقوب:

أمّا بعد فهذا ابنك اشتريته بثمن بخس دراهم وهو يوسف واتّخذته عبداً، وهذا ابنك بنيامين قد سرق وأخذته فقد وجدت متاعي عنده واتّخذته عبداً. فما ورد على يعقوب شيء كان أشدّ عليه من ذلك الكتاب.

فقال للرسول: مكانك حتّى أُجيبه، فكتب إليه يعقوب عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، أمّا بعد فقد فهمت كتابك تذكر فيه أنّك اشتريت ابني واتّخذته عبداً، وإنّ البلاء موكّل ببني آدم إنّ جدّي إبراهيم ألقاه نمرود ملك الدنيا في النار فلم يحترق وجعلها الله عليه برداً وسلاماً وإنّ أبي إسحاق أمر الله جدّي أن يذبحه بيده فلمّا أراد أن يذبحه فداه الله بكبش عظيم، وإنّه كان لي ولد لم يكن في الدنيا أحد أحبّ إليّ منه وكان قرّة عيني وثمرة فؤادي فأخرجوه إخوته ثمّ رجعوا إليّ وزعموا أنّ الذئب أكله فاحدودب لذلك ظهري، وذهب من كثرة البكاء عليه بصري، وكان له أخ من أُمّه كنت آنس به فخرج مع إخوته إلى ما قبلك ليمتاروا لنا طعاماً فرجعوا إليّ وذكروا أنّه سرق صواع الملك وقد حبسته، وإنّا أهل بيت لا يليق بنا السرق ولا الفاحشة، وأنا أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلاّ مننت عليَّ به وتقرّبت إلى الله ورددته إليَّ.

فلمّا ورد الكتاب إلى يوسف أخذه ووضعه على وجهه وقبّله وبكى بكاءً شديداً

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

ثمّ نظر إلى إخوته فقال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ[1] ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ فقالوا له كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي لا تخليط ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2] قال: فلمّا ولّى الرسول إلى الملك بكتاب يعقوب رفع يعقوب يده إلى السماء.

فقال: «يا حسن الصحبة، يا كريم المعونة، يا خير إله ائتني بروح منك وفرج من عندك» فهبط جبرئيل عليه فقال له: يا يعقوب ألا أُعلّمك دعوات يردّ الله عليك بصرك وابنيك؟

قال: نعم.

قال: قل: «يا من لم يعلم أحد كيف هو إلاّ هو، يا من سدّ السماء بالهواء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، ائتني بروح منك وفرج من عندك» قال: فما انفجر عمود الصبح حتّى أُتي بالقميص فطرح عليه وردّ الله عليه بصره وولده[3].

وقال: ولمّا أمر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله تأويل الرؤيا فكان يعبّر لأهل السجن، فلمّا سألاه الفتيان الرؤيا وعبّر لهما وقال للّذي ظنّ أنّه ناج منهما: اذكرني عند ربّك ولم يفزع في تلك الحال إلى الله فأوحى الله إليه: من أراك الرؤيا الّتي رأيتها؟

قال يوسف: أنت يا ربّ.

قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟

---

(١) أي شبان أو صبيان فكان تلقيناً لهم كيف يعتذرون، وروي عن الصادق عليه السلام كل ذنب عمله العبد وإن كان عاملاً فهو جاهل حين خاطر بنفسه معصية ربه فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله: «منه طاب ثراه».

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٨٩-٩٢.

(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ٣٥٢، البحار: ج ١٢/ص ٢٤٤-٢٤٦، باب ٩/ح ١١.

قال: أنت يا ربّ.

قال: فمن وجّه إليك السيّارة الّتي رأيتها؟

قال: أنت يا ربّ.

قال: فمن علّمك الدعاء الّذي دعوت به حتّى جعلت لك من الجبّ فرجاً؟

قال: أنت يا ربّ.

قال: فمن أنطق لسان الصبيّ بعذرك؟

قال: أنت يا ربّ.

قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟

قال: أنت يا ربّ.

قال: فكيف استعنت بغيري ولم تستعن بي؟ وأمّلت عبداً من عبيدي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي وفي قبضتي ولم تفزع إليّ؟ البث في السجن بضع سنين.

فقال يوسف: أسألك بحقّ آبائي عليك إلاّ فرّجت عنّي؟

فأوحى الله إليه: يا يوسف وأيّ حقّ لآبائك عليّ؟ إن كان أبوك آدم خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسكنته جنّتي وأمرته أن لا يقرب شجرةً منها فعصاني وسألني فتبت عليه، وإن كان أبوك نوح انتجبته من بين خلقي وجعلته رسولاً إليهم فلمّا عصوا ودعاني فاستجبت له وغرقتهم وأنجيته ومن معه في الفلك، وإن كان أبوك إبراهيم اتّخذته خليلاً وأنجيته من النار وجعلتها عليه برداً وسلاماً، وإن كان أبوك يعقوب وهبت له اثني عشر ولداً فغيّبت عنه واحداً فما زال يبكي حتّى ذهب بصره وقعد على الطريق يشكوني إلى خلقي، فأيّ حقّ لآبائك عليّ؟

قال: فقال له جبرئيل: قل يا يوسف: «أسألك بمنّك العظيم وإحسانك القديم ولطفك العميم يا رحمن يا رحيم» فقالها فرأى الملك الرؤيا فكان فرجه فيها.

وحدَّثني أبي، عن العبّاس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال السجّان ليوسف: إنّي لأُحبّك.

فقال يوسف: ما أصابني إلاّ من الحبّ إن كانت[١] أحبّتني فسرقتني، وإن كان أبي أحبّني فحسدوني إخوتي، وإنّ كانت امرأة العزيز أحبّتني فحبستني.

قال: وشكا يوسف في السجن إلى الله.

فقال: يا ربّ بماذا استحققت السجن؟

فأوحى الله إليه؛ أنت اخترته حين قلت: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[٢] هلاّ قلت: العافية أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه؟![٣].

عن الحسن بن عمّارة، عن أبي سيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا طرح إخوة يوسف يوسف في الجبّ دخل عليه جبرئيل وهو في الجبّ فقال: يا غلام من طرحك في هذا الجبّ؟

فقال له يوسف: إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني، ولذلك في الجبّ طرحوني.

قال: فتحبّ أن تخرج منها؟

فقال له يوسف: ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

قال: فإنّ إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب يقول لك: قل اللّهمّ إنّي أسألك بأنّ (فإنّ خ ل) لك الحمد كلّه، لا إله إلاّ أنت الحنّان المنّان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب» فدعا ربّه فجعل الله له من الجبّ فرجاً، ومن كيد المرأة مخرجاً، وأعطاه ملك مصر من حيث لم يحتسب[٤].

عن مفضّل الجعفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: أخبرني ما كان قميص يوسف؟

---

(١) في المصدر: عمتي.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٣.
(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ٣٥٤، البحار: ج ١٢/ص ٢٤٦-٢٤٧، باب ٩/ح ١٢.
(٤) تفسير القمي: ج ١/ص ٣٥٥، البحار: ج ١٢/ص ٢٤٧-٢٤٨، باب ٩/ح ١٣.

قلت: لا أدري.

قال: إنّ إبراهيم لمّا أُوقدت له النّار أتاه جبرئيل بثوب من ثياب الجنّة فألبسه إيّاه فلم يضرّه معه حرٌّ ولا بردٌ، فلمّا حضر إبراهيم الموت جعله في تميمة وعلّقه على إسحاق وعلّقه إسحاق على يعقوب، فلمّا ولد ليعقوب يوسف علّقه عليه، فكان في عنقه حتّى كان من أمره ما كان، فلمّا أخرج يوسف القميص من التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[(١)] وهو ذلك القميص الّذي أُنزل من الجنّة، قلت له: جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص؟

فقال: إلى أهله، ثمّ قال: كلّ نبيّ ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمّد، وكان يعقوب بفلسطين وفصلت العير من مصر فوجد يعقوب ريحه، وهو من ذلك القميص الّذي أُخرج من الجنّة ونحن ورثته[(٢)].

عن الحسن ابن بنت إلياس وإسماعيل بن همّام، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كانت الحكومة في بني إسرائيل إذا سرق أحد شيئاً استرقَّ به، وكان يوسف عند عمّته وهو صغير وكانت تحبّه، وكانت لإسحاق منطقة ألبسها يعقوب وكانت عند أُخته، وإنّ يعقوب طلب يوسف ليأخذه من عمّته فاغتمّت لذلك وقالت:

دعه حتّى أُرسله إليك، وأخذت المنطقة وشدّت بها وسطه تحت الثياب، فلمّا أتى يوسف أباه جاءت وقالت:

قد سرقت المنطقة ففتّشته فوجدتها معه في وسطه، فلذلك قالت إخوة يوسف لمّا حبس يوسف أخاه حيث جعل الصاع في وعاء أخيه فقال يوسف: ما جزاء من وجد في رحله؟ قالوا: هو جزاؤه - السنّة الّتي تجري فيهم - فلذلك قال إخوة

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٤.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٣٥٥ وقال الطبرسي رحمه الله: قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب، وذكر في القصة أن الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها، ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. (منه رحمه الله)، البحار: ج ١٢/ص ٢٤٨-٢٤٩، باب ٩/ح ١٤.

يوسف: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم[١].

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما كان دعاء يوسف عليه السلام في الجبّ فإنّا قد اختلفنا فيه؟

فقال: إنّ يوسف عليه السلام لمّا صار في الجبّ وأيس من الحياة قال:

«اللّهمّ إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً ولن تستجيب لي دعوة فإنّي أسألك بحقّ الشيخ يعقوب فارحم ضعفه واجمع بيني وبينه فقد علمت رقّته عليّ وشوقي إليه».

قال: ثمّ بكى أبو عبد الله الصادق عليه السلام ثمّ قال وأنا أقول: «اللّهمّ إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً فإنّي أسألك بك فليس كمثلك شيء، وأتوجّه إليك بمحمّد نبيّك نبيّ الرحمة، يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله» ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: قولوا هذا وأكثروا منه فإنّي كثيراً ما أقوله عند الكرب العظام[٢].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في قميص يوسف ثلاث آيات في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[٣] وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾[٤] الآية، وقوله: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا﴾[٥] الآية[٦].

عن ابن جبير، عن ابن عبّاس قال: لمّا أصاب آل يعقوب ما أصاب الناس من ضيق الطعام جمع يعقوب بنيه فقال لهم: يا بنيّ إنّه بلغني أنّه يباع بمصر طعام طيّب، وأنّ صاحبه رجل صالح لا يحبس الناس، فاذهبوا إليه واشتروا منه طعاماً

(١) تفسير القمي: ج ١/ص ٣٥٦، البحار: ج ١٢/ص ٢٤٩-٢٥٠، باب ٩/ح ٩.
(٢) أمالي الصدوق: ص ٣٢٩/ مجلس ٦٣/ ح ٤، البحار: ج ١٢/ص ٢٥٥-٢٥٦، باب ٩/ح ١٩.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٦.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٩٣.
(٦) الخصال: ص ١١٨، باب الثلاثة/ح ١٠٤، البحار: ج ١٢/ص ٢٥٦، باب ٩/ح ٢٢.

فإنّه سيحسن إليكم إن شاء الله، فتجهّزوا وساروا حتّى وردوا مصر فأُدخلوا على يوسف عليه السلام فعرفهم وهم له منكرون، فقال لهم: من أنتم؟

قالوا: نحن أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، ونحن من جبل كنعان.

قال يوسف: ولّدكم إذاً ثلاثة أنبياء، وما أنتم بحلماء، ولا فيكم وقارٌ ولا خشوعٌ، فلعلّكم جواسيس لبعض الملوك جئتم إلى بلادي؟!

فقالوا: أيّها الملك لسنا بجواسيس ولا أصحاب الحرب، ولو تعلم بأبينا إذاً لكرمنا عليك، فإنّه نبيّ الله وابن أنبيائه، وإنّه لمحزون.

قال لهم يوسف: فممّا حزنه وهو نبيّ الله وابن أنبيائه، والجنّة مأواه، وهو ينظر إليكم في مثل عددكم وقوّتكم؟ فلعلّ حزنه إنّما هو من قبل سفهكم وجهلكم وكذبكم وكيدكم ومكركم؟

قالوا: أيّها الملك لسنا بجهّال ولا سفهاء ولا أتاه الحزن من قبلنا، ولكن كان له ابن كان أصغرنا سنّاً يقال له يوسف فخرج معنا إلى الصيد فأكله الذئب، فلم يزل بعده كئيباً حزيناً باكياً.

فقال لهم يوسف عليه السلام: كلّكم من أب واحد؟

قالوا: أبونا واحد وأُمّهاتنا شتّى.

قال: فما حمل أباكم على أن سرّحكم كلّكم إلاّ حبس منكم واحداً يأنس به ويستريح إليه؟

قالوا: قد فعل، قد حبس منّا واحداً هو أصغرنا سنّاً، قال: ولِمَ اختاره لنفسه من بينكم؟

قالوا: لأنّه أحبّ أولاده إليه بعد يوسف.

فقال لهم يوسف عليه السلام: إنّي أحبس منكم واحداً يكون عندي وارجعوا إلى أبيكم واقرؤوه منّي السلام وقولوا له: يرسل إليّ بابنه الّذي زعمتم أنّه حبسه عنده ليخبرني عن حزنه ما الّذي أحزنه؟

وعن سرعة الشيب إليه قبل أوان مشيبه؟

وعن بكائه وذهاب بصره، فلمّا قال هذا اقترعوا بينهم فخرجت القرعة على شمعون[١]، فأمر به فحبس، فلمّا ودّعوا شمعون قال لهم: يا إخوتاه انظروا ماذا وقعت فيه، واقرؤوا والدي منّي السلام؛ فودّعوه وساروا حتّى وردوا الشام ودخلوا على يعقوب عليه السلام وسلّموا عليه سلاماً ضعيفاً، فقال لهم: يا بنيّ ما لكم تسلّمون سلاماً ضعيفاً؟

وما لي لا أسمع فيكم صوت خليلي شمعون؟

قالوا: يا أبانا إنّا جئناك من عند أعظم الناس ملكاً، لم ير الناس مثله حكماً وعلماً وخشوعاً وسكينةً ووقاراً، ولئن كان لك شبيه فإنّه لشبيهك، ولكنّا أهل بيت خلقنا للبلاء اتّهمنا الملك وزعم أنّه لا يصدّقنا حتّى ترسل معنا بابن يامين برسالة منك يخبره عن حزنك وعن سرعة الشيب إليك قبل أوان المشيب، وعن بكائك وذهاب بصرك، فظنّ يعقوب أنّ ذلك مكر منهم فقال لهم: يا بنيَّ بئس العادة عادتكم، كلّما خرجتم في وجه نقص منكم واحد، لا أُرسله معكم، فلمّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم من غير علم منهم أقبلوا إلى أبيهم فرحين قالوا: يا أبانا ما رأى النّاس مثل هذا الملك أشدّ اتّقاءً للإثم منه، ردّ علينا بضاعتنا مخافة الإثم، وهي بضاعتنا ردّت إلينا، ونمير أهلنا[٢]، ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير.

قال يعقوب: قد علمتم أنّ ابن يامين أحبّكم إليّ بعد أخيكم يوسف وبه أُنسي، وإليه سكوني من بين جماعتكم، فلن أُرسله معكم حتّى تؤتوني موثقاً من الله لتأتنّني به إلاّ أن يحاط بكم، فضمنه يهودا فخرجوا حتّى وردوا مصر فدخلوا على يوسف عليه السلام فقال لهم: هل بلّغتم رسالتي؟

قالوا: نعم وقد جئناك بجوابها مع هذا الغلام فسله عمّا بدا لك.

قال له يوسف: بما أرسلك أبوك إليّ يا غلام؟

قال: أرسلني إليك يقرؤك السلام ويقول: إنّك أرسلت إليّ تسألني عن حزني،

---

(١) وقيل: إن يوسف اختار شمعون لأنه كان أحسنهم رأياً فيه (منه رحمه الله).
(٢) نمير أهلنا: أي نجلب إليه الطعام (منه رحمه الله).

وعن سرعة الشيب إليّ قبل أوان المشيب، وعن بكائي وذهاب بصري، فإنّ أشدّ الناس حزناً وخوفاً أذكرهم للمعاد، وإنّما أسرع الشيب إليّ قبل أوان المشيب لذكر يوم القيامة، وأبكاني وبيّض عيني الحزن على حبيبي يوسف، وقد بلغني حزنك بحزني واهتمامك بأمري، فكان الله لك جازياً ومثيباً؛ وإنّك لن تصلني بشيء أنا أشدّ فرحاً به من أن تعجّل عليّ ولدي ابن يامين، فإنّه أحبّ أولادي إليّ بعد يوسف، فأُؤنس به وحشتي، وأصل به وحدتي، تعجّل عليّ بما أستعين به على عيالي.

فلمّا قال هذا خنقت يوسف عليه السلام العبرة ولم يصبر حتّى قام فدخل البيت وبكى ساعة ثمّ خرج إليهم وأمر لهم بطعام، وقال: ليجلس كلّ بني أُمّ على مائدة، فجلسوا وبقي ابن يامين قائماً.

فقال له يوسف: ما لك لم تجلس؟

فقال له: ليس لي فيهم ابن أُمّ.

فقال له يوسف: أفما كان لك ابن أُمّ؟

فقال له ابن يامين: بلى.

فقال له يوسف: فما فعل؟

قال: زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله.

قال: فما بلغ من حزنك عليه؟

قال: ولد لي اثنا عشر ابناً كلّهم اشتقّ له اسماً من اسمه.

فقال له يوسف عليه السلام: أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده؟!

فقال له ابن يامين: إنّ لي أباً صالحاً وإنّه قال لي: تزوّج لعلّ الله عزّ وجلّ يخرج منك ذرّيّة يثقل الأرض بالتسبيح.

فقال له يوسف: تعال فاجلس على مائدتي.

فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله يوسف وأخاه حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته، فأمر يوسف أن يجعل صواع الملك في رحل ابن يامين.

فلما تجهزوا ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا

تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ[1] ﴿٧٢﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ وكان الرسم
فيهم والحكم أنّ السارق يسترقّ ولا يقطع ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ
﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ
قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ ﴿٧٦﴾﴾ فحبسه.

فقال إخوته لمّا أصابوا الصواع في وعاء ابن يامين: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ
سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ
إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ
يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ
ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى
كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فلمّا رجعوا إلى أبيهم قالوا ذلك
له قال: إنّ ابني لا يسرق ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ثمّ أمر بنيه بالتجهيز إلى مصر، فساروا حتّى أتوا مصر فدخلوا على يوسف ودفعوا إليه كتاباً من يعقوب يستعطفه فيه ويسأله ردّ ولده عليه، فلمّا نظر فيه خنقته العبرة ولم يصبر حتّى قام فدخل البيت فبكى ساعة ثمّ خرج إليهم فقالوا له:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ
ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فقال لهم يوسف: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ
جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ

---

(١) وأنابه زعيم: أي كفيل أؤديه إلى من ردّه (منه رحمه الله).
(٢) سورة يوسف، الآيات: ٧٠-٨٣.

ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

ثمّ أمرهم بالانصراف إلى يعقوب وقال لهم: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فهبط جبرئيل على يعقوب عليه السلام فقال: يا يعقوب ألا أُعلّمك دعاء يردّ الله عليك به بصرك، ويردّ عليك ابنيك؟

قال: بلى.

قال: قل ما قاله أبوك آدم فتاب الله عليه، وما قاله نوح فاستوت به سفينته على الجوديّ ونجا من الغرق وما قاله أبوك إبراهيم خليل الرّحمن حين أُلقي في النّار فجعله الله عليه برداً وسلاماً.

فقال يعقوب: وما ذاك يا جبرئيل؟

فقال: قل: «يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين أن تأتيني بيوسف وابن يامين جميعاً وتردّ عليّ عيني» فما استتمّ يعقوب هذا الدعاء حتّى جاء البشير فألقى قميص يوسف عليه فارتدّ بصيراً.

فقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾.

فروي في خبر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: أخّرهم إلى السحر، فأقبل يعقوب إلى مصر وخرج يوسف ليستقبله فهمّ بأن يترجّل ليعقوب ثمّ ذكر ما هو فيه من الملك فلم يفعل، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف إنّ الله عزّ وجلّ يقول لك: ما منعك أن تنزل إلى عبدي الصالح؟ ما كنت فيه؟ ابسط يدك، فبسطها فخرج من بين أصابعه نور.

فقال: ما هذا يا جبرئيل؟

فقال: هذا إنّه لا يخرج من صلبك نبيّ أبداً عقوبةً بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه.

فقال يوسف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟

لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ فقال يوسف ليعقوب: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ إلى قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

فروي في خبر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ومكث فيه ثمان عشرة سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة، فذلك مائة سنة وعشر سنين[٢].

عن إسماعيل بن همّام قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾[٣].

قال: كانت لإسحاق النبيّ عليه السلام منطقة تتوارثها الأنبياء الأكابر، وكانت عند عمّة يوسف، وكان يوسف عندها وكانت تحبّه، فبعث إليها أبوه: ابعثيه إليّ وأردّه إليك، فبعثت إليه: دعه عندي اللّيلة أشمّه ثمّ أُرسله إليك غداة.

قال: فلمّا أصبحت أخذت المنطقة فشدّتها في وسطه تحت الثياب وبعث به إلى أبيه، فلمّا خرج من عندها طلبت المنطقة فوجدت عليه، وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دفع إلى صاحب السرقة فكان عبده[٤].

عن جابر بن عبد الله قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وآله رجل من اليهود يقال له بستان اليهوديّ، فقال: يا محمّد أخبرني عن الكواكب الّتي رآها يوسف أنّها ساجدة له ما أسماؤهما؟ فلم يجبه نبيّ الله يومئذٍ في شيء، ونزل جبرئيل بعد فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بأسمائها.

قال: فبعث نبيّ الله إلى بستان فلمّا أن جاءه قال النبيّ صلى الله عليه وآله: هل أنت مسلم إن أخبرتك بأسمائها؟

قال: فقال له: نعم.

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٨٨-١٠١.
(٢) أمالي الصدوق: ص ٢٠٤/ مجلس ٤٣/ح ٧، البحار: ج ١٢/ ص ٢٥٦-٢٦١، باب ٩/ ح ٢٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٧.
(٤) علل الشرائع: ج ١/ ص ٦٧، باب ٤٢/ح ١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢/ ص ٩٢، باب ٣٢/ح ٥، البحار: ج ١٢/ ص ٢٦٢، باب ٩/ ح ٢٤.

فقال له النبيّ ﷺ: جربان والطارق والذيال وذو الكنفان وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح والضروح وذو الفزع والضياء والنور؛ رآها في أُفق السماء ساجدة له، فلمّا قصّها يوسف عليه السلام على يعقوب عليه السلام.

قال يعقوب: هذا أمر متشتّت يجمعه الله عزّ وجلّ بعد.

قال: فقال بستان: والله إنَّ هذه لأسماؤها[١].

عن محمّد بن سهل البحرانيّ يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: البكّاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمّد ﷺ وعليّ بن الحسين عليهما السلام.

فأمّا آدم: فبكى على الجنّة حتّى صار في خدَّيه أمثال الأودية.

وأمّا يعقوب: فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره وحتّى قيل له: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾[٢].

وأمّا يوسف: فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السجن فقالوا له: إمّا أن تبكي اللّيل وتسكت بالنهار، وإمّا أن تبكي النهار وتسكت باللّيل، فصالحهم على واحدة منهما.

وأمّا فاطمة: فبكت على رسول الله ﷺ حتّى تأذّى به أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتّى تنقضي حاجتها ثمّ تنصرف.

وأمّا عليّ بن الحسين عليهما السلام: فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي أخاف عليك أن تكون من الجاهلين قال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٣] إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني لذلك عبرة[٤].

(١) الخصال: ص ٤٥٤/ باب الأحد عشر/ ح ٢، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٦٣، باب ٩/ ح ٢٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٥.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٦.
(٤) الخصال: ص ٢٧٢/ باب الخمسة/ ح ١٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٦٤، باب ٩/ ح ٢٧.

عن إسحاق ابن عمّار، عن الكاهليّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ يعقوب لمّا ذهب منه ابن يامين نادى: يا ربّ أما ترحمني؟ أذهبت عينيّ، وأذهبت ابنيّ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: لو أمتّهما لأحييتهما حتّى أجمع بينك وبينهما، ولكن أما تذكر الشاة ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان إلى جنبك صائم لم تنله منها شيئاً؟

قال ابن أسباط: قال يعقوب: حدّثني الميثميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ يعقوب بعد ذلك كان ينادي مناديه كلّ غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت آل يعقوب، وإذا أمسى نادى: ألا من أراد العشاء فليأت آل يعقوب[(١)].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا نبيّ الله إنّ لي ابنة عمّ قد رضيت جمالها وحسنها ودينها ولكنّها عاقر.

فقال: لا تتزوّجها، إنّ يوسف بن يعقوب لقي أخاه فقال: يا أخي كيف استطعت أن تتزوّج النساء بعدي؟

فقال: إنّ أبي أمرني وقال: إن استطعت أن تكون لك ذرّيّة تثقل الأرض بالتسبيح فافعل[(٢)].

بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[(٣)].

قال: قامت امرأة العزيز إلى الصنم فألقت عليه ثوباً.

فقال لها يوسف: ما هذا؟

فقالت: أستحي من الصنم أن يرانا.

فقال لها يوسف: أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يأكل ولا

---

(١) المحاسن للبرقي: ص ٣٩٩، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٦٤-٢٦٥/ باب ٩/ ح ٢٨.
(٢) فروع الكافي: ج ٥/ ص ٧٦٧، باب ٢٠٥/ ح ١، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٦٦، باب ٩/ ح ٣٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

يشرب ولا أستحي أنا ممّن خلق الإنسان وعلّمه؟ فذلك قوله عزّوجلّ : ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾(١).

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن دعاء يوسف عليه السلام ما كان؟

فقال: إنّ دعاء يوسف عليه السلام كان كثيراً لكنّه لمّا اشتدّ عليه الحبس خرّ لله ساجداً وقال: «اللّهمّ إن كانت الذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً فأنا أتوجّه إليك بوجه الشيخ يعقوب».

قال: ثمَّ بكى أبو عبد الله عليه السلام وقال: صلّى الله على يعقوب وعلى يوسف، وأنا أقول: اللّهمَّ بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

عن محمّد بن أحمد بن أبي محمود، عن أبيه رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ يوسف عليه السلام لمّا أن كان في السجن شكا إلى ربّه عزّوجلّ أكل الخبز وحده، وسأل إداماً يأتدم به، وقد كان كثر عنده قطع الخبز اليابس فأمره أن يأخذ الخبز ويجعله في إجانة ويصبّ عليه الماء والملح فصار مرّيّاً وجعل يأتدم به عليه السلام (٣).

عن المفيد في كتاب حدائق الرياض: في اليوم الثالث من المحرّم كان خلاص يوسف عليه السلام من الجبّ(٤).

عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قال: لمّا أصابت امرأة العزيز الحاجة قيل لها: لو أتيت يوسف بن يعقوب فشاورت في ذلك.

فقيل لها: إنّا نخافه عليك.

قالت: كلاّ إنّي لا أخاف من يخاف الله، فلمّا دخلت عليه فرأته في ملكه قالت: الحمد لله الّذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته وجعل الملوك عبيداً بالمعصية، فتزوّجها فوجدها بكراً فقال لها: أليس هذا أحسن؟ أليس هذا أجمل؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ٢/ ص ٤٩، باب ٣١/ح ١٦٢، البحار: ج ١٢/ ص ٢٦٦، باب ٩/ ح ٣٥.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٤٢٦، والبحار: ج ١١٢/ ص ٢٦٨، باب ٩/ ٣٩.

(٣) فروع الكافي: ج ٦/ ص ١٠٧٤، باب ٢٥٠/ ح ١، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٦٨، باب ٩/ ٤٠.

(٤) إقبال الأعمال: ص ٢٨، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٦٨، باب ٩/ ح ٤١.

فقالت: إنّي كنت بليت منك بأربع خلال:

١ - كنت أجمل أهل زماني.

٢ - وكنت أجمل أهل زمانك.

٣ - وكنت بكراً.

٤ - وكان زوجي عنيناً، فلمّا كان من أمر إخوة يوسف ما كان كتب يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وهو لا يعلم أنّه يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله عزّ وجلّ إلى عزيز آل فرعون، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فإنّا أهل بيت مولعة بنا أسباب البلاء، كان جدّي إبراهيم أُلقي في النّار في طاعة ربّه فجعلها الله عزّ وجلّ عليه برداً وسلاماً، وأمر الله جدّي أن يذبح أبي ففداه بما فداه به، وكان لي ابن وكان من أعزّ الناس عليّ ففقدته فأذهب حزني عليه نور بصري، وكان له أخ من أُمّه فكنت إذا ذكرت المفقود ضممت أخاه هذا إلى صدري فأذهب عنّي بعض وجدي وهو المحبوس عندك في السرقة، وإنّي أُشهدك أنّي لم أسرق ولم ألد سارقاً.

فلمّا قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١) (٢).

وعن ابن عبّاس قال: مكث يوسف عليه السلام في منزل الملك وزليخا ثلاث سنين، ثمّ أحبّته فراودته، فبلغنا - والله أعلم - أنّها مكثت سبع سنين على صدر قدميها وهو مطرق إلى الأرض، لا يرفع طرفه إليها مخافة من ربّه، فقالت يوماً: ارفع طرفك وانظر إليّ.

قال: أخشى العمى في بصري.

قالت: ما أحسن عينيك!

قال: هما أوّل ساقط على خدّي في قبري.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٣.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٦٤٩، البحار: ج ١٢/ ص ٢٦٨-٢٦٩، باب ٩/ ح ٤٢.

قالت: ما أطيب ريحك!

قال: لو سمعت رائحتي بعد ثلاث من موتي لهربت منّي.

قالت: لمَ لا تقرب منّي؟

قال: أرجو بذلك القرب من ربّي.

قالت: فرشي الحرير فقم واقض حاجتي.

قال: أخشى أن يذهب من الجنّة نصيبي؟

قالت: أُسلّمك إلى المعذّبين قال: إذاً يكفيني ربّي(١).

عن يونس بن يعقوب، عن سهل، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا صارت الأشياء ليوسف بن يعقوب عليه السلام جعل الطعام في بيوت وأمر بعض وكلائه يبيع، فكان يقول: بع بكذا وكذا والسعر قائم، فلمّا علم أنّه يزيد في ذلك اليوم كره أن يجري الغلاء على لسانه، فقال له: اذهب فبع، ولم يسمّ له سعراً، فذهب الوكيل غير بعيد ثمّ رجع إليه فقال له: اذهب وبع، وكره أن يجري الغلاء على لسانه، فذهب الوكيل فجاء أوّل من اكتال فلمّا بلغ دون ما كال بالأمس بمكيال.

قال المشتري: حسبك إنّما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال، ثمّ جاءه آخر فقال له: كل لي فكال، فلمّا بلغ دون الّذي كال للأوّل بمكيال.

قال له المشتري: حسبك إنّما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال حتّى صار إلى واحد بواحد(٢).

سمعت محمّد بن عبد الله بن طيفور يقول في قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾(٣): إنّ يوسف رجع إلى اختيار نفسه فاختار السجن

(١) دعوات الراوندي: ص ١٢٤، والبحار: ج ١٢/ص ٢٧٠، باب ٩/ح ٤٥.
(٢) فروع الكافي: ج ٥/ ص ٦٧٦، باب ٩٥/ح ٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٧٠-٢٧١، باب ٩/ ح ٤٧.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

فوكل إلى اختياره، والتجأ نبيّ الله محمّد ﷺ إلى الخيار فتبرأ من الاختيار ودعا دعاء الافتقار فقال على رؤية الاضطرار: «يا مقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على طاعتك» فعوفي من العلّة وعصم، فاستجاب الله له وأحسن إجابته، وهو أنّ الله عصمه ظاهراً وباطناً.

وسمعته يقول في قول يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾(١) إنّ هذا مثل قول النبيّ ﷺ: «لا يلسع المؤمن من جحر مرّتين» فهذا معناه وذلك أنّه سلّم يوسف إليهم فغشّوه حين اعتمد على حفظهم له، وانقطع في رعايته إليهم، فألقوه في غيابة الجبّ وباعوه، ولمّا انقطع إلى الله عزّ وجلّ في الابن الثاني وسلّمه واعتمد في حفظه عليه وقال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٢) أقعده على سرير المملكة، وردّ يوسف إليه وخرج القوم من المحنة، واستقامت أسبابهم.

وسمعته يقول في قول يعقوب: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(٣) إنّه عرض في التأسّف بيوسف، وقد رأى في مفارقته فراقاً آخر، وفي قطيعته قطيعة أُخرى، فتلهّب عليها وتأسّف من أجلها، كقول الصادق عليه السلام في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾(٤): إنّ هذا فراق الأحبّة في دار الدنيا ليستدلّوا به على فراق المولى، فلذلك يعقوب تأسّف على يوسف من خوف فراق غيره، فذكر يوسف لذلك(٥).

عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن يعقوب حين قال لولده: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾(٦) أكان علم أنّه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عيناه من الحزن؟

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٤.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٤.
(٣) سورة يوسف، الآية ٨٤.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢١.
(٥) علل الشرائع: ج ١/ص ٦١، باب ٤١/ح١، والبحار: ج ١٢/ص ٢٧٧، باب ٩/ح ٤٩.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

قال: نعم علم أنّه حيّ.

قلت: وكيف علم؟

قال: إنّه دعا في السحر أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه تريال فهو ملك الموت.

فقال له تريال: ما حاجتك يا يعقوب؟

قال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟

فقال: بل متفرّقة وروحاً روحاً.

قال: فمرّ بك روح يوسف؟

قال: لا(١).

قال: فعند ذلك علم أنّه حي، فقال لولده: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾(٢).

عن صالح بن سعيد، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾.

قال: إنّهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنّه قال لهم حين قالوا: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾(٣) ولم يقولوا: سرقتم صواع الملك، إنّما عنى أنّكم سرقتم يوسف من أبيه(٤).

عن ابن أبي البلاد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان القميص الّذي نزل به على إبراهيم من الجنّة في قصبة من فضّة، وكان إذا لبس كان واسعاً

---

(١) روى الطبرسي رحمه الله من كتاب النبوة بإسناده إلى سدير الصيرفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن يعقوب دعا الله سبحانه أن يهبط عليه ملك الموت عليه السلام فأجابه فقال: ما حاجتك؟ قال: أخبرني هل مرّ بك روح يوسف في الأرواح؟ فقال: لا، فعلم أنه حيّ فقال: يا بنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف «منه طاب ثراه» [مجمع البيان: ج ٥/ ص ٤٤٥].

(٢) علل الشرائع: ج ١/ ص ٦٩، باب ٤٤/ ح ١، البحار: ج ١٢/ ص ٢٧٧-٢٧٨، باب ٩/ ح ١٥٠.

(٣) سورة يوسف، الآيات: ٧٠-٧٢.

(٤) علل الشرائع: ج ١/ ص ٦٨، باب ٤٣/ ح ٤. البحار: ج ١٢/ ص ٢٧٨-٢٧٩، باب ٩/ ح ٥٣.

كبيراً، فلمّا فصلوا ويعقوب بالرملة ويوسف بمصر قال يعقوب: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ عنى ريح الجنّة حين فصلوا بالقميص لأنّه كان من الجنّة(١).

عن إسماعيل بن الفضل الهاشميّ قال: قلت لجعفر بن محمّد عليه السلام: أخبرني عن يعقوب عليه السلام لمّا قال له بنوه: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ فأخّر الاستغفار لهم، ويوسف عليه السلام لمّا قالوا له: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.

قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال: لأنّ قلب الشابّ أرقّ من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف، وجنايتهم على يعقوب إنّما كانت بجنايتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقّه، وأخّر يعقوب العفو، لأنّ عفوه إنّما كان عن حقّ غيره، فأخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة.

وأمّا العلّة الّتي كانت من أجلها عرف يوسف إخوته ولم يعرفوه لمّا دخلوا عليه فإنّي سمعت محمّد بن عبد الله بن محمّد بن طيفور يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾: إنّ ذلك لتركهم حرمة يوسف، وقد يمتحن الله المرء بتركه الحرمة، ألا ترى يعقوب عليه السلام حين ترك حرمة يوسف غيّبوه عن عينه، فامتحن من حيث ترك الحرمة بغيبته عن عينه لا عن قلبه عشرين سنة، وترك إخوة يوسف حرمته في قلوبهم حيث عادوه وأرادوا القطيعة للحسد الّذي في قلوبهم فامتحنوا في قلوبكم كأنّهم يرونه ولا يعرفونه، ولم يكن لأخيه من أُمّه حسد مثل ما كان لإخوته، فلمّا دخل قال: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ على يقين عرفه فسلم من المحن فيه حين لم يترك حرمته وهكذا العباد(٢).

عن الأشعريّ، عن ابن يزيد، عن غير واحد رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا تلقّى يوسف يعقوب ترجّل له يعقوب ولم يترجّل له يوسف، فلم ينفصلا من العناق حتّى أتاه جبرئيل فقال له: يا يوسف ترجّل لك الصدّيق ولم تترجّل له؟! ابسط يدك، فبسطها فخرج نور من راحته.

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٦٩/ح ٤٥/ ح ١، البحار: ج ١٢/ ص ٢٧٩، باب ٩/ح ٥٦.
(٢) علل الشرائع: ج ١/ص ٧١، ح ٤٦/ج ١، البحار: ج ١٢/ ص ٢٨٠، باب ٩/ح ٥٧.

فقال له يوسف: ما هذا؟

قال: لا يخرج من عقبك نبيّ عقوبة(١).

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أقبل يعقوب عليه السلام إلى مصر خرج يوسف عليه السلام ليستقبله، فلمّا رآه يوسف همّ بأن يترجّل ليعقوب ثمّ نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل، فلمّا سلّم على يعقوب نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك: ما منعك أن تنزل إلى عبدي الصالح؟ ما أنت فيه؟ ابسط يدك، فبسطها فخرج من بين أصابعه نور، فقال: ما هذا يا جبرئيل؟

فقال: هذا إنّه لا يخرج من صلبك نبيّ أبداً عقوبةً لك بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه(٢).

عن ابن المغيرة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها: يا زليخا إنّا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه.

قالت: إنّي لا أخاف من يخاف الله، فلمّا دخلت قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغيّر لونك؟

قالت: الحمد لله الّذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً.

قال لها: يا زليخا ما الّذي دعاك إلى ما كان منك؟

قالت: حسن وجهك يا يوسف.

فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يقال له محمّد يكون في آخر الزمان أحسن منّي وجهاً، وأحسن منّي خلقاً، وأسمح منّي كفّاً؟

قالت: صدقت، قال: وكيف علمت أنّي صدقت؟

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٧٢/ح ٤٧/ح ١، البحار: ج ١٢/ص ٢٨٠، باب ٩/ح ٥٨.

(٢) علل الشرائع: ج ١/ص ٧٢، باب ٤٧/ح ٢، البحار: ج ١٢/ص ٢٨١، باب ٩/ح ٥٩.

قالت: لأنّك حين ذكرته وقع حبّه في قلبي، فأوحى الله عزّوجلّ إلى يوسف: أنّها قد صدقت، وإنّي قد أحببتها لحبّها محمّداً صلى الله عليه وآله، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوّجها[١].

قال الطبرسيّ رحمه الله قيل: إنّ الملك الأكبر فوّض إلى يوسف أمر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه.

وقيل: إنّ قطفير هلك في تلك اللّيالي فزوّج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء، ولمّا دخل عليها قال: أليس هذا خيراً ممّا كنت تريدين؟ وولدت له إفرائيم وميشا، واستوثق ليوسف ملك مصر.

وقيل: إنّه لم يتزوّجها يوسف، وإنّه لمّا رأته في موكبه بكت وقالت: الحمد لله الّذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً، والعبيد بالطاعة ملوكاً، فضمّها إليه وكانت من عياله حتّى ماتت ولم يتزوّجها. انتهى[٢].

يدلّ هذا الخبر وغيره ممّا أوردناه في هذا الباب على أنّه كان قد تزوَّجها.

عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ في القائم سنّة من يوسف، قلت: كأنّك تذكر حيرةً أو غيبةً؟

قال لي: وما تنكر من هذا هذه الأُمّة أشباه الخنازير، إنّ إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم يوسف: أنا يوسف، فما تنكر هذه الأُمّة الملعونة أن يكون الله عزّوجلّ في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجّته؟ لقد كان يوسف إليه ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله عزّوجلّ أن يعرف مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتّى يأذن الله عزّوجلّ له أن

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ٧٣، باب ٤٨/ح ١، البحار: ج ١٢/ ص ٢٨١-٢٨٢، باب ٩/ح ٦٠.
(٢) مجمع البيان: ج ٥/ ص ٤١٨، البحار: ج ١٢/ ص ٢٨٢، باب ٩/ ذيل ح ٦٠.

يعرّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حين قال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾(١) (٢).

عن الحسين بن عمر بن يزيد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ بني يعقوب لمّا سألوا أباهم يعقوب أن يأذن ليوسف في الخروج معهم قال لهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾(٣).

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: قرّب يعقوب لهم العلّة اعتلّوا بها في يوسف عليه السلام (٤).

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم الناس نسباً.

فقال: صدّيق الله يوسف بن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله(٥).

عن يعقوب بن سالم، عن الميثميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يعقوب عليه السلام كان له منادٍ ينادي كلّ غداة من منزله إلى فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت إلى منزل يعقوب عليه السلام، وإذا أمسى ينادي: ألا من أراد العشاء فليأت إلى منزل يعقوب عليه السلام (٦).

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قدم أعرابيّ على يوسف ليشتري منه طعاماً فباعه، فلمّا فرغ قال له يوسف: أين منزلك؟

قال له: بموضع كذا وكذا.

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٨٩-٩٠.
(٢) كمال الدين، ص ٣٢١، وعلل الشرائع: ج ١/ص ٢٨٥، باب ١٧٩/ح ٣، البحار: ج ١٢/ص ٢٨٣، باب ١٢/ح ٦١.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٣.
(٤) علل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٦، باب ٣٨٥/ح ٥٦، والبحار: ج ١٢/ص ٢٨٣، باب ١٢/ح ٦٢.
(٥) علل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١/ص ٢٢٢، باب ٢٤، ح ١، والبحار ج ١٢/ص ٢٨٤، باب ١٢/ح ٢٤.
(٦) فروع الكافي: ج ٦/ص ١٠٤٩، باب ٢١٣/ح ١، والبحار: ج ١٢/ص ٢٨٤، باب ١٢/ح ٦٦.

قال: فقال له: إذا مررت بوادي كذا وكذا فقف فناد: يا يعقوب يا يعقوب، فإنّه سيخرج إليك رجلٌ عظيمٌ جميلٌ وسيمٌ، فقل له: لقيت رجلاً بمصر وهو يقرؤك السلام ويقول لك: إنّ وديعتك عند الله عَزَّوَجَلَّ لن تضيع.

قال: فمضى الأعرابيّ حتّى انتهى إلى الموضع فقال لغلمانه: احفظوا عليّ الإبل، ثمّ نادى: يا يعقوب يا يعقوب، فخرج إليه رجل أعمى طويلٌ جسيمٌ جميلٌ يتقي الحائط بيده حتّى أقبل، فقال له الرجل: أنت يعقوب؟

قال: نعم، فأبلغه ما قال له يوسف، فسقط مغشيّاً عليه ثمّ أفاق، وقال للأعرابيّ: يا أعرابيّ ألك حاجة إلى الله تعالى؟

فقال له: نعم إنّي رجل كثير المال ولي ابنة عمّ لم يولد لي منها، وأُحبّ أن تدعو الله أن يرزقني ولداً، فتوضّأ يعقوب وصلّى ركعتين ثمّ دعا الله عَزَّوَجَلَّ فرزق أربعة بطون - أو قال: ستّة بطون - في كلّ بطن اثنان، فكان يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم أنّ يوسف حيّ لم يمت، وأنّ الله تعالى ذكره سيظهره له بعد غيبة، وكان يقول لبنيه: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وكان بنوه يفنّدونه على ذكره ليوسف حتّى أنّه لمّا وجد ريح يوسف قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَاللَّهِ﴾ وهو يهودا ابنه ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ فلمّا أن جاء البشير فألقى قميص يوسف على وجهه فارتدّ بصيراً ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١) (٢).

والدليل على أنّ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ علم بحياة يوسف وأنّه إنّما غيّب عنه لبلوى واختبار أنّه لمّا رجع إليه بنوه يبكون قال لهم: يا بنيّ ما لكم تبكون وتدعون بالويل؟ وما لي لا أرى فيكم حبيبي يوسف؟

قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ وهذا قميصه قد أتيناك به.

(١) سورة يوسف، الآيات: ٨٦-٩٦.

(٢) كمال الدين: ص ١٤٢، البحار: ج ١٢/ ص ٢٨٥-٢٨٦، باب ١٢/ ح ٦٩.

قال: ألقوه إليّ، فألقوه إليه، وألقاه على وجهه وخرّ مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قال لهم: يا بنيّ ألستم تزعمون أنّ الذئب أكل حبيبي يوسف؟

قالوا: نعم.

قال: ما لي لا أشمّ ريح لحمه؟ ومالي أرى قميصه صحيحاً؟ هبوا أنّ القميص انكشف من أسفله، أرأيتم ما كان في منكبيه وعنقه كيف يخلص إليه الذئب من غير أن يخرقه؟ إنّ هذا الذئب لمكذوب عليه، وإنّ ابني لمظلوم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(١) وتولّى عنهم ليلتهم تلك، وأقبل يرثي يوسف ويقول: حبيبي يوسف الّذي كنت أؤثره على جميع أولادي فاختلس منّي، حبيبي يوسف الّذي كنت أرجوه من بين أولادي فاختلس منّي، حبيبي يوسف الّذي كنت أُوسّده يميني وأُدثره بشمالي فاختلس منّي، حبيبي يوسف الّذي كنت أُؤنس به وحشتي وأصل به وحدتي فاختلس منّي، حبيبي يوسف ليت شعري في أيّ الجبال طرحوك، أم في أيّ البحار غرقوك؟ حبيبي يوسف ليتني كنت معك فيصيبني الّذي أصابك.

ومن الدليل على أنّ يعقوب عليه السلام علم بحياة يوسف عليه السلام وأنّه في الغيبة قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾(٢) وقوله لبنيه: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٣) (٤).

عن طربال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أمر الملك بحبس يوسف عليه السلام في السجن ألهمه الله تأويل الرؤيا فكان يعبّر لأهل السجن رؤياهم(٥).

عن عبد الله ابن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يوسف عليه السلام بين أبويه مكرماً، ثمّ صار عبداً فصار ملكاً(٥).

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ١٧-١٨.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٤.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٤) كمال الدين: ص ١٤٤، البحار: ج ١٢/ ص ٢٨٦-٢٨٧، باب ١٢/ح ٧٠.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٢٩، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٩٠، باب ١٢/ح ٧٢ و٧٣.

عن حنّان بن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أكان أولاد يعقوب أنبياء؟ قال: لا ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد أنبياء ولم يفارقوا إلا سعداء تابوا وتذكّروا ممّا صنعوا(١).

عن هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟

قال: حزن سبعين ثكلى.

قال: ولمّا كان يوسف عليه السلام في السجن دخل عليه جبرئيل.

فقال: إنّ الله ابتلاك وابتلى أباك، وإنّ الله ينجّيك من هذا السجن فاسأل الله بحق محمّد وأهل بيته أن يخلّصك ممّا أنت فيه.

فقال يوسف: «اللهم إنّي أسألك بحقّ محمّد وأهل بيته إلا عجّلت فرجي وأرحتني ممّا أنا فيه».

قال جبرئيل عليه السلام: فابشر أيّها الصدّيق فإنّ الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنّه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيّام، ويملّكك مصر وأهلها، يخدمك أشرافها، ويجمع إليك إخوتك وأباك، فابشر أيّها الصدّيق إنّك صفيّ الله وابن صفيّه، فلم يلبث يوسف عليه السلام إلا تلك اللّيلة حتّى رأى الملك رؤيا أفزعته فقصّها على أعوانه فلم يدروا ما تأويلها، فذكر الغلام الّذي نجا من السجن يوسف فقال له: أيّها الملك أرسلني إلى السجن فإنّ فيه رجلاً لم ير مثله حلماً وعلماً وتفسيراً، وقد كنت أنا وفلان غضبت علينا وأمرت بحبسنا رأينا رؤياً فعبّرها لنا وكان كما قال، ففلان صلب، وأمّا أنا فنجوت. فقال له الملك: انطلق إليه، فدخل وقال: يوسف! أفتنا في سبع بقرات، فلمّا بلغ رسالة يوسف الملك قال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ فلما بلغ يوسف رسالة الملك قال: كيف أرجو كرامته وقد عرف براءتي وحبسني سنين؟! فلمّا سمع الملك أرسل إلى النسوة.

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٢٩، البحار: ج ١٢/ ص ٢٩١، باب ١٢/ح ٧٥.

فقال: ماخطبكنّ؟

فقلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء، فأرسل إليه وأخرجه من السجن، فلمّا كلّمه أعجبه كماله وعقله، فقال له: اقصص رؤياي فإنّي أُريد أن أسمعها منك، فذكره يوسف كما رأى وفسّره، قال الملك: صدقت، فمن لي بجمع ذلك وحفظه؟

فقال يوسف: إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّي مدبّره والقيّم به في تلك السنين.

فقال له الملك: صدقت دونك خاتمي وسريري وتاجي، فأقبل يوسف على جمع الطعام في السنين السبع الخصيبة يكبسه في الخزائن في سنبله، ثمّ أقبلت السنون الجدبة فأقبل يوسف عليه السلام على بيع الطعام فباعهم في السنة الأُولى بالدراهم والدنانير حتّى لم يبق بمصر وما حولها دينارٌ ولا درهمٌ إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وباعهم في السنة الثانية بالحليّ والجواهر حتّى لم يبق بمصر وما حولها حليٌّ ولا جواهرٌ إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة الثالثة بالدوابّ والمواشي حتّى لم يبق بمصر وما حولها دابّة ولا ماشية إلا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمةٌ إلا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتّى لم يبق بمصر وما حولها دارٌ ولا عقار إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتّى لم يبق بمصر وماحولها نهر ولا مزرعة إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حرٌّ إلا صار في مملكة يوسف وصاروا عبيداً له، فقال يوسف للملك: ما ترى فيما خوّلني ربّي؟

قال: الرأي رأيك.

قال: إنّي أُشهد الله وأُشهدك أيّها الملك أنّي أعتقت أهل مصر كلّهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي، ولا تحكم إلا بحكمي، فالله أنجاهم عليّ.

فقال الملك: إنّ ذلك لديني وفخري، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّك رسوله(١)؛ وكان من إخوة يوسف وأبيه عليه السلام ما ذكرته(٢).

قال في العرائس: فلمّا تبيّن للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وعلمه وعقله قال: ائتوني به استخلصه لنفسي، فلمّا جاءه الرسول قال له: أجب الملك الآن، فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء يعرف إلى اليوم وذلك أنّه قال: «اللهمّ اعطف عليهم بقلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار» فهم أعلم النّاس

---

(١) روى الطبرسي رحمه الله من كتاب النبوة بالإسناد عن ابن عيسى، عن الوشاء، عن الرضا عليه السلام قال: وأقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن، فلما انقضت تلك السنون وأقبلت السنون المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالذهب والفضة حتى لم يبق بمصر وما حولها ذهب ولا فضة إلا صار في مملكة يوسف، ثم باعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر إلا صارت في مملكته، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صارت في مملكته، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا أمه إلا صارت في مملكته، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صاروا عبيداً ليوسف، فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم، وقال الناس: ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً. ثم قال يوسف للملك: أيها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر وأهلها؟ أشر علينا برأيك، فإني لم أصلحهم لأفسدهم، ولم أنجهم من البلاء ليكون بلاء عليهم، ولكن الله سبحانه أنجاهم على يدي، قال له الملك: الرأي رأيك، قال: اني أشهد الله وأشهدك أيها الملك أني قد اعتقت أهل مصر كلهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، وسددت عليك أيها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي، قال الملك: إن ذلك لزيني وفخري أن لا أسير إلا بسيرتك ولا أحكم إلا بحكمك، ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له، ولقد جعلت سلطاني عزيزاً لدينا مكين أمين [مجمع البيان: ج ٥/ص ٤٢٠]

أقول: وإنما أوردت هذا الخبر لما بينه وبين ما رواه الراوندي من الاختلاف في السند والمتن، ثم قال الطبري وقيل: إن يوسف عليه السلام كان لا يمتلىء شبعاً من الطعام في تلك المجدبة فقيل له: تجوع وبيدك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجياع «منه رحمه الله».

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٣٢، والبحار: ج ١٢/ص ٢٩١-٢٩٣، باب ١٢/ح ٧٦.

بالأخبار إلى اليوم في كلّ بلدة، فلمّا خرج من السجن كتب على بابه: «هذا قبور الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء» ثمّ اغتسل عليه السلام وتنظّف من درن السجن، ولبس ثياباً جدداً حساناً وقصد الملك.

قال وهب: فلمّا وقف بباب الملك قال عليه السلام: «حسبي ربّي من دنياي، وحسبي ربّي من خلقه، عزّ جاره وجلّ ثناؤه ولا إله غيره» فلمّا دخل على الملك قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شرّه وشرّ غيره» فلمّا أن نظر إليه الملك سلّم عليه يوسف بالعربيّة.

فقال له الملك: ما هذا اللّسان؟

قال: لسان عمّي إسماعيل عليه السلام، ثمّ دعا بالعبرانيّة.

فقال له الملك: ما هذا اللّسان؟

قال: لسان آبائي.

قال وهب: وكان الملك يتكلّم بسبعين لساناً، فكلّما كلّم الملك يوسف بلسان أجابه يوسف بذلك اللّسان، فأعجب الملك بما رأى منه، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فلمّا رأى الملك حداثة سنة وغزارة علمه قال لمن عنده: إنّ هذا علم تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة والكهنة، ثمّ أجلسه وقال له: إنّي أُحبّ أن أسمع رؤياي منك شفاهاً.

فقال يوسف: نعم أيّها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غرّ كشف لك عنهنّ النيل فطلعن عليك من شاطئه، تشخب أخلافهنّ لبناً فبينا أنت تنظر إليهنّ، ويعجبك حسنهنّ إذا نضب النيل وغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمأته ووحله سبع بقرات عجاف، شعث غبر، مقلّصات البطون، ليس لهنّ ضروع وأخلاف، ولهنّ أنياب وأضراس، وأكفّ كأكفّ الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترسهنّ افتراس السبع، وأكلن لحومهنّ ومزّقن جلودهنَّ وحطمن عظامهنّ وتمشّشن مخّهنّ، فبينا أنت تنظر وتتعجّب إذا سبع سنابل خضر وسبع سنابل أُخر سود في منبت واحد عروقهنّ في الثرى والماء، فبينا أنت تقول: أنّى هذا، وهؤلاء خضر مثمرات، وهؤلاء سود يابسات، والمنبت واحد، وأصولهنّ في الماء؟! أذهبت ريح فذرّت الأزقان من

السود اليابسات على الخضر المثمرات، فأشعلت فيهنّ النّار فأحرقتهنّ فصرن سوداً متغيّرات، فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا(١).

عن علاء عن محمّد قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن يعقوب عليه السلام كم عاش مع يوسف بمصر بعدما جمع الله ليعقوب شمله، وأراه تأويل رؤيا يوسف الصادقة، قال: عاش حولين.

قلت: فمن كان الحجّة في الأرض يعقوب أم يوسف؟

قال: كان يعقوب الحجّة، وكان الملك ليوسف، فلمّا مات يعقوب عليه السلام حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس، فكان يوسف بعد يعقوب الحجّة.

قلت: فكان يوسف رسولاً نبيّاً؟

قال: نعم أمّا تسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾(٢) (٣).

عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ يوسف لمّا تزوّج امرأة العزيز وجدها عذراء، فقال لها: ما حملك على الّذي صنعت؟ قالت: ثلاث خصال: الشباب، والمال، وأنّي كنت لازوج لي - يعني كان الملك عنيناً -(٤).

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا يرفعه قالت: إنّ أمرأة العزيز احتاجت فقيل لها: لو تعرّضت ليوسف عليه السلام فقعدت على الطريق، فلمّا مرّ بها قالت: الحمد لله الّذي جعل العبيد بطاعتهم لربّهم ملوكاً، والحمد لله الّذي جعل بمعصيته الملوك عبيداً.

قال: من أنت؟ قالت: أنا زليخا. فتزوّجها(٤).

عن أبي خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل يوسف عليه السلام السجن وهو

(١) عرائس المجالس للثعلبي: ص ١١١، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٩٣-٢٩٥، باب ٩، ذيل ح ٧٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٣٤.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٣٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٩٥، باب ٩/ح ٧٧.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٣٦، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٩٦، باب ٩/ح ٧٩ و٨٠.

ابن اثني عشرة سنة، ومكث فيه ثماني عشر سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة، فذلك مائة وعشر سنين(١).

عن العبّاس بن هلال الشاميّ مولى أبي الحسن عليه السلام عنه قال: قلت له: جعلت فداك ما أعجب إلى النّاس من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويتخشّع.

فقال: أما علمت أنّ يوسف عليه السلام نبيّ وابن نبيّ، كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب، ويجلس في مجالس آل فرعون يحكم، فلم يحتج النّاس إلى لباسه، وإنّما احتاجوا إلى قسطه(٢).

عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلوات الله عليه قال: عاش يعقوب مائه وعشرين سنة، وعاش يوسف مائة وعشرين سنة(٣).

عن داود بن القاسم الجعفريّ قال: سئل أبو محمد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾(٤) والسائل رجل من قم وأنا حاضر، فقال عليه السلام: ما سرق يوسف، إنّما كان ليعقوب منطقة ورثها من إبراهيم وكانت تلك المنطقة لا يسرقها أحد إلا استعبد، فكان إذا سرقها إنسان نزل جبرائيل فأخبره بذلك فأُخذ منه وأُخذ عبداً، وإنّ المنطقة كانت عند سارة بنت إسحاق بن إبراهيم، وكانت سميت أُمّ إسحاق، وإنّ سارة أحبّت يوسف وأرادت أن تتّخذه ولداً لها، وإنّها أخذت المنطقة فربطتها على وسطه، ثمَّ سدلت عليه سرباله، وقالت ليعقوب: إنّ المنطقة سرقت، فأتاه جبرائيل فقال: يا يعقوب إنّ المنطقة مع يوسف، ولم يخبره بخبر ما صنعت سارة لما أراد الله، فقام يعقوب إلى يوسف ففتّشه وهو يومئذ غلام يافع واستخرج المنطقة.

فقالت سارة بنت إسحاق: متى سرقها يوسف فأنا أحقّ به.

فقال لها يعقوب: فإنّه عبدك على أنّ لا تبيعيه ولا تهبيه، قالت: فأنا أقبله على

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٣٨، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٩٧، باب ٩/ ح ٨٢.
(٢) فروع الكافي: ج ٦/ ص ١١٤٢، باب ٣٥٢/ ح ٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٩٧، باب ٩/ ح ٨٣.
(٣) كمال الدين: ص ٤٧٤، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٩٨، باب ٩/ ح ٨٥.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٧٧.

أن لا تأخذه منّي وأنا أعتقه الساعة فأعطاها فأعتقته، فلذلك قال إخوة يوسف: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾.

قال أبو هاشم: فجعلت أُجيل هذا في نفسي أُفكّر وأتعجّب من هذا الأمر مع قرب يعقوب من يوسف وحزن يعقوب عليه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن وهو كظيم والمسافة قريبة، فأقبل عليّ أبو محمّد فقال. يا أبا هاشم نعوذ بالله ممّا جرى في نفسك من ذلك، فإنّ الله لو شاء أن يرفع السنام الأعلى بين يعقوب ويوسف حتّى كانا يتراءان فعل، ولكن له أجل هو بالغه، ومعلوم ينتهي إليه ما كان من ذلك، فالخيار من الله لأوليائه(١).

عن أبي جميلة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُوتي بقميص يوسف إلى يعقوب قال: اللّهمَّ لقد كان ذئباً رفيقاً حين لم يشقّ القميص، قال: وكان به نضح من دم(٢).

عن محمّد بن قيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ يوسف لمّا حلّ سراويله رأى مثال يعقوب عاضّاً على إصبعه وهو يقول له: يوسف!

قال: فهرب.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لكنّي والله ما رأيت عورة أبي قطّ، ولا رأى أبي عورة جدي قطّ، ولا رأى جدّي عورة أبيه قطّ، قال: وهو عاضّ على إصبعه فوثب فخرج الماء من إبهام رجله(٣).

عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أيّ شيء يقول النّاس في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾(٤)؟

قلت: يقولون: رأى يعقوب عاضّاً على إصبعه، فقال: لا، ليس كما يقولون.

فقلت: فأيّ شيء رأى؟

---

(١) الخرائج والجرائح: ج ٢/ص ٧٣٨/ح ٥٣، والبحار: ج ١٢/ص ٢٩٨، باب ٩/ح ٨٦.
(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٨٢/ح ٩، والبحار: ج ١٢/ص ٢٩٩-٣٠٠، باب ٩/ج ٨٩.
(٣) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٨٤-١٨٦، ح ١٨. من سورة يوسف. والبحار: ج ١٢/ص ٣٠٠-٣٠١، باب ٩/ح ٩٦.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

قال: لمّا همّت به وهمّ بها قامت إلى صنم معها في البيت فألقت عليه ثوباً.

فقال لها يوسف: ما صنعت؟

قالت: طرحت عليه ثوباً أستحي أن يرانا.

قال: فقال يوسف: فأنت تستحين من صنمك وهو لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي أنا من ربّي[١]؟

عن محمّد بن مروان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يوسف خطب امرأة جميلةً كانت في زمانه فردّت عليه أنّ عبد الملك إيّاي يطلب!

قال: فطلبها إلى أبيها، فقال له أبوها: إنّ الأمر أمرها، قال: فطلبها إلى ربّه وبكى، فأوحى الله إليه إنّي قد زوّجتكها؛ ثمَّ أرسل إليها إنّي أُريد أنّ أزوركم، فأرسلت إليه أن تعال، فلمّا دخل عليها أضاء البيت لنوره، فقالت: ما هذا إلا ملكٌ كريمٌ، فاستسقى فقامت إلى الطاس لتسقيه، فجعلت تتناول الطاس من يده فتناوله فاها؛ فجعل يقول لها: انتظري ولا تعجلي، قال: فتزوّجها[١].

عن طربال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أمر الملك فحبس يوسف في السجن ألهمه الله علم تأويل الرؤيا، فكان يعبّر لأهل السجن رؤياهم، وإنّ فتيين أُدخلا معه السجن يوم حبسه، فلمّا باتا أصبحا فقالا له: إنّا رأينا رؤياً فعبّرها لنا، فقال: وما رأيتما؟

فقال أحدهما: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾[٢].

وقال الآخر: رأيت أنّي أسقي الملك خمراً، ففسّر لهما رؤياهما على ما في الكتاب، ثمَّ قال للّذي ظنّ أنّه ناج منهما: اذكرني عند ربّك، قال: ولم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه فلذلك قال الله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾[٣].

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٨٤-١٨٦/ح ١٧-٢١، والبحار: ج ١٢/ص ٣٠١، باب ٩/ح ٩٧ و٩٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

قال: فأوحى الله إلى يوسف في ساعته تلك: يا يوسف من أراك الرؤيا الّتي رأيتها؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن وجّه السيارة إليك؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن علّمك الدعاء الّذي دعوت به حتّى جعل لك من الجبّ فرجاً؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن أنطق لسان الصبيّ بعذرك؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن صرف عنك كيد امرأة العزيز والنسوة؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟

قال: أنت يا ربّي.

قال: فكيف استغثت بغيري ولم تستغث بي وتسألني أن أُخرجك من السجن، واستغثت وامّلت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟ البث في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد.

قال ابن أبي عمير: قال ابن أبي حمزة: فمكث في السجن عشرين سنة[١].

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٨٧/ح ٢٣، والبحار: ج ١٢/ص ٣٠١-٣٠٢، باب ٩/ح ١٠٠.

عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال الله ليوسف: ألست الذي حبّبتك إلى أبيك وفضّلتك على النّاس بالحسن؟

أولست الّذي سقت إليك السيّارة وأنقذتك وأخرجتك من الجبّ؟

أولست الّذي صرفت عنك كيد النسوة؟

فما حملك على أن ترفع رغبتك وتدعو مخلوقاً دوني؟! فالبث لما قلت في السجن بضع سنين(١).

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم ويوسف وداود، فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ قال:

أمّا آدم: فبكى حين أخرج من الجنّة، وكان رأسه في باب من أبواب السّماء، فبكى حتّى تأذّى به أهل السماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته.

وأمّا داود: فإنّه بكى حتّى هاج العشب من دموعه، وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه.

وأمّا يوسف: فإنّه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذّى به أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً(٢).

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبق يوسف الغلاء الّذي أصاب النّاس ولم يتمنّ الغلاء لأحد قطّ، قال: فأتاه التجّار فقالوا: بعنا.

فقال: اشتروا.

فقالوا: نأخذ كذا بكذا.

قال: خذوا، وأمر فكالوهم فحملوا ومضوا حتّى دخلوا المدينة فلقاهم قوم تجّار فقالوا لهم: كيف أخذتم؟

قالوا: كذا بكذا، وأضعفوا الثمن.

قال: وقدموا أُولئك على يوسف فقالوا: بعنا.

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٨٨، ح ٢٦، والبحار: ج ١٢/ص ٣٠٢، باب ٩/ح ١٠٢.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢/ص ١٨٨/ح ٢٨، والبحار: ج ١٢/ص ٣٠٣، باب ٩/ح ١٠٤.

فقال: اشتروا كيف تأخذون، قالوا: بعنا كما بعت كذا بكذا.

فقال: ما هو كما يقولون ولكن خذوا، فأخذوا، ثمَّ مضوا حتّى دخلوا المدينة فلقاهم آخرون فقالوا: كيف أخذتم؟

فقالوا: كذا بكذا وأضعفوا الثمن.

قال: فعظّم النّاس ذلك الغلاء وقالوا: اذهبوا بنا حتّى نشتري.

قال: فذهبوا إلى يوسف فقالوا: بعنا.

فقال: اشتروا.

فقالوا: بعنا كما بعت.

فقال: وكيف بعت؟

قالوا: كذا بكذا.

فقال: ما هو كذلك ولكن خذوا.

قال: فأخذوا ورجعوا إلى المدينة فأخبروا النّاس فقالوا فيما بينهم: تعالوا حتّى نكذب في الرخص كما كذبنا في الغلاء.

قال: فذهبوا إلى يوسف فقالوا له: بعنا.

فقال: اشتروا.

فقالوا: بعنا كما بعت.

قال: وكيف بعت؟

قالوا: كذا بكذا بالحطّ من السعر الأوّل.

فقال: ما هو هكذا ولكن خذوا.

قال: فأخذوا وذهبوا إلى المدينة فلقاهم النّاس فسألوهم: بكم اشتريتم؟

فقالوا: كذا بكذا بنصف الحطّ الأوّل.

فقال آخرون: اذهبوا بنا حتّى نشتري فذهبوا إلى يوسف فقالوا: بعنا.

فقال: اشتروا.

فقالوا: بعنا كما بعت.

فقال: وكيف بعت؟

قالوا: بكذا وكذا بالحطّ من النصف.

فقال: ما هو كما يقولون ولكن خذوا؛ فلم يزالوا يتكاذبون حتّى رجع السعر إلى الامر الأوّل كما أراد الله[(١)].

عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ملك يوسف مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها[(٢)].

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدّث قال: لمّا فقد يعقوب يوسف اشتدّ حزنه عليه وبكاؤه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن واحتاج حاجة شديدة وتغيّرت حاله، قال: وكان يمتار القمح من مصر لعياله في السنة مرّتين: للشتاء والصيف وإنّه بعث عدّةً من ولده ببضاعة يسيرة إلى مصر مع رفقة خرجت، فلمّا دخلوا على يوسف وذلك بعدما ولاّه العزيز مصر فعرفهم يوسف ولم يعرفه إخوته لهيبة الملك وعزّه، فقال لهم: هلمّوا بضاعتكم قبل الرفاق.

وقال لفتيانه: عجّلوا لهؤلاء الكيل وأوفوهم فإذا فرغتم فاجعلوا بضاعتهم هذه في رحالهم ولا تعلموهم بذلك، ففعلوا، ثمّ قال لهم يوسف: قد بلغني أنّه كان لكم أخوان لأبيكم فما فعلا؟

قالوا: أمّا الكبير منهما فإنّ الذئب أكله، وأمّا الصغير فخلّفناه عند أبيه وهو به ضنين، وعليه شفيق.

قال: فإنّي أُحبّ أن تأتوني به معكم إذا جئتم لتمتاروا، فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون، قالوا سنراود عنه أباه وإنّا لفاعلون.

فلما رجعوا إلى أبيهم فتحوا متاعهم فوجدوا بضاعتهم فيه قالوا: يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا قد ردّت إلينا وكيل لنا كيل قد زاد حمل بعير، فأرسل معنا أخانا نكتل وإنّا له لحافظون.

قال: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل، فلمّا احتاجوا إلى الميرة بعد ستّة أشهر بعثهم يعقوب وبعث معهم بضاعة يسيرة وبعث معهم ابن

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٩٠/ح ٣٤، والبحار: ج ١٢/ص ٣٠٣-٣٠٤، باب ٩/ح ١٠٨.
(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٩٢/ح ٤١، والبحار: ج ١٢/ص ٣٠٥، باب ٩/ح ١١٣.

ياميل وأخذ عليهم بذلك موثقاً من الله لتأتنّني به إلا أن يحاط بكم أجمعين، فانطلقوا مع الرفاق حتّى دخلوا على يوسف، فقال لهم: معكم ابن ياميل؟

قالوا: نعم هو في الرحل.

قال لهم: فأتوني به، فأتوه به وهو في دار الملك.

فقال: أدخلوه وحده، فأدخلوه عليه فضمّه يوسف إليه وبكى وقال له: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما تراني أعمل، واكتم ما أخبرتك به ولا تحزن ولاتخف، ثمَّ أخرجه إليهم وأمر فتيته أن يأخذوا بضاعتهم ويعجّلوا لهم الكيل، فإذا فرغوا جعلوا المكيال في رحل ابن ياميل ففعلوا به ذلك، وارتحل القوم مع الرفقة فمضوا فلحقهم يوسف وفتيته فنادوا فيهم:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ قال: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾(١) قالوا: إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل، فقال لهم يوسف: ارتحلوا عن بلادنا.

قالوا: يا أيّها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً وقد أخذ علينا موثقاً من الله لنردّ به إليه فخذ أحدنا مكانه إنّا نراك من المحسنين إن فعلت.

قال: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده.

فقال كبيرهم: إنّي لست أبرح الأرض حتّى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي، ومضى إخوة يوسف حتّى دخلوا على يعقوب فقال لهم: فأين ابن ياميل؟

قالوا: ابن ياميل سرق مكيال الملك فأخذ الملك سرقته فحبس عنده، فاسأل أهل القرية والعير حتّى يخبروك بذلك، فاسترجع واستعبر واشتدّ حزنه حتّى تقوّس ظهره(٢).

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٧٠-٧٦.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٩٢/ح ٤٢، والبحار: ج ١٢/ص ٣٠٥-٣٠٦، باب ٩/ح ١١٤.

عن أبان الأحمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا دخل إخوة يوسف عليه السلام وقد جاؤوا بأخيهم معهم وضع لهم الموائد، قال: يمتار كلّ واحد منكم مع أخيه لأمّه على الخوان، فجلسوا وبقي أخوه قائماً.

فقال له: ما لك لا تجلس مع إخوتك؟

قال: ليس لي منهم أخ من أمّي.

قال: فلك أخ من أمّك زعم هؤلاء أن الذئب أكله؟

قال: نعم.

قال: فاقعد وكل معي.

قال: فترك إخوته الأكل قالوا إنّا نريد أمراً ويأبى الله إلا أن يرفع ولد يامين علينا، ثمّ قال حين فرغوا من جهازهم أمر أن يضع الصاع في رحل أخيه، فلمّا فصلوا نادى مناد: أيّتها العير إنّكم لسارقون.

قال: فرجعوا فقالوا: ماذا تفقدون ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ إلى قوله: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ يعنون السنّة الّتي تجري فيهم أن يحبسه، فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثمّ استخرجها من وعاء أخيه.

فقالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل.

قال الحسن بن عليّ الوشّاء فسمعت الرضا عليه السلام يقول: يعنون المنطقة، فلمّا فرغ من غدائه قال: ما بلغ من حزنك على أخيك؟

قال: ولد لي عشرة أولاد فكلهم شققت لهم من اسمه.

قال: فقال له: ماأراك حزنت عليه حيث اتّخذت النساء من بعده؟

قال: أيّها العزيز إنّ لي أباً شيخاً كبيراً صالحاً فقال: يا بنيّ تزوج لعلّك أن تصيب ولداً يثقل الأرض بشهادة أن لا إله إلا الله.

قال أبو محمّد عبد الله بن محمّد: هذا من رواية الرضا عليه السلام (١).

عن عليّ بن مهزيار، عن بعض أصحابنا، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ١٩٤/ ح ٤٤، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٠٧، باب ٩/ ح ١١٥.

قال: وقد كان هيّأ لهم طعاماً فلمّا دخلوا إليه قال: ليجلس كلّ بني أُمّ على مائدة قال: فجلسوا وبقي ابن يامين قائماً، فقال له يوسف: ما لك لا تجلس؟

قال له: إنّك قلت: ليجلس كلّ بني أُمّ على مائدة وليس لي منهم ابن أُمّ.

فقال يوسف: أما كان لك ابن أمّ؟

قال له ابن يامين: بلى.

قال يوسف: فما فعل؟

قال: زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله.

قال: فما بلغ من حزنك عليه؟

قال: ولد لي أحد عشر ابناً كلّهم اشتقّ له اسماً من اسمه.

فقال له يوسف: أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده!

قال له ابن يامين: إنّ لي أباً صالحاً وإنّه قال: تزوّج لعلّ الله أن يخرج منك ذرّيّة تثقل الأرض بالتسبيح.

فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي.

فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله يوسف وأخاه حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته[١].

عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر بني يعقوب قال: كانوا إذا غضبوا اشتدّ غضبهم حتّى تقطر جلودهم دماً أصفر وهم يقولون: خذ أحدنا مكانه، يعني جزاؤه، فأخذ الّذي وجد الصاع عنده[٢].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا استيأس إخوة يوسف من أخيهم قال لهم يهودا، وكان أكبرهم: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[٣] قال: ورجع إلى يوسف يكلّمه في أخيه فكلّمه حتّى

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ١٩٤/ح ٤٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٠٧-٣٠٨، باب ٩/ح ١١٦.
(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ١٩٦/ح ٥٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٠٨، باب ٩/ح ١٢١.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب يهودا، وكان إذا غضب قامت شعرة في كتفه وخرج منها الدم، قال: وكان بين يدي يوسف ابن له صغير معه رمّانة من ذهب وكان الصبيّ يلعب بها.

قال: فأخذها يوسف من الصبيّ فدحرجها نحو يهودا.

قال: وحبا الصبيّ ليأخذها فمسّ يهودا فسكن يهودا، ثمَّ عاد إلى يوسف فكلّمه في أخيه حتّى ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب يهودا وقامت الشعرة وسال منها الدم، فأخذ يوسف الرمّانة من الصبيّ فدحرجها نحو يهودا، وحبا الصبيّ نحو يهودا فسكن يهودا، فقال يهودا: إنّ في البيت معنا لبعض ولد يعقوب.

قال: فعند ذلك قال لهم يوسف: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾(١).

وفي رواية هشام بن سالم عنه عليه السلام قال: لمّا أخذ يوسف أخاه اجتمع عليه إخوته فقالوا له: خذ أحدنا مكانه وجلودهم تقطر دماً أصفر، وهم يقولون: خذ أحدنا مكانه.

قال: فلمّا أن أبى عليهم وأُخرجوا من عنده قال لهم يهودا: قد علمتم ما فعلتم بيوسف، فلن أبرح الأرض حتّى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين.

قال: فرجعوا إلى أبيهم وتخلّف يهودا.

قال: فدخل على يوسف فكلّمه في أخيه حتّى ارتفع الكلام بينه وبينه وغضب، وكان على كتفه شعرة إذا غضب قامت الشعرة فلا تزال تقذف بالدم حتّى يمسّه بعض ولد يعقوب.

قال: فكان بين يدي يوسف ابن له صغير في يده رمّانة من ذهب يلعب بها، فلمّا رآه يوسف قد غضب وقامت الشعرة تقذف بالدم أخذ الرمّانة من يدي الصبيّ ثمّ دحرجها نحو يهودا وابتغى الصبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهودا.

قال: فذهب غضبه.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٩.

قال: فارتاب يهودا ورجع الصبيّ بالرمّانة إلى يوسف، ثمّ ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب وقامت الشعرة فجعلت تقذف بالدم، فلمّا رأى يوسف دحرج الرمّانة نحو يهودا واتّبعها الصبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهودا فسكن غضبه.

قال: فقال يهودا: إنّ في البيت لمن ولد يعقوب حتّى صنع ذلك ثلاث مرّات(١).

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي لا أزال بهذه الأرض ولا أزول عنها وهي أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في البراح والرجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ بالخروج وترك أخي هنا؛ وقيل: بالموت.

وقيل: بما يكون عذراً لنا عند أبينا، عن أبي مسلم.

وقيل: بالسيف حتّى أُحارب من حبس أخي، عن الجبائيّ انتهى(٢).

عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يعقوب أتى ملكاً بناحيتكم يسأله الحاجة، فقال له الملك: أنت إبراهيم؟

قال: لا.

قال: وأنت إسحاق بن إبراهيم؟

قال: لا.

قال: فمن أنت.

قال: أنا يعقوب بن إسحاق.

قال: فما بلغ بك ما أرى مع حداثة السنّ؟

قال: الحزن على يوسف.

قال: لقد بلغ بك الحزن يا يعقوب كلّ مبلغ.

فقال: إنّا معشر الأنبياء أسرع شيء البلاء إلينا، ثمَّ الأمثل فالأمثل من النّاس،

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٩٨/ح ٥٦ من سورة يوسف، البحار: ج ١٢/ص ٣٠٩-٣١٠، باب ٩/ح ١٢٢.

(٢) مجمع البيان: ج ٥/ص ٤٤٠، والبحار: ج ١٢/ص ٣١٠، باب ٩/ذيل ح ١٢٢.

فقضى حاجته فلمّا جاوز بابه هبط عليه جبرئيل فقال له: يا يعقوب ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: شكوتني إلى الناس؟! فعفّر وجهه في التراب، وقال: يا ربّ زلّة أقلنيها فلا أعود بعد هذا أبداً، ثمّ عاد إليه جبرئيل فقال: يا يعقوب ارفع رأسك، ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: قد أقلتك فلا تعود تشكوني إلى خلقي، فما رئي ناطقاً بكلمة ممّا كان فيه حتّى أتاه بنوه فصرف وجهه إلى الحائط وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام عاد إلى الحديث الأوّل قال: واشتدّ حزنه - يعني يعقوب - حتّى تقوّس ظهره، وأدبرت الدنيا عن يعقوب وولده حتّى احتاجوا حاجة شديدة وفنيت ميرهم، فعند ذلك قال يعقوب لولده: ﴿ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢) فخرج منهم نفر وبعث معهم ببضاعة يسيرة وكتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يعطفه على نفسه وولده، وأوصى ولده أن يبدأوا بدفع كتابه قبل البضاعة فكتب(٣):

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله صاحب نمرود الّذي جمع لإبراهيم الحطب والنّار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأنجاه منها، أخبرك أيّها العزيز إنّا أهل بيت قديم لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله ليبلونا بذلك عند السرّاء والضرّاء،

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٢٠٠/ح ٦١، والبحار: ج ١٢/ص ٣١١-٣١٢، باب ٩/ح ١٢٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٣) روى الطبرسي رحمه الله من كتاب النبوة باسناده عن الحسن بن محبوب، عن أبي اسماعيل الفراء، عن طربال، عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر، وذكر الكتاب مثل ما في رواية أبي بصير إلى قوله: واسمح لنا في السعر وأوف لنا الكيل وعجل سراح آل إبراهيم قال: فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخينا ابن يامين وهذا كتاب يعقوب أبينا إليك في أمره، يسألك تخلية سبيله فمن به علينا. فأخذ يوسف الكتاب فقبّله ووضعه على عينيه وبكى وأنتحب حتى بل دموعه القميص الذي عليه ثم أقبل عليهم فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ الآية «منه رحمه الله» [معجم البيان: ج ٥/ص ٤٥٠].

وإنّ مصائب تتابعت عليّ منذ عشرين سنة، أوّلها أنّه كان لي ابن سمّيته يوسف، وكان سروري من بين ولدي، وقرّة عيني، وثمرة فؤادي، وإنّ إخوته من غير أُمّه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرةً، وإنّهم جاؤوني عشاءً يبكون وجاؤوني على قميصه بدم كذب فزعموا أن الذئب أكله، فاشتدّ لفقده حزني، وكثر على فراقه بكائي حتّى ابيضّت عيناي من الحزن، وإنّه كان له أخ من خالته وكنت به معجباً وعليه رفيقاً، وكان لي أنيساً، وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فيسكن بعض ما أجد في صدري، وإنّ إخوته ذكروا لي أنّك أيّها العزيز سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به وإن لم يأتوك به منعتهم الميرة لنا من القمح من مصر فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا إليّ فليس هو معهم، وذكروا أنّه سرق مكيال الملك، ونحن أهل بيت لا نسرق، وقد حبسته وفجعتني به، وقد اشتدّ لفراقه حزني حتّى تقوّس لذلك ظهري، وعظمت به مصيبتي مع مصائب متتابعات عليّ، فمنَّ عليّ بتخلية سبيله وإطلاقه من محبسه وطيّب لنا القمح، واسمح لنا في السعر، وعجّل سراح آل يعقوب.

فلمّا مضى ولد يعقوب من عنده نحو مصر بكتابه نزل جبرئيل على يعقوب فقال له: يا يعقوب إنّ ربّك يقول لك: من ابتلاك بمصائبك الّتي كتبت بها إلى عزيز مصر؟

قال يعقوب: أنت بلوتني بها عقوبةً منك وأدباً لي.

قال الله: فهل كان يقدر على صرفها عنك أحد غيري؟

قال يعقوب: اللّهمَّ لا، قال: أفما استحييت منّي حين شكوت مصائبك إلى غيري ولم تستغث بي وتشكو ما بك إليّ؟!

فقال يعقوب: أستغفرك يا إلهي وأتوب إليك وأشكو بثّي وحزني إليك.

فقال الله تبارك وتعالى: قد بلغت بك يا يعقوب وبولدك الخاطئين الغاية في أدبي، ولو كنت يا يعقوب شكوت مصائبك إليّ عند نزولها بك واستغفرت وتبت إليّ من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إيّاها عليّك، ولكنّ الشيطان أنساك ذكري فصرت إلى القنوط من رحمتي، وأنا الله الجواد الكريم، أُحبّ عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إليّ فيما عندي؛ يا يعقوب أنارادّ إليك يوسف

وأخاه، ومعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك، ورادّ إليك بصرك، ويقوم لك ظهرك، فطب نفساً، وقرّ عيناً، وإنّ الّذي فعلته بك كان أدباً منّي لك فاقبل أدبي.

ومضى ولد يعقوب بكتابه نحو مصر حتّى دخلوا على يوسف في دار المملكة فقالوا: يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضرّ وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا بأخينا ابن يامين، وهذا كتاب أبينا يعقوب إليك في أمره يسألك أن تمنّ به عليه.

قال: فأخذ يوسف كتاب يعقوب فقبّله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتّى بلّت دموعه القميص الّذي عليه، ثمَّ أقبل عليهم فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف من قبل وأخيه من بعد؟

قالوا: ءإنك لأنت يوسف؟

قال: أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا.

وقالوا: تالله لقد آثرك الله علينا فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا.

قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم(١).

في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه عليه السلام قال: يوم الأربعاء أُدخل يوسف السجن(٢).

عن مقرن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب عزيز مصر إلى يعقوب: أمّا بعد فهذا ابنك يوسف اشتريته بثمن بخس دراهم معدودة واتّخذته عبداً، وهذا ابنك ابن يامين أخذته قد سرق واتّخذته عبداً.

قال: فما ورد على يعقوب شيء أشدّ عليه من ذلك الكتاب فقال للرسول: مكانك حتّى أجيبه؟

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٢٠١-٢٠٤/ح ٦٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٣١٢-٣١٤، باب ٩/ ح ١٢٩.
(٢) الخصال: ص ٣٨٨، باب السبعة/ح ٧٨، وعلل الشرائع: ج ٢/ ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ ح ٤٤. وعيون أخبار الرضا: ج ١/ ص ٢٢٤، باب ٢٤/ ح ١، والبحار: ج ١٢/ ص ٣١٦، باب ٩/ ح ١٣٤.

فكتب إليه يعقوب: أمّا بعد فقد فهمت كتابك أنّك أخذت ابني بثمن بخس واتّخذته عبداً، وأنّك اتّخذت ابني ابن يامين وقد سرق فاتّخذته عبداً، فإنّا أهل بيت لا نسرق، ولكنّا أهل بيت نبتلى، وقد ابتلى أبونا إبراهيم بالنار فوقاه الله، وابتلى أبونا إسحاق بالذبح فوقاه الله، وإنّي قد ابتليت بذهاب بصري وذهاب ابني وعسى الله أنّ يأتيني بهم جميعاً.

قال: فلمّا ولّى الرسول عنه رفع يده إلى السماء ثمّ قال: «يا حسن الصحبة ياكريم المعونة يا خيراً كلّه ائتني بروح منك وفرج من عندك».

قال: فهبط عليه جبرئيل فقال: يا يعقوب ألا أعلّمك دعوات يردّ الله عليك بها بصرك ويردّ عليك ابنيك؟

فقال: بلى.

فقال: قل: «يا من لا يعلم أحد كيف هو وحيث هو وقدرته إلا هو، يامن سدّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء ائتني بروح منك وفرج من عندك» فما انفجر عمود الصبح حتّى أُتي بالقميص فطرح على وجهه فردّ الله عليه بصره وردّ عليه ولده(١).

عن محمّد بن بهروز، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ يعقوب قال ليوسف حيث التقيا: أخبرني يا بنيّ كيف صنع بك؟

فقال له يوسف: انطلق بي فأُقعدت على رأس الجبّ فقيل لي: انزع القميص، فقلت لهم: إنّي أسألك بوجه أبي الصدّيق يعقوب أن لا تبدوا عورتي ولا تسلبوني قميصي.

قال: فأخرج عليّ فلان السكّين؛ فغشي على يعقوب، فلمّا أفاق قال له يعقوب: حدّثني كيف صنع بك؟

فقال له يوسف: إنّي أُطالب يا أبتاه لمّا كففت، فكفّ(٢).

ذكر السيّد في سعد السعود نقلاً عن ترجمة التوراة إنّ إخوة يوسف باعوه

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٢٠٦/ح ٧٨، والبحار: ج ١٢/ ص ٣١٦-٣١٧، باب ٩/ح ١٣٨.
(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٢٠٩/ح ٨٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٣١٩، باب ٩/ ح ١٤٦.

بعشرين مثقالاً من فضّة، وأنّ عمره كان عشرين سنة، وأنّ عمر يعقوب كان مائة وسبعاً وأربعين سنة، وأنّ يوسف بكى على أبيه سبعة أيّام، وناح المقرّبون عليه سبعين يوماً، وأنّ عمر يوسف كان مائة وعشرين سنة، ثمّ قال: وذكر محمّد بن خالد البرقيّ في كتاب المبتدأ أنّ عمره يوم باعوه كان ثلاثة عشر سنة(١).

ثمّ قال قدّس الله روحه: مسألة: فإن قال: فلم أرسل يعقوب عليه السلام يوسف مع إخوته مع خوفه عليه منهم، وقوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾(٢) وهل هذا إلا تغرير به ومخاطرة؟

الجواب: قيل له: ليس يمتنع أن يكون يعقوب لمّا رأى من بنيه ما رأى من الإيمان والعهود والاجتهاد في الحفظ والرعاية لأخيهم ظنّ مع ذلك السّلامة، وغلّب النجاة بعد أن كان خائفاً مغلّباً لغير السّلامة، وقوي في نفسه أن يرسله معهم إشفاقه من إيقاع الوحشة والعداوة بينهم، لأنّه إذا لم يرسله مع الطلب منهم والحرص علموا أنّ سبب ذلك هو التهمة لهم والخوف من ناحيتهم واستوحشوا منه ومن يوسف عليه السلام وانضاف هذا الداعي إلى ما ظنه من السلامة والنجاة فأرسله.

مسألة: فأنّ قال: فما معنى قولهم ليعقوب عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾(٣) وكيف يجوز أن ينسبوه إلى أنّه لا يصدق الصادق ويكذّبه؟

الجواب: إنّهم لمّا علموا على مرور الايّام شدّة تهمة أبيهم لهم وخوفه على أخيهم منهم لمّا كان يظهر منهم من أمارات الحسد والنفاسة أيقنوا بأنّه يكذّبهم فيما أخبروا به من أكل الذئب أخاهم فقالوا له: إنّك لا تصدّقنا في هذا الخبر لماسبق إلى قلبك من تهمتنا وإن كنّا صادقين، وقد يفعل مثل ذلك المخادع المماكر إذا أراد أن يوقع في قلب من يخبره بالشيء ليصدّقه فيقول له: أنا أعلم أنّك لا تصدّقني في كذا وكذا وإن كنت صادقاً، وهذا بيّن.

مسألة: فإن قال: فلمَ أسرف يعقوب عليه السلام في الحزن والتهلك وترك التماسك

(١) سعد السعود: ص ٤٣، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٢٠، باب ٩/ ذيل ح ١٤٨.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٧.

حتّى ابيضّت عيناه من البكاء؟ ومن شأن الأنبياء التجلّد والتصبّر وتحمّل الاثقال ولهذه الحالة ما عظمت منازلهم وارتفعت درجاتهم.

الجواب: قيل له: إنّ يعقوب عليه السلام بلي وامتحن في ابنه بما لم يمتحن به أحد قبله، لأنّ الله تعالى رزقه من يوسف أحسن النّاس وأجملهم وأكملهم علماً وفضلاً وأدباً وعفافاً، ثمَّ أُصيب به أعجب مصيبة وأطرفها، لأنّه لم يمرض بين يديه مرضاً يؤول إلى الموت فيسليه عنه تمريضه له ثمَّ يئس منه بالموت، بل فقده فقداً لا يقطع معه على الهلاك فييأس ولا يجد أمارة على حياته وسلامته فيرجو ويطمع، فكان متردّد الفكر بين يأس وطمع وهذا أغلظ ما يكون على الإنسان وأنكى لقلبه، وقد يرد على الإنسان من الحزن ما لايملك رده ولا يقوى على دفعه، ولهذا لم يكن أحد منهيّاً عن مجرّد الحزن والبكاء، وإنّما نهي عن اللّطم والنوح وأن يطلق لسانه بما يسخط ربّه، وقد بكى نبيّنا صلى الله عليه وآله على ابنه إبراهيم عند وفاته وقال: «العين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول ما يسخط الربّ» وهو عليه الصلاة والسلام القدوة في جميع الآداب والفضائل؛ على أنّ يعقوب عليه السلام إنّما أبدى من حزنه يسيراً من كثير، وكان ما يخبه ويتصبر عليه ويغالبه أكثر وأوسع ممّا أظهره، وبعد فإنّ التجلد على المصائب وكظم الحزن من المندوب إليه، وليس بواجب لازم، وقد يعدل الأنبياء عليهم السلام عن كثير من المندوبات. انتهى كلامه رفع الله مقامه(١).

أقول: قد حققنا في بعض كتبنا أنّ محبّة المقرّبين لاولادهم وأقربائهم وأحبّائهم ليست من جهة الدواعي النفسانيّة والشهوات البشريّة، بل تجرّدوا عن جميع ذلك، وأخلصوا حبّهم وودّهم وإرادتهم لله، فهم ما يحبّون سوى الله تعالى، وحبّهم لغيره تعالى إنّما يرجع إلى حبّهم له، ولذا لم يحبّ يعقوب عليه السلام من سائر أولاده مثل ما أحبّ يوسف عليه السلام وهم لجهلهم بسبب حبه له نسبوه إلى الضلال وقالوا: نحن عصبة ونحن أحقّ بأن نكون محبوبين له، لأنّا أقوياء على تمشية ما يريده من أمور الدنيا، ففرط حبّه ليوسف إنّما كان لحبّ الله تعالى له واصطفائه إيّاه، ومحبوب المحبوب محبوب، فإفراطه في حبّ يوسف لا ينافي

(١) تنزيه الأنبياء: ص ٤٦-٤٧، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٢٤-٣٢٥، باب ٩/ ذيل ح ١٤٨.

خلوص حبه لربّه، ولا يخلُّ بعلوّ قدره ومنزلته عند سيّده، وسيأتي الكلام في ذلك على وجه أبسط في محلّه، وفيما أوردته كفاية لأولي الألباب.

ثمّ قال رحمه الله:

مسألة: فإن قال: كيف لم يتسلّ يعقوب عليه السلام ويخفّف عنه الحزن ما تحقّقه من رؤيا ابنه يوسف ورؤيا الأنبياء لا تكون إلّا صادقة؟

الجواب: قيل له: عن ذلك جوابان:

أحدهما: أنّ يوسف عليه السلام رأى تلك الرؤيا وهو صبيّ غير نبيّ ولا موحى إليه، فلا وجه في تلك الحال للقطع على صدقها وصحّتها.

والآخر: إنّ أكثر ما في هذا الباب أن يكون يعقوب عليه السلام قاطعاً على بقاء ابنه وأنّ الأمر سيؤول فيه إلى ما تضمّنته الرؤيا، وهذا لا يوجب نفي الحزن والجزع، لأنّا نعلم أنّ طول المفارقة واستمرار الغيبة تقتضيان الحزن مع القطع على أنّ المفارق باق يجوز أن يؤول حاله إلى القدوم، وقد جزع الأنبياء عليهم السلام ومن جرى مجراهم من المؤمنين انمطهّرين من مفارقة أولادهم وأحبّائهم مع ثقتهم بالالتقاء بهم في الآخرة والحصول معهم في الجنّة، والوجه في ذلك ما ذكرناه. انتهى كلامه رحمه الله [١].

الفصل الثاني: في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[٢] ولنذكر هنا ما أورده الرازيّ في تفسيره في هذا المقام فإنّ اعتراف الخصم أجدى لإتمام المرام:

قال: اعلم أنّ هذه الآية من المهمّات الّتي يجب الاعتناء بالبحث عنها، وفي هذه الآية مسائل.

المسألة الأولى: في أنّه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا؟ وفي هذه المسألة قولان:

أحدهما: أنّ يوسف عليه السلام همّ بالفاحشة، قال الواحديّ في كتاب البسيط:

---

(١) تنزيه الأنبياء: ص ٣٧، والبحار: ص ٣٢٥-٣٢٦، باب ٩/ج ١٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

قال المفسّرون الموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم: همّ يوسف أيضاً بهذه المرأة همّاً صحيحاً، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلمّا رأى البرهان من ربّه زالت كلّ شهوة عنه. قال أبو جعفر الباقر بإسناده عن عليّ أنّه قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان طمعه فيها أنّه هم أن يحل التكّة.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخائن، وعنه أيضاً أنّها استلقت له وقعد هو بين رجليها ينزع ثيابه. ثم إنّ الواحديّ طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب، وما ذكر آية يحتجّ بها، أو حديثاً صحيحاً يعوّل عليه في تصحيح هذه المقالة، ولمّا أمعن في الكلمات العارية عن الفائدة روى أنّ يوسف لمّا قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾(١) قال له جبرئيل: ولا حين هممت يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ ثمّ قال: والّذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الّذين نفوا لهم عنه! فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب.

والقول الثاني: أنّ يوسف عليه السلام كان بريئاً من العمل الباطل والهمّ المحرّم، وهذا قول المحقّقين من المفسّرين والمتكلّمين وبه نقول وعنه نذبّ.

واعلم أنّ الدلائل الدالّة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة استقصيناها في سورة البقرة في قصّة آدم عليه السلام فلا نعيدها إلاّ أنّا نزيد ههنا وجوهاً:

فالحجة الأولى: إنّ الزنا من منكرات الكبائر، والخيانة من معرض الأمانة من منكرات الذنوب، وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم الدائم بالإساءة الموجبة للفضيحة الباقية والعار الشديد من منكرات الذنوب، وأيضاً الصبيّ إذا تربّى في حجر إنسان وبقي مكفيّ المؤونة مصون العرض من أوّل صباه إلى زمان شبابه وكمال قوّته فإقدام هذا الصبيّ على إيصال أقبح أنواع الاساءة إلى ذلك المنعم من منكرات الأعمال.

إذا ثبت هذا فنقول: إنّ هذه المعصية الّتي نسبوها إلى يوسف كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربعة، ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٢.

وأبعدهم عن كلّ خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسناده إلى الرسول المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة؟

الثاني: أنّه تعالى قال في عين هذه الواقعة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾[١] وذلك يدلّ على أنّ ماهيّة السوء وماهية الفحشاء مصروفة عنه، ولا شكّ أنّ المعصية الّتي نسبوها إليه أعظم أنواع السوء وأفحش أقسام الفحشاء، فكيف يليق بربّ العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء والفحشاء مع أنّه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء؟! وأيضاً فالآية تدلّ على قولنا من وجه آخر: وذلك لأنّا نقول: هب أنّ هذه الآية لا تدلّ على نفي هذه المعصية عنه إلا أنّه لاشك أنّها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ولا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثمَّ إنّه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والاثنية عقيب أن يحكي عنه ذلك الذنب العظيم، فإنّ مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال ثمَّ يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه، فإنَّ ذلك يستنكر جدّاً فكذا ههنا.

الثالث: إنّ الأنبياء متى صدرت عنهم زلة أوهفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنّه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنبٌ ولا معصيةٌ.

الرابع: إنّ كلّ من كان له تعلّق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عن المعصية.

واعلم أنّ الّذين لهم تعلّق بهذه الواقعة: يوسف، وتلك المرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود، وربّ العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أيضاً أقرّ ببراءته عن المعصية، وإذا كان الامر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقّف في هذا الباب.

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

أمّا بيان أنّ يوسف عليه السلام ادعي البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[(١)] وقوله عليه السلام ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾[(٢)].

وأمّا بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلانها قالت للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[(٣)] وأيضاً قالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٤)].

وأمّا بيان أنّ زوج المرأة أقر بذلك فهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾.

وأمّا النسوة فلقولهن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[(٥)] وقولهن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾.

وأمّا الشهود فقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ إلى آخر الآية.

وأمّا شهادة الله بذلك فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات:

أوّلها: قوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة والثاني قوله: ﴿ٱلْفَحْشَآءَ﴾ أي كذلك لنصرف عنه الفحشاء، والثالث قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾[(٦)] مع أنّه تعالى قال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[(٧)] الرابع قوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل، وتارة باسم المفعول، فوروده باسم الفاعل دلّ على كونه آتياً بالطاعات والقربات مع صفة الاخلاص، وورده باسم المفعول يدلّ على أنّ الله تعالى

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٦.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٣.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٢.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٥١.
(٥) سورة يوسف، الآية: الآيتان: ٢٩-٣٠.
(٦) سورة يوسف، الآيات: ٢٤-٢٦.
(٧) سورة الرحمن: الآية: ٦٣.

استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته، وعلى كلا الوجهين فإنّه من أدل الالفاظ على كونه منزّهاً ممّا أضافوه إليه.

وأمّا بيان أنّ إبليس أقر بطهارته فلانه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فأقر بأنّه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ وكان هذا إقراراً من إبليس بأنّه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى، وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الّذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله على طهارته، وإنّ كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعلّهم يقولون: كنا في أوّل الامر تلامذة إبليس إلا أنا تخرجنا وزدنا عليه في السفاهة كما قال الحروريّ:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى بي الامر حتى صار إبليس من جندي

فلو مات قبلي كنت أُحسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

فثبت بهذه الدلائل أنّ يوسف عليه السلام بريء عمّا يقوله هؤلاء الجهّال.

وإذا عرفت هذا فنقول: الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين:

المقام الأوّل: أن نقول: لا نسلّم أنّ يوسف عليه السلام همّ بها، والدليل عليه أنّه تعالى قال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وجواب لولا ههنا مقدم وهو كما يقال: قد كنت من الهالكين لولا اخلصك، وطعن الزجّاج في هذا الجواب من وجهين:

الأوّل: أنّ تقدّم جواب لولا شاذّ وغير موجود في الكلام الفصيح.

الثاني: أنّ لولا يجاب باللّام فلو كان الامر على ما ذكرتم لقال: ولقد همّت به ولهمَّ بها، وذكر غير الزجّاج سؤالا ثالثاً وهو أنّه لو لم يوجد الهم لما بقي لقوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فائدة.

واعلم أنّ ما ذكره الزجّاج بعيد لأنّا نسلّم أنّ تأخير جواب لولا حسن جائز إلاّ أنّ جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، وكيف ونقل عن سيبويه أنّه قال: إنهم يقدّمون الاهمّ، والّذي همّ بشأنه أعنى، فكان الامر في جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام، فأمّا تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك ما لا يليق

بالحكمة، وأيضاً ذكر جواب لولا باللاّم جائز، أمّا هذا لا يدلّ على أنّ ذكره بغير اللاّم لايجوز، لأنّا نذكر آية أُخرى تدلّ على فساد قول الزجّاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾(١).

وأما السؤال الثالث وهو أنّه لو لم يوجد الهّم لم يبق لقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فائدة، فنقول: بل فيه أعظم الفوائد وهو بيان أنّ ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن، بل لاجل أنّ دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل، ثمّ نقول: الّذي يدلّ على أنّ جواب لولا ما ذكرناه أنّ لولا يستدعي جواباً وهذ المذكور يصلح جواباً له فوجب الحكم بكونه جواباً له.

لا يقال: إنّا نضمر له جواباً وترك الجواب كثير في القرآن، فنقول: لا نزاع أنّه كثير في القرآن إلاّ أنّ الاصل أن لا يكون محذوفاً.

وأيضاً فالجواب إنّما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في الملفوظ ما يدلُّ على تعيّنه، فههنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفاً فليس في اللّفظ ما يدلّ على تعيين ذلك الجواب، فإنَّ ههنا أنواعاً من الإضمارات يحسن إضمار كلّ واحد منها، وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقي فظهر الفرق.

المقام الثاني في الكلام على هذه الآية أنّ نقول: سلّمنا أنّ الهمّ قد حصل، إلاّ أنّا نقول: إنّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره، لأنّ تعليق الهمّ بذات المرأة محال، لأنّ الهمّ من جنس القصد، والقصد لا يتعلّق بالذوات الباقية، فثبت أنّه لا بدّ من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلّق ذلك الهم، وذلك الفعل غير مذكور، فهم زعموا أنّ ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة، ونحن نضمر شيئاً آخر يغاير ما ذكروه، وبيانه من وجوه:

الأوّل: المراد أنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ همّ بدفعها عن نفسه ومنعها من ذلك القبيح لأنّ الهمّ هو القصد فوجب أن يحمل في حقّ كلّ واحد على القصد الّذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللّذّة والتنعم والتمتع، واللائق بالرسول المبعوث إلى

(١) سورة القصص، الآية: ١٠.

الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فائدة قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين:

الأوّل: أنّه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنّه لوهمّ بدفعها لقتلته، أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه تعالى أنّ الإمتناع من ضربها أولى صوناً للنفس عن الهلاك.

والثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به فكان يتمزّق ثوبه من قدّام، وكان في علم الله تعالى أنّ الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الجاني، ولو كان ثوبه متمزقا من خلف لكانت المرأة هي الجانية، فالله تعالى أعلمه هذا المعنى فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه، بل ولّى هارباً عنها حتّى صارت شهادة الشاهد حجّة له على براءته عن المعصية.

الوجه الثاني في الجواب: أن نفسّر الهم بالشهوة، وهذا مستعمل في اللّغة الشائعة يقول القائل فيما لا يشتهيه: ما يهمّني هذا؛ وفيما يشتهيه: هذا أهمّ الأشياء إليّ، فسمّى الله تعالى شهوة يوسف همّاً، فمعنى الآية: ولقد اشتهته واشتهاها ولولا أن رأى برهان ربّه لدخل ذلك العمل في الوجود.

الثالث: أن نفسر الهمّ بحديث النفس، وذلك لأنّ المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزيّنت وتهيأت للرجل الشابّ القوي فلا بدّ وأن يقع هناك بين الشهوة والحكمة وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتارةً تقوى داعية الطبيعة والشهوة، وتارة تقوى داعية العقل والحكمة، فالهمّ عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبوديّة، ومثاله أنّ الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف إذا رأى الجلّاب المبرّد بالثلج فإنّ طبيعته تحمله على شربه إلاّ أنّ دينه وهداه يمنعه منه، فهذا لا يدلّ على حصول الذنب، بل كلّما كانت هذه الحالة أشدّ كانت القوّة في القيام بلوازم العبوديّة أكمل، فقد ظهر بحمد الله صحة القول الّذي ذهبنا إليه، ولم يبق في يد الواحديّ إلاّ مجرد التصلّف وتعديد أسماء

المفسّرين، ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك شبهة لاجبنا عنها إلاّ أنّه مازاد على الرواية عن بعض المفسّرين.

واعلم أنّ بعض الحشويّة روى عن النبيّ صلّى الله عليه أنّه قال: ماكذب إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات، فقلت: الأولى أن لا يقبل مثل هذه الاخبار، فقال - على طريق الاستنكار -: فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة، فقلت له: يا مسكين إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم، وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة، ولا شكّ أنّ صون إبراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب، إذا عرفت هذا الاصل فنقول للواحديّ: ومن الّذين يضمن لنا أنّ الّذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسّرين كانوا صادقين أم كاذبين؟!

المسألة الثانية: في أنّ المراد بذلك البرهان ما هو؟ أمّا المحققون المثبتون للعصمة فقد فسّروا رؤية البرهان بوجوه:

الأوّل: أنّه حجّة الله تعالى في تحريم الزنا، والعلم بما على الزاني من العقاب.

والثاني: أنّ الله تعالى طهّر نفوس الأنبياء عن الاخلاق الذميمة، بل نقول: إنّه تعالى طهّر نفوس المتّصلين بهم عنها، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الأقدام على المنكرات.

الثالث: أنّه رأى مكتوباً في سقف البيت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٢].

الرابع: أنّه النبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش، والدليل عليه أنّ الأنبياء بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح، فلو أنّهم منعوا النّاس عنها ثمّ أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[٣].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الصف، الآيتان: ٢-٣.

وأيضاً إنّ الله تعالى عيّر اليهود بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

وما يكون عيباً في حقّ اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيّد بالمعجزات؟!

وأما الّذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أُموراً:

الأول: قالوا: إنّ المرأة قامت إلى صنم مكلّل بالدرّ والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال يوسف: ولِمَ؟

قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على المعصية.

فقال يوسف: تستحي من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كلّ نفس بما كسبت؟! فوالله لا أفعل ذلك أبداً، قالوا: فهذا هو البرهان.

الثاني: نقلوا عن ابن عبّاس أنّه مثّل له يعقوب فرآه عاضّاً على أصابعه ويقول له: أتعمل عمل الفجّار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء؟ فاستحيى منه، قالوا: هو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحّاك ومقاتل وابن سيرين، قال سعيد بن جبير: تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله.

الثالث: قالوا: إنّه سمع في الهواء قائلاً يقول: يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فإذا زنى ذهب ريشه.

والرابع: نقلوا عن ابن عبّاس أنّ يوسف لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتّى ركضه جبرئيل عليه السلام فلم يبق فيه شيء من الشهوة إلاّ خرج.

ولما نقل الواحديّ هذه الروايات تصلّف وقال: هذا الّذي ذكرناه قول أئمّة التفسير الّذين أخذوا التأويل عمّن شاهد التنزيل، فيقال له: إنّك لا تأتينا البتّة إلاّ بهذه التصلّفات الّتي لا فائدة فيها، فأين الحجّة والدليل؟

وأيضاً فإنّ ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز، وإنّه عليه السلام كان ممتنعاً عن الزنا بحسب الدلائل الأصليّة، فلما انضاف إليها هذه الزواجر قوي الانزجار

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

وكمل الاحتراز، والعجب أنّهم نقلوا أن جرواً دخل تحت حجرة رسول الله ﷺ وبقي هناك بغير علمه.

قالوا: فامتنع جبرئيل من الدخول عليه أربعين يوماً، وههنا زعموا أنّ يوسف حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبرئيل، والعجب أيضاً أنّهم زعموا أنّه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبرئيل! ولو أنّ أفسق الخلق وأكفرهم كان مشغولاً بفاحشة فإذا دخل عليه رجل صالح على زيّ الصالحين استحيى منه وفرّ وترك ذلك العمل، وههنا رأى يعقوب عضّ على أنامله ولم يلتفت! ثمّ إن جبرئيل على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضاً عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتّى احتاج جبرئيل إلى أن ركضه على ظهره! نسأل الله تعالى أن يصوننا عن العمى في الدين والخذلان في طلب اليقين، فهذا هو الكلام الملخص في هذه المسألة. انتهى[١].

أقول: قد عرفت أنّ الوجهين اللّذين اختارهما أومأ الرضا عليه السلام إلى أحدهما في خبر أبي الصلت حيث قال: وأمّا قوله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همّت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني القتل ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ يعني الزنا، وأشار إليهما معاً في خبر ابن الجهم حيث قال: لقد همّت به، ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت، لكنّه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه الصادق عليه السلام أنّه قال: همّت بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل.

أقول: لا يتوهّم خطاء في قصده القتل، إذ الدفع عن العرض والاحتراز عن المعصية لازم وإن انجرّ إلى القتل، ولكنّ الله تعالى نهاه عند ذلك لمصلحة: إمّا لئلا يقتل قوداً، أو لئلا يتّهم بسوء كما يومئ إليهما: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ أو لغير ذلك من المصالح ويمكن أن يكون في شرعه عليه السلام قتل مريد مثل هذا الأمر مجوّزاً، وعلى الخبر الأخير يمكن أن يكون المراد برؤية برهان ربّه نزول جبرئيل عليه تعبيراً عن النبوّة بما يلزمه.

---

(١) تفسير فخر الرازي: ج ١٨، المجلد ٦/ ص ٤٣٩، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٢٦-٣٣٥، باب ٩.

ثم اعلم أنّ الأخبار الأُخر الموافقة لجماعة كثيرة من المخالفين فظاهر أنّها محمولةٌ على التقية، وقد اتّضح ذلك من الأخبار أيضاً.

وأمّا أخبار إلقاء الثوب فإذا لم نحملها على التقيّة فليس فيها تصريح بأنّ ذلك وقع بعد قصد الفاحشة أو رضاه عليه السلام بما همّت به، ولعلّه تعالى سبّب ذلك تأييداً للعصمة وإلقاءً للحجّة الّتي يحتجّ بها يوسف عليه السلام عليها كما أومأ إليه الرازيّ أيضاً.

الفصل الثالث: في معنى سجودهم له عليه السلام.

أقول: قد ذكرنا بعض ما يناسب هذا المقام في باب سجود الملائكة لآدم عليه السلام وقد أوردنا في هذا الباب الّذي نحن فيه الأخبار الواردة في توجيه ذلك، ولنذكر هنا ما ذكره الرازيّ في هذا المقام لكمال الإيضاح.

قال: وأمّا قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ ففيه إشكال، وذلك لأنّ يعقوب كان أبا يوسف وحق الأُبوّة حقّ عظيم، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1].

فقرن حقّ الوالدين بحقّ نفسه، وأيضاً أنّه كان شيخاً والشابّ يجب عليه تعظيم الشيخ.

والثالث: أنّه كان من أكابر الأنبياء، ويوسف وإن كان نبيّاً إلاّ أنّ يعقوب كان أعلى حالاً منه.

والرابع: أنّ جدّه واجتهاده في تكثير الطاعات أكثر من جدّ يوسف، ولمّا اجتمعت هذه الجهات الكثيرة فهذا يوجب أن يبالغ يوسف في خدمة يعقوب، فكيف استجاز يوسف أن يسجد له يعقوب؟ هذا تقرير السؤال. والجواب عنه من وجوه:

الأوّل: وهو قول ابن عبّاس في رواية عطا: أنّ المراد بهذه الآية أنّهم خرّوا له، أي لأجل وجدانه سجّداً لله، وحاصله أنّه كان ذلك سجود الشكر، فالمسجود له هو الله إلاّ أنّ ذلك السجود إنّما كان لأجله، والدليل على صحّة هذا التأويل أنّ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ مشعر بأنّهم صعدوا ذلك السرير ثمّ سجدوا، ولو أنّهم سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير، لأنّ ذلك أدخل في التواضع.

فإن قالوا: هذا التأويل لا يطابق قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ والمراد منه قوله: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾.

قلنا: بل هذا مطابق له، ويكون المراد من قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ أي رأيتهم ساجدين لأجلي، أي أنّها سجدت لله لطلب مصلحتي والسعي في إعلاء منصبي، وإذا كان هذا محتملاً سقط السؤال، وعندي أنّ هذا التأويل متعيّن لأنّه يبعد من عقل يوسف ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة.

والوجه الثاني في الجواب: أن يقال: إنّهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه، وهذا أيضاً تأويل حسن فإنّه يقال: صلّيت للكعبة كما يقال: صلّيت إلى الكعبة.

قال حسان:

ما كنت أعرف أنّ الامر منصرف عن هاشم ثمَّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم وأعرف النّاس بالآثار والسنن

وهذا يدلّ على أنّه يجوز أن يقال: فلان صلّى للقبلة، فكذلك يجوز أنّ يقال: سجد للقبلة، فقوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ أي جعلوه كالقبلة، ثمّ سجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه.

الوجه الثالث في الجواب: إنّ التواضع قد يسمّى سجوداً كقوله: ترى الأُكم فيها سجداً للحوافر. فكان المراد ههنا التواضع إلاّ أنّ هذا مشكل لأنّه تعالى قال: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ والخرور إلى السجدة مشعرٌ بالإتيان بالسجدة على أكمل الوجوه، وأُجيب عنه بأنّ الخرور يعني به المرور فقط، قال تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[1] يعني لم يمرّوا.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٣.

الوجه الرابع في الجواب: أن نقول: الضمير في قوله: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ﴾ غير عائد إلى الأبوين لا محالة، وإلا لقال: وخرّا له ساجدين، بل الضمير عائد إلى إخوته وإلى سائر من كان يدخل عليه لأجل التهنئة، فالتقدير: ورفع أبويه على العرش، مبالغة في تعظيمهما وأمّا الإخوة وسائر الداخلين فخرّوا له ساجدين، فإن قالوا: فهذا لا يلائم قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾.

قلنا: إن تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقاً للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كلّ الوجوه، فسجود الكواكب والشمس والقمر تعبيره تعظيم الأكابر من النّاس له، ولاشكّ أنّ ذهاب يعقوب مع أولاده من كنعان إلى مصر لأجل نهاية التعظيم له، فيكفي هذا القدر في صحّة الرؤيا فأمّا أن يكون التعبير مساوياً لأصل الرؤيا في الصفة والصورة فلم يقل بوجوبه أحد من العقلاء.

الوجه الخامس في الجواب: لعلّ الفعل الدالّ على التحيّة والإكرام في ذلك الوقت هو السجود، فكان مقصودهم من السجود تعظيمه وهو في غاية البعد لأنّ المبالغة في التعظيم كانت أليق بيوسف منها بيعقوب، فلو كان الأمر كما قلتم لكان من الواجب أن يسجد يوسف ليعقوب.

الوجه السادس فيه أن يقال: لعلّ إخوته حملتهم الأنفة والاستعلاء على أن لا يسجدوا له على سبيل التواضع، وعلم يعقوب أنّهم لو لم يفعلوا ذلك لصار ذلك سبباً لثوران الفتن وظهور الأحقاد القديمة بعد كمونها، فهو مع جلالة قدره وعظيم حقّه بسبب الأُبوّة والشيخوخة والتقدّم في الدين والعلم والنبوّة فعل ذلك السجود حتّى يصير مشاهدتهم لذلك سبباً لزوال تلك الأنفة والنفرة عن قلوبهم.

ألا ترى أنّ السلطان الكبير إذا نصب محتسباً فإذا أراد تربيته مكّنه من إقامة الحسبة عليه ليصير ذلك سبباً في أن لا يبقى في قلب أحد منّازعة ذلك المحتسب في إقامة الحسبة فكذا ههنا.

الوجه السابع: لعلّ الله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفيّة لا يعرفها إلاّ هو، كما أنّه أمر الملائكة بسجودهم لآدم لحكمة لا يعرفها إلاّ هو، ويوسف ما كان راضياً بذلك في قلبه إلاّ أنّه لمّا علم أنّ الله أمره بذلك سكت.

ثمّ حكى تعالى أنّ يوسف لمّا رأى هذه الحالة قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ وفيه بحثان:

الأوّل: قال ابن عبّاس: لمّا رأى سجود أبويه وإخوته له هاله ذلك واقشعرّ جلده منه وقال ليعقوب: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ وأقول: هذا يقوّي الجواب السابع كأنه يقول يا أبت لا يليق بمثلك على جلالتك من العلم والدين والنبوّة أن تسجد لولدك إلاّ أنّ هذا أمر أُمرت به وتكليف كلّفت به فإنّ رؤيا الأنبياء حقّ، فكما إنّ رؤيا إبراهيم عليه السلام ذبح ولده صار سبباً لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا الّتي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سبباً لوجوب ذلك السجود عليه، فلهذا السبب حكى ابن عبّاس أنّ يوسف لمّا رأى ذلك هاله واقشعر منه جلده، ولكنه لم يقل شيئاً.

وأقول: لا يبعد أن يكون ذلك من تمام تشديد الله تعالى على يعقوب، كأنّه قيل له: أنت كنت دائم الرغبة في وصاله، دائم الحزن بسبب فراقه، فإذا وجدته فاسجد له، فكان الأمر بتلك السجدة من تمام التشديد والله العالم بحقائق الأُمور[١].

انتهى ما أردنا إيراده من كلامه، ولا نشتغل بردّ ما حقّقه وقبوله لئلا يطول الكلام وإنّما أوردنا كلامه بطوله ليتّضح لك ما صدر عنهم عليهم السلام في الأخبار السالفة لتوجيه ذلك، ولعلّك لا تحتاج بعد ذلك إلى مزيد إيضاح وبيان؛ ومن الله التوفيق وعليه التكلان[٢].



(١) مفاتيح الغيب: ج ٥/ ص ٢٤٤-٢٤٧.
(٢) تفسير فخر الرازي: ج ١٨/ المجلد ٦/ ص ٤٣٦، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٣٥-٣٣٩، باب ٩.

قصص أيوب عليه السلام

الآيات: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[١].

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾[٢].

عن عثمان النوا، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنّ الله عزّ وجلّ يبتلي المؤمن بكلّ بليّة ويميته بكلّ ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله، أمّا ترى أيّوب كيف سلّط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كلّ شيء منه ولم يسلّط على عقله، ترك له ليوحّد الله به[٣].

عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة الّتي قد افتتنت في حسنها، فتقول: يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسّنّاها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الّذي قد افتتن في حسنه.

فيقول: يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت من النساء ما لقيت؛ فيجاء بيوسف ويقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسّنّاه فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الّذي قد

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٨٣-٨٤.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤١-٤٤.

(٣) فروع الكافي: ج ٣/ص ٦٠، باب ٧٢/ح ٩، والبحار: ج ١٢/ص ٣٤١، باب ١٠/ح ١.

أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا ربّ شدّدت عليّ البلاء حتّى افتتنت فيؤتى بأيّوب فيقال: أبليّتك أشدّ أو بليّة هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتتن(١).

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن بليّة أيّوب عليه السلام الّتي ابتلي بها في الدنيا لأيّ علّة كانت؟

قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا وأدّى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس عن دون العرش، فلمّا صعد ورأى شكر نعمة أيّوب حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً. فسلّطني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبداً.

فقيل له: قد سلّطتك على ماله وولده.

قال: فانحدر إبليس فلم يبق له مالاً ولا ولداً إلاّ أعطبه، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً.

فقال: فسلّطني على زرعه يا ربّ.

قال: قد فعلت، فجاء مع شياطينه فنفخ فيه فاحترق، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً.

فقال: يا ربّ سلّطني على غنمه، فسلّطه على غنمه فأهلكها فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً.

فقال: يا ربّ سلّطني على بدنه، فسلّطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه فنفخ فيه إبليس فصار قرحةً واحدة من قرنه إلى قدمه، فبقي في ذلك دهراً طويلاً يحمد الله ويشكره حتّى وقع في بدنه الدود، وكانت تخرج من بدنه فيردّها ويقول لها: ارجعي إلى موضعك الّذي خلقك الله منه، ونتن حتّى أخرجه أهل القرية من القرية وألقوه على المزبلة خارج القرية، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله صلّى الله عليهم وعليها تتصدّق من النّاس وتأتيه بما تجده.

---

(١) روضة الكافي الموجود مع الأصول ص ٧٨٠/ح ٢٩١، والبحار: ج ٢/ ص ٣٤١، باب / ح ٢.

قال: فلمّا طال عليه البلاء ورأى إبليس صبره أتى أصحاباً له كانوا رهباناً في الجبال وقال لهم: مرّوا بنا إلى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليّته، فركبوا بغالاً شهباً وجاؤوا، فلمّا دنوا منه نفرت بغالهم من نتن ريحه، فقرنوا بعضاً إلى بعض ثمّ مشوا إليه، وكان فيهم شابّ حدث السنّ فقعدوا إليه فقالوا:

يا أيّوب لو أخبرتنا بذنبك لعلّ الله كان يهلكنا إذا سألناه وما نرى ابتلاءك بهذا البلاء الّذي لم يتبل به أحد إلاّ من أمر كنت تستره، فقال أيّوب: وعزّة ربّي إنّه ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً إلاّ ويتيم أوضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة لله إلاّ أخذت بأشدّهما على بدني.

فقال الشابّ: سوأة لكم عمدتم إلى نبيّ الله فعيّرتموه حتّى أظهره من عبادة ربّه ما كان يسترها؟

فقال أيّوب: يا ربّ لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجّتي، فبعث الله إليه غمامة فقال: يا أيّوب أدلني بحجّتك فقد أقعدتك مقعد الحكم وها أناذا قريب ولم أزل.

فقال: يا ربّ إنّك لتعلم أنّه لم يعرض لي أمران قطّ كلاهما لك طاعة إلاّ أخذت بأشدّهما على نفسي، ألم أحمدك؟ ألم أشكرك؟ ألم أُسبّحك؟

قال: فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا أيّوب من صيّرك تعبد الله والنّاس عنه غافلون؟ وتحمده وتسبّحه وتكبره والنّاس عنه غافلون؟ أتمنّ على الله بما لله المنّ فيه عليّك؟.

قال: فأخذ أيّوب التراب فوضعه في فيه، ثمّ قال: لك العتبى يا ربّ أنت الّذي فعلت ذلك بي.

قال: فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء، فعاد أحسن ما كان وأطرأ، وأنبت الله عليه روضة خضراء، وردّ عليه أهله وماله وولده وزرعه، وقعد معه الملك يحدّثه ويؤنسه، فأقبلت امرأته ومعها الكسر فلمّا انتهت إلى الموضع إذا الموضع متغيّر وإذا رجلان جالسان، فبكت وصاحت وقالت: يا أيّوب ما دهاك؟ فناداها أيّوب فأقبلت فلمّا رأته وقد ردّ الله عليه بدنه ونعمته

سجدت لله شكراً، فرأى ذوائبها مقطوعة، وذلك أنّها سألت قوماً أن يعطوها ما تحمله إلى أيّوب من الطعام وكانت حسنة الذؤابة فقالوا لها:

تبيعينا ذؤابتك هذه حتّى نعطيك، فقطعتها ودفعتها إليهم، وأخذت منهم طعاماً لأيّوب، فلمّا رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أن يضربها مائة، فأخبرته أنّه كان سببه كيت وكيت فاغتمّ أيّوب من ذلك، فأوحى الله إليه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾(١) فأخذ مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة، فخرج من يمينه.

ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢) قال: فردّ الله عليه أهله الّذين ماتوا قبل البليّة، وردّ عليه أهله الّذين ماتوا بعدما أصابهم البلاء كلّهم أحياهم الله تعالى له فعاشوا معه.

وسئل أيّوب بعدما عافاه الله: أي شيء كان أشدّ عليك ممّا مرّ عليك؟

قال: شماتة الأعداء.

قال: فأمطر الله عليه في داره فراش الذهب وكان يجمعه فإذا ذهب الريح منه بشيء عدا خلفه فردّه، فقال له جبرئيل: ما تشبع يا أيّوب؟

قال: ومن يشبع من رزق ربّه؟(٣).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما كانت بليّة أيّوب الّتي ابتلي بها في الدنيا لنعمة أنعم الله بها عليه فأدّى شكرها، وكان إبليس في ذلك الزمان لا يحجب دون العرش فلمّا صعد عمل أيّوب بأداء شكر النعمة حسده إبليس فقال:

يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، فلو حلت بينه وبين دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة، فسلّطني على دنياه تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة، فقال: قد سلّطتك على دنياه فلم يدع له دنياً ولا ولداً إلاّ أهلك كلّ ذلك وهو يحمد الله عزّ وجلّ، ثمّ رجع إليه فقال:

يا ربّ إنّ أيّوب يعلم أنّك ستردّ إليه دنياه الّتي أخذتها منه، فسلّطني على بدنه

(١) سورة ص، الآية: ٤٤.
(٢) سورة ص، الآية: ٤٣.
(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ٢١٢، والبحار: ج ١٢/ص ٣٤١-٣٤٤، باب ١٠/ح ٣.

حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة، قال عزّوجلّ : قد سلّطتك على بدنه ما عدا عينيه وقلبه ولسانه وسمعه.

فقال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام : فانقضّ مبادراً خشية إن تدركه رحمة الله عزّوجلّ فيحول بينه وبينه فنفخ في منخريه من نارالسموم فصار جسده نقطاً نقطاً»(١).

عن أبي بصير قال: سألت أبا الحسن الماضي عليه السلام عن بلية أيّوب الّتي ابتلي بها في الدنيا لأيّة علّة كانت؟

قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا فأدّى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس دون العرش فلمّا صعد أداء شكر نعمة أيّوب حسده إبليس فقال:

يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً.

قال: فقيل له: إنّي قد سلّطتك على ماله وولده.

قال: فانحدر إبليس فلم يبق له مالاً ولا ولداً إلاّ أعطبه، فلمّا رأى إبليس أنّه لايصل إلى شيء من أمره قال: يا ربّ إنّ أيّوب يعلم أنّك سترّد عليه دنياه الّتي أخذتها منه فسلّطني على بدنه.

قال: فقيل له: إنّي قد سلّطتك على بدنه ما خلا قلبه ولسانه وعينيه وسمعه، قال: فانحدر إبليس متعجلاً مخافة أن تدركه رحمة الربّ عزّوجلّ فتحول بينه وبين أيّوب، فلمّا اشتد به البلاء وكان في آخر بليّه جاءه أصحابه فقالوا له:

يا أيّوب ما نعلم أحداً ابتلي بمثل هذه البليّة إلاّ لسريرة سوء، فعلّك أسررت سوءاً في الّذي تبدي لنا، قال: فعند ذلك ناجى أيّوب ربّه عزّوجلّ فقال:

ربّ ابتليتني بهذه البليّه وأنت أعلم أنّه لم يعرض لي أمران قطّ إلاّ ألزمت أخشنهما على بدني، ولم آكل أُكلة قطّ إلاّ وعلى خواني يتيم، فلو أنّ لي منك مقعد الخصم لأدليت بحجّتي، قال فعرضت له سحابة فنطق فيها ناطق فقال:

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ٩٥، باب ٦٥/ح ١، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٤٤-٣٤٥، باب ١٠، ح ٤.

يا أيّوب أدل بحجّتك، قال: فشدّ عليه مئزره وجثا على ركبتيه فقال: ابتليتني بهذه البليّة وأنت تعلم أنّه لم يعرض لي امران قطّ إلاّ ألزمت أخشنهما على بدني، ولم آكل أُكلة من طعام إلاّ وعلى خواني يتيم.

قال: فقيل له: يا أيّوب من حبّب إليك الطاعة؟

قال: فأخذ كفّاً من تراب فوضعه في فيه ثمّ قال: أنت يارب[١].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابتلي أيّوب سبع سنين بلا ذنب[٢].

ما دلّت عليه الرواية من كون مدّة ابتلائه عليه السلام سبع سنين هو المعتمد، وقال البيضاويّ: ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أوسبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات[٣].

عن الحسن بن الربيع، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى ابتلى أيوب عليه السلام بلا ذنب، فصبر حتّى عيّر وإنّ الأنبياء لا يصبرون على التعيير[٤].

عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن جعفر ابن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: إنّ أيّوب ابتلي سبع سنين من غير ذنب، وإنّ الأنبياء لا يذنبون، لأنّهم معصومون مطهّرون لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إنّ أيّوب من جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عزّ وجلّ بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرّمين عليه، وإنّما اجتنبه النّاس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بما له عند ربّه تعالى ذكره من التأييد والفرج،

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ٩٦، باب ٦٥/ ح ١، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٤٥-٣٤٦، باب ١٠/ ح ٥.
(٢) علل الشرائع: ج ١/ ص ٩٥، باب ٦٥/ ح ٣، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٤٧، باب ١٠/ ح ٩.
(٣) دعوات الراوندي: ص ١٢٣، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٤٧، باب ١٠/ ذيل ح ٩.
(٤) دعوات الراوندي: ص ١٦٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٤٧، باب ١٠/ ح ١٠.

وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أعظم النّاس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، وإنّما ابتلاه الله عزّ وجلّ بالبلاء العظيم الّذي يهون معه على جميع النّاس لئلا يدعوا له الربوبيّة إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظائم نعمه تعالى متى شاهدوه، وليستدلّوا بذلك على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا أنّه يسقم من يشاء، ويشفي من يشاء متى شاء كيف شاء بأيّ سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء، وشقاوةً لمن شاء، وسعادة لمن شاء، وهو عزّ وجلّ في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلاّ الأصلح لهم، ولا قوّة لهم إلاّ به[1].

عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: أخذ النّاس ثلاثة من ثلاثة:

١ - أخذوا الصبر عن أيّوب.

٢ - والشكر عن نوح.

٣ - والحسد عن بني يعقوب[2].

عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أيّوب النبيّ عليه السلام حين دعا ربّه: يا ربّ كيف ابتليتني بهذا البلاء الّذي لم تبتل به أحداً؟ فوعزّتك إنّك تعلم أنّه ما عرض لي أمران قطّ كلاهما لك طاعة إلاّ عملت بأشدّهما على بدني، قال: فنودي: ومن فعل ذلك بك يا أيّوب؟

قال: فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثمّ قال: أنت يا رب[3].

عن رفاعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا عافى أيّوب عليه السلام نظر إلى بني إسرائيل قد ازدرعت، فرفع طرفه إلى السماء فقال: إلهي وسيّدي عبدك أيّوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئاً، وهذا لبني إسرائيل زرع.

---

(١) الخصال: ص ٣٩٩، باب السبعة/ح ١٠٨، البحار: ج ١٢/ ص ٣٤٩، باب ١٠/ح ١٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج ٢/ ص ٤٩، باب ٣١، ح ١٦٤، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٤٩، باب ١٠/ح ١٤.

(٣) أمالي الطوسي: ص ٦٧٣، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٥٠، باب ١٠/ح ١٥.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا أيّوب خذ من سبحتك كفّاً فابذره، وكانت سبحته فيها ملح، فأخذ أيوب عليه السلام كفاً منها فبذره فخرج هذا العدس، وأنتم تسمّونه الحمص ونحن نسمّيه العدس(١).

عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أيّوب عليه السلام فقال: قال الله جلّ جلاله: إنّ عبدي أيّوب ما أُنعم عليه بنعمة إلاّ ازداد شكراً.

فقال الشيطان: لو نصبت عليه البلاء فابتليته كيف صبره؟ فسلّطه على إبله ورقيقه فلم يترك له شيئاً غير غلام واحد، فأتاه الغلام فقال: يا أيّوب ما بقي من إبلك ولا من رقيقك أحد إلاّ وقد مات.

فقال أيّوب: الحمد لله الّذي أعطاه، والحمد لله الّذي أخذه.

فقال الشيطان: إنّ خيله أعجب إليه فسلّط عليها فلم يبق منها شيء إلاّ هلك.

فقال أيّوب: الحمد لله الّذي أعطى والحمد لله الّذي أخذ، وكذلك ببقره وغنمه ومزارعه وأرضه وأهله وولده حتّى مرض مرضاً شديداً فأتاه أصحاب له فقالوا يا أيّوب ما كان أحد من النّاس في أنفسنا ولا خير علانية خيراً عندنا منك، فلعلّ هذا الشيء كنت أسررته فيما بينك وبين ربّك لم تطلع عليه أحداً فابتلاك الله من أجله؟ فجزع جزعاً شديداً ودعا ربّه فشفاه الله تعالى وردّ عليه ما كان له من قليل أو كثير في الدنيا.

قال: وسألته عن قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً﴾(٢) فقال: الّذين كانوا ماتوا(٣).

في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال يوم الأربعاء يعني آخر الشهر ابتلى الله أيّوب بذهاب ماله وولده(٤).

---

(١) فروع الكافي: ج ٦/ ص ١٠٨٠، باب ٢٦٤، ح ٣، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٥٠، باب ١٠/ ح ١٦.
(٢) سورة ص، الآية: ٤٣.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٣٩، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٥٠-٣٥١، باب ١٠/ ح ١٩.
(٤) الخصال: ص ٣٨٨، باب السبعة/ ح ٧٨، وعلل الشرائع: ج ٢/ ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا: ج ١/ ص ٢٢٤، باب ٢٤، ح ١، والبحار: ج ١٢، ص ٣٥١، باب ١٠/ ح ٢٠.

بالإسناد عن الصدوق، بإسناده عن وهب بن منبّه إنّ أيّوب كان في زمن يعقوب ابن إسحاق صلوات الله عليهم وكان صهراً له تحته ابنة يعقوب يقال لها إليا، وكان أبوه ممّن آمن بإبراهيم عليه السلام، وكانت أُمّ أيّوب ابنة لوط، وكان لوط جدّ أيّوب صلوات الله عليهما أبا أُمّه، ولمّا استحكم البلاء على أيّوب من كلّ وجه صبرت عليه امرأته، فحسدها إبليس على ملازمتها بالخدمة، وكانت بنت يعقوب، فقال لها: ألست أُخت يوسف الصديق عليه السلام قالت: بلى.

قال: فما هذا الجهد؟ وما هذه البلية الّتي أراكم فيها؟

قالت: هو الّذي فعل بنا ليؤجرنا بفضله علينا، لأنّه أعطاه بفضله منعماً، ثمّ أخذه ليبتلينا، فهل رأيت منعماً أفضل منه؟ فعلى إعطائه نشكره، وعلى ابتلائه نحمده، فقد جعل لنا الحسنيين كلتيهما، فابتلاه ليرى صبرنا، ولا نجد على الصبر قوّة إلاّ بمعونته وتوفيقه، فله الحمد والمنّة ما أولانا وأبلانا.

فقال لها: أخطأت خطاءً عظيماً ليس من ههنا ألحّ عليكم البلاء، وأدخل عليها شبهاً دفعتها كلّها، وانصرفت إلى أيّوب عليه السلام مسرعة وحكت له ما قال اللّعين.

فقال أيّوب: القائل إبليس، لقد حرص على قتلي إنّي لأُقسم بالله لأجلدنّك مائة - لمَ أصغيت إليه - إن شفاني الله.

قال وهب: قال ابن عبّاس: فأحيى الله لهما أولادهما وأموالهما وردّ عليه كلّ شيء لهما بعينه، وأوحى الله تعالى إليه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ فأخذ ضغثاً من قضبان دقاق من شجرة يقال لها الثمام فبرّ به يمينه وضربها ضربةً واحدةً.

وقيل: أخذ عشرةً منها فضربها بها عشر مرّات، وكان عمر أيّوب ثلاثاً وسبعين قبل أن يصيبها البلاء فزادها الله مثلها ثلاثاً وسبعين سنّة أخرى[1].



(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٤١، والبحار: ج ١٢/ص ٣٥٢، باب ١٠/ح ٢٣.

قصص شعيب

عن الزهريّ، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب عليه السلام من حبّ الله عزّ وجلّ حتّى عمي، فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا؟ أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النّار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة فقد أبحتك.

فقال: إلهي وسيّدي أنت تعلم أنّي ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنّتك، ولكن عقد حبّك على قلبي فلست أصبر أو أراك.

فأوحى الله جلّ جلاله إليه: أمّا إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأُخدمك كليمي موسى بن عمران.

قال الصّدوق رحمه الله: يعني بذلك: لا أزال أبكي أو أراك قد قبلتني حبيباً[١].

بعث الله شعيباً إلى مدين وهي قرية على طريق الشام فلم يؤمنوا به، وحكى الله قولهم: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[٢].

قال: قالوا: إنّك لأنت السفيه الجاهل، فحكى الله عزّ وجلّ قولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ وإنّما أهلكهم الله تعالى بنقص المكيال والميزان[٣].

قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ تحكّموا به

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٧٤، باب ٥١/ح١، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٠-٣٨١، باب ١١/ح ١.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٧ إلى آخر الآية.

(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ٣٣٨، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨١، باب ١١/ح ٢.

وقصدوا وصفه بضدّ ذلك، أو علّلوا إنكار ماسمعوا منه واستبعادهم بأنّه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك. انتهى[(١)].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ قال: قوم شعيب ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[(٢)] قال: يوم حرّ وسمائم[(٣)]. قوله: ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾[(٤)] الأيكة: الغيضة من الشجر[(٥)].

قال البيضاويّ: أصحاب الأيكة هم قوم شعيب، كانوا يسكنون الغيضة، فبعثه الله إليهم فكذّبوه فأُهلكوا بالظلة، والأيكة: الشّجر المتكاثفة[(٦)].

عن سعد الإسكاف، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ أوّل من عمل المكيال والميزان شعيب النبيّ عليه السلام: عمله بيده، فكانوا يكيلون ويوفون، ثمّ إنّهم بعد طفّفوا في المكيال وبخسوا في الميزان فأخذتهم الرجفة فعذّبوا بها فأصبحوا في دارهم جاثمين[(٧)].

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾[(٨)] أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة، عن الكلبيّ.

وقيل: أرسل الله عليهم وقدة وحرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت، فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء، وأنضجهم الحرّ، فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظلّ السحابة فتنادوا: عليكم بها، فخرجوا إلى البرّيّة، فلمّا اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقليّ، وصاروا رماداً، وهو عذاب يوم الظلّة، عن ابن عبّاس وغيره من المفسّرين.

---

(١) تفسير البيضاوي: ج ٢/ص ٢٧٩، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨١، باب ١١/ذيل ح ٢.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٨٩.
(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ١١٨، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٢، باب ١١/ح ٤.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٧٦.
(٥) تفسير القمي، ج ٢/ص ١٠١، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٢، باب ١/ح ٤.
(٦) تفسير البيضاوي: ج ٢/ص ٣٨٦، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٢، باب ١١/ذيل ح ٤.
(٧) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٤٢، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٢، باب ١١/ ج ٦.
(٨) سورة الأعراف، الآية: ٩١.

وقيل: بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا بها، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وقيل: إنّه كان لشعيب قومان: قوم أُهلكوا بالرجفة، وقوم هم أصحاب الظلّة[1].

بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب قال: إنّ شعيباً النبيّ وأيّوب صلوات الله عليهما وبلعم بن باعوراء كانوا من ولد رهط، آمنوا لإبراهيم يوم أُحرق فنجا وهاجروا معه إلى الشام، فزوّجهم بنات لوط، فكلّ نبيّ كان قبل بني إسرائيل وبعد إبراهيم عليه السلام من نسل أُولئك الرهط، فبعث الله شعيباً إلى أهل مدين ولم يكونوا فصيلة شعيب ولا قبيلته الّتي كان منها، ولكنهم كانوا أُمّة من الأُمم بعث إليهم شعيب، وكان عليهم ملك جبّار، ولايطيقه أحدٌ من ملوك عصره، وكانوا ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون النّاس أشياءهم مع كفرهم بالله، وتكذيبهم لنبيّه وعتوّهم، وكانوا يستوفون إذا اكتالوا لأنفسهم أو وزنوا له، فكانوا في سعة من العيش، فأمرهم الملك باحتكار الطعام ونقص مكاييلهم وموازينهم، ووعظهم شعيب فأُرسل إليه الملك: ما تقول فيما صنعت؟ أراض أنت أم ساخطٌ؟

فقال شعيب: أوحى الله تعالى إليّ أنّ الملك إذا صنع مثل ما صنعت يقال له: ملك فاجر، فكذبه الملك وأخرجه وقومه من مدينته.

قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾[2] فزادهم شعيب في الوعظ، فقالوا: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾[3] فآذوه بالنفي من بلادهم، فسلّط الله عليهم الحرّ والغيم حتّى أنضجهم الله، فلبثوا فيه تسعة أيّام، وصار ماؤهم حميماً لا يستطيعون شربه، فانطلقوا إلى غيضة لهم وهو قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ فرفع الله لهم سحابة سوداء فاجتمعوا في ظلّها، فأرسل الله عليهم ناراً منها فأحرقتهم فلم ينج منهم أحداً، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ وإنّ

(١) مجمع البيان: ج ٤/ص ٣٠٩، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٢-٣٨٣، باب ١١/ ذيل ح ٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٨.
(٣) سورة هود، الآية: ٨٧.

رسول الله ﷺ إذا ذكر عنده شعيب قال: «ذلك خطيب الأنبياء يوم القيامة» فلما أصاب قومه ما أصابهم لحق شعيب والذين آمنوا معه بمكّة، فلم يزالوا بها حتّى ماتوا.

والرواية الصحيحة أنّ شعيباً عليه السلام صار منها إلى مدين فأقام بها وبها لقيه موسى بن عمران صلوات الله عليهما[(١)].

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى شعيب النبيّ: إنّي معذّب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستّين ألفاً من خيارهم.

فقال عليه السلام: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[(٢)].

عن عكرمة، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: إنّ الله تعالى بعث شعيباً إلى قومه وكان لهم ملك فأصابه منهم بلاء، فلمّا رأى الملك أنّ القوم قد خصبوا أرسل إلى عمّاله فحبسوا على النّاس الطعام، وأغلوا أسعارهم، ونقصوا مكاييلهم وموازينهم، وبخسوا النّاس أشياءهم، وعتوا عن أمر ربّهم، فكانوا مفسدين في الأرض، فلمّا رأى ذلك شعيب عليه السلام قال لهم: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[(٣)] فأرسل الملك إليه بالإنكار.

فقال شعيب: إنّه منهيّ في كتاب الله تعالى والوحي الّذي أوحى الله إليّ به، أنّ الملك إذا كان بمنزلتك الّتي نزلتها ينزل الله بساحته نقمته، فلمّا سمع الملك ذلك أخرجه من القرية، فأرسل الله إليهم سحابة فأظلّتهم، فأرسل عليهم في بيوتهم السموم، وفي طريقهم الشمس الحارّة وفي القرية، فجعلوا يخرجون من بيوتهم وينظرون إلى السحابة الّتي قد أظلّتهم من أسفلها، فانطلقوا سريعاً كلّهم إلى أهل بيت كانوا يوفون المكيال والميزان ولا يبخسون النّاس أشياءهم، فنصحهم الله

---

(١) كنز الفوائد: ج ١/ص ٣٨٢، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٨٤-٣٨٥، باب ١١/ح ٩.
(٢) فروع الكافي: ج ٥/ص ٦٢٠، باب ٢٨/ح ١، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٦، باب ١١/ح ١٢.
(٣) سورة هود، الآية: ٨٤.

وأخرجهم من بين العصاة، ثمَّ أرسل على أهل القرية من تلك السحابة عذاباً وناراً فأهلكتهم، وعاش شعيب عليه السلام مائتين واثنين وأربعين سنة[١].

قال صاحب الكامل: قيل: إنّ اسم شعيب يثرون بن صيفون بن عنقا بن ثابت ابن مدين بن إبراهيم؛ وقيل: هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين.

وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم وإنّما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام، ولكنه ابن بنت لوط، فجدة شعيب ابنة لوط، وكان ضرير البصر، وهو معنى قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾[٢] أي ضرير البصر، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء» بحسن مراجعته قومه، وإنّ الله عزّ وجلّ أرسله إلى أهل مدين وهم أصحاب الايكة، والأيكة: الشّجر الملتف، وكانوا أهل كفر بالله تعالى، وبخس للناس في المكاييل والموازين، وإفساد لأموالهم، وكان الله وسع عليهم في الرزق، وبسط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كفرهم بالله، فقال لهم شعيب: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ فلمّا طال تماديهم في غيّهم وضلالتهم لم يزدهم تذكير شعيب إيّاهم وتحذيره عذاب الله إيّاهم إلاّ تمادياً، ولمّا أراد الله إهلاكهم سلّط عليهم عذاب يوم الظلة، وهو ما ذكره ابن عبّاس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

فقال: بعث الله عليهم وقدة وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرّيّة، فبعث الله سبحانه عليهم سحاباً فأظلّتهم من الشمس فوجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً حتّى اجتمعوا تحتها فأرسل الله عليهم ناراً.

قال عبد الله بن عبّاس: فذاك عذاب يوم الظلّة؛ وقال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أمّتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة؟ وكانت الأيكة من شجر ملتفّ؛ فلمّا أراد الله أن يعذّبهم بعث عليهم حرّاً شديداً، ورفع لهم العذاب كأنّه

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٤٥، والبحار: ج ١٢/ص ٣٨٦-٣٨٧، باب ١١/ح ١٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٩١.

سحابة، فلمّا دنت منهم خرجوا إليها وجاؤوها، فلمّا كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً، قال فكذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وأمّا أهل مدين فهم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل، فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فاهلكوا.

قال بعض العلماء: كانت قوم شعيب عطّلوا حداً فوسّع الله عليهم في الرزق، حتّى إذا أراد إهلاكهم سلّط عليهم حراً لا يستطيعون أن يتقارّوا، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء حتّى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجد روحاً، فنادى أصحابه: هلمّوا إلى الروح فذهبوا إليه سراعاً حتّى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم ناراً، فذلك عذاب يوم الظلّة.

وقد روى عامر، عن ابن عبّاس أنّه قال: من حدّثك ما عذاب يوم الظلّة فكذّبه.

وقال مجاهد: عذاب يوم الظلّة هو إظلال العذاب على قوم شعيب؛ وقال بريد ابن أسلم في قوله تعالى: ﴿يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟﴾.

قال: ممّا كان نهاهم عنه قطع الدراهم[1].



(١) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ١٣٥، والبحار: ج ١٢/ ص ٣٨٧-٣٨٨، باب ١١/ ذيل ح ١٤.

قصص
موسى وهارون عليهما السلام

نقش خاتمهما وعلل تسميتهما
وفضائلهما وسننهما وبعض أحوالهما

قال الثعلبيّ: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام.

قال أهل العلم بأخبار الأوّلين وسير الماضين: ولد ليعقوب عليه السلام لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة؛ ثمّ إنّ لاوي بن يعقوب نكح نابتة بنت ماوي بن يشجر فولدت له عرشون ومرزى ومردى وقاهث بن لاوي، وولد للاوي قاهث بعد أن مضى من عمره ستّ وأربعون سنة، فنكح قاهث بن لاوي قاهي بنت مبنير ابن بتويل بن إلياس فولدت له يصهر، وتزوّج يصهر شمبت بنت بتاويت بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى من عمره ستّون سنة، وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة، فنكح عمران بن يصهر نخيب بنت إشموئيل بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له هارون وموسى؛ واختلف في اسم أُمّهما فقال محمّد بن إسحاق: نخيب؛ وقيل: أفاحية، وقيل: بوخائيد وهو المشهور، وكان عمر عمران مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وولد له موسى وقد مضى من عمره سبعون سنة(١)، ونحوه ذكر ابن الأثير في الكامل(٢).

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾(٣) من هم؟

---

(١) مجمع البيان: ج ٨/ص ٣٢٧، والبحار: ج ١٣/ص ٤-٥، باب ١.
(٢) عرائس المجالس: ص ١٤٧، والنجار: ج ١٣، ص ٤-٥، باب ١.
(٣) سورة عبس: الآيات: ٣٤-٣٦.

فقال عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل، والّذي يفرّ من أُمّه موسى، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم، والّذي يفرّ من صاحبته لوط، والّذي يفرّ من ابنه نوح يفرّ من ابنه كنعان.

قال الصدوق رحمه الله: إنّما يفرّ موسى من أُمّه خشية أن يكون قصّر فيما وجب عليه من حقّها[(١)].

يمكن أن يتجوّز في الأُم كما ارتكب ذلك في الأب، ويكون المراد بعض مربّياته في بيت فرعون.

في خبر أبي ذرّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى وستّمائة نبيّ[(٢)].

عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: أتدري يا موسى لِمَ انتجبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي؟

فقال: لا يا ربّ.

فأوحى الله إليه: إنّي اطلعت إلى الأرض فلم أجد عليها أشدّ تواضعاً لي منك، فخرّ موسى ساجداً وعفّر خدّيه في التراب تذلّلاً منه لربّه عزّ وجلّ.

فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى، وأمرّ يدك في موضع سجودك، وامسح بها وجهك وما نالته من بدنك، فإنّه أمان من كلّ سقم وداء وآفة وعاهة[(٣)].

عن غياث بن اسيد قال: حدّثني عمّن سمع مقاتل بن سليمان يقول: إنّ الله تبارك وتعالى بارك على موسى بن عمران عليه السلام وهو في بطن أُمّه بثلاث مائة وستّين بركة، فالتقطه فرعون من بين الماء والشجر وهو في التابوت، فمن ثمّ سمّي موسى، وبلغة القبط الماء (مو) والشجر (سى) فسمّوه موسى لذلك.[(٤)]

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ١/ص ٢٢٢، باب ٢٤، ح ١، وعلل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٢، باب ٣٨٥، والخصال: ص ٣١٨، باب الخمسة/ح ١٠٢ وفيه ما ذكره الصدوق في ذيل الحديث، والبحار: ج ١٣/ص ٦-٧، باب ١/ح ٤.

(٢) الخصال: ص ٥٢٤، باب العشرون، ح ١٣، والبحار: ج ١٣/ص ٧، باب ١/ح ٥.

(٣) آمالي الطوسي: ص ١٦٦، والبحار: ج ١٣/ص ٧، باب ١/ح ٦.

(٤) علل الشرائع: ج ١/ص ٧٣، باب ٤٩/ح ١، والبحار: ج ١٣/ص ٧-٨، باب ١/ح ٧.

عن عليّ بن يقطين، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: أتدري لما اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟

فقال موسى: لا يا ربّ.

فقال: يا موسى إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي منك نفساً، يا موسى إنّك إذا صلّيت وضعت خدّيك على التراب[1].

عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ موسى عليه السلام احتبس عنه الوحي أربعين أو ثلاثين صباحاً، قال: فصعد على جبل بالشام يقال له أريحا، فقال:

يا ربّ إن كنت حبست عنّي وحيك وكلامك لذنوب بني إسرائيل فغفرانك القديم.

قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى بن عمران أتدري لما اصطفيتك لوحيي وكلامي دون خلقي؟ فقال: لا علم لي يا ربّ.

فقال: يا موسى إنّي اطّلعت إلى خلقي اطّلاعة فلم أجد في خلقي أشدّ تواضعاً لي منك، فمن ثمّ خصّصتك بوحيي وكلامي من بين خلقي.

قال: وكان موسى عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض والأيسر[2].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من النّاس، وكان يوماً يغتسل على شطّ نهر وقد وضع ثيابه على صخرة، فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتّى نظر بنو إسرائيل إليه، فعلموا أنّه ليس كما قالوا فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَجِيهٗا﴾[3] [4].

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ٧٤، باب ٥٠، ح ١ و٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٧-٨، باب ١/ ح ٨ و٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٤) تفسير القمي: ج ٢/ ص ١٧٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٨-٩، باب ١/ ح ١٠.

قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: اختلفوا فيما أُوذي به موسى على أقوال:

أحدها: أنّ موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته، فأمر الله الملائكة فحملته حتّى مرّوا به على بني إسرائيل وتكلّمت الملائكة بموته حتّى عرفوا أنّه قد مات وبرّأه الله من ذلك، عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس، واختاره الجبّائيّ.

وثانيها: أنّ موسى عليه السلام كان حيياً يغتسل وحده، فقالوا: ما يتستّر منّا إلا لعيب بجلده: إمّا برص وإمّا أُدرة، فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمرَّ الحجر بثوبه فطلبه موسى فرآه بنو إسرائيل عرياناً كأحسن الرجال خلقاً، فبرّأه الله ممّا قالوا، رواه أبو هريرة مرفوعاً، وقال قوم: إنّ ذلك لا يجوز لأنّ فيها إشهار النبيّ وإبداء سوأته على رؤوس الأشهاد وذلك ينفّر عنه.

وثالثها: أنّ قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رؤوس الملأ، فعصمه الله تعالى من ذلك، عن أبي العالية.

ورابعها: أنّهم آذوه من حيث إنّهم نسبوه إلى السحر والجنون والكذب بعدما رأوا الآيات، عن أبي مسلم. انتهى(١).

والسيّد قدّس سرّه رد الثاني بأنّه ليس يجوز أن يفعل الله تعالى بنبيّه ما ذكروه من هتك العورة لتنزيهه من عاهة أُخرى، فإنّه تعالى قادر على أن ينزّهه ممّا قذفوه به على وجه لا يلحقه معه فضيحة أُخرى، وليس يرمي بذلك أنبياء الله من يعرف أقدارهم.

ثمّ قال: والّذي روي في ذلك من الصحيح معروف، وهو أنّ بني إسرائيل لمّا مات هارون عليه السلام قرفوه بأنّه قتله لأنّهم كانوا إلى هارون أميل، فبرّأه الله تعالى من ذلك بأن أمر الملائكة بأن حملت هارون ميّتاً ومرّت به على محافل بني إسرائيل ناطقة بموته، ومبرّئة لموسى عليه السلام من قتله، وهذا الوجه يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) مجمع البيان: ج ٨/ ص ١٨٤، والبحار: ج ١٣، ص ٩، باب ١/ ذيل ح ١٠.

وروي أيضاً أنّ موسى عليه السلام نادى أخاه هارون فخرج من قبره فسأله هل قتله؟ فقال: لا، ثمّ عاد. انتهى(١).

سئل الصادق عليه السلام: أيّهما مات هارون مات قبل أم موسى صلوات الله عليهما؟ قال: هارون مات قبل موسى.

وسئل: أيّهما كان أكبر هارون أم موسى؟

قال: هارون، قال: وكان اسم ابني هارون شبّراً وشبيراً، وتفسيرهما بالعربيّة الحسن والحسين.

وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم، فأمّا موسى فرجل طوال سبط يشبه رجال الزطّ ورجال أهل شبوة؛ وأمّا عيسى فرجل أحمر جعد ربعة. قال: ثمّ سكت، وقيل له: يا رسول الله فإبراهيم؟ قال: انظروا إلى صاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وآله(٢).

عن زيد الشحّام، عمّن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حجّ موسى بن عمران ومعه سبعون نبيّاً من بني إسرائيل، خطم إبلهم من ليف يلبّون وتجيبهم الجبال، وعلى موسى عبايتان قطوانيّتان يقول: لبّيك عبدك ابن عبدك(٣).

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران سأل ربّه ورفع يديه فقال: يا ربّ أين ذهبت أُوذيت.

فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنّ في عسكرك غمّازاً.

فقال: يا ربّ دلّني عليه، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي أُبغض الغمّاز فكيف أغمز؟(٤)

قال الثعلبيّ: قال كعب الأحبار: كان هارون بن عمران نبيّ الله رجلاً فصيح اللّسان بيّن الكلام، وإذا تكلّم تكلّم بتؤدة وعلم، وكان أطول من موسى وكان

(١) تنزيه الأنبياء: ص ١٢٥، والبحار: ج ١٣/ ص ٩-١٠، باب ١/ذيل ح ١٠.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٣، والبحار: ج ١٣/ ص ١١، باب ١/ح ١٥.
(٣) فروع الكافي: ج ٤/ص ٤٠٦، باب ١٣٥/ح ٨، والبحار: ج ١٣/ ص ١١، باب/ ح ١٦.
(٤) صحيفة الرضا عليه السلام: ص ٨٩/ح ١٥٥، والبحار: ج ١٣/ ص ١٢، باب ١/ح ١٨.

على أرنبته شامة، وعلى طرف لسانه أيضاً شامة؛ وكان موسى بن عمران نبيّ الله رجلاً آدم جعداً طويلاً كأنّه من رجال أزد شنوءة، وكان بلسانه عقدة ثقل، وكانت فيه سرعة وعجلة، وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء[١].



أحوال موسى عليه السلام من حين ولادته إلى نبوته

قال وهب: لمّا حملت بموسى أُمّه كتمت أمرها عن جميع النّاس، ولم يطّلع علي حملها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمنَّ به على بني إسرائيل، فلمّا كانت السنة الّتي تولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدّم إليهنّ أن يفتّشن النساء تفتيشاً لم يفتّشنه قبل ذلك، وحملت أُمّ موسى فلم ينتأ بطنها، ولم يتغيّر لونها ولم يظهر لبنها، فكانت القوابل لا يعرضن لها، فلمّا كانت اللّيلة الّتي ولد فيها موسى ولدته أُمّه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطّلع عليها أحدٌ إلاّ أُخته مريم، وأوحى الله تعالى إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية.

قال: وكتمته أُمّه ثلاثة أشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرّك، فلمّا خافت عليه عملت له تابوتاً مطبقاً ومهّدت له فيه ثمّ ألقته في البحر ليلاً كما أمرها الله تعالى[٢].

عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا حملت أُمّه به لم يظهر حملها إلاّ عند وضعه، وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساءً من القبط تحفظهنّ، وذلك أنّه لمّا كان بلغه عن بني إسرائيل أنّهم يقولون: إنّه يولد فينا رجل يقال له موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يديه، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلنّ ذكور أولادهم حتّى لا يكون ما يريدون وفرّق بين الرجال والنساء، وحبس الرجال في المحابس، فلمّا وضعت أُمّ موسى بموسى عليه السلام نظرت وحزنت واغتمّت وبكت وقالت: يذبح الساعة، فعطف الله قلب الموكّلة بها عليه.

---

(١) عرائس المجالس: ص ١٥٢، والبحار: ج ١٣/ص ١٢، باب ١/ذيل ح ١٨.
(٢) مجمع البيان: ج ٧/ ص ٤١٦، والبحار: ج ١٦/١٣، باب ٢.

فقالت لأُم موسى: ما لك قد اصفرّ لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحد إلاّ أحبّه وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾(١) فأحبّته القبطيّة الموكّلة به، وأنزل الله على أُمّ موسى التابوت ونوديت: ضعه في التابوت فاقذفيه في اليمّ وهو البحر، ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين؛ فوضعته في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل، وكان لفرعون قصر على شطّ النيل متنزّه فنظر من قصره - ومعه آسية امرأته - إلى سواد في النيل ترفعه الأمواج وتضربه الرياح حتّى جاءت به على باب قصر فرعون، فأمر فرعون بأخذه فأُخذ التابوت ورفع إليه فلمّا فتحه وجد فيه صبيّاً.

فقال: هذا إسرائيليّ، فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبّة شديدة وكذلك في قلب آسية، وأراد أن يقتله فقالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وهم لا يشعرون أنّه موسى ولم يكن لفرعون ولد.

فقال: التمسوا له ظئراً تربّيه، فجاؤوا بعدّة نساء قد قتل أولادهنّ فلم يشرب لبن أحد من النساء، وهو قول الله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾.

وبلغ أُمّه أنّ فرعون قد أخذه فحزنت وبكت كما قال الله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ يعني كادت أن تخبرهم بخبره، أو تموت ثمّ ضبطت نفسها، فكانت كما قال: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثمّ قالت لأُخت موسى: قصّيه، أي اتّبعيه، فجاءت أُخته إليه فبصرت به عن جنب، أي عن بعد وهم لا يشعرون، فلمّا لم يقبل موسى بأخذ ثدي أحد من النساء اغتمّ فرعون غمّاً شديداً فقالت أُخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ فقالوا: نعم، فجاءت بأُمّه، فلمّا أخذته في حجرها وألقمته ثديها التقمه وشرب ففرح فرعون وأهله وأكرموا أُمّه فقالوا لها: ربّيه لنا فإنّا نفعل بك ونفعل وذلك قول الله: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢) وكان فرعون يقتل

(١) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٢) سورة القصص، الآيات: ٩-١٣.

أولاد بني إسرائيل كلّما يلدون، ويربّي موسى ويكرمه، ولا يعلم أنّ هلاكه على يده؛ فلمّا درج موسى كان يوماً عند فرعون فعطس موسى فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) فأنكر فرعون ذلك عليه ولطمه وقال: ما هذا الّذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته وكان طويل اللّحية فهلبها أي قلعها، فهمّ فرعون بقتله.

فقالت امرأته: غلام حدث لا يدري ما يقول، وقد لطمته بلطمتك إيّاه.

فقال فرعون: بل يدري، فقالت له: ضع بين يديك تمراً وجمراً، فإن ميّز بينهما فهو الّذي تقول، فوضع بين يديه تمراً وجمراً فقال له: كل، فمدّ يده إلى التمر فجاء جبرئيل فصرفها إلى الجمر في فيه فاحترق لسانه فصاح وبكى، فقالت آسية لفرعون: ألم أقل لك أنّه لا يعقل؟ فعفى عنه.

قال الراوي: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: فكم مكث موسى غائباً عن أُمّه حتى ردّه الله عليها؟

قال: ثلاثة أيّام.

فقلت: وكان هارون أخا موسى لأبيه وأُمّه؟

قال: نعم.

أما تسمع الله يقول: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾(٢).

فقلت: فأيّهما كان أكبر سنّاً؟

قال: هارون، فقلت: وكان الوحي ينزل عليهما جميعاً؟

قال: كان الوحي ينزل على موسى، وموسى يوحيه إلى هارون.

فقلت له: أخبرني عن الأحكام والقضاء والأمر والنهي، أكان ذلك إليهما؟

قال: كان موسى الّذي يناجي ربّه ويكتب العلم، ويقضي بين بني إسرائيل وهارون يخلفه إذا غاب عن قومه للمناجاة، قلت: فأيّهما مات قبل صاحبه؟

قال: مات هارون قبل موسى عليه السلام وماتا جميعاً في التيه، قلت: وكان لموسى ولد؟

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٢) سورة طه، الآية: ٩٤.

قال: لا، كان الولد لهارون والذرّيّة له.

قال: فلم يزل موسى عند فرعون في أكرم كرامة حتّى بلغ مبلغ الرجال، وكان ينكر عليه ما يتكلّم به موسى من التوحيد حتّى همّ به فخرج موسى من عنده ودخل المدينة فإذا رجلان يقتتلان: أحدهما يقول بقول موسى، والآخر يقول بقول فرعون، فاستغاثه الّذي هو من شيعته، فجاء موسى فوكز صاحبه فقضى عليه وتوارى في المدينة، فلمّا كان من الغد جاء آخر فتشبّث بذلك الرجل الّذي يقول بقول موسى، فاستغاث بموسى، فلمّا نظر صاحبه إلى موسى قال له: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾[1] فخلّى صاحبه وهرب، وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى قد كتم إيمانه ستّمائة سنة وهو الّذي قال الله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾[2] وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل فطلبه ليقتله فبعث المؤمن إلى موسى: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[3] فخرج منها كما حكى الله ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ قال: يلتفت يمنةً ويسرةً ويقول: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ومرّ نحو مدين وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيّام، فلمّا بلغ باب مدين رأى بئراً يستقي النّاس منها لأغنامهم ودوابّهم، فقعد ناحيةً ولم يكن أكل منذ ثلاثة أيّام شيئاً، فنظر إلى جاريتين في ناحية ومعهما غنيمات لا تدنوان من البئر، فقال لهما: ما لكما لا تستقيان؟

فقالتا كما حكى الله: ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فرحمهما موسى ودنا من البئر فقال لمن على البئر: أستقي لي دلواً ولكم دلواً، وكان الدلو يمدّه عشرة رجال، فاستقى وحده دلواً لمن على البئر، ودلواً لبنتي شعيب وسقى أغنامهما ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[4] وكان شديد الجوع.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٩.
(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.
(٣) سورة القصص، الآية: ١٩.
(٤) سورة القصص، الآيات: ٢١-٢٤.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ موسى كليم الله حيث سقى لهما ثمّ تولّى إلى الظلّ فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ والله ما سأل الله إلاّ خبزاً يأكله، لأنّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد رأوا خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله، فلمّا رجعتا ابنتا شعيب إلى شعيب قال لهما: أسرعتما الرجوع! فأخبرتاه بقصّة موسى ولم تعرفاه، فقال شعيب لواحدة منهما:

اذهبي إليه فادعيه لنجزيه أجر ما سقى لنا، فجاءت إليه كما حكى الله ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾.

فقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام موسى عليه السلام معها فمشت أمامه فسفقتها الرياح فبان عجزها.

فقال لها موسى: تأخّري ودلّيني على الطريق بحصات تلقيها أمامي أتبعها، فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء، فلمّا دخل على شعيب قصّ عليه قصّته فقال له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قالت إحدى بنات شعيب: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾.

فقال لها شعيب: أمّا قوّته فقد عرفته بسقي الدلو وحده، فبمَ عرفت أمانته؟

فقالت: إنّه قال لي: تأخّري عنّي ودلّيني على الطريق فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء عرفت أنّه ليس من القوم الّذين ينظرون في أعجاز النساء، فهذه أمانته.

فقال له شعيب: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

فقال له موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ أي لا سبيل عليّ إن عملت عشر سنين أو ثماني سنين.

فقال موسى: و﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾(١).

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٢٥-٢٨.

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّ الأجلين قضى؟ قال: أتمّهما عشر حجج، قلت له: فدخل بها قبل أن يمضي الأجل أو بعد؟

قال: قبل.

قلت: فالرجل يتزوّج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين يجوز ذلك؟

قال: إنّ موسى عليه السلام علم أنّه يتمّ له شرطه، فكيف لهذا أن يعلم أنّه يبقى حتّى يفي؟! قلت له: جعلت فداك أيّتهما زوّجه شعيب من بناته؟ قال: الّتي ذهبت إليه فدعته وقالت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.

فلمّا قضى موسى الأجل قال لشعيب: لا بدّ لي أن أرجع إلى وطني وأُمّي وأهل بيتي، فما لي عندك؟

فقال شعيب: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلق فهو لك، فعمد موسى عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه فقشر منه بعضه وترك بعضه وغرزه في وسط مربض الغنم وألقى عليه كساءً أبلق، ثمّ أرسل الفحل على الغنم فلم تضع الغنم في تلك السنة إلاّ بلقاً، فلمّا حال عليه الحول حمل موسى امرأته وزوّده شعيب من عنده وساق غنمه، فلمّا أراد الخروج قال لشعيب: أبغي عصاً تكون معي، وكانت عصيّ الأنبياء عنده قد ورثها مجموعة في بيت.

فقال له شعيب: ادخل هذا البيت وخذ عصاً من بين تلك العصيّ، فدخل فوثبت عليه عصا نوح وإبراهيم عليهما السلام وصارت في كفّه فأخرجها ونظر إليها شعيب فقال: ردّها وخذ غيرها، فردّها ليأخذ غيرها فوثبت إليه تلك بعينها فردّها حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات.

فلمّا رأى شعيب ذلك قال له: اذهب فقد خصّك الله بها، فساق غنمه فخرج يريد مصر، فلمّا صار في مفازة ومعه أهله أصابهم بردٌ شديدٌ وريحٌ وظلمةٌ وقد جنّهم اللّيل ونظر موسى إلى نار قد ظهرت كما قال الله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ فأقبل نحو النار يقتبس فإذا شجرة ونار تلتهب عليها، فلمّا ذهب نحو النار يقتبس منها أهوت إليه ففزع منها وعدا ورجعت النار إلى الشجرة فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة فرجع الثانية

ليقتبس فأهوت نحوه فعدا وتركها ثمّ التفت وقد رجعت إلى الشجرة، فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا ولم يعقّب أي لم يرجع، فناداه الله: أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين.

قال موسى عليه السلام: فما الدليل على ذلك؟

قال الله: ما في يمينك يا موسى؟

قال: هي عصاي.

قال: ألقها يا موسى، فألقاها فصارت حيّة ففزع منها موسى وعدا، فناداه الله:

خذها ولا تخف إنّك من الآمنين، اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، أي من غير علّة، وذلك أنّ موسى عليه السلام كان شديد السمرة فأخرج يده من جيبه فأضاءت له الدنيا.

فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

فقال موسى كما حكى الله: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1] [2].

عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

قال: قال لها شعيب: يا بنيّة هذا قويٌّ قد عرفته بدفع الصخرة، الأمين من أين عرفته؟

قالت: يا أبت إنّي مشيت قدّامه فقال: امشي من خلفي فإن ضللت فأرشديني إلى الطريق، فإنّا قوم لا ننظر في أدبار النساء[3].

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٢٩-٣٥.

(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ١١٢، والبحار: ج ١٣/ص ٢٥-٣١، باب ٢/ح ٢.

(٣) من لا يحضر الفقيه: ج ٤/ص ٦٤٠/ح ٤٩٧٦، والبحار: ج ١٣/ص ٣٢، باب ٢/ح ٥.

في خبر ابن الجهم قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾(١).

قال الرضا عليه السلام: إنّ موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فوجد فيها رجلين يقتتلان: هذا من شيعته، وهذا من عدوّه. فاستغاثه الّذي من شيعته على الّذي من عدوّه فقضى موسى عليه السلام على العدوّ بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات.

قال: هذا من عمل الشيطان، يعني الاقتتال الّذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله، إنّه يعني الشيطان عدوٌّ مضلٌّ مبينٌ.

قال المأمون: فما معنى قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾؟

قال: يقول: إنّي وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ﴿فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ أي استرني من أعدائك لئلّا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بل أُجاهد في سبيلك بهذه القوّة حتّى ترضى ﴿فَأَصۡبَحَ﴾ موسى عليه السلام ﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾ على آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾(٢) قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم؟ لأُؤدّبنّك، وأراد أن يبطش به، فلمّا أن أراد أن يبطش بالّذي هو عدوّ لهما وهو من شيعته قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبّاراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين.

قال المأمون: جزاك الله خيراً يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؟

قال الرضا عليه السلام: إنّ فرعون قال لموسى عليه السلام لمّا أتاه: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بي.

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٢) سورة القصص، الآيات: ١٥-١٨.

قال موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الخبر(١).

قال الرازيّ: احتجّ بهذه الآية من طعن في عصمة الأنبياء بأنّ ذلك القبطيّ إمّا أن يقال إنّه كان مستحقّ القتل أو لم يكن كذلك، فإن كان الأوّل فلمَ قال: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؟

ولمَ قال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾؟

ولم قال في سورة أُخرى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ وإن كان الثاني كان قتله معصيةً وذنباً.

والجواب: أنّه لمَ لا يجوز أن يقال إنّه كان لكفره مباح الدم.

وأمّا قوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ ففيه وجوهٌ:

أحدها: أنّ الله تعالى وإن أباح قتل الكفّار إلاّ أنّه كان الأولى تأخير قتلهم إلى زمان آخر، فلمّا قتل فقد ترك ذلك المندوب فهو قوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

وثانيها: أنّ قوله: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه، فقوله: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي عمل هذا المقتول من عمل الشيطان، والمراد منه بيان كونه مخالفاً لله تعالى مستحقّاً للقتل.

وثالثها: أن يكون قوله: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى المقتول، يعني أنّه من جند الشيطان وحزبه، يقال: فلان من عمل السلطان أي من أحزابه.

وأمّا قوله: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ فعلى نهج قول آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ والمراد أحد وجهين: إمّا على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنبٌ قطّ، أو من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب.

وأما قوله: ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾ أي فاغفر لي ترك هذا المندوب، وفيه وجه آخر: وهو أن يكون المراد: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ حيث قتلت هذا الملعون، فإنّ فرعون

---

(١) الإحتجاج: ص ٤٢٨، وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ١٧٦، باب ١٥/ح ١، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٣/ باب ٢/ ح ٦.

لو عرف ذلك لقتلني به ﴿فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ فاستره عليّ ولا توصل خبره إلى فرعون ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ أي ستره عن الوصول إلى فرعون، ويؤيّده أنّه قال عقيبه: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ ولو كانت إعانة المؤمن ههنا سبباً للمعصية لما قال ذلك.

وأما قوله: ﴿فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فلم يقل: إنّي صرت بذلك ضالاً، ولكن فرعون لمّا ادّعى أنّه كان كافراً في حال القتل نفى عن نفسه كونه كافراً في ذلك الوقت، واعترف بأنّه كان ضالاً، أي متحيّراً لا يدري ما يجب عليه أن يفعله، وما يدين به في ذلك، انتهى[1].

وقال السيّد المرتضى قدّس الله روحه: ممّا يجاب به عن هذا السؤال أنّ موسى عليه السلام لم يتعمّد القتل ولا أراد، وإنّما اجتاز فاستغاثه رجل من شيعته على رجل من عدوّه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله فأراد موسى أن يخلّصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدّى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، وكلّ ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح، ولا يستحقّ العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه وبين أن يكون عن غيره في هذا الباب[2].

ثمّ ذكر نحواً من الأجوبة الّتي ذكرها الرازيّ ثمّ قال: فإن قيل: فما معنى قول فرعون لموسى عليه السلام: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؟

وقوله عليه السلام: ﴿فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ وكيف نسب عليه السلام الضلال إلى نفسه ولم يكن عندكم في وقت من الأوقات ضالاً؟

الجواب: أمّا قوله: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فإنّما أراد به: الكافرين لنعمتي وحقّ تربيتي، فإنّ فرعون كان المربّي لموسى إلى أن كبر وبلغ، ألا ترى إلى قوله تعالى حكاية عنه: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[3].

---

(١) تفسير فخر الرازي: ج ٢٤/ المجلد ٨/ ص ٥٨٥، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٣-٣٤، باب ٢/ ذيل ج ٦.
(٢) تنزيه الأنبياء: ص ٦٧، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٤-٣٥، باب ٢/ ذيل ح ٦.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٨.

فأمّا قول موسى عليه السلام : ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فإنّما أراد به من الذاهبين عن أنّ الوكزة تأتي على النفس؛ أو المدافعة تفضي إلى القتل، فقد يسمّى الذاهب عن الشيء أنّه ضالّ عنه، ويجوز أيضاً أن يريد إنّي ضللت عن فعل المندوب إليه من الكفّ عن القتل في تلك الحال والفوز بمنزلة الثواب[1].

ثمّ قال: فإن قيل: كيف يجوز لموسى عليه السلام أن يقول لرجل من شيعته يستصرخه: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾؟

الجواب: إنّ قوم موسى كانوا غلاظاً جفاةً، ألا ترى إلى قولهم بعد مشاهدة الآيات لمّا رأوا من يعبد الأصنام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[2] وإنّما خرج موسى عليه السلام خائفاً على نفسه من قوم فرعون بسبب قتل القبطيّ، فرأى ذلك الرجل يخاصم رجلاً من أصحاب فرعون واستنصر موسى عليه السلام فقال له عند ذلك: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ وأراد إنّك خائب في طلب ما لا تدركه، وتكلّف ما لا تطيقه، ثمّ قصد إلى نصرته كما نصره بالأمس على الآخر فظنّ أنّه يريده بالبطش لبعد فهمه فقال له: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ فعدل عن قتله وصار ذلك سبباً لشياع خبر القبطيّ بالأمس. انتهى[3].

عن سعيد بن جبير، عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين، عن أبيه سيّد الشهداء الحسين بن عليّ، عن أبيه سيّد الوصيين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا حضرت يوسف الوفاة جمع شيعته وأهل بيته فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ حدثهم بشدّة تنالهم يقتل فيها الرجال، وتشقّ بطون الحبالى، وتذبح الأطفال حتّى يظهر الله الحقّ في القائم من ولد لاوي بن يعقوب، وهو رجل أسمر طويل، ووصفه لهم بنعته، فتمسّكوا بذلك؛ ووقعت الغيبة والشدّة ببني إسرائيل وهم ينتظرون قيام القائم أربعمائة سنة، حتّى إذا بشّروا بولادته ورأوا علامات ظهوره اشتدّت البلوى عليهم وحمل عليهم بالخشب

---

(١) تنزيه الأنبياء: ص ٧٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٥، باب ٢/ ذيل ح ٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٣) تنزيه الأنبياء: ص ٧٠، والبحار: ص ٣٥-٣٦، باب ٢/ج ١٣/ ذيل ح ٦.

والحجارة، وطلب الفقيه الّذي كانوا يستريحون إلى أحاديثه فاستتر، وتراسلوه وقالوا:

كنّا مع الشدّة نستريح إلى حديثك، فخرج بهم إلى بعض الصحارى وجلس يحدّثهم حديث القائم ونعته وقرب الأمر، وكانت ليلة قمراء فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حديث السنّ وقد خرج من دار فرعون يظهر النزهة، فعدل عن موكبه وأقبل إليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خزّ، فلمّا رآه الفقيه عرفه بالنعت فقام إليه وانكبّ على قدميه فقبّلهما ثمّ قال:

الحمد لله الّذي لم يمتني حتّى أرانيك، فلمّا رأى الشيعة ذلك علموا أنّه صاحبهم فأكبّوا على الأرض شكراً لله عزّ وجلّ فلم يزدهم على أن قال: أرجو أن يعجّل الله فرجكم، ثمّ غاب بعد ذلك وخرج إلى مدينة مدين فأقام عند شعيب ما أقام، فكانت الغيبة الثانية أشدّ عليهم من الأولى، وكانت نيّفاً وخمسين سنة، واشتدّت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا إليه أنّه لا صبر لنا على استتارك عنّا، فخرج إلى بعض الصحارى واستدعاهم وطيّب قلوبهم وأعلمهم أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه أنّه مفرّج عنهم بعد أربعين سنة، فقالوا بأجمعهم:

الحمد لله، فأوحى الله عزّ وجلّ : قل لهم: قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد لله.

فقالوا: كلّ نعمة من الله، فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشرين سنة.

فقالوا: لا يأتي بالخير إلاّ الله، فأوحى الله إليه: قل لهم: قد جعلتها عشراً.

فقالوا: لا يصرف الشرّ إلا الله.

فأوحى الله إليه: قل لهم: لا تبرحوا فقد آذنت في فرجكم، فبينا هم كذلك إذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً، فأراد الفقيه أن يعرّف الشيعة ما يستبصرون به فيه، وجاء موسى حتّى وقف عليهم فسلّم عليهم.

فقال له الفقيه: ما اسمك؟

فقال: موسى.

قال: ابن من؟

قال: ابن عمران.

قال: ابن من؟

قال: ابن وهب بن لاوي بن يعقوب.

قال: بماذا جئت؟

قال: بالرسالة من عند الله عزّ وجلّ.

فقام إليه فقبّل يده، ثمّ جلس بينهم وطيّب نفوسهم وأمرهم أمره، ثمّ فرّقهم فكان بين ذلك الوقت وبين فرجهم بغرق فرعون أربعون سنة(١).

عن البزنطيّ قال: سألت الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ أهي الّتي تزوّج بها؟

قال: نعم، ولمّا قالت: ﴿اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾(٢).

قال أبوها: كيف علمت ذلك؟ قالت: لمّا أتيته برسالتك فأقبل معي قال: كوني خلفي ودلّيني على الطريق، فكنت خلفه أُرشده كراهة أن يرى منّي شيئاً، ولمّا أراد موسى الانصراف قال شعيب: ادخل البيت وخذ من تلك العصيّ عصاً تكون معك تدرأ بها السباع، وقد كان شعيب أُخبر بأمر العصا الّتي أخذها موسى، فلمّا دخل موسى البيت وثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها.

فقال له شعيب: خذ غيرها، فعاد موسى إلى البيت ووثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها.

فقال له شعيب: ألم أقل لك خذ غيرها؟

قال له موسى: قد رددتها ثلاث مرّات كلّ ذلك تصير في يدي.

فقال له شعيب: خذها، وكان شعيب يزور موسى كلّ سنة، فإذا أكل قام موسى على رأسه وكسر له الخبز(٣).

---

(١) كمال الدين: ص ١٤٦، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٦-٣٧، باب ٢/ح ٧.

(٢) سورة القصص: الآية: ٢٥-٢٦.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٢، والبحار: ج ١٣، ص ٤٤-٤٥، باب ٢/ح ١٠.

عن محمّد بن الفيض، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت عصا موسى عليه السلام لآدم فصارت إلى شعيب، ثمّ صارت إلى موسى بن عمران، وإنّها لعندنا، وإنّ عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرتها، وإنّها لتنطق إذا استنطقت، أُعدّت لقائمنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسى عليه السلام وإنّها لتروّع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، إنّها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، تفتح لها شعبتان: إحداهما في الأرض، والأُخرى في السقف، وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها[١].

قال السيّد ابن طاوس قدّس الله روحه في كتاب سعد السعود: رأيت في تفسير منسوب إلى الباقر عليه السلام كانت عصا موسى هي عصا آدم عليه السلام بلغنا - والله أعلم - أنّه هبط بها من الجنّة، كانت من عوسج الجنّة، وكانت عصاً لها شعبتان، وبلغني أنّها في فراش شعيب فدخل موسى فأخذها.

فقال له شعيب: لقد كنت عندي أميناً أخذت العصا بغير أمري.

فقال له موسى: لا، إنّ العصا لولا أنّها كانت لي ما أخذتها، فأقرّ شعيب ورضي وعرف أنّه لم يأخذها إلاّ وهو نبيّ[٢].

عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ألقى الله تعالى من موسى على فرعون وامرأته المحبّة.

قال: وكان فرعون طويل اللّحية فقبض موسى عليها فجهدوا أن يخلّصوها من يد موسى فلم يقدروا على ذلك حتّى خلاّها، فأراد فرعون قتله فقالت له امرأته: إنّ هنا أمراً تستبين به هذا الغلام، ادع بجمرة ودينار فضعهما بين يديه، ففعل فأهوى موسى إلى الجمرة ووضع يده عليها فأحرقتها، فلمّا وجد حرّ النار وضع يده على لسانه فأصابته لغثة، وقد قال في قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾[٣] قضى أوفاهما وأفضلهما[٤].

---

(١) أصول الكافي: ج ١/ ص ١٣٢، باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء، ح ١، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٥، باب ٢/ح ١١.
(٢) سعد السعود: ص ١٢٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٥-٤٦، باب ٢/ذيل ح ١١.
(٣) سورة القصص، الآية: ٢٨.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٢-١٥٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٦، باب ٢/ح ١٢، و١٣.

سئل الصادق عليه السلام عن موسى عليه السلام لمّا وضع في البحر كم غاب عن أُمّه حتّى ردّه الله تعالى إليها؟

قال: ثلاثة أيّام(١).

روى مجاهد، عن ابن عمرو، وأبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر طويل قال: إنّ موسى بن عمران عليه السلام كان فرعون في طلبه يبقر بطون النساء الحوامل ويذبح الأطفال ليقتل موسى عليه السلام، فلمّا ولدته أُمّه أمرها أن تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقي التابوت في اليمّ، فقالت وهي ذعرة من كلامه: يا بنيّ إنّي أخاف عليك الغرق.

فقال لها: لا تحزني إنّ الله يردّني إليك، فبقيت حيرانة حتّى كلّمها موسى وقال لها: يا أُمّ اقذفيني في التابوت وألقي التابوت في اليمّ.

قال: ففعلت ما أُمرت به فبقي في اليمّ إلى أن قذفه الله في الساحل وردّه إلى أُمّه برمته لا يطعم طعاماً ولا يشرب شراباً معصوماً مدّة. وروي أنّ المدّة كانت سبعين يوماً، وروي سبعة أشهر(٢).

عن سدير الصيرفيّ، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ فرعون لمّا وقف على أنّ زوال ملكه على يد موسى أمر بإحضار الكهنة فدلّوه على نسبه وأنّه من بني إسرائيل، فلم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من بني إسرائيل حتّى قتل في طلبه نيّفاً وعشرين ألف مولود، وتعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه(٣).



(١) المصدر السابق.
(٢) روضة الواعظين: ص ٩٤، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٦-٤٧، باب ٢/ح ١٤.
(٣) كمال الدين: ص ٣٣٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٧، باب ٢/ح ١٥.

معنى قوله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ وقول موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ وإنه لم سمي الجبل طور سيناء

عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[1] لأنّها كانت من جلد حمار ميت[2].

عن أبي عبد الله الكوفيّ بإسناد متصل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال في قول الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾.

قال: يعني ارفع خوفيك، يعني خوفه من ضياع أهله وقد خلفها بمخض، وخوفه من فرعون[3].

قال الصدوق رحمه الله: وسمعت أبا جعفر محمّد بن عبد الله بن طيفور الدامغاني الواعظ يقول في قول موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨﴾ قال: يقول: إنّي أستحيي أن أُكلّم بلساني الّذي كلّمتك به غيرك فيمنعني حيائي منك عن محاورة غيرك، فصارت هذه الحال عقدة على لساني فاحللها بفضلك ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾[4] معناه أنّه سأل الله عزّ وجلّ أن يأذن له في أن يعبّر عنه هارون فلا يحتاج أن يكلّم فرعون بلسان كلّم الله عزّ وجلّ به[5].

عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عبّاس قال: إنّما سمّي الجبل الّذي كان عليه موسى طور سيناء لأنّه جبل كان عليه شجر الزيتون، وكلّ جبل يكون عليه ما ينتفع به من النبات والأشجار سمّي طور سيناء وطور سينين، وما لم يكن عليه ما ينتفع به من النبات أو الأشجار من الجبال سمّي طور، ولا يقال له طور سيناء ولا طور سينين[6].

سأل سعد بن عبد الله القائم عليه السلام عن قول الله تعالى لنبيّه موسى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ فإنّ فقهاء الفريقين يزعمون أنّها كانت من إهاب الميتة.

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٢.
(٢) علل الشرائع: ج ١/ص ٨٥، باب ٥٥/ح ١-٣، والبحار: ج ١٣، باب ٣/ص ٦٤/ح ١-٢.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) سورة طه، الآيات: ٢٧-٣٠.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) علل الشرائع: ج ١/ ٨٥، باب ٥٧/ح١، والبحار: ج ١٣/ ص ٦٥، باب ٣/ح ٣.

فقال عليه السلام: من قال ذلك فقد افترى على موسى واستجهله في نبوّته، إنّه ما خلا الأمر فيها من خصلتين: إمّا أن كانت صلاة موسى فيها جائزة أو غير جائزة، فإن كانت جائزة فيها فجاز لموسى أن يكون يلبسها في تلك البقعة وإن كانت مقدّسة مطهّرة، وإن كانت صلاته غير جائزة فيها فقد أوجب أنّ موسى لم يعرف الحلال والحرام، ولم يعلم ما جازت الصلاة فيه ممّا لم تجز وهذا كفر.

قلت: فأخبرني يا مولاي عن التأويل فيهما.

قال: إنّ موسى عليه السلام كان بالواد المقدّس.

فقال: يا ربّ إنّي أخلصت لك المحبّة منّي، وغسلت قلبي عمّن سواك - وكان شديد الحبّ لأهله - فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي انزع حبّ أهلك من قلبك إن كانت محبّتك لي خالصة، وقلبك من الميل إلى من سواي مشغولاً؛ الخبر[(١)].

اعلم أنّ المفسّرين اختلفوا في سبب الأمر بخلع النعلين ومعناه على أقوال:

الأوّل: أنّهما كانتا من جلد حمار ميّت.

والثاني: أنّه كان من جلد بقرة ذكيّة، ولكنّه أمر بخلعهما ليباشر بقدميه الأرض فتصيبه بركة الوادي المقدّس.

والثالث: أنّ الحفا من علامة التواضع، ولذلك كانت السلف تطوف حفاةً.

والرابع: أنّ موسى عليه السلام إنّما لبس النعل اتّقاءً من الأنجاس وخوفاً من الحشرات فآمنه الله ممّا يخاف وأعلمه بطهارة الموضع.

والخامس: أنّ المعنى: فرّغ قلبك من حبّ الأهل والمال.

والسادس: أنّ المراد: فرّغ قلبك عن ذكر الدارين.

في خبر ابن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الواد المقدّس لمَ سمّي المقدّس؟ قال: لأنّه قدّست فيه الأرواح، واصطفيت فيه الملائكة، وكلّم الله عزّ وجلّ موسى تكليماً[(٢)].

---

(١) الإحتجاج: ص ٤٦٣، والبحار: ج ١٣/ص ٦٥، باب ٣/ح ٤.

(٢) علل الشرائع: ج ٢/ص ١٨٣، باب ٢٢١/ح ٣٣، والبحار: ج ١٣/ص ٦٦، باب ٣/ح ٥.

بعثة موسى وهارون صلوات الله عليهما على فرعون، وأحوال فرعون وأصحابه وغرقهم، وما نزل عليهم من العذاب قبل ذلك وإيمان السحرة وأحوالهم

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾(١) إن فرعون لمّا بلغه أنّ بني إسرائيل يقولون: يولد فينا رجل يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده كان يقتل أولادهم الذكور ويدع الإناث(٢).

في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فإن قوم موسى استعبدهم آل فرعون، وقالوا: لو كان لهؤلاء على الله كرامة كما يقولون ما سلطنا عليهم.

قوله: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ يعني بيت المقدس.

قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ أي ملكاً ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ أي يفتنوا النّاس بالاموال والعطايا ليعبدوه ولا يعبدوك ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي أهلكها.

قوله: ﴿سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي طريق فرعون وأصحابه.

قوله: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾(٣) قال: ردهم إلى مصر وغرق فرعون(٤).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ قال: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والعصا ويده والبحر. ويحكي قول موسى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾(٥) أي هالكاً تدعو بالثبور(٦).

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ فرعون بنى سبع مدائن

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٩.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٥٧، والبحار: ج ١٣/ص ١٠٦، باب ٤/ح ١.
(٣) سورة يونس، الآيات: ٨٤-٩٣.
(٤) تفسير القمي: ج ١/ص ٣١٥، والبحار: ج ١٣/ص ١٠٦، باب ٤/ح ٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.
(٦) البحار: ج ١٣/ص ١٠٦، باب ٤/ح ٤.

فتحصن فيها من موسى، فلمّا أمره الله أن يأتي فرعون جاءه ودخل المدينة، فلمّا رأته الاسود بصبصت بأذنابها، ولم يأتِ مدينة إلا انفتح له حتّى انتهى إلى الّتي هو فيها، فقعد على الباب وعليه مدرعة من صوف ومعه عصاه، فلمّا خرج الآذن قال له موسى عليه السلام: إنّي رسول ربّ العالمين إليك، فلم يلتفت، فضرب بعصاه الباب فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلا انفتح فدخل عليه وقال: أنا رسول ربّ العالمين.

فقال: ائتني بآية، فألقى عصاه، وكان لها شعبتان فوقعت إحدى الشعبتين في الارض، والشعبة الأُخرى في أعلى القبّة، فنظر فرعون إلى جوفها وهي تلتهب ناراً وأهوت إليه، فأحدث فرعون وصاح:

يا موسى خذها، ولم يبق أحد من جلساء فرعون إلا هرب، فلمّا أخذ موسى العصا ورجعت إلى فرعون نفسه همّ بتصديقه فقام إليه هامان وقال:

بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟! واجتمع الملأ وقالوا: هذا ساحرٌ عليمٌ، فجمع السحرة لميقات يوم معلوم، فلمّا ألقوا حبالهم وعصيّهم ألقى موسى عصاه فالتقمتها كلّها، وكان في السحرة اثنان وسبعون شيخاً خروا سجداً، ثمَّ قالوا لفرعون: ما هذا سحرٌ لو كان سحراً لبقيت حبالنا وعصيّنا، ثمَّ خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل يريد أن يقطع بهم البحر فأنجى الله موسى ومن معه، وغرق فرعون ومن معه، فلمّا صار موسى في البحر اتبّعه فرعون وجنوده فتهيب فرعون أن يدخل البحر، فمثّل جبرئيل على ماديانة، وكان فرعون على فحل، فلمّا رأى قوم فرعون الماديانة اتبعوها فدخلوا البحر وغرقوا، وأمر الله البحر فلفظ فرعون ميتاً حتّى لا يظنّ أنّه غائب وهو حيّ، ثمَّ إنّ الله تعالى أمر موسى أن يرجع ببني إسرائيل إلى الشام، فلمّا قطع البحر بهم مرّ على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1] ثم ورث بنو إسرائيل ديارهم وأموالهم، فكان الرجل يدور على دور كثيرة، ويدور على النساء[2].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٥، والبحار: ج ١٣/ ص ١٠٩-١١٠، باب ٤/ح ١٤.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾.

قال: كان فرعون يعبد الأصنام ثمَّ ادعى بعد ذلك الربوبية.

فقال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾.

قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ قال: قال الّذين آمنوا لموسى: قد اوذينا قبل مجيئك يا موسى بقتل أولادنا، ومن بعد ما جئتنا لمّا حبسهم فرعون لايمانهم بموسى.

فقال موسى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

ومعنى (ينظر) أي يرى كيف تعملون، فوضع النظر مكان الرؤية.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يعني السنين الجدبة لمّا أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

وأما قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ قال: الحسنة ههنا الصحة والسلامة والامن والسعة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾.

قال: السيئة ههنا الجوع والخوف والمرض ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي يتشأموا بموسى ومن معه.

وأمّا قوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾(١) فإنه لمّا سجد السحرة وآمن به النّاس.

قال هامان لفرعون: إنّ النّاس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني إسرائيل، فجاء إليه موسى فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان فخرّب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البريّة وضربوا فيها الخيام، فقال فرعون لموسى:

ادع ربّك حتّى يكف عنّا الطوفان حتّى اخلي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٢٧-١٣٣.

موسى ربّه فكف عنهم الطوفان، وهمَّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل فقال له هامان:

إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك، فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد، فجردت كلّ شيء كان لهم من النبت والشجر حتّى كانت تجرّد شعرهم ولحيتهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال:

يا موسى ادع ربّك أن يكف الجراد عنّا حتّى اخلي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربكه فكف عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلي عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمّل، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة.

فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففت عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه حتّى ذهب القمّل، وقال:

أوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزمان، فلم يخلّ عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنّها كانت تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى فقالوا: ادع الله أن يذهب عنّا الضفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلوا عن بني إسرائيل حول الله ماء النيل دماً، فكان القبطيّ يراه دماً، والاسرائيليّ يراه ماء، فإذا شربه الاسرائيلي كان ماءً، وإذا شربه القبطي كان دماً، فكان القبطيّ يقول للاسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبه في فمي، فكان إذا صبه في فم القبطي تحول دماً، فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فقالوا لموسى:

لئن رفع الله عنّا الدم لنرسلن معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدم غدروا ولم يخلوا عن بني إسرائيل فأرسل الله عليهم الرجز وهو الثلج ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله، فقالوا:

يا موسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك لئن كشفت عنّا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا ربّه فكشف عنهم الثلج فخلى عن بني إسرائيل، فلمّا

خلى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام وخرج موسى من مصر واجتمع عليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل فقد اجتمعوا إليه، فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين، وخرج في طلب موسى.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ يعني بني إسرائيل لمّا أهلك الله فرعون ورثوا الأرض وما كان لفرعون. قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يعني الرحمة بموسى تمّت لهم. قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾[(١)] يعني المصانع والعريش والقصور[(٢)].

في تسع آيات موسى: لمّا اجتمع رأى فرعون أن يكيد موسى فأوّل ما كاده به عمل الصرح، فأمر هامان ببنائه حتّى اجتمع فيه خمسون ألف بناء سوى من يطبخ الآجر، وينجر الخشب والابواب ويضرب المسامير حتّى رفع بنياناً لم يكن مثله منذ خلق الله الدنيا، وكان أساسه على جبل فزلزله الله تعالى فانهدم على عمّاله وأهله وكلّ من كان عمل فيه من القهارمة والعمّال.

فقال فرعون لموسى عليه السلام: إنّك تزعم أن ربّك عدل لا يجور، أفعدله الّذي أمر؟ فاعتزل الآن إلى عسكرك فإنَّ النّاس لحقوا بالجبال والرمال، فإذا اجتمعوا تسمعهم رسالة ربّك.

فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أخر ودعه، فإنّه يريد أن يجند لك الجنود فيقاتلك، واضرب بينك وبينه أجلاً، وابرز إلى معسكرك يأمنوا بأمانك ثمَّ ابنوا بنياناً واجعلوا بيوتكم قبلة، فضرب موسى بينه وبين فرعون أربعين ليلة، فأوحى إلى موسى أنّه يجمع لك الجموع فلا يهولنّك شأنه، فإنّي أكفيك كيده، فخرج موسى عليه السلام من عند فرعون والعصا معه على حالها حيّة تتبعه وتنعق وتدور حوله والنّاس ينظرون إليه متعجّبين وقد ملئوا رعباً حتّى دخل موسى عسكره وأخذ برأسها فإذا هي عصا، وجمع قومه وبنوا مسجداً، فلمّا مضى الاجل الّذي كان بين موسى وفرعون أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك النيل،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٢٣٩، والبحار: ج ١٣/ص ١١٠-١١٢، باب ٤/ح ١٥.

وكانوا يشربون منه، فضربه فتحول دماً عبيطاً، فإذا ورده بنو إسرائيل استقوا ماءً صافياً، وإذا ورده آل فرعون اختضبت أيديهم وأسقيتهم بالدم، فجهدهم العطش حتّى أنّ المرأة من قوم فرعون تستقي من نساء بني إسرائيل، فإذا سكبت الماء لفرعونية تحول دماً، فلبثوا في ذلك أربعين ليلة واشرفوا على الموت، واستغاث فرعون وآله بمضغ الرطبة فصير ماؤها مالحاً، فبعث فرعون إلى موسى: ادع لنا ربّك يعيد لنا هذا الماء صافياً، فضرب موسى بالعصا النيل فصار ماءً خالصاً، هذا قصّة الدّم.

وأمّا قصّة الضفادع: فإنّه تعالى أوحى إلى موسى أن يقوم على شفير النيل حتّى يخرج كلّ ضفدع خلقه الله تعالى من ذلك الماء فأقبلت تدبّ سراعاً تؤمّ أبواب المدينة فدخلت فيها حتّى ملأت كلّ شيء، فلم يبق دارٌ ولا بيتٌ ولا إناءٌ إلا امتلأت ضفادع، ولا طعامٌ ولا شرابٌ إلا فيه ضفادع حتّى غمهم ذلك وكادوا يموتون، فطلب فرعون إلى موسى أن يدعو ربّه ليكشف البلاء واعتذر إليه من الخلف، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن أسعفه، فأناف موسى بالعصا فلحق جميع الضفادع بالنيل.

وأمّا قصّة الجراد والقمّل: فإنّه تعالى أوحى إلى موسى أن ينطلق إلى ناحية من الأرض ويشير بالعصا نحو المشرق وأُخرى نحو المغرب، فانبثق الجراد من الأفقين جميعاً، فجاء مثل الغمام الاسود، وذلك في زمان الحصاد، فملأ كلّ شيء وعمّ الزرع فأكله وأكل خشب البيوت وأبوابها، ومسامير الحديد والأقفال والسلاسل، ونكت موسى الأرض بالعصا فامتلأت قملاً فصار وجه الأرض أسود وأحمر حتّى ملئت ثيابهم ولحفهم وآنيتهم فتجيء متواصلة وتجيء من رأس الرجل ولحيته، وتأكل كلّ شيء، فلمّا رأوا الّذي نزل من البلاء اجتمعوا إلى فرعون وقالوا: ليس من بلاء إلاّ ويمكن الصبر عليه إلاّ الجوع، فإنّه بلاء فاضح لا صـ ـ لاحد عليه، ما أنت صانع؟

فأرسل فرعون إلى موسى عليه السلام يخبره أنّه لم يجتمع له أمره الّذي أراد، فأوحى الله تعالى إلى موسى أن لا يدع له حجّة وأن ينظره، فأشار بعصاه فانقشع الجراد والقمّل من وجه الأرض.

وأمّا الطمس: فإنَّ موسى لمّا رأى آل فرعون لا يزيدون إلاّ كفراً دعا موسى عليهم فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾(١) فطمس الله أموالهم حجارةً فلم يبق لهم شيئاً ممّا خلق الله تعالى يملكونه لا حنطة ولا شعيراً ولا ثوباً ولا سلاحاً ولا شيئاً من الأشياء إلاّ صار حجارة.

وأمّا الطاعون: فإنّه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إنّي مرسل على أبكار آل فرعون في هذه اللّيلة الطاعون، فلا يبقى بآل فرعون من إنسان ولا دابّة إلاّ قتله، فبشّر موسى قومه بذلك، فانطلقت العيون إلى فرعون بالخبر.

فلمّا بلغه الخبر قال لقومه: قولوا لبني إسرائيل إذا أمسيتم فقدموا أبكاركم، وقدّموا أنتم أبكاركم، واقرنوا كلّ بكرين في سلسلة، فإنَّ الموت يطرقهم ليلاً، فإذا وجدهم مختلطين لم يدر بأيهم يبطش، ففعلوا فلمّا جنّهم اللّيل أرسل الله تعالى الطاعون فلم يبق منهم إنساناً ولا دابّة إلاّ قتله فأصبح أبكار آل فرعون جيفاً، وأبكار بني إسرائيل أحياء سالمين، فمات منهم ثمانون ألفاً سوى الدواب، وكان لفرعون من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها ومن الحليّ والحلل ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى. فأوحى الله جلت عظمته إلى موسى عليه السلام إنّي مورث بني إسرائيل ما في أيدي آل فرعون، فقل ليستعيروا منهم الحليّ والزينة، فإنّهم لا يمتنعون من خوف البلاء، وأعطى فرعون جميع زينة أهله وولده وما كان في خزائنه، فأوحى الله تعالى إلى موسى بالمسير بجميع ذلك حتّى كان من الغرق بفرعون وقومه ما كان(٢).

عن منصور، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: لمّا خافت بنو إسرائيل جبابرتها أوحى الله إلى موسى وهارون عليهما السلام: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾(٣) قال: امروا أن يصلّوا في بيوتهم(٤).

(١) سورة يونس، الآية: ٨٨.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٦٧، والبحار: ج ١٣/ ص ١١٣-١١٦، باب ٤/ح ١٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٨٧.
(٤) تفسير القمي: ج ١/ص ٣١٥، والبحار: ج ١٣/ص ١١٦، باب ٤/ح ١٧.

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فإن بني إسرائيل قالوا: يا موسى ادع الله أن يجعل لنا ممّا نحن فيه فرجاً، فدعا فأوحى الله إليه: أن أسر بهم.

قال: يا ربّ البحر أمامهم!

قال: امض فإنّي آمره ان يعطيك وينفرج لك، فخرج موسى ببني إسرائيل وأتبعهم فرعون حتّى إذا كاد أن يلحقهم ونظروا إليه قد أظلهم.

قال موسى للبحر: انفرج لي.

قال: ما كنت لأفعل.

وقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: غررتنا وأهلكتنا، فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون، ولم نخرج الآن نقتل قتلة.

قال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ واشتد على موسى ما كان يصنع به عامّة قومه وقالوا: يا موسى إنّا لمدركون، زعمت أنّ البحر ينفرج لنا حتّى نمضي ونذهب وقد رهقنا فرعون وقومه، هم هؤلاء نراهم قد دنوا منّا، فدعا موسى ربّه فأوحى الله إليه: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ﴾ فضربه فانفلق البحر، فمضى موسى وأصحابه حتّى قطعوا البحر وأدركهم آل فرعون، فلمّا نزلوا إلى البحر قالوا لفرعون: ما تعجب ممّا ترى؟

قال: أنا فعلت، فمروا وامضوا فيه، فلمّا توسط فرعون ومن معه أمر الله البحر فأطبق عليهم فغرقهم أجمعين، فلمّا أدرك فرعون الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ يقول: كنت من العاصين ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾.

قال: إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم ير منهم أحد، هووا في البحر إلى النّار، وأمّا فرعون فنبذه الله وحده فألقاه بالساحل لبنظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية، ولئلا يشكّ أحد في هلاكه، وإنّهم كانوا اتّخذوه ربّاً، فأراهم الله إيّاه جيفة ملقاة بالساحل ليكون لمن خلفه عبرةً وعظة، يقول الله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

وقال عليّ بن إبراهيم: وقال الصادق عليه السلام: ما أتى جبرئيل رسول الله إلاّ كئيباً حزيناً، ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون، فلمّا أمر الله بنزول هذه الآية: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ نزل عليه وهو ضاحك مستبشر، فقال له رسول الله: ما أتيتني يا جبرئيل إلاّ وتبينت الحزن في وجهك حتّى الساعة.

قال: نعم يا محمّد لمّا غرق الله فرعون قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فأخذت حمأة فوضعتها في فيه، ثمَّ قلت له: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(١) وعملت ذلك من غير أمر الله خفت أن يلحقه الرحمة من الله ويعذبني على ما فعلت، فلمّا كان الآن وأمرني الله أن اؤدي إليك ما قلته أنا لفرعون أمنت وعلمت أنّ ذلك كان لله رضىً.

قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ فإنّ موسى عليه السلام أخبر بني إسرائيل إنّ الله قد غرق فرعون فلم يصدّقوه، فأمر الله البحر فلفظ به على ساحل البحر حتّى رأوه ميتاً(٢).

عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا بعث الله موسى إلى فرعون أتى بابه فاستأذن عليه ولم يؤذن له، فضرب بعصاه الباب فاصطكّت الأبواب مفتحة، ثمَّ دخل على فرعون فاخبره أنّه رسول من ربّ العالمين، وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل، فقال له فرعون كما حكى الله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ أي قتلت الرجل ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني كفرت نعمتي، فقال موسى كما حكى الله: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فقال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وإنّما سأله عن كيفية الله.

فقال موسى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فقال فرعون متعجباً لاصحابه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أسأله عن الكيفيّة فيجيبني عن الخلق!

فقال موسى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ثم قال لموسى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٠-٩٣.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٣١٦، والبحار: ج ١٣/ص ١١٦-١١٨، باب ٤/ح ١٨.

قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾.

قال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلاّهرب ودخل فرعون من الرعب ما لم يملك نفسه.

فقال فرعون: يا موسى انشدك الله والرضاع إلاّما كففتها عنّي، فكفّها، ثمّ نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، فلمّا أخذ موسى العصا رجعت إلى فرعون نفسه وهمّ بتصديقه فقام إليه هامان فقال له: بينما أنت إله تعبد إذ صرت تابعاً لعبد؟!

ثمّ قال فرعون للملا الّذي ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ حوله إلى قوله: ﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وكان فرعون وهامان قد تعلّما السحر وإنّما غلبا النّاس بالسحر، وادّعى فرعون الربوبيّة بالسحر، فلمّا أصبح بعث في المدائن حاشرين، مدائن مصر كلّها، وجمعوا ألف ساحر، واختاروا من الالف مائة ومن المائة ثمانين، فقال السحرة لفرعون: قد علمت أنّه ليس في الدنيا أسحر منّا، فان غلبنا موسى فما يكون لنا عندك؟

قال: ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[1] عندي، أُشاركَكم في ملكي.

قالوا: فإنَّ غلبنا موسى وأبطل سحرنا علمنا أنّ ما جاء به ليس من قبل السحر ولا من قبل الحيلة، آمنّا به وصدّقناه.

فقال فرعون: إن غلبكم موسى صدّقته أنا أيضاً معكم، ولكن أجمعوا كيدكم أي حيلتكم.

قال: وكان موعدهم يوم عيد لهم.

فلمّا ارتفع النهار من ذلك اليوم، وجمع فرعون الخلق والسحرة، وكانت له قبة طولها في السماء ثمانون ذراعاً، وقد كانت لبست الحديد الفولاذ، وكانت إذا وقعت الشمس عليها لم يقدر أحد أن ينظر إليها من لمع الحديد ووهج الشمس، وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران، وأقبل موسى ينظر إلى السّماء، فقالت السحرة لفرعون: إنّا نرى رجلاً ينظر إلى السماء ولم يبلغ سحرنا السّماء،

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٨-٤٢.

وضمنت السحرة من في الارض، فقالوا لموسى: إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون نحن الملقين.

قال لهم موسى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ فأقبلت تضطرب مثل الحيات وهاجت، فقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1] ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ فنودي: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[2] فألقى موسى العصا فذابت في الأرض مثل الرصاص ثمَّ طلع رأسها وفتحت فاها ووضعت شدقها العليا على رأس قبّة فرعون، ثمَّ دارت والتقمت عصيّ السحرة وحبالها وغلب كلّهم وانهزم النّاس حين رأوها وعظمها وهولها ممّا لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله قبل، فقتل في الهزيمة من وطء النّاس بعضهم بعضاً عشرة آلاف رجل وامرأة وصبيّ ودارت على قبّة فرعون.

قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما وغشي عليهما من الفزع. ومرّ موسى في الهزيمة مع النّاس فناداه الله خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأُولى، فرجع موسى ولفّ على يده عباءة كانت عليه ثمَّ أدخل يده في فمها فإذا هي عصا كما كانت، وكان كما قال الله: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ لما رأوا ذلك ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فغضب فرعون عند ذلك غضباً شديداً وقال: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ يعني موسى ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾[3] فقالوا له كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

فحبس فرعون من آمن بموسى في السجن حتّى أنزل الله عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم فأطلق عنهم، فأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ فخرج موسى ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر، وجمع فرعون

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٤٣-٤٤.

(٢) سورة طه، الآيات: ٦٧-٦٩.

(٣) سورة طه، الآيات: ٧٠-٧١.

أصحابه وبعث في المدائن حاشرين، وحشر النّاس وقدّم مقدّمته في ستّمائة ألف، وركب هو في ألف ألف، وخرج كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فلمّا قرب موسى من البحر وقرب فرعون من موسى قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾.

فقال موسى: ﴿كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[(١)] أي سينجين، فدنا موسى عليه السلام من البحر فقال له: انفرق.

فقال له البحر: استكبرت يا موسى أن أنفرق لك ولم أعص الله طرفة عين وقد كان فيكم المعاصي؟!

فقال له موسى: فاحذر أن تعصي، وقد علمت أن آدم اخرج من الجنّة بمعصية وإنّما لعن إبليس بمعصية.

فقال البحر: عظيم ربّي مطاع أمره، ولا ينبغي لشيء أن يعصيه.

فقام يوشع بن نون فقال لموسى: يا رسول الله ما أمرك ربّك؟ فقال: بعبور البحر، فأقحم يوشع فرسه الماء وأوحى الله إلى موسى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[(٢)] أي كالجبل العظيم، فضرب له في البحر اثنا عشر طريقاً، فأخذ كلّ سبط في طريق، فكان الماء قد ارتفع وبقيت الأرض يابسة طلعت فيها الشمس فيبست كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[(٣)] ودخل موسى وأصحابه البحر، وكان أصحابه اثني عشر سبطاً، فضرب الله لهم في البحر اثني عشر طريقاً، فأخذ كلّ سبط في طريق، وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال، فجزعت الفرقة الّتي كانت مع موسى في طريقه فقالوا: يا موسى أين إخواننا؟

فقال لهم: معكم في البحر، فلم يصدقوه، فأمر الله البحر فصارت طاقات حتّى

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٠-٦٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

(٣) سورة طه، الآية: ٧٧.

كان ينظر بعضهم إلى بعض ويتحدّثون، وأقبل فرعون وجنوده فلمّا انتهى إلى البحر قال لاصحابه: ألا تعلمون أنّي ربّكم الأعلى قد فرج لي البحر؟ فلم يجسر أحد أن يدخل البحر وامتنعت الخيل منه لهول الماء، فتقحم فرعون حتّى جاء إلى ساحل البحر.

فقال له منجمه: لا تدخل البحر، وعارضه فلم يقبل منه، وأقبل على فرس حصان فامتنع الفرس أن يدخل الماء، فعطف عليه جبرئيل وهو على ماديانة فتقدّمه ودخل، فنظر الفرس إلى الرمكة فطلبها ودخل البحر واقتحم أصحابه خلفه، فلمّا دخلوا كلّهم حتّى كان آخر من دخل من أصحابه وآخر من خرج من أصحاب موسى أمر الله الرياح فضربت البحر بعضه ببعض، فأقبل الماء يقع عليهم مثل الجبال.

فقال فرعون عند ذلك: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فأخذ جبرئيل كفّاً من حمأة فدسها في فيه ثمّ قال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(١).

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن ستّة لم يركضوا في رحم فقال: آدم وحواء وكبش إبراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخفّاش الّذي عمله عيسى بن مريم فطار بإذن الله عزّ وجلّ (٢).

عن ابن فضّال، عن أبي الحسن أنّه قال: احتبس القمر عن بني إسرائيل، فأوحى الله جل جلاله إلى موسى عليه السلام: أن أخرج عظام يوسف من مصر، ووعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه، فسأل موسى عمّن يعلم موضعه، فقيل له: ههنا عجوز تعلم محلّه، فبعث إليها فأُتي بعجوز مقعدة عمياء، فقال لها: أتعرفين موضع قبر يوسف؟

قالت: نعم.

---

(١) تفسير القمي: ج ٢/ص ٩٤، والبحار: ج ١٣/ص ١٢٠-١٢٣، باب ٤/ح ٢١.

(٢) علل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ٢٢١ باب ٢٤/ح ١، والبحار: ج ١٣/ص ١٢٦، باب ٤/ح ٢٣.

قال: فأخبريني به؟

قالت: لا حتّى تعطيني أربع خصال:

١ - تطلق لي رجلي.

٢ - وتعيد إليّ شبابي.

٣ - وتعيد إليّ بصري.

٤ - وتجعلني معك في الجنّة.

قال: فكبر ذلك على موسى، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى أعطها ما سألت فإنّك إنّما تعطي عليّ، ففعل فدلّته عليه فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلمّا أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام(١).

عن محمّد بن هشام، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قوماً ممّن آمن بموسى عليه السلام قالوا: لو أتينا عسكر فرعون فكنّا فيه ونلنا من دنياه، فإذا كان الّذي نرجوه من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه، ففعلوا، فلمّا توجّه موسى ومن معه هاربين من فرعون ركبوا دوابّهم وأسرعوا في السير ليلحقوا موسى وعسكره فيكونوا معهم، فبعث الله ملكاً فضرب وجوه دوابهم فردّهم إلى عسكر فرعون، فكانوا فيمن غرق مع فرعون(٢).

عن الجعفريّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان رجلٌ من أصحاب موسى أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنهم ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأتى موسى الخبر فقال: هو في رحمة الله، ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع(٣).

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ٣٤٥، باب ٢٣٢/ ح ١، وعيون أخبار الرضا: ج ١/ ص ٢٣٥، باب ٢٦/ ح ١٨، والخصال ص ٢٠٥/ باب الأربعة/ ح ٢١، والبحار: ج ١٣/ ص ١٢٧، باب ٤/ ح ٢٥.

(٢) الكافي: ج ٥/ ص ٦٤٧، باب ٦٢/ ح ١٣، والبحار: ج ١٣/ ص ١٢٧، باب ٤/ ح ٢٦.

(٣) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٥٢٣، باب مجالسة أهل المعاصي/ ح ٢، والبحار: ج ١٣/ ص ١٢٧-١٢٨، باب ٤/ ح ٢٧.

ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن محبوب، عن حنّان بن سدير قال: حدّثني رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر:

١ - ابن آدم الّذي قتل أخاه.

٢ - ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه.

٣ - واثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهم ونصّراهم.

٤ - وفرعون الّذي قال: أنا ربّكم الأعلى.

٥ - واثنان في هذه الأمّة[1].

عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: ما غضب الله على بني إسرائيل إلاّ أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلاّ أخرجهم منها إلى غيرها، ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام أن يخرج عظام يوسف منها، فاستدلّ موسى على من يعرف القبر، فدلّ على امرأة عمياء زمنة، فسألها موسى أن تدلّه عليه، فأبت إلاّ على خصلتين: فيدعو الله فيذهب بزمانتها، ويصيرها معه في الجنّة في الدرجة الّتي هو فيها، فأعظم ذلك موسى عليه السلام.

فأوحى الله إليه: وما يعظم عليك من هذا، أعطها ما سألت، ففعل فوعدته طلوع القمر، فحبس الله القمر حتّى جاء موسى لموعده فأخرجه من النيل في سفط مرمر فحمله موسى. الخبر[2].

عن صفوان الجمّال، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى أن يحمل عظام يوسف عليه السلام، فسأل عن قبره فجاءه شيخ فقال: إن كان أحد يعلم ففلانة، فأرسل إليها فجاءت فقال: أتعلمين موضع قبر يوسف؟

فقالت: نعم.

قال: فدلّيني عليه ولك الجنّة.

(١) الخصال: ص ٣٤٦/باب السبعة/ ح ١٥، والبحار: ج ١٣/ص ١٢٨/باب ٤/ح ٢٨.

(٢) قرب الإسناد: ص ١٦٥، والبحار: ج ١٣/ص ١٢٩، باب ٤/ح ٣٠.

قالت: لا والله لا أدلّك عليه إلاّ أن تحكّمني.

قال: ولك الجنّة.

قالت: لا والله لا أدلّك عليه حتّى تحكّمني.

قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ما يعظم عليك أن تحكمها؟

قال: فلك حكمك.

قالت: أحكم عليك أن أكون معك في درجتك الّتي تكون فيها[1].

عن إبراهيم بن محمّد الهمدانيّ قال: قلت للرضا عليه السلام: لأيّ علّة أغرق الله فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟

قال: لأنّه آمن عند رؤية البأس والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[2] وقال عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[3] وهكذا فرعون لمّا أدركه الغرق قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فقيل له:

﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾[4] وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد قد لبسه على بدنه، فلمّا غرق ألقاه الله تعالى على نجوة من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة، فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض، وسبيل الثقيل أن يرسب ولا يرتفع فكان ذلك آية وعلامة، ولعلّة أُخرى أغرقه الله عزّ وجلّ وهي أنّه استغاث بموسى لمّا أدركه الغرق ولم يستغث بالله.

---

(١) قرب الإسناد: ص ٣٨، والبحار: ج ١٣/ ص ١٣٠، باب ٤/ح ٣٢.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٨٤-٨٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٤) سورة يونس، الآيتان: ٩١-٩٢.

فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا موسى لم تغث فرعون لانّك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته[١].

قال الرازيّ: فإنَّ قيل: ما السبب في عدم قبول توبته؟

والجواب: أنّ العلماء ذكروا وجوهاً:

الأوّل: أنّه إنّما آمن عند نزول العذاب والإيمان في هذا الوقت غير مقبول لأنّه تصير الحال حينئذ وقت الإلجاء، وفي هذه الحال لا تكون التوبة مقبولة.

الثاني: أنّه لم يكن مخلصاً في هذه الكلمة بل إنّما تكلّم بها توسّلاً إلى دفع تلك البلية الحاضرة.

الثالث: إنّ ذلك الإقرار كان مبنيّاً على محض التقليد، ألا ترى أنّه قال: لا إله إلاّ الّذي آمنت به بنو إسرائيل.

الرابع: إنّ أكثر اليهود كانت قلوبهم مائلة إلى التشبيه والتجسيم، ولذا اشتغلوا بعبادة العجل لظنّهم أنّه تعالى حلّ في جسده، فكأنّه آمن بالإله الموصوف بالجسمية وكلّ من اعتقد ذلك كان كافراً.

الخامس: أنّه أقرّ بالتوحيد فقط، ولم يقرّ بنبوّة موسى عليه السلام فلذا لم يقبل منه انتهى. والأوّل هو الأظهر كما دلّ عليه الخبر، إذ التوبة لا يجب على الله قبوله عقلاً إلاّ بما أوجب على نفسه من قبول توبة عباده تفضّلاً، وقد أخبر في الآيات الكثيرة بعدم قبول التوبة عند رؤية البأس، فلا إشكال في عدم قبول توبته عند معاينة العذاب[٢].

عن محمّد بن مروان، عن العبد الصالح عليه السلام قال: كان من قول موسى عليه السلام حين دخل على فرعون: «اللهم إنّي أدرء بك في نحره، وأستجير بك من شره، وأستعين بك» فحوّل الله ما كان في قلب فرعون من الأمن خوفاً[٣].

---

(١) علل الشرائع: ج ٧٦/١، باب ٥٣/ح ٢، وعيون أخبار الرضا: ج ٢/ ص ٨٣، باب ٣٢/ح ٧، والبحار: ج ١٣/ص ١٣٠-١٣١، باب ٤/ح ٣٤.
(٢) البحار: ج ١٣/ ص ١٣١-١٣٢، باب ٤/ذيل ح ٣٤.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٤، والبحار: ج ١٣/ص ١٣٢، باب ٤/ح ٣٦.

روي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: قال: لما رجع موسى إلى امرأته قالت: من أين جئت؟

قال: من عند ربّ تلك النّار.

قال: فغدا إلى فرعون، فوالله لكأنّي أنظر إليه طويل الباع ذو شعر آدم عليه جبّة من صوف، عصاه في كفه، مربوط حقوه بشريط، نعله من جلد حمار شراكها من ليف، فقيل لفرعون: إنّ على الباب فتىً يزعم أنّه رسول ربّ العالمين.

فقال فرعون لصاحب الأسد: خلّ سلاسلها، وكان إذا غضب على أحد خلاها فقطعته، فخلاها وقرع موسى الباب الأوّل وكانت تسعة أبواب فلمّا قرع الباب الأوّل انفتح له الأبواب التسعة، فلمّا دخل جعلن يبصبصن تحت رجليه كأنّهن جراء، فقال فرعون لجلسائه: رأيتم مثل هذا قطّ؟! فلمّا أقبل إليه قال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ فقال فرعون لرجل من أصحابه: قم فخذ بيده.

وقال للآخر: اضرب عنقه، فضرب جبرئيل بالسيف حتّى قتل ستّة من أصحابه، فقال: خلوا عنه.

قال: فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه، وألقى العصا فإذا هي حيّة فالتقمت الإيوان بلحييها، فدعاه: إن يا موسى أقلني إلى غد، ثمّ كان من أمره ما كان(١).

عن ابن أبي عمير قال: قلت لموسى بن جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لموسى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾(٢) فقال: أمّا قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي كنّياه وقولا له: يا أبا مصعب - وكان اسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب -.

وأمّا قوله: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ فإنّما قال ليكون أحرص لموسى على الذهاب، وقد علم الله عزّ وجلّ أنّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى إلاّ عند رؤية البأس،

(١) مجمع البيان: ج ٧/ ص ٢٥٣، والبحار: ج ١٣/ ص ١٣٣-١٣٤، باب ٤/ح ٣٩.
(٢) سورة طه، الآيات: ٤٣-٤٤.

ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فلم يقبل الله إيمانه، وقال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(١).

عن عبد الله بن جندب، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كان على مقدمة فرعون ستّمائة ألف ومائتي ألف، وعلى ساقته ألف ألف، قال: ولمّا صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال:

فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر، فتمثّل له جبرئيل على ماديانة، فلمّا رأى فرس فرعون الماديانة أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا(٢).

عن سفيان بن سعيد قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام - وكان والله صادقاً كما سمّي - يقول: يا سفيان عليك بالتقيّة فإنّها سنّة إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنّ الله عزّ وجلّ قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ يقول الله عزّ وجلّ: كنّياه وقولا له: يا أبا مصعب، وإنّ رسول الله كان إذا أراد سفراً ورى بغيره وقال عليه السلام:

أمرني ربّي بمداراة النّاس كما أمرني بأداء الفرائض، ولقد أدبه الله عزّ وجلّ بالتقية فقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥﴾(٣) يا سفيان من استعمل التقيّة في دين الله فقد تسنّم الذروة العليا من العزّ، إنّ عزّ المؤمن في حفظ لسانه، ومن لم يملك لسانه ندم.

قال سفيان: فقلت له: يا ابن رسول الله هل يجوز أن يطمع الله عزّ وجلّ عباده في كون مالاً يكون؟

قال: لا.

فقلت: فكيف قال الله عزّ وجلّ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ وقد علم أنّ فرعون لا يتذكّر ولا يخشى؟

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٨٦، باب ٥٦/ح ١، والبحار: ج ١٣/ص ١٣٤، باب ٤/ح ٤٠.
(٢) الإختصاص: ص ٢٦٦، والبحار: ج ١٣/ص ١٣٤، باب ٤/ح ٤١.
(٣) سورة فصلت: الآيتان: ٣٤-٣٥.

فقال: إنّ فرعون قد تذكر وخشي ولكن عند رؤية البأس حيث لم ينفعه الإيمان، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فلم يقبل الله عزّ وجلّ إيمانه.

وقال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ يقول: نلقيك على نجوة من الأرض لتكون لمن بعدك علامة وعبرة(١).

عن هارون الغنويّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن التسع الآيات الّتي أُوتي موسى عليه السلام.

فقال: الجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والبحر والحجر والعصا ويده(٢).

عن عاصم المصريّ رفعه قال: إنّ فرعون بني سبع مدائن يتحصّن فيها من موسى عليه السلام وجعل فيما بينها آجاماً وغياضاً، وجعل فيها الأسد ليتحصّن بها من موسى، قال: فلمّا بعث الله موسى إلى فرعون فدخل المدينة ورآه الأسد تبصبصت وولّت مدبرة قال: ثمّ لم يأت مدينة إلاّ انفتح له بابها حتّى انتهى إلى قصر فرعون الّذي هو فيه.

قال: فقعد على بابه، وعليه مدرعة من صوف، ومعه عصاه، فلمّا خرج الآذن قال له موسى: استأذن لي على فرعون، فلم يلتفت إليه.

قال: فقال له موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: فلم يلتفت إليه.

قال: فمكث بذلك ما شاء الله يسأله أن يستأذن له.

قال: فلمّا أكثر عليه قال له: أما وجد ربّ العالمين من يرسله غيرك؟!

قال: فغضب موسى فضرب الباب بعصاه فلم يبق بينه وبين فرعون باب إلاّ انفتح حتّى نظر إليه فرعون وهو في مجلسه، فقال: أدخلوه.

(١) معاني الأخبار: ص ٣٨٥، والبحار: ج ١٣/ص ١٣٥، باب ٤/ح ٤٣.
(٢) الخصال: ص ٤٢٣، باب التسعة/ح ٢٤، والبحار: ج ١٣/ص ١٣٦، باب ٤/ح ٤٥.

قال: فدخل عليه وهو في قبّة له من بقعة كبيرة الارتفاع ثمانون ذراعاً، قال: فقال: إنّي رسول ربّ العالمين إليك.

قال: فقال: ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال: فألقى عصاه وكان لها شعبتان.

قال: فإذا هي حيّة قد وقع إحدى الشعبتين في الأرض، والشعبة الأُخرى في أعلى القبّة.

قال: فنظر فرعون إلى جوفها وهو يلتهب نيراناً، قال: وأهوت إليه فأحدث وصاح: يا موسى خذها[1].

عن محمّد بن عليّ قال: كانت عصا موسى لآدم فصارت إلى شعيب، ثمَّ صارت إلى موسى بن عمران، وإنّها لتروّع وتلقف ما يأفكون، وتصنع ما تؤمر، تفتح لها شعبتان: إحداهما في الأرض، والأخرى في السقف، وبينهما أربعون ذراعاً، تلقف ما يأفكون بلسانها[1].

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا يرفعه قال: لمّا صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده، قال: فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر، فتمثّل له جبرئيل على رمكة، فلمّا رأى فرس فرعون الرمكة أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا[2].

عن الفضل بن أبي قرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله إلى إبراهيم أنّه سيولد لك، فقال لسارة فقالت: ءألد وأنا عجوز؟

فأوحى الله إليه: أنّها ستلد ويعذّب أولادها أربع مائة سنة بردها الكلام عليّ.

قال: فلمّا طال على بني إسرائيل العذاب ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى وهارون عليهما السلام أن يخلصهم من فرعون، فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة.

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٢٨-٢٩/ح ٦١ و٦٤، والبحار: ج ١٣/ ص ١٣٧-١٣٨، باب ٤/ ح ٤٩ و٥١.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ١٣٦/ح ٤١، من سورة يونس، والبحار: ج ١٣/ ص ١٤٠، باب ٤/ح ٥٦.

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنّا، فأمّا إذ لم تكونوا فإنّ الأمر ينتهي إلى منتهاه[1].

قال الثعلبيُّ: قال العلماء بأخبار الماضين: لمّا كلّم الله موسى وبعثه إلى مصر خرج ولا علم له بالطريق، وكان الله تعالى يهديه ويدلّه وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا شيء غير عصاه ومدرعة صوف وقلنسوة من صوف ونعلين، يظلّ صائماً، ويبيت قائماً، ويستعين بالصيد وبقول الأرض حتّى ورد مصر، ولمّا قرب مصر أوحى الله سبحانه إلى أخيه هارون يبشّره بقدوم موسى ويخبره أنّه قد جعله لموسى وزيراً ورسولاً معه إلى فرعون، وأمره أن يمرّ يوم السبت لغرّة ذي الحجّة متنكراً إلى شاطئ النيل ليلتقي في تلك الساعة بموسى.

قال: فخرج هارون وأقبل موسى عليه السلام فالتقيا على شطّ النيل قبل طلوع الشمس، فاتّفق أنّه كان يوم ورود الأسد الماء، وكان لفرعون أُسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حولها، وكانت ترد الماء غبّاً، وكان فرعون إذ ذاك في مدينة حصينة عليها سبعون سوراً، في كلّ سور رساتيق وأنهار ومزارع وأرض واسعة، في ربض كلّ سور سبعون ألف مقاتل، ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بنفسه وعمل فيها وسقاها بالنيل، ثمَّ أسكنها الأُسد فنسلت وتوالدت حتّى كثرت، ثمّ اتّخذها جنداً من جنوده تحرسه، وجعل خلال تلك الغيضة طرقاً تفضي من يسلكها إلى أبواب من أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طريق غيرها، فمن أخطأ وقع في الغيضة فأكلته الأُسد وكانت الأُسود إذا وردت النيل ظلّت عليها يومها كلّها ثمّ تصدر مع اللّيل.

قال: فالتقى موسى وهارون يوم ورودها، فلمّا أبصرتهما الأُسد مدّت أعناقها ورؤوسها إليهما وشخصت أبصارها نحوهما، وقذف الله تعالى في قلوبها الرعب، فانطلقت نحو الغيضة منهزمة هاربة على وجوهها تطأ بعضها بعضاً حتّى اندسّت في الغيضة، وكان لها ساسة يسوسونها وذادة يذودونها ويشلونها بالناس

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ١٦٣/ح ٤٩ من سورة يونس، والبحار: ج ١٣/ ص ١٤٠، باب ٤/ح ٥٧.

فلمّا أصابها ما أصابها خاف ساستها فرعون ولم يشعروا من أين أُتوا، فانطلق موسى وهارون عليهما السلام في تلك المسبعة حتّى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الّذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون، وكان منه يدخل ومنه يخرج، وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجّة بيوم، فأقاما عليه سبعة أيّام فكلّمهما واحد من الحرّاس وزبرهما وقال لهما: هل تدريان لمن هذا الباب؟

فقال موسى عليه السلام: إنّ هذا الباب والأرض كلّها وما فيها لربّ العالمين، وأهلها عبيدٌ له، فسمع ذلك الرجل قولاً لم يسمع مثله قطّ ولم يظنّ أن أحداً من النّاس يفصح بمثله، فلمّا سمع ما سمع أسرع إلى كبرائه الّذين فوقه فقال لهم:

سمعت اليوم قولاً وعاينت عجباً من رجلين هو أعظم عندي وأفظع وأشنع ممّا أصابنا في الأُسد، وما كانا ليقدما على ما أقدما عليه إلاّ بسحر عظيم، وأخبرهم القصة فلا يزال ذلك يتداول بينهم حتّى انتهى إلى فرعون.

وقال السدّيّ بإسناده: سار موسى عليه السلام بأهله نحو مصر حتّى أتاها ليلاً فتضيّف أمّه وهي لا تعرفه، وإنّما أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل ونزل في جانب الدار، فجاء هارون فلمّا أبصر ضيفه سأل عنه أُمّه، فأخبرته أنّه ضيفٌ فدعاه فأكل معه فلمّا أن قعد تحدّثا فسأله هارون فقال: من أنت؟

فقال: أنا موسى، فقام كلّ واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه، فلمّا أن تعارفا قال له موسى:

يا هارون انطلق معي إلى فرعون، فإنَّ الله عزّ وجلّ قد أرسلنا إليه.

فقال هارون: سمعاً وطاعة، فقامت أُمّهما فصاحت وقالت: أُنشدكما الله أن تذهبا إلى فرعون فيقتلكما، فأتيا ومضيا لأمر الله سبحانه فانطلقا إليه ليلاً فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البوّاب، وقال فرعون: من هذا الّذي يضرب بابي هذه الساعة؟! فأشرف عليهما البوّاب فكلّمهما.

فقال له موسى: أنا رسول ربّ العالمين، فأتى فرعون فأخبره وقال: إنّ ههنا إنساناً مجنوناً يزعم أنّه رسول ربّ العالمين.

وقال محمّد بن إسحاق بن يسار: خرج موسى لمّا بعثه الله سبحانه حين قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون حتّى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان: إنا رسول ربّ العالمين، فأذنوا بنا هذا الرجل، فمكثا سنتين يغدوان إلى بابه ويروحان لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما حتّى دخل عليه بطّال له يلعب عنده ويضحكه فقال له: أيّها الملك إنّ على بابك رجلاً يقول قولاً عجيباً يزعم أنّ له إلهاً غيرك.

فقال: ببابي؟ أدخلوه، فدخل موسى ومعه هارون عليهما السلام على فرعون.

قالوا: فلمّا أذن فرعون لموسى وهارون دخلا عليه فلمّا وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو: «لا إله إلاّ الله الحليم الكريم لا إله إلاّ الله العليُّ العظيم سبحان الله ربّ السماوات السبع ورب الأرضين السبع وما فيهنّ وما بينهنّ وربّ العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين، اللّهمَّ إنّي أدرؤك في نحره وأعوذ بك من شرّه وأستعينك عليه فاكفنيه بما شئت» قال: فتحوّل ما بقلب موسى من الخوف أمناً، وكذلك من دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمن الله خوفه، ونفّس كربته، وهون عليه سكرات الموت.

ثم قال فرعون لموسى: من أنت؟

قال: أنا رسول ربّ العالمين، فتأمّله فرعون فعرفه فقال له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ معناه: على ديننا هذا الّذي تعيبه.

فقال موسى: ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ المخطئين، ولم أرد بذلك القتل ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ أي نبوة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكر فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي اتّخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم من أيديهم تسترقّ من شئت، أي إنّما صيّرني إليك ذلك، قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

قال فرعون لمن حوله: ألا تستمعون؟ إنكاراً لما قال.

قال موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فقال فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ يعني ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أنّ لكم إلهاً غيري، قال موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فقال فرعون لموسى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ تعرف به صدقي وكذبك، وحقي وباطلك، قال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾[1] فاتحة فاها قد ملأت ما بين سماطي فرعون، واضعة لحييها الأسفل في الأرض والأعلى في سور القصر حتّى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها، ثمّ توجّهت نحو فرعون لتأخذه فارفض عنها النّاس وذعر عنها فرعون، ووثب عن سريره وأحدث حتّى قام به بطنه في يومه ذلك أربعين مرة! وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يصدع ولا يصيبه آفة ممّا يصيب النّاس، وكان يقوم في أربعين يوماً مرّة، وكان أكثر ما يأكل الموز لكيلا يكون له ثقل فيحتاج إلى القيام، وكان هذه الأشياء ممّا زيّن له أن قال ما قال، لأنّه ليس له من النّاس شبيه، قالوا: فلمّا قصدته الحيّة صاح: يا موسى أُنشدك بالله وحرمة الرضاع إلاّ أخذتها وكففتها عنّي، وإنّي أُؤمن بك وأُرسل معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت، ثمّ نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج، لها شعاع كشعاع الشمس.

فقال له فرعون: هذه يدك، فلمّا قالها فرعون أدخلها موسى جيبه ثمّ أخرجها الثانية لها نور ساطع في السماء تكلّ منها الأبصار، وقد أضاءت ما حولها، يدخل نورها في البيوت، ويرى من الكوى من وراء الحجب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثمَّ ردها موسى إلى جيبه ثمَّ أخرجها فإذا هي على لونها الأوّل.

قالوا: فهمّ فرعون بتصديقه فقام إليه هامان وجلس بين يديه فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟!

فقال فرعون لموسى: أمهلني اليوم إلى غد، وأوحى الله تعالى إلى موسى: أن قل لفرعون: إنّك إن آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شاباً طرياً،

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١-٣٢.

فاستنظره فرعون، فلمّا كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربّه.

فقال له هامان: والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً، ونفخ في منخره، ثمّ قال له هامان: أنا أردّك شابّاً، فأتاه بالوسمة فخضبه بها! فلمّا دخل عليه موسى فرآه على تلك الحالة هاله ذلك.

فأوحى الله تعالى: لا يهولنّك ما رأيت فإنّه لم يلبث إلاّ قليلاً حتّى يعود إلى الحالة الأولى.

وفي بعض الروايات أنّ موسى وهارون لمّا انصرفا من عند فرعون أصابهما المطر في الطريق، فأتيا على عجوز من أقرباء أُمّهما، ووجّه فرعون الطلب في أثرهما، فلمّا دخل عليهما اللّيل ناما في دارها وجاءت الطلب إلى الباب والعجوز منتبهة، فلمّا أحسّت بهم خافت عليهما فخرجت العصا من صير الباب والعجوز تنظر فقاتلتهم حتّى قتلت منهم سبعة أنفس، ثمّ عادت ودخلت الدار، فلمّا انتبه موسى وهارون أخبرتهما بقصّة الطلب ونكاية العصا فيهم فآمنت بهما وصدّقتهما[١].

ثم قال الثعلبيّ: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: إنّ موسى وهارون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله سبحانه على السحر وقال للملأ من حوله: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ءأقتلهما؟

فقال العبد الصالح خربيل مؤمن آل فرعون: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾.

قال فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[٢] وقال الملأ من قوم فرعون: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾[٣] وكانت لفرعون مدائن فيها السحرة عدّة للأمر إذا حزبه.

---

(١) عرائس المجالس: ص ١٦٣، والبحار: ج ١٣/ ص ١٤١-١٤٦، باب ٤/ ذيل ح ٦٧.

(٢) سورة غافر، الآيات: ٢٨-٢٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١١١-١١٢.

وقال ابن عبّاس: قال فرعون لمّا رأى من سلطان الله في اليد والعصا: إنّا لا نغالب موسى إلاّ بمن هو مثله، فأخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الغرماء يعلّمونهم السحر كما يعلّم الصبيان (الكتابة خ ل) في الكتّاب، فعلّموهم سحراً كثيراً، وواعد فرعون موسى موعداً فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم ومعهم معلّمهم، فقالوا له: ماذا صنعت؟

فقال: قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلاّ أن يكون أمر من السماء فإنّه لا طاقة لهم به، ثمّ بعث فرعون الشرطيّ في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلاّ أتى به.

واختلفوا في عدد السحرة الّذين جمعهم فرعون، فقال مقاتل: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم، وسبعون من بني إسرائيل.

وقال الكلبيّ: كانوا سبعين ساحراً غير رئيسهم، وكان الّذي يعلمهم ذلك رجلين مجوسيّين من أهل نينوى.

وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً.

وقال السدّيّ: كانوا بضعاً وثلاثين ألفاً، وقال عكرمة: سبعين ألفاً.

وقال محمّد بن المنكدر: ثمانين ألفاً فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم إلاّساحر ماهر، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار من أُولئك السبعمائة سبعين من كبرائهم وعلمائهم.

قال مقاتل: وكان رئيس السحرة أخوين بأقصى مدائن مصر، فلمّا جاءهما رسول فرعون قالا لأُمّهما: دلينا على قبر أبينا. فدلّتهما عليه، فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما، فقالا: إنّ الملك وجّه إلينا أن نقدم عليه لأنّه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما عزّ ومنعة وقد ضاق الملك ذرعاً من عزّهما، ومعهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لهما شيء، تبلع الحديد والخشب والحجر.

فأجابهما أبوهما: انظرا إذا هما ناما فإن قدرتما أن تسلا العصا فسلاّها، فإنَّ الساحر لا يعمل سحره وهو نائم، وإن عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر ربّ

العالمين، ولا طاقة لكما بهما ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا، فأتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا.

قالوا: ثمّ واعدوه يوم الزينة وكان يوم سوق لهم، عن سعيد بن جبير، وقال ابن عبّاس: كان يوم عاشوراء، ووافق ذلك يوم السبت في أوّل يوم من السنة وهو يوم النيروز، وكان يوم عيد لهم يجتمع إليه النّاس من الآفاق.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: وكان اجتماعهم للميقات بالإسكندريّة، ويقال: بلغ ذنب الحيّة من وراء البحيرة يومئذ.

قالوا: ثمّ قال السحرة لفرعون: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾(١).

قال فرعون: وإنّكم إذاً لمن المقرّبين عندي في المنزلة، فلمّا اجتمع النّاس جاء موسى وهو متكئ على عصاه ومعه أخوه هارون حتّى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه.

فقال موسى عليه السلام للسحرة حين جاءهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ فتناجى السحرة بينهم وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَنَـٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾.

فقالت السحرة: لنأتينّك اليوم بسحر لم تر مثله، وقالوا: بعزّة فرعون إنّا لنحن الغالبون، وكانوا قد جاؤوا بالعصيّ والحبال تحملها ستّون بعيراً.

فلمّا أبوا إلاّ الإصرار على السحر قالوا لموسى: إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون أوّل من ألقى؟

قال: بل ألقوا أنتم، فألقوا حبالهم وعصيّهم فإذا هي حيّات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى، فذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾.

وقال: والله إن كانت لعصيّاً في أيديهم ولقد عادت حيّات وما يعدّون عصاي هذه، أو كما حدّث نفسه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٣.

فأوحى الله تعالى إليه: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[1] ففرّج عن موسى وألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ، كأعظم ما يكون أسود مدلهمٌّ على أربع قوائم قصار غلاظ شداد، وهو أعظم وأطول من البختيّ، وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه وعنقه وكاهله، لا يضرب ذنبه على شيء إلاّحطمه وقصمه، ويكسر بقوائمه الصخور الصمّ الصلاب، ويطحن كلّ شيء، ويضرم حيطان البيوت بنفسه ناراً، وله عينان تلتهبان ناراً، ومنخران تنفخان سموماً، وعلى مفرقه شعرٌ كأمثال الرماح، وصارت الشعبتان له فماً سعته اثنا عشر ذراعاً، وفيه أنياب وأضراس، وله فحيح وكشيش وصرير وصريف، فاستعرضت ما ألقى السحرة من حبالهم وعصيّهم وهي حيّات في عين فرعون وأعين النّاس، تسعى تلقفها وتبتلعها واحداً واحداً حتّى ما يرى بالوادي قليلٌ ولا كثيرٌ ممّا ألقوا، وانهزم النّاس فزعين هاربين منقلبين، فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضاً حتّى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام ومواطئ الأقدام خمسة وعشرون ألفاً، وانهزم فرعون فيمن انهزم منخوباً مرعوباً عازبا عقله، وقد استطلق بطنه في يومه ذلك عن أربعمائة جلسة! ثمّ بعد ذلك إلى أربعين مرّة في اليوم واللّيلة على الدوام إلى أن هلك!

فلمّا انهزم النّاس وعاين السحرة ما عاينوا وقالوا: لو كان سحراً لما غلبنا، ولما خفي علينا أمره ولئن كان سحراً فأين حبالنا وعصيّنا؟ فألقوا سجّداً وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ وكان فيهم اثنان وسبعون شيخاً قد انحنت ظهورهم من الكبر، وكانوا علماء السحرة، وكان رئيس جماعتهم أربعة نفر: سابور وعادور وحطحط ومصفا، وهم الّذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى، ثمّ آمنت السحرة كلّهم، فلمّا رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلّداً:

آمنتم له قبل أن آذن لكم إنّه لكبيركم الّذي علّمكم السحر فلأُقطّعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأُصلّبنّكم في جذوع النخل ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى.

(١) سورة طه، الآيات: ٦٨-٦٩.

فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(١) فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل، وهو أوّل من فعل ذلك، فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة، ورجع فرعون مغلوباً معلولاً، ثمّ أبى إلاّ إقامة على الكفر والتمادي فيه، فتابع الله تعالى عليه بالآيات وأخذه وقومه بالسنين إلى أنّ أهلكهم، وخرج موسى عليه السلام راجعاً إلى قومه والعصا على حالها حيّة تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه، والنّاس ينظرون إليها ينخزلون ويتضاغطون حتّى دخل موسى عسكر بني إسرائيل وأخذ برأسها فإذا هي عصاه كما كانت أوّل مرّة، وشتّت الله على فرعون أمره، ولم يجد على موسى سبيلاً، فاعتزل موسى في مدينته ولحق بقومه وعسكروا مجتمعين إلى أنّ صاروا ظاهرين ظافرين(٢).

ثمّ قال الثعلبيّ: فلمّا خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عزم على بناء صرح يقوى به سلطانه، فقال: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾(٣) الآية، فجمع العمّال والفعلة حتّى اجتمع له خمسون ألف بنّاء سوى الأتباع والأُجراء ممّن يطبخ الآجرّ والجصّ وينجر الخشب والأبواب ويضرب المسامير، فلم يزل يبني ذلك الصرح إلى أن فرغ منه في سبع سنين وارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السماوات والأرض، فبعث الله عزّ وجلّ جبرئيل وضرب بجناحه الصرح فقطعه ثلاث قطع: وقعت قطعة منها في البحر، وأُخرى في الهند، وأُخرى في المغرب.

وقال الضحّاك: بعثه الله وقت الغروب فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألف ألف رجل، وقالوا: ولم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلاّ أصابه موت أو حريق أو عاهة، ثمّ إنّ فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى فأراه الله الآيات فلمّا لم يؤمن أوحى الله تعالى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كلّ أربعة أهل أبيات في بيت، ثمّ اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الأبواب، فإنّي مرسل على أعدائكم

(١) سورة طه، الآيتان: ٧٢-٧٣.
(٢) عرائس المجالس: ص ١٦٥، والبحار: ج ١٣/ ص ١٤٦-١٥١، باب ٤.
(٣) سورة غافر، الآية: ٢٦.

عذاباً وإنّي سآمر الملائكة فلا يدخل بيتاً على بابه دم، وسآمرها فتقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم، ثمَّ اخبزوا خبزاً فطيراً فإنّه أسرع لكم، ثمّ اسر بعبادي حتّى تنتهي بهم إلى البحر فيأتيك أمري، ففعلت ذلك بنو إسرائيل، فقالت القبط لبني إسرائيل، لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم؟

فقالوا: إنّ الله سبحانه مرسل عذاباً فنسلم وتهلكون.

فقالت القبط: فما يعرفكم ربّكم إلاّ بهذه العلامات؟

فقالوا: هكذا أمرنا نبيّنا، فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلّهم في ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفاً، واشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من الحزن على المصيبة، وسرى موسى بقومه متوجهين إلى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفاً لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره، ولا ابن عشرين سنة لصغره، وهم المقاتلة سوى الذرّيّة، وكان موسى عليه السلام على الساقة، وهارون على المقدّمة، فلمّا فرغت القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني إسرائيل قال فرعون: هذا عمل موسى قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا، ثمَّ خرجوا ولم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتّى ذهبوا بأموالنا معهم، فنادى في قومه كما قال الله سبحانه: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾(١) ثمّ تبعهم فرعون بجنوده وعلى مقدّمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، كلّ رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة.

وقال ابن جريج: أرسل فرعون في أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر مع كلّ ملك ألف، ثمّ خرج فرعون خلفهم في الدهم وكانوا مائة ألف رجل كلّ واحد منهم راكباً حصاناً أدهم، فكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم، وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت، كما قال الله سبحانه: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾(٢) فلمّا تراءى الجمعان ورأت بنو إسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا:

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٣-٥٦.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٠.

يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر؟ هذا البحر أمامنا، إن دخلناه غرقنا، وفرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، ولقد أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا.

فقال موسى: استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين.

وقال: عسى ربّكم أنّ يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون.

قالوا: فلمّا انتهى موسى عليه السلام إلى البحر هاجت الريح ترمي بموج كالجبال، فقال له يوشع بن نون: يا مكلّم الله أين أُمرت وقد غشينا فرعون والبحر أمامنا؟

فقال موسى: ههنا، فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابّته الماء، وقال خربيل: يا مكلّم الله أين أُمرت؟

قال: ههنا، فكبح فرسه بلجامه حتّى طار الزبد من شدقيه ثمّ أقحمه البحر فرسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا.

فأوحى الله سبحانه إلى موسى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضرب فلم يطعه فأوحى الله إليه: أن كنّه، فضرب موسى بعصاه ثانياً وقال: انفلق أبا خالد! فانفلق، فكان كلّ فرق كالطود العظيم، فإذا خربيل واقف على فرسه لم يبتلّ سرجه ولا لبده، وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً، لكلّ سبط طريق، وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتّى صار يبساً.

وعن عبد الله بن سلام أنّ موسى لمّا انتهى إلى البحر قال: «يا من كان قبل كلّ شيء والمكوّن لكلّ شيء والكائن بعد كلّ شيء اجعل لنا مخرجاً».

وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إنّه قال عند ذلك: «اللّهمّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم».

قالوا: فخاضت بنو إسرائيل البحر كلّ سبط في طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقال كلّ سبط: قد قتل إخواننا.

فأوحى الله سبحانه إلى جبال الماء: أن تشبّكي فصار الماء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض، ويسمع بعضهم كلام بعض حتّى عبروا البحر سالمين، ولمّا

خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدّمة عسكر فرعون إليه، وأراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأُولى فأوحى الله سبحانه: أن اترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون، فلمّا وصل فرعون قال لقومه: انظروا إلى البحر قد انفلق لهيبتي حتّى أُدرك أعدائي وعبيدي، ولم تكن في خيل فرعون أُنثى فجاء جبرئيل على فرس أُنثى وعليه عمامة سوداء وتقدّمهم وخاض البحر وظنّ أصحاب فرعون أنّه منهم، فلمّا سمعت الخيول ريحها اقتحمت البحر في أثرها، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم، فلمّا أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان وقال: إنّي قد أتيت هذا الموضع مراراً وما لي عهد بهذه الطرق، وإنّي لا آمن أن يكون هذا مكراً من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا، فلم يطعه فرعون وذهب حاملاً على حصانه أن يدخل البحر، فامتنع ونفر حتّى جاء جبرئيل على رمكة بيضاء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون، فلمّا توافوا في البحر وهمّ أوّلهم بالخروج أمر الله البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين بمرأى من بني إسرائيل.

قالوا: فلمّا سمعت بنو إسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى: ما هذه الوجبة؟

فقال لهم: إنّ الله سبحانه قد أهلك فرعون وكلّ من كان معه، فقالوا: إنّ فرعون لا يموت لأنّه خُلِق خَلْق من لا يموت، ألم تر أنّه كان يلبث كذا وكذا يوماً لا يحتاج إلى شيء ممّا يحتاج إليه الإنسان؟ فأمر الله سبحانه البحر فألقاه على نجوة من الأرض وعليه درعه حتّى نظر إليه بنو إسرائيل.

ويقال: لو لم يخرجه الله تعالى ببدنه لشكّ فيه بعض النّاس، فبعث موسى جندين عظيمين من بني إسرائيل كلّ جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون، وهي يومئذ خالية من أهلها لم يبق منهم إلاّ النساء والصبيان والزمنى والمرضى والهرمى، وأمّر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم، وحملوا من ذلك ما استقلت به الحمولة عنها، وما لم يطيقوا حملها باعوه من قوم آخرين، فذلك قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا

﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨﴾[١] ثم إنّ يوشع استخلف على قوم فرعون رجلاً منهم وعاد إلى موسى بمن معه سالمين غانمين[٢].

قال السيّد المرتضى قدّس سره: فإن قيل: كيف جاز لموسى أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصيّ وذلك كفرٌ وسحرٌ وتلبيسٌ وتمويهٌ، والأمر بمثله لا يحسن؟

قلنا: لا بدّ من أن يكون في أمره عليه السلام بذلك شرط، فكأنّه قال: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقّين، وكان فيما تفعلونه حجّة، وحذف الشرط لدلالة الكلام عليه واقتضاء الحال له، ويمكن أن يكون على سبيل التحدّي بأن يكون دعاهم إلى الإلقاء على وجه يساويه فيه، ولا يخيّلون فيما ألقوه السعي والتصرّف من غير أن يكون له حقيقة لأنّ ذلك غير مساو لما ظهر على يده من انقلاب الجماد حيّة على الحقيقة دون التخييل، وإذا كان ذلك ليس في مقدورهم فإنّما تحدّاهم به ليظهر حجّته[٣].

يمكن أنّ يقال: الأمر بالسحر إذا كان مشتملاً على بيان بطلانه وظهور المعجزة وعدم مبالاته بما صنعوا مع أنّ القوم لا ينتهون عنه بعدم أمره بل بنهيه أيضاً ليس بقبيح، فيمكن أن يكون مخصّصاً لعمومات النهي عن الأمر بالسحر إن كانت ولو كان لمحض دليل العقل، فلا يحكم في خصوص تلك الصورة بشيء من القبح، أو يقال: إنّه لم يكن المراد به الأمر حقيقة بل كان الغرض عدم خوفه ومبالاته بما سحروا به، فيمكن إرجاعه إلى أمر التسوية.

وقيل: إنّه لم يأمر بالسحر بل بالإلقاء وهو أعمّ منه.

ثم قال السيّد: فإن قيل: فمن أيّ شيء خاف موسى عليه السلام؟ أوليس خوفه يقتضي شكّه في صحّة ما أتى به؟

قلنا: إنّما رأى من قوّة التلبيس والتخييل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر فآمنه الله تعالى من ذلك، وبيّن له أنّ حجّته ستتّضح للقوم بقوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٤].

---

(١) سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٨.

(٢) عرائس المجالس: ص ١٥٧، والبحار: ج ١٣/ ص ١٥١-١٥٥، باب ٤.

(٣) تنزيه الأنبياء: ص ٧٠، والبحار: ج ١٣/ ص ١٥٥، باب ٤.

(٤) تنزيه الأنبياء: ص ٧١، والبحار: ج ١٣/ ص ١٥٥، باب ٤.

أحوال مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون

بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ، عن آبائه، عن الصادق عليه السلام قال: كان حزبيل مؤمن آل فرعون يدعو قوم فرعون إلى توحيد الله، ونبوّة موسى، وتفضيل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع رسل الله وخلقه، وتفضيل عليّ بن أبي طالب عليه السلام والخيار من الأئمّة على سائر أوصياء النبيّين، وإلى البراءة من ربوبيّة فرعون، فوشى به الواشون إلى فرعون وقالوا: إنّ حزبيل يدعو إلى مخالفتك ويعين أعداءك على مضادّتك.

فقال لهم فرعون: ابن عمّي وخليفتي على ملكي ووليّ عهدي، إن فعل ما قلتم فقد استحقّ أشدّ العذاب على كفره نعمتي، فأن كنتم عليه كاذبين فقد استحققتم أشدّ العذاب لإيثاركم الدخول في مكانه، فجاء بحزبيل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبيّة فرعون الملك وتكفر نعماءه؟

فقال حزبيل: أيّها الملك هل جرّبت عليّ كذباً قطّ؟

قال: لا.

قال: فسلهم من ربّهم؟

فقالوا: فرعون.

قال: ومن خالقكم؟

قالوا: فرعون هذا.

قال: ومن رازقكم الكافل لمعايشكم والدافع عنكم مكارهكم؟

قالوا: فرعون هذا.

قال حزبيل: أيّها الملك فأُشهدك وكلّ من حضرك أنّ ربّهم هو ربّي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا ربّ لي ولا خالق ولا رازق غير ربّهم وخالقهم ورازقهم، وأُشهدك ومن حضرك أنّ كلّ ربّ وخالق ورازق سوى ربّهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيّته وكافر بإلهيّته، يقول حزبيل هذا وهو يعني أنّ ربّهم هو الله ربّي، ولم يقل: إنّ الّذي قالوا إنّه ربّهم هو ربّي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره وتوهموا أنّه يقول: فرعون ربّي وخالقي ورازقي.

فقال لهم فرعون: يا رجال السوء ويا طلاب الفساد في ملكي ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمّي وهو عضدي أنتم المستحقون لعذابي لارادتكم فساد أمري، وإهلاك ابن عمّي والفت في عضدي، ثمَّ أمر بالأوتاد فجعل في ساق كلّ واحد منهم وتداً وفي صدره وتداً. وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿فَوَقَـٰهُ ٱللَّهُ﴾ يعني حزبيل ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾[1] وهم الّذين وشوا بحزبيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد ومشّط عن أبدانهم لحومها بالامشاط. الخبر[2].

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين:

١ - مؤمن آل ياسين.

٢ - وعليّ بن أبي طالب.

٣ - وآسية امرأة فرعون[3].

عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: خطَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع خطط في الأرض، وقال: أتدرون ما هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل نساء الجنّة أربع:

١ - خديجة بنت خويلد.

٢ - وفاطمة بنت محمّد.

٣ - ومريم بنت عمران.

٤ - وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[4].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٥.

(٢) تفسير الإمام العسكري: ص ٣٥٧/ح ٢٤٧، والإحتجاج: ص/ ٣٧٠، والبحار: ج ١٣/ ص ١٦٠-١٦١، باب ٥/ح ١.

(٣) الخصال: ص ١٧٤، باب الثلاثة: ح ٢٣٠، والبحار: ج ١٣/ ص ١٦١، باب ٥/ ح ٢.

(٤) الخصال: ص ٢٠٥/ باب الأربعة/ ح ٢٢، والبحار: ج ١٣/ ص ١٦١-١٦٢، باب ٥/ح ٣.

قال الراوندي في قصصه: حزبيل هو مؤمن آل فرعون، أرسل فرعون رجلين في طلبه فانطلقا في طلبه فوجداه قائماً يصلّي بين الجبال والوحوش خلفه، فأرادا أن يعجّلاه عن صلاته، فأمر الله دابّة من تلك الوحوش كأنّها بعيرٌ أن تحول بينهما وبين المؤمن فطردتهما عنه حتّى قضى صلاته، فلمّا رآهما أوجس في نفسه خيفة وقال:

«يا ربّ أجرني من فرعون فإنّك إلهي، عليك توكّلت وبك آمنت، وإليك أنبت، أسألك يا إلهي إن كان هذان الرجلان يريدان بي سوءاً فسلّط عليهما فرعون وعجل ذلك، وإن هما أراداني بخير فاهدهما» فانطلقا حتّى دخلا على فرعون ليخبراه بالذي عايناه.

فقال أحدهما: ما الّذي نفعك أن يقتل، فكتم عليه، فقال الآخر: وعزّة فرعون لا أكتم عليه، وأخبر فرعون على رؤوس النّاس بما رأى وكتم الآخر، فلمّا دخل حزبيل قال فرعون للرجلين: من ربّكما؟

قالا: أنت.

فقال لحزبيل: ومن ربّك؟

قال: ربّي ربّهما، فظنّ فرعون أنّه يعنيه فوقاه الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب، وسرّ فرعون وأمر بالأول فصلب فنجى الله المؤمن وآمن الآخر بموسى عليه السلام حتّى قتل مع السحرة(١).

وروي عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لمّا أُسري بي مرّت بي رائحة طيّبة، فقلت لجبرئيل: ما هذه الرائحة؟

قال: هذه ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقعت المشطة من يدها فقالت: بسم الله.

فقالت بنت فرعون: أبي؟

فقالت: لا بل ربّي وربّك ورب أبيك.

فقالت: لأخبرنّ بذلك أبي.

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٦٦، والبحار: ج ١٣/ص ١٦٢-١٦٣، باب ٥/ح ٦.

فقالت: نعم، فأخبرته فدعا بها وبولدها وقال: من ربّك؟

فقالت: إنّ ربّي وربّك الله، فأمر بتنّور من نحاس فأُحمي فدعا بها وبولدها، فقالت: إنّ لي إليك حاجة.

قال: وما هي؟

قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها.

قال: ذاك لك لما لك علينا من حقّ، فأمر بأولادها فأُلقوا واحداً واحداً في التنور حتّى كان آخر ولدها وكان صبياً مرضعاً، فقال: اصبري يا أُماه إنّك على الحقّ، فألقيت في التنور مع ولدها.

وأمّا امرأة فرعون آسية فكانت من بني إسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرّاً، وكانت على ذلك إلى أن قتل فرعون امرأة حزبيل، فعاينت حينئذ الملائكة يعرجون بروحها لما أراد الله تعالى بها من الخير فزادت يقيناً وإخلاصاً وتصديقاً، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها فرعون يخبرها بما صنع بها، فقالت: الويل لك يا فرعون، ما أجرأك على الله جلّ وعلا؟

فقال لها: لعلّك قد اعتراك الجنون الّذي اعترى صاحبتك.

فقالت: ما اعتراني جنون لكن آمنت بالله تعالى ربّي وربّك وربّ العالمين، فدعا فرعون أُمّها فقال لها: إن ابنتك أخذها الجنون، فأُقسم لتذوقنّ الموت أو لتكفرنّ بإله موسى، فخلت بها أُمّها فسألتها موافقة فيما أراد، فأبت وقالت: أمّا أن أكفر بالله فلا والله لا أفعل ذلك أبداً، فأمر بها فرعون حتّى مدّت بين أربعة أوتاد ثمّ لا زالت تعذّب حتّى ماتت، كما قال الله سبحانه: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾(١).

وعن ابن عبّاس: قال: أخذ فرعون امرأته آسية حين تبيّن له إسلامها يعذّبها لتدخل في دينه، فمرّ بها موسى وهو يعذّبها فشكت إليه بإصبعها، فدعا الله موسى أن يخفّف عنها، فلم تجد للعذاب مسّاً، وإنّها ماتت من عذاب فرعون لها، فقالت وهي في العذاب: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾(٢).

(١) سورة الفجر، الآية: ١٠.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١١.

وأوحى الله إليها: أن ارفعي رأسك، ففعلت فأُريت البيت في الجنّة بني لها من درّ فضحكت.

فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الّذي بها، تضحك وهي في العذاب. انتهى(١).

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾(٢) هي آسية بنت مزاحم.

قيل: إنّها لمّا عاينت المعجز من عصا موسى وغلبت السحرة أسلمت فلمّا ظهر لفرعون إيمانها نهاها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس، ثمّ أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة، فلمّا قربت أجلها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فرفعها الله تعالى إلى الجنّة فهي فيها تأكل وتشرب، عن الحسن وابن كيسان.

وقيل: إنّها أبصرت بيتها في الجنّة من درّة وانتزع الله روحها، فالقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح، فلم تجد ألماً من عذاب فرعون.

وقيل: إنّها كانت تعذب بالشمس وإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنّة، عن سلمان(٣).



خروجه عليه السلام من الماء مع بني اسرائيل وأحوال التيه

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾(٤) الآية، فإنّ بني إسرائيل لمّا عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة فقالوا:

يا موسى أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلّ ولا شجر ولا ماء، وكانت تجيء بالنهار غمامة تظلهم من الشمس وينزل عليهم باللّيل المنّ فيقع

(١) عرائس المجالس: ص ١٦٦، والبحار: ج ١٣/ص ١٦٣-١٦٤، باب ٥.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١١.
(٣) مجمع البيان: ج ١٠/ص ٦٤، والبحار: ج ١٣/ص ١٦٤-١٦٥، باب ٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

على النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشيّ يجيء طائر مشويّ فيقع على موائدهم، وإذا أكلوا وشبعوا طار ومرّ، وكان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر ثمَّ يضربه بعصاه فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً كما حكى الله، فيذهب الماء إلى كلّ سبط في رحله، وكانوا اثني عشر سبطاً، فلمّا طال عليهم الأمد قالوا: ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ والفوم هي الحنطة.

فقال لهم موسى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾[1].

فقالوا: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[2] فنصف الآية في سورة البقرة وتمامها وجوابها لموسى في سورة المائدة.

قوله: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ أي حط عنّا ذنوبنا، فبدّلوا ذلك وقالوا: حنطة، وقال الله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ آل محمّد صلوات الله عليهم حقهم ﴿رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[3] [4].

قوله: ﴿يَـٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[5] فإن ذلك نزل لمّا قالوا: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ فقال لهم موسى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾.

فقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ فنصف الآية ههنا ونصفها في سورة البقرة، فلمّا قالوا لموسى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾.

فقال لهم موسى: لا بدّ أنّ تدخلوها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٩.

(٤) تفسير القمي: ج ١/ص ١٧٢، والبحار: ج ١٣/ص ١٧٤، باب ٦/ح ٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢١.

فقالوا له: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ فأخذ موسى بيد هارون وقال كما حكى الله: ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ يعني هارون فافرق بيننا وبين قومنا القوم الفاسقين.

فقال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ يعني مصر أن يدخلوها أربعين سنّة ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فلما أراد موسى أن يفارقهم فزعوا وقالوا: إن خرج موسى من بيننا نزل علينا العذاب، ففزعوا إليه وسألوه أن يقيم معهم ويسأل الله أن يتوب عليهم.

فأوحى الله إليه: قد تبت عليهم على أنّ يدخلوا مصر، وحرّمتها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض عقوبة لقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾(١) فدخلوا كلّهم في التوبة والتيه إلاّ قارون، فكانوا يقومون في أوّل اللّيل ويأخذون في قراءة التوراة، فإذا أصبحوا على باب مصر دارت بهم الأرض فردّتهم إلى مكانهم، وكان بينهم وبين مصر أربع فراسخ، فبقوا على ذلك أربعين سنة، فمات هارون وموسى في التيه ودخلها أبناؤهم وأبناء أبناءهم(٢).

﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ فإنه لمّا غرق الله فرعون وأصحابه وعبر موسى وأصحابه البحر نظر أصحاب موسى إلى قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا لموسى: ﴿يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾.

فقال موسى: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(٣) وهو محكم(٤).

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا انتهى بهم إلى الأرض المقدسة قال لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ﴾.

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢٤-٢٦.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ١٧٢، والبحار: ج ١٣/ص ذ،پ، باب ٦/ح ٣.
(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١٣٨-١٤١.
(٤) تفسير القمي: ج ١/ص ٢٤١، والبحار: ج ١٣/ص ١٧٦، باب ٦/ح ٤.

قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فلما أبوا أن يدخلوها حرّمها الله عليهم فتاهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

قال أبو عبد الله عليه السلام: وكانوا إذا أمسوا نادى مناديهم: أمسيتم الرحيل، فيرتحلون بالحداء والرجز حتّى إذا أسحروا أمر الله الأرض فدارت بهم فيصبحون في منزلهم الّذي ارتحلوا منه، فيقولون: قد أخطأتم الطريق، فمكثوا بهذا أربعين سنة، ونزل عليهم المنّ والسلوى حتّى هلكوا جميعاً إلاّ رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، وأبناءهم، وكانوا يتيهون في نحو من أربعة فراسخ فإذا أرادوا أن يرتحلوا ثبت ثيابهم عليهم وخفافهم.

قال: وكان معهم حجر إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت اثنتا عشرة عيناً لكلّ سبط عين، فإذا ارتحلوا رجع الماء فدخل في الحجر ووضع الحجر على الدابّة[2].

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا انتهى بهم موسى عليه السلام إلى الأرض المقدّسة قال لهم: ادخلوا، فأبوا أن يدخلوها، فتاهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة وكانوا إذا أمسوا نادى مناديهم أمسيتم الرحيل، حتّى إذا انتهوا إلى مقدار ما أرادوا أمر الله الأرض فدارت بهم إلى منازلهم الأُولى فيصبحون في منزلهم الّذي ارتحلوا منه، فمكثوا بذلك أربعين سنة، ينزل عليهم المنّ والسلوى فهلكوا فيها أجمعين إلاّ رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا اللّذين أنعم الله عليهما، ومات موسى وهارون عليهما السلام فدخلها يوشع بن نون وكالب وأبناؤهم، وكان معهم حجر كان موسى يضربه بعصاه فينفجر منه الماء لكلّ سبط عين[3].

بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب بن منبّه، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاز بهم البحر: خبّرنا يا موسى بأيّ قوّة وأيّ

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢١-٢٦.
(٢) الإختصاص: ص ٢٦٥، والبحار: ج ١٣/ ص ١٧٦-١٧٧، باب ٦/ح ٥.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٧١-١٧٤، والبحار: ج ١٣/ ص ١٧٧-١٧٨، باب ٦/ح ٦.

عدّة وعلى أي حمولة نبلغ الأرض المقدّسة ومعك الذرّيّة والنساء والهرمى والزمنى؟

فقال موسى عليه السلام: ما أعلم قوماً ورّثه الله من عرض الدنيا ما ورّثكم، ولا أعلم أحداً آتاه منها مثل الّذي آتاكم، فمعكم من ذلك مالاً يحصيه إلاّ الله تعالى، وقال موسى: سيجعل الله لكم مخرجاً فاذكروه وردوا إليه أُموركم، فإنّه أرحم بكم من أنفسكم.

قالوا: فادعه يطعمنا ويسقنا ويكسنا ويحملنا من الرجلة ويظلّنا من الحرّ.

فأوحى الله تعالى إلى موسى: قد أمرت السماء أنّ يمطر عليهم المنّ والسلوى، وأمرت الريح أن يشوي لهم السلوى، وأمرت الحجارة أن تنفجر، وأمرت الغمام أن تظلّهم، وسخرت ثيابهم أن تنبت بقدر ما ينبتون، فلمّا قال لهم موسى ذلك سكتوا فسار بهم موسى، فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدّسة وهي فلسطين، وإنّما قدّسها لأنّ يعقوب عليه السلام ولد بها، وكانت مسكين أبيه إسحاق ويوسف عليه السلام، ونقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين[١].

عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أهل مصر وذكر قوم موسى وقولهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فحرّمها الله عليهم أربعين سنة وتيّههم، فكان إذا كان العشاء أخذوا في الرحيل ونادوا: الرحيل الرحيل، الوحى الوحى، فلم يزالوا كذلك حتّى تغيب الشفق حتّى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله للأرض: ديري بهم، فلم يزالوا كذلك حتّى إذا أسحروا وقارب الصبح قالوا:

إنّ هذا الماء قد أتيتموه فانزلوا، فإذا أصبحوا إذا أبنيتهم ومنازلهم الّتي كانوا فيها بالأمس فيقول بعضهم لبعض: يا قوم لقد ضللتم وأخطأتم الطريق، فلم يزالوا كذلك حتّى أذن الله لهم فدخلوها وقد كان كتبها لهم[٢].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٧١-١٧٤، والبحار: ج ١٣/ ص ١٧٨، باب ٦/ح ٧.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ج ٣٣٣/ ح ٧٤ من سورة المائدة، والبحار: ج ١٣/ ص ١٨١، باب ٦/ح ١٥.

عن أبي سعيد الخراسانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ القائم عليه السلام إذا قام بمكّة وأراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادى مناديه: ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً، ويحمل حجر موسى بن عمران - وهو وقر بعير - فلا ينزل منزلاً إلاّ انبعث عين منه، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظامئاً روي، فهو زادهم حتّى ينزل النجف من ظهر الكوفة[1].

قال الثعلبيّ: إنّ الله عزّوجلّ وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدّسة وهي الشام، وكان يسكنها الكنعانيّون الجبّارون. وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وعد الله موسى أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني إسرائيل، فلمّا استقرّت ببني إسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالسير إلى أريحا أرض الشام وهي الأرض المقدّسة، وقال:

يا موسى إنّي قد كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإنّي ناصركم عليهم، وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كلّ سبط نقيباً ليكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أُمروا به، فاختار موسى النقباء من كلّ سبط نقيباً وأمّره عليهم، فسار موسى عليه السلام ببني إسرائيل قاصدين أريحا فبعث هؤلاء النقباء إليها يتجسّسون له الأخبار ويعلمون علمها وحال أهلها، فلقيهم رجل من الجبّارين يقال له عوج بن عناق.

قال ابن عمر: كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذرّاع وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع بذراع الملك، وكان عوج يحتجر بالسحاب ويشرب، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثمّ يأكله!.

ويروى أنّه أتى نوحاً عليه السلام أيّام الطوفان فقال له: احملني معك في سفينتك.

فقال له: اذهب يا عدو الله فإنّي لم أُؤمر بك، وطبّق الماء ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج! وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتّى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام، وكان لموسى عليه السلام عسكر فرسخ في فرسخ، فجاء عوج

---

(١) أصول الكافي: ج ١/ص ١٣٢، باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء ح ٣، والبحار: ج ١٣/ ص ١٨٥، باب ٦/ح ٢٠.

حتّى نظر إليهم، ثمّ أتى الجبل وقوّر منه صخرة على قدر العسكر ثمّ حملها ليطبقها عليهم، فبعث الله تعالى إليه الهدهد ومعه المسنّ - يعني منقاره - حتّى قوّر الصخرة فانتقبت فوقعت في عنق عوج فطوّقته فصرعته، فأقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع ونزا في السماء عشرة أذرع فما أصاب إلاّ كعبه وهو مصروع بالأرض فقتله.

قالوا: فأقبلت جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتّى جزوا رأسه، فلمّا قتل وقع على نيل مصر فجسرهم سنة، قالوا: وكانت أُمّه عنق ويقال عناق إحدى بنات آدم عليه السلام من صلبه، فلمّا لقيهم عوج وعلى رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته.

وقال: انظري إلى هؤلاء القوم الّذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها.

وقال: ألا أطحنهم برجلي؟

فقالت امرأته: لا بل خلّ عنهم حتّى يخبروا قومهم بما رأوا، ففعل ذلك، فجعلوا يتعرّفون أحوالهم، وكان لا يحمل عنقود عنبهم إلاّ خمسة أنفس بالخشب! ويدخل في شطر الرمّانة إذا نزع حبّها خمسة أنفس أو أربعة! فلمّا خرجوا قال بعضهم لبعض: يا قوم إنّكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم شكّوا وارتدّوا عن نبيّ الله، ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهارون فيريان فيه رأيهما، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك، ثمّ انصرفوا إلى موسى عليه السلام بعد أربعين يوماً وجاؤوا بحبة من عنبهم وقر رجل، وأخبروا بما رأوا، ثمَّ إنّهم نكثوا العهد وجعل كلّ واحد منهم ينهى سبطه وقريبه عن قتالهم ويخبرهم بما رأوا من حالهم إلاّرجلان منهم وفيا بما قالا: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام على أُخته مريم، فلمّا سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا:

يا ليتنا متنا في أرض مصر، وليتنا نموت في هذه البرّيّة ولا يدخلنا الله القرية فتكون نساؤنا وأولادنا وأثقالنا غنيمة لهم، وجعل الرجل يقول لأصحابه:

تعالوا نجعل علينا رأساً وننصرف إلى مصر، فذلك قوله تعالى إخباراً عنهم: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال قتادة: كانت لهم أجسام طويلة وخلقة عجيبة ليست لغيرهم ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾.

فقال لهم موسى: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فإن الله عز وجل سيفتحها عليكم، وإنّ الّذي أنجاكم وفلق البحر هو الّذي يظهركم عليهم فلم يقبلوا وردّوا عليه أمره وهمّوا بالانصراف إلى مصر، فخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللّذان أخبر الله عز وجل عنهما في قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالتوفيق والعصمة ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ يعني قرية الجبّارين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ﴾ لأن الله عز وجل منجز وعده، وإنا رأيناهم وخبّرناهم فكانت أجسامهم قويّة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصرهما، وقالوا:

﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ فغضب موسى ودعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي فاقض وافصل بيننا وبين القوم العاصين، وكانت عجلة عجّلها موسى عليه السلام فظهر الغمام على باب قبّة الزمر.

فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إلى متى يعصيني هذا الشعب؟ وإلى متى لا يصدّقون بالآيات؟ لأُهلكنّهم جميعاً ولأجعلنّ لك شعباً أقوى وأكثر منهم.

فقال موسى: إلهي لو أنّك قتلت هذا الشعب كلّهم كرجل واحد لقالت الأُمم الّذين سمعوا: إنّما قتل هذا الشعب من أجل أنّه لم يستطع أن يدخلهم الأرض المقدّسة فقتلهم في البرّيّة، وإنك طويل صبرك، كثيرة نعمك، وأنت تغفر الذنوب، وتحفظ الآباء على الأبناء والأبناء على الآباء فاغفر لهم ولا توبقهم.

فقال الله عز وجل: قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعدما سمّيتهم فاسقين ودعوت عليهم، بي حلفت لأحرّمنّ عليهم دخول الأرض المقدّسة غير عبديّ يوشع وكالب، ولأُتيهنّهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كلّ يوم من الأيام الّتي تجسّسوا فيها سنة، وكانت أربعين يوماً، ولنلقينّ جيفهم في هذه القفار، وأمّا بنوهم الّذين لم يعلموا الخير والشر فإنّهم يدخلون الأرض المقدّسة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ في ستة فراسخ، وكانوا ستمائة ألف

مقاتل، فكانوا يسيرون كلّ يوم جادّين حتّى إذا أمسوا وباتوا فإذا هم في الموضع الّذي ارتحلوا منه، ومات النقباء العشرة الّذين أفشوا الخبر بغتة، وكلّ من دخل التيه ممّن جاوز عشرين سنة مات في التيه غير يوشع وكالب، ولم يدخل أريحا أحد ممّن قالوا: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ فلمّا هلكوا وانقضت الأربعون السنة ونشأت النواشي من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبّارين، وفتح الله لهم(١).

نزول التوراة، وسؤال الرؤية، وعبادة العجل وما يتعلق بها

قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾(٢) فإن موسى عليه السلام لمّا رجع إلى بني إسرائيل ومعه التوراة لم يقبلوا منه، فرفع الله جبل طور سيناء عليهم وقال لهم موسى: لئن لم تقبلوا ليقعنّ الجبل عليكم وليقتلنّكم فنكسوا رؤوسهم وقالوا: نقبله(٣).

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن الثور ما باله غاض طرفه لا يرفع رأسه إلى السماء؟

قال: حياء من الله عزّ وجلّ لمّا عبد قوم موسى العجل نكس رأسه(٤).

﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ قال: اختبرناهم من بعدك ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾(٥) قال: بالعجل الّذي عبدوه، وكان سبب ذلك أن موسى عليه السلام لمّا وعده الله أن ينزل عليه التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً أخبر بني إسرائيل بذلك، وذهب إلى الميقات وخلّف هارون على قومه، فلمّا جاءت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم عصوا وأرادوا أن يقتلوا هارون قالوا: إنّ موسى كذبنا وهرب منّا، فجاءهم إبليس في صورة رجل.

---

(١) البحار: ج ١٣/ ص ١٨٦ - ١٨٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٣.
(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ٥٩، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٠٨، باب ٧/ ح ١.
(٤) عيون أخبار الرضا: ج ١/ص ٢١٩، باب ٢٤/ح ١، وعلل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ح ٤٤ والبحار: ج ١٣/ص ٢٠٨، باب ٧/ح ٢.
(٥) سورة طه، الآية: ٨٥.

فقال لهم: إن موسى قد هرب منكم ولا يرجع إليكم أبداً، فاجمعوا إليّ حليّكم حتّى أتخذ لكم إلهاً تعبدونه، وكان السامريّ على مقدمة موسى يوم أغرق الله فرعون وأصحابه، فنظر إلى جبرئيل وكان على حيوان في صورة رمكة، وكانت كلّما وضعت حافرها على موضع من الأرض يتحرّك ذلك الموضع، فنظر إليه السامريّ وكان من خيار أصحاب موسى فأخذ التراب من حافر رمكة جبرئيل، وكان يتحرّك فصره في صرّة، وكان عنده يفتخر به على بني إسرائيل، فلمّا جاءهم إبليس واتّخذوا العجل قال للسامريّ: هات التراب الّذي معك، فجاء به السامريّ فألقاه إبليس في جوف العجل، فلمّا وقع التراب في جوفه تحرّك وخار ونبت عليه الوبر والشعر، فسجد له بنو إسرائيل، فكان عدد الّذين سجدوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل.

فقال لهم هارون كما حكى الله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾(1) فهمّوا بهارون حتّى هرب من بينهم وبقوا في ذلك حتّى تم ميقات موسى أربعين ليلة، فلمّا كان يوم عشرة من ذي الحجّة أنزل الله عليه الألواح فيها التوراة وما يحتاجون إليه من أحكام السير والقصص.

ثم أوحى الله إلى موسى ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وعبدوا العجل وله خوار.

فقال موسى عليه السلام: يا رب! العجل من السامريّ فالخوار ممّن؟

قال: مني يا موسى، أنا لمّا رأيتهم قد ولوا عنّي إلى العجل أحببت أن أزيدهم فتنة، فرجع موسى كما حكى الله إلى قومه غضبان أسفاً قال: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ ثم رمى بالألواح وأخذ بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه فقال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ۝٩٣﴾.

فقال هارون كما حكى الله: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾.

---

(1) سورة طه، الآية: الآيتان: ٩٠-٩١.

فقال له بنو إسرائيل: ﴿مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ قال: ما خالفناك ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ يعني من حليهم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ قال: التراب الّذي جاء به السامريّ طرحناه في جوفه، ثمَّ أخرج السامري العجل وله خوار فقال له موسى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾.

قال السامريّ: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ يعني من تحت حافر رمكة جبرئيل في البحر ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي أمسكتها ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ أي زيّنت، فأخرج موسى العجل فأحرقه بالنار وألقاه في البحر. ثمّ قال موسى للسامريّ: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ يعني ما دمت حيّاً وعقبك هذه العلامة فيكم قائمة أن تقول: لا مساس حتّى تعرفوا أنكم سامرية فلا يغتروا بكم النّاس، فهم إلى الساعة بمصر والشام معروفين بلا مساس، ثمَّ هم موسى بقتل السامري فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنّه سخيّ.

فقال له موسى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾[1] [2].

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[3] فإن الله عزّوجلّ أوحى إلى موسى: إنّي أُنزل عليك التوراة الّتي فيها الأحكام إلى أربعين يوماً، وهو ذو القعدة وعشرة من ذي الحجّة.

فقال موسى عليه السلام لأصحابه: إنّ الله تبارك وتعالى قد وعدني أن ينزل عليّ التوراة والألواح إلى ثلاثين يوماً، وأمره الله أن لا يقول: إلى أربعين يوماً، فتضيق صدورهم، فذهب موسى إلى الميقات، واستخلف هارون على بني إسرائيل، فلمّا جاوز ثلاثين يوماً ولم يرجع موسى غضبوا فأرادوا أن يقتلوا هارون وقالوا: إن موسى كذبنا وهرب منّا، واتخذوا العجل وعبدوه، فلمّا كان يوم عشرة من ذي

---

(١) سورة طه، الآيات: ٨٦-٩٨.

(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ٣٥، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٠٩-٢١٠، باب ٧/ح ٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

الحجّة أنزل الله على موسى الألواح وما يحتاجون إليه من الأحكام والأخبار والسنن والقصص، فلمّا أنزل الله عليه التوراة وكلمه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾.

فأوحى الله إليه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لا تقدر على ذلك ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾.

قال: فرفع الله الحجاب ونظر إلى الجبل فساخ الجبل في البحر فهو يهوي حتّى الساعة، ونزلت الملائكة وفتحت أبواب السّماء، فأوحى الله إلى الملائكة: أدركوا موسى لا يهرب، فنزلت الملائكة وأحاطت بموسى وقالوا: اثبت يا ابن عمران فقد سألت عظيماً، فلمّا نزل موسى إلى الجبل قد ساخ والملائكة قد نزلت وقع على وجهه فمات من خشية الله وهول ما رأى فرد الله عليه روحه فرفع رأسه وأفاق وقال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي أوّل من صدّق أنّك لا تُرى، فقال الله له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

فناداه جبرئيل: يا موسى أنا أخوك جبرئيل.

وقوله: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا﴾ أي كلّ شيء موعظة أنّه مخلوق.

وقوله: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ أي قوّة القلب ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ أي بأحسن ما فيها من الأحكام.

وقوله: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾(١) أي يجيئكم قوم فسّاق تكون الدولة لهم.

قوله: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ يعني أصرف القرآن عن الّذين يتكبرون في الأرض بغير الحقّ ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾.

قال: إذا رأوا الإيمان والصدق والوفاء والعمل الصالح لا يتّخذوه سبيلاً، وإن يروا الشرك والزنا والمعاصي يأخذوا بها ويعملوا بها.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٤٢-١٤٥.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ﴾ الآية، فإنّه محكم. قوله: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ أي ترك. وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا﴾ يعني لا يتكلّم العجل وليس له منطق.

وأمّا قوله: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني لمّا جاءهم موسى وأحرق العجل ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ إلى قوله: ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فإنه محكم.

وقوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ﴾(١).

فإن موسى عليه السلام لمّا قال لبني إسرائيل: إنّ الله يكلّمني ويناجيني لم يصدّقوه.

فقال لهم: اختاروا منكم من يجيء معي حتّى يسمع كلامه، فاختاروا سبعين رجلاً من خيارهم وذهبوا مع موسى إلى الميقات، فدنا موسى وناجى ربّه وكلمه الله تبارك وتعالى.

فقال موسى لأصحابه: اسمعوا واشهدوا عند بني إسرائيل بذلك.

فقالوا له: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ فسأله أن يظهر لنا، فأنزل الله عليهم صاعقة فاحترقوا وهو قوله: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾ فهذه الآية في سورة البقرة وهي مع هذه الآية في سورة الأعراف.

قوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ فنصف الآية في سورة البقرة ونصف الآية ههنا، فلمّا نظر موسى إلى أصحابه قد هلكوا حزن عليهم فقال: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ وذلك أنّ موسى ظن أنّ هؤلاء هلكوا بذنوب بني إسرائيل فقال: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٥٠-١٥٥.

وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

فقال الله تبارك وتعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[(١)].

عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الّذين أمروا قوم موسى بعبادة العجل كانوا خمسة أنفس وكانوا أهل بيت يأكلون على خوان واحد وهم: أذينوه، وأخوه ميذويه، وابن أخيه وابنته وامرأته وهم الّذين ذبحوا البقرة الّتي أمر الله عزّ وجلّ بذبحها. الخبر[(٢)].

في خبر ابن الجهم أنه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[(٣)] الآية، كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أنّ الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟

فقال الرضا عليه السلام: إنّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم الله أنّ تعالى عز عن أن يرى بالأبصار، ولكنّه لمّا كلّمه الله عزّ وجلّ وقرّبه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله عزّ وجلّ أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا:

لن نؤمن لك بأن هذا الّذي سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرة، فلمّا قالوا

---

(١) تفسير القمي: ج١/ ص ٢٤١، والبحار: ج ١٣/ ص ٢١٣-٢١٦، باب ٧/ح ٧.
(٢) الخصال: ص ٢٩٢، باب الخمسة/ح ٥٥، والبحار: ج ١٣/ ص ٢١٦، باب/ح ٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عزّ وجلّ عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا.

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من منّاجاة الله عزّ وجلّ إيّاك؟

فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حقّ معرفته.

فقال موسى عليه السلام: يا قوم إنّ الله لا يُرى بالأبصار ولا كيفيّة له، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه.

فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله.

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم.

فأوحى الله عزّ وجلّ: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾[1] يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] منهم بأنّك لا ترى[2].

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: الغريّ قطعة من الجبل الّذي كلّم الله عليه موسى تكليماً[3].

عن عليّ بن سالم، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أخبرني عن هارون لم قال لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾[4] ولم يقل: يا ابن أبي؟

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) الإحتجاج: ص ٤٢٩، والتوحيد: ص ١٢١، وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ١٧٨، باب ١٥/ح ١، والبحار ج ١٣/ص ٢١٧-٢١٩، باب ٧/ح ١١.

(٣) إرشاد القلوب: ص ٤٣٩، والبحار: ج ١٣/ص ٢١٩، باب ٧/ح ١٣.

(٤) سورة طه، الآية: ٩٤.

فقال: إن العداوات بين الإخوة أكثرها تكون إذا كانوا بني علاّت، ومتى كانوا بني أُمّ قلت العداوة بينهم إلاّ أن ينزغ الشيطان بينهم فيطيعوه.

فقال هارون لأخيه موسى: يا أخي الّذي ولدته امي ولم تلدني غير أُمّه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، ولم يقل: يا ابن أبي لأنّ بني الأب إذا كانت أُمهاتهم شتّى لم تستبعد العداوة بينهم إلاّمن عصمه الله منهم، وإنّما تستبعد العداوة بين بني أُمّ واحدة.

قال: قلت له: فلمَ أخذ برأسه يجرّه إليه وبلحيته ولم يكن له في اتّخاذهم العجل وعبادتهم له ذنب؟

فقال: إنّما فعل ذلك به لأنّه لم يفارقهم لمّا فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى، وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب، ألا ترى أنّه قال له موسى: يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتّبعن أفعصيت أمري؟

قال هارون: لو فعلت ذلك لتفرّقوا، وإنّي خشيت أن تقول لي: فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي.

قال الصدوق رحمه الله: أخذ موسى برأس أخيه ولحيته أخذه برأس نفسه ولحية نفسه على العادة المتعاطاة للنّاس إذا اغتمّ أحدهم أو أصابته مصيبة عظيمة وضع يده على رأسه، وإذا دهته داهية عظيمة قبض على لحيته، فكأنّه أراد بما فعل أن يعلم هارون أنّه وجب عليه الاغتمام والجزع بما أتاه قومه، ووجب أن يكون في مصيبته بما تعاطوه، لأنّ الأُمّة من النبيّ والحجّة بمنزلة الأغنام من راعيها، ومن أحقّ بالاغتمام بتفريق الأغنام وهلاكها من راعيها وقد وكل بحفظها واستعبد بإصلاحها، وقد وعد الثواب على ما يأتيه من إرشادها وحسن رعيها، وأُوعد العقاب على ضدّ ذلك من تضييعها؟

وهكذا فعل الحسين بن عليّ عليهما السلام لمّا ذكّر القوم المحاربين له بحرماته فلم يرعوها قبض على لحيته وتكلّم بما تكلّم به، وفي العادة أيضاً أن يخاطب الأقرب ويعاتب على ما يأتيه البعيد ليكون ذلك أزجر للبعيد عن إتيان ما يوجب العقاب،

وقد قال الله عزّوجلّ لخير خلقه وأقربهم منه صلى الله عليه وآله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

وقد علم عزّوجلّ أنّ نبيه صلى الله عليه وآله لا يشرك به أبداً، وإنّما خاطبه بذلك وأراد به أُمّته، وهكذا موسى عاتب أخاه هارون وأراد بذلك أُمّته اقتداءً بالله تعالى ذكره، واستعمالاً لعادات الصالحين قبله وفي وقته(٢).

وقال السيّد رحمه الله: إن قيل: ما الوجه في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ الآية؟ أو ليس ظاهر الآية يدلّ على أنّ هارون أحدث ما أوجب إيقاع ذلك الفعل به؟ وبعد فما الاعتذار لموسى عليه السلام من ذلك وهو فعل السّخفاء والمتسرّعين، وليس من عادة الحكماء والمتماسكين؟

قلنا: ليس فيما حكاه الله تعالى من فعل موسى بأخيه ما يقتضي صدور معصية ولا قبيح من واحد منهما، وذلك أنّ موسى عليه السلام أقبل وهو غضبان على قومه لما أحدثوا بعده مستعظماً لفعلهم، مفكّراً فيما كان منهم، فأخذ برأس أخيه وجرّه إليه كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدّة الفكر، أما ترى أنّ المفكر الغضبان قد يعض على شفته ويقبض على لحيته، فأجرى موسى أخاه هارون مجرى نفسه لأنّه كان أخاه وشريكه ومن يمسّه من الخير والشّر ما يمسّه، فصنع به ما يصنعه الرجل بنفسه في أحوال الفكر والغضب، وهذه الأُمور تختلف أحكامها بالعادات فيكون ما هو إكرام في بعضها استخفافاً في غيرها وبالعكس.

وأمّا قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ فلا يمتنع أن يكون هارون عليه السلام خاف من أن يتوهّم بنو إسرائيل بسوء ظنّهم أنّه منكر عليه، معاتب له، ثمَّ ابتدأ بشرح قصّته فقال في موضع: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ الآية.

وفي موضع آخر: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ ويمكن أن يكون قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ ليس على سبيل الأنفة، بل معنى كلامه: لا تغضب ولا يشتدّ جزعك وأسفك.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٢) علل الشرائع: ج ١/ ص ٨٧، باب ٥٨/ ح ١، والبحار: ج ١٣/ ص ٢١٩-٢٢٠، باب ٧/ ح ١٤.

وقال قوم: إنّ موسى عليه السلام لمّا رأى من أخيه مثل ما كان عليه من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجّعاً له مسكتاً كما يفعل أحدنا بمن يناله المصيبة، وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ كلاّما مستأنفاً.

وأمّا قوله: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ فيحتمل أن يريد: لا تفعل ذلك وغرضك التسكين منّي، ويظن القوم أنّك منكر عليّ.

وقال قوم: أخذ برأس أخيه ليدنيه إليه ويعلّمه ما أوحى الله إليه، فخاف هارون أن يسبق إلى قلوبهم لسوء ظنّهم ما لا أصل له من عداوته.

فقال: إشفاقاً على موسى عليه السلام: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي لتسرّ ما تريده بين أيدي هؤلاء فيظنّوا بك ما لا يجوز عليك. انتهى[١].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فإن موسى عليه السلام لمّا خرج إلى الميقات ورجع إلى قومه وقد عبدوا العجل قال لهم: يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم، فقالوا: فكيف نقتل أنفسنا؟

فقال لهم موسى: اغدوا كلّ واحد منكم إلى بيت المقدس ومعه سكّين أو حديدة أو سيف فإذا صعدت أنا منبر بني إسرائيل فكونوا أنتم متلثّمين لا يعرف أحد صاحبه فاقتلوا بعضكم بعضاً، فاجتمعوا سبعين ألف رجل ممّن كانوا عبدوا العجل إلى بيت المقدس، فلمّا صلّى بهم موسى عليه السلام وصعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتّى نزل جبرئيل فقال: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل فقد تاب الله عليكم، فقتل منهم عشرة آلاف، وأنزل الله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢] الآية، فهم السبعون الّذين اختارهم موسى ليسمعوا كلام الله، فلمّا سمعوا الكلام قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتّى نرى الله جهرة، فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا ثمّ أحياهم الله بعد ذلك، وبعثهم أنبياء[٣].

---

(١) البحار: ج ١٣/ص ٢٢٠-٢٢٢، باب ٧/ذيل ح ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٥٤-٥٥.

(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ٥٧، والبحار: ج ١٣/ص ٢٢٢، باب ٧/ح ١٥.

عنْ حفص قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[1] قال: ساخ الجبل في البحر يهوي حتّى الساعة[2].

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر أمر ربّه لأهل الجبل فحذف، والمعنى أنّه سبحانه أظهر من الآيات ما استدلّ به من كان عند الجبل على أنّ رؤيته غير جائزة.

وقيل: معناه: ظهر ربّه بآياته الّتي أحدثها في الجبل لأهل الجبل كما يقال: الحمد لله الّذي تجلى لنا بقدرته، فلمّا أظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنّه ظهر لأهله.

وقيل: إنّ «تجلى» بمعنى «جلّى» كقولهم: حدّث وتحدّث، وتقديره: جلّى ربّه أمره للجبل، أي أبرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به.

ويؤيّده ما جاء في الخبر: إن الله تعالى أبرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل.

وقال ابنْ عبّاس: معناه: ظهر نور ربّه للجبل.

وقال الحسن: لمّا ظهر وحي ربّه للجبل جعله دكّاً، أي مستوياً بالأرض، وقيل: تراباً، عن ابن عبّاس.

وقيل: ساخ في الأرض حتّى فني، عن الحسن، وقيل: تقطّع أربع قطع: قطعة ذهبت نحو المشرق، وقطعة ذهبت نحو المغرب، وقطعة سقطت في البحر، وقطعة صارت رملاً.

وقيل: صار الجبل ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة، وثلاثة بمكّة، فالّتي بالمدينة احد وورقان ورضوى، والّتي بمكّة ثور وثبير وحراء، روي ذلك عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم[3].

عن الثماليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ في الجفر: إنّ الله تبارك وتعالى

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) التوحيد للصدوق: ص ١٢٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٢٣، باب ٧/ح ١٧.

(٣) مجمع البيان: ج ٤/ ص ٣٥٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٢٣-٢٢٤، باب ٧/ ذيل ح ١٧.

لمّا أنزل ألواح موسى عليه السلام أنزلها عليه وفيها تبيان كلّ شيء وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فلمّا انقضت أيّام موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح - وهي زبرجدة من الجنّة - الجبل فأتى موسى الجبل فانشق له الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة، فلمّا جعلها فيه انطبق الجبل عليها، فلم تزل في الجبل حتّى بعث الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل ركب من اليمن يريدون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى عليه السلام، فأخذها القوم فدفعوها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (١).

عن الحسن بن محمّد النوفليّ، في احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال عليه السلام: إنّ موسى بن عمران وأصحابه السبعين الّذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته.

فقال لهم: إنّي لم أره.

فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال: يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما اخبرهم به؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا، فأحياهم الله عزّ وجلّ من بعد موتهم (٢).

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(٣).

قال: لمّا ناجى موسى عليه السلام ربّه أوحى الله إليه: أن يا موسى قد فتنت قومك، قال: وبماذا يا ربّ؟

قال: بالسامريّ.

---

(١) بصائر الدرجات: ص ١٤٢/ج ٣، باب ١١/ح ٤، والبحار: ج ١٣/ ص ذقف، باب ٧/ح ٢١.

(٢) الإحتجاج: ص ٢١٩، والتوحيد: ص ٤٢٤، وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ١٤٤، باب ١٢/ح ١، والبحار: ج ١٣/ص ٢٢٦، باب ٧/ح ٢٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

قال: وما فعل السامريّ؟

قال: صاغ لهم من حليهم عجلاً.

قال: يا ربّ إن حليّهم لتحتمل أن يصاغ منه غزال أو تمثال أو عجل، فكيف فتنتهم؟

قال: إنّه صاغ لهم عجلاً فخار.

قال: يا ربّ ومن أخاره؟

قال: أنا.

فقال عندها موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾(١).

قال: فلمّا انتهى موسى إلى قومه ورآهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فتكسّرت.

فقال أبو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون ذلك عند إخبار الله إيّاه.

قال: فعمد موسى فبرد العجل من أنفه إلى طرف ذنبه، ثمّ أحرقه بالنار فذرّه في اليمّ.

قال: فكان أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة فيتعرّض بذلك للرماد فيشربه وهو قول الله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾(٢).

عن فضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك وقّت لنا وقتاً فيهم؟

فقال: إنّ الله خالف علمه علم الموقّتين، أما سمعت الله يقول: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ إلى ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أما إنّ موسى لم يكن يعلم بتلك العشر ولا بنو إسرائيل فلمّا حدّثهم قالوا: كذب موسى، وأخلفنا موسى، فإن حدّثتم به فقولوا: صدق الله ورسوله تؤجروا مرّتين(٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.

(٢) تفسير العياشي: ج ١/ ص ٧٠/ ح ٧٣ من سورة البقرة، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٢٧، باب ٧/ ح ٢٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٢٩-٣٠/ ح ٧٠ من سورة الأعراف، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٢٨، باب ٧/ ح ٣٠.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: لمّا سأل موسى عليه السلام ربّه تبارك وتعالى قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾.

قال: فلمّا صعد موسى عليه السلام على الجبل فتحت أبواب السّماء، وأقبلت الملائكة أفواجاً في أيديهم العمد في رأسها النور يمرّون به فوجاً بعد فوج يقولون: يا ابن عمران أتيت فقد سألت عظيماً.

قال: فلم يزل موسى واقفاً حتّى تجلى ربّنا جل جلاله فجعل الجبل دكّاً وخرّ موسى صعقاً، فلمّا أن ردّ الله عليه روحه أفاق قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

قال ابن أبي عمير: وحدّثني عدّة من أصحابنا أنّ النّار أحاطت به حتّى لا يهرب لهول ما رأى[1].

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ موسى بن عمران عليه السلام لمّا سأل ربّه النظر إليه وعده الله أن يقعد في موضع، ثمَّ أمر الملائكة أن تمرّ عليه موكباً موكباً بالبرق والرعد والريح والصواعق، فكلّما مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصه فيرجع رأسه فيقولون له: قد سألت عظيماً[2].

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ قال: كان موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل:

إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من عند ربّكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله فلمّا فرّج الله عنهم أمره الله عزّ وجلّ أن يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل فظن موسى أنّه بعد ذلك يعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوماً، فلمّا كان آخر اليوم استاك قبل الفطر.

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣٠/ح ٧٢-٧٣ من سورة الأعراف، والبحار: ج ١٣/ص ٢٢٨، باب ٧/ح ٣٣.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣١/ح ٧٤ من سورة الأعراف، والبحار: ج ١٣/ص ٢٢٩، باب ٧/ح ٣٤.

فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا موسى أما علمت أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ صم عشرا أُخر ولا تستك عند الافطار، ففعل ذلك موسى عليه السلام وكان وعده الله أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه إيّاه، فجاء السامريّ فشبّه على مستضعفي بني إسرائيل، فقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمّت أربعون، أخطأ موسى ربّه وقد أتاكم ربّكم، أراد أن يريكم أنّه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنّه لم يبعث موسى عليه السلام لحاجة منه إليه، فأظهر لهم العجل الّذي كان عمله.

فقالوا: كيف يكون العجل إلهنا؟

قال: إنّما هذا العجل يكلّمكم منه ربّكم كما كلّم موسى من الشجرة، فلمّا سمعوا منه كلاماً قالوا له:

إنّه في العجل كما في الشجرة، فضلوا بذلك وأضلوا، فلمّا رجع موسى إلى قومه قال: يا أيّها العجل أكان فيك ربّنا كما يزعم هؤلاء؟

فنطق العجل وقال: عزّ ربّنا من أن يكون العجل حاوياً له، أو شيء من الشجرة والأمكنة عليه مشتملاً، لا والله يا موسى، ولكنّ السامريّ نصب عجلاً مؤخّره إلى حائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه بعض مردته فهو الّذي وضع فاه على دبره وتكلّم ما تكلّم لمّا قال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء بعبادتي واتّخاذي إلهاً إلاّ لتهاونهم بالصلاة على محمّد وآله الطيّبين؛ وجحودهم بموالاتهم وبنبوّة النبيّ ووصيّة الوصي حتّى أدّاهم إلى أن اتّخذوني إلهاً.

قال الله عزّوجلّ: فإذا كان الله تعالى إنّما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمّد ووصيّه عليّ فما تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم لمحمّد وعليّ وقد شاهدتموهما وتبيّنتم آياتهما ودلائلهما[1].

اعلم أنّ الأخبار قد اختلفت من الخاصّة والعامّة في أنّ موسى عليه السلام هل

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٤٧/ح ١٢٢، والبحار: ج ١٣/ص ٢٣٠-٢٣١، باب ٧/ح ٤٢.

وعدهم ثلاثين فجاء بعد الأربعين، أو وعدهم أربعين، والأظهر من أكثر الأخبار السالفة أنّها كانت من الأخبار البدائيّة وكان الثلاثون مشروطاً بشرط فتمّ بعد ذلك أربعون، ويظهر من هذا الخبر أنّ السامريّ سوّل لهم شبهة فاسدة ولم يكن الميقات إلاّ أربعين، ويمكن كون إحداهما محمولة على التقيّة لكونها أشهر بين المخالفين في زمان صدور الخبر، أو يكون موسى وعدهم الثلاثين مع تجويز الأربعين فجعل لميقاته نهايتين، وبه يمكن الجمع بين الآيتين أيضاً.

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾: ولم يقل أربعين ليلة كما قال في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه:

أحدها: أنّ العدّة كانت ذا القعدة وعشراً من ذي الحجّة ولو قال: أربعين ليلة لم يعلم أنّه كان الابتداء أوّل الشهر ولا أنّ الأيّام كانت متوالية ولا أنّ الشهر شهر بعينه قاله أكثر المفسّرين.

وثانيها: أنّه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرّب بالعبادة، ثمّ أتمّها بعشر إلى وقت المناجاة. وقيل: هي العشر الّتي أُنزلت التوراة فيها فلذلك أُفردت بالذكر.

وثالثها: أنّ موسى عليه السلام قال لقومه: إنّي أتأخّر عنكم بثلاثين يوماً ليتسهّل عليهم ثمّ زاد عليهم عشراً وليس في ذلك خلف لأنّه إذا تأخّر عنهم أربعين ليلة فقد تأخّر ثلاثين قبلها، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انتهى[(١)].

وقال الثعلبيّ: كان قد وعد قومه ثلاثين ليلة فأتمّها الله بعشر حتّى صارت أربعين، وعدّ بنو إسرائيل الثلاثين فلمّا لم يرجع إليهم موسى افتتنوا، وقال قوم: إنّهم عدّوا الليلة يوماً واليوم يوماً فلمّا مضت عشرون يوماً افتتنوا[(٢)].

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾[(٣)] قال الصادق عليه السلام: لمّا

---

(١) مجمع البيان: ٤/ص ٤٧٣، البحار: ج ١٣ ص ٢٣٢.
(٢) عرائس المجالس: ص ١٨٤، والبحار: ج ١٣/ص ٢٣٢، باب ٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

أنزل الله التوراة على بني إسرائيل لم يقبلوه، فرفع الله عليهم جبل طور سيناء فقال لهم موسى: إن لم تقبلوا وقع عليكم الجبل، فقبلوه وطأطأوا رؤوسهم[١].

قال الثعلبيّ: قال قتادة: كان السامريّ عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: سامرة، ولكن عدوّ الله نافق.

وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان وقال غيرهما: كان رجلاً صائغاً من أهل باجرمى واسمه ميخا.

وقال ابن عبّاس: اسمه موسى بن ظفر، وكان منافقاً قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر.

وقال هارون لبني إسرائيل: إنّ حليّ القبط غنيمة فلا تحلّ لكم فاجمعوها واحفروا لها حفيرة وادفنوها حتّى يرجع موسى عليه السلام فيرى فيها رأيه، ففعلوا وجاء السامريّ بالقبضة الّتي أخذها من تحت حافر جبرئيل فقال لهارون: يا نبيّ الله أقذفها فيها؟ فظنّ هارون أنّه من الحلي، فقال: اقذف، فقذفها فصار عجلاً جسداً له خوار.

وقال ابن عبّاس: أوقد هارون ناراً وأمرهم بأن يقذفوها فيها فقذف السامريّ تلك القبضة فيها وقال: كن عجلاً جسداً له خوار فكان.

ويقال: إنّ الّذي قال لبني إسرائيل: إن الغنيمة لا تحلّ لكم هو السامريّ فصدقوه فدفعوها إليه، فصاغ منها عجلاً في ثلاثة أيّام، فقذف فيه القبضة فحيّ وخار خورة.

وقال السدّيّ: كان يخور ويمشي، فلمّا أخرج السامريّ العجل وكان من ذهب مرصّع بالجوهر كأحسن ما يكون فقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [٢] أي أخطأ الطريق وتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عنكم. وفي بعض الروايات: إنّه لمّا قذف القبضة فيها أشعر العجل وعدا وخار وصار له لحم ودم.

---

(١) تفسير القمي: ج ١/ص ٢٤٧، والبحار: ج ١٣/ص ٢٤٤، باب ٧/ح ٥١.
(٢) سورة طه، الآية: ٨٨.

ويروى أنّ إبليس ولج وسطه فخار ومشى، ويقال: إنّ السامريّ جعل مؤخر العجل إلى حائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه إنساناً فوضع فمه على دبره وخار وتكلّم بما تكلّم به فشبه على جهّالهم حتّى أضلّهم.

وقال: إنّ موسى قد أخطأ ربّه فأتاكم ربّكم ليريكم أنّه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه وأنّه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه وإنّه قد أظهر لكم العجل ليكلّمكم من وسطه كما كلّم موسى من الشجرة، فافتتنوا به إلاّ اثني عشر ألفاً، وكان مع هارون ستّمائة ألف، فلمّا رجع موسى وقرب منهم سمع اللّغط حول العجل وكانوا يزفنون ويرقصون حوله، ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربّه من حديث العجل، فقالوا: هذا قتال في المحلّة؟

فقال موسى عليه السلام: ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله، فلمّا رآهم وما يصنعون ألقى الألواح من يده فتكسّرت، فصعد عامّة الكلام الّذي كان فيها ولم يبق منها إلاّ سدسها، ثمَّ أُعيدت له في لوحين، عن ابن عبّاس.

وعن تميم الداريّ: قال: قلت يا رسول الله: مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر.

فقال رسول الله: تلك أنطاكيّة أما إنّ في غار من غيرانها رضاض من ألواح موسى، وما من سحابة شرقيّة ولا غربيّة تمرّ بها إلاّ ألقت عليها من بركاتها، ولن تذهب الأيام والليالي حتّى يسكنها رجل من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً قالوا: فأخذ موسى شعر رأس هارون عليه السلام بيمينه ولحيته بشماله، وكان قد اعتزلهم في الاثني عشر ألفاً الّذين لم يعبدوا العجل، وقال يا هارون: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ الآية.

فلما علم بنو إسرائيل خطأهم ندموا واستغفروا فأمرهم موسى أن يقتل البريء المجرم فتبرّأ أكثرهم، فأمر الله موسى أن يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثمّ يذريه في النيل فمن شرب ماءه ممّن عبد العجل اصفرّ وجهه واسودّت شفتاه.

وقيل: نبت على شاربه الذهب، فكان ذلك علماً لجرمه، فأخذ موسى عليه السلام العجل فذبحه، ثمّ برده بالمبارد، ثمّ حرقه وجمع رماده وأمر السامريّ حتّى بال عليه استخفافاً به ثمّ ذراه في الماء، ثمّ أمرهم بالشرب من ذلك الماء فاسودّت

شفاه الّذين عبدوه واصفرت وجوههم فأقرّوا وقالوا: لو أمرنا الله سبحانه أن نقتل أنفسنا ليقبل توبتنا لقتلناها.

فقيل لهم: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ فجلسوا في الأفنية محتبين وأصلت القوم عليهم خناجر، فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضيّ لأمر الله سبحانه، فأرسل الله عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً.

وقيل لهم: من حلّ حبوته أو مدّ طرفه إلى قاتله أو اتّقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردود توبته، فكانوا يقتلونهم إلى المساء فلمّا كثر فيهم القتل وبلغ عدّة القتلى سبعين ألفاً دعا موسى وهارون وبكيا وجزعا وتضرعا وقالا: يا ربّ هلكت بنو إسرائيل، البقيّة البقيّة، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفّوا عن القتل، فلمّا انكشفت السحابة عن القتلى اشتدّ ذلك على موسى عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن يدخل القاتل والمقتول الجنّة؟

فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي مكفراً عنه ذنبه.

ثم إنّ موسى عليه السلام همّ بقتل السامريّ فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه: لا تقتله فإنه سخيّ، فلعنه موسى وقال: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾(١) لعذابك في القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ وأمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه، فصار السامريّ وحشيّاً لا يألف ولا يؤلف، ولا يدنو من النّاس ولا يمسّ أحداً منهم، فمن مسّه قرض ذلك الموضع بالمقراض، فكان كذلك حتّى هلك.

قالوا: ثمّ إنّ الله سبحانه أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من خيار بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة قومهم العجل، فاختار موسى سبعين رجلاً فأمر عليه السلام أن يصوموا ويتطهّروا ويطهّروا ثيابهم ويتطيّبوا.

ثمّ خرج موسى عليه السلام بهم إلى طور سيناء فلمّا دنا موسى عليه السلام الجبل وقع عليه عمود الغمام حتّى تغشّى الجبل كلّه ودنا موسى عليه السلام ودخل فيه، وقال

(١) سورة طه، الآية: ٩٧.

للقوم: ادنوا، وكان عليه السلام إذا كلّم ربّه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، فضرب دونه بالحجاب ودخل القوم في الغمام فخروا سجّداً، فسمعوا الله سبحانه وهو يكلّم موسى ويأمره وينهاه، وأسمعهم الله تعالى: إنّي أنا الله لا إله إلاّأنا ذو بكّة، أخرجتكم من أرض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري.

فلمّا فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾[(١)] وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً.

وقال وهب: بل أرسل الله إليهم جنداً من السماء فلمّا سمعوا حسّهم ماتوا يوماً وليلة.

فقال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[(٢)] يا ربّ كيف أرجع إلى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم؟

فلم يزل موسى يناشد ربّه عزّ وجلّ حتّى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(٣)].

قالوا: فلمّا رجع موسى عليه السلام إلى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها للآصار والأثقال والأغلال الّتي كانت فيها، فأمر الله تعالى جبرئيل فقلع جبلاً على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل وعن ابن عبّاس أمر الله جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتّى قام على رؤوسهم مثل الظلة، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[(٤)] الآية وقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾[(٥)].

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

قال عطا عن ابن عبّاس: رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور، وبعث ناراً من قبل وجوههم، وأتاهم البحر الملح من خلفهم، وقيل لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ﴾(١) فإن قبلتموه وفعلتم ما أُمرتم به وإلا رضختكم بهذا الجبل، وغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النّار، فلمّا رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شقّ وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سنّة في اليهود لا يسجدون إلاّ على أنصاف وجوههم، فلمّا زال الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك.

وروى قتادة عن الحسن قال: مكث موسى عليه السلام بعدما تغشاه نور ربّ العالمين وانصرف إلى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد إلاّ مات حتّى اتّخذ لنفسه برنساً وعليه برقع لا يبدي وجهه لأحد مخافة أن يموت(٢).

قصة قارون

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ والعصبة ما بين العشرة إلى خمسة عشر قال: كان يحمل مفاتيح خزائنه العصبة أُولي القوّة.

فقال قارون كما حكى الله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعني ماله، وكان يعمل الكيمياء.

فقال الله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾.

قال: في الثياب المصبّغات يجرها بالأرض ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

فقال لهم الخاص من أصحاب موسى عليه السلام: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) عرائس المجالس: ص ١٨٧، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٤٤-٢٤٨، باب ٧/ ذيل ح ٥١.

لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾ قال: هي لغة سريانيّة ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وكان سبب هلاك قارون أنه لمّا أخرج موسى بني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية أنزل الله عليهم المنّ والسلوى وانفجر لهم من الحجر اثنا عشرة عيناً بطروا وقالوا: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[2] فقالوا كما حكى الله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا﴾ ثم قالوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[3] ففرض الله عليهم دخولها وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، فكانوا يقومون من أوّل اللّيل ويأخذون في قراءة التوراة والدعاء والبكاء، وكان قارون منهم، وكان يقرأ التوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه، وكان يسمّى المنون لحسن قراءته، وقد كان يعمل الكيمياء، فلمّا طال الأمر على بني إسرائيل في التيه والتوبة وكان قارون قد امتنع أن يدخل معهم في التوبة وكان موسى يحبّه فدخل إليه موسى فقال له: يا قارون قومك في التوبة وأنت قاعد ههنا ادخل معهم وإلا نزل بك العذاب، فاستهان به واستهزأ بقوله، فخرج موسى من عنده مغتمّاً فجلس في فناء قصره وعليه جبّة شعر، ونعلان من جلد حمار شراكهما من خيوط شعر، بيده العصا، فأمر قارون أن يصبّ عليه رماد قد خلط بالماء، فصب عليه، فغضب موسى غضباً شديداً، وكان في كتفه شعرات كان إذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدم.

فقال موسى: يا ربّ إن لم تغضب لي فلست لك بنبي! فأوحى الله إليه قد أمرت السماوات والأرض أن تطيعك فمرهما بما شئت، وقد كان قارون أمر أن يغلق باب القصر، فأقبل موسى فأومأ إلى الأبواب فانفرجت ودخل عليه، فلمّا نظر إليه قارون علم أنّه قد أُتي بالعذاب.

---

(١) سورة القصص: الآيات: ٧٦-٨٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

فقال: يا موسى أسألك بالرحم الّتي بيني وبينك.

فقال له موسى: يا ابن لاوي لا تردني من كلامك، يا أرض خذيه، فدخل القصر بما فيه في الارض، ودخل قارون في الأرض إلى الركبة فبكى وحلفه بالرحم.

فقال له موسى: يا ابن لاوي لا تردني من كلامك، يا أرض خذيه، فابتلعته بقصره وخزائنه، وهذا ما قال موسى لقارون يوم أهلكه الله، فعيره الله بما قاله لقارون، فعلم موسى أنّ الله قد عيره بذلك.

فقال: يا ربّ إنّ قارون دعاني بغيرك، ولو دعاني بك لأجبته.

فقال الله: يا ابن لاوي لا تردني من كلامك.

فقال موسى: يا ربّ لو علمت أنّ ذلك لك رضىً لأجبته.

فقال الله تعالى: يا موسى وعزّتي وجلالي وجودي ومجدي وعلوّ مكاني لو أنّ قارون كما دعاك دعاني لأجبته، ولكنّه لمّا دعاك وكلته إليك، يا ابن عمران لا تجزع من الموت فإنّي كتبت الموت على كلّ نفس، وقد مهّدت لك مهاداً لو قد وردت عليه لقرّت عيناك، فخرج موسى إلى جبل طور سيناء مع وصيّه، فصعد موسى الجبل فنظر إلى رجل قد أقبل ومعه مكتل ومسحاة.

فقال له موسى: ما تريد؟

قال: إنّ رجلاً من أولياء الله قد توفّي فأنا أحفر له قبراً.

فقال له موسى: أفلا أُعينك عليه؟

قال: بلى.

قال: فحفرا القبر فلمّا فرغا أراد الرجل أن ينزل إلى القبر.

فقال له موسى: ما تريد؟

قال: أدخل القبر فأنظر كيف مضجعه؟

فقال موسى: أنا أكفيك، فدخله موسى فاضطجع فيه فقبض ملك الموت روحه وانضمّ عليه الجبل(١).

---

(١) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٢٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٤٩-٢٥٢، باب ٨/ح ١.

عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر يونس قال: فدخل الحوت في بحر القلزم، ثمَّ خرج إلى بحر مصر، ثمَّ دخل إلى بحر طبرستان، ثمَّ خرج في دجلة الغوراء. قال:

ثمَّ مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بقارون، وكان قارون هلك في أيّام موسى ووكل الله به ملكاً يدخله في الأرض كلّ يوم قامة رجل، وكان يونس في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكّل به: أنظرني فإنّي أسمع كلام آدميّ.

فأوحى الله إلى الملك الموكّل به: أنظره، فأنظره، ثمَّ قال قارون: من أنت؟

قال يونس: أنا المذنب الخاطئ يونس بن متى.

قال: فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران؟

قال: هيهات هلك.

قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟

قال: هلك.

قال: فما فعلت كلثم بنت عمران الّتي كانت سمّيت لي؟

قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد؟

فقال قارون: واأسفاه على آل عمران، فشكر الله له ذلك، فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيّام الدنيا فرفع عنه الخبر[1].

أمر موسى عليه السلام قارون أن يعلّق في ردائه خيوطاً خضراً فلم يطعه واستكبر، وقال: إنّما يفعل ذلك الأرباب بعبيدهم كيما يتميزوا، وخرج على موسى في زينته على بغلة شهباء، ومعه أربعة آلاف مقاتل، وثلاث مائة وصيفة عليهنّ الحليّ، وقال لموسى: أنا خير منك.

فلمّا رأى ذلك موسى عليه السلام قال لقارون: ابرز بنا فادع عليّ وأدعو عليك،

(١) تفسير القمي: ج ١/ص ٣١٩، والبحار: ج ١٣/ص ٢٥٣، باب ٨/ح ٢.

وكان ابن عمّ لموسى عليه السلام فأمر الأرض فأخذت قارون إلى ركبتيه، فقال: أُنشدك الله والرحم يا موسى، فابتلعته الأرض وخسف به وبداره[١].

عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: كان قارون ابن عمّ موسى عليه السلام وكانت في زمان موسى امرأة بغيّ لها جمال وهيئة، فقال لها قارون: أُعطيك مائة ألف درهم وتجيئين غداً إلى موسى وهو جالس عند بني إسرائيل يتلو عليهم التوراة فتقولين: يا معشر بني إسرائيل إنّ موسى دعاني إلى نفسه فأخذت منه مائة ألف درهم.

فلمّا أصبحت جاءت المرأة البغيّ فقامت على رؤوسهم وكان قارون حضر في زينته، فقالت المرأة: يا موسى إنّ قارون أعطاني مائة ألف درهم على أن أقول بين بني إسرائيل على رؤوس الأشهاد: إنّك دعوتني إلى نفسك ومعاذ الله أن تكون دعوتني لقد أكرمك الله عن ذلك.

فقال موسى للأرض: خذيه، فأخذته وابتلعته، وإنّه ليتجلجل ما بلغ ولله الحمد[٢].

قال الثعلبيّ: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون وأفضلهم وأجملهم، ولم يكن فيهم اقرأ للتوراة منه، ولكنّه نافق كما نافق السامريّ فبغى على قومه، واختلف في معنى هذا البغي.

فقال ابن عبّاس: كان فرعون قد ملّك قارون على بني إسرائيل حين كان بمصر، وعن المسيّب بن شريك أنّه كان عاملاً على بني إسرائيل وكان يظلمهم.

وقيل: زاد عليهم في الثياب شبراً، وقيل: بغى عليهم بالكبر، وقيل: بكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم.

واختلف في مبلغ عدّة العصبة في هذا الموضع:

فقال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال قتادة: ما بين العشرة إلى أربعين.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٦٩-١٧٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٥٣-٢٥٤، باب ٨/ح ٣ و٤.
(٢) المصدر نفسه.

وقال عكرمة: منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون، وقال الضحّاك ما بين الثلاثة إلى العشرة.

وقيل: هم ستّون، وروي عن خثيمة قال: وجدت في الإنجيل أنّ مفاتيح خزائن قارون وقر ستّين بغلاً غرّاء محجّلة ما يزيد منها مفتاح على إصبع لكلّ مفتاح منها كنز.

ويقال: كان أينما يذهب تحمل معه، وكانت من حديد، فلمّا ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع، فكانت تحمل معه على أربعين بغلاً، وكان أوّل طغيانه أنّه تكبّر واستطال على النّاس بكثرة الأموال، فكان يخرج في زينته ويختال كما قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾(١).

قال مجاهد: خرج على براذين بيض عليها سروج الأُرجوان، وعليهم المعصفرات.

وقال عبد الرحمن: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات.

وقال مقاتل: على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الأُرجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابّهم الأرجوان، ومعه ثلاثة آلاف جارية بيض عليهنّ الحليّ والثياب الحمر على البغال الشهب، فتمنّى أهل الجهالة مثل الّذي أُوتيه، كما حكى الله، فوعظهم أهل العلم بالله أن اتّقوا الله فإنّ ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً.

قال: ثمّ إنّ الله أوحى إلى نبيّه موسى أن يأمر قومه أن يعلّقوا في أرديتهم خيوطاً أربعة في كلّ طرف خيطاً أخضر، لونه لون السماء. فدعا موسى بني إسرائيل وقال لهم: إن الله تعالى يأمركم أن تعلّقوا في أرديتكم خيوطاً خضراء كلون السماء لكي تذكروا ربّكم إذا رأيتموها وإنّه تعالى ينزل من السماء كلامه عليكم. فاستكبر قارون وقال: إنّما تفعل هذه الأرباب بعبيدهم لكي يتميّزوا من غيرهم.

ولمّا قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر جعل الحبورة وهي رئاسة المذبح

(١) سورة القصص، الآية: ٧٩.

وبيت القربان لهارون، فكان بنو إسرائيل يأتون بهديّتهم ويدفعونه إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك، وأتى موسى وقال:

يا موسى لك الرسالة، ولهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما لا صبر لي على هذا.

فقال موسى: والله ما أنا جعلتها في هارون بل الله تعالى جعلها له:

فقال قارون: والله لا أُصدقك في ذلك حتّى تريني بيانه.

قال: فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل وقال: هاتوا عصيّكم، فجاؤوا بها فحزمها[1].

وألقاها في قبّته الّتي كان يعبد الله تعالى فيها، وجعلوا يحرسون عصيّهم حتّى أصبحوا، فأصبحت عصا هارون عليه السلام قد اهتزّ لها ورق أخضر، وكانت من ورق شجر اللّوز، فقال موسى: يا قارون ترى هذا؟

فقال قارون: والله ما هذا بأعجب ممّا تصنع من السحر، فذهب قارون مغاضباً، واعتزل موسى بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة الّتي بينهما، وهو يؤذيه في كلّ وقت، ولا يزيد كلّ يوم إلاّ كبراً ومخالفة ومعاداة لموسى عليه السلام حتّى بنى داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدّثونه ويضاحكونه.

قال ابن عبّاس: ثمَّ إنّ الله سبحانه وتعالى أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فلمّا أوجب الله سبحانه الزكاة عليهم أبى قارون فصالحه عن كلّ ألف دينار على دينار، وعن كلّ ألف درهم على درهم، وعن كلّ ألف شاة على شاة، وعن كلّ ألف شيء شيئاً، ثمَّ رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني إسرائيل وقال لهم:

---

(١) فحزمها بالحاء المهملة والزاي المعجمة: شد بعضها ببعض وبالخاء المعجمة أيضاً أي جعل في كل منها علامة (منه رحمه الله).

يا بني إسرائيل إنّ موسى قد أمركم بكلّ شيء فاطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم.

فقالوا له: أنت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت.

فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغيّ فنجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه، فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل: ألف دينار، وقيل: طستاً من ذهب، وقيل: حكمها.

وقال لها: إنّي أُمولك واخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلمّا أن كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثمَّ أتى موسى، فقال له: إنّ بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبيّن لهم أعلام دينهم وأحكام شريعتهم، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض، فقام فيهم خطيباً ووعظهم فيما قال:

يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتّى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟

قال: وإن كنت أنا.

قال قارون: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنّك فجرت بفلانة.

قال: أنا؟!

قال: نعم.

قال: ادعوها، فإن قالت فهو كما قالت.

فلمّا أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة إنّما أنا فعلت لك ما يقول هؤلاء؟ وعظّم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلاّ صدقت، فلمّا ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها: لئن أُحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله.

فقالت: لا، كذبوا، ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فلمّا تكلّمت بهذا الكلام سقط في يده قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنّه وقع

في مهلكة، وخرّ موسى ساجداً يبكي ويقول: يا ربّ إنّ عدوّك قد آذاني وأراد فضيحتي وشيني، اللّهمَّ فإن كنت رسولك فاغضب لي وسلّطني عليه، فأوحى الله سبحانه أن ارفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك.

فقال موسى: يا بني إسرائيل إنّ الله تعالى قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلاّ رجلان.

ثمَّ قال موسى عليه السلام: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى كعابهم.

ثمَّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم.

ثمَّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى حقوهم.

ثمَّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، وقارون وأصحابه في كلّ ذلك يتضرّعون إلى موسى عليه السلام ويناشده قارون الله والرحم، حتّى روي في بعض الأخبار أنّه ناشده سبعين مرّة، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدّة غضبه.

ثمَّ قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم الأرض.

فأوحى الله سبحانه إلى موسى: يا موسى ما أفظّك! استغاثوا بك سبعين مرّة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزّتي وجلالي لو إيّاي دعوني مرّة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً.

قال قتادة: ذكر لنا أنّه يخسف به كلّ يوم قامة، وأنّه يتجلجل فيها ولا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة، فلمّا خسف الله تعالى بقارون وصاحبيه أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أنّ موسى إنّما دعا على قارون ليستبدّ بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله تعالى موسى عليه السلام حتّى خسف بداره وأمواله الأرض.

وأوحى الله تعالى إلى موسى: إني لا أُعبّد الأرض لأحد بعدك أبداً، فذلك قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾(١) (٢).

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨١.

(٢) عرائس المجالس: ص ١٨٨، والبحار: ج ١٣/ص ٢٥٤-٢٥٨، ذيل ح ٤.

قصة ذبح البقرة

عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عمّ لذلك الرجل وكان فاسقاً رديئاً فلم ينعموا له، فحسد ابن عمّه الّذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلة، ثمَّ حمله إلى موسى عليه السلام، فقال: يا نبيّ الله هذا ابن عمي فقد قتل.

فقال موسى عليه السلام: من قتله؟

قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم ذلك على موسى فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا:

ما ترى يا نبيّ الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بار، وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً، وكره ابنه أن ينبّهه وينغّص عليه نومه فانصرف القوم فلم يشتروا سلعته، فلمّا انتبه أبوه قال له: يا بني ماذا صنعت في سلعتك؟

قال: هي قائمة لم أبعها، لأنّ المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أُنبّهك وأُنغّص عليك نومك.

قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سلعتك.

وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه وأمر موسى بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلمّا اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجوا قال لهم موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ فتعجبوا وقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة.

فقال لهم موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ فعلموا أنّهم قد أخطؤوا فقالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ والفارض الّتي قد ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر الّتي لم يضربها الفحل، فقالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ أي شديدة الصفرة تسر الناظرين إليها ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي لم تذلل ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ أي لا تسقي الزرع ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أي لا نقطة فيها إلاّ الصفرة

﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلاّ بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه.

فقال لهم موسى: لا بدّ لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملء جلدها ذهباً فذبحوها، ثمَّ قالوا: يا نبيّ الله ما تأمرنا؟

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه قل لهم: اضربوه ببعضها وقولوا: من قتلك؟ فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا: من قتلك يا فلان؟

فقال: فلان ابن فلان ابن عمّي الّذي جاء به، وهو قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١) (٢).

عن البزنطيّ قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثمَّ أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل، ثمَّ جاء يطلب بدمه، فقالوا لموسى عليه السلام: إنّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً فأخبرنا من قتله.

قال: ائتوني ببقرة، قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني لا كبيرة ولا صغيرة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى بقرة لأجزأتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩)﴾ ولو أنّهم عمدوا إلى بقرة لأجزأتهم ولكن شدّدوا فشدّد الله عليهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل، فقال: لا أبيعها إلاّ بملء مسكها ذهباً، فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له ذلك.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٦٧-٧٣.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٥٩، والبحار: ج ١٣/ص ٢٥٩-٢٦٠، باب ٩/ح ١.

فقال: اشتروها، فاشتروها وجاؤوا بها، فأمر بذبحها ثمَّ أمر أن يضرب الميّت بذنبها، فلمّا فعلوا ذلك حيي المقتول، وقال: يا رسول الله إنّ ابن عمّي قتلني دون من يدّعي عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله.

فقال لرسول الله موسى عليه السلام بعض أصحابه: إنّ هذه البقرة لها نبأ فقال: وما هو؟

قال: إنّ فتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وإنّه اشترى بيعاً فجاء إلى أبيه فرأى أن الأقاليد تحت رأسه، فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره.

فقال: أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوضاً لما فاتك.

قال: فقال له رسول الله موسى عليه السلام: انظروا إلى البرّ ما بلغ بأهله(١).

لا يخفى دلالة هذا الخبر والأخبار الآتية على كون التكليف في الأوّل غير التكليف بعد السؤال، وقد اختلف علماء الفريقين في ذلك.

قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: اختلف العلماء في هذه الآيات: فمنهم من ذهب إلى أنّ التكليف فيها متغاير، ولو أنّهم ذبحوا أوّلاً أي بقرة اتّفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر، فلمّا لم يفعلوا كانت المصلحة أن شدّد عليهم التكليف، ولمّا راجعوا المرّة الثانية تغيرت مصلحتهم إلى تكليف ثالث.

ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر: فمنهم من قال في التكليف الأخير أنّه يجب أن يكون مستوفياً لكلّ صفة تقدّمت، فعلى هذا القول يكون التكليف الثاني والثالث ضمّ تكليف إلى تكليف زيادة في التشديد عليهم لما فيه من المصلحة.

ومنهم من قال: يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدّم، وعلى هذا القول يكون التكليف الثاني نسخاً للأوّل، والثالث للثاني، وقد يجوز نسخ الشيء قبل الفعل لأنّ المصلحة يجوز أن تتغيّر بعد فوات وقتها، وإنّما لا يجوز نسخ الشيء قبل وقت الفعل لأنّ ذلك يؤدّي إلى البداء.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢/ص ١٦، باب ٣٠، ح ٣١، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٦٢-٢٦٣، باب ٩/ح ٢.

وذهب آخرون إلى أنّ التكليف واحد وأن الأوصاف المتأخّرة إنّما هي للبقرة المتقدّمة، وإنّما تأخّر البيان وهو مذهب المرتضى قدّس الله روحه، واستدلّ بهذه الآية على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، قال: إنّه تعالى لمّا كلفهم ذبح بقرة قالوا لموسى عليه السلام: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ فلا يخلو قولهم: ﴿مَا هِيَۚ﴾ من أن يكون كناية عن البقرة المتقدمة ذكرها، أو عن الّتي أُمروا بها ثانياً، والظاهر من قولهم: ﴿مَا هِيَۚ﴾ يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها، لأنّه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أُخرى ليستفهموا عنها.

وإذا صح ذلك فليس يخلو قوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ﴾ من أن يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الأُولى أو غيرها، وليس يجوز أن يكون كناية عن بقرة ثانية إذ الظاهر تعلّقها بما تضمّنه سؤالهم، ولانه لو لم يكن الأمر على ذلك لم يكن جواباً لهم، وقول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا؟: إنّه بالصفة الفلانيّة، صريح في أنّ الهاء كناية عمّا وقع السؤال عنه، هذا مع قولهم: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ فإنهم لم يقولوا ذلك إلاّوقد اعتقدوا أنّ خطابهم مجملٌ غير مبيّن، ولو كان على ما ذهب إليه القوم فلمَ لم يقل لهم: وأيّ تشابه عليكم وإنّما امرتم بذبح أي بقرة كانت؟

وأمّا قوله: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فالظاهر أنّ ذمّهم مصروف إلى تقصيرهم، أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التامّ لا على ترك المبادرة في الأوّل إلى ذبح بقرة. انتهى(١).

بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحجّال، عن مقاتل بن مقاتل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة وكان يجزيهم ما ذبحوا وما تيسّر من البقر، فعنتوا وشدّدوا فشدّد عليهم(٢).

عن محمّد بن عبيدة، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ بني إسرائيل شدّدوا فشدّد الله عليهم، قال لهم موسى عليه السلام: اذبحوا بقرة.

---

(١) مجمع البيان: ج ١/ص ٢٦٠، والبحار: ج ١٣/ص ٢٦٣-٢٦٤، باب ٩/ذيل ح ٢.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٩-١٦٠، والبحار: ج ١٣/ص ٢٦٦، باب ٩/ح ٤ و٥.

قالوا: ما لونها؟ فلم يزالوا شدّدوا حتّى ذبحوا بقرةً بملء جلدها ذهباً[١].

قال الثعلبيّ: قال المفسّرون: وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل ولم يدروا قاتله، واختلفوا في قاتله وسبب قتله، فقال عطا والسدّيُّ: كان في بني إسرائيل رجلٌ كثير المال وله ابن عمّ مسكين لا وارث له غيره، فلمّا طال عليه حياته قتله ليرثه، وقال بعضهم: كان تحت عاميل بنت عمّ له، كانت مثلاً في بني إسرائيل بالحسن والجمال، فقتله ابن عمّه لينكحها، فلمّا قتله حمله من قريته إلى قرية أُخرى فألقاه هناك.

وقال عكرمة: كان لبني إسرائيل مسجد له اثنا عشر باباً، لكلّ سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط قتل وجرَّ إلى باب سبط آخر، فاختصم فيه السبطان.

وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثمَّ احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثمَّ أصبح يطلب بدمه.

وقيل: ألقاه بين قريتين فاختصم فيه أهلهما فاشتبه أمر القتيل على موسى وكان ذلك قبل نزول القسامة، فأمرهم الله بذبح البقرة فشدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، وإنّما كان تشديدهم تقديراً من الله به وحكمة.

وكان السبب فيه على ما ذكره السدّيّ وغيره أنّ رجلاً من بني إسرائيل كان باراً بأبيه، وبلغ من برّه أنّ رجلاً أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفاً، وكان فيها فضلٌ وربحٌ، فقال للبائع: إنّ أبي نائم، ومفتاح الصندوق تحت رأسه، فأمهلني حتّى يستيقظ فأُعطيك الثمن.

قال: فأيقظ أباك وأعطني المال.

قال: ما كنت لأفعل، ولكن أزيدك عشرة آلاف فأنظرني حتّى ينتبه أبي.

فقال الرجل: فأنا أحطّ عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد.

فقال: وأنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهة أبي، ففعل ولم يوقظ أباه، فلمّا استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيراً، وقال: هذه البقرة لك بما صنعت.

---

(١) المصدر السابق.

فقال رسول الله: انظروا ماذا صنع به البرّ.

وقال ابن عبّاس ووهب وغيرهما من أهل الكتب: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل، وكان له عجل، فأتى بالعجل إلى غيضة وقال: اللّهمَّ إنّي استودعتك هذه العجلة لابني حتّى يكبر، ومات الرجل فشبّت العجلة في الغيضة وصارت عواناً، وكانت تهرب من كلّ من رامها، فلمّا كبر الصبي كان باراً بوالدته، وكان يقسّم اللّيلة ثلاثة أثلاث: يصلّي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أُمّه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره، ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثمَّ يتصدّق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثاً، فقالت له أُمّه يوماً: إنّ أباك ورَّثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها، فانطلق إليها وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردّها عليك، وإنّ من علامتها أنّك إذا نظرت إليها يخيّل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمّى المذهبة لحسنها وصفوتها وصفاء لونها.

فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأقبلت تسعى حتّى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وقادها، فتكلّمت البقرة بإذن الله وقالت:

أيّها الفتى البارّ بوالدته اركبني فإنَّ ذلك أهون عليك.

فقال الفتى: إنّ امي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها.

قالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبداً فانطلق فإنّك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرّك بوالدتك، فصار الفتى بها فاستقبله عدوّ الله إبليس في صورة راع فقال: أيّها الفتى إنّي رجل من رعاة البقر، اشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتّى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأُقضي حاجتي فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه، وإنّي أخشى على نفسي الهلكة، فإن رأيت أن تحملني على بقرتك وتنجيني من الموت وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى، وقال:

اذهب فتوكل على الله، ولو علم الله تعالى منك اليقين لبلّغك بلا زاد ولا راحلة.

فقال إبليس: إن شئت فبعنيها بحكمك، وإن شئت فاحملني عليها واعطيك عشرة مثلها.

فقال الفتى: إنّ أُمّي لم تأمرني بهذا، فبين الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ونفرت البقرة هاربة في الفلاة، وغاب الراعي، فدعاها الفتى باسم إله إبراهيم فرجعت البقرة إليه، فقالت:

أيّها الفتى البارّ بوالدته ألم تر إلى الطائر الّذي طار، فإنّه إبليس عدو الله اختلسني، أما إنّه لو ركبني لمّا قدرت عليّ أبداً، فلمّا دعوت إله إبراهيم جاء ملك فانتزعني من يد إبليس وردّني إليك لبرّك بأُمّك وطاعتك لها، فجاء بها الفتى إلى أُمّه فقالت له: إنّك فقير لا مال لك، ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام باللّيل، فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها، قال لأمه: بكم أبيعها؟

قالت: بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتي، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير، فانطلق بها الفتى إلى السوق فعقبه الله سبحانه ملكاً ليري خلقه قدرته، وليختبر الفتى كيف بره بوالدته، وكان الله به خبيراً.

فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟

قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضى أمي.

فقال له الملك: ستة دنانير ولا تستأمر أمك.

فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلاّبرضى أمي، فردها إلى أُمّه وأخبرها بالثمن.

فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منّي، فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق فأتى الملك فقال: استأمرت والدتك؟

فقال الفتى: نعم إنّها أمرتني أن لا انقصها من ستة دنانير على أن أستأمرها.

قال الملك: فإنّي اعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى ورجع إلى أُمّه وأخبرها بذلك.

فقالت: إنّ ذاك الرجل الّذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليجربك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل ذلك فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: امسكي هذه البقرة فإنَّ موسى يشتريها منكم لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبيعوها إلاّبملء مسكها دنانير، فأمسكا البقرة وقدر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافاة على برّه بوالدته، فضلاً منه ورحمة، فطلبوها فوجدوها عند الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً، وقال السديّ اشتروها بوزنها عشر مرّات ذهباً.

واختلفوا في البعض المضروب به: فقال ابن عبّاس: ضربوه بالعظم الّذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال الضحّاك: بلسانها.

وقال الحسين بن الفضل هذا أولى الأقاويل، لأنّ المراد كان من إحياء القتيل كلامه واللّسان آلته.

وقال سعيد بن جبير: بعجب ذنبها.

وقال يمان بن رئاب وهو أولى التأويلات بالصواب: العصعص أساس البدن الّذي ركب عليه الخلق، وإنّه أوّل ما يخلق وآخر ما يبلى.

وقال مجاهد: بذنبها، وقال عكرمة والكلبيّ: بفخذها الأيمن، وقال السدّيّ: بالبضعة الّتي بين كتفيها، وقيل: بأُذنها. ففعلوا ذلك فقام القتيل حيّاً بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دماً، وقال: قتلني فلان، ثمّ سقط ومات مكانه[1].

أقول: وقال السيّد ابن طاوس رحمه الله في كتاب سعد السعود: وجدت في تفسير منسوب إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام وأمّا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةًۭ﴾ فذلك أنّ رجلين من بني إسرائيل وهما أخوان وكان لهما ابن عمّ أخ أبيهما وكان غنيّاً مكثراً، وكانت لهما ابنة عمّ حسناء شابّة كانت مثلاً في بني إسرائيل بحسنها وجمالها خافا أن ينكحها ابن عمها ذلك الغنيّ فعمدا فقتلاه فاحتملاه فألقياه إلى جنب قرية ليبرؤوا منه، وأصبح القتيل بين ظهرانيهم، فلمّا غمّ عليهم شأنه ومن قتله قال أصحاب القرية الّذين وجد عندهم:

يا موسى ادع الله لنا أن يطلع على قاتل هذا الرجل، ففعل موسى ثمّ ذكر ما ذكره الله جل جلاله في كتابه، وقال ما معناه: إنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم، ولو

---

(١) عرائس المجالس: ص ٢٠٥-٢٠٧، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٧٤-٢٧٧، باب ٩.

ذبحوا في الأوّل أي بقرة كانت كافية، فوجدوا البقرة لامرأة فلم تبعها لهم إلاّ بملء جلدها ذهباً، وضربوا المقتول ببعضها، فعاش فأخبرهم بقاتله فاخذا فقتلا فأُهلكا في الدنيا، وهكذا يقتلهما ربّنا في الآخرة[١].

قصة موسى عليه السلام حين لقي الخضر وسائر قصص الخضر عليه السلام وأحواله

الآيات: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ «إلى قوله تعالى»: ﴿صَبْرًا﴾.

لمّا أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف قالوا: أخبرنا عن العالم الّذي أمر الله موسى أن يتبعه وما قصّته، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾[٢].

قال: وكان سبب ذلك أنّه لمّا كلّم الله موسى تكليماً وأنزل الله عليه الألواح وفيها كما قال الله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[٣] ورجع موسى إلى بني إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم أنّ الله قد أنزل عليه التوراة وكلّمه، قال في نفسه: ما خلق الله خلقاً أعلم منّي.

فأوحى الله إلى جبرئيل: أدرك موسى فقد هلك، وأعلمه أنّ عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجلٌ أعلم منك فصر إليه وتعلّم من علمه، فنزل جبرئيل على موسى عليه السلام وأخبره فذلّ موسى في نفسه وعلم أنّه أخطأ ودخله الرعب، وقال لوصيّه يوشع: إنّ الله قد أمرني أن أتبع رجلاً عند ملتقى البحرين وأتعلّم منه، فتزوّد يوشع حوتاً مملوحاً وخرجا، فلمّا خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلاً مستلقياً على قفاه فلم يعرفاه، فأخرج وصيّ موسى الحوت وغسله بالماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت، وكان ذلك الماء ماء الحيوان فحيي الحوت ودخل في الماء، فمضى موسى عليه السلام ويوشع معه حتّى عييا، فقال لوصيّه: ﴿ءَاتِنَا

---

(١) سعد السعود: ص ١٢١ - ١٢٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٧٧، باب ٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[١] أي عناءً، فذكر وصيّه السمكة فقال لموسى: إنّي نسيت الحوت على الصخرة.

فقال موسى: ذلك الرجل الّذي رأيناه عند الصخرة هو الّذي نريده، فرجعا على آثارهما قصصاً إلى عند الرجل وهو في الصلاة، فقعد موسى حتّى فرغ من الصلاة فسلّم عليهما.

فحدّثني محمّد بن عليّ بن بلال، عن يونس، قال: اختلف يونس وهشام بن إبراهيم في العالم الّذي أتاه موسى عليه السلام أيّهما كان أعلم؟ وهل يجوز أن يكون على موسى حجّة في وقته وهو حجّة الله على خلقه؟

فقال قاسم الصيقل: فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام يسألونه عن ذلك.

فكتب في الجواب: أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر إمّا جالساً وإمّا متكئاً، فسلّم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام، فقال: من أنت؟

قال: أنا موسى بن عمران.

قال: أنت موسى بن عمران الّذي كلّمه الله تكليماً؟

قال: نعم.

قال: فما حاجتك؟

قال: جئت لتعلّمني ممّا علّمت رشداً.

قال: إنّي وكلتُ بأمر لا تطيقه، ووكلتَ بأمر لا أُطيقه، ثمّ حدّثه العالم بما يصيب آل محمّد من البلاء حتّى اشتدّ بكاؤهما، ثمّ حدّثه عن فضل آل محمّد حتّى جعل موسى يقول: يا ليتني كنت من آل محمّد، وحتّى ذكر فلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قومه، وما يلقى منهم ومن تكذيبهم إيّاه، وذكر له تأويل هذه الآية: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٢] حين أخذ الميثاق عليهم فقال موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

فقال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾.

فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ قال الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ يقول: لا تسألني عن شيء أفعله ولا تنكره عليّ حتّى أُخبرك أنا بخبره.

قال: نعم، فمرّوا ثلاثتهم حتّى انتهوا إلى ساحل البحر، وقد شحنت سفينة وهي تريد أن تعبر.

فقال أرباب السفينة: نحمل هؤلاء الثلاثة نفر فإنّهم قوم صالحون، فحملوهم فلمّا جنحت السفينة في البحر قام الخضر إلى جوانب السفينة فكسرها وحشاها بالخرق والطين.

فغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً، وقال للخضر: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾.

فقال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾.

فخرجوا من السفينة فنظر الخضر إلى غلام يلعب بين الصبيان حسن الوجه كأنّه قطعة قمر، وفي أُذنيه درّتان، فتأمّله الخضر ثمّ أخذه وقتله، فوثب موسى إلى الخضر وجلد به الأرض فقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

فقال الخضر له: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1].

قال موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ فانطلقا حتّى إذا أتيا بالعشيّ قرية تسمّى الناصرة وإليها تنسب النصارى ولم يضيّفوا أحداً قطّ ولم يطعموا غريباً، فاستطعموهم فلم يطعموهم ولم يضيّفوهم.

فنظر الخضر عليه السلام إلى حائط قد زال لينهدم، فوضع الخضر يده عليه، وقال: قم بإذن الله فقام.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٦٦-٧٦.

فقال موسى عليه السلام: لم ينبغ أن تقيم الجدار حتى يطعمونا ويؤوونا وهو قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

فقال له الخضر عليه السلام: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أمّا السفينة الّتي فعلت بها ما فعلت فإنّها كانت لقوم مساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراء السفينة ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصباً، كذا نزلت، وإذا كانت السفينة معيوبة لم يأخذ منها شيئاً. ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وطبع كافراً كذا نزلت، فنظرت إلى جبينه وعليه مكتوب: طبع كافراً ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ فأبدل الله والديه بنتاً ولدت سبعين نبيّاً.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الّذي أقمته ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(١) (٢).

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ وهو يوشع بن نون، وقوله: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ يقول: لا أزال ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ والحقب: ثمانون سنة. وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ هو المنكر، وكان موسى ينكر الظلم، فأعظم ما رأى(٣).

عن ابن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: إنّ الخضر كان نبيّاً مرسلاً بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه، فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آيته أنّه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلاّ أزهرت خضراء، وإنّما سمّي خضراً لذلك، وكان اسمه تاليا بن ملكان بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وإنّ موسى لمّا كلّمه الله تكليماً وأنزل عليه التوراة وكتب له في الألواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً لكلّ شيء وجعل آيته في يده وعصاه وفي الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم وفلق البحر وغرق

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٧٧-٨٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ١١، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٧٨-٢٨١، باب ١٠/ ح ١.

(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٤، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٨٦، باب ١٠/ ح ٣.

الله عزّ وجلّ فرعون وجنوده عملت البشريّة فيه حتّى قال في نفسه: ما أرى أنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً أعلم منّي.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل: يا جبرئيل أدرك عبدي موسى قبل أن يهلك وقل له: إنّ عند ملتقى البحرين رجلاً عابداً فاتّبعه وتعلّم منه، فهبط جبرئيل على موسى بما أمره به ربّه عزّ وجلّ.

فعلم موسى عليه السلام أنّ ذلك لما حدّثت به نفسه، فمضى هو وفتاه يوشع بن نون حتّى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر عليه السلام يتعبّد الله عزّ وجلّ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾.

قال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ لأنّي وكلت بعلم لا تطيقه، ووكلت أنت بعلم لا أُطيقه.

قال موسى: بل أستطيع معك صبراً.

فقال له الخضر: إنّ القياس لا مجال له في علم الله وأمره ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾.

قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فلمّا استثنى المشيّة قبله، قال: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

فقال موسى عليه السلام: لك ذلك عليّ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الخضر عليه السلام فقال له موسى عليه السلام: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ﴾ لك ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾.

قال موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ أي بما تركت من أمرك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر عليه السلام، فغضب موسى وأخذ بتلبيبه وقال له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

قال له الخضر: إنّ العقول لا تحكم على أمر الله تعالى ذكره، بل أمر الله يحكم عليها فسلّم لما ترى منّي واصبر عليه، فقد كنت علمت أنّك لن تستطيع معي صبراً.

قال موسى: ﴿إن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وهي الناصرة وإليها تنسب النصارى ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾.

فوضع الخضر عليه السلام يده عليه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ فقال له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قال له الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ فقال: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا﴾ فأردت بما فعلت أن تبقى لهم ولا يغصبهم الملك عليها، فنسب الإبانة في هذا الفعل إلى نفسه لعلّة ذكر التعييب، لأنّه أراد أن يعيبها عند الملك إذا شاهدها، فلا يغصب المساكين عليها، وأراد الله عزّ وجلّ صلاحهم بما أمره به من ذلك.

ثمّ قال: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وطلع كافراً، وعلم الله تعالى ذكره أنّه إن بقي كفر أبواه وافتتنا به وضلاّ بإضلاله إيّاهما، فأمرني الله تعالى ذكره بقتله وأراد بذلك نقلهم إلى محلّ كرامته في العاقبة، فاشترك بالإبانة بقوله: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ وإنّما اشترك في الإبانة لأنّه خشي والله لا يخشى لأنّه لا يفوته شيء ولا يمتنع عليه أحد أراده، وإنّما خشي الخضر من أن يحال بينه وبين ما أُمر فيه فلا يدرك ثواب الإمضاء فيه، ووقع في نفسه أنّ الله تعالى ذكره جعله سبباً لرحمة أبوي الغلام، فعمل فيه وسط الأمر من البشريّة مثل ما كان عمل في موسى عليه السلام لأنّه صار في الوقت مخبراً وكليم الله موسى عليه السلام مخبراً، ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر عليه السلام للرتبة على موسى عليه السلام وهو أفضل من الخضر، بل كان لاستحقاق موسى للتبيين.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ ولم يكن ذلك الكنز بذهب ولا فضّة، ولكن كان لوحاً من ذهب فيه مكتوب: عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟!

عجب لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟!

عجب لمن أيقن أنّ البعث حقّ كيف يظلم؟!

عجب لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئنّ إليها؟! ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ كان بينهما وبين هذا الأب الصالح سبعون أباً، فحفظهما الله بصلاحه، ثمّ قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ فتبرّأ من الإبانة في آخر القصص ونسب الإرادة كلّها إلى الله تعالى ذكره في ذلك، لأنّه لم يكن بقي شيء ممّا فعله فيخبر به بعد ويصير موسى عليه السلام به مخبراً ومصغياً إلى كلامه تابعاً له فتجرّد من الإبانة والإرادة تجرّد العبد المخلص، ثمّ صار متّصلاً ممّا أتاه من نسبة الإبانة في أوّل القصّة ومن ادّعاء الاشتراك في ثاني القصّة فقال: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

ثمّ قال جعفر بن محمد عليه السلام: إنّ أمر الله تعالى ذكره لا يحمل على المقاييس، ومن حمل أمر الله على المقاييس هلك وأهلك، إنّ أوّل معصية ظهرت الإبانة من إبليس اللّعين حين أمر الله تعالى ذكره ملائكته بالسجود لآدم، فسجدوا وأبى إبليس اللّعين أن يسجد، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(١) فكان أوّل كفره قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ ثمّ قياسه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فطرده الله عزّ وجلّ عن جواره ولعنه وسمّاه رجيماً، وأقسم بعزّته لا يقيس أحد في دينه إلاّ قرنه مع عدوّه إبليس في أسفل درك من النار.

قال الصدوق رحمه الله: إنّ موسى عليه السلام مع كمال عقله وفضله ومحلّه من الله تعالى ذكره لم يستدرك باستنباطه واستدلاله معنى أفعال الخضر عليه السلام حتّى اشتبه عليه وجه الأمر فيه، وسخط جميع ما كان يشاهده حتّى أُخبر بتأويله فرضي، ولو لم يخبر بتأويله لما أدركه ولو بقي في الفكر عمره، فإذا لم يجز لأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم القياس والاستنباط والاستخراج كان من دونهم من الأُمم أولى بأن لا يجوز لهم ذلك(٢).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٢) علل الشرائع: ج ١/ ص ٧٧، باب ٥٤/ ح ١، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٨٦-٢٨٩، باب ١٠/ ح ٤.

سمعت أبا جعفر محمّد بن عبد الله بن طيفور الدامغانيّ الواعظ بفرغانة يقول في خرق الخضر عليه السلام السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدران: تلك إشارات من الله تعالى لموسى عليه السلام وتعريضات إلى ما يريده من تذكيره لمنن سابقة لله عزّ وجلّ نبّهه عليها وعلى مقدارها من الفضل، ذكّره بخرق السفينة أنّه حفظه في الماء حين ألقته أُمّه في التابوت وألقت التابوت في اليمّ وهو طفل ضعيف لا قوّة له، فأراد بذلك أنّ الّذي حفظك في التابوت الملقى في اليمّ هو الّذي يحفظهم في السفينة.

وأمّا قتل الغلام فإنّه كان قد قتل رجلاً في الله عزّ وجلّ، وكانت تلك زلّة عظيمة عند من لم يعلم أنّ موسى عليه السلام نبيٌّ، فذكّره بذلك منّة عليه حين دفع عنه كيد من أراد قتله به.

وأمّا إقامة الجدار من غير أجر فإنّ الله عزّ وجلّ ذكره بذلك فضله فيما أتاه في ابنتي شعيب حين سقى لهما وهو جائع ولم يبتغ على ذلك أجراً مع حاجته إلى الطعام، فنبّهه الله عزّ وجلّ على ذلك ليكون شاكراً مسروراً.

وأمّا قول الخضر لموسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فإنّ ذلك كان جهة موسى عليه السلام حيث قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ فموسى عليه السلام هو الّذي حكم بالمفارقة لمّا قال له: ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ وإنّ موسى عليه السلام اختار سبعين رجلاً من قومه لميقات ربّه فلم يصبروا بعد سماع كلام الله عزّ وجلّ حتّى تجاوزوا الحدّ بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا، ولو اختارهم الله عزّ وجلّ لعصمهم، ولما اختار من يعلم منه تجاوز الحدّ، فإذا لم يصلح موسى عليه السلام للاختيار مع فضله ومحلّه فكيف تصلح الأُمّة لاختيار الإمام بآرائها؟ وكيف يصلحون لاستنباط الأحكام واستخراجها بعقولهم الناقصة وآرائهم المتفاوتة وهممهم المتباينة وإراداتهم المختلفة؟! تعالى الله عن الرضى باختيارهم علوّاً كبيراً، وأفعال أمير المؤمنين عليه السلام مثلها مثل أفاعيل الخضر وهي حكمة وصواب وإن جهل الناس وجه الحكمة والصواب فيها[1].

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ٨١، باب ٥٤/ ح ٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٢٩١-٢٩٢، باب ١٠/ ح ٥.

عن أبان بن عبد الملك، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنّ موسى بن عمران عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له: أوصني.

فكان ممّا أوصاه أن قال له: إيّاك واللّجاجة، أو أن تمشي في غير حاجة، أو أن تضحك من غير عجب، واذكر خطيئتك، وإيّاك وخطايا الناس[(١)].

عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: لا تعيّرنّ أحداً بذنب، وإنَّ أحبَّ الأُمور إلى الله عزّوجلّ ثلاثة:

١ - القصد في الجدة.

٢ - والعفو في المقدرة والرفق بعباد الله. وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلاّ رفق الله عزّوجلّ به يوم القيامة.

٣ - ورأس الحكم مخافة الله تبارك وتعالى[(٢)].

عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: كان في الكنز الّذي قال الله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لوح من ذهب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، محمّد رسول الله، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟!

وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟!

وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يركن إليها؟! وينبغي لمن غفل عن الله ألاّ يتّهم الله تبارك وتعالى في قضائه ولا يستبطئه في رزقه[(٣)].

عن العلاء، عن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: والله ما كان من ذهب ولا فضّة، وما كان إلاّ لوحاً فيه كلمات أربع:

١ - إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا، ومحمّد رسولي.

٢ - عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح قلبه؟!

(١) أمالي الصدوق: ص ٢٦٥/ مجلس ٥٢/ح ١١، والبحار: ج ١٣/ص ٢٩٤، باب ١٠/ح ٧.

(٢) الخصال: ص ١١١/باب الثلاثة، ح ٨٣، والبحار: ج ١٣/ص ٢٩٤، باب ١٠/ح ٨.

(٣) قرب الإسناد: ص ١٦٥، والبحار: ج ١٣/ص ٢٩٤-٢٩٥، باب ١٠/ح ٩.

٣ - وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف تضحك سنة؟!

٤ - وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يستبطئ الله في رزقه؟! وعجبت لمن يرى النشأة الأُولى كيف ينكر النشأة الآخرة؟(١)!

بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام أنّه قال: وجد لوح تحت حائط مدينة من المدائن فيه مكتوب: أنا الله لا إله إلاّ أنا، ومحمّد نبيّي، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟!

وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن؟!

وعجبت لمن اختبر الدنيا كيف يطمئنّ إليها؟!

وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يذنب؟(٢)!

عن الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ رفعه إلى عمرو بن جميع رفعه إلى عليّ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: كان ذلك الكنز لوحاً من ذهب فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عجبت لمن يعلم أنّ الموت حقّ كيف يفرح؟!

عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟!

عجبت لمن يذكر النّار كيف يضحك؟!

عجبت لمن يرى الدنيا وتصرّف أهلها حالاً بعد حال كيف يطمئنّ إليها؟(٣)!

عن ابن فضّال، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الخضر شرب من ماء الحياة فهو حيّ لا يموت حتّى ينفخ في الصور، وإنّه ليأتينا فيسلم علينا فنسمع صوته ولا نرى شخصه، وإنّه ليحضر حيث ذكر، فمن ذكره منكم فليسلّم عليه، وإنّه ليحضر المواسم فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمّن على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته(٤).

---

(١) الخصال: ص ٢٣٦، باب الأربعة/ح ٧٩، والبحار: ج ١٣/ص ٢٩٥، باب ١٠/ح ١٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢/ص ٤٨، باب ٣١/ح ١٥٨، والبحار: ج ١٣/ص ٢٩٥، باب ١٠/ح ١١.

(٣) معاني الأخبار: ص ٢٠٠، والبحار: ج ١٣/ص ٢٩٥-٢٩٦، باب ١٠/ح ١٢.

(٤) كمال الدين: ص ٣٥٨، والبحار: ج ١٣/ص ٢٩٩، باب ١٠/ح ١٧.

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً لم يكن له قرن من ذهب ولا فضّة، بعثه الله في قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم ثمّ عاد إليهم فدعاهم فضربوه على قرنه الأيسر وفيكم مثله - قالها ثلاث مرّات - وكان قد وصف له عين الحياة وقيل له: من شرب منها شربة لم يمت حتّى يسمع الصيحة، وإنّه خرج في طلبها حتّى أتى موضعاً كان فيه ثلاث مائة وستّون عيناً، وكان الخضر عليه السلام على مقدّمته، وكان من آثر أصحابه عنده، فدعاه وأعطاه وأعطى قوماً من أصحابه كلّ واحد منهم حوتاً مملوحاً، ثمّ قال:

انطلقوا إلى هذه المواضع فليغسل كلّ رجل منكم حوته، وإنّ الخضر انتهى إلى عين من تلك العيون فلمّا غمس الحوت ووجد ريح الماء حيّ وانساب في الماء، فلمّا رأى ذلك الخضر رمى بثيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس في الماء ويشرب رجاء أن يصيبها، فلمّا رأى ذلك رجع ورجع أصحابه، فأمر ذو القرنين بقبض السمك فقال: انظروا فقد تخلّفت سمكة واحدةٌ.

فقالوا: الخضر صاحبها، فدعاه فقال: ما فعلت بسمكتك؟ فأخبره الخبر، فقال: ماذا صنعت؟

قال: سقطت فيها أغوص وأطلبها فلم أجدها.

قال: فشربت من الماء؟

قال: نعم.

قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها.

فقال للخضر: أنت صاحبها وأنت الّذي خلقت لهذه العين، وكان اسم ذي القرنين عيّاشاً، وكان أوّل الملوك بعد نوح، ملك ما بين المشرق والمغرب(١).

عن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا لقي موسى العالم وكلّمه وساءله نظر إلى خطّاف تصفر وترتفع في الماء وتستفل في البحر، فقال العالم لموسى: أتدري ما تقول هذه الخطّاف؟

قال: وما تقول؟

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٢١، والبحار: ج ١٣/ص ٣٠٠، باب ١٠/ح ١٩.

قال: تقول: وربّ السماوات والأرض وربّ البحر ما علمكما من علم الله إلاّ قدر ما أخذت بمنقاري من هذا البحر وأكثر، ولمّا فارقه موسى قال له موسى: أوصني.

فقال الخضر: الزم ما لا يضرّك معه شيء كما لا ينفعك مع غيره شيء، وإيّاك واللّجاجة والمشي إلى غير حاجة والضحك في غير تعجّب، يا ابن عمران لا تعيّرنّ أحداً بخطيئته، وابك على خطيئتك(١).

كان اسم الخضر خضرويه بن قابيل بن آدم، ويقال: خضرون أيضاً؛ ويقال: خلعبا، وإنّه إنّما سمّي الخضر لأنّه جلس على أرض بيضاء فاهتزّت خضراء فسمّي الخضر لذلك، وهو أطول الآدميّين عمراً، والصحيح أنّ اسمه إلياس بن ملكان بن عامر بن أرفخشد ابن سام بن نوح(٢).

عن عبد الله بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مسجد السهلة مناخ الراكب، قيل: ومن الراكب؟

قال: الخضر عليه السلام (٣).

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان وصيُّ موسى بن عمران يوشع ابن نون، وهو فتاه الّذي ذكره الله في كتابه(٤).

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان موسى أعلم من الخضر(٥).

عن عبد الرحمن بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ موسى صعد المنبر وكان منبره ثلاث مراق، فحدّث نفسه أنّ الله لم يخلق خلقاً أعلم منه، فأتاه

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٧، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠١-٣٠٢، باب ١٠/ح ٢٢.
(٢) كمال الدين: ص ٣٦٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠٣، باب ١٠/ ح ٢٤.
(٣) الكافي: ج ٣/ ص ٣٥٨، باب ٢٧٤/ح ١، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠٣، باب ١٠/ ح ٢٥.
(٤) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٥٦/ح ٤٢ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠٣، باب ١٠/ح ٢٧.
(٥) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٥٦/ح ٤٣ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠٣، باب ١٠/ح ٢٨.

جبرئيل فقال له: إنّك قد ابتليت فانزلْ فإنّ في الأرض من هو أعلم منك فاطلبه، فأرسل إلى يوشع إنّي قد ابتليت فاصنع لنا زاداً وانطلق بنا، فاشترى حوتاً فخرج بآذربيجان ثمّ شواه ثمّ حمله في مكتل، ثمّ انطلقا يمشيان في ساحل البحر - والنبيّ إذا مرّ في مكان لم يعي أبداً حتّى يجوز ذلك الوقت قال: فبينما هما يمشيان حتّى انتهيا إلى شيخ مستلقٍ معه عصاه موضوعة إلى جانبه، وعليه كساء إذا قنّع رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطّى رجليه خرج رأسه.

قال: فقام موسى يصلّي، وقال ليوشع: احفظ عليّ.

قال: فقطرت قطرة من السماء في المكتل فاضطرب الحوت ثمّ جعل يجرّ المكتل إلى البحر قال: وهو قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾.

قال: ثمّ إنّه جاء طير فوقع على ساحل البحر ثمّ أدخل منقاره فقال: يا موسى ما أخذت من علم ربّك ما حمل ظهر منقاري من جميع البحر.

قال: ثمّ قام فمشى فتبعه يوشع، فقال موسى لمّا أعيا حيث جاز الوقت فيه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ إلى قوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

قال: فرجع موسى يقتصّ أثره حتّى انتهى إليه وهو على حاله مستلق، فقال له موسى: السلام عليك.

فقال: وعليك السلام يا عالم بني إسرائيل.

قال: ثمّ وثب فأخذ عصاه بيده.

قال: فقال له موسى: إنّي قد أُمرت أن أتّبعك على أن تعلّمني ممّا علّمت رشداً، فقال كما قصّ عليكم: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾.

قال: فانطلقا حتّى انتهيا إلى معبر فلمّا نظر إليهم أهل المعبر فقالوا: والله لا نأخذ من هؤلاء أجراً، اليوم نحملهم، فلمّا ذهبت السفينة وسط الماء خرقها، قال له موسى كما أُخبرتم ثمّ قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾.

قال: وخرجا على ساحل البحر فإذا غلام يلعب مع غلمان عليه قميص حرير أخضر، في أُذنيه درّتان، فتورّكه العالم فذبحه، قال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

قال: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ خبزاً نأكله فقد جعنا، قال: وهي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة، وبها تسمّى النصارى نصارى، فلم يضيّفوهما ولا يضيّفون بعدهما أحداً حتّى تقوم الساعة. وكان مثل السفينة فيكم وفينا ترك الحسين البيعة لمعاوية، وكان مثل الغلام فيكم قول الحسن بن عليّ عليه السلام لعبدالله بن عليّ: لعنك الله من كافر.

فقال له: قد قتلته يا أبا محمّد، وكان مثل الجدار فيكم عليّ والحسن والحسين عليهم السلام [1].

عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: بينما موسى قاعد في ملأ من بني إسرائيل إذ قال له رجل: ما أرى أحداً أعلم بالله منك.

قال موسى: ما أرى.

فأوحى الله إليه: بلى عبدي الخضر، فسأل السبيل إليه، وكان له آية الحوت إن افتقده، فكان من شأنه ما قصّ الله[2].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سليمان أعلم من آصف، وكان موسى أعلم من الّذي اتّبعه[2].

عن ليث بن سليم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: شكا موسى إلى ربّه الجوع في ثلاثة مواضع:

١ - ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

٢ - ﴿لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾.

٣ - ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٍ فَقِيرٌ﴾[3].

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٥٨/ح ٤٧ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠٦-٣٠٧، باب ١٠/ح ٣٣.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٦٠-٣٦١/ح ٤٨-٤٩، باب ١٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠٩، باب ١٠/ح ٣٤ و٣٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٦٠-٣٦١/ح ٥٠ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٠٩، باب ١٠/ ح ٣٦.

عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: بينما العالم يمشي مع موسى إذا بغلام يلعب قال: فوكزه العالم فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾(١) قال: فأدخل العالم يده فاقتلع كتفه فإذا عليه مكتوب: كافر مطبوع(٢).

عن الحسن بن سعيد اللّحميّ قال: ولدت لرجل من أصحابنا جارية فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخّطاً لها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أرأيت لو أنّ الله أوحى إليك: إنّي أختار لك أو تختار لنفسك؟ ما كنت تقول؟

قال: كنت أقول: يا ربّ تختار لي.

قال: فإنّ الله قد اختار لك. ثمّ قال: إنّ الغلام الّذي قتله العالم حين كان مع موسى في قول الله: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قال: فأبدلهما جارية ولدت سبعين نبيّاً(٣).

عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾.

فقال: أما إنّه ما كان ذهباً ولا فضّة وإنّما كان أربع كلمات:

١ - إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا.

٢ - من أيقن بالموت لم يضحك سنّه.

٣ - ومن أقرّ بالحساب لم يفرح قلبه.

٤ - ومن آمن بالقدر لم يخش إلاّ ربّه(٤).

روي أنّ الخضر وإلياس يجتمعان في كلّ موسم فيفترقان عن هذا الدعاء وهو:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٤.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣٦١/ح ٥٣ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٣/ص ٣١٠، باب ١٠/ح ٢٩.

(٣) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣٦٢/ح ٦١ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٣/ص ٣١١، باب ١٠/ح ٤٦.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢/ص ٣٦٥/ح ٦٦ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٣/ص ٣١٢، باب ١٠/ح ٥١.

بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله، ما شاء الله كلّ نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كلّه بيد الله عزّوجلّ، ما شاء الله لا يصرف السوء إلاّ الله(١).

عن يونس، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الخضر لموسى عليه السلام: يا موسى إنّ أصلح يوميك الّذي هو أمامك، فانظر أيّ يوم هو، وأعدّ له الجواب فإنّك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر فإنّ الدهر طويل قصير، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك ليكون أطمع لك في الأجر، فإنّ ما هو آت من الدنيا كما قد ولّى منها(٢).

وروى الديلميّ في كتاب أعلام الدين عن أبي أمامة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذات يوم لأصحابه: ألا أُحدّثكم عن الخضر؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: بينا هو يمشي في سوق من أسواق بني إسرائيل إذ بصر به مسكين فقال: تصدّق عليّ بارك الله فيك، قال الخضر: آمنت بالله، ما يقضي الله يكون، ما عندي من شيء أُعطيكه.

قال المسكين: بوجه الله لما تصدّقت عليّ إنّي رأيت الخير في وجهك ورجوت الخير عندك.

قال الخضر: آمنت بالله إنّك سألتني بأمر عظيم ما عندي من شيء أُعطيكه إلاّ أن تأخذني فتبيعني.

قال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: الحقّ أقول لك إنّك سألتني بأمر عظيم، سألتني بوجه ربي عزّوجلّ: أما إنّي لا أُخيّبك في مسألتي بوجه ربّي فبعني، فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم، فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء.

فقال الخضر عليه السلام: إنّما ابتعتني التماس خدمتي فمرني بعمل.

---

(١) مهج الدعوات: ص ٣٧١، والبحار: ج ١٣/ ص ٣١٩، باب ١٠/ح ٥٣.

(٢) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٥٦٠، باب محاسبة العمل/ح ٢٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٣١٩-٣٢٠، باب ١٠/ح ٥٤.

قال: إنّي أكره أن أشقّ عليك إنّك شيخ كبير.

قال: لست تشق عليّ.

قال: فقم فانقل هذه الحجارة.

قال: وكان لا ينقلها دون ستّة نفر في يوم - فقام فنقل الحجارة في ساعته فقال له: أحسنت وأجملت وأطقت ما لم يطقه أحد.

قال: ثمّ عرض للرجل سفر فقال: إنّي أحسبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة، وإنّي أكره أن أشقّ عليك، قال: لست تشقّ عليّ.

قال: فاضرب من اللّبن شيئاً حتّى أرجع إليك، قال: فخرج الرجل لسفره ورجع وقد شيّد بناءه.

فقال له الرجل: أسألك بوجه الله ما حسبك وما أمرك؟

قال: إنّك سألتني بأمر عظيم بوجه الله عزّ وجلّ، ووجه الله عزّ وجلّ أوقعني في العبوديّة وسأُخبرك من أنا، أنا الخضر الّذي سمعت به، سألني مسكين صدقة ولم يكن عندي شيء أُعطيه، فسألني بوجه الله عزّ وجلّ فأمكنته من رقبتي، فباعني فأُخبرك أنّه من سئل بوجه الله عزّ وجلّ فرد سائله وهو قادر على ذلك وقف يوم القيامة ليس لوجهه جلد ولا لحم ولا دم إلاّ عظم يتقعقع، قال الرجل: شققت عليك ولم أعرفك قال: لا بأس أبقيت وأحسنت.

قال: بأبي أنت وأُمّي احكم في أهلي ومالي بما أراك الله عزّ وجلّ، أم أُخيّرك فأُخلّي سبيلك؟

قال: أحبّ إليّ أن تخلّي سبيلي فأعبد الله على سبيله.

فقال الخضر عليه السلام: الحمد لله الّذي أوقعني في العبوديّة فأنجاني منها[1].



(١) أعلام الدين: ص ٣٥٠، والبحار. ج ١٣/ ص ٣٢١-٣٢٢، باب ١٠/ح ٥٥.

ما ناجى به موسى عليه السلام ربه وما اوحى إليه من الحكم والمواعظ وما جرى بينه وبين إبليس لعنه الله، وفيه بعض النوادر

عن عبد العظيم الحسنيّ، عن أبي الحسن العسكريّ عليه السلام قال: لمّا كلّم الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام قال موسى: إلهي ما جزاء من شهد أنّي رسولك ونبيّك وأنك كلّمتني؟

قال: يا موسى تأتيه ملائكتي فتبشّره بجنّتي.

قال موسى: إلهي فما جزاء من قام بين يديك يصلّي؟

قال: يا موسى أُباهي به ملائكتي راكعاً وساجداً وقائماً وقاعداً، ومن باهيت به ملائكتي لم أُعذّبه.

قال موسى: إلهي فما جزاء من أطعم مسكيناً ابتغاء وجهك؟

قال: يا موسى آمر منادياً ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق أنّ فلان بن فلان من عتقاء الله من النار.

قال موسى: إلهي فما جزاء من وصل رحمه؟

قال: يا موسى أُنسئ له أجله وأُهوّن عليه سكرات الموت ويناديه خزنة الجنّة: هلمّ إلينا فادخل من أيّ أبوابها شئت.

قال موسى: إلهي فما جزاء من كفّ أذاه عن النّاس وبذل معروفه لهم؟

قال: يا موسى: يناديه النّار يوم القيامة: لا سبيل لي عليك. قال: إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟

قال: يا موسى أُظلّه يوم القيامة بظلّ عرشي وأجعله في كنفي.

قال: إلهي فما جزاء من تلا حكمتك سرّاً وجهراً؟

قال: يا موسى يمرّ على الصّراط كالبرق.

قال: إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشتمهم فيك؟

قال: أُعينه على أهوال يوم القيامة.

قال: إلهي فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك؟

قال: يا موسى أقي وجهه من حرّ النار، وأؤمنه يوم الفزع الأكبر.

قال: إلهي فما جزاء من ترك الخيانة حياءً منك؟

قال: يا موسى له الأمان يوم القيامة.

قال: إلهي فما جزاء من أحبّ أهل طاعتك؟

قال: يا موسى أُحرّمه على ناري.

قال: إلهي فما جزاء من قتل مؤمناً متعمّداً؟

قال: لا أنظر إليه يوم القيامة، ولا أُقيل عثرته.

قال: إلهي فما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟

قال: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يريد.

قال: إلهي فما جزاء من صلّى الصلوات لوقتها؟

قال: أُعطيه سؤله وأُبيحه جنّتي.

قال: إلهي فما جزاء من أتمّ الوضوء من خشيتك؟

قال: أبعثه يوم القيامة وله نور بين عينيه يتلألأ.

قال: إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان لك محتسباً؟

قال: يا موسى أُقيمه يوم القيامة مقاماً لا يخاف فيه.

قال: إلهي فما جزاء من صام شهر رمضان يريد به الناس؟

قال: يا موسى ثوابه كثواب من لم يصمه(١).

عن حبيب السجستانيّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ في التوراة مكتوباً: يا موسى إنّي خلقتك واصطنعتك وقوّيتك وأمرتك بطاعتي ونهيتك عن معصيتي، فإن أطعتني أعنتك على طاعتي، وإن عصيتني لم أُعنك على معصيتي، يا موسى ولي المنّة عليك في طاعتك لي، ولي الحجّة عليك في معصيتك لي(٢).

(١) الأمالي للصدوق: ص ١٧٣، مجلس ٣٧/ح ٨، والبحار: ج ١٣/ص ٣٢٧-٣٢٨، باب ١١/ح ٤.
(٢) الأمالي للصدوق: ص ٢٥٤/ مجلس ٥١/ح ٣، والبحار: ج ١٣/ص ٣٢٨، باب ١١/ح ٥.

عن حبيب السجستانيّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: في التوراة مكتوب فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى خفني في سرّ أمرك أحفظك من وراء عورتك. واذكرني في خلواتك وعند سرور لذّاتك أذكرك عند غفلاتك، واملك غضبك عمّن ملّكتك عليه أكفّ عنك غضبي، واكتم مكنون سرّي في سريرتك، وأظهر في علانيتك المداراة عنّي لعدوّي وعدوك من خلقي، ولا تستسبّ لي عندهم بإظهارك مكنون سرّي فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي[١].

عن المفضّل قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا ابن عمران كذب من زعم أنّه يحبّني فإذا جنّه اللّيل نام عنّي، أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطّلع على أحبّائي إذا جنّهم اللّيل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثّلت عقوبتي بين أعينهم، يخاطبوني عن المشاهدة، ويكلّموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم اللّيل، وادعني فإنّك تجدني قريباً مجيباً[٢].

عن مقاتل بن سليمان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربّه عزّ وجلّ قال: يا ربّ أرني خزائنك.

قال: يا موسى إنّما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن فيكون[٣].

عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: يا ربّ أوصني.

قال: أُوصيك بي.

فقال: يا ربّ أوصني.

قال: أُوصيك بي - ثلاثاً -.

---

(١) الأمالي للصدوق: ص ٢١٠/ مجلس ٤٤/ح ٦، والبحار: ج ١٣/ص ٣٢٨-٣٢٩، باب ١١/ح ٦.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٦٤، والبحار: ج ١٣/ص ٣٢٩-٣٣٠، باب ١١/ح ٧.
(٣) الأمالي للصدوق: ص ٢٩٢/مجلس ٥٧/ح ١، والبحار: ج ١٣/ص ٣٣٠، باب ١١/ح ٨.

فقال: يا ربّ أوصني.

قال: أُوصيك بأمّك.

قال: يا ربّ أوصني.

قال: أُوصيك بأمّك.

قال: أوصني.

قال: أُوصيك بأبيك.

قال: فكان يقال لأجل ذلك: إنّ للأُمّ ثلثا البرّ، وللأب الثلث[١].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى كن خلق الثوب، نقيّ القلب، حلس البيت، مصباح اللّيل، تعرف في أهل السماء، وتخفى على أهل الأرض يا موسى إيّاك واللّجاجة، ولا تكن من المشّائين في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، وابك على خطيئتك يا ابن عمران[١].

مناجاة الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران عليه السلام: يا موسى لا تطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك، وقاسي القلب منّي بعيد، أمت قلبك بالخشية، وكن خلق الثياب، جديد القلب، تخفى على أهل الأرض وتعرف بين أهل السّماء، وصح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوّه، واستعن بي على ذلك فإنّي نعم المستعان.

يا موسى إنّي أنا الله فوق العباد والعباد دوني وكلّ لي داخرون، فاتّهم نفسك على نفسك، ولا تأمن ولدك على دينك إلاّ أن يكون ولدك مثلك يحبّ الصالحين.

يا موسى اغسل واغتسل واقترب من عبادي الصالحين.

يا موسى كن إمامهم في صلاتهم وفيما يتشاجرون، واحكم بينهم بالحقّ بما أنزلت عليك، فقد أنزلته حكماً بيّناً، وبرهاناً نيّراً، ونوراً ينطق بما في الأوّلين وبما هو كائن في الآخرين.

---

(١) الأمالي للصدوق: ص ٤١٣/ مجلس ٥٦/ح ٥ و٦، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٣٠-٣٣١، باب ١١/ح ٩ و١٠.

يا موسى أُوصيك وصيّة الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيّب الطاهر المطهّر، فمثله في كتابك أنّه مؤمن مهيمن على الكتب، وأنّه راكع ساجد راغب راهب إخوانه المساكين، وأنصاره قوم آخرون[١]، وسيكون في زمانه أزل وزلازل وقتل، اسمه أحمد ومحمّد الأمين من الباقين الأوّلين، يؤمن بالكتب كلّها، ويصدّق جميع المرسلين[٢] أُمّته مرحومة مباركة، لهم ساعات موقتات يؤذنون فيها بالصلوات، فبه صدّق فإنّه أخوك.

يا موسى إنّه أميني وهو عبد مصدق مبارك له فيما وضع يده عليه، ويبارك عليه، كذلك كان في علمي، وكذلك خلقته، به أفتح الساعة، وبأُمّته أختم مفاتيح الدنيا[٣]، فمر ظلمة بني إسرائيل أن لا يدرسوا اسمه ولا يخذلوه وإنّهم لفاعلون، وحبّه لي حسنة، وأنا معه وأنا من حزبه وهو من حزبي وحزبي هم الغالبون.

يا موسى أنت عبدي وأنا إلهك، لا تستذلَّ الحقير الفقير، ولا تغبط الغنيّ بشيء يسير، وكن عند ذكري خاشعاً، وعند تلاوة رحمتي طامعاً، فأسمعني لذاذة التوراة بصوت خاشع حزين، اطمئنَّ عند ذكري، واعبدني ولا تشرك بي، إنّي أنا السيّد الكبير، إنّي خلقتك من نطفة من ماء مهين من طينة أخرجتها من أرض ذليلة ممسوحة فكانت بشراً فأنا صانعها خلقاً، فتبارك وجهي، وتقدّس صنعي، ليس كمثلي شيء، وأنا الحيُّ الدائم لا أزول.

يا موسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً، وناجني حين تناجيني بخشية من قلب وجل، وأحي بتوراتي أيّام الحياة، وأعلم الجاهلين محامدي، وذكّرهم آلائي ونعمي، وقل لهم: لا يتمادون في غيّ ما هم فيه، فإنّ أخذي أليمٌ شديدٌ.

يا موسى إن انقطع حبلك منّي لم يتّصل بحبل غيري، فاعبدني وقم بين يديَّ

---

(١) إذ لم يكن أنصاره ﷺ من قريش ومن قومه فتأمل (منه رحمه الله).

(٢) أي بقي يحميهم أو يظهر صدقهم، لأنه يظهر صدق نفسه بالمعجزة، ويخبر بصدقهم فيظهر صدقهم أيضاً، فتأمل (منه رحمه الله).

(٣) أي بأمته ينقطع القتال والفتح، أو فتح الأمور، وعلى تقديرين كناية عن اتصال أمته بالقيامة، والله أعلم (منه رحمه الله).

مقام العبد الحقير، ذمّ نفسك وهي أولى بالذمّ، ولا تتطاول على بني إسرائيل بكتابي، فكفى بهذا واعظاً لقلبك ومنيراً، وهو كلام ربّ العالمين جلّ وتعالى[١].

يا موسى ما دعوتني وجدتني، فإنّي سأغفر لك على ما كان منك، السماء تسبّح لي وجلاً، والملائكة من مخافتي مشفقون، وأرضي تسبّح لي طمعاً، وكلّ الخلق يسبّحون لي داخرين، ثمّ عليك بالصلاة فإنّها منّي بمكان، ولها عندي عهد وثيق، وألحق بها ما منها زكاة القربان من طيّب المال والطعام فإنّي لا أقبل إلاّ الطيّب يراد به وجهي، اقرن مع ذلك صلة الأرحام، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم، والرحم إنّي خلقتها فضلاً من رحمتي ليتعاطف بها العباد ولها عندي سلطان في معاد الآخرة، وأنا قاطع من قطعها، وواصل من وصلها، وكذلك أفعل بمن ضيّع أمري.

يا موسى أكرم السائل إذا أتاك بردّ جميل أو إعطاء يسير، فإنّه يأتيك من ليس بإنس ولا جانّ، ملائكة الرحمن يبلونك كيف أنت صانع فيما أوليتك، وكيف مواساتك فيما خوّلتك، فاخشع لي بالتضرّع، واهتف بولولة الكتاب، واعلم أنّي أدعوك دعاء السيّد مملوكه ليبلغ به شرف المنازل، وذلك من فضلي عليك وعلى آبائك الأوّلين.

يا موسى لا تنسني على كلّ حال، ولا تفرح بكثرة المال فإنّ نسياني يقسي القلوب ومع كثرة المال كثرة الذنوب، الأرض مطيعة، والسماء مطيعة، والبحار مطيعة، فمن عصاني شقي، فأنا الرحمن رحمن كلّ زمان، آتي بالشدّة بعد الرخاء، وبالرخاء بعد الشدّة، وبالملوك بعد الملوك، وملكي قائم دائم لا يزول، ولا يخفى عليّ شيء في الأرض ولا في السّماء، وكيف يخفى عليّ ما منّي مبتدؤه؟! وكيف لا يكون همّك فيما عندي وإليّ ترجع لا محالة؟!

يا موسى اجعلني حرزك، وضع عندي كنزك من الصالحات، وخفني ولا تخف غيري إليّ المصير.

(١) يمكن أن يكون إشارة إلى ما قاله الحكماء في أن العلم بالعلة مستلزم للعلم بالمعلول ولكنه بعيد (منه رحمه الله).

يا موسى عجّل التوبة، وأخر الذنب، وتأنّ في المكث بين يديّ في الصلاة، ولا ترج غيري، اتّخذني جنّة للشدائد، وحصناً لملمّات الأمور.

يا موسى نافس في الخير أهله، فإنّ الخير كاسمه[١]، ودع الشرّ لكلّ مفتون.

يا موسى اجعل لسانك من وراء قلبك تسلم، وأكثر ذكري باللّيل والنهار تغنم، ولا تتّبع الخطايا فتندم، فإنّ الخطايا موعدها النار.

يا موسى أطب الكلام لأهل الترك للذنوب، وكن لهم جليساً، واتّخذهم لغيبك إخواناً، وجد معهم يجدون معك.

يا موسى ما أُريد به وجهي فكثير قليله، وما أُريد به غيري فقليل كثيره، وإنّ أصلح أيّامك الّذي هو أمامك، فانظر أيّ يوم هو فأعدّ له الجواب فإنّك موقوف ومسؤول، وخذ موعظتك من الدهر وأهله فإنّ الدهر طويله قصير، وقصيره طويل، وكلّ شيء فان، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك لكي يكون أطمع لك في الآخرة لا محالة، فإنّ ما بقي من الدنيا كما ولّى منها، وكلّ عامل يعمل على بصيرة ومثال، فكن مرتاداً لنفسك.

يا ابن عمران لعلّك تفوز غداً يوم السؤال، وهنالك يخسر المبطلون.

يا موسى طب نفساً عن الدنيا وانطو عنها، فإنّها ليست لك ولست لها، ما لك ولدار الظالمين إلاّ لعامل فيها بخير فإنّها له نعم الدار.

يا موسى الدنيا وأهلها فتن بعضها لبعض، فكلٌّ مزيّن له ما هو فيه، والمؤمن زيّنت له الآخرة فهو ينظر إليها ما يفتر، قد حالت شهوتها بينه وبين لذّة العيش فأدلجته بالأسحار كفعل الراكب السابق إلى غايته، يظلّ كئيباً، ويمسي حزيناً، فطوبى له، لو قد كشف الغطاء ماذا يعاين من السرور؟!

يا موسى إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجّلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين، ولا تكن جبّاراً ظلوماً، ولا تكن للظالمين قريناً.

---

(١) يعني كما أن الخير يدل على الحسن، مسّماه أيضاً حسن، أو كما الخير يدل على حسن الأمر، لأنه اسم تفضيل (منه رحمه الله).

يا موسى ما عمر وإن طال ما يذمّ آخره، وما ضرَّك ما زوي عنك إذا حمدت مغبّته.

يا موسى صرخ الكتاب إليك صراخاً بما أنت إليه صائر، فكيف ترقد على هذا العيون أم كيف يجد قوم لذّة العيش لولا التمادي في الغفلة والتتابع في الشهوات، ومن دون هذا جزع الصدّيقون؟!

يا موسى مر عبادي يدعوني على ما كان بعد أن يقرّوا بي إنّي أرحم الراحمين، أُجيب المضطرّين، وأكشف السوء، وأُبدّل الزمان، وآتي بالرخاء، وأشكر اليسير، وأُثيب الكثير، وأُغني الفقير، وأنا الدائم العزيز القدير، فمن لجأ إليك وانضوى إليك من الخاطئين فقل: أهلاً وسهلاً، بأرحب الفناء نزلت، بفناء ربّ العالمين، واستغفر لهم وكن كأحدهم، ولا تستطل عليهم بما أنا أعطيتك فضله، وقل لهم: فليسألوني من فضلي ورحمتي فإنّه لا يملكها أحد غيري، وأنا ذو الفضل العظيم، كهف الخاطئين، وجليس المضطرّين، ومستغفر للمذنبين، إنّك منّي بالمكان الرضيّ، فادعني بالقلب النقيّ، واللّسان الصادق، وكن كما أمرتك، أطع أمري، ولا تستطل على عبادي بما ليس منك مبتدؤه، وتقرّب إليّ فإنّي منك قريب، فإنّي لم أسألك ما يؤذيك ثقله ولا حمله، إنّما سألتك أن تدعوني فأُجيبك وأن تسألني فأُعطيك، وأن تتقرّب بما منّي أخذت تأويله وعليّ تمام تنزيله.

يا موسى انظر إلى الأرض فإنّها عن قريب قبرك، وارفع عينيك إلى السماء فإنّ فوقك فيها ملكاً عظيماً، وابك على نفسك ما كنت في الدنيا، وتخوّف العطب والمهالك ولا تغرنّك زينة الدنيا وزهرتها، ولا ترض بالظلم ولا تكن ظالماً فإنّي للظالم بمرصد حتّى أُديل منه المظلوم.

يا موسى إنّ الحسنة عشرة أضعاف، ومن السيّئة الواحدة الهلاك، لا تشرك بي، لا يحلُّ لك أن تشرك بي، قارب وسدّد، ادع دعاء الطامع الراغب فيما عندي، النادم على ما قدّمت يداه، فإنّ سواد اللّيل يمحوه النهار، كذلك السيّئة تمحوها الحسنة، وعشوة اللّيل تأتي على ضوء النهار، وكذلك السيّئة تأتي على الحسنة فتسوّدها[1].

---

(١) تحف العقول: ص ٣٦٣، والبحار: ج ١٣/ص ٣٣٢-٣٣٨، باب ١١/ح ١٣.

عن ابن مسكان، عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ بني إسرائيل أتوا موسى عليه السلام فسألوه أن يسأل الله عزّ وجلّ أن يمطر السماء عليهم إذا أرادوا، ويحبسها إذا أرادوا، فسأل الله عزّ وجلّ ذلك لهم.

فقال الله عزّ وجلّ: ذلك لهم يا موسى، فأخبرهم موسى فحرثوا ولم يتركوا شيئاً إلاّ زرعوه، ثمَّ استنزلوا المطر على إرادتهم وحبسوه على إرادتهم، فصارت زروعهم كأنّها الجبال والآجام، ثمّ حصدوا وداسوا وذروا فلم يجدوا شيئاً، فضجّوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: إنّما سألناك أن تسأل الله أنّ يمطر السماء علينا إذا أردنا فأجابنا، ثمّ صيّرها علينا ضرراً.

فقال: يا ربّ إنّ بني إسرائيل ضجّوا ممّا صنعت بهم.

فقال: وممّ ذاك يا موسى؟

قال: سألوني أن أسألك أن تمطر السماء إذا أرادوا، وتحبسها إذا أرادوا فأجبتهم، ثمّ صيّرتها عليهم ضرراً.

فقال: يا موسى أنا كنت المقدّر لبني إسرائيل فلم يرضوا بتقديري فأجبتهم إلى إرادتهم فكان ما رأيت(١).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى سأل ربّه فقال: إلهي إنّه يأتي عليّ مجالس أُعزّك وأُجلّك أن أذكرك فيها.

فقال: يا موسى إنّ ذكري حسن على كلّ حال(٢).

عن ابن فضّال، عن بعض أصحابه، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ لموسى أكثر ذكري باللّيل والنهار، وكن عند ذكري خاشعاً، وعند بلائي صابراً، واطمئنَّ عند ذكري، واعبدني ولا تشرك بي شيئاً إليّ المصير. يا موسى اجعلني ذخرك، وضع عندي كنزك من الباقيات الصالحات(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ لموسى: اجعل لسانك من وراء

(١) الكافي: ج ٥/ص ٧٢٩، باب ١٥٧/ح ٢، والبحار: ج ١٣/ص ٣٤٠، باب ١١/ح ١٧.
(٢) أصول الكافي: ج ٢/ص ٥٧٨، باب ما يجب من ذكر الله/ح ٨ و٩ و١٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٤٣، باب ١١/ح ٢١ و٢٢ و٢٣.

قلبك تسلم، وأكثر ذكري باللّيل والنهار، ولا تتبع الخطيئة في معدنها فتندم، فإنَّ الخطيئة موعد أهل النار(١).

عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام: يا موسى احفظ وصيّتي لك بأربعة أشياء:

أُولاهنَّ: ما دمت لا ترى ذنوبك تغفر فلا تشتغل بعيوب غيرك.

والثانية: ما دمت لا ترى كنوزي قد نفدت فلا تغتمَّ بسبب رزقك.

والثالثة: ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترج أحداً غيري.

والرابعة: ما دمت لا ترى الشيطان ميّتاً فلا تأمن مكره(٢).

عن الوصّافيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله به موسى عليه السلام على الطور: أن يا موسى أبلغ قومك أنّه ما يتقرّب إليّ المتقرّبون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبّد لي المتعبّدون بمثل الورع عن محارمي، وما تزيّن لي المتزيّنون بمثل الزهد في الدنيا عمّا بهم الغنى عنه.

قال: فقال موسى: يا أكرم الأكرمين فماذا أثبتهم على ذلك؟

فقال: يا موسى أمّا المتقرّبون إليّ بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد.

وأمّا المتعبّدون لي بالورع عن محارمي فإنّي أُفتش الناس عن أعمالهم ولا أُفتّشهم حياءً منهم.

وأمّا المتقرّبون إليّ بالزهد في الدنيا فإنّي أُبيحهم الجنّة بحذافيرها يتبوّؤون منها حين يشاؤون(٣).

أعلام الدين للديلميّ من كتاب المؤمن تصنيف الحسين بن سعيد بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا موسى عليه السلام يمشي على ساحل البحر إذ جاء صيّاد

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الخصال: ص ٦٤١، باب ما بعد الألف/ح ٢٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٤٤، باب ١١/ح ٢٦.

(٣) ثواب الأعمال: ص ٢٠٦، والبحار: ج ١٣/ص ٣٤٩، باب ١١/ح ٣٧.

فخرَّ للشمس ساجداً وتكلّم بالشرك، ثمّ ألقى شبكته فخرجت مملوءة، ثمّ ألقاها فخرجت مملوءة، ثمَّ أعادها فخرجت مملوءة فمضى، ثمّ جاء آخر فتوضّأ وصلّى وحمد الله وأثنى عليه ثمّ ألقى شبكته فلم يخرج شيئاً، ثمّ أعاد فخرجت سمكة صغيرة فحمد الله وأثنى عليه وانصرف.

فقال موسى عليه السلام: يا ربّ عبدك الكافر تعطيه مع كفره، وعبدك المؤمن لم تخرج له غير سمكة صغيرة؟

فأوحى الله إليه انظر عن يمينك، فكشف له عمّا أعدّ الله لعبده المؤمن، ثمّ قال: انظر عن يسارك فكشف له عمّا أعد الله للكافر فنظر، ثمّ قال: يا موسى ما نفع هذا الكافر ما أعطيته، ولا ضرّ هذا المؤمن ما منعته.

فقال موسى: يا ربّ يحقّ لمن عرفك أن يرضى بما صنعت(١).

عن أحمد بن محمّد، عمّن ذكره عن درست، عمّن ذكره عنهم عليهم السلام قال: بينما موسى جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان فوضعه ودنا من موسى وسلّم، فقال له موسى: من أنت؟

قال: إبليس.

قال: لا قرّب الله دارك، لماذا البرنس؟

قال: أختطف به قلوب بني آدم.

فقال له موسى عليه السلام: أخبرني بالذنب الّذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه.

قال: ذلك إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في نفسه ذنبه، وقال: يا موسى لا تخل بامرأة لا تحلّ لك فإنّه لا يخلو رجل بامرأة لا تحلّ له إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي، فإيّاك أن تعاهد الله عهداً فإنّه ما عاهد الله أحدٌ إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبين الوفاء به، وإذا هممت بصدقة فأمضها فإذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبينها(٢).

عن مقرن إمام بني فتيان، عمّن روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في زمن

---

(١) أعلام الدين: ص ٤٣٣، والبحار: ج ١٣/ص ٣٤٩-٣٥٠، باب ١١/ح ٣٨.
(٢) قصص الأنبياء: ص ١٥٣، والبحار: ج ١٣/ص ٣٥٠، باب ١١/ح ٣٩.

موسى عليه السلام ملك جبّار قضى حاجة مؤمن بشفاعة عبد صالح، فتوفّي في يوم الملك الجبّار والعبد الصالح، فقام على الملك الناس وأغلقوا أبواب السوق لموته ثلاثة أيّام، وبقي ذلك العبد الصالح في بيته، وتناولت دوابّ الأرض من وجهه، فرآه موسى بعد ثلاث، فقال: يا ربّ هو عدوّك وهذا وليّك! فأوحى الله إليه يا موسى إنّ وليّي سأل هذا الجبّار حاجة فقضاها له فكافأته عن المؤمن، وسلّطت دوابّ الأرض على محاسن وجه المؤمن لسؤاله ذلك الجبّار(١).

عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: مرّ موسى بن عمران عليه السلام برجل رافع يده إلى السماء يدعو، فانطلق موسى في حاجته فغاب عنه سبعة أيّام، ثمّ رجع إليه وهو رافع يديه يدعو ويتضرّع ويسأل حاجته.

فأوحى الله إليه: يا موسى لو دعاني حتّى تسقط لسانه ما استجبت له حتّى يأتيني من الباب الّذي أمرته به(٢).

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ موسى بن عمران عليه السلام حبس عنه الوحي ثلاثين صباحاً، فصعد على جبل بالشام يقال له أريحا، فقال: يا ربّ لمَ حبست عنّي وحيك وكلامك؟ ألذنب أذنبته؟ فها أنا بين يديك فاقتصّ لنفسك رضاها، وإن كنت إنّما حبست عنّي وحيك وكلامك لذنوب بني إسرائيل فعفوك القديم.

فأوحى الله إليه: أن يا موسى تدري لمَ خصصتك بوحيي وكلامي من بين خلقي؟

فقال: لا أعلمه يا رب.

قال: يا موسى إنّي اطّلعت إلى خلقي اطّلاعة فلم أر في خلقي أشدّ تواضعاً منك، فمن ثمّ خصصتك بوحيي وكلامي من بين خلقي.

قال: فكان موسى عليه السلام إذا صلّى لم ينفتل حتّى يلصق خدّه الأيمن بالأرض وخدّه الأيسر بالأرض(٣).

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٥٤، والبحار: ج ١٣/ص ٣٥٠-٣٥١، باب ١١/ح ٤٠.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٦٤، والبحار: ج ١٣/ص ٣٥٥، باب ١١/ح ٥٣.
(٣) البحار: ج ١٣/ص ٣٥٧، باب ١١/ح ٦١.

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أُعطي موسى منها أربعة أحرف[١].

دعوات الراوندي: روي أنّ موسى عليه السلام قال: يا ربّ دلّني على عمل إذا أنا عملته نلت به رضاك، فأوحى الله إليه: يا ابن عمران إنّ رضائي في كرهك ولن تطيق ذلك، قال: فخرّ موسى عليه السلام ساجداً باكياً.

فقال: يا ربّ خصصتني بالكلام ولم تكلّم بشراً قبلي، ولم تدلّني على عمل أنال به رضاك؟

فأوحى الله إليه: إنّ رضاي في رضاك بقضائي[٢].



وفاة موسى وهارون عليهما السلام وموضع قبرهما وبعض أحوال يوشع بن نون عليه السلام

مات هارون وموسى عليهما السلام في التيه، فروي أنّ الّذي حفر قبر موسى هو ملك الموت في صورة آدميّ، ولذلك لا يعرف بنو إسرائيل موضع قبر موسى عليه السلام وسئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن قبره.

فقال: عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر.

قال: وكان بين موسى وبين داود خمسمائة سنة، وبين داود وعيسى ألف سنة ومائة سنة[٣].

عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوصى موسى إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولده ولا إلى

(١) أصول الكافي: ج ١/ص ١٣٢، باب ما عند الأئمة من اسم الله الأعظم/ح ١، والبحار: ج ١٣/ص ٣٥٨، باب ١١/ح ٦٥.
(٢) دعوات الراوندي: ص ١٦٤، والبحار: ج ١٣/ص ٣٥٨-٣٥٩، باب ١١/ح ٦٨.
(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ١٧٣، والبحار: ج ١٣/ص ٣٦٣-٣٦٤، باب ١٢/ح ١.

ولد موسى إن الله عزّ وجلّ له الخيرة، يختار من يشاء ممّن يشاء، وبشّر موسى ويوشع بالمسيح[١].

عن ابن عمّارة، عن أبيه قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: أخبرني بوفاة موسى بن عمران عليه السلام.

فقال له: إنه لمّا أتاه أجله واستوفى مدّته وانقطع أكله أتاه ملك الموت فقال له: السلام عليك يا كليم الله، فقال موسى: وعليك السلام من أنت؟

قال: أنا ملك الموت.

قال: ما الّذي جاء بك؟

قال: جئت لأقبض روحك.

فقال له موسى عليه السلام: من أين تقبض روحي؟

قال: من فمك.

قال له موسى عليه السلام: كيف وقد كلّمت ربّي جلّ جلاله؟

قال: فمن يديك.

قال: كيف وقد حملت بهما التوراة؟

قال: فمن رجليك.

قال: كيف وقد وطئت بهما طور سيناء؟

قال: فمن عينيك.

قال: كيف ولم تزل إلى ربّي بالرجاء ممدودة؟

قال: فمن أُذنيك.

قال: وكيف وقد سمعت بهما كلام ربّي عزّ وجلّ؟

قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك الموت: لا تقبض روحه حتّى يكون هو الّذي يريد ذلك، وخرج ملك الموت فمكث موسى ما شاء الله أن يمكث بعد

(١) أصول الكافي: ج ١/ص ١٦٩، باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين/ج ٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٦٤، باب ١٢/ح ٣.

ذلك، ودعا يوشع بن نون فأوصى إليه وأمره بكتمان أمره وبأن يوصي بعده إلى من يقوم بالأمر، وغاب موسى عليه السلام عن قومه فمرّ في غيبته برجل وهو يحفر قبراً، فقال له: ألا أُعينك على حفر هذا القبر؟

فقال له الرجل: بلى، فأعانه حتّى حفر القبر وسوّى اللّحد، ثمّ اضطجع فيه موسى بن عمران عليه السلام لينظر كيف هو، فكشف له عن الغطاء فرأى مكانه من الجنّة.

فقال: يا ربّ اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه مكانه، ودفنه في القبر، وسوّى عليه التراب، وكان الّذي يحفر القبر ملك في صورة آدميّ، وكان ذلك في التيه، فصاح صائح من السماء: مات موسى كليم الله، فأيّ نفس لا تموت؟

فحدّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن قبر موسى عليه السلام أين هو؟

فقال: عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر.

ثمّ إنّ يوشع بن نون قام بالأمر بعد موسى صابراً من الطواغيت على اللأواء والضرّاء والجهد والبلاء حتّى مضى منهم ثلاثة طواغيت فقوي بعدهم أمره، فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى بصفراء بنت شعيب امرأة موسى عليه السلام في مائة ألف رجل فقاتلوا يوشع بن نون فغلبهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، وهزم الباقين بإذن الله تعالى ذكره وأسر صفراء بنت شعيب، وقال لها: قد عفوت عنك في الدنيا إلى أن نلقى نبيّ الله موسى فأشكو ما لقيت منك ومن قومك.

فقالت صفراء: وا ويلاه، والله لو أُبيحت لي الجنّة لاستحييت أن أرى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه وخرجت على وصيّه بعده(١).

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ملك الموت أتى موسى بن عمران عليه السلام فسلّم عليه، فقال: من أنت؟

فقال: أنا ملك الموت.

---

(١) كمال الدين: ص ١٥٣، وأمالي الصدوق: ص ١٩٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٦٥-٣٦٦، باب ١٢/ح ٨.

قال: ما حاجتك؟

فقال له: جئت أقبض روحك.

فقال له موسى: من أين تقبض روحي؟

قال: من فمك.

قال له موسى: كيف وقد كلّمت ربّي عزّ وجلّ؟

قال: فمن يديك؟

فقال له موسى: كيف وقد حملت بهما التوراة؟

فقال: من رجليك.

فقال: وكيف وقد وطئت بهما طور سيناء؟

قال: وعدّ أشياء غير هذا.

قال: فقال له ملك الموت: فإنّي أُمرت أن أتركك حتّى تكون أنت الّذي تريد ذلك، فمكث موسى ما شاء الله، ثمّ مرَّ برجل وهو يحفر قبراً.

فقال له موسى: ألا أُعينك على حفر هذا القبر؟

فقال له الرجل: بلى.

قال: فأعانه حتّى حفر القبر، ولحد اللّحد، فأراد الرجل أن يضطجع في اللّحد لينظر كيف هو فقال له موسى: أنا أضطجع فيه، فاضطجع موسى فأُري مكانه من الجنّة - أو قال: منزله من الجنّة -.

فقال: يا ربّ اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه، ودفنه في القبر، وسوّى عليه التراب، قال: وكان الّذي يحفر القبر ملك الموت في صورة آدميّ، فلذلك لا يعرف قبر موسى[١].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا كانت اللّيلة الّتي قتل فيها عليّ عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلّاوجد تحته دم عبيط حتّى طلع الفجر، وكذلك كانت اللّيلة الّتي قتل فيها يوشع بن نون. الخبر[٢].

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ٨٩، باب ٨٦/ ح ١، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٦٦-٣٦٧، باب ١٢/ ح ٩.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٤٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٦٨، باب ١٢/ ح ١٢.

عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال موسى عليه السلام لهارون عليه السلام: امض بنا إلى جبل طور سيناء، ثمّ خرجا فإذا بيت على بابه شجرة عليها ثوبان، فقال موسى لهارون: اطرح ثيابك وادخل هذا البيت والبس هاتين الحلّتين ونم على السرير، ففعل هارون، فلمّا أن نام على السرير قبضه الله إليه، وارتفع البيت والشجرة، ورجع موسى إلى بني إسرائيل فأعلمهم أنّ الله قبض هارون ورفعه إليه، فقالوا: كذبت أنت قتلته، فشكا موسى عليه السلام ذلك إلى ربّه، فأمرالله تعالى الملائكة فأنزلته على سرير بين السماء والأرض حتّى رأته بنو إسرائيل فعلموا أنّه مات(١).

صفوة الصفات للكفعميّ: روي عن الباقر عليه السلام أنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام لمّا حارب العماليق وكانوا في صور هائلة ضعفت نفوس بني إسرائيل عنهم، فشكوا إلى الله عزّ وجلّ.

فأمر الله تعالى يوشع عليه السلام أن يأمر الخواصّ من بني إسرائيل أن يأخذ كلّ واحد منهم جرّة من الخزف فارغة على كتفه الأيسر باسم عمليق، ويأخذ بيمينه قرناً مثقوباً من قرون الغنم ويقرأ كلّ واحد منهم في القرن هذا الدعاء - يعني دعاء السمات - لئلاّ يسترق السمع بعض شياطين الجنّ والإنس فيتعلّموه، ثمّ يلقون الجرار في عسكر العماليق آخر اللّيل ويكسرونها، ففعلوا ذلك فأصبح العماليق كأنّهم أعجاز نخل خاوية منتفخي الأجواف، موتى. الخبر.

ثمّ قال: ولقد وجدت هذا الحديث بعينه مروياً عن الصادق عليه السلام إلاّ أنّه ذكر أنّ محاربة العمالقة كانت مع موسى عليه السلام، روى ذلك عنه عثمان بن سعيد العمريّ(٢).

قال صاحب الكامل: أوحى الله تعالى في التيه إلى موسى عليه السلام: إنّي متوفّ هارون، فانطلق به إلى جبل كذا وكذا، فانطلقا نحوه فإذا هما بشجرة لم يريا مثلها، وفيه بيت مبنيّ، وسرير عليه فرش، وريح طيّبة، فلمّا رآه هارون أعجبه، فقال: يا موسى إنّي أُحب أن أنام على هذا السرير.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٧٤، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٦٨، باب ١٢/ ح ١٣.
(٢) البحار: ج ١٣/ ص ٣٧١، باب ١٢/ ح ١٩.

فقال له موسى: نم، قال: إنّي أخاف ربّ هذا البيت أن يأتي فيغضب عليّ.

قال موسى: لا تخف أنا أكفيك.

قال: فنم معي، فلمّا ناما أخذ هارون الموت فلمّا وجد حسه قال: يا موسى خدعتني فتوفي ورفع على السرير إلى السّماء، ورجع موسى إلى بني إسرائيل فقال له بنو إسرائيل: إنّك قتلت هارون لحبنا إياه، فقال: ويحكم أفتروني أن أقتل أخي؟

فلمّا أكثروا عليه صلّى ودعا الله تعالى فنزل بالسرير حتّى نظروا إليه ما بين السماء والأرض، فأخبرهم أنّه مات وأنّ موسى لم يقتله، فصدّقوه فكان موته في التيه.

قال: وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة، وقيل: بينما موسى عليه السلام يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء، فلمّا نظر إليها يوشع ظن أنّها الساعة فالتزم موسى وقال: لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبيّ الله، فاستلّ موسى من تحت القميص، وبقي القميص في يدي يوشع، فلمّا جاء يوشع بالقميص اخذه بنو إسرائيل وقالوا: قتلت نبيّ الله.

فقال: ما قتلته ولكنه استلّ منّي، فلم يصدّقوه.

قال: فإذا لم تصدّقوني فأخّروني ثلاثة أيّام، فوكلوا به من يحفظه، فدعا الله فأُتي كلّ رجل كان يحرسه في المنام فأُخبر أنّ يوشع لم يقتل موسى، وأنّا رفعناه إلينا، فتركوه.

وقيل: إنّه مرّ منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً. وذكر نحواً ممّا مرّ في الأخبار.

ثمّ قال: ولمّا توفّي موسى عليه السلام بعث الله يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم نبيّاً إلى بني إسرائيل، وأمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبّارين.

فاختلف العلماء في فتحها على يد من كان، فقال ابن عبّاس: أمّا هارون وموسى توفيا في التيه، وتوفّي فيه كلّ من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع

بن نون وكالب بن يوفنا، فلمّا انقضى أربعون سنة أوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون يأمره بالمسير إليها وفتحها ففتحها، ومثله قال قتادة والسدّيّ وعكرمة.

وقال آخرون: إنّ موسى عليه السلام عاش حتّى خرج من التيه وسار إلى مدينة الجبّارين، وعلى مقدّمته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أُخته مريم بنت عمران، فلمّا بلغوها اجتمع الجبّارون إلى بلعم بن باعورا وهو من ولد لوط فقالوا له: إنّ موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا، فادع الله عليهم، وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم فقال لهم: كيف أدعو على نبيّ الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟ فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم، فأتوا امرأته وأهدوا لها هديّة فقبلتها وطلبوا إليها أن تحسّن لزوجها أن يدعو على بني إسرائيل، فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتّى قال: أستخير ربّي، فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فأخبرها بذلك، فقالت: راجع ربّك، فعاود الاستخارة فلم يرد إليه جواب.

فقالت: لو أراد ربّك لنهاك، ولم تزل تخدعه حتّى أجابهم، فركب حماراً له متوجّهاً إلى جبل يشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فما سار عليه إلاّ قليلاً حتّى ربض الحمار، فنزل عنه فضربه حتّى قام فركبه فسار به قليلاً فربض، فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا اشتدّ ضربه في الثالثة أنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردّني؟ فلم يرجع، فأطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتّى أشرف على بني إسرائيل، فكان كلّما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب الدعاء عليهم، فقالوا له في ذلك.

فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه، واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم: الآن قد ذهبت منّي الدنيا والآخرة، ولم يبق إلاّ المكر والحيلة، وأمرهم أن يزيّنوا النساء ويعطوهنّ السلع للبيع، ويرسلوهنّ إلى العسكر، ولا تمنع امرأة نفسها ممّن يريدها، وقال: إن زنى منهم رجل واحد كفيتموهم، ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني إسرائيل فأخذ زمري بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى فقال له: أظنّك تقول: إنّ هذا حرام! فوالله لا نطيعك، ثمّ أدخلها

خيمته فوقع عليها، فأنزل الله عليهم الطاعون، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر عمّه موسى غائباً، فلمّا جاء رأى الطاعون قد استقرّ في بني إسرائيل وأُخبر الخبر وكان ذا قوّة وبطش فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما بحربة بيده فانتظمهما، ورفع الطاعون، وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، فأنزل الله في بلعم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(١).

ثمّ إنّ موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها، وقتل بها الجبّارين، وبقيت منهم بقيّة وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي أن يدركهم اللّيل فيعجزوه فدعا الله تعالى أن يحبس عليه الشمس ففعل وحبسها حتّى استأصلهم، ودخلها موسى، فأقام بها ما شاء الله أن يقيم، وقبضه الله تعالى إليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق؛ وأمّا من زعم أنّ موسى كان توفّي قبل ذلك فقال: إنّ الله تعالى أمر يوشع بالمسير إلى مدينة الجبّارين، فسار ببني إسرائيل ففارقه رجل منهم يقال له بلعم بن باعور، وكان يعرف الاسم الأعظم، وساق من حديثه نحو ما تقدّم، فلمّا ظفرّ يوشع بالجبّارين أدركه المساء ليلة السبت فدعا الله تعالى فرّد الشمس عليه، وزاد في النهار ساعة فهزم الجبّارين، ودخل مدينتهم، وجمع غنائمهم ليأخذها القربان، فلم تأت النار.

فقال يوشع: فيكم غلول، فبايعوني، فبايعوه فلصقت يده في يد من غلّ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت فجعله في القربان، وجعل الرجل معه فجاءت النار وأكلتهما.

وقيل: بل حصرها ستة أشهر، فلمّا كان السابع تقدّموا إلى المدينة فصاحوا صيحةً واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبّارين أقبح هزيمة، وقتلوا فيهم فأكثروا، ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع بن نون فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك إلى غار فأمر بهم يوشع فقتلوا وصلبوا. ثمّ ملك الشام جميعه فصار لبني إسرائيل وفرّق فيه عمّاله، ثمّ توفّاه الله، فاستخلف على بني

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.

إسرائيل كالب بن يوفنا، وكان عمر يوشع مائة وستّاً وعشرين سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى عليه السلام سبعاً وعشرين سنة. انتهى[١].

وقال المسعوديّ: سار ملك الشام وهو السميدع بن هزبر بن مالك إلى يوشع ابن نون، فكانت له معه حروب إلى أن قتله يوشع واحتوى على ملكه، وألحق به غيره من الجبابرة والعماليق، وشنّ الغارات بأرض الشام، وكانت مدّة يوشع بعد موسى تسعاً وعشرين سنة، وقد كان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام رجل يقال له بلعم بن باعور، وكان مستجاب الدعوة، فحمله قومه على الدعاء على يوشع، فلم يتأتّ له ذلك وعجز عنه، فأشار إلى بعض ملوك العماليق أن يبرز الحسان من النساء نحو عساكر يوشع، ففعلوا ذلك، فزنوا بهم فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم تسعون ألفاً.

وقيل: أكثر من ذلك؛ وقيل: إنّ يوشع قبض وهو ابن مائة وعشر سنين، وقام في بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا[٢].

عن حبيب بن عمرو قال: لمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسين عليه السلام خطيباً فقال: أيّها الناس في هذه اللّيلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه اللّيلة قتل يوشع بن نون. الخبر[٣].



(١) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ١٦٨-١٧٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٧١-٣٧٥، باب ١٢/ ذيل ح ١٩.
(٢) مروج الذهب: ج ١/ص ٥٩، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٧٥-٣٧٦، باب ١٢/ ذيل ح ١٩.
(٣) أمالي الصدوق: ص ٢٦٢/ مجلس ٥٢/ح ٤، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٧٦، باب ١٢/ح ٢١.

تمام قصّة بلعم بن باعور، وقد مضى بعضها في الباب السابق

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(١) فإنّها نزلت في بلعم بن باعورا، وكان من بني إسرائيل. وحدّثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه أُعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم، وكان يدعو به فيستجيب له فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني؟ أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتّى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه، وهو قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾(١) وهو مثل ضربه.

فقال الرضا عليه السلام: فلا يدخل الجنّة من البهائم إلاّ ثلاثة: حمارة بلعم، وكلب أصحاب الكهف، والذئب، وكان سبب الذئب أنّه بعث ملك ظالم رجلاً شرطيّاً ليحشر قوماً من المؤمنين ويعذّبهم، وكان للشرطيّ ابن يحبّه، فجاء ذئب فأكل ابنه فحزن الشرطيّ عليه، فأدخل الله ذلك الذئب الجنّة لما أحزن الشرطي(٢).

عن سعد ومحمّد العطّار، عن ابن عيسى عن البزنطيّ، عن عبد الرحمن بن سيّابة، عن معاوية بن عمّار رفعه قال: فتحت مدائن الشام على يوشع بن نون،

---

(١) سورة الأعراف، الآيتين: ١٧٥-١٧٦.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٤٩، والبحار: ج ١٣/ص ٣٧٧-٣٧٨، باب ١٣/ح ١.

ففتحها مدينة مدينة حتّى انتهى إلى البلقاء، فلقوا فيها رجلاً يقال له بالق[١]، فجعلوا يخرجون يقاتلونه لا يقتل منهم رجل، فسأل عن ذلك فقيل: إنّ فيهم امرأة عندها علم، ثمّ سألوا يوشع الصلح، ثمّ انتهى إلى مدينة أُخرى فحصرها وأرسل صاحب المدينة إلى بلعم ودعاه فركب حماره إلى الملك فعثر حماره تحته فقال: لَمَ عثرت؟

فكلّمه الله: لم لا أعثر وهذا جبرئيل بيده حربة ينهاك عنهم؟ وكان عندهم أنّ بلعم أُوتي الاسم الأعظم، فقال الملك: ادع عليهم - وهو المنافق الّذي روي أنّ قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ نزل فيه - فقال لصاحب المدينة: ليس للدعاء عليهم سبيل، ولكن أُشير عليك أن تزيّن النساء وتأمرهنّ أن يأتين عسكرهم فيتعرَّضن للرجال، فإنّ الزناء لم يظهر في قوم قطّ إلاّ بعث الله عليهم الموت فلمّا دخل النساء العسكر وقع الرجال بالنساء.

فأوحى الله إلى يوشع: إن شئت سلّطت عليهم العدوّ، وإن شئت أهلكتهم بالسنين، وإن شئت بموت حثيث عجلان.

فقال: هم بنو إسرائيل لا أُحب أن يسلّط الله عليهم عدوّهم، ولا أن يهلكهم بالسنين، ولكن بموت حثيث عجلان، قال: فمات في ثلاث ساعات من النهار سبعون ألفاً بالطاعون[٢].



(١) يظهر من سائر الكتب أن بالق كان اسم ملك هذه القرية وبه سميت القرية بلقاء (منه رحمه الله).
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٧٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٧٨-٣٧٩، باب ١٣/ ح ٢.

قصة حزقيل عليه السلام

الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾(١).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ الآية، فإنّه وقع الطاعون بالشام في بعض الكور فخرج منهم خلق كثير كما حكى الله تعالى هرباً من الطاعون فصاروا إلى مفازة فماتوا في ليلة واحدة كلّهم، فبقوا حتّى كانت عظامهم يمرّ بها المارّ فينحّيها برجله عن الطريق، ثمّ أحياهم الله وردّهم إلى منازلهم فبقوا دهراً طويلاً ثمّ ماتوا وتدافنوا(٢).

عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كان في بني إسرائيل شيء لا يكون ههنا مثله؟

فقال: لا.

فقلت: فحدّثني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ فهل أحياهم حتّى نظر النّاس إليهم ثمّ أماتهم من يومهم أو ردّهم إلى الدنيا؟

فقال: بل ردّهم إلى الدنيا حتّى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ولبثوا بذلك ما شاء الله، ثمّ ماتوا بالآجال(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٨٩، والبحار: ج ١٣/ص ٣٨١، باب ١٤/ح ١.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ص ٧٨-٧٩، والبحار: ج ١٣/ص ٣٨١، باب ١٤/ح ٢.

عن هشام بن سالم قال: سأل عبد الأعلى مولى بني سام الصادق عليه السلام وأنا عنده: حديث يرويه النّاس، فقال: وما هو؟

قال: يروون أنّ الله تعالى عزّ وجلّ أوحى إلى حزقيل النبيّ عليه السلام: أن أخبر فلان الملك أنّي متوفّيك يوم كذا، فأتى حزقيل الملك فأخبره بذلك، قال: فدعا الله وهو على سريره حتّى سقط ما بين الحائط والسرير، وقال: يا ربّ أخّرني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله إلى ذلك النبيّ أن ائت فلاناً وقل إنّي أنسأت في عمره خمس عشر سنة.

فقال النبيّ: يا ربّ بعزّتك إنّك تعلم أنّي لم أكذب كذبةً قطّ.

فأوحى الله إليه: إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه(١).

عن ابن محبوب، عن عمر ابن يزيد عنهما عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾.

قال: إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام من بني إسرائيل، وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الّذين أقاموا، ويقلّ في الّذين خرجوا، فصاروا رميماً عظاماً، فمرّ بهم نبيّ من الأنبياء يقال له حزقيل فرآهم وبكى وقال: يا ربّ لو شئت أحييتهم الساعة، فأحياهم الله.

وفي رواية أنّه تعالى أوحى إليه: أن رشّ الماء عليهم، ففعل فأحياهم(٢).

عن عمر بن يزيد وغيره عن بعضهم عن أبي عبد الله وبعضهم عن أبي جعفر عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾.

فقال: إنّ هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام، وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كلّ أوان، فكانوا إذا أحسّوا به خرج من المدينة الأغنياء

(١) قصص الأنبياء: ص ٢٤١، والبحار: ج ١٣/ص ٣٨٢، باب ١٤/ح ٣.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٤٢، والبحار: ج ١٣/ص ٣٨٢، باب ١٤/ح ٤.

لقوّتهم، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الّذين أقاموا ويقل في الّذين خرجوا فيقول الّذين خرجوا: لو كنّا أقمنا لكثر فينا الموت، ويقول الّذين أقاموا: لو كنّا خرجنا لقلّ فينا الموت.

قال: فاجتمع رأيهم جميعاً على أنّه إذا وقع الطاعون وأحسّوا به خرجوا كلّهم من المدينة، فلمّا أحسّوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحّوا عن الطاعون حذر الموت فصاروا في البلاد ما شاء الله، ثمّ إنّهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها، فلمّا حطّوا رحالهم واطمأنّوا قال لهم الله عزّ وجلّ:

موتوا جميعاً، فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً يلوح، وكانوا على طريق المارّة فكنستهم المارة فنحّوهم وجمعوهم في موضع، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل، فلمّا رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال:

يا ربّ لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم فعمروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك من خلقك.

فأوحى الله إليه: أفتحبّ ذلك؟

قال: نعم يا ربّ فأحيهم.

فأوحى الله عزّ وجلّ: قل كذا وكذا، فقال الّذي أمره الله عزّ وجلّ أن يقوله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: وهو الاسم الأعظم، فلمّا قال حزقيل ذلك الكلام نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض، فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض، يسبّحون الله عزّ ذكره ويكبّرونه ويهلّلونه.

فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير.

قال عمر بن يزيد: فقال أبو عبد الله عليه السلام: فيهم نزلت هذه الآية[1].

روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره بأسانيدهم عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم النيروز هو اليوم الّذي أحيا الله فيه القوم الّذين

(١) روضة الكافي الموجود مع الأصول: ص ٧٦٨/ح ٢٣٧، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٨٥-٣٨٦، باب ١٤/ح ٦.

خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم، وذلك أنّ نبيّاً من الأنبياء سأل ربّه أن يحيي القوم الّذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فأماتهم الله.

فأوحى إليه: أن صبّ عليهم الماء في مضاجعهم، فصبّ عليهم الماء في هذا اليوم فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً، فصار صبّ الماء في يوم النيروز سنة ماضية لا يعرف سببها إلاّالراسخون في العلم[1].



(١) البحار: ج ١٣/ص ٣٨٦، باب ١٤/ح ٧، نقلاً عن المهذب مخطوط.

قصص إسماعيل الذى سماه الله صادق الوعد وبيان أنه غير إسماعيل بن إبراهيم

قال الله تعالى في سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾(١).

عن أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أشيم، عن الجعفريّ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أتدري لِمَ سمّي إسماعيل صادق الوعد؟

قلت: لا أدري.

قال: وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره(٢).

عن ابن أبي عمير ومحمّد بن سنان، عمّن ذكراه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل الّذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت.

فقال: لي أُسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام (٣).

عن السمنديّ، عن الصادق، عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أفضل الصدقة صدقة اللّسان، تحقن به الدماء، وتدفع به الكريهة،

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج ٢/ ص ٨٥، باب ٣٢/ح ٩، وعلل الشرائع: ج ١/ ص ٩٧، باب ٦٧/ ح ١، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٨٨، باب ١٥/ ح ١.

(٣) علل الشرائع: ج ١/ ص ٩٨، باب ٦٧/ ح ٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٨٨، باب ١٥/ ح ٢.

وتجرّ المنفعة إلى أخيك المسلم. ثمّ قال ﷺ: إنَّ عابد بني إسرائيل الّذي كان أعبدهم كان يسعى في حوائج الناس عند الملك، وإنّه لقي إسماعيل بن حزقيل فقال:

لا تبرح حتّى أرجع إليك يا إسماعيل، فسها عنه عند الملك، فبقي إسماعيل إلى الحول هناك، فأنبت الله لإسماعيل عشباً فكان يأكل منه، وأجرى له عيناً وأظلّه بغمام، فخرج الملك بعد ذلك إلى التنزّه ومعه العابد فرأى إسماعيل فقال: إنّك لههنا يا إسماعيل؟

فقال له: قلت: لا تبرح فلم أبرح، فسمّي صادق الوعد.

قال: وكان جبّار مع الملك فقال: أيّها الملك كذب هذا العبد، قد مررت بهذه البرّيّة فلم أره ههنا.

فقال له إسماعيل: إن كنت كاذباً فنزع الله صالح ما أعطاك.

قال: فتناثرت أسنان الجبّار.

فقال الجبّار: إنّي كذبت على هذا العبد الصالح، فاطلب أن يدعو الله أن يردّ عليّ أسناني فإنّي شيخ كبير، فطلب إليه الملك فقال: إنّي أفعل.

قال: الساعة؟

قال: لا، وأخّره إلى السحر ثمّ دعا. ثمّ قال: يا فضل إنّ أفضل ما دعوتم الله بالأسحار، قال الله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١) (٢).

عن شعيب العقرقوفيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ إسماعيل نبيّ الله وعد رجلاً بالصفاح، فمكث به سنة مقيماً، وأهل مكّة يطلبونه لا يدرون أين هو حتّى وقع عليه رجل فقال: يا نبيّ الله ضعفنا بعدك وهلكنا.

فقال: إنّ فلان الطائفيّ وعدني أن أكون ههنا ولن أبرح حتّى يجيء.

(١) سورة الذاريات، الآية: ١٨.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٨٨، والبحار: ج ١٣/ص ٣٨٩، باب ١٥/ح ٤.

قال: فخرجوا إليه حتّى قالوا له: يا عدوّ الله وعدت النبيّ فأخلفته، فجاء وهو يقول لإسماعيل عليه السلام: يا نبيّ الله ما ذكرت ولقد نسيت ميعادك.

فقال: أمّا والله لو لم تجئني لكان منه المحشر، فأنزل الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[1].



(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٨٨، والبحار: ج ١٣/ص ٣٩٠، باب ١٥/ح ٥.

قصة إلياس وإليا واليسع عليهم السلام

الآيات: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[1].

الصافات: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾[2].

ص: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾[3].

عن مفضّل بن عمر قال: أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه فسمعناه يتكلّم بكلام ليس بالعربيّة، فتوهّمنا أنّه بالسريانيّة، ثمّ بكا فبكينا لبكائه، ثمّ خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت: أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك فسمعناك تتكلّم بكلام ليس بالعربيّة فتوهّمنا أنّه بالسريانيّة ثمّ بكيت فبكينا لبكائك.

فقال: نعم ذكرت إلياس النبيّ عليه السلام وكان من عبّاد أنبياء بني إسرائيل، فقلت كما كان يقول في سجوده، ثمّ اندفع فيه بالسريانيّة فما رأينا والله قسّاً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه به، ثمّ فسّره لنا بالعربيّة فقال: كان يقول في سجوده:

«أتراك معذّبي وقد أظمأت لك هواجري؟ أتراك معذّبي وقد عفرت لك في التراب وجهي؟ أتراك معذّبي وقد اجتنبت لك المعاصي؟ أتراك معذّبي وقد أسهرت لك ليلي؟».

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٢٣-١٣٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٤٨.

قال: فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإنّي غير معذّبك قال: فقال: إن قلت: لا أُعذّبك ثمّ عذّبتني ماذا؟ ألست عبدك وأنت ربّي؟.

فأوحى الله إليه: أن ارفع رأسك فإنّي غير معذّبك، فإنّي إذا وعدت وعداً وفيت به[1].

عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: إنّ يوشع بن نون بوّأ بني إسرائيل الشام بعد موسى عليه السلام وقسّمها بينهم فسار منهم سبط ببعلبكّ بأرضها، وهو السبط الّذي منه إلياس النبيّ، فبعثه الله إليهم وعليهم يومئذ ملك فتنهم بعبادة صنم يقال له بعل، وذلك قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ﴾[2] وكان للملك زوجة فاجرة يستخلفها إذا غاب فتقضي بين الناس، وكان لها كاتب حكيم قد خلّص من يدها ثلاث مائة مؤمن كانت تريد قتلهم، ولم يعلم على وجه الأرض أُنثى أزنى منها، وقد تزوّجت سبعة ملوك من بني إسرائيل حتّى ولدت تسعين ولداً سوى ولد ولدها، وكان لزوجها جار صالح من بني إسرائيل، وكان له بستان يعيش به إلى جانب قصر الملك، وكان الملك يكرمه، فسافر مرّة فاغتنمت امرأته وقتلت العبد الصالح وأخذت بستانه غصباً من أهله وولده، وكان ذلك سبب سخط الله عليهم، فلمّا قدم زوجها أخبرته الخبر فقال لها:

ما أصبت، فبعث الله إلياس النبيّ يدعوهم إلى عبادة الله فكذّبوه وطردوه وأهانوه وأخافوه، وصبر عليهم واحتمل أذاهم ودعاهم إلى الله تعالى فلم يزدهم إلاّ طغياناً، فآلى الله على نفسه أن يهلك الملك والزانية إن لم يتوبوا إليه، وأخبرهما بذلك، فاشتدّ غضبهم عليه وهمّوا بتعذيبه وقتله. فهرب منهم فلحق بأصعب جبل فبقي فيه وحده سبع سنين، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر والله يخفي مكانه، فأمرض الله ابناً للملك مرضاً شديداً حتّى يئس منه، وكان أعزّ ولده إليه، فاستشفعوا إلى عبدة الصنم ليستشفعوا له فلم ينفع، فبعثوا الناس إلى حدّ الجبل الّذي فيه إلياس عليه السلام فكانوا يقولون: اهبط إلينا واشفع لنا.

---

(١) أصول الكافي: ج ١/ص ١٣٠، باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب/ح ٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٩٢-٣٩٣، باب ١٦/ح١.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٢٣-١٢٦.

فنزل إلياس من الجبل وقال: إنّ الله أرسلني إليكم وإلى من ورائكم، فاسمعوا رسالة ربّكم، يقول الله: ارجعوا إلى الملك فقولوا له: إنّي أنا الله لا إله إلاّ أنا إله بني إسرائيل الّذي خلقهم، وأنا الّذي أرزقهم وأُحييهم وأُميتهم وأضرّهم وأنفعهم، وتطلب الشفاء لابنك من غيري؟

فلمّا صاروا إلى الملك وقصّوا عليه القصّة امتلأ غيظاً فقال: ما الّذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتوني به فإنّه عدوّي.

قالوا: لمّا صار معنا قذف في قلوبنا الرعب عنه، فندب خمسين من قومه من ذوي البطش وأوصاهم بالاحتيال له وإطماعه في أنّهم آمنوا به ليغترّ بهم فيمكّنهم من نفسه، فانطلقوا حتّى ارتقوا ذلك الجبل الّذي فيه إلياس عليه السلام ثمّ تفرّقوا فيه وهم ينادونه بأعلى صوتهم ويقولون: يا نبيّ الله ابرز لنا فإنّا آمنا بك، فلمّا سمع إلياس مقالتهم طمع في إيمانهم فكان في مغارة فقال:

اللّهمّ إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في النزول إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم، فما استتمَّ قوله حتّى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا، فبلغ الملك خبرهم فاشتدَّ غيظه فانتدب كاتب امرأته المؤمن وبعث معه جماعة إلى الجبل وقال له: قد آن أن أتوب، فانطلق لنا إليه حتّى يرجع إلينا يأمرنا وينهانا بما يرضى ربّنا، وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام، فانطلق كاتبها والفئة الّذين أنفذهم معه حتّى علا الجبل الّذي فيه إلياس، ثمّ ناداه فعرف إلياس صوته فأوحى الله تعالى إليه: أن ابرز إلى أخيك الصالح وصافحه وحيّه.

فقال المؤمن: بعثني إليك هذا الطاغي وقومه، وقصّ عليه ما قالوا، ثمّ قال: وإنّي لخائف إن رجعتُ إليه ولستَ معي أن يقتلني.

فأوحى الله تعالى عزّ وجلّ إلى إلياس[1]: إنّ كلّ شيء جاءك منهم خداع ليظفروا بك، وإنّي أشغله عن هذا المؤمن بأن أُميت ابنه، فلمّا قدموا عليه شدّ الله الوجع

(١) في بعض الكتب أوحى الله إلى إلياس عليه السلام: إن كل ما جاءك عنه مكر وكذب ليظفر بك، وأن الملك إن أخبرته رسله انك لقيت هذا الرجل ولم يأتِ بك إليه اتهمه وعرف انه قد راهن في أمرك، فلم يأمن أن يقتله فانطلق معه وإني سأشغله عنكما وأضاعف على ابنه البلاء، فإذا هو مات فارجع عنه، ولا تقم عنه، فذهب معه ورجع سالماً (منه رحمه الله).

على ابنه وأخذ الموت بكظمه ورجع إلياس سالماً إلى مكانه، فلمّا ذهب الجزع عن الملك بعد مدّة سأل الكاتب على الّذي جاء به، فقال: ليس لي به علم.

ثمّ إنّ إلياس عليه السلام نزل واستخفى عند أُمّ يونس بن متى ستة أشهر ويونس مولود، ثمّ عاد إلى مكانه فلم يلبث إلاّ يسيراً حتّى مات ابنها حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلياس ورقت الجبال حتّى وجدت إلياس فقالت: إنّي فجعت بموت ابني وألهمني الله تعالى عزّ وعلا الاستشفاع بك إليه ليحيي لي ابني فإنّي تركته بحاله ولم أدفنه وأخفيت مكانه، فقال لها: ومتى مات ابنك؟

قالت: اليوم سبعة أيّام، فانطلق إلياس وسار سبعة أيّام أُخرى حتّى انتهى إلى منزلها، فرفع يديه بالدعاء واجتهد حتّى أحيا الله تعالى جلّت عظمته بقدرته يونس عليه السلام فلمّا عاش انصرف إلياس، ولمّا صار ابن أربعين سنة أرسله الله إلى قومه كما قال: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1].

ثمّ أوحى الله تعالى جلّ وعلا إلى إلياس بعد سبع سنين من يوم أحيا الله يونس سلني أُعطك.

فقال: تميتني فتلحقني بآبائي فإنّي قد مللت بني إسرائيل وأبغضتهم فيك.

فقال تعالى جلّت قدرته: ما هذا باليوم الّذي أُعري منك الأرض وأهلها، وإنّما قوامها بك، ولكن سلني أُعطك.

فقال إلياس: فأعطني ثاري من الّذين أبغضوني فيك، فلا تمطر عليهم سبع سنين قطرةً إلاّ بشفاعتي[2]، فاشتدّ على بني إسرائيل الجوع وألحّ عليهم البلاء، وأسرع الموت فيهم، وعلموا أنّ ذلك من دعوة إلياس، ففزعوا إليه وقالوا: نحن طوع يدك، فهبط إلياس معهم ومعه تلميذ له اليسع وجاء إلى الملك فقال: أفنيت بني إسرائيل بالقحط.

فقال: قتلهم الّذي أغواهم.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٤٧.

(٢) وفي بعض الروايات: إن لم يجبه إلى سبع سنين، وقال: أنا أرحم بخلقي من ذلك فكان إلياس ينقص إلى أن بلغ ثلاث سنين فأجابه إلى ذلك (منه رحمه الله).

فقال: ادع ربّك يسقيهم، فلمّا جن اللّيل قام إلياس عليه السلام ودعا الله، ثمّ قال لليسع: انظر في أكناف السماء ماذا ترى؟

فنظر فقال: أرى سحابة.

فقال: أبشروا بالسقاء، فليحرزوا أنفسهم وأمتعتهم من الغرق، فأمطر الله عليهم السماء وأنبتت لهم الأرض، فقام إلياس بين أظهرهم وهم صالحون، ثمّ أدركهم الطغيان والبطر فجحدوا حقّه وتمرّدوا، فسلّط الله عليهم عدوًّا قصدهم ولم يشعروا به حتّى رهقهم، فقتل الملك وزوجته وألقاهما في بستان الّذي قتلته زوجة الملك، ثمّ وصى إلياس إلى اليسع وأنبت الله لإلياس الريش وألبسه النور ورفعه إلى السّماء، وقذف بكسائه من الجوّ على اليسع، فنبّأه الله على بني إسرائيل وأوحى إليه وأيّده، فكان بنو إسرائيل يعظّمونه ويهتدون بهداه[1].

وقال الطبرسيّ: اختلف في إلياس فقيل: هو إدريس، عن ابن مسعود وقتادة.

وقيل: هو من أنبياء بني إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عمّ اليسع، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، عن ابن عبّاس ومحمّد بن إسحاق وغيرهما، قالوا: إنّه بعث بعد حزقيل لمّا عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وكان يوشع لمّا فتح الشام بوّأها بني إسرائيل وقسّمها بينهم، فأحلّ سبطاً منهم ببعلبكّ وهم سبط إلياس بعث فيهم نبيّاً إليهم فأجابه الملك، ثمّ إنّ امرأته حملته على أن ارتدّ وخالف إلياس وطلبه ليقتله فهرب إلى الجبال والبراري.

وقيل: إنّه استخلف اليسع على بني إسرائيل ورفعه الله تعالى من بين أظهرهم، وقطع عنه لذّة الطعام والشراب، وكساه الريش فصار إنسيّاً ملكيّاً أرضيّاً سماويّاً، وسلّط الله على الملك وقومه عدوًّا لهم، فقتل الملك وامرأته، وبعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنو إسرائيل وعظّموه وانتهوا إلى أمره، عن ابن عبّاس.

وقيل: إنّ إلياس صاحب البراري، والخضر صاحب الجزائر، ويجتمعان في كلّ يوم عرفة بعرفات؛ وذكر وهب أنّه ذو الكفل.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٤٨، والبحار: ج ١٣/ ص ٣٩٣-٣٩٦، باب ١٦/ح ٢.

وقيل: هو الخضر عليه السلام، وقال: اليسع هو ابن اخطوب بن العجوز(١).

عن عمّار، عن الصادق عليه السلام قال: كان في زمان بني إسرائيل رجل يسمّى إليا رئيس على أربع مائة من بني إسرائيل، وكان ملك بني إسرائيل هوي امرأة من قوم يعبدون الأصنام من غير بني إسرائيل فخطبها، فقالت: على أن أحمل الصنم فأعبده في بلدتك، فأبى عليها ثمّ عاودها مرّة بعد مرّة حتّى صار إلى ما أرادت فحوّلها إليه ومعها صنم، وجاء معها ثمان مائة رجل يعبدونه، فجاء إليا إلى الملك فقال: ملّكك الله ومدّ لك في العمر فطغيت وبغيت!

فلم يلتفت إليه فدعا الله إليا أن لا يسقيهم قطرةً، فنالهم قحط شديد ثلاث سنين حتّى ذبحوا دوابّهم فلم يبق لهم من الدوابّ إلاّ برذون يركبه الملك، وآخر يركبه الوزير، وكان قد استتر عند الوزير أصحاب إليا يطعمهم في سرب.

فأوحى الله تعالى جلّ ذكره إلى إليا: تعرّض للملك فإنّي أُريد أن أتوب عليه، فأتاه فقال: يا إليا ما صنعت بنا؟ قتلت بني إسرائيل.

فقال إليا: تطيعني فيما آمرك به؟ فأخذ عليه العهد، فأخرج أصحابه وتقرّبوا إلى الله تعالى بثورين، ثمّ دعا بالمرأة فذبحها وأحرق الصنم وتاب الملك توبة حسنة حتّى لبس الشعر وأُرسل إليه المطر والخصب(٢).

في خبر طويل رواه الحسن بن محمّد النوفليّ، عن الرضا عليه السلام فيما احتجّ به على جاثليق النصارى أن قال عليه السلام: إنّ اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام: مشى على الماء وأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فلم تتّخذه أُمّته ربّاً. الخبر(٣).

روى الثعلبيّ بإسناده عن رجل من أهل عسقلان أنّه كان يمشي بالأُردنّ عند نصف النهار، فرأى رجلاً فقال: يا عبد الله من أنت؟ فجعل لا يكلّمني.

فقلت: يا عبد الله من أنت؟

---

(١) مجمع البيان: ج ٨/ص ٣٢٩، والبحار: ج ١٣/ص ٣٩٦-٣٩٧، باب ١٦/ذيل ح ٢.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٩/ح ٤، والبحار: ج ١٣/ص ٣٩٩-٤٠٠، باب ١٦/ح ٦.

(٣) الإحتجاج: ص ٤١٨، والتوحيد: ص ٤٢٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ١٤٣، باب ١٢/ح ١، والبحار: ج ١٣/ص ٤٠١، باب ١٦/ح ٨.

قال: أنا إلياس.

قال: فوقعت عليّ رعدة فقلت: ادع الله أن يرفع عنّي ما أجد حتّى أفهم حديثك وأعقل عنك.

قال: فدعا لي بثمان دعوات: «يا برّ يا رحيم يا حنّان يا منّان يا حيّ يا قيّوم» ودعوتين بالسريانيّة فلم أفهمهما، فرفع الله عنّي ما كنت أجد، فوضع كفّه بين كتفيّ فوجدت بردها بين ثدييّ، فقلت له: يوحى إليك اليوم؟

قال: منذ بعث محمّد رسولاً فإنّه ليس يوحى إليّ.

قال: قلت له: فكم من الأنبياء اليوم أحياء؟

قال: أربعة: اثنان في الأرض واثنان في السّماء، ففي السماء عيسى وإدريس عليهما السلام وفي الأرض إلياس والخضر عليهما السلام.

قلت: كم الأبدال؟

قال: ستّون رجلاً: خمسون منهم من لدن عريش المصر إلى شاطئ الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجل بعسقلان، وسبعة في سائر البلاد، وكلّما أذهب الله تعالى بواحد منهم جاء سبحانه بآخر، بهم يدفع الله عن الناس البلاء، وبهم يمطرون.

قلت: فالخضر أنّى يكون؟

قال: في جزائر البحر.

قلت: فهل تلقاه؟

قال: نعم.

قلت: أين؟

قال: بالموسم.

قلت: فما يكون من حديثكما؟

قال: يأخذ من شعري وآخذ من شعره.

قال: وذاك حين كان بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال.

فقلت: فما تقول في مروان بن الحكم؟

قال: ما تصنع به؟ رجل جبّار عات على الله عزّ وجلّ، القاتل والمقتول والشاهد في النار.

قلت: فإنّي شهدت فلم أطعن برمح ولم أرم بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله تعالى من ذلك المقام لن أعود إلى مثله أبداً.

قال: أحسنت، هكذا فكن، فإنّي وإيّاه قاعدان إذ وضع بين يديه رغيفان أشدّ بياضاً من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفاً وبعض آخر، ثمّ رفع فما رأيت أحداً وضعه ولا أحداً رفعه، وله ناقة ترعى في واد الأُردنّ، فرفع رأسه إليها فما دعاها حتّى جاءت فبركت بين يديه فركبها.

قلت: أُريد أن أصحبك.

قال: إنّك لا تقدر على صحبتي.

قال: قلت: إنّي خلق ما لي زوجة ولا عيال.

فقال: تزوّج وإيّاك والنساء الأربع: إيّاك والناشزة والمختلعة والملاعنة والمبارئة، وتزوّج ما بدا لك من النساء.

قال: قلت: إنّي أُحبّ لقاءك.

قال: إذا رأيتني فقد رأيتني، ثمّ قال لي: إنّي أُريد أن أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان، ثمّ حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب[1].



(١) عرائس المجالس: ص ٢٣٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٠١-٤٠٣، باب ١٦/ ذيل ح ١٠.

قصص ذى الكفل عليه السلام

الآيات: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾(١).

ص: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾(٢).

عن عبد الله بن عمر قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: ما كان ذو الكفل؟

فقال: كان رجل من حضرموت واسمه عويديا بن ادريم.

قال: من يلي أمر الناس بعدي على أن لا يغضب؟

قال: فقام فتى فقال: أنا، فلم يلتفت إليه، ثمّ قال كذلك فقام الفتى، فمات ذلك النبيّ، وبقي ذلك الفتى وجعله الله نبياً، وكان الفتى يقضي أوّل النهار، فقال إبليس لأتباعه: من له؟

فقال واحد منهم يقال له الأبيض: أنا.

فقال إبليس: فاذهب إليه لعلّك تغضبه، فلمّا انتصف النهار جاء الأبيض إلى ذي الكفل وقد أخذ مضجعه فصاح وقال: إنّي مظلوم.

فقال: قل له: تعال.

فقال: لا أنصرف، قال: فأعطاه خاتمه.

فقال. اذهب وأتني بصاحبك، فذهب حتّى إذا كان من الغد جاء تلك الساعة الّتي أخذ هو مضجعه، فصاح: إنّي مظلوم، وإنّ خصمي لم يلتفت إلى خاتمك.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٨.

فقال له الحاجب: ويحك دعه ينم، فإنّه لم ينم البارحة ولا أمس، قال: لا أدعه ينام وأنا مظلوم، فدخل الحاجب وأعلمه فكتب له كتاباً وختمه ودفعه إليه، فذهب حتّى إذا كان من الغد حين أخذ مضجعه جاء فصاح فقال: ما التفت إلى شيء من أمرك، ولم يزل يصيح حتّى قام وأخذ بيده في يوم شديد الحرّ لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت، فلمّا رأى الأبيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه أن يغضب، فأنزل الله تعالى جلّ وعلا قصّته على نبيّه ليصبر على الأذى كما صبر الأنبياء عليهم السلام على البلاء(١).

عن عبد العظيم الحسنيّ قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أسأله عن ذي الكفل ما اسمه؟ وهل كان من المرسلين؟

فكتب صلوات الله وسلامه عليه: بعث الله تعالى جلّ ذكره مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، المرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وإنّ ذا الكفل منهم صلوات الله عليهم، وكان بعد سليمان بن داود عليه السلام، وكان يقضي بين الناس كما كان يقضي داود، ولم يغضب إلاّ لله عزّ وجلّ، وكان اسمه عويديا وهو الّذي ذكره الله تعالى جلّت عظمته في كتابه حيث قال: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾(٢) (٣).

قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ: أمّا ذو الكفل فاختلف فيه فقيل: إنّه كان رجلاً صالحاً ولم يكن نبيّاً، ولكنّه تكفّل لنبيّ صوم النهار، وقيام اللّيل، وأن لا يغضب، ويعمل بالحقّ، فوفى بذلك فشكر الله ذلك له، عن أبي موسى الأشعريّ وقتادة ومجاهد.

وقيل: هو نبيّ اسمه ذو الكفل، عن الحسن؛ قال: ولم يقصّ الله خبره مفصّلاً.

وقيل: هو إلياس، عن ابن عبّاس، وقيل: كان نبيّاً وسمّي ذا الكفل بمعنى أنّه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممّن هو في زمانه، لشرف عمله، عن الجبّائيّ.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٢، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٠٤-٤٠٥، باب ١٧/ ح ١.
(٢) سورة ص، الآية؛ ٤٨.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٠٥، باب ١٧/ ح ٢.

وقيل: هو اليسع بن خطوب الّذي كان مع إلياس، وليس اليسع الّذي ذكره الله في القرآن، تكفّل لملك جبّار إن هو تاب دخل الجنّة، ودفع إليه كتاباً بذلك، فتاب الملك وكان اسمه كنعان فسمّي ذا الكفل، والكفل في اللّغة: الخطّ.

وفي كتاب النبوّة بالإسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنيّ وذكر نحواً ممّا مرّ انتهى[١].

وقال البيضاويّ: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ يعني إلياس؛ وقيل: يوشع؛ وقيل زكريّا[٢].

أقول: وقال بعض المؤرّخين أنّه بشر بن أيّوب الصابر وذهب أكثرهم إلى أنّه كان وصيّ اليسع، وقد مرّ في الباب الأوّل أنّه يوشع، وقد مرّ منّا فيه كلام، وإنّما أوردناه في تلك المرتبة تبعاً لأكثر المؤرّخين، وإن كان يظهر من الخبر أنّه كان بعد سليمان عليه السلام، وذكر المسعوديّ أنّ حزقيل وإلياس وذا الكفل وأيّوب كانوا بعد سليمان عليه السلام وقبل المسيح عليه السلام[٣].

وقال الثعلبيّ في كتاب العرائس: وقال بعضهم: ذو الكفل بشر بن أيّوب الصابر، بعثه الله بعد أبيه رسولاً إلى أرض الروم، فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه، ثمّ إنّ الله تعالى أمره بالجهاد فكاعوا عن ذلك وضعفوا.

وقالوا: يا بشر إنّا قوم نحبّ الحياة ونكره الموت، ومع ذلك نكره أن نعصي الله ورسوله، فإن سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا إلاّ إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه.

فقال لهم بشر بن أيّوب: لقد سألتموني عظيماً وكلفتموني شططاً، ثمّ إنّه قام وصلّى ودعا وقال:

«إلهي أمرتني أن نجاهد أعداءك، وأنت تعلم أنّي لا أملك إلاّ نفسي، وإنّ قومي قد سألوني ما أنت أعلم به منّي، فلا تأخذني بجريرة غيري، فإنّي أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك».

---

(١) مجمع البيان: ج ٧/ ص ١٠٧، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٠٦، باب ١٧، ذيل ح ٢.
(٢) تفسير البيضاوي: ج ٣/ ص ١٢٤، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٠٦، باب ١٧/ ذيل ح ٢.
(٣) مروج الذهب: ج ١/ ص ٦٩، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٠٦، باب ١٧/ ذيل ح ٢.

قال: وأوحى الله تعالى إليه: يا بشر إنّي سمعت مقالة قومك، وإنّي قد أعطيتهم ما سألوني، فطوّلت أعمارهم فلا يموتون إلاّ إذا شاؤوا، فكن كفيلاً لهم منّي بذلك، فبلّغهم بشر رسالة الله فسمّي ذا الكفل، ثمّ إنّهم توالدوا وكثروا ونموا حتّى ضاقت بهم بلادهم، وتنغّصت عليهم معيشتهم، وتأذّوا بكثرتهم، فسألوا بشراً أن يدعو الله تعالى أن يردّهم إلى آجالهم، فأوحى الله تعالى إلى بشر: أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم؟ ثمّ ردّهم إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم.

قال: فلذلك كثرت الروم حتّى يقال: إنّ الدنيا خمسة أسداسها الروم، وسمّوا روماً لأنّهم نسبوا إلى جدّهم روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

قال وهب: وكان بشر بن أيّوب مقيماً بالشام عمره حتّى مات، وكان عمره خمساً وتسعين سنة[1].



(١) عرائس المجالس: ص ١٤٤، والبحار: ج ١٣/ص ٤٠٦-٤٠٧، باب ١٧/ذيل ح ١٢.

قصص لقمان وحكمه

عن حمّاد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته الّتي ذكرها الله عزّ وجلّ، فقال: أما والله ما أُوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنه كان رجلاً قويّاً في أمر الله، متورّعاً في الله، ساكتاً، سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر، لم ينم نهاراً قطّ، ولم يره أحد من النّاس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدّة تستّره وعموق نظره وتحفّظه في أمره، ولم يضحك من شيء قطّ مخافة الإثم، ولم يغضب قطّ، ولم يمازح إنساناً قطّ، ولم يفرح لشيء إن أتاه من أمر الدنيا، ولا حزن منها على شيء قطّ، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدّم أكثرهم أفراطاً فما بكى على موت أحد منهم، ولم يمرّ برجلين يختصمان أو يقتتلان إلاّ أصلح بينهما، ولم يمض عنهما حتّى تحاجزا، ولم يسمع قولاً قطّ من أحد استحسنه إلاّ سأل عن تفسيره وعمّن أخذه، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة ممّا ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرّتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك، ويعتبر ويتعلّم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالتفكّر، ويداري نفسه بالعبر، وكان لا يظعن إلاّ فيما يعنيه، فبذلك أُوتي الحكمة، ومنح العصمة، وإنّ الله تبارك وتعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم فقالوا: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض، تحكم بين الناس؟

فقال لقمان: إن أمرني ربّي بذلك فالسمع والطاعة، لأنّه إن فعل بي ذلك أعانني عليه وعلّمني وعصمني، وإن هو خيّرني قبلت العافية.

فقالت الملائكة: يا لقمان لمَ؟

قال: لأنّ الحكم بين النّاس بأشدّ المنازل من الدين، وأكثر فتناً وبلاءً ما يخذل ولا يعان، ويغشاه الظلم من كلّ مكان، وصاحبه منه بين أمرين: إن أصاب فيه الحقّ فبالحريّ أن يسلم، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنّة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضعيفاً كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سريّاً شريفاً.

ومن اختار الدنيا على الآخرة يخسرهما كلتيهما، تزول هذه ولا تدرك تلك. قال: فتعجّبت الملائكة من حكمته، واستحسن الرحمن منطقه، فلمّا أمسى وأخذ مضجعه من اللّيل أنزل الله عليه الحكمة فغشّاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم، وغطّاه بالحكمة غطاءً، فاستيقظ وهو أحكم النّاس في زمانه، وخرج على الناس ينطق بالحكمة ويبيّنها فيها.

قال: فلمّا أُوتي الحكم ولم يقبلها أمر الله الملائكة فنادت داود بالخلافة فقبلها ولم يشترط فيها بشرط لقمان، فأعطاه الله الخلافة في الأرض وابتلي فيها غير مرّة، وكلّ ذلك يهوي في الخطاء يقيله الله ويغفر له.

وكان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام ويعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه، وكان يقول داود له: طوبى لك يا لقمان أُوتيت الحكمة، وصرفت عنك البليّة، وأُعطي داود الخلافة، وابتلي بالخطاء والفتنة.

ثمّ قال أبو عبد الله في قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١) قال: فوعظ لقمان ابنه بآثار حتّى تفطّر وانشقّ، وكان فيما وعظه به يا حمّاد أن قال:

يا بنيّ إنّك منذ سقطت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد.

يا بنيّ جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، ولا تجادلهم فيمنعوك، وخذ من الدنيا بلاغاً، ولا ترفضها فتكون عيالاً على الناس، ولا تدخل فيها دخولاً يضرّ

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

بآخرتك، وصم صوماً يقطع شهوتك، ولا تصم صياماً يمنعك من الصّلاة، فإنّ الصلاة أحبّ إلى الله من الصيام.

يا بنيّ إنّ الدنيا بحرٌ عميقٌ، قد هلك فيها عالمٌ كثيرٌ، فاجعل سفينتك فيها الإيمان، واجعل شراعها التوكّل، واجعل زادك فيها تقوى الله، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك.

يا بنيّ إن تأدَّبت صغيراً انتفعت به كبيراً، ومن عني بالأدب اهتمّ به، ومن اهتمّ به تكلّف علمه، ومن تكلّف علمه اشتدّ له طلبه، ومن اشتدَّ له طلبه أدرك منفعته فاتّخذه عادةً، فإنّك تخلف في سلفك، وتنفع به من خلفك، ويرتجيك فيه راغب، ويخشى صولتك راهب، وإيّاك والكسل عنه بالطلب لغيره، فإن غلبت على الدنيا فلا تغلبنّ على الآخرة، فإذا فاتك طلب العلم في مظانّه فقد غلبت على الآخرة، واجعل في أيّامك ولياليك وساعاتك لنفسك نصيباً في طلب العلم، فإنّك لم تجد له تضييعاً أشدّ من تركه، ولا تمارينَّ فيه لجوجاً، ولا تجادلنّ فقيهاً، ولا تعادينّ سلطاناً، ولا تماشينّ ظلوماً، ولا تصادقنّه، ولا تؤاخينّ فاسقاً، ولا تصاحبنّ متّهماً، واخزن علمك كما تخزن ورقك.

يا بنيّ خف الله خوفاً لو أتيت يوم القيامة ببرّ الثقلين خفت أن يعذّبك، وارج الله رجاءً لو وافيت القيامة بإثم الثقلين رجوت أن يغفر الله لك.

فقال له ابنه: يا أبه وكيف أُطيق هذا وإنّما لي قلب واحد؟

فقال له لقمان: يا بنيّ لو استخرج قلب المؤمن فشقّ لوجد فيه نوران: نور للخوف، ونور للرجاء، لو وزنا ما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذرّة، فمن يؤمن بالله يصدّق ما قال الله، ومن يصدّق ما قال الله يفعل ما أمر الله، ومن لم يفعل ما أمر الله لم يصدّق ما قال الله، فإنّ هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض، فمن يؤمن بالله إيماناً صادقاً يعمل لله خالصاً ناصحاً، ومن يعمل لله خالصاً ناصحاً فقد آمن بالله صادقاً، ومن يطع الله خافه، ومن خافه فقد أحبه، ومن أحبّه اتّبع أمره، ومن اتبع أمره استوجب جنّته ومرضاته، ومن لم يتّبع رضوان الله فقد هان عليه سخطه، نعوذ بالله من سخط الله.

يا بنيّ لا تركن إلى الدنيا، ولا تشغل قلبك بها، فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه منها، ألا ترى أنّه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين، ولم يجعل بلاءها عقوبةً للعاصين(١).

عن حمّاد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: كان فيما أوصى به لقمان ابنه ناتان أن قال له:

يا بنيّ ليكن ممّا تتسلح به على عدوّك فتصرعه المماسحة وإعلان الرضى عنه، ولا تزاوله بالمجانبة فيبدو له ما في نفسك فيتأهّب لك؛ يا بنيّ خف الله خوفاً لو وافيته ببرّ الثقلين خفت أن يعذّبك الله، وارج الله رجاءً لو وافيته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك.

يا بنيّ إنّي حملت الجندل والحديد وكلّ حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارات كلّها فلم أذق شيئاً أمرّ من الفقر(٢).

عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال له: يا بنيّ ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته في طلب الرزق أنّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره وأتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة، إنّ الله تبارك وتعالى سيرزقه في الحال الرابعة، أمّا أوّل ذلك فإنّه كان في رحم أُمّه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا يؤذيه حرّ ولا برد، ثمّ أخرجه من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أُمّه يكفيه به ويربّيه وينعشه من غير حول به ولا قوّة، ثمّ فطم من ذلك فأجرى له رزقاً من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتّى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة، حتّى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره وظنّ الظنون بربّه وجحد الحقوق في ماله، وقتر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق، وسوء يقين بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل، فبئس العبد هذا يا بنيّ(٣).

---

(١) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٣٩، والبحار: ج ١٣/ص ٤٠٩-٤١٢، باب ١٨/ح ٢.

(٢) أمالي الصدوق: ص/٥٣٢ مجلس ٩٥/ح ٥، والبحار: ج ١٣/ص ٤١٣، باب ١٨/ح ٣.

(٣) الخصال: ص ١٢٢/باب الثلاثة/ح ١١٤، والبحار: ج ١٣/ص ٤١٤، باب ١٨/ح ٥.

عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان لقمان عليه السلام يقول لابنه:

يا بنيّ إنّ الدنيا بحر وقد غرق فيها جيل كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وليكن جسرك إيماناً بالله، وليكن شراعها التوكّل، لعلّك يا بنيّ تنجو وما أظنّك ناجياً!

يا بنيَّ كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم ينتقصون في كلّ يوم، وكيف لا يعدّ لما يوعد من كان له أجل ينفد، يا بنيّ خذ من الدنيا بلغة، ولا تدخل فيها دخولاً تضرّ فيها بآخرتك، ولا ترفضها فتكون عيالاً على النّاس، وصم صياماً يقطع شهوتك، ولا تصم صياماً يمنعك من الصّلاة، فإنّ الصلاة أعظم عند الله من الصوم.

يا بنيّ لا تتعلّم العلم لتباهي به العلماء، أو تماري به السفهاء، أو ترائي به في المجالس، ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة.

يا بنيّ اختر المجالس على عينيك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس إليهم، فإنّك إن تكن عالماً ينفعك علمك ويزيدوك علماً، وإن تكن جاهلاً يعلّموك، ولعلّ الله تعالى أن يظلّهم برحمة فيعمّك معهم.

وقال: قيل للقمان: ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسأل عمّا كفيته، ولا أتكلّف ما لا يعنيني[١].

عن حمّاد بن عيسى، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا وعظ لقمان ابنه فقال: أنا منذ سقطت إلى الدنيا استدبرت واستقبلت الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دار أنت منها متباعد.

يا بنيّ لا تطلب من الأمر مدبراً، ولا ترفض منه مقبلاً، فإنّ ذلك يضلّ الرأي ويزري بالعقل.

يا بنيّ ليكن ممّا تستظهر به على عدوّك الورع عن المحارم، والفضل في دينك، والصيانة لمروّتك، والاكرام لنفسك أن تدنّسها بمعاصي الرحمن

(١) معاني الأخبار: ص ٢٥٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٤١٦-٤١٧، باب ١٨/ح ١٠.

ومساوي الأخلاق وقبيح الأفعال، واكتم سرّك، وأحسن سريرتك، فإنّك إذا فعلت ذلك أمنت بستر الله أن يصيب عدوّك منك عورة، أو يقدر منك على زلّة، ولا تأمننَّ مكره فيصيب منك غرّة في بعض حالاتك، وإذا استمكن منك وثب عليك ولم يقلك عثرة، وليكن ممّا تتسلّح به على عدوّك إعلان الرضى عنه، واستصغر الكثير في طلب المنفعة، واستعظم الصغير في ركوب المضرّة.

يا بنيّ لا تجالس النّاس بغير طريقتهم، ولا تحملنّ عليهم فوق طاقتهم فلا يزال جليسك عنك نافراً، والمحمول عليه فوق طاقته مجانباً لك، فإذا أنت فرد لا صاحب لك يؤنسك، ولا أخ لك يعضدك، فإذا بقيت وحيداً كنت مخذولاً وصرت ذليلاً، ولا تعتذر إلى من لا يحبُّ أن يقبل لك عذراً، ولا يرى لك حقّاً، ولا تستعن في أُمورك إلاّ بمن يحبُّ أن يتّخذ في قضاء حاجتك أجراً، فإنّه إذا كان كذلك طلب قضاء حاجتك لك كطلبه لنفسه، لأنّه بعد نجاحها لك كان ربحاً في الدنيا الفانية، وحظّاً وذخراً له في الدار الباقية، فيجتهد في قضائها لك، وليكن إخوانك وأصحابك الّذين تستخلصهم وتستعين بهم على أُمورك أهل المروّة والكفاف والثروة والعقل والعفاف، الّذين إن نفعتهم شكروك، وإن غبت عن جيرتهم ذكروك[1].

عن يحيى بن سعيد القطّان قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: قال لقمان عليه السلام: حملت الجندل والحديد وكلّ حمل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارات كلّها فما ذقت شيئاً أمرّ من الفقر.

يا بنيّ لا تتّخذ الجاهل رسولاً، فإن لم تصب عاقلاً حكيماً يكون رسولك فكن أنت رسول نفسك، يا بنيّ اعتزل الشرّ يعتزلك.

وقال الصادق صلوات الله عليه: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قيل للعبد الصالح لقمان: أيّ الناس أفضل؟

قال: المؤمن الغنيّ.

قيل: الغنيّ من المال؟

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٩٣، والبحار: ج ١٣/ ص ٤١٨، باب ١٨/ح ١٢.

فقال: لا، ولكن الغنيّ من العلم الّذي إن احتيج إليه انتفع بعلمه، فإن استغنى عنه اكتفى.

وقيل: فأيّ الناس أشرّ؟

قال: الّذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً[١].

قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ: اختلف في لقمان فقيل: إنّه كان حكيماً ولم يكن نبيّاً، عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة وأكثر المفسّرين.

وقيل: إنّه كان نبيّاً، عن عكرمة والسدّيّ والشعبيّ، وفسّروا الحكمة في الآية بالنبوّة.

وقيل: إنّه كان عبداً أسود حبشيّاً، غليظ المشافر، مشقوق الرجلين في زمن داود عليه السلام، وقال له بعض الناس: ألست كنت ترعى الغنم معنا؟

فقال: نعم.

فقال: من أين أُوتيت ما أرى؟

قال: قدر الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، والصمت عمّا لا يعنيني.

وقيل: إنّه كان ابن اخت أيّوب، عن وهب، وقيل: كان ابن خالة أيّوب، عن مقاتل.

وروي عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حقّاً أقول، لم يكن لقمان نبيّاً ولكنّه كان عبداً كثير التفكّر، حسن اليقين أحبّ الله فأحبّه ومنّ عليه بالحكمة، كان نائماً نصف النهار إذ جاء نداءٌ: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة؟ ثمّ ذكر نحواً ممّا مرّ في خبر حمّاد، ثمّ قال: ذكر أنّ مولى لقمان دعاه فقال: اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها، فأتاه بالقلب واللّسان[٢]، فسأله عن ذلك.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٩٧، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٢١، باب ١٨/ ح ١٦.

(٢) قال المصنف في حاشية الكتاب: كأن سقط هنا شيء، إذ روى البيضاوي. والثعلبي وغيرهما، أنه أمره بعد أيام بأن يذبح شاة، ويأتي بأخبث مضغتين منها، فأتي بهما أيضاً، فسأل عن ذلك فأجاب بما في المتن انتهى (منه رحمه الله) أقول: لعل السقط في نسخة المصنف أما النسخة التي لدينا من الجمع طبعة مؤسسة الأعلمي فهي كاملة.

فقال: إنّهما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا.

وقيل: إنّ مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان: إنّ طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد، ويورث الباسور، ويصعد الحرارة إلى الرأس، فاجلس هوناً، وقم هوناً؛ قال: فكتب حكمته على باب الحشّ.

قال عبد الله بن دينار: قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال: ما فعل أبي؟

قال: مات.

قال: ملكت أمري.

قال: ما فعلت امرأتي؟

قال: ماتت.

قال: جدّد فراشي.

قال: ما فعلت أُختي؟

قال: ماتت.

قال: سترت عورتي.

قال: ما فعل أخي؟

قال: مات.

قال: انقطع ظهري.

وقيل للقمان: أي الناس شرّ؟

قال: الّذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

وقيل له: ما أقبح وجهك!

قال: تعيب على النقش أو على فاعل النقش؟

وقيل: إنّه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد ليّن الله له الحديد كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلمّا أتمّها لبسها، وقال: نعم لبوس

الحرب أنت، فقال: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال له داود عليه السلام: بحقّ ما سمّيت حكيماً. انتهى(١).

وقال المسعوديّ: كان لقمان نوبيّاً مولى للقين بن حسر، ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام، وكان عبداً صالحاً، ومنّ الله عليه بالحكمة، ولم يزل في فيافي الأرض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيّام يونس بن متى، حتّى بعث إلى أهل نينوى من بلاد الموصل(٢).

عن يحيى بن عقبة الأزديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان فيما وعظ به لقمان ابنه:

يا بنيّ إنّ الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له، وإنّما أنت عبد مستأجر قد أُمرت بعمل ووعدت عليه أجراً، فأوف عملك واستوف أجرك، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتّى سمنت، فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخربها ولا تعمرها فإنّك لم تؤمر بعمارتها، واعلم أنّك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجلّ عن أربع:

١ - شبابك فيما أبليته.

٢ - وعمرك فيما أفنيته.

٣ - ومالك ممّا اكتسبته.

٤ - وفيما أنفقته فتأهّب لذلك، وأعدّ له جواباً، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا، فإنّ قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرك، وجدّ في أمرك، واكشف الغطاء عن وجهك وتعرّض لمعروف ربّك، وجدّد التوبة في قلبك، واكمش في فراقك قبل أن يقصد قصدك ويقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد(٣).

---

(١) مجمع البيان: ج ٨/ ص ٨٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٢٣-٤٢٥/ باب ١٨/ ذيل ح ١٨.

(٢) مروج الذهب: ج ١/ ص ٦٥، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٢٥، باب ١٨/ ذيل ح ١٨.

(٣) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٤٠٥، باب ذم الدنيا/ ح ٢٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٢٥-٤٢٦، باب ١٨/ ح ١٦.

قصة إشمويل عليه السلام
وطالوت وجالوت وتابوت السكينة

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ قال: لم يكن من سبط النبوّة ولا من سبط المملكة ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾.

وقال: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾(١) فجاءت به الملائكة تحمله، وقال الله جلّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ فشربوا منه إلاّ ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، منهم من اغترف، ومنهم من لم يشرب، فلمّا برزوا قال الّذين اغترفوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾.

وقال الّذين لم يغترفوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾(٢) (٣).

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام إنّ بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي وغيّروا دين الله وعتوا عن أمر ربّهم، وكان فيهم نبيّ يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه.

وروي أنّه أرميا النبيّ، فسلّط الله عليهم جالوت وهو من القبط فأذلّهم وقتل

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٣) روضة الكافي الموجود مع الأصول: ص ٨٢١/ح ٤٩٨، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٣٧-٤٣٨، باب ١٩/ح ١.

رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيّهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوّة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، لم يجمع الله لهم النبوّة والملك في بيت واحد، فمن ذلك قالوا: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

فقال لهم نبيّهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فغضبوا من ذلك وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ وكانت النبوّة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف لأُمّه، لم يكن من بيت النبوّة، ولا من بيت المملكة، فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قويّاً وكان أعلمهم إلاّ أنّه كان فقيراً فعابوه بالفقر، فقالوا: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وكان التابوت الّذي أنزله الله على موسى فوضعته فيه أُمّه وألقته في اليمّ، فكان في بني إسرائيل يتبرّكون به، فلمّا حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوّة وأودعه يوشع وصيّه فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وشرف ما دام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصي واستخفّوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلمّا سألوا النبيّ وبعث الله إليهم طالوت ملكاً يقاتل معهم ردّ الله عليهم التابوت، كما قال الله ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قال: البقيّة: ذرّيّة الأنبياء.

وقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(١) فإنّ التابوت كان يوضع بين يدي العدوّ وبين المسلمين فتخرج منه ريح طيّبة لها وجه كوجه الإنسان.

حدّثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام أنّه قال: السكينة ريح من الجنّة لها وجه كوجه الإنسان، وكان إذا وضع التابوت بين يدي المسلمين والكفّار فإن تقدّم التابوت رجل لا يرجع حتّى يغلب أو يقتل، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام، فأوحى الله إلى نبيّهم إنّ جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام اسمه داود بن إيشا، وكان إيشا راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود، فلمّا بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى إيشا أن احضر وأحضر ولدك، فلمّا حضروا دعا واحداً واحداً من ولده فألبسه الدرع درع موسى عليه السلام فمنهم من طال عليه، ومنهم من قصر عنه، فقال لإيشا: هل خلّفت من ولدك أحداً؟

قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً، فبعث إليه فجاء به فلمّا دعي أقبل ومعه مقلاع.

قال: فناداه ثلاث صخرات في طريقه.

فقالت: يا داود خذنا، فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش، قويّاً في بدنه شجاعاً، فلمّا جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوى عليه ففصل طالوت بالجنود، وقال لهم نبيّهم: يا بني إسرائيل: إنّ الله مبتليكم بنهر في هذه المفازة، فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب فهو من الله إلاّ من اغترف غرفة بيده، فلمّا وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغرف كلّ واحد منهم غرفة بيده فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم، فالّذين شربوا منه كانوا ستّين ألفاً، وهذا امتحان امتحنوا به كما قال الله.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: القليل الّذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت قال الّذين شربوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٤٦-٢٤٧.

وقال الّذين لم يشربوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فجاء داود عليه السلام فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوتة يلمع نورها، وجنوده بين يديه، فأخذ داود عليه السلام من تلك الأحجار حجراً فرمى به في ميمنة جالوت فمرّ في الهواء فوقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمى به في ميسرة جالوت فوقع عليهم فانهزموا، ورمى جالوت بحجر فصكّت الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميّتاً، وهو قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾(١) (٢).

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ﴾: اختلف في ذلك النبيّ فقيل: اسمه شمعون بن صفيّة من ولد لاوي، عن السدّيّ؛ وقيل: هو يوشع.

وقيل: هو إشمويل، وهو بالعربيّة إسماعيل، عن أكثر المفسّرين وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام: «ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله».

اختلف في سبب سؤالهم ذلك فقيل: كان سببه استذلال الجبابرة لهم لمّا ظهروا على بني إسرائيل وغلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيراً من ذراريهم بعد أن كانت الخطايا قد كثرت في بني إسرائيل، فبعث إليهم اشمويل نبيّاً فقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، عن الربيع والكلبيّ؛ وقيل: أرادوا قتال العمالقة فسألوا ملكاً يكون أميراً عليهم.

وقيل: بعث الله إشمويل نبيّاً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثمّ كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان، فقالوا لإشمويل: ابعث لنا ملكاً.

ثمّ قال رحمه الله: قيل: كان التابوت في أيدي أعداء بني إسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لمّا مرج أمر بني إسرائيل، وحدث فيهم الأحداث ثمّ انتزعه الله من أيديهم وردّه على بني إسرائيل تحمله الملائكة، عن ابن عبّاس ووهب وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٥٠-٢٥١.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٨٩، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٣٩-٤٤١، باب ١٩/ح ٤.

وقيل: كان التابوت الّذي أنزله الله على آدم فيه صور الأنبياء فتوارثته أولاد آدم عليه السلام، وكان في بني إسرائيل يستفتحون به على عدوّهم.

قال قتادة: كان في برّيّة التيه خلّفه هناك يوشع بن نون تحمله الملائكة إلى بني إسرائيل.

وقيل: كان قدر التابوت ثلاثة أذرع في ذراعين، عليه صفائح الذهب، وكان من شمشاد، وكانوا يقدّمونه في الحروب ويجعلونه أمام جندهم، فإذا سمع من جوفه أنين زفَّ التابوت أي سار، وكان الناس يسيرون خلفه فإذا سكن الأنين وقف فوقفوا[1].

عن ابن أسباط، عن أبي الحسن عليه السلام قال: السكينة ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان، ورائحة طيّبة، وهي الّتي أُنزلت على إبراهيم عليه السلام، فأقبلت تدور حول أركان البيت، وهو يضع الأساطين، قلنا هي من الّتي قال فيه: ﴿سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قال: تلك السكينة كانت في التابوت، وكانت فيها طست يغسل فيها قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء عليهم السلام ثمّ أقبل علينا فقال: فما تابوتكم؟

قلنا: السلاح.

قال: صدقتم هو تابوتكم. الخبر[2].

عن يونس، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته فقلت: جعلت فداك ما كان تابوت موسى وكم كان سعته؟

قال: ثلاث أذرع في ذراعين.

قلت: ما كان فيه؟

قال: عصا موسى والسكينة.

---

(١) مجمع البيان: ج ٢/ص ١٤٠، والبحار: ج ١٣/ص ٤٤١-٤٤٢، باب ١٩/ذيل ح ٤.

(٢) قرب الإسناد: ص ١٦٤، والبحار: ج ١٣/ص ٤٤٣، باب ١٩/ح ٥.

قلت: وما السكينة؟

قال: روح الله يتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون(١).

عن إسماعيل بن همّام، عن الرضا عليه السلام أنّه قال لرجل: أيّ شيء السكينة عندكم؟

فلم يدر القوم ما هي، فقالوا: جعلنا الله فداك ما هي؟

قال: ريح تخرج من الجنّة طيّبة لها صورة كصورة الإنسان، تكون مع الأنبياء عليهم السلام، وهي الّتي أُنزلت على إبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا، وبنى الأساس عليها(٢).

قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في السكينة فقيل: إنّ السكينة الّتي فيه كانت ريحاً هفّافة من الجنّة لها وجه كوجه الانسان، عن عليّ عليه السلام.

وقيل: كان له جناحان ورأس كرأس الهرّة من الزبرجد والزمرّد، عن مجاهد، وروي ذلك في أخبارنا.

وقيل: كان فيه آية يسكنون إليها، عن عطا.

وقيل: روح من الله يكلّمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف، عن وهب؛ واختلف في البقيّة أيضاً فقيل: إنّها عصا موسى ورضاض الألواح، عن ابن عبّاس وقتادة والسدّيّ، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام، وقيل: هي التوراة وشيء من ثياب موسى عليه السلام عن الحسن.

وقيل: وكان فيه لوحان أيضاً من التوراة وقفيز من المنّ الّذي كان ينزل عليهم، ونعلا موسى وعمامة هارون وعصاه، هذه أقوال أهل التفسير في السكينة والبقيّة.

والظاهر أنّ السكينة أمنة وطمأنينة جعلها الله سبحانه فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل، والبقيّة جائز أن يكون بقية من العلم، أو شيئاً من علامات الأنبياء، وجائز أن يتضمنهما جميعاً. وأمّا قوله: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ فقيل: حملته

(١) معاني الأخبار: ص ٢٨٤، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٤٣، باب ١٩/ح ٨.
(٢) عيون أخبار الرضا: ج ١/ ص ٢١٨، باب ٢٨/ ٨٠، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٤، باب ١٩/ح ٩.

الملائكة بين السماء والأرض حتّى رآه بنو إسرائيل عياناً، عن ابن عبّاس والحسن.

وقيل: لمّا غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام فأصبحت أصنامهم منكّسة فأخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فأخذهم وجع في أعناقهم وكلّ موضع وضعوه ظهر فيه بلاء وموت ووباء. فأُشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فأجمع رأيهم على أن يأتوا به ويحملوه على عجلة ويشدُّوها إلى ثورين، ففعلوا ذلك وأرسلوا الثورين فجاءت الملائكة وساقوا الثورين إلى بني إسرائيل. انتهى[1].

عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: وكان الملك في ذلك الزمان هو الّذي يسير بالجنود، والنبيّ يقيم له أمره وينبّئه الخبر من عند ربّه، فلمّا قالوا ذلك لنبيّهم قال لهم: إنّه ليس عندكم وفاء ولا صدق ولا رغبة في الجهاد.

فقالوا: إن كتب الله الجهاد فإذا أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلابدّ لنا من الجهاد ونطيع ربّنا في جهاد عدوّنا، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

فقالت عظماء بني إسرائيل: وما شأن طالوت يملك علينا وليس في بيت النبوّة والمملكة؟ وقد عرفت أنّ النبوّة والمملكة في اللاّوي ويهودا، وطالوت من سبط ابن يامين بن يعقوب، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ والملك بيد الله يجعله حيث يشاء ليس لكم أن تخيّروا، فإنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت من قبل الله، تحمله الملائكة فيه سكينة من ربّكم وبقيّة، وهو الّذي كنتم تهزمون به من لقيتم.

فقالوا: إن جاء التابوت رضينا وسلّمنا[2].

عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان داود وإخوة له أربعة،

(١) مجمع البيان: ج ٢/ ص ١٤٤، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٤٤، باب ١٩/ ذيل ح ٩.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ ص ١٥١/ ح ٤٣٨، والبحار: ج ١٣/ ص ٤٤٩-٤٥٠، باب ١٩/ ح ١١.

ومعهم أبوهم شيخ كبير، وتخلّف داود عليه السلام في غنم لأبيه، ففصل طالوت بالجنود فدعا أبوداود داود وهو أصغرهم.

فقال: يا بنيّ اذهب إلى إخوتك بهذا الّذي قد صنعناه لهم يتقوّون به على عدوّهم وكان رجلاً قصيراً أزرق، قليل الشعر، طاهر القلب فخرج وقد تقارب القوم بعضهم من بعض(١).

قال صاحب الكامل: لمّا انقطع إلياس عن بني إسرائيل بعث الله اليسع، فكان فيهم ما شاء الله ثمّ قبضه الله، وعظمت فيهم الأحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون، تحمله الملائكة، فكانوا لا يلقاهم عدوّ فيقدّمون التابوت إلاّ هزم الله العدوّ وكانت السكينة شبه رأس هرّ فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح؛ ثمّ خلف فيهم ملك يقال له إيلاف، وكان الله يمنعهم ويحميهم، فلمّا عظمت أحداثهم نزل بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فغلبهم عدوّهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا، فلمّا علم ملكهم أنّ التابوت أُخذ مات كمداً، ودخل العدوّ أرضهم ونهب وسبى وعاد فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف، وكانوا يتمادون أحياناً في غيّهم فيسلّط الله عليهم من ينتقم به منهم فإذا رجعوا إلى التوبة كفى الله عنهم شرّ عدوّهم، فكان هذا حالهم من لدن توفّي يوشع بن نون إلى أن بعث الله إشمويل، وملكهم طالوت وردّ عليهم التابوت، وكانت مدّة ما بين وفاة يوشع إلى أن رجعت النبوّة إلى إشمويل أربعمائة سنة وستّين سنة.

وكان من خبر إشمويل أنّ بني إسرائيل لمّا طال عليهم البلاء وطمع فيهم الأعداء وأُخذ التابوت عنهم فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلاّ خائفين، فقصدهم جالوت ملك الكنعانيّين، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم وضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة، فدعوا الله أن يبعث لهم نبيّاً يقاتلون معه، وكان سبط النبوّة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدّلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فولدت غلاماً سمّته

---

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ١٥٢، ح ٤٤٣، والبحار: ج ١٣/ص ٤٥١، باب ١٩/ح ١٦.

إشمويل، ومعناه سمع الله دعائي، وسبب هذه التسمية أنّها كانت عاقراً، وكان لزوجها امرأة أُخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة أولادها، فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً، فرحم الله تعالى انكسارها وحاضت لوقتها وقربت زوجها فحملت، فلمّا انقضت مدّة الحمل ولدت غلاماً فسمّته إشمويل، فلمّا كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلّم التوراة وكفّله شيخ من علمائهم وتبنّاه، فلمّا بلغ أن يبعثه الله نبيّاً أتاه جبرئيل وهو يصلّي فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ، فجاء إليه فقال: ما تريد؟

فكره أن يقول: لم أدع فيفزع.

فقال: ارجع ونم، فعاد جبرئيل لمثلها، فجاء إلى الشيخ فقال له: ما تريد؟

فقال: يا بنيّ عد، وإذا دعوتك فلا تجبني، فلمّا كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام وأمره بإنذار قومه وأعلمه أنّ الله بعثه رسولاً، فدعاهم فكذّبوه ثمّ أطاعوه، فأقام يدبّر أمرهم عشر سنين، وقيل: أربعين سنة، وكانت العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم في بني إسرائيل حتّى كادوا يهلكونهم، فلمّا رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبۡنَآئِنَا﴾ فدعا الله فأرسل إليه عصاً وقرناً فيه دهن، وقيل له: إنّ صاحبكم طوله طول هذه العصا، فإذا دخل عليك رجل فنشّ الدهن الّذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فدهن رأسه به وملّكه عليهم، فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها، وقيل: كان طالوت دبّاغاً.

وقيل: كان سقّاءً يستقي الماء ويبيعه فضلّ حماره فانطلق يطلبه، فلمّا اجتاز بالمكان الّذي فيه إشمويل دخل يسأله أن يدعو له ليردّ الله حماره، فلمّا دخل نشّ الدهن فقاسوه بالعصا فكان مثلها.

فقال لهم نبيّهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾ فقالوا له: ما كنت قطّ أكذب منك الساعة ونحن من سبط الملك، ولم يؤت سعة من المال فنتّبعه؟

فقال إشمويل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾.

فقالوا: إن كنت صادقاً فأت بآية.

فقال: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الآية، فحملته الملائكة وأتت به إلى طالوت نهاراً بين السماء والأرض والناس ينظرون، فأخرجه طالوت إليهم فأقرُّوا بملكه ساخطين، وخرجوا معه كارهين، وهم ثمانون ألفاً، فلمّا خرجوا قال لهم طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ وهو نهر فلسطين.

وقيل: هو الأُردنّ، فشربوا منه إلاّ قليلاً وهم أربعة آلاف، فمن شرب منه عطش، ومن لم يشرب منه إلاّ غرفة روي، فلمّا جاوزه هو والّذين آمنوا معه لقيهم جالوت وكان ذا بأس شديد، فلمّا رأوه رجع أكثرهم وقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ ولم يبق معه غير ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً عدّة أهل بدر، فلمّا رجع من رجع قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وكان فيهم أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابناً، وكان داود عليه السلام أصغر بنيه وقد خلّفه يرعى لهم ويحمل إليهم الطعام، وكان قد قال لأبيه ذات يوم: يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئاً إلاّ صرعته، وقال له: لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبت عليه وأخذت بأُذنيه ولم أخفه، ثمّ أتاه يوماً آخر فقال له: إنّي لأمشي بين الجبال فأُسبّح فلا يبقى جبل إلاّ سبّح معي.

قال: أبشر فإنّ هذا خير أعطاكه الله، فأرسل الله تعالى إلى النبيّ الّذي مع طالوت قرناً فيه دهن وتنّوراً من حديد، فبعث الله إلى طالوت وقال: إنّ صاحبكم الّذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلي حتّى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه إلى وجهه، ويبقى على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التنّور فيملؤه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم فلم يوافقه منهم أحد، فأحضر داود من رعيه فمرّ في طريقه بثلاثة أحجار، فكلّمنه وقلن: خذنا يا داود فاقتل بنا جالوت، فأخذهنّ وجعلهنّ في مخلاته وكان طالوت قد قال: من قتل جالوت زوجته ابنتي، وأجريت خاتمه في مملكتي، فلمّا جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتّى ادّهن منه، ولبس التنّور فملأه، وكان داود مسقاماً أزرق مصفارًّا، فلمّا دخل في التنّور تضايق عليه حتّى ملأه وفرح إشمويل وطالوت وبنو إسرائيل بذلك، وتقدّموا إلى جالوت وصفّوا للقتال، وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار

ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت فوقع الحجر بين عينيه ونقبت رأسه وقتلته، ولم يزل الحجر يقتل كلّ من أصابته ينفذ منه إلى غيره، فانهزم عسكر جالوت بإذن الله، ورجع طالوت فأنكح ابنته داود، وأجرى خاتمه في ملكه فمال النّاس إلى داود وأحبّوه[١].

قال الصادق عليه السلام: مسجد السهلة هو بيت إدريس عليه السلام الّذي كان يخيط فيه، وهو الموضع الّذي خرج منه إبراهيم إلى العمالقة، وهو الموضع الّذي خرج منه داود إلى جالوت[٢].



(١) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ١٨٣، والبحار: ج ١٣/ص ٤٥٢-٤٥٥، باب ١٩/ذيل ح ١٧.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١/ح ٦٩٧، والبحار: ج ١٣/ص ٤٥٩، باب ١٩/ح ٢١.

قصص داود عليه السلام

عمره ووفاته وفضائله وما أعطاه الله
ومنحه وعلل تسميته وكيفيّة حكمه وقضائه

عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مات داود النبيّ عليه السلام يوم السبت مفجوءاً، فأظلّته الطير بأجنحتها، ومات موسى كليم الله في التيه فصاح صائح من السماء: مات موسى وأيّ نفس لا تموت؟[1].

عن هشام بن سالم، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلاّ أربعة بعد نوح: ذو القرنين وإسمه عيّاش، وداود، وسليمان، ويوسف عليهم السلام.

فأمّا عيّاش: فملك ما بين المشرق والمغرب.

وأمّا داود: فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر وكذلك ملك سليمان.

وأمّا يوسف: فملك مصر وبراريّها لم يجاوزها إلى غيرها[2].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] قال: إنّ الله عزّ وجلّ أعطى داود وسليمان ما لم يعط أحداً من أنبياء الله من الآيات: علّمهما منطق الطير، وألان لهما الحديد والصفر من غير نار، وجعلت الجبال يسبّحن مع داود، وأنزل عليه الزبور، فيه توحيد وتمجيد ودعاء وأخبار رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله

---

(١) الكافي: ج ٣/ص ٥٩، باب ٧٢/ح ٤، والبحار: ج ١٤/ص ٢، باب ١/ح ١.
(٢) الخصال: ص ٢٤٨، باب الأربعة: ح ١١٠، والبحار: ج ١٤/ص ٢، باب ١/ح ٥.
(٣) سورة النمل، الآية: ١٥.

عليهما والأئمّة عليهم السلام وأخبار الرجعة وذكر القائم عليه السلام لقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1] [2].

عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام كان يدعو أن يلهمه الله القضاء بين النّاس بما هو عنده تعالى الحقّ، فأوحى إليه: يا داود إنّ الناس لا يحتملون ذلك، وإنّي سأفعل، وارتفع إليه رجلان فاستعداه أحدهما على الآخر فأمر المستعدى عليه أن يقوم إلى المستعدي فيضرب عنقه ففعل، فاستعظمت بنو إسرائيل ذلك وقالت: رجل جاء يتظلّم من رجل فأمر الظالم أن يضرب عنقه!

فقال: ربّ أنقذني من هذه الورطة.

قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا داود سألتني أن أُلهمك القضاء بين عبادي بما هو عندي الحقّ، وإنَّ هذا المستعدي قتل أبا هذا المستعدى عليه، فأمرت فضربت عنقه قوداً بأبيه وهو مدفون في حائط كذا وكذا تحت شجرة كذا، فأته فناده باسمه فإنّه سيجيبك فسله، قال: فخرج داود عليه السلام وقد فرح فرحاً شديداً لم يفرح مثله فقال لبني إسرائيل: قد فرَّج الله، فمشى ومشوا معه فانتهى إلى الشجرة فنادى: يا فلان.

فقال: لبّيك يا نبيّ الله.

قال: من قتلك؟

قال: فلان.

فقالت بنو إسرائيل: لسمعناه يقول: يا نبيّ الله، فنحن نقول كما قال.

فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنّ العباد لا يطيقون الحكم بما هو عندي الحكم، فسل المدّعي البيّنة، وأضف المدّعى عليه إلى اسمي[3].

عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام سأل ربّه أن يريه قضيّة من قضايا الآخرة.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٢٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣، باب ١/ح ٦.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٠، والبحار: ج ١٤/ص ٥-٦، باب ١/ح ١٣.

فأوحى الله إليه: يا داود إنّ الّذي سألتني لم أُطلع عليه أحداً من خلقي ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيري.

قال: فلم يمنعه ذلك أن عاد فسأل الله أن يريه قضيّة من قضايا الآخرة.

قال: فأتاه جبرائيل فقال: لقد سألت ربّك شيئاً ما سأله قبلك نبيّ من أنبيائه صلوات الله عليهم، يا داود إنّ الّذي سألت لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه، ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيره، فقد أجاب الله تعالى دعوتك وأعطاك ما سألت، إنّ أوّل خصمين يردان عليك غداً القضية فيهما من قضايا الآخرة، فلمّا أصبح داود وجلس في مجلس القضاء أتى شيخ متعلّق بشابّ ومع الشابّ عنقود من عنب.

فقال الشيخ: يا نبيّ الله إنّ هذا الشابّ دخل بستاني، وخرّب كرمي، وأكل منه بغير إذني.

قال: فقال داود للشابّ: ما تقول؟

فأقرّ الشابُّ بأنّه قد فعل ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إن كشفت لك من قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والغلام لم يحتملها قلبك، ولا يرضى بها قومك، يا داود إنّ هذا الشيخ اقتحم على والد هذا الشابّ في بستانه فقتله، وغصبه بستانه، وأخذ منه أربعين ألف درهم، فدفنها في جانب بستانه فادفع إلى الشابّ سيفاً ومره أن يضرب عنق الشيخ، وادفع إليه البستان ومره أن يحفر في موضع كذا من البستان ويأخذ ماله.

قال: ففزع داود عليه السلام من ذلك، وجمع علماء أصحابه وأخبرهم الخبر، وأمضى القضيّة على ما أوحى الله إليه[1].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان على عهد داود عليه السلام سلسلة يتحاكم الناس إليها، وإنّ رجلاً أودع رجلاً جوهراً فجحده إيّاه فدعاه إلى سلسلة فذهب معه إليها، وقد أدخل الجوهر في قناة، فلمّا أراد أن يتناول السلسلة

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٠، والبحار: ج ١٤/ص ٦-٧، باب ١/ح ١٤.

قال له: أمسك هذه القناة حتّى آخذ السلسلة، فأمسكها ودنا الرجل من السلسلة فتناولها وأخذها وصارت في يده.

فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أن احكم بينهم بالبيّنات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به، ورفعت السلسلة[١].

عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: عاش داود مائة سنة، منها أربعون سنة ملكه[٢].

عن عليّ بن مهزيار، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا عرض على آدم ولده نظر إلى داود فأعجبه فزاده خمسين سنة من عمره.

قال: ونزل عليه جبرئيل وميكائيل فكتب عليه ملك الموت صكّاً بالخمسين سنة.

فلمّا حضرته الوفاة نزل عليه ملك الموت، فقال آدم: قد بقي من عمري خمسون سنة، فقال: فأين الخمسون الّتي جعلتها لابنك داود؟

قال: فإمّا أن يكون نسيها أو أنكرها، فنزل عليه جبرئيل وميكائيل وشهدا عليه فقبضه ملك الموت.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: وكان أوّل صكّ كتب في الدنيا[٣].

عن أبان بن عثمان، عمّن أخبر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في كتاب عليّ عليه السلام: إنّ نبياً من الأنبياء شكا إلى ربّه القضاء.

فقال: كيف أقضي بما لم تر عيني ولم تسمع أُذني؟

فقال: اقض بينهم بالبيّنات وأضفهم إلى اسمي يحلفون به.

وقال: إنّ داود عليه السلام قال: يا ربّ أرني الحقّ كما هو عندك حتّى أقضي به.

فقال: إنّك لا تطيق ذلك، فألحّ على ربّه حتّى فعل، فجاءه رجل يستعدي على رجل.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٨، باب ١/ ح ١٦.

(٢) كمال الدين: ص ٤٧٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٨، باب ١/ ح ١٧.

(٣) الكافي: ج ٧/ ص ١٤١٢، باب ٢٢٧، ح ٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٨-٩، باب ١/ ح ١٨.

فقال: إنّ هذا أخذ مالي.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود: إنّ هذا المستعدي قتل أبا هذا وأخذ ماله، فأمر داود بالمستعدي فقتل فأخذ ماله فدفعه إلى المستعدى عليه.

قال: فعجب الناس وتحدّثوا حتّى بلغ داود عليه السلام ودخل عليه من ذلك ما كره، فدعا ربّه أن يرفع ذلك ففعل، ثمَّ أوحى الله عزّ وجلّ إليه أن احكم بينهم بالبيّنات، وأضفهم إلى اسمي يحلفون به[١].

عن السمنديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنّك نعم العبد لولا أنّك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً.

قال: فبكى داود عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى الحديد: أن لن لعبدي داود، فألان الله تعالى له الحديد، فكان يعمل كلّ يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل عليه السلام ثلاث مائة وستّين درعاً فباعها بثلاث مائة وستّين ألفاً، واستغنى عن بيت المال[٢].

روى عبد الله بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمّد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه[٣].

قال صاحب الكامل: كان داود بن إيشا من أولاد يهودا، وكان قصيراً أزرق، قليل الشعر، فلمّا قتل طالوت أتى بنو إسرائيل داود وأعطوه خزائن طالوت وملّكوه عليهم.

وقيل: إنّ داود ملك قبل أن يقتل جالوت، فلمّا ملك جعله الله نبيّاً ملكاً، وأنزل عليه الزبور وعلّمه صنعة الدروع، وألان له الحديد، وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبّح، ولم يعط الله أحداً مثل صوته، كان إذا قرأ الزبور تدنو

(١) الكافي: ج ٧/ص ٤٣٢، باب ٢٥٩/٣٩، والبحار: ج ١٤/ص ١٠-١١، باب ١/ح ١٩.
(٢) روضة الكافي الموجود مع الأصول: ص ٧٤٢/ح ١٠٩، والبحار: ج ١٤/ص ١٣، باب ١/ح ٢١.
(٣) الإرشاد للمفيد: ص ٣٦٥، والبحار: ج ١٤/ص ١٤، باب ١/ح ٢٣.

الوحش حتّى يؤخذ بأعناقها، وكان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم اللّيل، ويصوم نصف الدهر، وكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف وكان يأكل من كسب يده أربعة آلاف.

قيل: أصاب الناس في زمان داود عليه السلام طاعون جارف، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فلهذا قصده ليدعو فيه، فلمّا وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجاب الله ورفع الطاعون، فاتّخذوا ذلك الموضع مسجداً، وكان الشروع في بنائه لأحد عشر سنة مضت من ملكه، وتوفّي قبل أن يستتمّ بناؤه وأوصى إلى سليمان بإتمامه.

ثمّ إنّ داود عليه السلام توفّي، وكانت له جارية تغلق الأبواب كلّ ليلة وتأتيه بالمفاتيح ويقوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلاً، فقالت: من أدخلك الدار؟

قال: أنا الّذي أدخل على الملوك بغير إذن.

فسمع داود عليه السلام قوله فقال: أنت ملك الموت؟

فهلاّ أرسلت إليّ فأستعدّ للموت؟

قال: قد أرسلنا إليك كثيراً.

قال: من كان رسولك؟

قال: أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك؟

قال: ماتوا.

قال: فهم كانوا رسلي إليك بأنّك تموت كما ماتوا، ثمّ قبضه، فلمّا مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوّته، وكان له تسعة عشر ولداً، فورثه سليمان دونهم، وكان عمر داود عليه السلام لمّا توفّي مائة، صحّ ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت مدّة ملكه أربعين سنة[١].

(١) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ١٩٢-١٩٦، والبحار: ج ١٤/ص ١٤-١٥، باب ١/ذيل ح ٢٣.

الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة قال: وإن شئت ثلّثت بداود عليه السلام صاحب المزامير، وقارئ أهل الجنّة، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيّكم يكفيني بيعها؟ ويأكل قرص الشعير من ثمنها[١].

وقال ابن أبي الحديد: إنّ داود عليه السلام أُعطي من طيّب النغم ولذّة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لأجله تقع عليه وهو في محرابه، والوحش تسمعه، فتدخل بين النّاس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته. وسفائف الخوص جمع سفيفة وهي النسيجة منه. والخوص: ورق النخل[٢].

عن ابن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام لمّا وقف الموقف بعرفة نظر إلى الناس وكثرتهم، فصعد الجبل فأقبل يدعو، فلمّا قضى نسكه أتاه جبرئيل فقال له: يا داود يقول لك ربّك: لمَ صعدت الجبل؟ ظننت أنّه يخفى عليّ صوت من صوت؟! ثمّ مضى به إلى البحر إلى جدّة فرسب به في الماء مسيرة أربعين صباحاً في البرّ، فإذا صخرة ففلقها فإذا فيها دودة.

فقال: يا داود يقول لك ربّك: أنا أسمع صوت هذه في بطن هذه الصخرة في قعر هذا البحر، فظننت أنّه يخفى عليّ صوت من صوت؟![٣].

عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال داود النبيّ عليه السلام: لأعبدنّ الله اليوم عبادة ولأقرأنّ قراءة لم أفعل مثلها قطّ، فدخل محرابه ففعل، فلمّا فرغ من صلاته إذا هو بضفدع في المحراب، فقال له: يا داود أعجبك اليوم ما فعلت من عبادتك وقراءتك؟

فقال: نعم.

فقال: لا يعجبنّك، فإنّي أُسبّح الله في كلّ ليلة ألف تسبيحة يتشعّب لي مع كلّ تسبيحة ثلاثة آلاف تحميدة، وإنّي لأكون في قعر الماء فيصوّت الطير في الهواء فأحسبه جائعاً فأطفو له على الماء ليأكلني وما لي ذنب[٤].

---

(١) نهج البلاغة: ص ٣٢١/ خطبة ١٥٨، والبحار: ج ١٤/ ص ١٥، باب ١/ ح ٢٥.
(٢) شرح النهج: ج ٢/ ص ٤٧١، والبحار: ج ١٤/ ص ٥، باب ١/ ذيل ح ٢٥.
(٣) الكافي: ج ٤/ ص ٣٤٣، باب ٥٦/ ح ٢، والبحار: ج ١٤/ ص ١٦، باب ١/ ح ٢٧.
(٤) البحار: ج ١٤/ ص ١٦-١٧، باب ١/ ح ٢٨، ح ٢٩ وأورده المسعودي أيضاً في أثبات الوصية.

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ داود النبيّ عليه السلام كان ذات يوم في محرابه إذ مرّت به دودةٌ حمراء صغيرة تدبّ حتّى انتهت إلى موضع سجوده، فنظر إليها داود وحدَّث في نفسه: لمَ خلقت هذه الدودة؟

فأوحى الله إليها: تكلّمي.

فقالت له: يا داود هل سمعت حسّي أو استبنت على الصفا أثري؟

فقال لها داود: لا.

قالت: فإنّ الله يسمع دبيبي ونفسي وحسّي ويرى أثر مشيي فاخفض من صوتك(١).

عرائس الثعلبيّ: قال وهب: إنّ داود عليه السلام لمّا تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ له دمعة ليلاً ولا نهاراً، فقسم الدهر على أربعة أيّام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه، ويوم يسبّح فيه في الفيافي والجبال والساحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الشجر والمدر والرمال والطير والوحوش والحيتان ودوابّ البحر وطير الماء والسباع، ويبكي معه الجبال والحجارة والدوابّ والطير حتّى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثمّ يجيء إلى البحار فيرفع صوته بالمزامير ويبكي فتبكي معه الحيتان ودوابُّ البحر، فإذا أمسى رجع، وإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه: إنّ اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده.

قال: فيدخل الدار الّتي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها اللّيف فيجلس عليها ويجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصيّ، فيجلسون في تلك المحاريب، ثمَّ يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم، فلا يزال يبكي حتّى يغرق الفراش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله،

(١) المصدر السابق.

ويأخذ داود من تلك الدموع بكفّيه ثمّ يمسح بها وجهه ويقول: يا ربّ اغفر ما ترى، فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الدنيا ودموعهم لعدلها.

وقال وهب: لمّا تاب الله على داود عليه السلام كان يبدأ بالدعاء ويستغفر للخاطئين قبل نفسه، فيقول: اللّهمَّ اغفر للخاطئين، فعساك تغفر لداود معهم.

وروي أنّه عليه السلام كان بعد الخطيئة لا يجالس إلاّ الخاطئين، ثمّ يقول: تعالوا إلى داود الخاطئ، ولا يشرب شراباً إلاّ وهو ممزوج بدموع عينيه، وكان يذرّ عليه الملح والرماد فيقول وهو يأكل: هذا أكل الخاطئين، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف اللّيل ويصوم نصف الدهر، وبعدها صام الدهر كلّه، وقام اللّيل كلّه(١).

قصة داود عليه السلام وأوريا وما صدر عنه من ترك الاولى وما جرى بينه وبين حزقيل عليهما السلام

عن أبي الصلت الهرويّ قال: سأل الرضا عليه السلام عليّ بن محمّد بن الجهم فقال: ما يقول من قبلكم في داود عليه السلام؟

فقال: يقولون: إنّ داود عليه السلام كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار، فخرج في أثره، فطار الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار اوريا بن حنان، فاطلع داود عليه السلام في أثر الطير فإذا بامرأة اوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها، وكان قد أخرج اوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم اوريا أمام الحرب، فقدّم فظفر اوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية أن قدّمه أمام التابوت فقدّم فقتل اوريا رحمه الله وتزوّج داود بامرأته.

قال: فضرب عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيّاً من أنبياء الله عليهم السلام إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير، ثمَّ بالفاحشة، ثمَّ بالقتل.

---

(١) عرائس المجالس: ص ٢٥٣، والبحار: ج ١٤/ ص ١٧-١٨، باب ١/ ذيل ح ٢٩.

فقال: يا ابن رسول الله فما كانت خطيئته؟

فقال عليه السلام: ويحك إنّ داود عليه السلام إنّما ظنّ أن ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ فعجّل داود عليه السلام على المدّعى عليه فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ ولم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول له: ما تقول؟

فكان هذا خطيئة حكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾(١) إلى آخر الآية؟

فقال: يا ابن رسول الله فما قصّته مع اوريا؟

قال الرضا عليه السلام: إنّ المرأة في أيّام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام فتزوج بامرأة اوريا لمّا قتل وانقضت عدّتها منه، فذلك الّذي شقّ على أوريا(٢).

عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: إنّ داود عليه السلام خرج ذات يوم يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع إلاّ جاوبه، فما زال يمرّ حتّى انتهى إلى جبل، فإذا على ذلك الجبل نبيّ عابد يقال له حزقيل، فلمّا سمع دويّ الجبال وأصوات السباع والطير علم أنّه داود عليه السلام، فقال داود: يا حزقيل أتأذن لي فأصعد إليك؟

قال: لا.

فبكى داود عليه السلام فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا حزقيل لا تعيّر داود وسلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد داود فرفعه إليه.

فقال داود: يا حزقيل هل هممت بخطيئة قطُّ؟

(١) سورة ص، الآيات: ٢٢-٢٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ١٧١، باب ١٤/ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٣-٢٤، باب ٢/ح ٢.

قال: لا.

قال: فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عبادة الله عزّوجلّ؟

قال: لا.

قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذّتها؟

قال: بلى ربّما عرض بقلبي.

قال: فماذا تصنع إذا كان ذلك؟

قال: أدخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه.

قال: فدخل داود النبيّ عليه السلام الشعب فإذا سرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية؛ وإذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود عليه السلام فإذا هي: أنا أروى سلم ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وافتضضت ألف بكر، فكان آخر أمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، والديدان والحيّات جيراني، فمن رآني فلا يغترَّ بالدُّنيا[1].

دخل داود غاراً من غيران بيت المقدس فوجد حزقيل يعبد ربّه وقد يبس جلده على عظمه فسلّم عليه، فقال: أسمع صوت شبعان ناعم، فمن أنت؟

قال: أنا داود.

قال: الّذي له كذا وكذا امرأة؟ وكذا وكذا أمة؟

قال: نعم، وأنت في هذه الشدّة؟!

قال: ما أنا في شدة، ولا أنت في نعمة حتّى تدخل الجنّة[2].

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول فيما يقول الناس في داود وامرأة اوريا؟

فقال: ذلك شيء تقوله العامّة[3].

---

(١) كمال الدين: ص ٤٧٥، وأمالي الصدوق: ص ٨٨/ مجلس ٢١/ح ٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٥، باب ٢/ح ٣.

(٢) تنبيه الخواطر: ج ١/ ص ٦٧، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٥-٢٦، باب ٢/ح ٤.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٦، باب ٢/ح ٥ و٦.

عن الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو أخذت أحداً يزعم أنّ داود عليه السلام وضع يده عليها لحددته حدّين: حدّاً للنبوّة، وحدّاً لما رماه به[(١)].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، ويوسف، وداود، فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ فقال:

أمّا آدم عليه السلام: فبكى حين أُخرج من الجنّة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء فبكى حتّى تأذّى به أهل السماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته.

فأمّا داود: فإنّه بكى حتّى هاج العشب من دموعه، وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه.

وأمّا يوسف عليه السلام: فإنّه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذّى به أهل السجن، فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً[(٢)].

عرائس الثعلبيّ: قال: لمّا علم داود بعد نزول الملكين أنّهما نزلا لتنبيهه على الخطاء خرّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة، ثمّ يعود ساجداً ثمّ لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة لا بدّ منها، ثمّ يعود فيسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتّى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربّه عزّ وجلّ ويسأله التوبة، وكان يقول في سجوده:

«سبحان الملك الأعظم الّذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور؛ إلهي لم أتّعظ بما وعظت به غيري.

سبحان خالق النور؛ إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا صائر إليه.

سبحان خالق النور؛ إلهي يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عنّي.

سبحان خالق النور؛ إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج الرحيم فنسيت عهدك.

سبحان خالق النور؛ الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال: هذا داود الخاطئ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البحار: ١٤/ص ٢٦ - ٢٧/ ح ٧.

سبحان خالق النور؛ إلهي بأيّ عين أنظر إليك يوم القيامة وإنّما ينظر الظالمون من طرف خفيّ؟

إلهي بأيّ قدم أقوم أمامك يوم تزلّ أقدام الخاطئين؟ سبحان خالق النور.

إلهي الخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور.

إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلاّ من عند سيّده؟

سبحان خالق النور؛ إلهي مطرت السماء ولم تمطر حولي.

سبحان خالق النور؛ إلهي أعشبت الأرض ولم تعشب حولي لخطيئتي، سبحان خالق النور.

إلهي أنا الّذي لا أُطيق حرّ شمسك فكيف أُطيق حرّ نارك؟ سبحان خالق النور.

إلهي أنا الّذي لا أُطيق صوت رعدك فكيف أُطيق صوت جهنّم؟ سبحان خالق النور.

إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم وأنت شاهدهم حيث كانوا، سبحان خالق النور.

إلهي قرح الجبين وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدي، سبحان خالق النور؛ إلهي تسبّح لك الطير بأصوات ضعاف تخافك وأنا العبد الخاطئ الّذي لم أرع وصيّتك، سبحان خالق النور؛ إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الّذي أصاب.

سبحان خالق النور إلهي أسألك يا إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن تعطيني سؤلي، فإنّ إليك رغبتي.

سبحان خالق النور؛ اللّهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك بهواي، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من دعوة لا تستجاب، وصلاة لا تقبل، وعمل لا يقبل سبحان خالق النور؛ اللّهمّ اغفر لي بنور وجهك الكريم ذنوبي الّتي أوبقتني سبحان خالق النور؛ إلهي فررت إليك بذنوبي، واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين، سبحان خالق النور؛ إلهي قرح الجبين وفنيت

الدموع، وتناثر الدود من ركبتي، وخطيئتي ألزم بي من جلدي، سبحان خالق النور».

قالوا: فأتاه نداء: يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أم ظمآن أنت فتسقى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ ولم يجبه في ذكر خطيئته، فصاح صيحة هاج ما حوله، ثمَّ نادى: يا ربّ الذنب الّذي أصبت.

فنودي: يا داود ارفع رأسك، فقد غفرت لك، فلم يرفع رأسه حتّى جاءه جبرئيل فرفعه.

وروي أنّه لمّا نادى اوريا فلم يجبه بعد ذكر ما فعل بزوجته قام عند قبره، وجعل يحثو التراب على رأسه، ثمَّ نادى: الويل لداود ثمّ الويل لداود، سبحان خالق النور.

الويل لداود ثمّ الويل له حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور.

الويل لداود ثمّ الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور؛ الويل لداود ثمّ الويل الطويل له حين تقرّبه الزبانية مع الظالمين إلى النار. سبحان خالق النور.

قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، واستجبت دعاءك، وأقلت عثرتك[1].

قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في استغفار داود عليه السلام من أيّ شيء كان؟

فقيل: إنّه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى، والخضوع له، والتذلّل بالعبادة والسجود، كما حكى سبحانه عن إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[2] وأمّا قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ فالمعنى أنّا قبلناه منه وأثبناه عليه، فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[3]

(١) عرائس المجالس: ص ٢٥١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٧-٢٩، باب ٢/ ذيل ح ٨.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾(١) فلمّا كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في جوابه: «غفرنا» وهذا قول من ينزّه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإماميّة وغيرهم، ومن جوّز على الأنبياء الصّغائر قال: إنّ استغفاره عليه السلام كان لصغيرة.

ثمَّ إنّهم اختلفوا في ذلك على وجوه: أحدها أنّ اوريا بن حنّان خطب امرأة فكان أهلها أرادوا أن يزوّجوها منه، فبلغ داود جمالها فخطبها أيضاً فزوّجوها منه وقدّموه على اوريا، فعوتب داود عليه السلام على الحرص على الدنيا، عن الجبائيّ.

وثانيها: أنّه أخرج اوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته، فعوتب على ذلك بنزول الملكين.

وثالثها: أنّه كان في شريعته أنّ الرجل إذا مات وخلّف امرأة فأولياؤه أحقّ بها إلاّ أن يرغبوا عن التزويج بها، فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوّج بها، فلمّا قتل اوريا خطب داود امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته أولياءه أن يخطبوها فعوتب على ذلك.

ورابعها: أنّ داود كان متشاغلاً بالعبادة فأتاه رجل وامرأة محاكمين إليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح، فمالت نفسه ميل الطباع، ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربّه، فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب.

وخامسها: أنّه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبّت، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عمّا عنده فيه، ولا يحكم عليه قبل ذلك، وإنّما أنساه التثبّت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العادة. انتهى(٢).

وقال الرازيّ بعد ردّ الرواية المشهورة والطعن فيها وإقامة الدلائل على بطلانها وذكر بعض الوجوه السابقة وتزييفها:

روي أنّ جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبيّ الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربّه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوّروا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٨/ ص ٣٥٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٠-٣١، باب ٢/ ذيل ح ٨.

المحراب فلمّا دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعونه منهم فخافوا ووضعوا كذباً فقالوا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى آخر القصّة.

وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يحتجّ به في إلحاق الذنب بداود إلاّ ألفاظ أربعة:

أحدها: قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾.

وثانيها: قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾.

وثالثها: قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾.

ورابعها: قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾(١).

ثمّ نقول: وهذه الألفاظ لا يدلّ شيء منها على ما ذكروه، وتقريره من وجوه:

الأوّل: أنّهم لمّا دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه السلام دعاه الغضب إلى أن يشتغل بالانتقام منهم إلاّ أنّه مال إلى التصفّح والتجاوز عنهم طلباً لمرضات الله تعالى، فكانت هذه الواقعة هي الفتنة، لأنّها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، ثمّ إنّه استغفر ربّه ممّا همّ به من الانتقام منهم، وتاب عن ذلك الهمّ وأناب، فغفرنا له ذلك القدر من الهمّ والعزم.

والثاني: أنّه وإن غلب على ظنّه أنّهم دخلوا عليه ليقتلوه إلاّ أنّه ندم على ذلك الظنّ، وقال: لمّا لم تقم دلالة ولا أمارة على أنّ الأمر كذلك فبئس ما عملت بهم حين ظننت بهم هذا الظنّ الرديء، فكان هذا هو المراد من قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ منه فغفر الله له ذلك.

الثالث: أنّ دخولهم عليه كان فتنة لداود إلاّ أنّه عليه السلام استغفر لذلك الداخل العازم على قتله، وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي لاحترام داود عليه السلام وتعظيمه انتهى(٢).

وقال البيضاويّ: أقصى ما في هذه الإشعار بأنّه عليه السلام ودّ أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله، فنبّهه الله بهذه القضيّة فاستغفر وأناب عنه. انتهى(٣).

---

(١) سورة ص، الآيات: ٢٢-٢٥.

(٢) تفسير فخر الرازي: ج ٢٦/ المجلد ٩/ ص ٣٨١، والبحار: ج ١٤/ ص ٣١-٣٢، باب ٢/ ذيل ح ٨.

(٣) تفسير البيضاوي: ج ٤/ ص ١٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٢، باب ٢/ ذيل ح ٨.

ما أوحى إليه عليه السلام وصدر عنه من الحكم

الآيات: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١).

قال الطبرسيّ قدّس الله سره: فيه أقوال:

أحدها: أنّ الزبور: كتب الأنبياء، والذكر: اللّوح المحفوظ؛ وثانيها: أنّ الزبور: الكتب المنزلة بعد التوراة، والذكر: التوراة؛ وثالثها: أنّ الزبور: زبور داود والذكر: التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنّة؛ وقيل: هي الأرض المعروفة يرثها أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وقال أبو جعفر عليه السلام: هم أصحاب المهديّ عليه السلام في آخر الزمان(٢).

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن ابن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل الزبور في ليلة ثمان عشرة مضت من شهر رمضان(٣).

بإسناده عن يزيد بن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله لمَ سمّي الفرقان فرقاناً؟

فقال: لأنّه متفرّق الآيات والسور، أُنزلت في غير الألواح وغير الصحف، والتوراة والإنجيل والزبور أُنزلت كلّها جملة في الألواح والورق. الحديث(٤).

عن يونس بن ظبيان، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام: مالي أراك وحداناً؟

قال: هجرت الناس وهجروني فيك.

قال: فمالي أراك ساكتاً؟

قال: خشيتك أسكتتني.

قال: فما لي أراك نصباً.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٧/ ص ١١٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٣، باب ٣/ تفسير الآية.

(٣) الكافي: ج ٤/ ص ٣٧٧، باب ١١٣/ح ٥، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٣، باب ٣/ح ١.

(٤) علل الشرائع: ج ٢/ ص ١٨١، باب ٢٢٢/ح ٣٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٣، باب ٣/ح ٢.

قال: حبّك أنصبني.

قال: فما لي أراك فقيراً وقد أفدتك؟

قال: القيام بحقّك أفقرني.

قال: فما لي أراك متذلّلاً؟

قال: عظيم جلالك الّذي لا يوصف ذلّلني، وحقٌّ ذلك لك يا سيّدي.

قال الله جلّ جلاله: فأبشر بالفضل منّي، فلك ما تحبّ يوم تلقاني، خالط الناس وخالقهم بأخلاقهم، وزايلهم في أعمالهم تنل ما تريد منّي يوم القيامة.

وقال الصادق عليه السلام: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود بي فافرح، وبذكري فتلذّذ، وبمناجاتي فتنعّم، فعن قليل أُخلّي الدار من الفاسقين، وأجعل لعنتي على الظالمين[1].

عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها، وكما لا تضرّ الطيرة من لا يتطيّر منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيّرون، وكما أنّ أقرب الناس منّي يوم القيامة المتواضعون كذلك أبعد الناس منّي يوم القيامة المتكبّرون[2].

عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأُبيحه جنّتي.

قال: فقال داود عليه السلام: يا ربّ وما تلك الحسنة؟

قال: يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة.

قال: فقال داود عليه السلام: حقّ لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك[3].

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام إنّ داود قال لسليمان: يا بنيّ إيّاك وكثرة الضحك، فإنّ كثرة الضحك تترك العبد حقيراً يوم القيامة، يا بنيّ عليك بطول

---

(١) أمالي الصدوق: ص ١٦٤/ مجلس ٣٦/ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٤، باب ٣/ح ٣.
(٢) أمالي الصدوق: ص ٢٥١/ مجلس ٥٠/ح ١٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٤، باب ٣/ح ٤.
(٣) أمالي الصدوق: ص ٢٥١/ مجلس ٥٠/ح ١٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٤-٣٥، باب ٣/ح ٥.

الصمت إلاّ من خير، فإنّ الندامة على طول الصمت مرّة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرّات، يا بنيّ لو أنّ الكلام كان من فضّة كان ينبغي للصمت أن يكون من ذهب(١).

عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: في حكمة آل داود: يا ابن آدم كيف تتكلّم بالهدى وأنت لا تفيق عن الردى؟!

يا ابن آدم أصبح قلبك قاسياً، ولعظمة الله ناسياً، فلو كنت بالله عالماً وبعظمته عارفاً لم تزل منه خائفاً ولموعده راجياً، ويحك كيف لا تذكر لحدك وانفرادك فيه وحدك؟(٢)!

قال المسعوديّ: أنزل الله عليه الزبور بالعبرانيّة مائة وخمسين سورة. وجعله ثلاثة أثلاث، فالثلث الأوّل فيه ما يلقون من بخت نصّر وما يكون من أمره في المستقبل، وفي الثلث الثاني ما يلقون من أهل الثور؛ وفي الثلث الثالث مواعظ وترغيب ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم(٣).

عن الثماليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أن بلّغ قومك أنّه ليس من عبد منهم آمره بطاعتي فيطيعني إلاّ كان حقّاً عليّ أن أُعينه على طاعتي، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته وإن اعتصم بي عصمته، وإن استكفاني كفيته، وإن توكّل عليّ حفظته، وإن كاده جميع خلقي كدت دونه(٤).

عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا داود عليه السلام جالس وعنده شابّ رثّ الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلّم عليه وأحدّ ملك الموت النظر إلى الشابّ، فقال داود عليه السلام: نظرت إلى هذا.

فقال: نعم، إنّي أُمرت بقبض روحه إلى سبعة أيّام في هذا الموضع، فرحمه داود فقال: يا شابُّ هل لك امرأة؟

---

(١) قرب الإسناد: ص ٥٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣٥، باب ٣/ح ٨.
(٢) أمالي الطوسي: ص ٢٠٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣٦، باب ٣/ح ١٠.
(٣) مروج الذهب في هامش الكامل: ج ١/ص ٧٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٧، باب ٣/ ذيل ح ١٢.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٩٨، والبحار: ج ١٤/ص ٣٧، باب ٣/ح ١٣.

قال: لا وما تزوَّجت قطّ قال داود عليه السلام: فأت فلاناً - رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل - فقل له: إنّ داود يأمرك أن تزوّجني ابنتك، وتدخلها اللّيلة، وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها، فإذا مضت سبعة أيّام فوافني في هذا الموضع، فمضى الشابّ برسالة داود عليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه، وأقام عندها سبعة أيّام، ثمَّ وافى داود يوم الثامن.

فقال له داود عليه السلام: يا شابّ كيف رأيت ما كنت فيه؟

قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قطّ أعظم ممّا كنت فيه، قال داود: اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه، فلمّا طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك، فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشابّ ثمّ وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثمَّ انصرف أُسبوعاً آخر ثمّ أتاه وجلس، فجاء ملك الموت إلى داود عليه السلام فقال داود: ألست حدّثتني بأنّك أُمرت بقبض روح هذا الشابّ إلى سبعة أيّام؟

قال: بلى.

فقال: فقد مضت ثمانية وثمانية وثمانية، قال: يا داود إنّ الله تعالى رحمه برحمتك له فأخّر في أجله ثلاثين سنة[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في حكمة آل داود عليهم السلام: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه[٢].

عن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام: يا داود بشّر المذنبين، وأنذر الصدّيقين قال: كيف أُبشّر المذنبين وأُنذر الصدّيقين؟

قال: يا داود بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك[٣].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٨، باب ٣/ح ١٧.

(٢) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٣٢٥، باب الصمت/ح ٢٠، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٨، باب ٣/ح ٢٠.

(٣) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٤٩٠، باب التواضع/ح ١١، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٠، باب ٣/ح ٢٢.

إرشاد القلوب: روي أنّ الله أوحى إلى داود عليه السلام: من أحبّ حبيباً صدّق قوله، ومن أنس بحبيب قبل قوله ورضي فعله، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير إليه، يا داود ذكري للذاكرين، وجنّتي للمطيعين، وزيارتي للمشتاقين، وأنا خاصّة للمطيعين(١).

وإنّ الله أوحى إلى داود: قل لفلان الجبّار: إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا، ولكن لتردّ عنّي دعوة المظلوم وتنصره، فإنّي آليت على نفسي أن أنصره وأنتصر له ممّن ظلم بحضرته ولم ينصره(٢).

وأوحى الله إلى داود عليه السلام: اشكرني حقّ شكري.

قال: إلهي أشكرك حقّ شكرك وشكري إيّاك نعمة منك.

فقال: الآن شكرتني.

وقال داود عليه السلام: يا ربّ وكيف كان آدم يشكرك حقّ شكرك وقد جعلته أب أنبيائك وصفوتك، وأسجدت له ملائكتك؟

فقال: إنّه عرف أنّ ذلك من عندي فكان اعترافه بذلك حقّ شكري(٣).

عن مفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته إلاّ قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأيّ واد تهالك(٤).

عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد فأعجب به داود عليه السلام فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: لا يعجبك شيء من أمره فإنّه مراء.

---

(١) إرشاد القلوب: ص ٥٥، والبحار: ج ١٤/ص ٤٠، باب ٣/ح ٢٣.
(٢) إرشاد القلوب: ص ٧٠، والبحار: ج ١٤/ص ٤٠/باب ٣/ح ٢٤.
(٣) إرشاد القلوب: ص ١١٠، والبحار: ج ١٤/ص ٤٠، باب ٣/ح ٢٥.
(٤) أصول الكافي: ج ٢/ص ٣٦٥، باب التفويض إلى الله/ح ١، والبحار: ج١٤/ص ٣١، باب ٣/ح ٢٩.

قال: فمات الرجل فأتى داود فقيل له: مات الرجل.

فقال: ادفنوا صاحبكم.

قال: فأنكرت ذلك بنو إسرائيل، وقالوا: كيف لم يحضره؟

قال: فلما غسّل قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون منه إلاّ خيراً، فلمّا صلّوا عليه قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون إلاّ خيراً، فلمّا دفنوه قال: فأوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: ما منعك أن تشهد فلاناً؟

قال: الّذي أطلعتني عليه من أمره.

قال: إن كان لكذلك ولكن شهده قوم من الأحبار والرهبان، فشهدوا لي ما يعلمون إلاّ خيراً، فأجزت شهادتهم عليه، وغفرت له علمي فيه[1].



(١) البحار: ج ١٤/ص ٤٢، باب ٣/ح ٣١.

قصة أصحاب السبت

عن عليّ بن عقبة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اليهود أُمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا يوم الجمعة وأمسكوا يوم السبت، فحرّم عليهم الصيد يوم السبت(١).

إنّ أصحاب السبت قد كان أملى الله لهم حتّى أثروا وقالوا: إنّ السبت لنا حلال، وإنّما كان حرّم على أوّلينا، وكانوا يعاقبون على استحلالهم السبت، فأمّا نحن فليس علينا حرام، وما زلنا بخير منذ استحللنا، وقد كثرت أموالنا وصحّت أبداننا، ثمّ أخذهم الله ليلاً وهم غافلون(٢).

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾(٣) فإنّها قرية كانت لبني إسرائيل قريبة من البحر، وكان الماء يجري عليها في المدّ والجزر، فيدخل أنهارهم وزروعهم ويخرج السمك من البحر حتّى يبلغ آخر زروعهم، وقد كان الله حرّم عليهم الصيد يوم السبت فكانوا يضعون الشباك في الأنهار ليلة الأحد، ويصيدون بها السمك، وكان السمك يخرج يوم السبت ويوم الأحد لا يخرج وهو قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ فنهاهم علماؤهم عن ذلك فلم ينتهوا فمسخوا قردةً وخنازير، وكان العلّة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت أنّ عيد جميع المسلمين وغيرهم كان يوم

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٨٨، باب ٥٩/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ٥٠، باب ٤/ح ١.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ١٨٨، والبحار: ج ١٤/ص ٥٠، باب ٤/ح ٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

الجمعة، فخالف اليهود وقالوا: عيدنا السبت، فحرّم الله عليهم الصيد يوم السبت، ومسخوا قردة وخنازير.

حدَّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ قوماً من أهل أُبّلة من قوم ثمود، وأنّ الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك، فشرعت إليهم يوم سبتهم في ناديهم وقدّام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم، فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها ولبثوا في ذلك ما شاء الله، لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم العلماء من صيدها، ثمّ إنّ الشيطان أوحى إلى طائفة منهم إنّما نهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها، فاصطادوا يوم السبت وكلوها فيما سوى ذلك من الأيّام.

فقالت طائفة منهم: الآن نصطادها، فعتت وانحازت طائفة أُخرى منهم ذات اليمين، فقالوا: ننهاكم عن عقوبة الله أن تتعرّضوا لخلاف أمره، واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار فتنكّبت فلم تعظهم.

فقالت للطائفة الّتي وعظتهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

فقالت الطائفة الّتي وعظتهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

قال: فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني لمّا تركوا ما وعظوا به ومضوا على الخطيئة، فقالت الطائفة الّتي وعظتهم: لا والله لا نجامعكم ولا نبايتكم اللّيلة في مدينتكم هذه الّتي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم.

قال: فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء، فلمّا أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله غدواً لينظروا ما حال أهل المعصية فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت فدقّوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حسّ أحد، فوضعوا سلّماً على سور المدينة ثمّ أصعدوا رجلاً منهم فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتعاوون.

فقال الرجل لأصحابه: يا قوم أرى والله عجباً، قالوا: وما ترى؟

قال: أرى القوم قد صاروا قردة يتعاوون، لها أذناب، فكسروا الباب.

قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة، فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟

فقال عليّ عليه السلام: والله الّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّي لأعرف أنسابها من هذه الأُمّة لا ينكرون ولا يغيّرون بل تركوا ما أُمروا به فتفرّقوا، وقد قال الله تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فقال الله: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾(١) (٢).

قال ابن طاووس: إنّي وجدت في نسخة حديث غير هذا أنّهم كانوا ثلاث فرق: فرقة باشرت المنكر وفرقة أنكرت عليهم وفرقة داهنت أهل المعاصي فلم تنكر ولم تباشر المعصية، فنجّى الله الّذين أنكروا، وجعل الفرقة المداهنة ذرّاً، ومسخ الفرقة المباشرة للمنكر قردة. ثمّ قال: ولعلّ مسخ المداهنة ذرّاً لتصغيرهم عظمة الله وتهوينهم بحرمة الله فصغّرهم الله(٣).

عن طلحة ابن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ فقال: كانوا ثلاثة أصناف:

١ - صنف ائتمروا وأمروا فنجوا.

٢ - وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمسخوا ذرّاً.

٣ - وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا(٤).

لعلّ المراد بهلاكهم صيرورتهم قردة.

عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦٤-١٦٥.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٢٤٥. والبحار: ج ١٤/ص ٥١-٥٣، باب ٤/ح ٥.
(٣) سعد السعود: ص ١١٨-١١٩، والبحار: ج ١٤/ص ٥٤، باب ٤/ذيل ح ٥.
(٤) روضة الكافي المطبوع مع الأصول: ص ٧٥٠/ح ١٥١، والبحار: ج ١٤/ص ٥٤، باب ٤/ح ٦.
(٥) سورة المائدة: الآية: ٧٨.

فقال: الخنازير على لسان داود عليه السلام والقردة على لسان عيسى عليه السلام وقال: إنّ اليهود أُمروا بالإمساك يوم الجمعة فتركوا وأمسكوا يوم السبت فحرّم عليهم الصيد يوم السبت، فعمد رجال من سفهاء القرية فأخذوا من الحيتان ليلة السبت وباعوا، ولم ينزل بهم عقوبة فاستبشروا وفعلوا ذلك سنين، فوعظهم طوائف فلم يسمعوا وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[1].

عن عبد الصمد بن برار قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كانت القردة هم اليهود الّذين اعتدوا في السبت فمسخهم الله قروداً[2].

قال الطبرسيّ قدّس الله روحه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ﴾: أي الّذين جاوزوا ما أُمروا به من ترك الصيد يوم السبت، وكانت الحيتان تجتمع في يوم السبت لأمنها فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد، فاعتدوا في السبت، أي ظلموا وتجاوزوا ما حدّ لهم لأنّ صيدها هو حبسها.

وروي عن الحسن أنّهم اصطادوا يوم السبت مستحلّين بعدما نهوا عنه ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[3] هذا إخبار عن سرعة مسخه إيّاهم، لا أنّ هناك أمراً، ومعناه: جعلناهم قردة، كقوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[4].

قال ابن عبّاس: فمسخهم الله عقوبة لهم، وكانوا يتعاوون وبقوا ثلاثة أيّام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، ثمّ أهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبّت بهم فألقتهم في الماء، وما مسخ الله أُمّة إلاّ أهلكها، فهذه القردة والخنازير ليست من نسل أُولئك، ولكن مسخ أُولئك على صورة هؤلاء يدلّ عليه إجماع المسلمين على أنّه ليس في القردة والخنازير من هو من أولاد آدم، ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم. وقال مجاهد: لم يمسخوا قردة وإنّما هو مثل ضربه الله كما قال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[5].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٥٤-٥٥، باب ٤/ح ٧.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ ص ٦٤/ح ٥٥، من سورة البقرة، والبحار: ج ١٤/ ص ٥٥، باب ٤/ح ٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٥.
(٤) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٥) سورة الجمعة، الآية: ٥.

وحكي عنه أيضاً أنّه قال: مسخت قلوبهم، فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تتّقي زجراً، وهذان القولان يخالفان الظاهر الّذي أكثر المفسّرين عليه من غير ضرورة تدعو إليه.

وقوله: ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ أي مبعدين عن الخير، وقيل: أذلاء صاغرين مطرودين(١).

وقال رَحِمَهُ الله في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ أي مجاورة البحر وقريبة منه وهي أُبلّة عن ابن عبّاس.

وقيل: هي مدين، عنه أيضاً؛ وقيل: الطبريّة، عن الزهريّ ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي يظلمون فيه بصيد السمك، ويتجاوزون الحدّ في أمر السبت ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ أي ظاهرة على وجه الماء، عن ابن عبّاس؛ وقيل: متتابعة، عن الضحّاك؛ وقيل: رافعة رؤوسها.

قال الحسن: كانت تشرع إلى أبوابهم مثل الكباش البيض لأنّها كانت آمنة يومئذ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ أي ويوم لا يكون السبت كانت تغوص في الماء. واختلف في أنّهم كيف اصطادوا فقيل: إنّهم ألقوا الشبكة في الماء يوم السبت حتّى كان يقع فيها السمك، ثمّ كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء إلاّ يوم الأحد وهذا تسبّب محظور.

وفي رواية عكرمة عن ابن عبّاس: اتّخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان إليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد؛ وقيل: إنّهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ أي مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ أي بفسقهم وعصيانهم، وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الإتيان الّذي كان منها يوم السبت، ثمّ استأنف فقال: ﴿نَبْلُوهُم﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ أي جماعة منهم أي من بني إسرائيل الّذين لم يصطادوا وكانوا ثلاث فرق: فرقة قانصة، وفرقة ساكتة، وفرقة واعظة، فقال الساكتون للواعظين

---

(١) مجمع البيان: ج ١/ص ٢٤٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٥٩-٦٠، باب ٤/ ذيل ح ١٣.

الناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي يهلكهم الله. ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لأياسهم أن يقبل هؤلاء القوم الوعظ، فإنّ الأمر بالمعروف إنّما يجب عند عدم اليأس عن القبول، عن الجبّائيّ، ومعناه: ما ينفع الوعظ ممّن لا يقبل، والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة ﴿قَالُوا﴾ أي قال الواعظون في جوابهم ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ معناه: موعظتنا إيّاهم معذرة إلى الله، وتأدية لفرضه في النهي عن المنكر لئلاّ يقول لنا: لَمَ لم تعظون، ولعلّهم بالوعظ يتّقون ويرجعون ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي فلمّا ترك أهل القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ أي خلّصنا الّذين ينهون عن المعصية ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قردة، عن الجبّائيّ، ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية أو من الهالكة.

وروي عن ابن عبّاس فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدّيّ.

والثاني: أنّه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

والثالث: التوقّف فيه، روي عن عكرمة.

قال: دخلت على ابن عبّاس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية، ثمّ قال: قد علمت أنّ الله تعالى أهلك الّذين أخذوا الحيتان، وأنجا الّذين نهوهم، ولم أدر ما صنع بالّذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية، وهذا حالنا، واختاره الجبّائيّ، وقال الحسن: إنّه نجا الفرقة الثالثة لأنّه ليس شيء أبلغ في الأمر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا: ﴿ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

وقال: قتل المؤمن أعظم والله من أكل الحيتان ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي عن ترك ما نهوا عنه، يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة على المعصية وأبوا أن يرجعوا عنها ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ أي جعلناهم قردة

﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ مبعدين مطرودين، وإنّما ذكر (كن) ليدلّ عليه أنّه سبحانه لا يمتنع عليه شيء، وأجاز الزجّاج أن يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك أبلغ في الآية النازلة بهم.

وحكي ذلك عن أبي الهذيل؛ قال قتادة: صاروا قردة لها أذناب تعاووا بعد أن كانوا رجالاً ونساءً.

وقيل: إنّهم بقوا ثلاثة أيّام ينظر إليهم الناس ثمّ هلكوا ولم يتناسلوا.

عن ابن عبّاس قال: ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيّام؛ وقيل: عاشوا سبعة أيّام ثمَّ ماتوا، عن مقاتل.

وقيل: إنّهم توالدوا، عن الحسن، وليس بالوجه، لأنّ من المعلوم أنّ القردة ليست من أولاد آدم، كما أنّ الكلاب ليست منهم، ووردت الرواية عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تعالى لم يمسخ شيئاً فجعل له نسلاً وعقباً.

القصة: قيل: كانت هذه القصّة في زمن داود عليه السلام.

وعن ابن عبّاس قال: أُمروا باليوم الّذي أُمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به، وحرّم عليهم فيه الصيد، وأُمروا بتعظيمه، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرّعاً بيضاً سماناً حتّى لا يرى الماء من كثرتها، فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون، ثمّ أتاهم الشيطان وقال: إنّما نهيتم عن أخذها يوم السبت، فاتّخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة، ثمّ يأخذونها يوم الأحد؛ وعن ابن زيد قال: أخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً وشدّه إلى الساحل، ثمّ أخذه يوم الأحد وشواه، فلاموه على ذلك، فلمّا لم يأته العذاب أخذوا ذلك وأكلوه وباعوه، وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً، فصار النّاس ثلاث فرق على ما تقدّم ذكره، فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم، فأصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية أحد فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب فدخلوا وكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها، فجعلت تبكي فإذا قالوا لهم: ألم ننهكم؟

قالت برؤوسها: أن نعم.

قال قتادة: صارت الشبّان قردة، والشيوخ خنازير(١).

عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾(٢)

قال: الخنازير على لسان داود عليه السلام، والقردة على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام(٣).

اعلم أنّ تلك الروايات اتّفقت على خلاف ما هو المشهور بين المفسّرين والمؤرّخين من كون المسخ الّذي كان في زمان داود عليه السلام بأنّهم صاروا قردة، وإنّما مسخ أصحاب المائدة خنازير، وقد دلّ على الجزء الأوّل قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ والحمل على سهو النسّاخ مع اتّفاق التفسيرين والكافي والقصص عليه بعيد، والحمل على غلط الرواة أيضاً لا يخلو من بعد، ويمكن توجيهه بوجهين:

الأوّل: أن لا يكون هذا الخبر إشارة إلى قصّة أصحاب السبت بل إلى مسخ آخر وقع في زمان داود عليه السلام ولكن خبر القصص يأبى عنه إلاّ بتكلّف بعيد.

الثاني: أنه يمكن أن يكون مسخهم في الزمانين بالصنفين معاً، ويكون المقصود في الآية جعل بعضهم قردة، ويكون التخصيص في الخبر لعدم توهّم التخصيص في الآية مع كون الفرد الآخر مذكوراً فيها وفي الروايات المشهورة فلا حاجة إلى ذكره ويؤيّده أنّ عليّ بن إبراهيم ذكر في الموضعين الصنفين معاً.

وقال البيضاوي: قيل إن أهل أيلة لمّا اعتدوا في السبت لعنهم الله على لسان داود فمسخهم قردة وخنازير، وأصحاب المائدة لمّا كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل انتهى.

(١) مجمع البيان. ج ٤/ص ٣٨٠-٣٨٤، والبحار ج ١٤/ص ٦٠-٦٢، باب ٤/ذيل ح ١٣.
(٢) سورة المائدة، الآية ٧٨.
(٣) روضة الكافي المطبوع مع الأصول. ص٧٦٨/ح ٢٤٠، والبحار. ج ١٤/ ص ٦٢، باب ٤/ح ١٤.

وقال الثعلبيّ في أصحاب السبت: قال قتادة: صار الشبّان قروداً، والشيوخ خنازير، وما نجا إلاّ الّذين نهوا[١].

ثمّ اعلم أنّ الوجهين جاريان في خبري العيّاشي، أعني رواية ابن نباتة وهارون ابن عبد العزيز بأن يكونا إشارتين إلى قصّة أُخرى وإن كان متعلّقها تلك القرية الّتي وقعت فيها عقوبة السبت، أو بأن يكونوا مسخوا بتلك الأصناف جميعاً بتلك الأسباب كلّها.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل في معناه أقوال:

أحدها: أنّ معناه: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير، وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: أمّا داود فإنّه لعن أهل أُبلة لمّا اعتدوا في سبتهم وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللّهمّ ألبسهم اللّعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين. فمسخهم الله قردة، وأمّا عيسى عليه السلام فإنّه لعن الّذين أُنزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعد ذلك.

وثانيها: ما قاله ابن عبّاس إنّه يريد في الزبور وفي الإنجيل، ومعنى هذا أنّ الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني إسرائيل، وفي الإنجيل كذلك.

وثالثها: أن يكون عيسى وداود عليهما السلام أعلما أنّ محمّداً نبيّ مبعوث ولعنا من يكفر به انتهى[٢].

والأُبلّة بضمّ الهمزة والباء المشدّدة موضع البصرة الآن وهي إحدى الجنّات الأربعة.



(١) تفسير البيضاوي: ج ١/ص ٤٥٠، والبحار: ج ١٤/ ص ٦٣-٦٤، باب ٤/ ذيل ح ١٥.
(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٣/ ٢٣١، والبحار: ج ١٤/ ص ٦٤، باب ٤/ذيل ح ١٥.

قصص سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ

فضله ومكارم أخلاقه وجمل أحواله

الآيات: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾(١).

﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾(٢).

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾(٣).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾(٤).

قال المفسّرون: الأرض الّتي باركنا فيها هي الشام، ووجّه وصف الريح تارة بالعاصفة وأُخرى بالرخاء بوجوه:

الأوّل: أنّها كانت تارة كذا وتارة كذا بحسب إرادته.

والثاني: أنّها كانت في بدءِ الأمر عاصفة لرفع البساط وقلعه، ثمّ كانت تصير رخاء عند تسييرها.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨١-٨٢.

(٤) سورة النمل، الآيتان: ١٥ و١٦.

والثالث: أنَّ العصف عبارة عن سرعة سيرها والرخاوة عن كونها ليّنة طيبة في نفسها.

الرابع: أنّ الرخاوة كناية عن انقيادها له في كلّ ما أمرها به.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: وقيل: كانت الريح تجري به في الغداة مسيرة شهر، وفي الرواح كذلك، وكان يسكن بعلبكّ، ويبنى له بيت المقدس، ويحتاج إلى الخروج إليها وإلى غيرها.

قال وهب: وكان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الإنس والجنّ حتّى يجلس على سريره ويجتمع معه جنوده، ثمَّ تحمله الريح إلى حيث أراد.

قوله تعالى: ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾[1] أي في البحر فيخرجون له الجواهر واللآلي ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب والتماثيل وغيرهما ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[2] لئلاّ يهربوا منه ويمتنعوا عليه؛ وقيل: من أن يفسدوا ما عملوه[3].

قوله: ﴿عِلْمًا﴾ قال: أي بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير والدوابّ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ﴾ فيه دلالة على أنّ الأنبياء يورّثون المال كتوريث غيرهم.

وقيل: إنّه ورّثه علمه ونبوّته وملكه دون سائر أولاده، والصحيح عند أهل البيت عليهم السلام هو الأوّل ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾[4] أهل العربيّة يقولون: لا يطلق النطق على غير بني آدم، وإنّما يقال الصوت، لأنّ النطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطير إلاّ أنّه لمّا فهم سليمان معنى صوت الطير سمّاه منطقاً مجازاً؛ وقيل: إنّه أراد حقيقة المنطق لأنّ من الطير ما له كلام يهجّى كالطوطي.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٢.

(٣) مجمع البيان: ج ٧/ ص ١٠٥-١٠٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٦٦، باب ٥/ سورة تفسير الآية من سورة ص.

(٤) سورة النمل، الآيتان: ١٥ و١٦.

وقال عليّ بن عيسى: إنّ الطير كانت تكلّم سليمان معجزةً له كما أُخبر عن الهدهد، ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق النّاس الّذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة، ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها، ولم تفهم مي عنّا لأنّ أفهامها مقصورة على تلك الأُمور المخصوصة، ولمّا جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] أي من كلّ شيء يؤتى الأنبياء والملوك وقيل: من كلّ شيء يطلبه طالب لحاجته إليه وانتفاعه به[2] ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي أراد من النواحي ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ أي وسخّرنا له الشياطين ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي وسخّرنا له آخرين من الشياطين مشدّدين في الأغلال والسلاسل من الحديد، وكان يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمرّدهم.

وقيل: إنّه إنّما كان يفعل ذلك بكفّارهم فإذا آمنوا أطلقهم ﴿هَٰذَا﴾ أي ما تقدّم من الملك ﴿عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ أي فأعط من الناس من شئت وامنع من شئت ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3] أي لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع[4].

عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ داود عليه السلام أراد أن يستخلف سليمان عليه السلام لأنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليه يأمره بذلك، فلمّا أخبر بني إسرائيل ضجّوا من ذلك، وقالوا: يستخلف علينا حدثاً وفينا من هو أكبر منه؟ فدعا أسباط بني إسرائيل فقال لهم: قد بلغتني مقالتكم فأروني عصيّكم، فأيّ عصا أثمرت فصاحبها وليّ الأمر بعدي.

فقالوا: رضينا.

وقال: ليكتب كلّ واحد منكم اسمه على عصاه، فكتبوا ثمَّ جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثمّ أُدخلت بيتاً وأُغلق الباب وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل، فلمّا أصبح صلّى بهم الغداة ثمّ أقبل ففتح الباب فأخرج عصيّهم وقد

(١) سورة النمل، الآية: ١٦.
(٢) مجمع البيان: ج ٧/ ص ٣٦٨، والبحار: ج ١٤، ص ٦٧، باب ٥/ تفسير الآية من سورة ص.
(٣) سورة ص، الآيات: ٣٧-٣٩.
(٤) مجمع البيان: ج ٨/ ص ٣٦٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٦٧، باب ٥/ تفسير الآية من سورة ص.

أورقت عصا سليمان وقد أثمرت، فسلّموا ذلك لداود فاختبره بحضرة بني إسرائيل فقال له: يا بنيّ أيّ شيء أبرد؟

قال: عفو الله عن النّاس، وعفو الناس بعضهم عن بعض.

قال: يا بنيّ فأيّ شيء أحلى؟

قال: المحبّة وهي روح الله في عباده، فافترّ داود ضاحكاً، فسار به في بني إسرائيل فقال: هذا خليفتي فيكم من بعدي، ثمّ أخفى سليمان بعد ذلك أمره وتزوّج بامرأة واستتر من شيعته ما شاء الله أن يستتر، ثمّ إنّ امرأته قالت له ذات يوم: بأبي أنت وأُمّي ما أكمل خصالك وأطيب ريحك! ولا أعلم لك خصلة أكرهها إلاّ أنّك في مؤونة أبي، فلو دخلت السوق فتعرّضت لرزق الله رجوت أن لا يخيّبك.

فقال لها سليمان: إنّي والله ما عملت عملاً قطّ ولا أُحسنه، فدخل السوق فجال يومه ذلك ثمّ رجع فلم يصب شيئاً، فقال لها: ما أصبت شيئاً.

قالت: لا عليك إن لم يكن اليوم كان غداً، فلمّا كان من الغد خرج إلى السوق فجال فيه فلم يقدر على شيء ورجع فأخبرها.

فقالت: يكون غداً إن شاء الله، فلمّا كان في اليوم الثالث مضى حتّى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصيّاد فقال له: هل لك أن أُعينك وتعطينا شيئاً؟

قال: نعم، فأعانه فلمّا فرغ أعطاه الصيّاد سمكتين فأخذهما وحمد الله عزّ وجلّ، ثمّ إنّه شقّ بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه فصيّره في ثوبه وحمد الله، وأصلح السمكتين وجاء بهما إلى منزله، وفرحت امرأته بذلك، وقالت له: إنّي أُريد أن تدعو أبويّ حتّى يعلما أنّك قد كسبت، فدعاهما فأكلا معه، فلمّا فرغوا قال لهم: هل تعرفوني؟

قالوا: لا والله إلاّ أنّا لم نر خيراً منك، فأخرج خاتمه فلبسه فخرّ عليه الطير والريح وغشيه الملك، وحمل الجارية وأبويها إلى بلاد إصطخر، واجتمعت إليه الشيعة واستبشروا به، ففرّج الله عنهم ممّا كانوا فيه من حيرة غيبته، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا بإذن ـالى ذكره، فلم يزل بينهم يختلف إليه

الشيعة ويأخذون عنه معالم دينهم، ثمّ غيّب الله عزّ وجلّ آصف غيبة طال أمدها، ثمَّ ظهر لهم فبقي بين قومه ما شاء الله، ثمَّ إنه ودّعهم فقالوا له: أين الملتقى؟

قال: على الصراط، وغاب عنهم ما شاء الله، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلّط عليهم بخت نصّر[(١)].

عن هشام ابن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سليمان عليه السلام لمّا سلب ملكه خرج على وجهه فضاف رجلاً عظيماً فأضافه وأحسن إليه، ونزل سليمان منه منزلاً عظيماً لما رأى من صلاته وفضله.

قال: فزوّجه بنته، فقالت له بنت الرجل حين رأت منه ما رأت: بأبي أنت وأُمّي ما أطيب ريحك وأكمل خصالك! لا أعلم فيك خصلة أكرهها إلاّ أنّك في مؤونة أبي.

قال: فخرج حتّى أتى الساحل فأعان صيّاداً على ساحل البحر فأعطاه السمكة الّتي وجد في بطنها خاتمه[(٢)].

عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان لسليمان بن داود عليه السلام ألف امرأة في قصر واحد ثلاث مائة مهيرة، وسبعمائة سرّيّة[(٣)].

عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان ملك سليمان ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر[(٤)].

دعوات الراونديّ: قال الصادق عليه السلام: كان سليمان عليه السلام يطعم أضيافه اللّحم بالحوّارى وعياله الخشكار، ويأكل هو الشعير غير منخول[(٥)].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولو أنّ أحداً يجد إلى البقاء سلّماً أو لدفع الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام، الّذي سخّر له ملك الجنّ والإنس مع

(١) كمال الدين: ص ١٥٦، والبحار: ج ١٤/ص ٦٧-٦٩، باب ٥/ح ٢.
(٢) أمالي الطوسي: ص ٦٧٠، والبحار: ج ١٤/ص ٦٩، باب ٥/ح ٣.
(٣) الكافي: ج ٥/ص ٨٩٣، باب ٣٨١، ح ٥٠، والبحار: ج ١٤/ص ٧٠، باب ٥/ح ٥.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٨، والبحار: ج ١٤/ص ٧٠، باب ٥/ح ٧.
(٥) دعوات الراوندي: ص ١٤٢، والبحار: ج ١٤/ص ٧٠، باب ٥/ح ٨.

النبوّة، وعظيم الزلفة، فلمّا استوفى طعمته واستكمل مدّته رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطّلة، ورثها قوم آخرون(١).

بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾(٢) قال: كانوا ثمانين رجلاً وسبعين امرأة، ما أغبَّ المحراب رجل واحد منهم يصلّي فيه، وكانوا آل داود، فلمّا قبض داود عليه السلام ولي سليمان عليه السلام قال: يا أيّها النّاس علّمنا منطق الطير، سخّر الله له الجنّ والإنس، وكان لا يسمع بملك في ناحية الأرض إلاّ أتاه حتّى يذلّه ويدخله في دينه، وسخّر الريح له، فكان إذا خرج إلى مجلسه عكف عليه الطير وقام الجنّ والإنس، وكان إذا أراد أن يغزو أمر بمعسكره فضرب له بساطاً من الخشب، ثمّ جعل عليه الناس والدوابُّ وآلة الحرب كلّها حتّى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت الخشب فحمله حتّى ينتهي به إلى حيث يريد، وكان غدوّها شهراً ورواحها شهراً(٣).

عن الأصبغ قال: خرج سليمان بن داود عليه السلام من بيت المقدس مع ثلاثمائة ألف كرسيّ عن يمينه عليها الإنس، وثلاثمائة ألف كرسيّ عن يساره عليها الجنّ، وأمر الطير فأظلّتهم، وأمر الريح فحملتهم حتّى وردت بهم المدائن، ثمّ رجع وبات في إصطخر، ثمَّ غدا فانتهى إلى جزيرة بركاوان ثمَّ أمر الريح فخفضتهم حتّى كادت أقدامهم يصيبها الماء، فقال بعضهم لبعض: هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟

فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة أعظم ممّا رأيتم(٤).

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان لسليمان عليه السلام حصن بناه الشياطين له فيه ألف بيت، في كلّ بيت طروقة، منهنّ سبعمائة أمة قبطيّة، وثلاثمائة حرّة مهيرة، فأعطاه الله تعالى قوّة أربعين رجلاً في مباضعة النساء وكان

---

(١) نهج البلاغة: ص ٢٦٧/ خطبة ١٨١، والبحار: ج ١٤/ ص ٧٠-٧١، باب ٥/ح ٩.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٣) قصص الأنبياء: ص ٢٠٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٧١، باب ٥/ح ١٠.
(٤) قصص الأنبياء: ص ٢٠٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٧٢، باب ٥/ ح ١١.

يطوف بهنّ جميعاً ويسعفهنَّ قال: وكان سليمان عليه السلام يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضع، فقال لهم إبليس: كيف أنتم؟

قالوا: ما لنا طاقة بما نحن فيه، فقال إبليس: أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً؟

قالوا: نعم.

قال: فأنتم في راحة، فأبلغت الريح سليمان ما قال إبليس للشياطين، فأمرهم يحملون الحجارة ذاهبين ويحملون الطين راجعين إلى موضعها، فتراءى لهم إبليس فقال: كيف أنتم؟

فشكوا إليه، فقال: ألستم تنامون باللّيل؟

قالوا: بلى.

قال: فأنتم في راحة، فأبلغت الريح ما قالت الشياطين وإبليس فأمرهم أن يعملوا باللّيل والنهار، فما لبثوا إلاّ يسيراً حتّى مات سليمان، وقال: خرج سليمان يستسقي ومعه الجنّ والإنس فمرّ بنملة عرجاء ناشرة جناحها، رافعة يدها، وتقول: اللّهمّ إنّا خلق من خلقك، لا غنى بنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا.

فقال سليمان عليه السلام لمن كان معه: ارجعوا فقد شفع فيكم غيركم. وفي خبر: قد كفيتم بغيركم[(١)].

عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ آخر الأنبياء دخولاً إلى الجنّة سليمان عليه السلام، وذلك لما أُعطي من الدنيا[(٢)].

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: كانت الريح تحمل كرسيّ سليمان فتسير به في الغداة مسيرة شهر، وبالعشيّ مسيرة شهر ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي الصفر ﴿مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ قال: الشجر ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ أي جفنة

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٧٢-٧٣، باب ٥/ح ١٢.

(٢) التمحيص الذي يلي كتاب تحف العقول: ص ٤١٦/ح ٨٠ والبحار: ج ١٤/ ص ٧٥، باب ٥/ ح ١٨.

كالحفرة ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ أي ثابتات. ثمّ قال: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرًاۚ﴾[١] قال: اعملوا ما تشكرون عليه[٢].

قال الطبرسيّ نوّر الله مضجعه: ﴿وَلِسُلَيۡمَـٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي وسخّرنا لسليمان الريح ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٌ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٌۖ﴾ أي مسير غدوّ تلك الريح المسخّرة له مسيرة شهر، ومسير رواحها مسيرة شهر، والمعنى أنّها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب.

قال قتادة: كانت تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار.

وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار؛ وقال الحسن: كانت تغدو من دمشق فيقيل بإصطخر من أرض إصفهان وبينهما مسيرة شهر للمسرع، وتروح من إصطخر، فتبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله الريح مع جنوده، أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ أي أذبنا له عين النحاس وأظهرنا له، قالوا: جرت له عين الصفر ثلاثة أيّام بلياليهنّ جعلها الله له كالماء، وإنّما يعمل الناس بما أُعطي لسليمان منه ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ المعنى: وسخّرنا له من الجنّ من يعمل بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدميّ بين يدي الآدميّ بأمر ربّه تعالى، وكان يكلّفهم الأعمال الشاقّة مثل عمل الطين وغيره.

وقال ابن عبّاس: سخّرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، وفي هذا دلالة على أنّه قد كان من الجنّ من هو غير مسخّر له ﴿وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٣] المعنى: ومن يعدل من هؤلاء الجنّ الّذين سخّرناهم لسليمان عمّا أمرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير، أي عذاب النار في الآخرة، عن أكثر المفسّرين، وفي هذا دلالة على أنّهم قد كانوا مكلّفين.

وقيل: معناه: نذيقه العذاب في الدنيا، وأنّ الله سبحانه وكلّ بهم ملكاً بيده

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٢ و١٣.
(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٧٤، والبحار: ج ١٤/ص ٧٥، باب ٥/ح ٢١.
(٣) سورة سبأ، الآية: ١٢.

سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾[1] وهي البيوت الشريفة.

وقيل: هي القصور والمساجد يتعبّد فيها، عن قتادة والجبّائيّ، قال: وكان ممّا عملوه بيت المقدس.

وقد كان الله عزّوجلّ سلّط على بني إسرائيل الطاعون، فهلك خلق كثير في يوم واحد، فأمرهم داود عليه السلام أن يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراريّ والأهلين ويتضرّعوا إلى الله تعالى لعلّه يرحمهم، وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد، وارتفع داود عليه السلام فوق الصخرة فخرّ ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه، فلم يرفعوا رؤوسهم حتّى كشف الله عنهم الطاعون، فلمّا أن شفّع الله داود في بني إسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم:

إنّ الله تعالى قد منّ عليكم ورحمكم فجدّدوا له شكراً بأن تتّخذوا من هذا الصعيد الّذي رحمكم فيه مسجداً، ففعلوا وأخذوا في بناء بيت المقدس، فكان داود عليه السلام ينقل الحجارة لهم على عاتقه، وكذلك خيار بني إسرائيل حتّى رفعوه قامة، ولداود عليه السلام يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة.

فأوحى الله تعالى إلى داود: إنّ تمام بنائه يكون على يد ابنه سليمان، فلمّا صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفّاه الله، واستخلف سليمان فأحبّ إتمام بيت المقدس فجمع الجنّ والشياطين فقسّم عليهم الأعمال، يخصّ كلّ طائفة منهم بعمل فأرسل الجنّ والشياطين في تحصيل الرخام والمها[2] الأبيض الصافي من معادنه، وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح، وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل كلّ ربض منها سبطاً من الأسباط، فلمّا فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجّه الشياطين فرقاً فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها، وفرقة يقلعون الجواهر والأحجار من أماكنها، وفرقة يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب، وفرقة يأتونه بالدرّ من البحار، فأُوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلاّ الله

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٢) المها: جمع المهاة بالفتح وهي البلورة، والمربض (بالتحريك)؛ سور المدينة ومأوى الغنم والناحية، وكل ما يؤدي إليه ويستراح لديه من مال وبيت ونحوه (منه رحمه الله).

تعالى، ثمّ أحضر الصنّاع وأمرهم بنحت تلك الأحجار حتّى صيّروها ألواحاً، ومعالجة تلك الجواهر واللآلي، وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وعمده بأساطين المها الصافي، وسقّفه بألواح الجواهر، وفصّص سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت والجواهر، وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن في الأرض بيت أبهى منه ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلمّا فرغ منه جمع إليه خيار بني إسرائيل فأعلمهم أنّه بناه لله تعالى، واتّخذ ذلك اليوم الّذي فرغ منه عيداً، فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتّى إذا غزا بخت نصّر بني إسرائيل فخرّب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والدرر واليواقيت والجواهر، فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق.

قال سعيد بن المسيّب: لمّا فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلّقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتّى قال في دعائه: بصلوات أبي داود إلاّ فتحت الأبواب، ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قرّاء بني إسرائيل خمسة آلاف باللّيل وخمسة آلاف بالنهار ولا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلاّ ويعبد الله فيها ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ يعني صوراً من نحاس وشبه وزجاج ورخام كانت الجنّ تعملها.

ثمّ اختلفوا فقال بعضهم: كانت صوراً للحيوانات.

وقال آخرون: كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسيّه ليكون أهيب له، فذكروا أنّهم صوّروا أسدين أسفل كرسيّه، ونسرين فوق عمودي كرسيّه، فكان إذا أراد أن يصعد على الكرسيّ بسط الأسدان ذراعيهما، وإذا علا على الكرسيّ نشر النسران أجنحتهما فظلّلاه من الشمس.

ويقال: إنّ ذلك كان ممّا لا يعرفه أحد من الناس، فلمّا حاول بخت نصّر صعود الكرسيّ بعد سليمان حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان عليه السلام فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدّها فخرّ مغشيّاً عليه، فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسيّ.

قال الحسن: ولم تكن يومئذ التصاوير محرّمة وهي محظورة في شريعة نبيّنا صلى الله عليه وآله فإنّه قال: «لعن الله المصورين» ويجوز أن يكره ذلك في زمن دون زمن، وقد بيّن الله سبحانه أنّ المسيح عليه السلام كان يصوّر بأمر الله من الطين كهيئة الطير.

وقال ابن عبّاس: كانوا يعملون صور الأنبياء والعبّاد في المساجد ليقتدى بهم.

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنّها الشّجر وما أشبهه.

﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ أي صحاف كالحياض الّتي يجبى فيها الماء أي يجمع، وكان سليمان عليه السلام يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان، فإنّه لم يمكنه أن يطعمهم في مثل قصع الناس لكثرتهم.

وقيل: إنّه كان يجمع على كلّ جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾(١) أي ثابتات لا تزلن عن أمكنتهنّ لعظمهنّ، عن قتادة، وكانت باليمن.

وقيل: كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم، وكان سليمان عليه السلام يطعم جنده انتهى(٢).

وقال صاحب الكامل: لمّا توفّي داود عليه السلام ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام على بني إسرائيل، وكان عمره ثلاث عشر سنَة، وأتاه مع الملك النبوّة، وسخّر له الجنّ والإنس والشياطين والطير والريح، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الإنس والجنّ متى يجلس فيه.

وقيل: إنّه سخّر له الريح والجنّ والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه وأعاده الله إليه، وكان أبيض جسيماً كثير الشعر يلبس البياض، وكان يأكل من كسبه وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزو أمر فعمل بساط من خشب يسع عسكره فيركبون عليه هم ودوابّهم وما يحتاجون إليه، ثمّ أمر الريح فحملته فسار في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك، وكان له ثلاث مائة زوجة، وسبعمائة سرّيّة، وأعطاه الله أخيراً أنّه لا يتكلّم أحد بشيء إلاّ حملته الريح فيعلم ما يقول. انتهى(٣).

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٢) مجمع البيان: ج ٨/ص ٢٠٠، والبحار: ج ١٤/ص ٧٥-٧٨، باب ٥/ذيل ح ٢١.
(٣) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ١٩٧، والبحار: ج ١٤/ص ٧٩، باب ٥/تفسير الآية.

قال ابن شهاب: بعث سليمان بن داود عليه السلام بعض عفاريته، وبعث معه نفراً من أصحابه، فقال: اذهبوا معه وانظروا ماذا يقول، فمرّوا به في السوق فرفع رأسه إلى السماء ونظر إلى الناس فهزّ رأسه، ومرّوا به على بيت يبكون على ميّت لهم فضحك، ومرّوا به على الثوم يكال كيلاً وعلى الفلفل يوزن وزناً فضحك، ومرّوا به على قوم يذكرون الله تعالى وآخرين في باطل فهزّ رأسه، ثمّ ردّوه إلى سليمان فأخبروه بما رأوا منه، فسأله سليمان عليه السلام: أرأيت إذ مرّوا بك في السوق لمَ رفعت رأسك إلى السماء ونظرت إلى الأرض والناس؟

قال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون! ومن الناس ما أسرع ما يملون!

قال: ومررت على أهل بيت يبكون على ميّت وقد أدخله الله الجنّة فضحكت.

قال: ومررت على الثوم يكال كيلاً ومنه الترياق، وعلى الفلفل يوزن وزناً وهو الداء فتعجّبت، ونظرت إلى قوم يذكرون الله وآخرين في باطل فتعجّبت وضحكت[١].

روي أنّ سليمان بن داود عليه السلام مرّ في موكبه والطير تظلّه والجنّ والإنس عن يمينه وعن شماله بعابد من عبّاد بني إسرائيل.

فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً، فسمعه سليمان فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير ممّا أُعطي ابن داود، إنَّ ما أُعطي ابن داود يذهب وإنّ التسبيحة تبقى[٢].

وكان سليمان عليه السلام إذا أصبح تصفّح وجوه الأغنياء والأشراف حتّى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول: مسكين مع المساكين[٣].

وروى الثعلبيّ في تفسيره بإسناده عن وهب بن منبّه، عن كعب قال: إنّ سليمان عليه السلام كان إذا ركب حمل أهله وسائر حشمه وخدمه وكتّابه في مدينة من

---

(١) أعلام الدين: ص ٢٨١، والبحار: ج ١٤/ ص ٧٩-٨٠، باب ٥/ ح ٢٢.
(٢) تنبيه الخواطر: ج ١/ ص ١٢٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٨٣، باب ٥/ ح ٢٧.
(٣) تنبيه الخواطر: ج ١/ ص ٢٠٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٨٣، باب /ح ٢٨.

قوارير، لها ألف سقف، وتلك السقوف بعضها فوق بعض على قدر درجاتهم، وقد اتّخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام، يسع كلّ قدر عشرة جزائر، وقد اتّخذ ميادين للدوابّ أمامه، فيطبخ الطبّاخون، ويخبز الخبّازون، وتجري الدوابّ بين يديه بين السماء والأرض، والريح تهوي بهم، فسار من إصطخر إلى اليمن، فسلك المدينة مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان: هذا دار هجرة نبيّ في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتّبعه، وطوبى لمن اقتدى به، ورأى حول البيت أصناماً تعبد من دون الله فلمّا جاوز سليمان البيت بكى البيت، فأوحى الله تعالى إلى البيت: ما يبكيك؟

قال: يا ربّ أبكاني هذا نبيّ من أنبيائك وقوم من أوليائك مرُّوا عليّ فلم يهبطوا فيَّ، ولم يصلّوا عندي، ولم يذكروك بحضرتي والأصنام تعبد حولي من دونك.

فأوحى الله تعالى إليه: أن لاتبك فإنّي سوف أملأك وجوهاً سجّداً، وأُنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبيّاً في آخر الزمان أحبّ أنبيائي إليّ، وأجعل فيك عمّاراً من خلقي يعبدونني وأفرض على عبادي فريضة يدفّون إليك دفيف النسور إلى وكورها، ويحنّون إليك حنين الناقة إلى ولدها، والحمامة إلى بيضتها، وأُطهّرك من الأوثان وعبدة الشيطان.

قال: وروي أنّ سليمان لمّا ملك بعد أبيه أمر باتّخاذ كرسيّ ليجلس عليه للقضاءِ وأمر بأن يعمل بديعاً مهولاً بحيث أن لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيب.

قال: فعمل له كرسيّ من أنياب الفيلة وفصّصوه بالياقوت واللّؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفّفوه بأربع نخلات من ذهب، شماريخها الياقوت الأحمر والزمرّد الأخضر، على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب وعلى رأس الآخرين نسران من ذهب، بعضها مقابلاً لبعض وجعلوا من جنبتي الكرسيّ أسدين من الذهب، على رأس كلّ واحد منهما عمود من الزمرّد الأخضر، وقد عقدوا على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر واتّخذوا عناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث يظلّ عريش الكروم النخل والكرسيّ.

قال: وكان سليمان عليه السلام إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى

فيستدير الكرسيّ كلّه بما فيه دوران الرحى المسرعة، وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها، وتبسط الأسدان أيديهما فتضربان الأرض بأذنابهما، فكذلك كلّ درجة يصعدها سليمان عليه السلام، فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللّذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأس سليمان عليه السلام، ثمّ يستدير الكرسيّ بما فيه ويدور معه النسران والطاووسان والأسدان قائلات برؤوسها إلى سليمان ينضحن عليه من أجوافها المسك والعنبر، ثمّ تناولت حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسيّ التوراة فيفتحها سليمان عليه السلام ويقرؤها على الناس، ويدعوهم إلى فصل القضاء، ويجلس عظماء بني إسرائيل على كراسيّ من الذهب المفصّصة بالجوهر وهي ألف كرسيّ عن يمينه، وتجيء عظماء الجنّ وتجلس على كراسيّ الفضّة عن يساره وهي ألف كرسيّ حافّين جميعاً به، ثمّ يحفّ بهم الطير فتظلّهم، وتتقدّم إليه النّاس للقضاء، فإذا دعا بالبيّنات والشهود لإقامة الشهادات دار الكرسيّ بما فيه مع جميع ما حوله دوران الرحى المسرعة ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما، وينشر النسران والطاووسان أجنحتهما فيفزع منه الشهود ويدخلهم من ذلك رعب ولا يشهدون إلاّ بالحقّ(١).

معنى قول سليمان عليه السلام:
﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ﴾

عن أبي جميلة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(٢) قلت: فأُعطي الّذي دعا به؟

قال: نعم، ولم يعط بعده إنسان ما أُعطي نبيّ الله عليه السلام من غلبة الشيطان فخنقه إلى أُسطوانة حتّى أصاب بلسانه يد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال رسول الله: لولا ما دعا به سليمان لأريتكموه(٣).

---

(١) عرائس المجالس: ص ٢٦٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٨٣-٨٥، باب ٥/ ذيل ح ٢٩.
(٢) سورة ص، الآية: ٣٥.
(٣) قرب الإسناد: ص ٨١، البحار: ج ١٤/ ص ٨٧-٨٨، باب ٦/ ح ٢.

قال الطبرسيّ قدّس الله روحه: يسأل عن هذا فيقال: إنّ هذا القول من سليمان يقتضي الضنّة والمنافسة لأنّه لم يرض بأن يسأل الملك حتّى أضاف إلى ذلك أن يمنع غيره منه.

وأُجيب عنه بأجوبة:

أحدها: أنّ الأنبياء لا يسألون إلاّ ما يؤذن لهم في مسألته، وجائز أن يكون الله أعلم سليمان أنّه إن سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلح له في الدين، وأعلمه أنّه لا صلاح لغيره في ذلك، ولو أنّ أحدنا صرّح في دعائه بهذا الشرط حتّى يقول: اللّهمّ اجعلني أكثر أهل زماني مالاً إذا علمت أنّ ذلك أصلح لي لكان ذلك منه حسناً جائزاً، اختاره الجبّائيّ.

وثانيها: أنّه يجوز أن يكون عليه السلام التمس من الله آية لنبوّته يبين بها من غيره وأراد: لا ينبغي لأحد غيري ممّن أنا مبعوث إليه، ولم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيّين كما يقال: أنا لا أُطيع أحداً بعدك، أي لا أُطيع أحداً سواك.

وثالثها: ما قاله المرتضى قدّس الله سره: إنّه يجوز أن يكون إنّما سأل ملك الآخرة وثواب الجنّة، ويكون معنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ لا يستحقّه بعد وصولي إليه أحد، من حيث لا يصلح أن يعمل ما يستحقّ به ذلك لانقطاع التكليف.

ورابعها: أنّه التمس معجزة تختصّ به، كما أنّ موسى عليه السلام اختصّ بالعصا واليد واختصّ صالح بالناقة، ومحمّد صلى الله عليه وآله بالقرآن والمعراج، ويدلّ عليه ما روي مرفوعاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه صلّى صلاة فقال: إنّ الشيطان عرض لي ليفسد عليّ الصلاة فأمكنني الله منه فودعته ولقد هممت أن أُوثقه إلى سارية حتّى تصبحوا وتنظروا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ فردّه الله خاسئاً خائباً. أورده البخاريّ ومسلم في الصحيحين انتهى[1].

وقال الرازيّ: أجاب القائلون بأنّ الشيطان استولى على مملكته معناه أن يعطيه

(١) مجمع البيان: ج ٨/ ص ٣٦٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٨٨-٨٩، باب ٦/ ذيل ح ٢.

الله ملكاً لا يقدر الشياطين أن يقوموا مقامه ويسلبونه منه، ثمّ قال بعدما ذكر بعض الأجوبة السابقة: **الثالث**: أنّ الاحتراز عن طيّبات الدنيا مع القدرة عليها أشقّ من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها، فكأنّه قال: يا إلهي أعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلّية حتّى أحترز عنها مع القدرة عليها ليصير ثوابي أكمل وأفضل.

الرابع: من الناس من يقول: الاحتراز عن لذّات الدنيا عسر صعب لأنّ هذه اللّذّات حاضرة وسعادات الآخرة نسيئة، والنقد يصعب بيعه بالنسيئة.

فقال سليمان: أعطني يا ربّ مملكة تكون أعظم الممالك الممكنة للبشر حتّى أنّي أبقى مع تلك القدرة الكاملة في غاية الاحتراز ليظهر للخلق أنّ حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى انتهى(١).

وذكر البيضاويّ وجهاً آخر وهو أنّ المعنى: لا ينبغي لأحد من بعدي لعظمته، كقولك: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، على إرادة وصف الملك بالعظمة، لا أن لا يعطى أحد مثله(٢).



قصة مروره عليه السلام بوادي النمل وتكلمه معها وسائر ما وصل إليه من أصوات الحيوانات

الآيات: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾(٣).

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ هو واد بالطائف، وقيل: بالشام ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ أي صاحت بصوت خلق الله لها، ولمّا كان الصوت مفهوماً لسليمان عليه السلام عبّر عنه بالقول.

(١) تفسير فخر الرازي: ج ٢٦/ المجلد ٩/ ص ٣٩٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٨٩، باب ٦/ ذيل ح ٢.
(٢) تفسير البيضاوي: ج ٤/ ص ١٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٨٩، باب ٦/ ذيل ح ٢.
(٣) سورة النمل، الآيات: ١٧-١٩.

وقيل: كانت رئيسة النمل ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يكسرنكم ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بحطمكم ووطئكم فإنّهم لو علموا بمكانكم لم يطؤوكم، وهذا يدلّ على أنّ سليمان وجنوده كانوا ركباناً ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح، لأنّ الريح لو حملتهم بين السماء والأرض لما خافت النملة أن يطؤوها بأرجلهم، ولعلّ هذه القصّة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان عليه السلام . فإن قيل: كيف عرفت النملة سليمان وجنوده حتّى قالت هذه المقالة؟

قلنا: إذا كانت مأمورة بطاعته فلا بدّ أن يخلق الله لها من الفهم ما تعرف به أُمور طاعته، ولا يمتنع أن يكون لها من الفهم ما تستدرك به ذلك، وقد علمنا أنّها تشقّ ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافة أن تصيبه الندى فينبت إلاّ الكزبرة فإنّها تكسرها بأربع لأنّها تنبت إذا قطعت بنصفين، فمن هداها إلى هذا فإنّه يهديها إلى تمييز ما يحطمها ممّا لا يحطمها.

وقيل: إنّ ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان عليه السلام .

قال ابن عبّاس: فوقف سليمان عليه السلام بجنوده حتّى دخل النمل مساكنه فتبسّم ضاحكاً من قولها، وسبب ضحكه التعجّب لأنّه رأى ما لا عهد له به.

وقيل: إنّه تبسّم بظهور عدله حتّى عرفه النمل؛ وقيل: إنّ الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثة أميال حتّى سمع ذلك فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمبادرة فتبسّم من حذرها ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ أي ألهمني[(١)].

أقول: قال الرازيّ في تفسيره: رأيت في بعض الكتب أنّ تلك النملة إنّما أمرت غيرها بالدخول لأنّها خافت أنّها إذا رأت سليمان على جلالته فربما وقعت في كفران نعمة الله، وهو المراد بقوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ فأمرتها بالدخول في مساكنها لئلاّ ترى تلك النّعم فلا تقع في كفران نعم الله[(٢)].

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قعد على كرسيّه

---

(١) مجمع البيان: ج ٧/ ص ٣٧٠، والبحار: ج ١٤/ ص ٩٠-٩١، باب ٧/ تفسير الآية من النمل.

(٢) تفسير فخر الرازي: ج ٢٤/ المجلد ٨/ ص ٥٤٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٩١، باب ٧/ تفسير الآية من سورة النمل.

وحملته الريح على وادي النمل، وهو واد ينبت الذهب والفضّة، وقد وكل الله به النمل وهو قول الصادق عليه السلام : إنّ لله وادياً ينبت الذهب والفضّة، قد حماه الله بأضعف خلقه وهو النمل، لو رامته البخاتيّ ما قدرت عليه. فلمّا انتهى سليمان إلى وادي النمل فقالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ إلى قوله: ﴿فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: يحبس أوّلهم على آخرهم[1].

عن داود بن سليمان الغازي قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهما السلام في قوله عزّ وجلّ : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ قال: لمّا قالت النملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ حملت الريح صوت النملة إلى سليمان وهو مارّ في الهواء والريح قد حملته فوقف وقال: عليّ بالنملة.

فلمّا أُتي بها قال سليمان: يا أيّتها النملة أما علمت أنّي نبيّ الله وأنّي لا أظلم أحداً؟

قالت النملة: بلى.

قال سليمان: فلمَ حذّرتنيهم ظلمي وقلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾؟

قالت النملة: خشيت أن ينظروا إلى زينتك فيفتتنوا بها فيبعدوا عن الله تعالى ذكره.

ثمّ قالت النملة: أنت أكبر أم أبوك داود؟

قال سليمان عليه السلام : بل أبي داود، قالت النملة: فلمَ زيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم أبيك داود؟

قال سليمان: ما لي بهذا علم.

---

(١) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٠٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٩١-٩٢، باب ٧/ح ١.

قالت النملة: لأنّ أباك داود داوى جرحه بودّ فسمّي داود، وأنت يا سليمان أرجو أن تلحق بأبيك.

ثم قالت النملة: هل تدري لَمَ سخّرت لك الريح من بين سائر المملكة؟

قال سليمان: ما لي بهذا علم، قالت النملة: يعني عزّ وجلّ بذلك: لو سخّرت لك جميع المملكة كما سخّرت لك هذه الريح لكان زوالها من يدك كزوال الريح، فحينئذ تبسّم ضاحكاً من قولها[1].

قال الثعلبيّ في تفسيره: رأيت في بعض الكتب وذكر نحوه، وفيه:

فقالت النملة: هل علمت لَمَ سمّي أبوك داود؟

فقال: لا.

قالت: لأنّه داوى جرحه بودّ، هل تدري لَمَ سمّيت سليمان؟

قال: لا.

قالت: لأنّك سليم ركنت إلى ما أُوتيت لسلامة صدرك، وآن لك أنّ تلحق بأبيك.

التعليل الّذي ذكرته النملة يحتمل وجوهاً من التأويل:

الأوّل: وهو الّذي ارتضيته أنّ المعنى أنّ أباك لمّا ارتكب ترك الأولى وصار قلبه مجروحاً بذلك فداواه بودّ الله تعالى ومحبّته فلذا سمّي داود اشتقاقاً من الدواء بالودّ وأنت لمّا لم ترتكب بعد وأنت سليم منه سمّيت سليمان، فخصوص العلّتين للتسميتين صارتا علّة لزيادة اسمك على اسم أبيك.

ثمّ لمّا كان كلامها موهماً لكونه من جهة السلامة أفضل من أبيه استدركت ذلك بأنّ ما صدر عنه لم يصر سبباً لنقصه، بل صار سبباً لكمال محبّته وتمام مودّته، وأرجو أن تلحق أنت أيضاً بأبيك في ذلك ليكمل محبّتك.

الثاني: أنّ المعنى أنَّ أصل الاسم كان داوى جرحه بودّ وهو أكثر من اسمك،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢/ ص ٨٤، باب ٣٢/ح٨، وعلل الشرائع: ج ١/ ص ٩١، باب ٦٣/ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٩٢، باب ٧/ح ٢.

وإنّما صار بكثرة الاستعمال داود، ثمّ دعا له ورجّاه بقوله: أرجو أن تلحق بأبيك، أي في الكمال والفضل.

الثالث: ما ذكره بعض المعاصرين وهو أنّ المراد أنّ هذا الاسم مشتمل على سليم، أو مأخوذ منه، والسليم قد يستعمل في الجريح كاللّديغ تفاؤلاً بصحّته وسلامته، أو أنت سليم من المداواة الّتي حصلت لأبيك فلهذا سمّيت سليمان، فالحرف الزائد للدلالة على وجود الجرح، وكما أنّ الجرح زائد في البدن أو النفس عن أصل الخلقة كان في الاسم حرف زائد للدلالة على ذلك، وفيه معنى لطيف وهو أنّ هذه الزيادة في الاسم الدالّة على الزيادة في المسمّى ليست ممّا يزيد به الاسم والمسمى كمالاً، بل قد تكون الزيادة لغير ذلك.

الرابع: ما يفهم ممّا عنون الصدوق الباب الّذي أورد الخبر فيه به، حيث قال: «باب العلّة الّتي من أجلها زيد في حروف اسم سليمان حرف من حروف اسم أبيه داود» فلعلّه رحمه الله حمل الخبر على أنّ المعنى أنّك لمّا كنت سليماً أُريد أن يشتقّ لك اسم يشتمل على السلامة، ولمّا كان أبوك داود داوى جرحه بالودّ وصار كاملاً بذلك أراد الله تعالى أن يكون في اسمك حرف من حروف اسمه لتلحق به في الكمال، فزيد فيه الألف وما يلزمه لتمام التركيب وصحّته من النون فصار سليمان، وإلاّ لكان السليم كافياً للدلالة على السلامة، فلذا زيد حروف اسمك على حروف اسم أبيك، ولو كان في الخبر «من حروف اسم أبيك» كما رأينا في بعض النسخ كان ألصق بهذا المعنى.

وقوله: (أرجو أن تلحق بأبيك) أي لتلك الزيادة فيدلّ ضمناً وكناية على أنه إنّما زيد لذلك، ولا يخفى بعده(١).

بإسناده إلى حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّه قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقي، فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللّهمّ إنّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك، فلا تهلكنا بذنوب بني آدم.

---

(١) البحار: ج ١٤/ص ٩٣-٩٤، باب ٧.

فقال سليمان عليه السلام لأصحابه: ارجعوا لقد سقيتم بغيركم[(١)].

ذكروا أنّ سليمان عليه السلام كان جالساً على شاطئ بحر فبصر بنملة تحمل حبّة قمح تذهب بها نحو البحر، فجعل سليمان ينظر إليها حتّى بلغت الماء، فإذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاها فدخلت النملة فاها وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة وسليمان يتفكّر في ذلك متعجباً، ثمّ إنّها خرجت من الماء وفتحت فاها فخرجت النملة من فيها ولم يكن معها الحبّة، فدعاها سليمان عليه السلام وسألها عن حالها وشأنها وأين كانت.

فقالت: يا نبيّ الله إنّ في قعر هذا البحر الّذي تراه صخرة مجوّفة وفي جوفها دودة عمياء، وقد خلقها الله تعالى هنالك فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكّلني الله برزقها، فأنا أحمل رزقها، وسخّر الله هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرّني الماء في فيها، وتضع فاها على ثقب الصخرة وأدخلها، ثمّ إذا أوصلت رزقها إليها خرجت من ثقب الصخرة إلى فيها فتخرجني من البحر.

قال سليمان عليه السلام: وهل سمعت لها من تسبيحة؟

قالت: نعم، تقول: يا من لا ينساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللّجّة برزقك لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك[(٢)].



تفسير قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾

الآيات: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾[(٣)].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١/ح ١٤٩١، والبحار: ج ١٤/ص ٩٤، باب ٧/ح ٣.
(٢) دعوات الراوندي: ص ١١٥، والبحار: ج ١٤/ص ٩٧-٩٨، باب ٧/ح ٤.
(٣) سورة ص، الآيات: ٣٠-٣٤.

قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠)﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وذلك أنّ سليمان عليه السلام كان يحبّ الخيل ويستعرضها، فعرضت عليه يوماً إلى أن غابت الشمس، وفاتته صلاة العصر، فاغتمّ من ذلك غمّاً شديداً، فدعا الله عزّ وجلّ أن يردّ عليه الشمس حتّى يصلّي العصر، فردّ الله سبحانه عليه الشمس إلى وقت صلاة العصر حتّى صلاّها، ثمَّ دعا بالخيل فأقبل يضرب أعناقها وسوقها بالسيف حتّى قتلها كلّها، وهو قوله عزّ اسمه: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ وهو أنَّ سليمان لمّا تزوّج باليمانيّة ولد منها ابن وكان يحبّه، فنزل ملك الموت على سليمان وكان كثيراً ما ينزل عليه، فنظر إلى ابنه نظراً حديداً، ففزع سليمان من ذلك، فقال لأُمّه: إنّ ملك الموت نظر إلى ابني نظرة أظنّه قد أُمر بقبض روحه.

فقال للجنّ والشياطين: هل لكم حيلة في أن تفرّوه من الموت؟

فقال واحد منهم: أنا أضعه تحت عين الشمس في المشرق.

فقال سليمان: إنّ ملك الموت يخرج ما بين المشرق والمغرب.

فقال واحد منهم: أنا أضعه في الأرضين السابعة.

فقال: إنّ ملك الموت يبلغ ذلك.

فقال آخر: أنا أضعه في السحاب والهواء، فرفعه ووضعه في السحاب فجاء ملك الموت فقبض روحه في السحاب، فوقع ميّتاً على كرسيّ سليمان، فعلم أنّه قد أخطأ، فحكى الله ذلك في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦)﴾ والرخاء: اللّينة ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧)﴾ أي في البحر ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ يعني مقيّدين قد شدّ بعضهم إلى بعض، وهم الّذين عصوا سليمان عليه السلام حين سلبه الله عزّ وجلّ ملكه.

وقال الصادق عليه السلام: جعل الله عزّ وجلّ ملك سليمان عليه السلام في خاتمه، فكان إذا لبسه حضرته الجنّ والإنس والشياطين وجميع الطير والوحش وأطاعوه فيقعد على كرسيّه ويبعث الله عزّ وجلّ ريحاً تحمل الكرسيّ بجميع ما عليه من الشياطين والطير

والإنس والدوابّ والخيل فتمرّ بها في الهواء إلى موضع يريده سليمان عليه السلام، وكان يصلّي الغداة بالشام، والظهر بفارس، وكان يأمر الشياطين أن يحملوا الحجارة من فارس يبيعونها بالشام، فلمّا مسح أعناق الخيل وسوقها بالسيف سلبه الله ملكه، وكان إذا دخل الخلاء دفع خاتمه إلى بعض من يخدمه فجاء شيطان فخدع خادمه وأخذ من يده الخاتم ولبسه، فخرّت عليه الشياطين والجنّ والإنس والطير والوحوش، وخرج سليمان عليه السلام في طلب الخاتم فلم يجده، فهرب ومرّ على ساحل البحر وأنكرت بنو إسرائيل الشيطان الّذي تصوّر في صورة سليمان، وصاروا إلى أُمّه فقالوا لها: أتنكرين من سليمان شيئاً؟

فقالت: كان أبرّ الناس بي وهو اليوم يعصيني، وصاروا إلى جواريه ونسائه وقالوا: أتنكرين من سليمان شيئاً؟ قلن: لم يكن يأتينا في الحيض وهو يأتينا في الحيض، فلمّا خاف الشيطان أن يفطنوا به ألقى الخاتم في البحر، فبعث الله سمكة فالتقمته وهرب الشيطان فبقوا بنو إسرائيل يطلبون سليمان عليه السلام أربعين يوماً، وكان سليمان عليه السلام يمرّ على ساحل البحر تائباً إلى الله ممّا كان منه، فلمّا كان بعد أربعين يوماً مرّ بصيّاد يصيد السمك فقال له: أُعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً؟

قال: نعم، فأعانه سليمان عليه السلام، فلمّا اصطاد دفع إلى سليمان عليه السلام سمكة فأخذها فشقَّ بطنها وذهب يغسلها فوجد الخاتم في بطنها فلبسه، فخرّت عليه الشياطين والجنّ والإنس والطير والوحوش ورجع إلى ما كان، وطلب ذلك الشيطان وجنوده الّذين كانوا معه فقيّدهم وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخر بأسامي الله، فهم محبوسون معذّبون إلى يوم القيامة.

قال: ولمّا رجع سليمان إلى ملكه قال لآصف بن برخيا - وكان آصف كاتب سليمان وهو الّذي كان عنده علم من الكتاب -: قد عذرت الناس بجهالتهم فكيف أعذرك؟

فقال: لا تعذرني فلقد عرفت الحوت الّذي أخذ خاتمك وأباه وأُمّه وعمّه وخاله، ولقد قال لي: اكتب لي.

فقلت له: إنّ قلمي لا يجري بالجور.

فقال: اجلس ولا تكتب، فكنت أجلس ولا أكتب شيئاً، ولكن أخبرني عنك يا سليمان صرت تحبّ الهدهد وهو أخسّ الطير منتناً وأخبثه ريحاً.

قال: إنّه يبصر الماء من وراء الصفا الأصمّ.

فقال: وكيف يبصر الماء من وراء الصفا وإنّما يوارى عنه الفخّ بكفّ من تراب حتّى يأخذ بعقبه؟

فقال سليمان: قف يا وقاف إنّه إذا جاء القدر حال دون البصر(١).

ما ذكره عليّ بن إبراهيم في تأويل تلك الآيات كلّها موافقة لروايات المخالفين، وإنّما أوّلها علماؤنا على وجوه أُخر: قال الصدوق رحمه الله في الفقيه: قال زرارة والفضيل: قلنا لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾(٢)؟ قال: يعني كتاباً مفروضاً، وليس يعني وقت فوتها إن جاز ذلك الوقت ثمَّ صلاّها لم تكن صلاة مؤدّاة، ولو كان ذلك كذلك لهلك سليمان بن داود عليه السلام حين صلاّها بغير وقتها، ولكنه متى ذكرها صلاّها.

ثمّ قال رحمه الله: إنّ الجهّال من أهل الخلاف يزعمون أنّ سليمان عليه السلام اشتغل ذات يوم بعرض الخيل حتّى توارت الشمس بالحجاب، ثمّ أمر بردّ الخيل وأمر بضرب سوقها وأعناقها، وقال: إنّها شغلتني عن ذكر ربّي، وليس كما يقولون، جلّ نبيّ الله سليمان عليه السلام عن مثل هذا الفعل، لأنّه لم يكن للخيل ذنب فيضرب سوقها وأعناقها لأنّها لم تعرض نفسها عليه ولم تشغله، وإنّما عرضت عليه وهي بهائم غير مكلّفة.

والصحيح في ذلك ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام عرض عليه ذات يوم بالعشيّ الخيل، فاشتغل بالنظر إليها حتّى توارت الشمس بالحجاب فقال للملائكة: ردّوا الشمس عليّ حتّى أُصلّي صلاتي في وقتها، فردّوها فقام فطفق مسح ساقيه وعنقه، وأمر أصحابه الّذين فاتتهم الصلاة

(١) تفسير القمي: ج ٢/ ص ٢٠٧، والبحار: ج ١٤/ ص ٩٨-١٠١، باب ٨/ ح ١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

معه بمثل ذلك، وكان ذلك وضوؤهم للصلاة، ثمّ قام فصلّى فلمّا فرغ غابت الشمس وطلعت النجوم، وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ وقد أخرجت هذا الحديث مسنداً في كتاب الفوائد انتهى[1].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿الصَّافِنَاتُ﴾: الخيل الواقفة على ثلاث قوائم، الواضعة أطراف السنبك الرابع على الأرض ﴿الْجِيَادُ﴾: السريعة المشي، الواسعة الخطو.

قال مقاتل: إنّه ورث من أبيه ألف فرس، وكان أبوه قد أصاب ذلك من العمالقة؛ وقال الكلبيّ غزا سليمان دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس.

وقال الحسن: كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة، وقال: المراد بالخير الخيل هنا، فإنّ العرب تسمّي الخيل الخير.

وقيل: معناه حبّ المال، وكان سليمان عليه السلام قد صلّى الصلاة الأُولى وقعد على كرسيّه والخيل تعرض عليه حتّى غابت الشمس.

وفي روايات أصحابنا أنّه فاته أوّل الوقت؛ وقال الجبّائيّ: لم يفته الفرض، وإنّما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل.

وقيل: إنّ ذكر ربّي كناية عن كتاب التوراة انتهى[2].

ولنذكر بعض ما ذكر من وجوه التأويل في تلك الآيات: قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه: ظاهر الآية لا يدلّ على إضافة قبيح إلى النبيّ، والرواية إذا كانت مخالفة لما تقتضيه الأدلّة لا يلتفت إليها لو كانت قويّة ظاهرة، فكيف إذا كانت ضعيفة واهية؟!

والّذي يدلّ على ما ذكرناه على سبيل الجملة أنّ الله تعالى ابتدأ الآية بمدحه والثناء عليه، فقال: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ وليس يجوز أن يثني عليه بهذا الثناء ثمّ يتبعه من غير فصل بإضافة القبيح إليه، وأنّه تلهّى بعرض الخيل عن فعل المفروض عليه من الصّلاة، والّذي يقتضيه الظاهر أنّ حبّه للخيل وشغفه بها كان

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١/ح ٦٠٦، والبحار: ج ١٤/ص ١٠١-١٠٢، باب ٨/ذيل ح ١.
(٢) مجمع البيان: ج ٨/ص ٣٥٨، والبحار: ج ١٤/ص ١٠٢، باب ٨/ ذيل ح ١.

عن إذن ربّه وأمره وبتذكيره إيّاه، لأنّ الله تعالى قد أمرنا بارتباط الخيل وإعدادها لمحاربة الأعداء، فلا ينكر أن يكون سليمان عليه السلام مأموراً بمثل ذلك انتهى[١].

قصته عليه السلام مع بلقيس

كان سليمان عليه السلام إذا قعد على كرسيّه جاءت جميع الطير الّتي سخّرها الله لسليمان فتظلّ الكرسيّ والبساط بجميع من عليه من الشمس، فغاب عنه الهدهد من بين الطير فوقعت الشمس من موضعه في حجر سليمان، فرفع رأسه، وقال كما حكى الله: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ إلى قوله: ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجّة قويّة، فلم يمكث إلاّ قليلاً إذ جاء الهدهد فقال له سليمان: أين كنت؟

قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ أي بخبر صحيح ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ و هذا ممّا لفظه عامّ ومعناه خاصّ، لأنّها لم تؤت أشياء كثيرة منها الذكر واللّحية، ثمّ قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

ثمّ قال الهدهد: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي المطر وفي ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات ثمّ قال سليمان: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فقال الهدهد: إنّها في عرش عظيم أي سرير.

فقال سليمان: ألق الكتاب على قبّتها، فجاء الهدهد فألقى الكتاب في حجرها فارتاعت من ذلك وجمعت جنودها وقالت لهم كما حكى الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ أي مختوم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي لا تتكبّروا عليّ، ثمّ قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ قالوا لها كما حكى الله: ﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

---

(١) تنزيه الأنبياء: ص ٩٣، والبحار: ج ١٤/ ص ١٠٢، باب ٨/ ذيل ح ١.

فقالت لهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾(١) ثمّ قالت: إن كان هذا نبيّاً من عند الله كما يدّعي فلا طاقة لنا به، فإنّ الله لا يُغلب، ولكن سأبعث إليه بهديّة فإن كان ملكاً يميل إلى الدنيا قبلها وعلمت أنّه لا يقدر علينا، فبعثت إليه حقّاً فيه جوهرة عظيمة، وقالت للرسول: قل له: يثقب هذه الجوهرة بلا حديد ولا نار، فأتاه الرسول بذلك فأمر سليمان عليه السلام بعض جنوده من الديدان فأخذ خيطاً في فمه ثمّ ثقبها وأخرج الخيط من الجانب الآخر وقال سليمان لرسولها: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي لا طاقة ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ فرجع إليها الرسول فأخبرها بذلك وبقوّة سليمان فعلمت أنّه لا محيص لها، فارتحلت وخرجت نحو سليمان، فلمّا أخبر الله سليمان بإقبالها نحوه قال للجنّ والشياطين: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ من عفاريت الجن: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾.

قال سليمان: أُريد أسرع من ذلك، فقال آصف بن برخيا: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فدعا الله باسمه الأعظم فخرج السرير من تحت كرسيّ سليمان ابن داود عليه السلام فقال سليمان: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ وكان سليمان قد أمر أن يتّخذ لها بيت من قوارير ووضعه على الماء، ثمّ قيل لها: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ فظنّت أنّه ماء فرفعت ثوبها وأبدت ساقيها فإذا عليها شعر كثير، فقيل لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢) فتزوّجها سليمان وهي بلقيس بنت الشرح الجبيريّة، وقال سليمان للشياطين: اتّخذوا لها شيئاً يذهب هذا الشعر عنها، فعملوا الحمّامات وطبخوا النورة فالحمّامات والنورة ممّا اتّخذته الشياطين لبلقيس، وكذا الأرحية الّتي تدور على الماء.

وقال الصادق عليه السلام: أُعطي سليمان بن داود عليه السلام مع علمه معرفة المنطق

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٢-٣٤.
(٢) سورة النمل، الآيات: ٣٦-٤٤.

بكلّ لسان ومعرفة اللّغات ومنطق الطير والبهائم والسباع، فكان إذا شاهد الحروب تكلّم بالفارسيّة وإذا قعد لعمّاله وجنوده وأهل مملكته تكلّم بالروميّة، فإذا خلا مع نسائه تكلّم بالسريانيّة والنبطيّة، وإذا قام في محرابه لمناجاة ربّه تكلّم بالعربيّة، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلّم بالعبرانيّة قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾(١) يقول: لأنتفنّ ريشه.

قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَىَّ﴾ يقول: لا تعظموا عليّ.

قوله: ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ يقول: لا طاقة لهم بها، وقول سليمان: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ﴾ الّذي آتاني من الملك ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾(٢) إذا رأيت من هو دوني أفضل منّي علماً، فعزم الله له على الشكر(٣).

عن محمّد بن حمّاد، عن أخيه أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبيّ صلى الله عليه وآله ورث النبيّين كلّهم؟

قال: نعم.

قلت: من لدن آدم حتّى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبيّاً إلاّ ومحمّد صلى الله عليه وآله أعلم منه.

قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله.

قال: صدقت، وسليمان بن داود عليه السلام كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل.

قال: فقال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ حين فقده فغضب عليه فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وإنّما غضب لأنّه كان يدلّه على الماء فهذا وهو طائر قد أُعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح

(١) سورة النمل، الآية: ٢٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٠٣، والبحار: ج ١٤/ص ١١٠-١١٢، باب ٩/ح ٣.

والنمل والجنّ والإنس والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(١) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الّذي فيه ما تسيّر به الجبال، وتقطّع به البلدان وتحيي به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلاّ أن يأذن الله به، الخبر(٢).

تحت الهواء لعلّ المراد منه تحت الأرض كما سيأتي، فإنّ الأرض أيضاً تحت الهواء، أو المراد معرفته حين كونهم على البساط في الهواء.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم(٣).

عن سعد أبي عمر الجلّاب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثمّ تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كان أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكتوب عنده(٤).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ صاحب سليمان تكلّم باسم الله الأعظم فخسف ما بين سرير سليمان وبين العرش من سهولة الأرض وحزونتها

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٢) أصول الكافي: ج ١/ص ١٢٩، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله/ج ٧، والبحار: ج ١٤/ص ١١٢-١١٣، باب ٩/ح ٤.

(٣) أصول الكافي: ج ١/ص ١٣٢، باب أن ما أعطي الأئمة من الاسم الأعظم/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ١١٣، باب ٩/ح ٥.

(٤) بصائر الدرجات: ص ٢٠٥/ج ٤، باب ١٢/ج ٨، والبحار. ج ١٤/ص ١١٤، باب ٩/ح ٧.

حتّى التقت القطعتان فاجترّ العرش، قال سليمان: يخيّل إليّ أنّه خرج من تحت سريري، قال: ودحيت في أسرع من طرفة العين[١].

ظاهر أكثر تلك الأخبار أنّ الأرض الّتي كانت بينه وبين السرير انخسفت وتحرّكت الأرض الّتي كان السرير عليها حتّى أحضرته عنده.

فإن قيل: كيف انخسفت الأبنية الّتي كانت عليها؟

قلنا: يحتمل أن تكون تلك الأبنية تحرّكت بأمره تعالى يميناً وشمالاً، وكذا ما عليها من الحيوانات والأشجار وغيرها، ويمكن أن يكون حركة السرير من تحت الأرض بأن غار في الأرض وطويت وتكاثفت الطبقة التحتانيّة حتّى خرج من تحت سريره ثمّ دحيت تلك الطبقة من تحت الأرض.

وروى العيّاشيّ في تفسيره بالإسناد قال: التقى موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى ويحيى بن أكثم فسأله عن مسائل قال: فدخلت على أخي عليّ بن محمّد عليه السلام بعد أن دار بيني وبينه من المواعظ حتّى انتهيت إلى طاعته، فقلت له: جعلت فداك إنّ يحيى بن أكثم سألني عن مسائل أُفتيه فيها، فضحك، فقال: فهل أفتيته فيها؟

قلت: لا.

قال: ولم؟

قلت: لم أعرفها.

قال: وما هي؟

قلت: قال: أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا؟ ثمّ ذكر المسائل الأُخر، قال: اكتب يا أخي: بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٢] فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف، لكنّه أحبّ أن يعرف أُمّته من الإنس والجنّ أنّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهّمه

(١) كامل الزيارات: ص ١٢٨/باب ١٧/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ١١٤، باب ٩/ح ١١.
(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.

الله ذلك لئلاّ يختلف في إمامته ودلالته، كما فهّم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام ليتعرّف إمامته ونبوّته من بعده لتأكيد الحجّة على الخلق[١].

قال الثعلبيّ في تفسيره: قالت العلماء بسير الأنبياء: إنّ نبيّ الله سليمان عليه السلام لمّا فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهّز للمسير واستصحب من الجنّ والإنس والشياطين والطير والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ، فأمر الريح الرخاء فحملتهم، فلمّا وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم، فكان ينحر كلّ يوم طول مقامه بمكّة خمسة آلاف بدنة، وخمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضر من أشراف قومه: إنّ هذا مكان يخرج منه نبيّ عربيّ صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من ناواه، ويبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحقّ سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم.

قالوا: فبأيّ دين يدين يا نبيّ الله؟ قال: بدين الحنيفيّة فطوبى لمن أدركه وآمن به وصدّقه.

قالوا: فكم بيننا وبين خروجه يا نبيّ الله؟

قال: ذهاب ألف عام، فليبلّغ الشاهد منكم الغائب، فإنّه سيّد الأنبياء وخاتم الرسل، وإنّ اسمه لمثبت في زبر الأنبياء.

قالوا: فأقام بمكّة حتّى قضى نسكه، ثمّ أحبّ أن يسير إلى أرض اليمن فخرج من مكّة صباحاً وسار نحو اليمن يوم نجم سهيل، فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرض حسنة تزهر خضرتها فأحبّ النزول بها ليصلي ويتغدّى فطلبوا الماء فلم يجدوا، وكان دليله على الماء الهدهد، كان يرى الماء من تحت الأرض فينقر الأرض فيعرف موضع الماء وبعده، ثمّ تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب، ثمّ يستخرجون الماء.

قالوا: فلمّا نزل قال الهدهد: إنّ سليمان عليه السلام قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فانظر إلى عرض الدنيا وطولها، ففعل ذلك ونظر يميناً وشمالاً، فرأى

(١) تفسير العياشي: ج ٣/ ص ١٣٧، المستدرك ح ٢٣، والبحار: ج ١٤/ ص ١٤٧، باب ٩/ ح ١٣.

بستاناً لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد فهبط عليه، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، واسم هدهد اليمن عنقير، فقال عنقير ليعفور: من أين أقبلت وأين تريد؟

قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان ابن داود.

قال: ومن سليمان بن داود؟

قال: ملك الجنّ والإنس والطير والوحوش والشياطين والرياح، فمن أين أنت؟

قال: أنا من هذه البلاد.

قال: ومن ملكها؟

قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإنّ لصاحبكم سليمان ملكاً عظيماً، وليس ملك بلقيس دونه، فإنّها ملكة اليمن كلّها، وتحت يدها اثنى عشر ألف قائد، تحت كلّ قائد مائة ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتّى تنظر إلى ملكها؟

قال: أخاف أن يتفقّدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء.

قال الهدهد اليمانيّ: إنّ صاحبك ليسرّه أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان عليه السلام إلاّ وقت العصر فلمّا طلبه سليمان عليه السلام فلم يجده دعا عريف الطيور وهو النسر فسأله عنه.

فقال: ما أدري أين هو؟ وما أرسلته مكاناً، ثمّ دعا بالعقاب فقال: عليّ بالهدهد، فارتفع فإذا هو بالهدهد مقبلاً فانقضّ نحوه، فناشده الهدهد بحقّ الله الّذي قوّاك وأغلبك عليّ إلاّ رحمتني ولم تتعرّض لي بسوء.

قال: فولّى عنه العقاب وقال له: ويلك ثكلتك أُمّك إنّ نبيّ الله حلف أن يعذّبك أو يذبحك، ثمّ طارا متوجّهين نحو سليمان فلمّا انتهى إلى المعسكر تلقّته النسر والطير فقالوا: توعّدك نبيّ الله فقال الهدهد: أوما استثنى نبيّ الله؟

فقالوا: بلى ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ فلمّا أتيا سليمان وهو قاعد على كرسيّه قال العقاب: قد أتيتك به يا نبيّ الله، فلمّا قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرّهما على الأرض تواضعاً لسليمان، فأخذ برأسه فمدّه إليه، فقال: أين كنت؟

فقال: يا نبيّ الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلمّا سمع ذلك سليمان عليه السلام ارتعد وعفا عنه - وساق القصّة إلى أن قال: وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتّى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون حتّى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها. إلى آخر القصّة(١).



ما أُوحي إليه وصدر عنه من الحكم، وفيه قصة نفش الغنم

الآيات: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿٧٩﴾﴾(٢).

قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في الحكم فقيل: إنّه زرع وقعت فيه الغنم ليلاً فأكلته؛ وقيل: كان كرماً قد بدت عناقيده عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.

وقال الجبّائيُّ: أوحى الله إلى سليمان عليه السلام بما نسخ به حكم داود عليه السلام ولم يكن ذلك عن اجتهاد وهو المعوّل عليه عندنا(٣).

عن سفيان بن نجيح، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال سليمان بن داود عليه السلام: أُوتينا ما أُوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا، فلم نجد شيئاً أفضل من خشية الله في المغيب والمشهد، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة الحقّ في الرضى والغضب، والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ على كلّ حال(٤).

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى. ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ قال: لم يحكما، إنّما كانا يتناظران ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾(٥) (٦).

---

(١) البحار: ج ١٤/ص ١٢٨-١٣٠، باب ٩/ ذيل ح ١٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨-٧٩.
(٣) مجمع البيان: ج ٧/ص ١٠٣، والبحار: ج ١٤/ ص ١٣٠، باب ١٠/ تفسير آية من سورة الأنبياء.
(٤) الخصال: ص ٢٤١، باب الأربعة/ح ٢٤١، والبحار: ج ١٤/ ص ١٣٠، باب ١٠/ ح ١.
(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨-٧٩.
(٦) المحاسن: ص ٢٧٧، والبحار: ج ١٤/ ص ١٣١، باب ١٠/ح ٣.

عن أحمد بن عمر الحلبيّ قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قال: كان حكم داود عليه السلام رقاب الغنم، والّذي فهّم الله عزّ وجلّ سليمان أن يحكم لصاحب الحرث باللّبن والصوف ذلك العام كلّه[(١)].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قلت: حين حكما في الحرث كانت قضيّة واحدة؟

فقال: إنّه كان أوحى الله عزّ وجلّ إلى النبيّين قبل داود إلى أن بعث الله داود عليه السلام: أيُّ غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم، ولا يكون النفش إلاّ باللّيل، وإنّ على صاحب الزرع أن يحفظ بالنهار، وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم باللّيل، فحكم داود عليه السلام بما حكمت به الأنبياء عليهم السلام من قبله.

وأوحى الله تعالى إلى سليمان: أيُّ غنم نفشت في الزرع فليس لصاحب الزرع إلاّ ما خرج من بطونها، وكذلك جرت السنّة بعد سليمان عليه السلام، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فحكم كلّ واحد منهما بحكم الله عزّ وجلّ[(٢)].

عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الإمامة عهد من الله عزّ وجلّ معهود لرجال مسمّين، ليس للإمام أن يزويها عن الّذي يكون من بعده، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام: أن اتّخذ وصيّاً من أهلك، فإنّه قد سبق في علمي أن لا أبعث نبيّاً إلاّ وله وصيّ من أهله، وكان لداود عليه السلام أولاد عدّة، وفيهم غلام كانت أُمّه عند داود عليه السلام، وكان لها محبّاً، فدخل داود عليه السلام عليها حين أتاه الوحي، فقال لها: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ يأمرني أن أتّخذ وصيّاً من أهلي.

فقالت له امرأته: فليكن ابني.

قال: ذاك أُريد، وكان السابق في علم الله المحتوم عنده أنّه سليمان، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى داود أن لا تعجل دون أن يأتيك أمري، فلم يلبث داود عليه السلام أن ورد عليه رجلان يختصمان في الغنم والكرم.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣/ح ٣٤١٧/ ص ٤٥٩، والبحار: ج ١٤/ ص پ١٣، باب ١٠/ح ٤

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٧/باب ٢١/ح ٢، والبحار: ج ١٤/ص ١٣٢، باب ١٠/ح ٦.

فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: أن اجمع ولدك، فمن قضى بهذه القضيّة فأصاب فهو وصيّك من بعدك، فجمع داود عليه السلام ولده فلمّا أن اقتصّ الخصمان قال سليمان عليه السلام: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟

قال: دخلته ليلاً.

قال: قد قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا، ثمّ قال له داود عليه السلام: فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوّم ذلك علماء بني إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟

فقال سليمان عليه السلام: إنّ الكرم لم يجتثّ من أصله، وإنّما أُكل حمله وهو عائد في قابل، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام أنّ القضاء في هذه القضيّة ما قضى سليمان به، يا داود أردت أمراً وأردنا أمراً غيره، فدخل داود عليه السلام على امرأته فقال: أردنا أمراً وأراد الله غيره، ولم يكن إلاّ ما أراد الله عزّ وجلّ فقد رضينا بأمر الله عزّ وجلّ وسلّمنا، وكذلك الأوصياء عليهم السلام ليس لهم أن يتعدّوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه إلى غيره(١).

اعلم أنّه لمّا ثبت بالدلائل العقليّة عدم جواز الاجتهاد والرأي على الأنبياء عليهم السلام وأنّهم لا يحكمون إلاّ بالوحي فلذا ذهب بعض أصحابنا وبعض المعتزلة إلى أنّه تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام ما نسخ حكم داود عليه السلام، وكان حكم داود عليه السلام أيضاً بالوحي، ويرد عليه أنَّ شريعة سليمان لم تكن ناسخة فكيف نسخت ما ثبت في شريعة موسى عليه السلام؟

ويمكن الجواب عنه بأنّه لم يثبت امتناع نسخ بعض جزئيّات الأحكام في زمن غير أُولي العزم من الرسل، وأمّا النسخ الكلّيّ والإتيان بشريعة مبتدأة فهو مختصٌّ بأُولي العزم منهم، مع أنّه يمكن أن يكون موسى عليه السلام أخبر بأنّ هذا الحكم ثابت إلى زمن سليمان عليه السلام ثمّ يتغيّر الحكم.

(١) أصول الكافي: ج ١/ص ١٥٨، باب إن الإمامة عهد من الله/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ١٣٢-١٣٣، باب ١٠/ح ٧.

والأصوب في الجواب أن يقال: إنّ الآية لا تدلّ على أنّ سليمان عليه السلام حكم بخلاف ما حكم به داود عليه السلام بل يحتمل أن يكون المراد: إذ يريدان أن يحكما في الحرث كما دلت عليه رواية أبي بصير في التفسير ورواية زرارة، فهما كانا يتناظران في ذلك منتظرين للوحي أو كان داود عليه السلام عالماً بالحكم وكان يسأل سليمان عليه السلام ليبيّن فضله على الناس، فأوحى الله ذلك إلى سليمان عليه السلام، ويؤيّده أنّ في خبر معاوية نسب الحكم برقاب الغنم إلى علماء بني إسرائيل والسؤال الّذي اشتمل عليه الخبر محمول على ما ذكرنا من إرادة ظهور فضله على بني إسرائيل.

وأمّا خبر الحلبيّ فيمكن أن يكون محمولاً على التقيّة، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بحكم داود الحكم الّذي كان شائعاً في زمانه، أو الحكم الّذي كان يلقيه على سليمان ليختبره ويظهر عقله وعلمه، وكذا القول في سائر الأخبار والله يعلم[١].

عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت أُمّ سليمان ابن داود لسليمان عليه السلام: يا بنيّ إيّاك وكثرة النوم باللّيل فإنّ كثرة النوم باللّيل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة[٢].

قال سليمان بن داود عليه السلام لابنه: يا بنيّ إيّاك والمراء فإنّه ليست فيه منفعة، وهو يهيّج بين الإخوان العداوة[٣].

وفاته عليه السلام وما كان بعده

الآيات: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٤].

(١) البحار: ج ١٤/ ص ١٣٣-١٣٤، باب ١٠/ ذيل ح ٧.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣/ ص ٦٢٤/ ح ٤٩١٥، والبحار: ج ١٤/ ص ١٣٤، باب ١٠/ ح ٨.
(٣) تنبيه الخواطر: ج ٢/ ص ١٢، والبحار: ج ١٤/ ص ١٣٤، باب ١٠/ ح ٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾(١).

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ أي اليهود الّذين كانوا على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أو على عهد سليمان عليه السلام، أو الأعمّ، أي اقتدوا بما كانت ﴿تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ أي تتّبع وتعمل به؛ وقيل: تقرأ؛ وقيل: تكذب، يقال: تلا عليه: إذا كذب، والشياطين: شياطين الجنّ، وقيل: شياطين الإنس ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾.

قيل: أي في ملك سليمان على وجهين:

أحدهما: في عهده.

والثاني: في نفس ملك سليمان، كما يقال: فلان يطعن في ملك فلان.

وقيل: معناه: على عهد ملك سليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ بيّن بهذا أنَّ ما كانت تتلوه الشياطين وترويه كان كفراً إذ برئ سليمان منه، ثمّ بيّن أنّ ذلك الكفر كان من نوع السحر، فإنَّ اليهود أضافوا إلى سليمان السحر، وزعموا أنّ ملكه كان به فبرّأه الله منه.

وقيل: في السبب الّذي لأجله أضافت السحر إلى سليمان عليه السلام أنّ سليمان عليه السلام كان قد جمع كتب السحرة ووضعها في خزائنه.

وقيل: كتمها تحت كرسيّه لئلاّ يطّلع النّاس عليها ولا يعملوا بها، فلمّا مات سليمان عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا: إنّما تمّ ملك سليمان عليه السلام بالسحر، وبه سخّر الجنّ والإنس والطير، وزيّنوا السحر في أعين الناس بالنسبة إلى سليمان عليه السلام وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عليه السلام ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾(٢) بما استخرجوه من السحر، أو بما نسبوه إلى سليمان عليه السلام، أو بأنّهم سحروا فعبّر عن السحر بالكفر ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي ألقوا السحر إليهم فتعلّموه، أو دلّوهم على استخراجه من تحت

(١) سورة سبأ، الآية: ١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

الكرسيّ فتعلّموه ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ أي ما دلّ الجنّ على موته إلاّ الأرضة حيث أكلت عصاه فسقط فعلموا أنّه ميّت ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾(١) أي سقط ميّتاً(٢).

عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: إنّ الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، سخّر لي الريح والإنس والجنّ والطير والوحوش، وعلّمني منطق الطير، وآتاني من كلّ شيء، ومع جميع ما أُوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى اللّيل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلاّ يرد عليّ ما ينغّص عليَّ يومي قالوا: نعم، فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره، ووقف متّكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أُوتي فرحاً بما أُعطي إذ نظر إلى شابّ حسن الوجه واللّباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلمّا بصر به سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم؟ فبإذن من دخلت؟

فقال الشابّ: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت.

فقال: ربّه أحقّ به منّي، فمن أنت؟

قال: أنا ملك الموت.

قال: وفيما جئت؟

قال: جئت لأقبض روحك.

قال: امض لما أُمرت به فهذا يوم سروري؛ وأبى الله عزّ وجلّ أن يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متّكئ على عصاه، فبقي سليمان عليه السلام متّكئاً على عصاه وهو ميّت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدّرون أنّه حيّ فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال: إنّ سليمان عليه السلام قد بقي متّكئاً على عصاه

(١) سورة سبأ، الآية: ١٤.
(٢) مجمع البيان: ج ١/ص ٣٢٧، والبحار: ج ١٤/ص ١٣٥-١٣٦، باب ١١/ تفسير آية من سورة سبأ.

هذه الأيّام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب، إنّه لربّنا الّذي يجب علينا أن نعبده.

وقال قوم: إنّ سليمان عليه السلام ساحر وإنّه يرينا أنّه واقف متّكئ على عصاه، يسحر أعيننا وليس كذلك.

فقال المؤمنون: إنّ سليمان هو عبد الله ونبيّه يدبّر الله أمره بما شاء؛ فلمّا اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فدبّت في عصاه، فلمّا أكلت جوفها انكسرت العصا وخرَّ سليمان عليه السلام من قصره على وجهه، فشكرت الجنّ للأرضة صنيعها، فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلاّ وعندها ماء وطين، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ يعني عصاه «فلما خر تبينت الإنس أنّ الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين».

ثمّ قال الصادق عليه السلام: والله ما نزلت هذه الآية هكذا، وإنّما نزلت: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾[1].

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أمر سليمان بن داود عليه السلام الجنّ فصنعوا له قبّة من قوارير، فبينما هو متّكئ على عصاه في القبّة ينظر إلى الجنّ كيف يعملون وهم ينظرون إليه إذ حانت منه التفاتة فإذا رجل معه في القبّة، قال: من أنت؟

قال: أنا الّذي لا أقبل الرشاء، ولا أهاب الملوك، أنا ملك الموت، فقبضه وهو قائم متّكئ على عصاه في القبّة والجنّ ينظرون إليه.

قال: فمكثوا سنة وهم يدأبون له حتّى بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فأكلت منسأته وهي العصا، ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٩٣، باب ٦٤/ح ٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ٢٣٩، باب ٢٦/ح ٢٤، والبحار: ج ١٤/ص ١٣٦-١٣٧، باب ١١/ح ١.

قال أبو جعفر عليه السلام : إنّ الجنّ يشكرون الأرضة ما صنعت بعصا سليمان. فما تكاد تراها في مكان إلاّ وعندها ماء وطين[١].

عن عليّ بن عقبة، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقد شكرت الشياطين الأرضة حين أكلت عصا سليمان حتّى سقط، وقالوا: عليك الخراب وعلينا الماء والطين، فلا تكاد تراها في موضع إلاّ رأيت ماء وطيناً[٢].

عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام : إنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج في بيت المقدس يقال لها الخرنوبة.

قال: فنظر سليمان عليه السلام يوماً إلى شجرة قد طلعت في بيت المقدس، فقال لها سليمان عليه السلام : ما اسمك؟

قالت: الخرنوبة، فولّى مدبراً إلى محرابه حتّى قام فيه متّكئاً على عصاه فقبضه الله من ساعته، فجعلت الإنس والجنّ يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا من قبل وهم يظنّون أنّه حيّ حتّى دبّت الأرضة في عصاه فأكلت منسأته فانكسرت ووقع سليمان عليه السلام إلى الأرض[٣].

عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عاش سليمان بن داود سبعمائة سنة واثني عشر سنة[٤].

قال الطبرسيّ رحمه الله : قيل: إنّ سليمان عليه السلام كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقلّ وأكثر، يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبّد فيه، فلمّا كان في المرّة الّتي مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلاّ وتنبت شجرة كان يسألها سليمان عليه السلام فتخبره عن اسمها ونفعها وضرّها، فرأى يوماً نبتاً فقال: ما اسمك؟

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٩٤، باب ٤/ح ٣، والبحار: ج ١٤/ ص ١٣٧-١٣٨، باب ١١/ح ٢.

(٢) علل الشرائع: ج ١/ص ٩٢، باب ٦٤/ح ٤، والبحار: ج ١٤/ ص ١٣٩-١٤٠، باب ١١/ح ٦.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٠٩، باب ١٢/ح ٢٧٣، والبحار: ج ١٤/ص ١٤٠، باب ١١/ح ٧.

(٤) روضة الكافي: المطبوع مع الأصول: ص ٧٤٣/ح ١١٤، والبحار: ج ١٤/ص ١٤٠، باب ١١/ح ٨.

قال: الخرنوب، قال: لأيّ شيء أنت؟

قال: للخراب، فعلم أنّه سيموت، فقال: اللهمّ أعم على الجنّ موتي ليعلم الإنس أنّهم لا يعلمون الغيب، وكان قد بقي من بنائه سنة، وقال لأهله: لا تخبروا الجنّ بموتي حتّى يفرغوا من بنائه. ودخل محرابه وقام متّكئاً على عصاه فمات وبقي قائماً سنة، وتمّ البناء، ثمّ سلّط الله على منسأته الأرضة حتّى أكلتها فخرّ ميّتاً، فعرف الجنّ موته وكانوا يحسبونه حيّاً لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك.

وقيل: إنّ في إماتته قائماً وبقائه كذلك أغراضاً: منها إتمام البناء، ومنها أن يعلم الإنس أنّ الجنّ لا يعلم الغيب وأنّهم في ادّعاء ذلك كاذبون؛ ومنها: أن يعلم أنّ من حضر أجله فلا يتأخّر إذ لم يتأخّر سليمان عليه السلام مع جلالته.

وروي أنّه أطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل وتحنّط وتكفّن والجنّ في عملهم؛ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان آصف يدبّر أمره حتّى دبّت الأرضة.

قال: وذكر أهل التاريخ أنّ عمر سليمان عليه السلام كان ثلاثاً وخمسين سنة مدّة ملكه منها أربعون سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ في بناء بيت المقدس بعد أربع سنين مضين من ملكه.

وقال رحمه الله: وأمّا الوجه في عمل الجنّ تلك الأعمال العظيمة فهو أنّ الله تعالى زاد في أجسامهم وقوّتهم وغيّر خلقهم عن خلق الجنّ الّذين لا يرون للطافتهم ورقّة أجسامهم على سبيل الإعجاز الدالّ على نبوّة سليمان عليه السلام، فكانوا بمنزلة الأسراء في يده، وكانوا تتهيّأ لهم الأعمال الّتي كان يكلّفها إيّاهم، ثمّ لمّا مات عليه السلام جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيّأ لهم في هذا الزمان شيء من ذلك. انتهى[1].



(١) مجمع البيان: ج ٨/ ص ٢٠٤، والبحار: ج ١٤/ ص ١٤١-١٤٢، باب ١١/ ذيل ج ٩.

قصة قوم سبأ وأهل الثرثار

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾(١) قال: فإنّ بحراً كان من اليمن وكان سليمان أمر جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد الهند، ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدةً عظيمة من الصخر والكلس حتّى يفيض على بلادهم، وجعلوا للخليج مجاري، وكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جنّتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيّام فيمن يمرُّ لا تقع عليه الشمس من التفافها، فلمّا عملوا بالمعاصي وعتوا عن أمر ربّهم ونهاهم الصالحون فلم ينتهوا بعث الله على ذلك السدّ الجرذ وهي الفأرة الكبيرة، فكانت تقلع الصخرة الّتي لا يستقلّها الرجل وترمي بها، فلمّا رأى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد، فما زال الجرذ تقلع الحجر حتّى خرَّبوا ذلك السدّ فلم يشعروا حتّى غشيهم السيل وخرَّب بلادهم وقلع أشجارهم وهو قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إلى قوله: ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ أي العظيم الشديد ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وهو أُمّ غيلان ﴿وَأَثْلٍ﴾ قال: هو نوع من الطرفاء ﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ إلى قوله: ﴿بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قال: مكّة ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ إلى قوله: ﴿شَكُورٍ﴾(٢) (٣).

عن جميل بن صالح، عن سدير قال: سأل رجل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ فقال: هؤلاء قوم كانت

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٥.

(٢) سورة سبأ، الآيات: ١٥-١٩.

(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ١٧٥، والبحار: ج ١٤/ص ١٤٣-١٤٤، باب ١٢/ح ١٢/ح ١.

لهم قرى متّصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا بأنعم الله وغيّروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرّق قراهم، وأخرب ديارهم، وذهب بأموالهم، وأبدلهم مكان جنّاتهم جنّتين ذواتي أُكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[1].

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ المراد بسبأ ههنا القبيلة الّذين هم أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ أي في بلدهم ﴿ءَايَةٌ﴾ أي حجّة على وحدانيّة الله عزّ اسمه وكمال قدرته، وعلامة على سبوغ نعمه، ثمّ فسّر سبحانه الآية فقال: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي بستانان عن يمين من أتاهما وشماله.

وقيل: عن يمين البلد وشماله؛ وقيل: إنّه لم يرد جنّتين اثنتين، والمراد: كانت ديارهم على وتيرة واحدة، إذ كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متّصلة بعضها ببعض، وكان من كثرة النعم أنّ المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها فيمتلئ بالفواكه من غير أن تمسّ بيدها شيئاً.

وقيل: الآية المذكورة هي أنّه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حيّة، وكان الغريب إذا دخل بلادهم وفي ثيابه قمّل ودوابّ ماتت، عن ابن زيد.

وقيل: إنّ المراد بالآية خروج الأزهار والثمار من الأشجار على اختلاف ألوانها وطعومها.

وقيل: إنّها كانت ثلاث عشرة قرية في كلّ قرية نبيّ يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ أي كلوا ممّا رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي هذه بلدة مخصبة نزهة أرضها عذبة، تخرج النبات وليست بسبخة، وليس فيها شيء من الهوامّ المؤذية.

---

(١) روضة الكافي: ج ٨/ ص ٣٠٢/ح ٥٩٦، والبحار: ج ١٤/ص ١٤٤-١٤٥، باب ١٢/ح ٣.

وقيل: أراد به صحّة هوائها، وعذوبة مائها، وسلامة تربتها، وأنّه ليس فيها حرٌّ يؤذي في القيظ ولا برد يؤذي في الشتاء ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي كثير المغفرة للذنوب ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ عن الحقّ ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا ممّن دعاهم إلى الله من أنبيائه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ وذلك أنَّ الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما، فسدوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السدّ بقدر الحاجة، فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلمّا كذّبوا رسلهم وتركوا أمر الله بعث الله جرذاً نقب ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم، عن وهب[١].



(١) مجمع البيان: ج ٨/ص ٢٠٩، والبحار: ج ١٤/ص ١٤٥-١٤٦، باب ١٢/ ذيل ح ٣.

قصة أصحاب الرس وحنظلة

الآيات: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾(١).

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾(٢).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾(٣).

عن الهرويّ، عن الرضا، عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليهما السلام قال: أتى عليّ ابن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيّام رجل من أشراف تميم يقال له عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرسّ في أيّ عصر كانوا؟

وأين كانت منازلهم؟

ومن كان ملكهم؟

وهل بعث الله عزّ وجلّ إليهم رسولاً أم لا؟

وبماذا أُهلكوا؟ فإنّي أجد في كتاب الله ذكرهم ولا أجد خبرهم.

فقال له عليّ عليه السلام: لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدّثك به أحد بعدي إلاّ عنّي، وما في كتاب الله عزّ وجلّ آية إلاّ وأنا أعرف تفسيرها، وفي أيّ مكان نزلت من سهل أو جبل، وفي أيّ وقت نزلت من ليل أو نهار، وإنّ ههنا لعلماً جمّاً - وأشار إلى صدره - ولكن طلاّبه يسير، وعن قليل يندمون لو فقدوني، قال:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٨.

(٣) سورة ق، الآية: ١٢.

كان من قصّتهم يا أخا تميم أنّهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها: شاه درخت، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها: روشاب كانت أُنبطت(١) لنوح عليه السلام بعد الطوفان.

وإنّما سمّوا أصحاب الرسّ: لأنّهم رسّوا نبيّهم في الأرض، وذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام، وكانت لهم اثنتا عشر قرية على شاطئ نهر يقال له: الرسّ من بلاد المشرق، وبهم سمّي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه، ولا أعذب منه، ولا قرىً أكثر ولا أعمر منها تسمّى إحداهنّ أبان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة إسفندار، والسادسة فروردين، والسابعة أُردي بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشرة تير، والحادي عشرة مهر، والثاني عشرة شهر يورد، وكانت أُعظم مدائنهم إسفندار وهي الّتي ينزلها ملكهم، وكان يسمّى تركوذ بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم، وبها العين والصنوبرة، وقد غرسوا في كلّ قرية منها حبّة من طلع تلك الصنوبرة، وأجروا إليها نهراً من العين الّتي عند الصنوبرة، فنبتت الحبّة وصارت شجرة عظيمة، وحرّموا ماء العين والأنهار فلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون: هو حياة آلهتنا، فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرسّ الّذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كلّ شهر من السنة في كلّ قرية عيداً يجتمع إليه أهلها فيضربون على الشجرة الّتي بها كلّة من حرير فيها من أنواع الصور، ثمّ يأتون بشاء وبقر فيذبحونها قرباناً للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا للشجرة سجّداً يبكون ويتضرّعون إليها أن ترضى عنهم، فكان الشيطان يجيء فيحرّك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبيّ: إنّي قد رضيت عنكم عبادي! فطيبوا نفساً، وقرّوا عيناً، فيرفعون رؤوسهم عند ذلك، ويشربون الخمر، ويضربون بالمعازف، ويأخذون الدستبند، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثمّ ينصرفون.

---

(١) أنبط البئر: استخرج ماءها. وفي العلل والعرائش «نبعت». وفي النسخة المطبوعة «انبتت» وهو وهم.

وإنّما سمّت العجم شهورها بأبان ماه وآذر ماه وغيرهما اشتقاقاً من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعضهم لبعض هذا عيد شهر كذا، وعيد شهر كذا، حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم، فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور، وجعلوا له اثني عشر باباً كلّ باب لأهل قرية منهم، ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق، ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قرّبوا للشجرة الّتي في قراهم فيجيء إبليس عند ذلك فيحرّك الصنوبرة تحريكاً شديداً، ويتكلّم من جوفها كلاماً جهوريّاً، ويعدهم ويمنّيهم بأكثر ممّا وعدتهم ومنّتهم الشياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم من السجود، وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلّمون من الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة، ثمّ ينصرفون، فلمّا طال كفرهم بالله عزّوجلّ وعبادتهم غيره بعث الله عزّوجلّ إليهم نبيّاً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله عزّوجلّ ومعرفة ربوبيّته فلا يتّبعونه، فلمّا رأى شدّة تماديهم في الغيّ والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال:

يا ربّ إنّ عبادك أبوا إلاّ تكذيبي والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضرّ، فأيبس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك، فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلّها فهالهم ذلك وقطع بهم، وصاروا فرقتين:

فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الّذي زعم أنّه رسول ربّ السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه.

وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه، فأجمع رأيهم على قتله، فاتّخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه، ثمّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء، واحدة فوق الأُخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء، ثمّ حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها نبيّهم، وألقموا فاها صخرة عظيمة، ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا:

نرجو الآن أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأت أنّا قد قتلنا من كان يقع فيها، ويصدّنا

عن عبادتها، ودفنّاه تحت كبيرها يتشفّى منه، فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان، فبقوا عامّة يومهم يسمعون أنين نبيّهم، وهو يقول:

«سيّدي قد ترى ضيق مكاني وشدّة كربي فارحم ضعف ركني وقلّة حيلتي، وعجّل بقبض روحي ولا تؤخّر إجابة دعوتي» حتّى مات.

فقال الله جلّ جلاله لجبرئيل: يا جبرئيل أيظنّ عبادي هؤلاء الّذين غرّهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني؟ كيف وأنا المنتقم ممّن عصاني، ولم يخش عقابي، وإنّي حلفت بعزّتي لأجعلنّهم عبرة ونكالاً للعالمين، فلم يرعهم وهم في عيدهم ذلك إلاّ بريح عاصف شديدة الحمرة فتحيّروا فيها وذعروا منها وتضامّ بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد، وأظلّتهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبّة جمراً يلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار، فنعوذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نقمته، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم(١).

أصحاب الرسّ هم الّذين هلكوا، لأنّهم استغنوا الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، والرسّ: نهر بناحية آذربايجان(٢).

معنى أصحاب الرسّ أنّهم نسبوا إلى نهر يقال له الرسّ من بلاد المشرق، وقد قيل: إنّ الرسّ هو البئر، وإنّ أصحابه رسّوا نبيّهم بعد سليمان بن داود عليه السلام وكانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت، كان غرسها يافث بن نوح، فأُنبتت لنوح بعد الطوفان، وكان نساؤهم يشتغلن بالنساء عن الرجال، فعذّبهم الله عزّ وجلّ بريح عاصف شديدة الحمرة، وجعل الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد وأظلّتهم سحابة سوداء مظلمة فانكفّت عليهم كالقبّة جمرة تلتهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار(٣).

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٥٥، باب ٣٨/ح ١، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ١٨٣، باب ١٦/ج١، والبحار: ج ١٤/ص ١٤٨-١٥٢، باب ١٣/ح ١.

(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ٣٠٠، والبحار: ج ١٤/ص ١٥٢-١٥٣، باب ١٣/ح ٢.

(٣) معاني الأخبار: ص ٤٨، والبحار: ج ١٤/ص ١٥٣، باب ١٣/ح ٣.

عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن إبراهيم قال: سأل رجل أبا الحسن موسى عليه السلام عن أصحاب الرسّ الّذين ذكرهم الله من هم وممّن هم وأيّ قوم كانوا؟

فقال: كانا رسّين: أمّا أحدهما فليس الّذي ذكره الله في كتابه، كان أهله أهل بدو وأصحاب شاة وغنم، فبعث الله تعالى إليهم صالح النبيّ عليه السلام رسولاً فقتلوه، وبعث إليهم رسولاً آخر فقتلوه، ثمّ بعث إليهم رسولاً آخر وعضده بوليّ فقتلوا الرسول، وجاهد الوليّ حتّى أفحمهم، وكانوا يقولون:

إلهنا في البحر وكانوا على شفيره، وكان لهم عيد في السنة، يخرج حوت عظيم من البحر في تلك اليوم فيسجدون له، فقال وليّ صالح لهم: لا أريد أن تجعلوني ربّاً، ولكن هل تجيبوني إلى ما دعوتكم إن أطاعني ذلك الحوت؟

فقالوا: نعم، وأعطوه عهوداً ومواثيق، فخرج حوت راكب على أربعة أحوات، فلمّا نظروا إليه خرّوا سجّداً، فخرج وليّ صالح النبيّ إليه وقال له: ايتني طوعاً أو كرهاً باسم الله الكريم، فنزل عن أحواته، فقال الوليُّ: ائتني عليهنّ لئلاّ يكون من القوم في أمري شكّ، فأتى الحوت إلى البرّ يجرُّها وتجرّه إلى عند وليّ صالح، فكذّبوه بعد ذلك، فأرسل الله إليهم ريحاً فقذفتهم في اليمّ - أي البحر - ومواشيهم، فأتى الوحي إلى وليّ صالح بموضع ذلك البئر وفيها الذهب والفضّة، فانطلق فأخذه ففضّه على أصحابه بالسويّة على الصغير والكبير.

وأما الّذين ذكرهم الله في كتابه: فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرسّ، وكان فيهم أنبياء كثيرة، فسأله رجل: وأين الرسُّ؟

فقال: هو نهر بمنقطع آذربيجان، وهو بين حدّ أرمينية وآذربيجان، وكانوا يعبدون الصلبان، فبعث الله إليهم ثلاثين نبيّاً في مشهد واحد فقتلوهم جميعاً، فبعث الله إليهم نبيّاً وبعث معه وليّاً فجاهدهم، وبعث الله ميكائيل في أوان وقوع الحبّ والزرع، فأنضب ماءهم فلم يدع عيناً ولا نهراً ولا ماءً لهم إلاّ أيبسه وأمر ملك الموت فأمات مواشيهم، وأمر الله الأرض فابتلعت ما كان لهم من تبر أو فضّة أو آنية فهو لقائمنا عليه السلام إذا قام، فماتوا كلّهم جوعاً وعطشاً، فلم يبق منهم باقية، وبقي منهم قوم مخلصون فدعوا الله أن ينجيهم بزرع وماشية وماء، ويجعله

قليلاً لئلاّ يطغوا، فأجابهم الله إلى ذلك لما علم من صدق نيّاتهم، ثمّ عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صارت أعلاها أسفلها، وأطلق الله لهم نهرهم، وزادهم فيه عليه ما سألوا، فقاموا على الظاهر والباطن في طاعة الله حتّى مضى أُولئك القوم وحدث بعد ذلك نسل أطاعوا الله في الظاهر ونافقوه في الباطن، وعصوا بأشياء شتّى فبعث الله من أسرع فيهم القتل، فبقيت شرذمة منهم فسلّط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحداً، وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد، ثمّ أتى الله تعالى بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين، ثمّ أحدث قوم منهم فاحشة واشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء فسلّط الله عليهم صاعقة فلم يبق منهم باقية[١].

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت عليه نسوة فسألته امرأة عن السحق.

فقال: حدّها حدّ الزاني.

فقالت امرأة: ما ذكر الله عزّ وجلّ ذلك في القرآن؟

قال: بلى.

قالت: وأين هو؟

قال: هو أصحاب الرسّ[٢].

قال الثعلبيّ في العرائس: قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾[٣] وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾[٤].

اختلف أهل التفسير وأصحاب الأقاصيص فيهم، فقال سعيد بن جبير والكلبيّ والخليل ابن أحمد - دخل كلام بعضهم في بعض، وكلّ أخبر بطائفة من حديث -: أصحاب الرسّ بقيّة ثمود قوم صالح عليه السلام وهم أصحاب البئر الّتي

(١) قصص الأنبياء: ص ٩٦، والبحار: ج ١٤/ ص ١٥٣-١٥٤، باب ١٣/ح ٤.
(٢) ثواب الأعمال: ص ٣١٥، باب ١٣/ح ٥.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٨.
(٤) سورة ق، الآية: ١٢.

ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ وكانوا بفليح اليمامة نزولاً على تلك البئر وكلّ ركيّة لم تطو بالحجارة والآجرّ فهو رسّ، وكان لهم نبيّ يقال له حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل يقال له فتح، مصعداً في السماء ميلاً، وكانت العنقاء ينتابه وهي كأعظم ما يكون من الطير، وفيها من كلّ لون، وسمّوها العنقاء لطول عنقها، وكانت تكون في ذلك الجبل تنقضُّ على الطير تأكلها، فجاعت ذات يوم فأعوزها الطير فانقضّت على صبيّ فذهبت به، ثمَّ إنّها انقضّت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمّتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين، فشكوا إلى نبيّهم، فقال:

اللّهمّ خذها واقطع نسلها وسلّط عليها آية تذهب بها، فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر فضربتها العرب مثلاً في أشعارها وحكمها وأمثالها؛ ثمّ إنّ أصحاب الرسّ قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله تعالى(١).

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ هو بئر رسّوا فيها نبيّهم أي ألقوه فيها، عن عكرمة.

وقيل: إنّهم كانوا أصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيباً فكذّبوه فانهار البئر وانخسف بهم الأرض فهلكوا، عن وهب.

وقيل: الرسّ: قرية باليمامة يقال لها: فلح، قتلوا نبيّهم فأهلكهم الله، عن قتادة.

وقيل: كان لهم نبيّ يسمّى حنظلة فقتلوه فأُهلكوا، عن سعيد بن جبير والكلبيّ.

وقيل: هم أصحاب الرسّ والرسُّ: بئر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيباً النجّار فنسبوا إليها، عن كعب ومقاتل.

وقيل: أصحاب الرسّ كان نساؤهم سحّاقات، عن أبي عبد الله عليه السلام(٢).

---

(١) البحار: ج ١٤/ص ١٥٥-١٥٦، باب ١٣/ذيل ح ٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٧/ص ٢٩٦، والبحار: ج ١٤/ص ١٥٩-١٦٠، باب ١٣/ذيل ح ٦.

قصة شعيا وحيقوق عليهما السلام

عن جابر، عن الباقر عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: أوحى الله تعالى جلّت قدرته إلى شعيا عليه السلام إنّي مهلك من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستّين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟

فقال: داهنوا أهل المعاصي فلم يغضبوا لغضبي[1].

بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن وهب بن منبّه قال: كان في بني إسرائيل ملك في زمان شعيا وهم متابعون مطيعون لله، ثمّ إنّهم ابتدعوا البدع فأتاهم ملك بابل وكان نبيّهم يخبرهم بغضب الله عليهم، فلمّا نظروا إلى ما لا قبل لهم من الجنود تابوا وتضرَّعوا، فأوحى الله تعالى إلى شعيا إنّي قبلت توبتهم لصلاح آبائهم، وملكهم كان قرحة بساقه وكان عبداً صالحاً، فأوحى الله تعالى إلى شعيا عليه السلام أن مر ملك بني إسرائيل فليوص وصيّته وليستخلف على بني إسرائيل من أهل بيته، فإنّي قابضه يوم كذا، فليعهد عهده، فأخبره شعيا عليه السلام برسالته تعالى عزّ وعلا، فلمّا قال له ذلك أقبل على التضرّع والدعاء والبكاء، فقال:

اللّهمّ ابتدأتني بالخير من أوّل يوم، وسبّبته لي، وأنت فيما أستقبل رجائي وثقتي، فلك الحمد بلا عمل صالح سلف منّي، وأنت أعلم منّي بنفسي، أسألك أن تؤخّر عنّي الموت، وتنسئ لي في عمري، وتستعملني بما تحبّ وترضى، فأوحى الله تعالى إلى شعيا إنّي رحمت تضرّعه، واستجبت دعوته، وقد زدت في عمره خمس عشرة سنة، فمره فليداو قرحته بماء التين فإنّي قد جعلته شفاء ممّا هو فيه، وإنّي قد كفيته وبني إسرائيل مؤونة عدوّهم، فلمّا أصبحوا وجدوا جنود ملك

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٤٤، والبحار: ج ١٤/ ص ١٦١، باب ١٤/ح ١.

بابل مصروعين في عسكرهم موتى، لم يفلت منهم أحد إلاّ ملكهم وخمسة نفر فلمّا نظروا إلى أصحابهم وما أصابهم كرّوا منهزمين إلى أرض بابل، وثبت بنو إسرائيل متوازرين على الخير، فلمّا مات ملكهم ابتدعوا البدع، ودعا كلّ إلى نفسه، وشعيا عليه السلام يأمرهم وينهاهم فلا يقبلون حتّى أهلكهم الله.

وعن أنس أنّ عبد الله بن سلام سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن شعيا عليه السلام فقال: هو الّذي بشّر بي وبأخي عيسى بن مريم عليه السلام[(١)].

قال صاحب الكامل بعد أن ذكر نحواً ممّا رواه وهب: قيل: إنّ شعيا أوحى الله إليه ليقوم في بني إسرائيل يذكّرهم بما يوحى على لسانه لمّا كثرت فيهم الأحداث، ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها، وأخذ الشيطان يهدب ثوبه وأراه بني إسرائيل فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتّى قطعوه في وسطها[(٢)].

عن الحسن بن محمّد النوفليّ، عن الرضا عليه السلام فيما احتجّ على أرباب الملل قال عليه السلام للجاثليق: يا نصرانيّ كيف علمك بكتاب شعيا؟

قال: أعرفه حرفاً حرفاً.

فقال له ولرأس الجالوت: أتعرفان هذا من كلامه: «يا قوم إنّي رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر»؟

فقالا: قد قال ذلك شعيا.

ثمّ قال عليه السلام: وقال شعيا النبيّ فيما تقول أنت وأصحابك في التوراة: «رأيت راكبين أضاء لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل» فمن راكب الحمار؟ ومن راكب الجمل؟

قال رأس الجالوت: لا أعرفهما، فخبّرني بهما.

قال: أمّا راكب الحمار فعيسى وأمّا راكب الجمل فمحمّد صلى الله عليه وآله، أتنكر هذا من التّوراة؟

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٤٥، والبحار: ج ١٤/ص ١٦١-١٦٢، باب ١٤/ح ٢.
(٢) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ٢١٧، والبحار: ج ١٤/ص ١٦٢، باب ١٤/ذيل ح ٢.

قال: لا ما أُنكره.

ثمّ قال الرضا عليه السلام: هل تعرف حيقوق النبيّ عليه السلام؟ قال: نعم إنّي به لعارف.

قال: فإنّه قال وكتابكم ينطق به: «جاء الله بالبيان من جبل فاران، وامتلأت السماوات من تسبيح أحمد وأُمّته، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البرّ، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس» يعني بالكتاب القرآن، أتعرف هذا وتؤمن به؟

قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق النبيّ ولا ننكر قوله[1].



(١) الإحتجاج: ص ٤٢٠، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ١٤٥، باب ١٢/ح ١، والتوحيد: ص ٤٢٤، والبحار: ج ١٤/ص ١٦٢-١٦٣، باب ١٤/ح ٣.

قصص زكريّا ويحيى عليهما السلام

عن الريّان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أوّل يوم من المحرّم.

فقال: يا ابن شبيب أصائم أنت؟

فقلت: لا.

فقال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الّذي دعا فيه زكريّا عليه السلام ربّه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريّا وهو قائم يصلّي في المحراب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾(١) فمن صام هذا اليوم ثمّ دعا الله عزّ وجلّ استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام(٢).

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كان من زهد يحيى بن زكريّا عليه السلام أنّه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر، وبرانس الصوف، وإذا هم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدّوها إلى سواري المسجد، فلمّا نظر إلى ذلك أتى أُمّه فقال: يا أُمّاه انسجي لي مدرعة من شعر وبرنساً من صوف حتّى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان.

فقالت له أُمّه: حتّى يأتي نبيّ الله وأؤامره في ذلك، فلمّا دخل زكريّا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى.

فقال له زكريّا: يا بنيّ ما يدعوك إلى هذا وإنّما أنت صبيّ صغير؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٨-٣٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ٢٦٨، باب ٢٨/ح ٥٨، والبحار: ج ١٤/ص ١٦٤، باب ١٥/ح ٢.

فقال له: يا أبه أما رأيت من هو أصغر سنّاً منّي قد ذاق الموت؟

قال: بلى، ثمّ قال لأُمّه: انسجي له مدرعة من شعر، وبرنساً من صوف، ففعلت فتدرّع المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه، ثمّ أتى بيت المقدس فأقبل يعبد الله عَزَّوَجَلَّ مع الأحبار حتّى أكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى، فأوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه:

يا يحيى أتبكي ممّا قد نحل من جسمك؟ وعزّتي وجلالي لو اطّلعت إلى النار اطّلاعة لتدرّعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج، فبكى حتّى أكلت الدموع لحم خدّيه، وبدا للنّاظرين أضراسه فبلغ ذلك أُمّه فدخلت عليه وأقبل زكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خدّيه.

فقال: ما شعرت بذلك.

فقال زكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا بنيّ ما يدعوك إلى هذا؟ إنّما سألت ربّي أن يهبك لي لتقر بك عيني.

قال: أنت أمرتني بذلك يا أبه.

قال: ومتى ذلك يا بنيّ؟

قال: ألست القائل: إنّ بين الجنّة والنار لعقبة لا يجوزها إلاّ البكّاؤون من خشية الله؟

قال: بلى، فجدّ واجتهد وشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته أُمّه، فقالت: أتأذن لي يا بنيّ أن أتّخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك وتنشفان دموعك؟

فقال لها: شأنك، فاتّخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشفان دموعه حتّى ابتلّتا من دموع عينيه فحسر عن ذراعيه، ثمّ أخذهما فعصرهما فتحدّر الدموع من بين أصابعه، فنظر زكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ابنه وإلى دموع عينيه فرفع رأسه إلى السّماء فقال: اللّهم إنّ هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين.

وكان زكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يذكر جنّة ولا ناراً، فجلس ذات يوم يعظ بني إسرائيل وأقبل يحيى

قد لفّ رأسه بعباءة فجلس في غمار الناس والتفت زكريّا عليه السلام يميناً وشمالاً فلم ير يحيى فأنشأ يقول: حدّثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنّ في جهنّم جبلاً يقال له: السكران، في أصل ذلك الجبل واد يقال له: الغضبان لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جبّ قامته مائة عام، في ذلك الجبّ توابيت من نار، في تلك التوابيت صناديق من نار، وثياب من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، فرفع يحيى عليه السلام رأسه فقال:

واغفلتاه من السكران، ثمّ أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريّا عليه السلام من مجلسه فدخل على أُمّ يحيى فقال لها:

يا أُمّ يحيى قومي فاطلبي يحيى فإنّي قد تخوّفت أن لا نراه إلاّ وقد ذاق الموت، فقامت فخرجت في طلبه حتّى مرّت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها: يا أُمّ يحيى أين تريدين؟

قالت: أُريد أن أطلب ولدي يحيى، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فمضت أُمّ يحيى والفتية معها حتّى مرّت براعي غنم فقالت له: يا راعي هل رأيت شابّاً من صفته كذا وكذا؟

فقال لها: لعلّك تطلبين يحيى بن زكريّا؟

قالت: نعم ذاك ولدي، ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، قال: إنّي تركته السّاعة على عقبة ثنيّة كذا وكذا، ناقعاً قدميه في الماء، رافعاً بصره إلى السمّاء يقول:

«وعزتك مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك» فأقبلت أُمّه فلمّا رأته أُمّ يحيى دنت منه فأخذت برأسه فوضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله أن ينطلق معها إلى المنزل فانطلق معها حتّى أتى المنزل، فقالت له أُمّ يحيى: هل لك أن تخلع مدرعة الشعر وتلبس مدرعة الصوف فإنّه ألين؟ ففعل، وطبخ له عدس فأكل واستوفى فنام فذهب به النوم فلم يقم لصلاته، فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريّا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري؟

فاستيقظ فقام فقال: يا ربّ أقلني عثرتي، إلهي فوعزّتك لا أستظلّ بظلّ سوى

بيت المقدس، وقال لأُمّه: ناوليني مدرعة الشعر فقد علمت أنّكما ستورداني المهالك، فتقدّمت أُمّه فدفعت إليه المدرعة وتعلّقت به.

فقال لها زكريّا: يا أُمّ يحيى دعيه فإنّ ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش، فقام يحيى عليه السلام فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه، ثمّ أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عزّ وجلّ مع الأحبار حتّى كان من أمره ما كان(١).

عن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن:

١ - يوم يلد فيخرج من بطن أُمّه فيرى الدنيا.

٢ - ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها.

٣ - ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا.

وقد سلّم الله على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(٢) وقد سلّم عيسى بن مريم عليه السلام على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٣) (٤).

عن سليم بن بلال المدنيّ، عن الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام إنّ إبليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله المسيح عليه السلام يتحدّث عندهم ويسائلهم، ولم يكن بأحد منهم أشدّ أنساً منه بيحيى بن زكريّا عليه السلام، فقال له يحيى: يا أبا مرّة إنّ لي إليك حاجة.

فقال له: أنت أعظم قدراً من أن أردّك بمسألة فسلني ما شئت، فإنّي غير مخالفك في أمر تريده.

فقال يحيى: يا أبا مرّة أُحبّ أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك الّتي تصطاد

---

(١) أمالي الصدوق: ص ٣٣/ مجلس ٨/ح ٢، والبحار: ج ١٤/ ص ١٩٥-١٩٦، باب ١٥/ ج ٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ ص ٢٣٣، باب ٢٦/ح ١١، والخصال: ص ١٠٧/باب الثلاثة/ح ٧١، والبحار: ج ١٤/ ص ١٧١، باب ١٥/ح ١١.

بها بني آدم، فقال له إبليس: حبّاً وكرامةً، وواعده لغد، فلمّا أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه الباب إغلاقاً فما شعر حتّى ساواه من خوخة كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا أسنانه وفمه مشقوق طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيد: يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قوادمه، وأصابعه خلفه، وعليه قباء وقد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلاّب، فلمّا تأمّله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة الّتي في وسطك؟

فقال: هذه المجوسيّة، أنا الّذي سننتها وزيّنتها لهم، فقال له: ما هذه الخيوط الألوان؟

قال له: هذه جميع أصباغ النساء، لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتّى تقع مع لونها، فأفتتن النّاس بها.

فقال له: فما هذا الجرس الّذي بيدك؟

قال: هذا مجمع كلّ لذّة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وإنّ القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذّونه فأُحرّك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخفهّم الطرب، فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشقّ ثيابه، فقال له: وأيّ الأشياء أقرّ لعينك؟

قال: النساء هنّ فخوخي ومصائدي، فإنّي إذا اجتمعت عليّ دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن.

فقال له يحيى عليه السلام: فما هذه البيضة الّتي على رأسك؟

قال: بها أتوقّى دعوة المؤمنين.

قال: فما هذه الحديدة الّتي أرى فيها؟

قال: بهذه أُقلّب قلوب الصالحين.

قال يحيى عليه السلام: فهل ظفرت بي ساعة قطّ؟

قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني.

قال يحيى: فما هي؟

قال: أنت رجل أكول، فإذا أفطرت أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك باللّيل.

قال يحيى عليه السلام: فإنّي أُعطي الله عهداً ألاّ أشبع من الطعام حتّى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أُعطي الله عهداً أنّي لا أنصح مسلماً حتّى ألقاه ثمّ خرج فما عاد إليه بعد ذلك(١).

في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ يقول: ذكر ربّك زكريّا فرحمه ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ يقول: ضعف ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ يقول: لم يكن دعائي خائباً عندك ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ يقول: خفت الورثة من بعدي ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ ولم يكن لزكريّا يومئذ ولد يقوم مقامه ويرثه، وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأحبار، وكان زكريّا رئيس الأحبار، وكانت امرأة زكريّا أُخت مريم بنت عمران بن ماثان ويعقوب بن ماثان وبنو ماثان إذ ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم وهم من ولد سليمان بن داود عليه السلام، فقال زكريّا: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ يقول: لم يسمّ باسم يحيى أحد قبله ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ فهو اليأس ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾(٢) صحيحاً من غير مرض(٣).

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ أي هذا خبر رحمة ربّك

(١) أمالي الطوسي: ص ٣٤٨، والبحار: ج ١٤/ص ١٧٢-١٧٣، باب ١٥/ح ١٢.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٢-١٠.

(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ٢٢، والبحار: ج ١٤/ص ١٧٣-١٧٤، باب ١٥/ح ١٣.

زكريّا عبده، ويعني بالرحمة إجابته إيّاه حين دعاه وسأله الولد، وزكريّا اسم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، كان من أولاد هارون بن عمران.

وقيل: معناه: ذكر ربّك عبده بالرحمة ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ أي سرّاً غير جهر لا يريد به رياءً.

وقيل: إنّما أخفاه لئلاّ يهزأ به الناس ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ أي ضعف، وإنّما أضاف إلى العظم لأنّه مع صلابته إذا ضعف فكيف باللّحم والعصب ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي أنّ الشيب قد عمّ الرأس ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي ولم أكن بدعائي إيّاك فيما مضى مخيّباً محروماً، والمعنى أنّك قد عوّدتني حسن الإجابة فلا تخيّبني فيما أسألك ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ وهم الكلالة، عن ابن عبّاس؛ وقيل، العصبة، عن مجاهد؛ وقيل: هم العمومة وبنو العمّ، عن أبي جعفر عليه السلام.

وقيل بنو العمّ وكانوا اشرار بني إسرائيل ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ أي عقيماً لا تلد ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ ولداً يليني ويكون أولى بميراثي ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ وهو يعقوب بن ماثان، وأخوه عمران بن ماثان أبو مريم، عن الكلبيّ ومقاتل.

وقيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي مرضيّاً عندك ممتثلاً لأمرك فاستجاب الله دعاءه وأوحى إليه: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي لم نسمّ قبله أحداً باسمه.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سميٌّ، ولم تبك السماء إلاّ عليهما أربعين صباحاً، قيل له: وما بكاؤها؟

قال: كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء، وكان قاتل يحيى عليه السلام ولد زنا، وقاتل الحسين عليه السلام ولد زنا.

وروى سفيان بن عيينة، عن عليّ بن زيد، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلاّ وذكر يحيى بن زكريّا عليه السلام وقال يوماً: من هوان الدنيا على الله عزّ وجلّ أنّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل.

وقيل: إنّ معنى قوله: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ لم تلد العواقر مثله ولداً، وهو كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي مثلاً، عن ابن عبّاس ومجاهد ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أي قد بلغت من كبر السّنّ إلى حال اليبس والجفاف ونحول العظم، قال قتادة: كان له بضع وسبعون سنة ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي قال الله سبحانه: الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل يحيى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أي شيئاً موجوداً.

وروى الحكم بن عتيبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين. ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ وعلامة أستدلّ بها على وقت كونه.

قال الله سبحانه: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي وأنت سويّ صحيح سليم ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي من مصلاه ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي أشار إليهم وأومأ بيده؛ وقيل: كتب لهم في الأرض ﴿أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أي صلّوا بكرةً وعشيّاً؛ وقيل: أراد التسبيح بعينه.

قال ابن جريح: أشرف عليهم زكريّا عليه السلام من فوق غرفة كان يصلّي فيها لايصعد إليها إلاّ بسلّم، وكانوا يصلّون معه الفجر والعشاء، فكان يخرج إليهم فيؤذن لهم بلسانه، فلمّا اعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام، فعرفوا عند ذلك أنّه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى، فمكث ثلاثة أيّام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء، ثمّ قال سبحانه: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ تقديره: فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم والعقل وقلنا له:

يا يحيى خذ الكتاب، يعني التوراة بما قوّاك الله عليه وأيّدك به، ومعناه: وأنت قادر على أخذه، قويّ على العمل.

وقيل: معناه: بجدّ وصحّة عزيمة على القيام بما فيه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي وآتيناه النبوّة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين، عن ابن عبّاس.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن عليّ بن أسباط قال: قدمت المدينة وأنا أُريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليهما السلام وهو إذ ذاك خماسيّ، فجعلت

أتأمّله لأصفه لأصحابنا بمصر، فنظر إليّ فقال: يا عليّ إنّ الله أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوّة.

قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾.

وقال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ فقد يجوز أن يعطى الحكم ابن أربعين سنة، ويجوز أن يعطاه الصبيّ.

وقيل: إنّ الحكم الفهم، وعن معمّر قال: إنّ الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب.

فقال: ما للعب خلقت، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾.

وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا عليه السلام. ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ والحنان: العطف والرحمة أي وآتيناه رحمة من عندنا.

وقيل: تحنّناً على العباد ورقّة قلب عليهم ليدعوهم إلى طاعة الله.

وقيل: محبّة منّا؛ وقيل: تحنّن الله عليه كان إذا قال: يا ربّ قال له: لبّيك يا يحيى وهو المرويّ عن الباقر عليه السلام.

وقيل: تعطّفاً منّا ﴿وَزَكَوٰةٗۖ﴾ أي وعملاً صالحاً زاكياً أو زكاة لمن قبل دينه حتّى يكونوا أزكياء.

وقيل: يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص؛ وقيل: وصدقة تصدّق الله بها على أبويه؛ وقيل: وزكّيناه بحسن الثناء عليه ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ أي مخلصاً مطيعاً متّقياً لمّا نهى الله عنه، قالوا: وكان من تقواه أنّه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أي باراً بهما ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾ أي متكبّراً متطاولاً على الخلق ﴿عَصِيّٗا﴾ أي عاصياً لربّه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ أي سلام عليه منّا في هذه الأحوال؛ وقيل: سلامة وأمان له منّا. انتهى ملخّص تفسيره رحمه الله [1].

سأل سعد بن عبد الله القائم عليه السلام عن تأويل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

قال عليه السلام: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريّا، ثمّ قصّها

(١) مجمع البيان: ج ٦/ ص ٤٠١، والبحار: ج ١٤/ ص ١٧٤-١٧٧، باب ١٥/ ذيل ح ١٣.

على محمّد ﷺ، وذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلّمه إيّاها فكان زكريّا عليه السلام إذا ذكر محمّداً ﷺ وعليّاً وفاطمة والحسن عليهما السلام سرّي عنه همّه وانجلى كربه، واذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال عليه السلام ذات يوم:

إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته فقال: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فالكاف اسم كربلا، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين عطشه، والصاد صبره؛ فلمّا سمع ذلك زكريّا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع فيهنّ النّاس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه:

إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه؟ إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما؟.

ثمّ كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرُّ به عيني على الكبر فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمَّ افجعني به كما تفجع محمّداً حبيبك بولده. فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى عليه السلام ستّة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك؛ الخبر(١).

بالإسناد إلى وهب قال: انطلق إبليس يستقري مجالس بني إسرائيل أجمع ما يكونون، ويقول في مريم ويقذفها بزكريّا عليه السلام حتّى التحم الشرّ وشاعت الفاحشة على زكريّا عليه السلام، فلمّا رأى زكريّا عليه السلام ذلك هرب واتبعه سفهاؤهم وشرارهم وسلك في واد كثير النبت حتّى إذا توسّطه انفرج له جذع شجرة فدخل عليه السلام فيه وانطبقت عليه الشجرة، وأقبل إبليس يطلبه معهم حتّى انتهى إلى الشجرة الّتي دخل فيها زكريّا عليه السلام، فقاس لهم إبليس الشجرة من أسفلها إلى أعلاها حتّى إذا وضع يده على موضع القلب من زكريّا عليه السلام أمرهم فنشروا بمنشارهم وقطعوا

(١) الإحتجاج: ص ٤٦٣، والبحار: ج ١٤/ ص ١٧٨-١٧٩، باب ١٥/ح ١٤.

الشجرة وقطعوه في وسطها، ثمّ تفرّقوا عنه وتركوه، وغاب عنهم إبليس حين فرغ ممّا أراد، فكان آخر العهد منهم به، ولم يصب زكريّا عليه السلام من ألم المنشار شيء، ثمَّ بعث الله عزّ وجلّ الملائكة فغسّلوا زكريّا وصلّوا عليه ثلاثة أيّام من قبل أن يدفن، وكذلك الأنبياء عليهم السلام لا يتغيّرون ولا يأكلهم التراب ويصلّى عليهم ثلاثة أيّام ثمّ يدفنون(١).

عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: أُفضي الأمر بعد دانيال عليه السلام إلى عزير عليه السلام، وكانوا يجتمعون إليه ويأنسون به ويأخذون عنه معالم دينهم، فغيّب الله عنهم شخصه مائة عام ثمَّ بعثه، وغابت الحجج بعده واشتدّت البلوى على بني إسرائيل حتّى ولد يحيى بن زكريّا عليه السلام وترعرع فظهر وله سبع سنين، فقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وذكّرهم بأيّام الله، وأخبرهم أنّ محن الصالحين إنّما كانت لذنوب بني إسرائيل، وأنّ العاقبة للمتّقين، ووعدهم الفرج بقيام المسيح عليه السلام بعد نيّف وعشرين سنة من هذا القول(٢).

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولد يحيى عليه السلام رفع إلى السماء فغذّي بأنهار الجنّة حتّى فطم، ثمّ نزل إلى أبيه وكان البيت يضيء بنوره(٣).

عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ملكاً كان على عهد يحيى بن زكريّا عليه السلام لم يكفه ما كان عليه من الطروقة حتّى تناول امرأة بغيّاً فكانت تأتيه حتّى أسنّت، فلمّا أسنّت هيّأت ابنتها، ثمّ قالت لها: إنّي أُريد أن آتي بك الملك، فإذا واقعك فيسألك ما حاجتك فقولي: حاجتي أن تقتل يحيى بن زكريّا عليه السلام، فلمّا واقعها سألها عن حاجتها.

فقالت: قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام فلمّا كان في الثالثة بعث إلى يحيى فجاء به فدعا بطست ذهب فذبحه فيها وصبّوه على الأرض فيرتفع الدم ويعلو، وأقبل

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ ص ١٠٠، باب ٧١/ح ٧١، والبحار: ج ١٤/ ص ١٧٩، باب ١٥/ح ١٥.
(٢) كمال الدين: ص ١٥٨، والبحار: ج ١٤/ ص ١٧٩-١٨٠، باب ١٥/ح ١٦.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٦، والبحار: ج ١٤/ ص ١٨٠، باب ١٥/ح ١٧.

الناس يطرحون عليه التراب فيعلو عليه الدم حتّى صار تلاً عظيماً، ومضى ذلك القرن فلمّا كان من أمر بخت نصّر ما كان رأى ذلك الدم فسأل عنه فلم يجد أحداً يعرفه حتّى دلّ على شيخ كبير، فسأله فقال: أخبرني أبي عن جدّي أنّه كان من قصّة يحيى بن زكريّا عليه السلام كذا وكذا، وقصّ عليه القصّة، والدم دمه، فقال بخت نصّر: لا جرم لأقتلنّ عليه حتّى يسكن، فقتل عليه سبعين ألفاً، فلمّا وفى عليه سكن الدم[1].

في خبر آخر أنّ عيسى بن مريم عليه السلام بعث يحيى بن زكريّا عليه السلام في اثني عشر من الحواريّين يعلّمون النّاس وينهاهم عن نكاح ابنة الأُخت، قال: وكان لملكهم بنت أُخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوّجها، فلمّا بلغ أُمّها أنّ يحيى عليه السلام نهى عن مثل هذا النكاح أدخلت بنتها على الملك مزيّنة، فلمّا رآها سألها عن حاجتها.

قالت: حاجتي أن تذبح يحيى ابن زكريّا.

فقال: سلي غير هذا.

فقالت: لا أسألك غير هذا، فلمّا أبت عليه دعا بطشت ودعا بيحيى عليه السلام فذبحه فبدرت قطرة من دمه فوقعت على الأرض فلم تزل تعلو حتّى بعث الله بخت نصّر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلّته على ذلك الدم، فألقى في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتّى يسكن، فقتل عليها سبعين ألفاً في سنة واحدة حتّى سكن[2].

عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغيّ، وإنّ قاتل يحيى بن زكريّا عليه السلام ابن بغيّ، وإنّ قاتل عليّ عليه السلام ابن بغيّ، وكانت مراد تقول: ما نعرف له فينا أباً ولا نسباً، وإنّ قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام ابن بغيّ، وإنّه لم يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلاّ أولاد البغايا.

وقال في قوله تعالى جلّ ذكره: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٧، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٠، باب ١٥/ح ٢٠.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٨، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٢، باب ١٥/ح ٢٤.

قال: يحيى بن زكريّا عليه السلام لم يكن له سمّي قبله، والحسين بن عليّ عليه السلام لم يكن له سمّي قبله، وبكت السّماء عليهما أربعين صباحاً وكذلك بكت الشمس عليهما، وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء. وقيل: أي بكى أهل السماء وهم الملائكة(١).

قد يوجّه بكاء السّماء والأرض كما ذكره الراونديّ رحمه الله، ويمكن أن يقال: كناية عن شدّة المصيبة حتّى كأنّه بكى عليه السماء والأرض، أو عن أنه وصل ضرر تلك المصيبة إلى السّماء والأرض وأثّرت فيهما وظهر بها آثار التغيّر فيهما أو أنّه أمطرت السماء دماً، وكان يتفجّر الأرض دماً عبيطاً، فهذا بكاؤهما كما فسّر به في الخبر، ولعلّ الأخير أظهر.

عن محمّد بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾(٢) قال: لم تبك السماء على أحد قبل قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام وبعده حتّى قتل الحسين عليه السلام فبكت عليه(٣).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ زكريّا لمّا دعا ربّه أن يهب له فنادته الملائكة بما نادته به فأحبّ أن يعلم أنّ ذلك الصوت من الله أُوحي إليه أنّ آية ذلك أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيّام.

قال: لمّا أمسك لسانه ولم يتكلّم علم أنّه لا يقدر على ذلك إلاّ الله، وذلك قول الله: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾(٤) (٥).

يمكن أن يقال: اشتبه عليه في خصوص هذا الموضع لحكمة فاحتاج إلى استعلام ذلك، أو يقال: إنّه عليه السلام إنّما فعل ذلك لزيادة اليقين كما في سؤال إبراهيم عليه السلام.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٢٠، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٢، باب ١٥/ح ٢٥.
(٢) سورة الدخان، الآية: ٢٩.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٢٠، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٣، باب ١٥/ح ٢٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤١.
(٥) تفسير العياشي: ج ٢/ص ١٩٦/ح ٤٣، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٤-١٨٥، باب ١٥/ح ٣١.

في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام (١).

عن عبد الله بن سليم العامريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريّا عليه السلام وكان سأل ربّه أن يحييه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له: ما تريد منّي؟

فقال له: أُريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا.

فقال له: يا عيسى ما سكنت عنّي حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود إليّ حرارة الموت! فتركه فعاد إلى قبره(٢).

إرشاد القلوب: كان يحيى عليه السلام لباسه اللّيف، وأكله ورق الشجرة(٣).

عن إبراهيم بن مهزم، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: كان يحيى بن زكريّا عليه السلام يبكي ولا يضحك، وكان عيسى بن مريم عليه السلام يضحك ويبكي، وكان الّذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الّذي كان يصنع يحيى عليه السلام (٤).

قال صاحب الكامل: لمّا دعا زكريّا ربّه وسأله الولد بينا هو يصلّي في المذبح الّذي لهم فإذا برجل شابّ وهو جبرئيل عليه السلام ، ففزع زكريّا منه، فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٥) ويحيى أوّل من آمن بعيسى وصدّقه، وذلك أنّ أُمّه كانت حاملاً فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى عليه السلام فقالت لها: يا مريم أحامل أنت؟

قالت: لماذا تسأليني؟

(١) الخصال: ص ٣٨٨، باب السبعة/ح ٧٨، وعلل الشرائع: ج ٢/ص ٣٢٢، باب ٣٨٥/ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ج ١/ص ٢٢٣، باب ٢٤/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٥، باب ١٥/ح ٣٢.

(٢) الكافي: ج ٣/ص ١٣٣، باب ١٦٦/ح ٣٧، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٧، باب ١٥/ح ٣٧.

(٣) إرشاد القلوب: ص ١٤٠، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٧، باب ١٥/ذيل ح ٣٧.

(٤) أصول الكافي: ج ٢/ص ٦٦٧، باب الدعابة والضحك/ج ٢٠، والبحار: ج ١٤/ص ١٨٨، باب ١٥/ح ٤٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

قالت: إنّي أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك تصديقه.

وقيل: صدّق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين، وإنّما ولد قبل المسيح عليه السلام بثلاث سنين؛ وقيل: بستّة أشهر، وكان يأكل العشب وأوراق الشجر.

وقيل: كان يأكل خبز الشعير، فمرّ به إبليس ومعه رغيف شعير فقال: أنت تزعم أنّك زاهد وقد ادّخرت رغيف شعير؟

فقال يحيى: يا ملعون هو القوت.

فقال إبليس: إنّ أقلّ من القوت يكفي لمن يموت.

فأوحى الله إليه: اعقل ما يقول لك. ونبّئ صغيراً، فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، ويلبس الشعر، ولم يكن له دينار ولا درهم ولا بيت يسكن إليه، أينما جنّه اللّيل أقام، ولم يكن له عبد ولا أمة، فنهى ملك زمانه عن تزويج بنت أخيه أو بنت زوجته فقتله، فلمّا سمع أبوه بقتله فرّ هارباً فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه أشجار فأرسل الملك في طلبه، فمرّ زكريّا عليه السلام بشجرة فنادته: هلمّ إليّ يا نبيّ الله، فلمّا أتاها انشقّت فدخل فيها فانطبقت عليه فبقي في وسطها، فأتى عدوّ الله إبليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدّقوه إذا أخبرهم، ثمّ لقي الطلب فقال لهم: ما تريدون؟

فقالوا: نلتمس زكريّا.

فقال: إنّه سحر هذه الشجرة فانشقّت له فدخلها.

قالوا: لا نصدّقك، فأراهم طرف ردائه، فأخذوا الفأس وقطعوا الشجرة وشقّوها بالمنشار فمات زكريّا عليه السلام فيها، فسلّط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم به منهم.

وقيل: إنّ السبب في قتله أنّ إبليس جاء إلى مجالس بني إسرائيل فقذف زكريّا بمريم، وقال لهم: ما أحبلها غيره، وهو الّذي كان يدخل عليها، فطلبوه فهرب؛ إلى آخر ما مرّ(١).

---

(١) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ٢٥٢، والبحار: ج ١٤/ ص ١٨٨-١٨٩، باب ١٥/ ذيل ح ٤١.

قصص عيسى وأمه وأبويها

قصص مريم وولادتها وبعض أحوالها
صلوات الله عليها وأحوال أبيها عمران

عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة الّتي قد افتتنت في حسنها، فتقول: يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت ما لقيت، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أم هذه؟ قد حسّنّاها فلم تفتتن(١).

عن الحكم بن عيينة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ اصطفاها مرّتين، والاصطفاء إنّما هو مرّة واحدة.

قال: فقال لي: يا حكم إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً.

فقلت له: ففسّره لنا أبقاك الله.

قال: يعني اصطفاها أوّلاً من ذرّيّة الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهّرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأُمّهاتها سفاح، واصطفاها بهذا في القرآن ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ شكراً لله، ثمّ قال لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى: يا محمّد ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ في مريم وابنها وبما خصّهما الله به وفضّلهما وأكرمهما حيث قال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حين أيتمت من أبيها –

---

(١) روضة الكافي: ج ٨/ص ١٨٥/ح ٢٩١، والبحار: ج ١٤/ ص ١٩٢، باب ١٦/ح ١.

وفي رواية ابن خرزاد: أيّهم يكفل مريم حين أيتمت من أبويها ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمّد ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في مريم عند ولادتها بعيسى أيّهم يكفلها ويكفل ولدها.

قال: فقلت له: أبقاك الله فمن كفّلها؟

فقال: أما تسمع لقوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ الآية(١).

وزاد عليّ بن مهزيار في حديثه: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(٢).

قال: قلت: أكان يصيب مريم ما يصيب النساء من الطمث؟ قال: نعم ما كانت إلاّ امرأة من النساء.

وفي رواية أُخرى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ قال: قال استهموا عليها فخرج سهم زكريّا فكفل بها.

وقال زيد بن ركانة: اختصموا في بنت حمزة كما اختصموا في مريم، قال: قلت له: جعلت فداك حمزة استنّ السنن والأمثال، كما اختصموا في مريم اختصموا في بنت حمزة؟

قال: نعم ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.

قال: نساء عالميها.

قال: وكانت فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين(٣).

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي اختارك وألطف لك حتّى تفرّغت لعبادته واتّباع مرضاته.

وقيل: معناه: اصطفاك لولادة المسيح وطهّرك بالإيمان عن الكفر، وبالطاعة عن المعصية، أو طهّرك عن الأدناس والأقذار الّتي تعرض للنساء مثل الحيض

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٤٢-٤٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٣) تفسير العياشي: ج ١/ ص ١٩٦/ح ٤٧-٤٨، والبحار: ج ١٤/ ص ١٩٢-١٩٣، باب ١٦/ح ٢.

والنفاس حتّى صرت صالحة لخدمة المسجد، أو طهّرك عن الأخلاق الذميمة والطبائع الرديئة ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي على نساء عالمي زمانك، لأنّ فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين.

وقال أبو جعفر عليه السلام: معنى الآية: اصطفاك من ذرّيّة الأنبياء، وطهّرك من السفاح، واصطفاك لولادة عيسى من غير فحل، وخرج بهذا من أن يكون تكراراً[1].

يظهر ممّا رواه أنّ فيما عندنا من نسخة العيّاشيّ سقطاً.

ثمّ قال: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ أي اعبديه وأخلصي له العبادة، أو أديمي الطاعة له، أو أطيلي القيام في الصلاة ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي كما يعمل الراكعون والساجدون، أو يكون ذلك أمراً لها بأن تعمل السجود والركوع معهم في الجماعة؛ وقيل: معناه: واسجدي لله شكراً واركعي أي وصلّي مع المصلّين، ثمّ قال: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ الّتي يكتبون بها التوراة في الماء.

وقيل: أقلامهم أقداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فيه دلالة على أنّهم قد بلغوا في التشاحّ عليها إلى حدّ الخصومة. وفي وقت التشاحّ قولان:

أحدهما: حين ولادتها وحمل أُمّها إيّاها إلى الكنيسة، فتشاحّوا في الّذي يحضنها ويكفل تربيتها؛ وقال بعضهم: كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريّا عن تربيتها.

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ اسمها حنّة جدّة عيسى، وكانتا أُختين: إحداهما عند عمران بن أشهم من ولد سليمان بن داود عليه السلام وقيل: هو عمران بن ماثان، عن ابن عبّاس ومقاتل، وليس عمران أبا موسى وبينهما ألف وثمان مائة سنة، وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل، والأُخرى كانت عند زكريّا ايشاع واسم أبيها فاقود بن فتيل، فيحيى ومريم ابنا خالة ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ أي أوجبت لك أن أجعل ما في بطني محرّراً، أي خادماً للبيعة يخدم في متعبّداتنا؛ وقيل: محرّراً للعبادة، أي مخلصاً لها.

(١) مجمع البيان: ج ٢/ ص ٢٩٠، والبحار: ج ١٤/ ص ١٩٣، باب ١٦/ ذيل ح ٢.

وقيل: عتيقاً خالصاً لطاعتك لا أستعمله في منافعي ولا أصرفه في الحوائج، قالوا: وكان المحرّر إذا حرّر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها، لا يبرح حتّى يبلغ الحلم، ثمّ يخيّر فإن أحبّ أن يقيم فيه أقام، وإن أحبّ أن يذهب ذهب حيث شاء، قالوا: وكانت حنّة قد أُمسك عنها الولد حتّى أيست، فبينما هي تحت شجرة إذ رأت طائراً يزقّ فرخاً له، فتحرّك نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولداً فحملت بمريم ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ﴾ أي نذري قبول رضى ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما أنوي ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ خجلت واستحيت وقالت منكّسة رأسها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ وقيل فيه قولان:

أحدهما: أنّ المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنّها أُنثى، والآخر أنّ المراد تقديم الذكر في السؤال لها بأنّها أُنثى لأنّ سعيها أضعف وعملها أنقص، فقدّم ذكرها ليصحّ القصد لها في السؤال بقولها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لأنّها لا تصلح لما يصلح له الذكر، وإنّما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث، لأنّها لا تصلح لما يصلح الذكر له من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرّج للناس.

وقال قتادة: لم يكن التحرير إلاّ في الغلمان فيما جرت به العادة؛ وقيل: أرادت أنّ الذكر أفضل من الأُنثى على العموم وأصلح للأشياء ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ وهي بلغتهم العابدة والخادمة فيما قيل.

وروى الثعلبيّ بإسناده عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال:

حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك.

وقيل: إنّما استعاذتها من طعنة الشيطان في جنبها الّتي لها يستهلّ الصبيّ صارخاً، فوقاها الله وولدها عيسى عليه السلام منه بحجاب.

وقيل: إنّما استعاذت من إغواء الشيطان الرجيم إيّاها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ مع أُنوثتها ورضي بها في النذر الّتي نذرته حنّة للعبادة في بيت المقدس، ولم يتقبّل قبلها أُنثى في ذلك المعنى.

وقيل: معناه: تكفّل بها في تربيتها والقيام بشأنها، عن الحسن. وقبوله إيّاها أنّه ما عرتها علّة ساعة في ليل أو نهار ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أصله: بتقبّل حسن.

وقيل: معناه: سلك بها طريق السعداء، عن ابن عبّاس ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي جعل نشوءها نشوءاً حسناً؛ وقيل: سوّى خلقها فكانت تنبت في يوم ما ينبت غيرها في عام، عن ابن عبّاس؛ وقيل: أنبتها في رزقها وغذائها حتّى تمّت امرأة بالغة تامّة، عن ابن جريح.

وقال ابن عبّاس: لمّا بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت اللّيل وتبتّلت حتّى غلبت الأحبار ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1] بالتشديد أي ضمّها الله عزّ اسمه إلى زكريّا وجعله كفيلها ليقوم بها، وبالتخفيف معناه: ضمّها زكريّا إلى نفسه، وضمن القيام بأمرها؛ وقالوا: إنّ أُمّ مريم أتت بها ملفوفة في خرقة إلى المسجد وقالت: دونكم النذيرة، فتنافس فيها الأحبار لأنّها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال لهم زكريّا عليه السلام: أنا أحقّ بها لأنّ خالتها عندي.

فقالت له الأحبار: إنّها لو تركت لأحقّ الناس بها لتركت لأُمّها الّتي ولدتها، ولكنّا نقرع عليها فتكون عند من خرج سهمه، فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا أقلامهم في الماء فارتفع قلم زكريّا فوق الماء ورسبت أقلامهم، عن ابن إسحاق وجماعة.

وقيل: بل تلبّث قلم زكريّا وقام فوق الماء كأنّه في طين، وجرت أقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء، عن السدّيّ، فسهّمهم زكريّا وقرعهم وكان رأس الأحبار ونبيّهم فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

قالوا: فلمّا ضمّ زكريّا مريم إلى نفسه بنى لها بيتاً واسترضع لها، وقال محمّد ابن إسحاق: ضمّها إلى خالتها أُمّ يحيى حتّى إذا شبّت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلاّ بسلّم مثل باب الكعبة، ولا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كلّ يوم ﴿كُلَّمَا دَخَلَ

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٣٥-٣٧.

عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ يعني وجد زكريّا عندها فاكهة في غير أوانها، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف غضّاً طريّاً.

وقيل: إنّها لم ترضع قطّ وإنّما كان يأتيها رزقها من الجنّة ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ يعني قال لها زكريّا: كيف لك ومن أين لك هذا؟ كالمتعجّب منه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي من الجنّة، وهذه تكرمة من الله لها وإن كان ذلك خارقاً للعادة، فإنّ عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعادة على غير الأنبياء من الأولياء والأصفياء، ومن منع ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين:

أحدهما: أنّه كان ذلك تأسيساً لنبوّة عيسى عليه السلام، عن البلخيّ، والآخر أنّه كان بدعاء زكريّا عليه السلام لها بالرزق في الجملة، وكانت معجزة له، عن الجبّائيّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)] [(٢)].

عن مفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام من غسّل فاطمة عليها السلام؟

قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، كأنّما استفظعت ذلك من قوله.

فقال لي: كأنّك ضقت ممّا أخبرتك؟

فقلت: قد كان جعلت فداك، فقال: لا تضيقنّ فإنّها صدّيقة لم يكن يغسّلها إلاّ صدّيق، أما علمت أنّ مريم عليها السلام لم يغسّلها إلاّ عيسى عليه السلام [(٣)].

عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوّل من سوهم عليه مريم بنت عمران، وهو قول الله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ والسهام ستّة. الخبر[(٤)].

قوله عليه السلام: (والسهام ستّة) ظاهره أنّ السهام في تلك الواقعة كانت ستّة لكون المتنازعين ستّة، فيدلّ على بطلان ما مرّ في كلام الطبرسيّ رحمه الله أنّهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) مجمع البيان: ج ٢/ص ٢٨٠، والبحار: ج ١٤/ص ١٩٣-١٩٧، باب ١٦/ذيل ح ٢.

(٣) أصول الكافي: ج ١/ص ٢٧٥، باب مولد الزهراء (ع)/ح ٤، والبحار: ج ١٤/ص ١٩٧، باب ١٦/ح ٣.

(٤) الخصال: ص ١٥٦/باب الثلاثة/ح ١٩٨، والبحار: ج ١٤/ص ١٩٨، باب ١٦/ح ٥.

كانوا تسعة وعشرين، ويحتمل أن يكون المراد كون سهام القرعة مطلقاً ستّة إذا لم يزد المطلوب عليها بضمّ السهام المبهمة كما دلّ عليه بعض الأخبار لكنّه بعيد.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ قال: مريم لم ينظر إليها شيء ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾(١) قال: روح مخلوقة لله(٢).

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ فإنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، فبشّر عمران زوجته بذلك فحملت فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ للمحراب، وكانوا إذا نذروا نذراً محرّراً جعلوا ولدهم للمحراب ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ وأنت وعدتني ذكراً ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ فوهب الله لمريم عيسى عليه السلام.

قال: وحدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قلنا لكم في الرجل منّا قولاً فلم يكن فيه وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك، إنّ الله أوحى إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً مباركاً يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذني، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدَّث امرأته حنّة بذلك وهي أمّ مريم فلمّا حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فلمّا وضعتها أُنثى قالت ربّ إنّي وضعتها أُنثى وليس الذكر كالأُنثى لأنّ البنت لا تكون رسولاً، يقول الله: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ فلمّا وهب الله لمريم عيسى عليه السلام كان هو الّذي بشّر الله به عمران ووعده إيّاه، فإذا قلنا لكم في الرجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك، فلمّا بلغت مريم صارت في المحراب وأرخت على نفسها ستراً وكان لا يراها أحد، وكان يدخل عليها زكريّا المحراب فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.
(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ٥٠، والبحار: ج ١٤/ص ١٩٨، باب ١٦/ح ٦.

في الصيف، فكان يقول لها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: اصطفاها مرّتين:

أمّا الأُولى: فاصطفاها أي اختارها.

وأمّا الثانية: فإنّها حملت من غير فحل فاصطفاها بذلك على نساء العالمين، قوله: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ وإنّما هو: واركعي واسجدي، ثمّ قال الله لنبيّه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ قال: لمّا ولدت اختصموا آل عمران فيها وكلّهم قالوا: نحن نكفلها، فخرجوا وضربوا بالسهام بينهم، فخرج سهم زكريّا عليه السلام فكفلها زكريّا عليه السلام، قوله: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾(٢) أي ذو وجه وجاه(٣).

عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع خطوط، ثمّ قال: خير نساء الجنّة مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون(٤).

عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن عمران أكان نبيّاً؟

فقال: نعم كان نبيّاً مرسلاً إلى قومه، وكانت حنّة امرأة عمران وحنانة امرأة زكريّا أُختين، فولد لعمران من حنّة مريم، وولد لزكريّا من حنانة يحيى عليه السلام وولدت مريم عيسى عليه السلام وكان عيسى عليه السلام ابن بنت خالته، وكان يحيى عليه السلام ابن خالة مريم، وخالة الأُمّ بمنزلة الخالة(٥).

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٣٥-٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٤٢-٤٦.
(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ١٠٩، والبحار: ج ١٤/ص ١٩٩-٢٠٠، باب ١٦/ح ٨.
(٤) الخصال: ص ٢٠٦/باب الأربعة، ح ٢٣، والبحار: ج ١٤/ص ٢٠١، باب ١٦/ح ١٠.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٤، والبحار: ج ١٤/ص ٢٠٢، باب ١٦/ح ١٤.

عن الحسن بن محمّد بن أبي طلحة قال: قلت للرضا عليه السلام أيأتي الرسل عن الله بشيء ثمّ تأتي بخلافه؟

قال: نعم إن شئت حدَّثتك، وإن شئت أتيتك به من كتاب الله تعالى جلّت عظمته: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾(١) الآية، فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم، وقال عمران: إنّ الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبيّاً في سنتي هذه وشهري هذا، ثمّ غاب وولدت امرأته مريم وكفلها زكريّا.

فقالت طائفة: صدق نبيّ الله، وقالت الآخرون: كذب، فلمّا ولدت مريم عيسى عليه السلام قالت الطائفة الّتي أقامت على صدق عمران: هذا الّذي وعدنا الله(٢).

عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ امرأة عمران لمّا نذرت ما في بطنها محرّراً قال: والمحرّر للمسجد إذا وضعته دخل المسجد فلم يخرج من المسجد أبداً، فلمّا ولدت مريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ فساهم عليها النبيّون فأصاب القرعة زكريّا وهو زوج أُختها، وكفّلها وأدخلها المسجد، فلمّا بلغت ما تبلغ النساء من الطمث وكانت أجمل النساء وكانت تصلّي فتضيء المحراب لنورها، فدخل عليها زكريّا فإذا عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فقال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ فهنالك دعا زكريّا ربّه قال: إنّي خفت الموالي من ورائي؛ إلى ما ذكر الله من قصّة زكريّا ويحيى(٣).

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: أوحى الله إلى عمران إنّي واهب لك ذكراً مباركاً، يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله ورسولاً إلى بني إسرائيل، فأخبر بذلك امرأته حنّة فحملت فوضعت مريم، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ والأُنثى لا تكون رسولاً.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢١.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢١٥، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٠٣، باب ١٦/ح ١٦.
(٣) تفسير العياشي: ج ١/ ص ١٩٣/ح ٣٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٠٤، باب ١٦/ح ١٨.

وقال لها عمران: إنّه ذكر يكون نبيّاً، فلمّا رأت ذلك قالت ما قالت، فقال الله وقوله الحقّ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فكان ذلك عيسى بن مريم عليه السلام، فإن قلنا لكم: إنّ الأمر يكون في أحدنا فكان في ابنه وابن ابنه أو ابن ابن ابنه فقد كان فيه فلا تنكروا ذلك[١].

ولادة عيسى عليه السلام

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ قال: لم ينظر إليها ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي روح الله مخلوقة ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[٢] أي من الداعين[٣].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يولد لستّة أشهر إلاّ عيسى بن مريم، والحسين ابن عليّ عليه السلام[٤].

عن عبد الرحمن بن المثنّى الهاشميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لم يعش مولود قطّ لستّة أشهر غير الحسين وعيسى بن مريم عليه السلام[٥].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ قال: خرجت إلى النخلة اليابسة ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ قال: في محرابها ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبرئيل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨﴾ فقال لها جبرئيل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ فأنكرت ذلك لأنّه لم يكن في العادة أن تحمل المرأة من غير فحل.

فقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ ولم يعلم جبرئيل أيضاً

---

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ١٩٤/ح ٣٩، والبحار: ج ١٤/ص ٢٠٥، باب ١٦/ح ٢١.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ٣٦٢، والبحار: ج ١٤/ص ٢٠٧، باب ١٧/ح ١.

(٤) أصول الكافي: ج ١/ص ٢٧٨، باب مولد الحسين عليه السلام/ح ٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٠٧/ باب ١٧/ح ٢.

(٥) علل الشرائع: ج ١/ص ٢٤٣، باب ١٥٦/ح ٣، والبحار: ج ١٢/ ص ٢٠٧/باب ١٧/ح ٣.

كيفيّة القدرة فقال لها: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

قال: فنفخ في جيبها فحملت بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالليل فوضعته بالغداة، وكان حملها تسع ساعات جعل الله الشهور لها ساعات، ثمّ ناداها جبرئيل: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أي هزّي النخلة اليابسة، فهزّت وكان ذلك اليوم سوقاً فاستقبلها الحاكة وكانت الحياكة أنبل صناعة في ذلك الزمان، فأقبلوا على بغال شهب.

فقالت لهم مريم: أين النخلة اليابسة؟ فاستهزؤوا بها وزجروها، فقالت لهم: جعل الله كسبكم نزراً، وجعلكم في الناس عاراً، ثمّ استقبلها قوم من التجّار فدلّوها على النخلة اليابسة فقالت لهم: جعل الله البركة في كسبكم، وأحوج الناس إليكم، فلمّا بلغت النخلة أخذها المخاض فوضعت بعيسى، فلمّا نظرت إليه قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ ماذا أقول لخالي؟ وماذا أقول لبني إسرائيل؟

فناداها عيسى من تحتها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي نهراً ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ أي حرّكي النخلة ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(١) أي طيّباً، وكانت النخلة قد يبست منذ دهر طويل فمدّت يدها إلى النخلة فأورقت وأثمرت وسقط عليها الرطب الطريّ وطابت نفسها.

فقال لها عيسى: قمطيني وسوّيني ثمّ افعلي كذا وكذا، فقمطته وسوّته، وقال لها عيسى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ وصمتاً كذا نزلت ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ففقدوها في المحراب فخرجوا في طلبها، وخرج خالها زكريّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فأقبلت وهو في صدرها وأقبلن مؤمنات بني إسرائيل يبزقن في وجهها، فلم تكلّمهن حتّى دخلت في محرابها، فجاء إليها بنو إسرائيل وزكريّا فقالوا لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ ومعنى قولهم: يا أُخت هارون

(١) سورة مريم، الآيات: ١٦-٢٥.

أنّ هارون كان رجلاً فاسقاً زانياً فشبّهوها به، من أين هذا البلاء الّذي جئت به والعار الّذي ألزمته بني إسرائيل؟

فأشارت إلى عيسى في المهد فقالوا لها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

فأنطق الله عيسى عليه السلام فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[(١)] أي يتخاصمون، فقال الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ قال: زكاة الرؤوس، لأنّ كلّ النّاس ليست لهم أموال، وإنّما الفطرة على الغنيّ والفقير والصغير والكبير.

حدّثني محمّد بن جعفر قال: حدّثني محمّد بن أحمد، عن يعقوب بن يزيد، عن يحيى ابن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[(٢)] قال: نفاعاً[(٣)].

عن الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[(٤)] قال: خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثمّ رجعت من ليلتها[(٥)].

بالإسناد إلى وهب قال: لمّا أجاء المخاض مريم عليها السلام إلى جذع النخلة اشتدّ عليها البرد، فعمد يوسف النجّار إلى حطب فجعله حولها كالحظيرة، ثمّ أشعل فيه النار فأصابتها سخونة الوقود من كلّ ناحية حتّى دفئت، وكسر لها سبع جوزات وجدهنّ في خرجه فأطعمها، فمن أجل ذلك توقد النصارى النار في ليلة الميلاد، وتلعب بالجوز[(٦)].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٦-٣٤.
(٢) سورة مريم، الآية: ٣١.
(٣) تفسير القمي: ج ٢/ص ٢٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٠٨-٢١٠، باب ١٧/ح ٦.
(٤) سورة مريم، الآية: ٢٢.
(٥) تهذيب الأحكام: ج ٦/ص ١٠٥٩، باب ٢٢/ح ٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٢، باب ١٧/ح ٨.
(٦) علل الشرائع: ج ١/ص ٩٩، باب ٦٩/ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٢، باب ١٧/ح ٩.

عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: لمّا ولد المسيح أخفى الله ولادته وغيّب شخصه، لأنّ مريم لمّا حملته انتبذت به مكاناً قصيّاً، ثمّ إنّ زكريّا وخالتها أقبلا يقصّان أثرها حتّى هجما عليها وقد وضعت ما في بطنها وهي تقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ فأطلق الله تعالى ذكره لسانه بعذرها وإظهار حجّتها، فلمّا ظهر اشتدّت البلوى والطلب على بني إسرائيل، وأكبّ الجبابرة والطواغيت عليهم، حتّى كان من أمر المسيح عليه السلام ما قد أخبر الله به، واستتر شمعون بن حمون والشيعة حتّى أفضى بهم الاستتار إلى جزيرة من جزائر البحر فأقاموا بها ففجّر لهم فيها العيون العذبة، وأُخرج لهم من كلّ الثمرات، وجعل لهم فيها الماشية، وبعث إليهم سمكة تدعى القمد لا لحم لها ولا عظم، وإنّما هي جلد ودم، فخرجت من البحر فأوحى الله عزّ وجلّ إلى النحر أن يركبها فركبها فأتت النحل إلى تلك الجزيرة ونهض النحل وتعلّق بالشجر فغرس وبنى وكثر العسل، ولم يكونوا يفقدون شيئاً من أخبار المسيح[1].

عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديث طويل قال: أمّا أُمّ مريم فاسمها مرتا وهي وهيبة بالعربيّة، وأمّا اليوم الّذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال وهو اليوم الّذي هبط فيه الروح الأمين، وليس للمسلمين عيد كان أولى منه، وأمّا اليوم الّذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء لأربع ساعات ونصف من النهار؛ والنهر الّذي ولدت عليه مريم عيسى هو الفرات، فحجبت لسانها ونادى قيدوس ولده وأشياعه فأعانوه وأخرجوا آل عمران لينظروا إلى مريم، فقالوا لها ما قصّ الله في كتابه[2].

عن الوشّاء، عن الرضا عليه السلام قال: ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليه السلام؛ الخبر[3].

قال الباقر عليه السلام: إنّ مريم بشّرت بعيسى، فبينا هي في المحراب إذ تمثّل لها

---

(١) كمال الدين: ص ١٥٨ وفيه فعرش وبنى...، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٣، باب ١٧/ ح ١٠.
(٢) أصول الكافي: ج ١/ ص ٢٨٨، باب مولد الكاظم عليه السلام/ ح ٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٣-٢١٤، باب ١٧/ح ١١.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢/ ص ٢٣٩/ح ١٨١٥، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٤، باب ١٧/ح ١٣.

الروح الأمين بشراً سويّاً ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾(١) فتفل في جيبها فحملت بعيسى فلم يلبث أن ولدت. وقال: لم يكن على وجه الأرض شجرة إلاّ ينتفع بها ولها ثمرة ولا شوك لها حتّى قالت فجرة بني آدم كلمة السوء، فاقشعرّت الأرض، وشاكت الشجر، وأتى إبليس تلك اللّيلة فقيل له: قد ولد اللّيلة ولد لم يبق على وجه الأرض صنم إلاّ خرّ لوجهه وأتى المشرق والمغرب يطلبه فوجده في بيت دير قد حفّت به الملائكة، فذهب يدنو فصاحت الملائكة: تنحّ.

فقال لهم: من أبوه؟

فقالت: فمثله كمثل آدم.

فقال إبليس: لأُضلّنّ به أربعة أخماس الناس(٢).

عن الحكم بن عيينة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا قالت العواتق الفرية وهنّ سبعون لمريم: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾(٣) أنطق الله عيسى عليه السلام عند ذلك، فقال لهنّ: ويلكنّ تفترين على أُمّي؟ أنا عبد الله، آتاني الكتاب وأُقسم بالله لأضربنّ كلّ امرأة منكنّ حدّاً بافترائكنّ على أُمّي.

قال الحكم: فقلت للباقر عليه السلام: أفضربهن عيسى عليه السلام بعد ذلك؟

قال: نعم ولله الحمد والمنّة(٤).

عن سليمان الجعفريّ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: أتدري بما حملت مريم؟

قلت: لا.

قال: من تمر صرفان أتاها به جبرئيل عليه السلام(٥).

عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في مسائله الّتي

(١) سورة مريم، الآيتان: ١٨-١٩.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٦٤، البحار: ج ١٤/ص ٢١٥، باب ١٧/ح ١٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٢٧.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٦٥، والبحار: ج ١٤/ص ٢١٥، باب ١٧/ح ١٥.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٦٦، والبحار: ج ١٤/ص ٢١٧، باب ٧/ح ١٨.

سأل النصرانيّ عنها فقال له أبو إبراهيم عليه السلام : والنهر الّذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه؟ قال: لا، قال: هو الفرات. الخبر[١].

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لمَ خلق الله عيسى من غير أب وخلق سائر النّاس من الآباء والأُمّهات؟

فقال: ليعلم الناس تمام قدرته وكمالها، ويعلموا أنّه قادر على أن يخلق خلقاً من أُنثى من غير ذكر، كما هو قادر على أن يخلقه من غير ذكر ولا أُنثى، وإنّه عزّ وجلّ فعل ذلك ليعلم أنّه على كلّ شيء قدير[٢].

عن الأحول قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الروح الّتي في آدم قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[٣].

قال: هذه روح مخلوقة، والروح الّتي في عيسى مخلوقة[٤].

عن صالح بن علقمة، عن الصادق عليه السلام أنّه قال في حديث طويل: ألم ينسبوا مريم بنت عمران إلى أنّها حملت بعيسى من رجل نجّار اسمه يوسف؟! الخبر[٥].

وبإسناده عن عليّ عليه السلام قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا عليّ إنّ فيك شبهاً من عيسى بن مريم عليه السلام : أحبّته النصارى حتّى أنزلوه بمنزلة ليس بها، وأبغضته اليهود حتّى بهتوا أُمّه[٦].

عن أبان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ مريم حملت بعيسى عليه السلام تسع ساعات، كلّ ساعة شهراً[٧].

---

(١) أصول الكافي: ج ١/ ص ٢٨٩، باب مولد الكاظم عليه السلام/ ح ٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٧، باب ١٧/ ح ٢٠.
(٢) علل الشرائع: ج ١/ ص ٢٦، باب ١٢/ ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٨، باب ١٧/ ح ٢٣.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٩، وسورة ص، الآية: ٧٢.
(٤) أصول الكافي: ج ١/ ص ٧٧، باب الروح/ ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٨، باب ١٧/ ح ٢٤.
(٥) أمالي الصدوق: ص ٩٢/ مجلس ٢٢/ ح ٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٢١٩، باب ح ٢٦-٢٧.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) روضة الكافي: ص ٨٢٨/ ح ٥١٦، والبحار: ج ٨٤/ ص ٢١٩، باب ١٧/ ح ٢٩.

عن جرّاح المدائنيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، ثمّ قال: قالت مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي صمتاً[١].

عن معمّر بن خلّاد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كانت نخلة مريم عليها السلام العجوة، ونزلت في كانون[٢].

عن أبي عمرو وأبي سعيد الخدريّ في حديث طويل في ولادة عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: هذا عيسى بن مريم عليه السلام قال الله عزّ وجلّ فيه: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنسِيًّا﴾ فكلّم أُمّه وقت مولده وقال حين أشارت إليه فقالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى آخر الآية، فتكلّم عليه السلام في وقت ولادته فأُعطي الكتاب والنبوّة، وأوصى بالصلاة والزكاة في ثلاثة أيّام من مولده، وكلّمهم في اليوم الثاني من مولده[٣].

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قال ابن عبّاس: يريد جبرئيل ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ ففيه قولان:

أحدهما: أنّه المسيح سمّاه كلمة، عن ابن عبّاس وقتادة وجماعة من المفسّرين، وإنّما سمّي بذلك لأنّه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].

وقيل: سمّي بذلك لأنّ الله تعالى بشّر به في الكتب السالفة، كما يقول الّذي يخبر بالأمر إذا خرج موافقاً لأمره: قد جاء كلامي، وممّا جاء من البشارة به في التوراة «أتانا الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» وساعير

---

(١) الكافي: ج ٤/ص ٣٤٢، باب ٥٥/ح ٩، والبحار: ج ١٤/ص ٢١٩، باب ١٧/ح ٢٩.

(٢) الكافي ج ٦/ص ١٠٨٣، باب ٢٦٨/ح ١٢، والبحار: ج ١٤/ص ٢٢٠، باب ١٧/ح ٣١.

(٣) روضة الواعظين: ص ٨٣، وروى الثعلبي عن مجاهد قال: قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت أنا وعيسى حدثني وحدثته فإذا شغلني عنه إنسان سبّح في بطني وأنا أسمع (منه رحمه الله).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

هو الموضع الّذي بعث منه المسيح عليه السلام وقيل: لأنّ الله يهدي به كما يهدي بكلمته.

والقول الثاني: أنّ الكلمة بمعنى البشارة، كأنّه قال: ببشارة منه ولد اسمه المسيح، والأوّل أقوى، ويؤيّده قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ وإنّما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد إلى الكلمة لأنّه واقع على مذكّر فذهب إلى المعنى.

واختلف في أنّه لمَ سمّي بالمسيح فقيل: لأنّه مسح باليمن والبركة، عن الحسن وقتادة وسعيد؛ وقيل: لأنّه مسح بالتطهير من الذنوب؛ وقيل: لأنّه مسح بدهن زيت بورك فيه، وكانت الأنبياء تتمسّح به، عن الجبّائيّ.

وقيل: لأنّه مسحه جبرئيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان؛ وقيل: لأنّه كان يمسح رأس اليتامى لله.

وقيل: لأنّه يمسح عين الأعمى فيبصر، عن الكلبيّ؛ وقيل: لأنّه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلاّ أبرأه، عن ابن عبّاس في رواية عطاء والضحّاك.

وقال أبو عبيدة: وهو بالسريانيّة مشيحا، فعرَّبته العرب﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ نسبه إلى أُمّه ردّاً على النصارى قولهم: إنّه ابن الله ﴿وَجِيهٗا﴾ ذا جاه وقدر وشرف ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ إلى ثواب الله وكرامته ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ أي صغيراً، والمهد الموضع الّذي يمهّد لنوم الصبيّ، ويعني بكلامه في المهد: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية، ووجه كلامه في المهد أنّه تنزيه لأُمّه ممّا قذفت به وجلالة له بالمعجزة الّتي ظهرت فيه ﴿وَكَهۡلٗا﴾ أي يكلّمهم كهلاً بالوحي الّذي يأتيه من الله، أعلمنا الله سبحانه أنّه يبقى إلى حال الكهولة، وفي ذلك إعجاز لكون المخبر في وفق الخبر.

وقيل: المراد به الردّ على النصارى بما كان فيه من التقلّب في الأحوال لأنّ ذلك مناف لصفة الإله ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي ومن النبيّين مثل إبراهيم وموسى عليهما السلام.

وقيل: إنَّ المراد بالآية: ويكلّمهم في المهد دعاء إلى الله، وكهلاً بعد نزوله من السّماء ليقتل الدجّال وذلك لأنّه رفع إلى السّماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وذلك قبل الكهولة، عن زيد بن أسلم.

وفي ظهور المعجزة في المهد قولان:

أحدهما: أنّها كانت مقرونة بنبوّة المسيح عليه السلام لأنّه سبحانه أكمل عقله في تلك الحال وجعله نبيّاً، وأوحى إليه بما تكلّم به، عن الجبّائيّ.

وقيل: كان ذلك على التأسيس والإرهاص لنبوّته، عن ابن الأُخشيد، ويجوز عندنا الوجهان، ويجوز أن يكون معجزة لمريم تدلّ على طهارتها وبراءة ساحتها إذ لا مانع لذلك، وقد دلّت الأدلّة الواضحة على جوازه، وإنّما جحدت النصارى كلام المسيح في المهد مع كونه آية ومعجزة لأنّ في ذلك إبطال مذهبهم لأنّه قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ وهو ينافي قولهم: إنّه ابن الله، فاستمرّوا على تكذيب من أخبر بذلك قالت مريم ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي﴾ أي كيف يكون لي ﴿وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ لم تقل ذلك استبعاداً واستنكاراً، بل إنّما قالت استفهاماً واستعظاماً لقدرة الله تعالى، لأنّ في طبع البشر التعجب ممّا خرج عن المعتاد.

وقيل: إنّما قالت ذلك لتعلم أنّ الله سبحانه يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسسها بشر، أو يقدّر لها زوجاً ثمّ يرزقها الولد على مجرى العادة ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ أي يخلق ما يشاء مثل ذلك، فهي حكاية ما قال لها الملك، أي يرزقك الولد وأنت على هذه الحالة لم يمسّك بشر ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي خلق أمراً.

وقيل: إذا قدّر أمراً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وقيل في معناه قولان: أحدهما أنّه إخبار بسرعة حصول مراد الله تعالى في كلّ شيء أراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلّف سبب ولا أداة، وإنّما كنّى بهذه اللّفظة لأنّه لا يدخل في وهم العباد شيء أسرع من كن فيكون، والآخر أنّ هذه الكلمة جعلها الله علامة للملائكة فيما يريد إحداثه وإيجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار، وإنّما استعمل لفظة الأمر فيما ليس بأمر هنا ليدلّ ذلك على أنَّ فعله بمنزلة فعل المأمور في أنّه لا كلفة فيه على الآمر(١).

وقال رحمه الله في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي انفردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم، قال ابن عبّاس: «إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأنها انتبذت مكاناً شرقياً».

(١) مجمع البيان: ج ٢/ ص ٢٩٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٢٠-٢٢٣، باب ١٧/ ذيل ح ٣٢.

وقيل: اتّخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة لئلاّ تشتغل بكلام النّاس، عن الجبّائيّ؛ وقيل: تباعدت عن قومها حتّى لا يروها، عن الأصمّ وأبي مسلم.

وقيل: إنّها تمنّت أنّ تجد خلوة فتفلي رأسها، فخرجت في يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس، عن عطاء ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا﴾ أي فضربت من دون أهلها لئلاّ يروها ستراً وحاجزاً بينها وبينهم ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبرئيل عليه السلام عن ابن عبّاس والحسن وقتادة وغيرهم، وسمّاه الله روحاً لأنّه روحانيّ، وأضافه إلى نفسه تشريفاً له ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ معناه: فأتاها جبرئيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه شيء.

وقال أبو مسلم: إنّ الروح الّذي خلق منه المسيح عليه السلام تصوّر لها إنساناً، والأوّل هو الوجه لإجماع المفسّرين عليه.

وقال عكرمة: كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد، وكانت عند خالتها امرأة زكريّا أيّام حيضها، فإذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد، فبينما هي في مشرقة لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين أهلها ستراً لتغتسل وتمتشط إذ دخل عليها جبرئيل في صورة رجل شابّ أمرد سويّ الخلق، فأنكرته فاستعاذت بالله منه ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ معناه إنّي أعتصم بالرحمن من شرّك فاخرج من عندي إن كنت تقيّاً.

سؤال: كيف شرطت في التعوّذ منه أن يكون تقيّاً والتقيُّ لا يحتاج أن يتعوّذ منه، وإنّما يتعوّذ من غير التقيّ؟.

والجواب: أنّ التقيّ إذا تعوّذ بالرحمن منه ارتدع عمّا يسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب له، وهذا كما تقول: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني، فالمعنى: إن كنت تقيّاً فاتّعظ واخرج.

وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «علمت أنّ التقى ينهاه عن المعصية».

وقيل: إنّ معنى قوله: ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ ما كنت تقيّاً حيث استحللت النظر إليّ وخلوت بي، فلمّا سمع جبرئيل منها هذا القول قال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ أي ولداً طاهراً من الأدناس.

وقيل: نامياً في أفعال الخير؛ وقيل: يريد نبيّاً، عن ابن عبّاس ﴿قَالَتۡ﴾مريم

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ أي كيف يكون لي ولد ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ على وجه الزوجيّة ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ أي ولم أكن زانية، وإنّما قالت ذلك لأنّ الولد في العادة يكون من إحدى هاتين الجهتين، والمعنى أنّي لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد إلاّ عن فجور ولست فاجرة، وإنّما يقال للفاجرة بغيّ بمعنى أنّها تبغي الزنا، أي تطلبه.

وفي هذه الآية دلالة على جواز إظهار الكرامات على غير الأنبياء عليهم السلام لأنّ من المعلوم أنّ مريم ليست بنبيّة، وأنّ رؤية الملك على صورة البشر وبشارة الملك إيّاها وولادتها من غير وطءٍ إلى غيرها من الآيات الّتي أبانها الله بها من أكبر المعجزات، ومن لم يجوّز إظهار المعجزات على غير النبيّ اختلفت أقوالهم في ذلك: فقال الجبّائيّ وابنه: إنّها معجزات لزكريّا.

وقال البلخيّ: إنّها معجزات لعيسى على سبيل الإرهاص والتأسيس لنبوّته ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾ أي قال لها جبرئيل حين سمع تعجّبها من هذه البشارة: الأمر كذلك، أي كما وصفت لك ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ معناه ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوّته ودلالة على براءة أُمّه ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي ولنجعله نعمة منّا على الخلق يهتدون بسنّته ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي وكان خلق عيسى عليه السلام من غير ذكر أمراً كائناً مفروغاً منه محتوماً، قضى الله سبحانه بأنّه يكون وحكم به ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أي فحملت مريم بعيسى وحبلت في الحال.

قيل: إنّ جبرئيل أخذ ردن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حسّ الحمل، عن ابن عبّاس؛ وقيل: نفخ في كمّها فحملت، عن ابن جريح.

وروي عن الباقر عليه السلام أنّه تناول جيب مدرعتها فنفخ نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته، كما يكمل الولد في أرحام النساء تسعة أشهر، فخرجت من المستحم وهي حامل مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها، ومضت مريم على وجهها مستحيية من خالتها ومن زكريّا ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي تنحّت بالحمل إلى مكان بعيد.

وقيل: معناه انفردت به مكاناً بعيداً من قومها حياءً من أهلها وخوفاً من أن يتّهموها بسوء.

واختلفوا في مدّة حملها فقيل: ساعة واحدة، قال ابن عبّاس: لم يكن بين الانتباذ والحمل إلاّ ساعة واحدة، لأنّه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً لأنّه قال: فحملته، فانتبذت به، فأجاءها، والفاء للتعقيب.

وقيل: حملت به في ساعة، وصوّر في ساعة ووضعته في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين، عن مقاتل.

وقيل: كانت مدّة حملها تسع ساعات، وهذا مرويٌّ عن أبي عبد الله؛ وقيل: ستّة أشهر.

وقيل: ثمانية أشهر، وكان ذلك آية وذلك أنّه لم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ أي أجاءها الطلق أي وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ فالتجأت إليها لتستند إليها، عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والسدّيّ قال ابن عبّاس: نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة فإذا عليها جذع النخلة ليس عليها سعف، والجذع ساق النخلة، والألف واللاّم دخلت للعهد لا للجنس، أي النخلة المعروفة، فلمّا ولدت ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي شيئاً حقيراً متروكاً، عن ابن عبّاس.

وقيل: شيئاً لا يذكر ولا يعرف، عن قتادة وقيل: حيضة ملقاة، عن عكرمة والضحّاك ومجاهد؛ قال ابن عبّاس: فسمع جبرئيل كلامها وعرف جزعها ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ وكان أسفل منها تحت الأكمة: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ وهو قول السدّيّ وقتادة والضحّاك أنّ المنادي جبرئيل ناداها من سفح الجبل.

وقيل: ناداها عيسى، عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبّائيّ. وإنّما تمنّت الموت كراهية لأن يعصى الله فيها.

وقيل: استحياء من النّاس أن يظنّوا بها سوءاً، عن السدّيّ.

وروي عن الصادق عليه السلام: لأنّها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزّهها عن السوء ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي ناداها جبرئيل أو عيسى ليزول ما عندها من الغمّ والجزع: لا تغتمّي قد جعل ربّك تحت قدميك نهراً تشربين منه وتطهرين من

النفاس، عن ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير، قالوا: وكان نهراً قد انقطع الماء عنه، فأرسل الله الماء فيه لمريم وأحيا ذلك الجذع حتّى أثمر وأورق.

وقيل: ضرب جبرئيل برجله فظهر ماء عذب؛ وقيل: بل ضرب عيسى برجله فظهر عين ماء تجري وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

وقيل: السريّ: عيسى عليه السلام، عن الحسن وابن زيد والجبّائيّ؛ والسريّ هو الرفيع الشريف، قال الحسن: كان والله عبداً سريّاً ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ معناه: اجذبي إليك، والباء مزيدة؛ وقال الفرّاء: تقول العرب: هزّه وهزّ به ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ الجنيّ بمعنى المجتنى، من جنيت الثّمرة واجتنيتها: إذا قطعتها، وقال الباقر عليه السلام: لم تستشف النفساء بمثل الرطب، إنّ الله تعالى أطعمه مريم في نفاسها.

قال: إنّ الجذع كان يابساً لا ثمر عليه إذ لو كان عليه ثمر لهزّته من غير أن تؤمر به، وكان في الشتاء فصار معجزة لخروج الرطب في غير أوانه ولخروجه دفعة واحدة، فإنّ العادة أن يكون نوراً أوّلاً، ثمّ يصير بلحاً، ثمّ بسراً.

وروي أنّه لم يكن للجذع رأس وضربته برجلها فأورق وأثمر وانتثر عليها الرطب جنيّاً، والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في العادة.

وقيل: إنّ تلك النخلة كانت برنيّة؛ وقيل: كانت عجوة وهو المرويُّ عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾ أي كلي يا مريم من هذا الرطب، واشربي من هذا الماء ﴿وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ جاء في التفسير: وطيبي نفساً.

وقيل: معناه: لتبرد عينك سروراً بهذا الولد الّذي ترين، لأنّ دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارّة.

وقيل: معناه: لتسكن عينك سكون سرور برؤيتك ما تحبّين ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا﴾ فسألك عن ولدك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ أي صمتاً، عن ابن عبّاس.

والمعنى: أوجبت على نفسي لله أن لا أتكلم؛ وقيل صوماً، أي إمساكاً عن الطعام والشراب والكلام، عن قتادة؛ وإنّما أُمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرئ ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد ووهب.

وقيل: كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلّم الصائم حتّى يمسي، يدلّ على هذا قوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي إنّي صائمة فلا أُكلّم اليوم أحداً، وكان قد أذن لها أن تتكلّم بهذا القدر ثمّ تسكت ولا تتكلّم بشيء آخر، عن السدّيّ.

وقيل: كان الله تعالى أمرها أن تنذر لله الصمت، وإذا كلّمها أحد تؤمئ بأنّها نذرت صمتاً، لأنّه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنّها نذرت ولم تنذر لأنّ ذلك كذب عن الجبّائيّ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ أي فأتت مريم بعيسى حاملة له، وذلك أنّها لفّته في خرقة وحملته إلى قومها ﴿قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي أمراً عظيماً بديعاً، إذ لم تلد أُنثى قبلك من غير رجل، عن قتادة ومجاهد والسدّيّ؛ وقيل: أمراً قبيحاً منكراً من الافتراء وهو الكذب، عن الجبّائيّ.

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ قيل فيه أقوال: أحدها أنّ هارون كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كلّ من عرف بالصلاح، عن ابن عبّاس وقتادة وكعب وابن زيد، والمغيرة بن شعبة رفعه إلى النبيّ ﷺ.

وقيل: إنّه لمّا مات شيّع جنازته أربعون ألفاً كلّهم يسمّى هارون، فقولهم: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ معناه: يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفاً منك.

وثانيها: أنّ هارون كان أخاها لأبيها ليس من أُمّها، وكان معروفاً بحسن الطريقة عن الكلبيّ. **وثالثها**: أنّه هارون أخو موسى عليه السلام فنسبت إليه لأنّها من ولده كما يقال: يا أخا تميم، عن السدّيّ. **ورابعها**: أنّه كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالعهر والفساد فنسبت إليه، وقيل لها: يا شبيهته في قبح فعله، عن سعيد بن جبير.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي كان أبواك صالحين، فمن أين جئت بهذا الولد؟ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي فأومأت إلى عيسى بأن كلّموه واستشهدوه على براءة ساحتي، فتعجبوا من ذلك ثمّ قالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ معناه كيف نكلّم صبياً في المهد؟

وقيل: صبيّاً في الحجر رضيعاً؟ وكان المهد حجر أُمّه الّذي تربّيه فيه إذ لم تكن هيّأت له مهداً، عن قتادة؛ وقيل: إنّهم غضبوا عند إشارتها إليه، وقالوا:

لسخريتها بنا أشدّ علينا من زناها، فلمّا تكلّم عيسى عليه السلام قالوا: إنّ هذا الأمر عظيم، عن السدّيّ.

﴿قَالَ﴾ عيسى بن مريم: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ قدّم إقراره بالعبوديّة ليبطل به قول من يدّعي له الربوبيّة، وكان الله سبحانه أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه، ثمّ قال ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوّة.

وقيل: إنّ الله سبحانه أكمل عقله في صغره وأرسله إلى عباده وكان نبيّاً مبعوثاً إلى النّاس في ذلك الوقت مكلّفاً عاقلاً، ولذلك كانت له تلك المعجزة، عن الحسن والجبّائيّ.

وقيل: إنّه كلّمهم وهو ابن أربعين يوماً، عن وهب؛ وقيل: يوم ولد، عن ابن عبّاس وأكثر المفسّرين وهو الظاهر.

وقيل: إنّ معناه إنّي عبد الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبيّاً، وكان ذلك معجزة لمريم عليها السلام على براءة ساحتها ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي وجعلني معلّماً للخير عن مجاهد.

وقيل: نفّاعاً حيثما توجّهت، والبركة: نماء الخير، والمبارك: الّذي ينمي الخير به؛ وقيل: ثابتاً دائماً على الإيمان والطاعة، وأصل البركة الثبوت، عن الجبّائيّ ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي بإقامتهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ أي ما بقيت حيّاً مكلّفاً ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ أي جعلني بارّاً بها أُؤدّي شكرها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي متجبّراً ﴿شَقِيًّا﴾ والمعنى أنّي بتوفيقه كنت محسناً إليها حتّى لم أكن من الجبابرة الأشقياء ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ أي والسلامة عليّ من الله ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي في هذه الأحوال الثلاث.

قيل: ولمّا كلّمهم عيسى عليه السلام بذلك علموا براءة مريم، ثمّ سكت عيسى فلم يتكلّم بعد ذلك حتّى بلغ المدّة الّتي يتكلّم فيها الصبيان. انتهى ملخّص تفسيره رحمه الله [1].

---

(١) مجمع البيان: ج ٦/ص ٤١٠، والبحار: ج ١٤/ص ٢٢٠-٢٢٩، باب ١٧/ذيل ح ٣٢.

فضله ورفعة شأنه ومعجزاته وتبليغه
ومدة عمره ونقش خاتمه وجمل أحواله

عن الهذليّ، عن رجل قال: مكث عيسى عليه السلام حتّى بلغ سبع سنين، أو ثمان سنين، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ويعلّمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل لمّا أراد الله أن يتّخذ عليهم حجّة(١).

عن محمّد بن أبي عمير، عمّن ذكره رفعه قال: إنّ أصحاب عيسى عليه السلام سألوه أن يحيي لهم ميتاً، قال: فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح، فقال له: قم بإذن الله يا سام بن نوح، قال: فانشقّ القبر، ثمّ أعاد الكلام فتحرّك، ثمَّ أعاد الكلام فخرج سام بن نوح، فقال له عيسى: أيّهما أحبّ إليك: تبقى أو تعود؟

قال: فقال: يا روح الله بل أعود، إنّي لأجد حرقة الموت - أو قال: لذعة الموت - في جوفي إلى يومي هذا(١).

عن أبان بن تغلب قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام هل كان عيسى بن مريم أحيا أحداً بعد موته حتّى كان له أكل ورزق ومدّة وولد؟

قال: فقال: نعم، إنّه كان له صديق مؤاخ له في الله، وكان عيسى يمرّ به فينزل عليه، وإنّ عيسى عليه السلام غاب عنه حيناً، ثمّ مرّ به ليسلّم عليه فخرجت إليه أُمّه فسألها عنه.

فقالت أُمّه: مات يا رسول الله، فقال لها: أتحبّين أن تريه؟

قالت: نعم.

قال لها: إذا كان غداً أتيتك حتّى أُحييه لك بإذن الله، فلمّا كان من الغد أتاها فقال لها: انطلقي معي إلى قبره، فانطلقا حتّى أتيا قبره فوقف عيسى عليه السلام ثمّ دعا الله فانفرج القبر وخرج ابنها حيّاً، فلمّا رأته أُمّه ورآها بكيا؛ فرحمهما عيسى عليه السلام فقال له: أتحبّ أن تبقى مع أُمّك في الدنيا؟

---

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ٣٠٨/ح ٦٨٨/ ٤٩ و٦٨٩/ ٥٠، من سورة آل عمران والبحار: ج ١٤/ص ٢٢٣، باب ١٨/ح ١ و٢.

قال: يا رسول الله بأكل وبرزق ومدَّة، أو بغير مدّة ولا رزق ولا أكل؟

فقال له عيسى عليه السلام: بل برزق وأكل ومدّة تعمر عشرين سنة، وتزوّج ويولد لك.

قال: فنعم إذاً.

قال: فدفعه عيسى إلى أُمّه فعاش عشرين سنة وتزوّج وولد له[١].

عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين داود وعيسى بن مريم عليهما السلام أربع مائة سنة، وكان شريعة عيسى أنّه بعث بالتوحيد والإخلاص، وبما أُوصي به نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، وأُنزل عليه الإنجيل، وأُخذ عليه الميثاق الّذي أُخذ على النبيّين، وشرع له في الكتاب إقام الصلاة مع الدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتحريم الحرام، وتحليل الحلال، وأُنزل عليه في الإنجيل مواعظ وأمثال وليس فيها قصاص ولا أحكام حدود، ولا فرض مواريث، وأُنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة، وهو قول الله في الّذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾[٢] وأمر عيسى من معه ممّن اتّبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة والإنجيل[٣].

عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ﴾[٤].

قال: الخنازير على لسان داود عليه السلام، والقردة على لسان عيسى بن مريم عليه السلام[٥].

(١) تفسير العياشي: ج ١/ ص ١٩٨، ح ٥١، والبحار ج ١٤/ ص ٢٣٣-٢٣٤، باب ١٨/ح ٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.
(٣) تفسير العياشي: ج ١/ ص ١٩٨/ ح ٥٢ من سورة آل عمران، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٣٤، باب ١٨/ ح ٤.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٨.
(٥) تفسير العياشي: ج ١/ ص ٣٦٤/ ح ١٦١، من سورة المائدة، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٣٥، باب ١٨/ ح ٦.

عن الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا أُنزلت المائدة على عيسى عليه السلام قال للحواريّين: لا تأكلوا منها حتّى آذن لكم، فأكل منها رجل منهم فقال بعض الحواريّين: يا روح الله أكل منها فلان.

فقال له عيسى عليه السلام: أكلت منها؟

قال له: لا، فقال الحواريّون: بلى والله يا روح الله لقد أكل منها.

فقال له عيسى: صدّق أخاك، وكذّب بصرك[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: المائدة الّتي نزلت على بني إسرائيل مدلّاة بسلاسل من ذهب، عليها تسعة ألوان وتسعة أرغفة[2].

عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ الخنازير من قوم عيسى عليه السلام سألوا نزول المائدة فلم يؤمنوا فمسخهم الله خنازير[3].

عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قول الله لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[4].

فقال: إنّ الله إذا أراد أمراً أن يكون قصّه قبل أن يكون كأن قد كان[5].

عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير هذه الآية: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[6].

قال: إنّ اسم الله الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً، فاحتجب الربّ تبارك وتعالى منها بحرف، فمن ثَمَّ لا يعلم أحد ما في نفسه عزّ وجلّ، أعطى آدم اثنين وسبعين حرفاً فتوارثتها الأنبياء حتّى صارت إلى عيسى فذلك قول عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ يعني اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأكبر، يقول أنت علّمتنيها فأنت

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ٣٧٨/ح ٢٢٥، والبحار: ج ١٤/ص ٢٣٦، باب ١٨/ح ٧.
(٢) تفسير العياشي: ج ١/ص ٣٧٩/ح ٢٣٠ من سورة المائدة، والبحار: ج ١٤/ص ٢٣٦، باب ١٨/ح ٩.
(٣) تفسير العياشي: ج ١/ص ٣٧٩/ح ٢٢٧، من سورة المائدة، والبحار: ص ٢٣٦، باب ١٨/ح ٩.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
(٥) تفسير العياشي: ج ١/ص ٣٧٩، ح ٢٣٠، والبحار: ج ١٤/ص ٢٣٦، باب ١٨/ح ١٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

تعلمها ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ﴾ يقول: لأنّك احتجبت عن خلقك بذلك الحرف فلا يعلم أحد ما في نفسك[١].

قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ﴾ والمعنى: إذ يقول الله يوم القيامة لعيسى: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ هذا وإن خرج مخرج الاستفهام فهو تقريع وتهديد لمن ادّعى ذلك عليه من النصارى.

وقيل: أراد بهذا القول تعريف عيسى عليه السلام أنّ قوماً قد اعتقدوا فيه وفي أُمّه أنهما إلهان، واعترض على قوله: ﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ فقيل: لم يعلم في النصارى من اتّخذ مريم إلهاً.

والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنّهم لمّا جعلوا المسيح إلهاً ألزمهم أن يجعلوا والدته أيضاً إلهاً، لأنّ الولد يكون من جنس الوالدة، فهذا على طريق الإلزام لهم.

والثاني: أنّهم لمّا عظّموهما تعظيم الآلهة اطلق اسم الإله عليهما.

والثالث: أنّه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك. ويعضده ما حكاه الشيخ أبو جعفر قدّس الله روحه عن بعض النصارى أنّه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريميّة يعتقدون في مريم أنّها إله.

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ﴾ أي تعلم غيبي وسرّي ولا أعلم غيبك وسرّك، وإنّما ذكر النفس لمزاوجة الكلام، والعادة جارية بأنّ الإنسان يسرّ في نفسه فصار قوله: ﴿مَا فِى نَفۡسِى﴾ عبارة عن الإخفاء، ثمّ قال: ﴿مَا فِى نَفۡسِكَۚ﴾ على جهة المقابلة، وإلاّ فالله منزّه عن أنّ يكون له نفس أو قلب تحلّ فيه المعاني[٢].

قال الصادق عليه السلام: قيل لعيسى بن مريم ما لك لا تتزوّج؟

فقال: وما أصنع بالتزويج؟

قالوا: يولد لك.

---

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ٣٧٩/ح ٢٣١، والبحار: ج ١٤/ص ٢٣٧، باب ١٨/ح ١٤.

(٢) مجمع البيان: ج ٣/ص ٤٥٣، والبحار: ج ١٤/ص ٢٣٧-٢٣٨، باب ١٨/ذيل ح ١٤.

قال: وما أصنع بالأولاد؟ إن عاشوا فتنوا، وإن ماتوا حزنوا[(١)].

قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: وإن شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسّد الحجر، ويلبس الخشن، وكان إدامه الجوع، وسراجه باللّيل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، وخادمه يداه[(٢)].

(كان إدامه الجوع) لعلّ المعنى أنّ الإنسان إنّما يحتاج إلى الإدام لأنّه يعسر على النفس أكل الخبز خالياً عنه، فأمّا مع الجوع الشديد فيلتذّ بالخبز ولا يطلب غيره، فهو بمنزلة الإدام، أو أنّه كان يأكل الخبز دون الشبع فكان الجوع مخلوطاً به كالإدام. ولفته يلفته: لواه وصرفه عن رأيه.

إرشاد القلوب: قال عيسى عليه السلام: خادمي يداي، ودابّتي رجلاي، وفراشي الأرض، ووسادي الحجر، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض، وسراجي باللّيل القمر، وإدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على وجه الأرض أحد أغنى منّي[(٣)].

قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾: أي حين بعث الله إليهم المرسلين ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ أي رسولين من رسلنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ قال ابن عبّاس: ضربوهما وسجنوهما ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي فقوّينا وشدّدنا ظهورهما برسول ثالث، قال شعبة: كان اسم الرسولين شمعون ويوحنّا، والثالث بولس، وقال ابن عبّاس وكعب: صادق وصدوق، والثالث سلوم.

وقيل: إنّهم رسل عيسى وهم الحواريّون، عن وهب وكعب.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣/ ص ٦٢٥/ ح ٤٩١٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٣٨، باب ١٨/ ح ١٥.
(٢) نهج البلاغة: ص ٣٢١/ خطبة ١٥٨.
(٣) مجمع البيان: ج ٨/ ص ٢٦٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٤٢، باب ١٨/ ذيل ح ٢٠.

قالا: وإنّما أضافهم إلى نفسه لأنّ عيسى عليه السلام أرسلهم بأمره ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ قَالُواْ﴾ يعني أهل القرية: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ فلا تصلحون للرسالة ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ وإنّما قالوا ذلك بعدما قامت الحجّة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ قَالُوٓاْ﴾ أي هؤلاء الكفّار: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ أي تشاءمنا بكم ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بالحجارة أو لنشتمنّكم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ قَالُواْ﴾ يعني الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾ أي الشؤم كلّه معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ أي أئن ذكّرتم قلتم هذا القول.

وقيل: معناه: لئن ذكّرناكم هدّدتمونا وهو مثل الأوّل.

وقيل: معناه: إنّ تدبّرتم عرفتم صحّة ما قلناه لكم ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ معناه: ليس فينا مايوجب التشاؤم بنا، ولكنكم متجاوزون عن الحدّ في التكذيب للرسل والمعصية ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ وكان اسمه حبيباً النجّار، عن ابن عبّاس وجماعة من المفسّرين، وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، فلمّا بلغه أنَّ قومه قد كذّبوا الرسل وهمّوا بقتلهم جاء يعدو ويشتدّ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[(1)] وإنّما علم نبوّتهم لأنّهم لمّا دعوه قال: أتأخذون على ذلك أجراً؟ قالوا: لا؛ وقيل: إنّه كان به زمانة أو جذام فأبرؤوه فآمن بهم، عن ابن عبّاس.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ قيل: فلمّا قال هذا أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟

قال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي تردّون عند البعث ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ أي إن أراد الله إهلاكي والإضرار بي ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ أي لا تدفع شفاعتهم عنّي شيئاً ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ ولا يخلّصوني من ذلك ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي فاسمعوا قولي واقبلوه.

---

(١) سورة يس، الآيات: ١٣-٢٠.

ثمّ إنّ قومه لمّا سمعوا ذلك القول منه وطئوه بأرجلهم حتّى مات، فأدخله الله الجنّة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقيل: رجموه حتّى قتلوه عن قتادة؛ وقيل إنّ القوم لمّا أرادوا أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنّة ولا يموت إلاّ بفناء الدنيا وهلاك الجنّة، عن الحسن ومجاهد، وقالا: إنّ الجنّة الّتي دخلها يجوز هلاكها.

وقيل: إنّهم قتلوه إلاّ أنّ الله سبحانه أحياه وأدخله الجنّة، فلمّا دخلها قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ تمنّى أن يعلم قومه ما أعطاه الله من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله ويؤمنوا لينالوا ذلك ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي من المدخلين الجنّة.

ثمّ حكى سبحانه ما أنزله بقومه من العذاب فقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد قتله أو رفعه ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني الملائكة، أي لم ننتصر منهم بجند من السّماء ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ أي وما كنّا ننزلهم على الأُمم إذا أهلكناهم.

وقيل: معناه: وما أنزلنا على قومه من بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسله ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحة واحدة حتّى هلكوا بأجمعهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي ساكنون قد ماتوا.

قيل: إنّهم لمّا قتلوا حبيب بن موسى النجّار غضب الله عليهم، فبعث جبرئيل حتّى أخذ بعضادتي باب المدينة ثمّ صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حسّ كالنار إذا طفئت. انتهى(١).

وقال الثعلبيّ في تفسيره: هو حبيب بن مري، وقال ابن عبّاس ومقاتل: حبيب ابن إسرائيل النجّار؛ وقال وهب: كان رجلاً أسرع فيه الجذام وكان مؤمناً ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيقسّمه نصفين: فيطعم نصفه عياله، ويتصدّق بنصفه.

---

(١) مجمع البيان: ج ٨/ص ٢٦٨، والبحار: ج ١٤/ص ٢٤٣-٢٤٤، باب ١٨/ذيل ح ٢٠.

وقال قتادة: كان حبيب في غار يعبد ربّه، فلمّا بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وما هو عليه من التوحيد وعبادة الله فوثب القوم إليه فقتلوه.

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام إنّ عيسى روح الله مرَّ بقوم مجلبين، فقال: ما لهؤلاء؟

قيل: يا روح الله إنَّ فلانة بنت فلان تهدى إلى فلان ابن فلان في ليلتها هذه.

قال: يجلبون اليوم ويبكون غداً.

فقال قائل منهم: ولِمَ يا رسول الله؟

قال: لأنّ صاحبتهم ميتة في ليلتها هذه، فقال القائلون بمقالته: صدق الله وصدق رسوله.

وقال أهل النفاق:

ما أقرب غداً، فلمّا أصبحوا جاؤوا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء فقالوا:

يا روح الله إنّ الّتي أخبرتنا أمس أنّها ميّتة لم تمت، فقال عيسى عليه السلام: يفعل الله ما يشاء، فاذهبوا بنا إليها، فذهبوا يتسابقون حتّى قرعوا الباب، فخرج زوجها.

فقال له عيسى عليه السلام: استأذن لي على صاحبتك.

قال: فدخل عليها فأخبرها أنّ روح الله وكلمته بالباب مع عدّة، قال: فتخدّرت فدخل عليها فقال لها: ما صنعت ليلتك هذه؟

قالت: لم أصنع شيئاً إلاّ وقد كنت أصنعه فيما مضى، إنّه كان يعترينا سائل في كلّ ليلة جمعة فننيله ما يقوته إلى مثلها، وإنّه جاءني في ليلتي هذه وأنا مشغولة بأمري وأهلي فيَّ مشاغيل، فهتف فلم يجبه أحد، ثمَّ هتف فلم يجب حتّى هتف مراراً، فلمّا سمعت مقالته قمت متنكّرة حتّى أنلته كما كنّا ننيله، فقال لها: تنحّي عن مجلسك، فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة عاضّ على ذنبه.

فقال عليه السلام: بما صنعت صرف عنك هذا(١).

---

(١) التمحيص مع تحف العقول: ص ٤٠٩–ح ٤٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٤٤–٢٤٥، باب ١٨/ ح ٤٢.

عن كثير بن عيّاش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾(١) فإنّ عيسى عليه السلام كان يقول لبني إسرائيل: إنّي رسول الله إليكم، وإنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأُبرئ الأكمه والأبرص، الأكمه هو الأعمى، قالوا: ما نرى الّذي تصنع إلاّ سحراً، فأرنا آية نعلم أنّك صادق.

قال: أرأيتم إن أخبرتكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم - يقول: ما أكلتم في بيوتكم قبل أن تخرجوا وما ادّخرتم إلى اللّيل - تعلمون أنّي صادق؟

قالوا: نعم، فكان يقول للرجل: أكلت كذا وكذا، وشربت كذا وكذا، ورفعت كذا وكذا، فمنهم من يقبل منه فيؤمن، ومنهم من يكفر، وكان لهم في ذلك آية إن كانوا مؤمنين.

وقال عليُّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: هو السبت والشحوم والطير الّذي حرّمه الله على بني إسرائيل(٢).

عن ياسر الخادم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيخرج من بطن أُمّه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله على يحيى عليه السلام في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٣).

عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال الحسن بن عليّ عليه السلام فيما ناظر به ملك الروم: كان عمر عيسى عليه السلام في الدنيا ثلاثة وثلاثين سنة، ثمّ رفعه الله إلى السّماء، ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الّذي يقتل الدجّال(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ١١٠، والبحار: ج ١٤/ص ٢٤٦، باب ١٨/ح ٢٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ٢٣٢، باب ٢٦/ح ١١، والخصال: ص ١٠٧، باب الثلاثة/ح ٧١، والبحار: ج ١٤/ص ٢٤٦، باب ١٨/ح ٢٦.

(٤) تفسير القمي: ج ٢/ص ٢٤١، والبحار: ج ١٤/ص ٢٤٧، باب ١٨/ح ٢٧.

بإسناده عن الرضا عليه السلام قال: كان نقش خاتم عيسى عليه السلام حرفين اشتقّهما من الإنجيل: طوبى لعبد ذكر الله من أجله، وويل لعبد نسي الله من أجله[(١)].

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فقال عيسى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قالوا كما حكى الله: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

فقال عيسى: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فقال الله احتجاجاً عليهم: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٢)] فكانت تنزل المائدة عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون حتّى يشبعوا ثمّ ترفع، فقال كبراؤهم ومترفوهم: لا ندع سفلتنا يأكلون منها، فرفع الله المائدة، ومسخوا القردة والخنازير[(٣)].

عن الثماليّ، عن الباقر عليه السلام قال: إنّ الله أرسل عيسى إلى بني إسرائيل خاصّة، وكانت نبوّته ببيت المقدس، وكان من بعده من الحواريّين اثني عشر. الخبر[(٤)].

بإسناده عن أبي ذرّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى وستّمائة نبيّ. الخبر[(٥)].

عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بين داود وعيسى عليهما السلام أربعمائة سنة وثمانون سنة، وأنزل على عيسى في الإنجيل مواعظ وأمثال وحدود ليس فيها قصاص ولا أحكام حدود ولا فرض مواريث، وأُنزل عليه تخفيف ما كان نزل على موسى عليه السلام في التوراة وهو قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام:

(١) معاني الأخبار: ص ٢١٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٤٧، باب ١٨/ح ٣١.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١١٤-١١٥.
(٣) الإحتجاج: ص ٣٢٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٤٨، باب ١٨/ح ٣٣.
(٤) كمال الدين: ص ٢١١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٥٠، باب ١٨/ح ٤٠.
(٥) الخصال: ص ٥٢٤، باب العشرون/ح ١٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٥٠-٢٥١، باب ١٨/ح ٤١.

أنّه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾ وأمر عيسى من معه ممّن تبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة وشرائع جميع النبيّين والإنجيل قال: ومكث عيسى عليه السلام حتّى بلغ سبع سنين أو ثمانياً، فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، فأقام بين أظهرهم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويعلّمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل لمّا أراد أن يتّخذ عليهم حجّة، وكان يبعث إلى الروم رجلاً لا يداوي أحداً إلاّ برئ من مرضه، ويبرئ الأكمه والأبرص حتّى ذكر ذلك لملكهم فأُدخل عليه فقال: أتبرئ الأكمه والأبرص؟

قال: نعم.

قال: أُتي بغلام منخسف الحدقة لم ير شيئاً قطّ، فأخذ بندقتين فبندقهما ثمّ جعلهما في عينيه ودعا فإذا هو بصير فأقعده الملك معه وقال: كن معي ولا تخرج من مصري، فأنزله معه بأفضل المنازل.

ثمّ إنّ المسيح عليه السلام بعث آخر وعلّمه ما به يحيي الموتى، فدخل الروم وقال: أنا أعلم من طبيب الملك، فقالوا للملك ذلك.

قال: اقتلوه، فقال الطبيب: لا تفعله أدخله فإن عرفت خطأه قتلته ولك الحجّة؛ فأُدخل عليه فقال: أنا أُحيي الموتى، فركب الملك والناس إلى قبر ابن الملك وكان قد مات في تلك الأيّام، فدعا رسول المسيح وأمّن طبيب الملك الّذي هو رسول المسيح أيضاً الأوّل، فانشقّ القبر فخرج ابن الملك، ثمّ جاء يمشي حتّى جلس في حجر أبيه، فقال: يا بنيّ من أحياك؟

قال: فنظر فقال: هذا وهذا، فقاما فقالا: إنّا رسول المسيح إليك، وإنّك كنت لا تسمع من رسله إنّما تأمر بقتلهم إذا أتوك، فتابع وأعظموا أمر المسيح عليه السلام حتّى قال فيه أعداء الله ما قالوا واليهود يكذّبونه ويريدون قتله[1].

عن إسماعيل بن جابر، عن الصادق عليه السلام إنّ عيسى عليه السلام لمّا أراد وداع

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٦٨-٢٦٩، فصل ٢/ح ٣٠٨، والبحار: ج ١٤/ص ٢٥١-٢٥٢، باب ١٨/ح ٤٣.

أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق، ونهاهم عن الجبابرة، فوجّه اثنين إلى أنطاكية، فدخلا في يوم عيد لهم فوجداهم قد كشفوا عن الأصنام وهم يعبدونها، فعجّلا عليهم بالتعنيف، فشدّا بالحديد وطرحا في السجن، فلمّا علم شمعون بذلك أتى أنطاكية حتّى دخل عليهما في السجن، وقال: ألم أنهكما عن الجبابرة؟ ثمّ خرج من عندهما وجلس مع الناس مع الضعفاء، فأقبل يطرح كلامه الشيء بعد الشيء، فأقبل الضعيف يدفع كلامه إلى من هو أقوى منه، وأخفوا كلامه إخفاءً شديداً، فلم يزل يتراقى الكلام حتّى انتهى إلى الملك، فقال: منذ متى هذا الرجل في مملكتي؟

قالوا: منذ شهرين.

فقال: عليّ به، فأتوه فلمّا نظر إليه وقعت عليه محبّته فقال: لا أجلس إلاّ وهو معي، فرأى في منامه شيئاً أفزعه، فسأل شمعون عنه فأجاب بجواب حسن فرح به، ثمّ أُلقي عليه في المنام ما أهاله فأوّلها له بما ازداد به سروراً، فلم يزل يحادثه حتّى استولى عليه، ثمّ قال: إنّ في حبسك رجلين عابا عليك.

قال: نعم.

قال: فعليّ بهما، فلمّا أُتي بهما قال: ما إلهكما الّذي تعبدان؟

قالا: الله.

قال: يسمعكما إذا سألتماه ويجيبكما إذا دعوتماه؟

قالا: نعم.

قال شمعون: فأنا أُريد أن أستبرئ ذلك منكما، قالا: قل.

قال: هل يشفي لكما الأبرص؟

قالا: نعم.

قال: فأُتي بأبرص.

فقال: سلاه أن يشفي هذا، قال: فمسحاه فبرئ.

قال: وأنا أفعل مثل ما فعلتما.

قال: فأُتي بآخر فمسحه شمعون فبرئ.

قال: بقيت خصلة إن أجبتماني إليها آمنت بإلهكما، قالا: وما هي؟

قال: ميّت تحييانه؟

قالا: نعم، فأقبل على الملك وقال: ميّت يعنيك أمره؟

قال: نعم ابني.

قال: اذهب بنا إلى قبره فإنّهما قد أمكناك من أنفسهما، فتوجّهوا إلى قبره فبسطا أيديهما فبسط شمعون يديه فما كان بأسرع من أن صدع القبر وقام الفتى فأقبل على أبيه، فقال أبوه: ما حالك؟

قال: كنت ميّتاً ففزعت فزعة فإذا ثلاثة قيام بين يدي الله باسطو أيديهم يدعون الله أن يحييني، وهما هذان وهذا، فقال شمعون: أنا لإلهكما من المؤمنين، فقال الملك: أنا بالّذي آمنت به يا شمعون من المؤمنين.

وقال وزراء الملك: ونحن بالّذي آمن به سيّدنا من المؤمنين، فلم يزل الضعيف يتّبع القويّ فلم يبق بالأنطاكية أحد إلّا آمن به[١].

عن عبد الله بن سنان قال: سأل أبي أبا عبد الله عليه السلام هل كان عيسى يصيبه ما يصيب ولد آدم؟

قال: نعم، ولقد كان يصيبه وجع الكبار في صغره، ويصيبه وجع الصغار في كبره، ويصيبه المرض، وكان إذا مسّه وجع الخاصرة في صغره وهو من علل الكبار قال لأُمّه: ابغي لي عسلاً وشونيزاً وزيتاً فتعجني به ثمّ ائتني به، فأتته به فكرهه فتقول: لمَ تكرهه وقد طلبته؟ فيقول هاتيه، نعتّه لك بعلم النبوّة وأكرهته لجزع الصبا، ويشمّ الدواء ثمّ يشربه بعد ذلك[٢].

عن داود الرقّيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام كان من شرائعه السيح في البلاد، فخرج

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٧٤-٢٧٥/ح ٣٣٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٥٢-٢٥٣، باب ١٨/ح ٤٤.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٧٠/ح ٣١٥، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٥٣-٢٥٤، باب ١٨/ح ٤٦.

في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللّزوم لعيسى بن مريم عليه السلام، فلمّا انتهى عيسى إلى البحر قال: «باسم الله» بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء.

فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه: «باسم الله» بصحّة يقين منه، فمشى على الماء فلحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه.

فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ؟

قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه، ثمّ قال له: ما قلت يا قصير؟

قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي، فدخلني من ذلك عجب.

فقال له عيسى عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الّذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عزّ وجلّ ممّا قلت، قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته الّتي وضعه الله فيها، فاتّقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً(١).

عن يزيد الكناسيّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام كان عيسى بن مريم حين تكلّم في المهد حجّة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيّاً حجّة الله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾(٢) قلت: فكان يومئذ حجّة الله على زكريّا عليه السلام في تلك الحال وهو في المهد؟

فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم حين تكلّم فعبّر عنها، وكان نبيّاً حجّة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثمّ صمت فلم يتكلّم حتّى مضت له سنتان، وكان زكريّا عليه السلام الحجّة لله عزّ وجلّ على الناس بعد

(١) أصول الكافي: ج ٢/ص ٤٩١، باب الحسد/ج ٣، والبحار: ج ١٤/ص ٢٥٤-٢٥٥، باب ١٨/ح ٤٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣١.

صمت عيسى عليه السلام بسنتين، ثمّ مات زكريّا عليه السلام فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبيّ صغير، أما تسمع لقوله عزّ وجلّ: ﴿يَيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ فلمّا بلغ عيسى سبع سنين تكلّم بالنبوّة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه، فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين، وليس تبقى الأرض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجّة لله على النّاس منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض(١).

عن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله تعالى احتجّ بعيسى عليه السلام وهو ابن سنتين(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام لمّا أن مرّ على شاطئ البحر رمى بقرص من قوته في الماء.

فقال له بعض الحواريّين: يا روح الله وكلمته لمَ فعلت هذا وإنّما هو من قوتك؟

قال: فعلت هذا لدابّة تأكله من دوابّ الماء وثوابه عند الله عظيم(٣).

وقال صاحب الكامل والثعلبيّ في العرائس: لمّا كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي إليها الفقراء والمساكين، فسرق له مال فلم يتّهم إلاّ المساكين، فحزنت مريم، فلمّا رأى عيسى عليه السلام حزن أُمّه قال: أتريدين أن أدلّه على ماله؟

قالت: نعم.

قال: إنّه أخذه الأعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الأعمى المقعد فأخذه.

فقيل للأعمى: ليحمل المقعد، فأظهر المقعد العجز، فقال له المسيح: كيف قويت على حمله البارحة لمّا أخذتما المال! فاعترفا فأعاداه ونزل بالدهقان أضياف ولم يكن عنده شراب فاهتمّ لذلك، فلمّا رآه عيسى عليه السلام دخل بيتاً

---

(١) أصول الكافي: ج ١/ص ٢٢٦، باب حالات الأئمة/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ٢٥٥-٢٥٦، باب ١٨/ح ٥١.

(٢) كفاية الأثر: ص ٢٧٥، والبحار: ج ١٤/ص ٢٥٧، باب ١٨/ح ٥٤.

(٣) الكافي: ج ٤/ص ٣٠٢، باب ٤/ح ٣، والبحار: ج ١٤/ص ٢٥٧، باب ١٨/ح ٥٥.

للدهقان فيه صفّان من جرار، فأمرّ عيسى عليه السلام يده على أفواهها وهو يمشي فامتلأت شراباً، وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة، وكان في الكتّاب يحدّث الصبيان بما يصنع أهلوهم وبما يأكلون.

قال وهب: بينما عيسى عليه السلام يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبيّ فضربه على رجله فقتله، فألقاه بين رجلي المسيح متلطّخاً بالدم، فانطلقوا به إلى الحاكم في ذلك البلد وقالوا: قتل صبيّنا، فسأله الحاكم فقال: ما قتلته، فأرادوا أن يبطشوا به.

فقال: ائتوني بالصبيّ حتّى أسأله من قتله، فعجبوا من قوله وأحضروه عند القتيل، فدعا الله تعالى وأحياه، فقال: من قتلك؟

فقال: قتلني فلان، فقال بنو إسرائيل للقتيل: من هذا؟

قال: عيسى بن مريم، ثمّ مات من ساعته.

وقال عطاء: سلّمت مريم عيسى عليه السلام إلى صبّاغ يتعلّم عنده، فاجتمع عند الصبّاغ ثياب وعرض له حاجة.

فقال للمسيح عليه السلام: هذه ثياب مختلفة الألوان، وقد جعلت في كلّ ثوب خيطاً على اللّون الّذي تصبغ به فاصبغها حتّى أعود من حاجتي هذه، فأخذها المسيح وألقاها في حبّ واحد، فلمّا عاد الصبّاغ سأله عن الثياب فقال: صبغتها.

فقال: أين هي؟

قال: في هذا الحبّ.

قال: كلّها؟

قال: نعم.

قال: قد أفسدتها على أصحابها وتغيّظ عليه.

فقال له المسيح: لا تعجل وانظر إليها، فقام وأخرج كلّ ثوب منها على اللّون الّذي أراد صاحبه، فتعجّب الصبّاغ منه، وعلم أنّ ذلك من الله تعالى.

ولمّا عاد عيسى وأُمّه إلى الشام نزلا بقرية يقال لها ناصرة وبها سمّيت النصارى فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله تعالى، ويداوي الزمنى والمرضى والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى، ففعل ما أُمر به، فأحبّه النّاس وكثر أتباعه، وحضر يوماً طعام بعض الملوك كان دعا الناس إليه، فقعد على قصعة يأكل منها ولا ينقص، قال الملك: من أنت؟

قال: أنا عيسى ابن مريم، فنزل الملك وأتبعه في نفر من أصحابه فكانوا الحواريّين.

وقيل: إنَّ الحواريّين هم الصبّاغ الّذي تقدّم ذكره وأصحاب له؛ وقيل: كانوا صيّادين؛

وقيل: كانوا قصّارين؛ وقيل: ملاّحين والله أعلم(١).



ما جرى بينه عليه السلام وبين إبليس لعنه الله

عن ابن عبّاس قال: لمّا مضى لعيسى عليه السلام ثلاثون سنة بعثه الله عزّ وجلّ إلى بني إسرائيل، فلقيه إبليس على عقبة بيت المقدس وهي عقبة أفيق، فقال له: يا عيسى أنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أن تكوّنت من غير أب؟

قال عيسى: بل العظمة للّذي كوّنني، وكذلك كوّن آدم وحوّاء.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تكلّمت في المهد صبيّاً؟

قال عيسى: يا إبليس بل العظمة للّذي أنطقني في صغري ولو شاء لأبكمني.

قال إبليس: فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيصير طيراً؟

قال عيسى: بل العظمة للّذي خلقني وخلق ما سخّر لي.

---

(١) الكامل في التاريخ: ج ١/ص ٢٩٢، وعرائس المجالس: ص ١٧٨، والبحار: ج ١٤/ص ٢٦٧-٢٦٩، باب ١٨/ ذيل ح ٥٦.

قال إبليس: فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تشفي المرضى؟

قال عيسى: بل العظمة للّذي بإذنه أشفيهم وإذا شاء أمرضني.

قال إبليس: فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تحيي الموتى؟

قال عيسى: بل العظمة للّذي بإذنه أُحييهم، ولا بدّ من أن يميت ما أحييت ويميتني.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تعبر البحر فلا تبتلّ قدماك ولا ترسخ فيه؟

قال عيسى: بل العظمة للّذي ذلّله لي ولو شاء أغرقني.

قال إبليس: يا عيسى فأنت الّذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّه سيأتي عليك يوم تكون السماوات والأرض ومن فيهنّ دونك، وأنت فوق ذلك كلّه تدبّر الأمر، وتقسّم الأرزاق؟ فأعظم عيسى عليه السلام ذلك من قول إبليس الكافر اللّعين.

فقال عيسى: سبحان الله ملء سماواته وأرضه، ومداد كلماته، وزنة عرشه، ورضى نفسه. قال: فلمّا سمع إبليس لعنه الله ذلك ذهب على وجهه لا يملك من نفسه شيئاً حتّى وقع في اللّجّة الخضراء.

قال ابن عبّاس: فخرجت امرأة من الجنّ تمشي على شاطئ البحر فإذا هي بإبليس ساجداً على صخرة صمّاء تسيل دموعه على خدّيه، فقامت تنظر إليه تعجّباً، ثمّ قالت له: ويحك يا إبليس ما ترجو بطول السجود؟

فقال لها: أيّتها المرأة الصالحة ابنة الرجل الصالح أرجو إذا أبرَّ ربّي عزّ وجلّ قسمه وأدخلني نار جهنّم أن يخرجني من النار برحمته[(١)].

عن بريد القصرانيّ قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: صعد عيسى عليه السلام على جبل بالشام يقال له أريحا، فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال له: يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص، فاطرح نفسك عن الجبل.

فقال عيسى عليه السلام: إنّ ذلك أُذن لي فيه وهذا لم يؤذن لي فيه[(٢)].

---

(١) أمالي الصدوق: ص ١٧٠/ مجلس ٣٧/ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٧٠-٢٧١، باب ١٩/ح ١.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٦٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٧١، باب ٩/ح ٢ و٣.

عن هشام بن سالم، عن الصادق عليه السلام قال: جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال: أليس تزعم أنّك تحيي الموتى؟

قال عيسى: بلى، قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط.

فقال عيسى: ويلك إنّ العبد لا يجرّب ربّه.

وقال إبليس: يا عيسى هل يقدر ربّك على أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟ فقال: إنّ الله تعالى لا يوصف بعجز، والّذي قلت لا يكون يعني هو مستحيل في نفسه كجمع الضدّين[١].



حواريّوه وأصحابه وأنهم لم سموا حواريين وأنه لم سمي النصارى نصارى

روى ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾[٢] أي لمّا سمع ورأى أنّهم يكفرون، والحواسّ الخمس الّتي قدّرها الله في الناس السمع للصوت، والبصر للألوان وتميزها، والشمّ لمعرفة الروائح الطيّبة والمنتنة، والذوق للطعوم وتميّزها، واللّمس لمعرفة الحارّ والبارد واللّين والخشن[٣].

عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه قال: قلت للرضا عليه السلام : لمَ سمّي الحواريّون الحواريّين؟

قال: أمّا عند الناس فإنّهم سمّوا حواريّين لأنّهم كانوا قصّارين يخلّصون الثياب من الوسخ بالغسل، وهو اسم مشتقّ من الخبز الحوّارى، وأمّا عندنا فسمّي الحواريّون حواريّين لأنّهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير.

قال: فقلت له: فلمَ سمّي النصارى نصارى؟

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.

(٣) تفسير القمي: ج ١/ص ١١١، والبحار: ج ١٤/ص ٢٧٢، باب ٢٠/ح ١.

قال: لأنّهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى عليه السلام بعد رجوعهما من مصر[١].

عن أحمد بن محمّد البرقيّ، عن بعض أصحابه رفعه قال قال عيسى بن مريم عليه السلام: يا معشر الحواريّين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم.

فقالوا: كنّا نحن أحقّ بهذا يا روح الله.

فقال: إنّ أحقّ النّاس بالخدمة العالم، إنّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثمّ قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبّر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل[٢].

عن القاسم بن محمّد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: ما بال أصحاب عيسى عليه السلام كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله؟

قال: إنّ أصحاب عيسى عليه السلام كفوا المعاش، وإنّ هؤلاء ابتلوا بالمعاش[٣].

عن الحسن بن محمّد النوفليّ في خبر طويل يذكر فيه احتجاج الرضا عليه السلام على أرباب الملل قال: قال الجاثليق للرضا عليه السلام: أخبرني عن حواريّي عيسى ابن مريم كم كان عدّتهم؟

وعن علماء الإنجيل كم كانوا؟

قال الرضا عليه السلام: على الخبير سقطت، أمّا الحواريّون فكانوا اثني عشر رجلاً، وكان أفضلهم وأعلمهم الوقا وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال: يوحنّا الأكبر بأج؛ ويوحنّا بقرقيسياء ويوحنّا الديلميّ بزجار وعنده كان ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وذكر أهل بيته وأُمّته، وهو الّذي بشّر أُمّة عيسى وبني إسرائيل به[٤].

---

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ١٠١، باب ٧٢/ح ١، وعيون أخبار الرضا: ج ٢/ص ٨٥، باب ٣٢/ح ١٠، والبحار: ج ١٤/ص ٢٧٢-٢٧٣، باب ٢٠/ح ٢.

(٢) أصول الكافي: ج ١/ص ٢٤، باب صفة العلماء/ح ٦، والبحار: ج ١٤/ص ٢٧٨، باب ٢٠/ح ٨.

(٣) الكافي: ج ٥/ص ٦٢٧، باب ٣٤/ح ٣، والبحار: ج ١٤/ص ٢٧٨، باب ٢٠/ح ٩.

(٤) التوحيد: ص ٤٢١، وعيون أخبار الرضا: ج ١/ص ١٤٢، باب ١٢/ح ١، والاحتجاج: ص ٢١٨، والبحار: ج ١٤/ص ٢٧٩-٢٨٠، باب ٢٠/ح ١٢.

مواعظه وحكمه وما أُوحي إليه
صلوات الله على نبينا وآله وعليه

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أُنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان(١).

عن عبد الله بن طلحة، وإسماعيل بن جابر وعمّار بن مروان، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّ عيسى بن مريم عليه السلام توجّه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فمرّ بلبنات ثلاث من ذهب على ظهر الطريق، فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: إنّ هذا يقتل الناس، ثمّ مضى.

فقال أحدهم: إنّ لي حاجة، قال: فانصرف، ثمّ قال الآخر: إنّ لي حاجة فانصرف، ثمَّ قال الآخر: لي حاجة فانصرف، فوافوا عند الذهب ثلاثتهم.

فقال اثنان لواحد: اشتر لنا طعاماً، فذهب يشتري لهما طعاماً فجعل فيه سمّاً ليقتلهما كيلا يشاركاه في الذهب.

وقال الاثنان: إذا جاء قتلناه كي لا يشاركنا، فلمّا جاء قاما إليه فقتلاه ثمَّ تغذّيا فماتا، فرجع إليهم عيسى عليه السلام وهم موتى حوله، فأحياهم بإذن الله تعالى ذكره، ثمّ قال: ألم أقل لكم: إنّ هذا يقتل الناس؟!(٢).

عن جميل بن صالح، عن الصادق عليه السلام قال: قام عيسى بن مريم عليه السلام في بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل لا تحدّثوا بالحكمة الجهّال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تعينوا الظالم على ظلمه فيبطل فضلكم. الخبر(٣).

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا ولد عيسى بن مريم عليه السلام كان ابن يوم كأنّه ابن شهرين، فلمّا كان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتّاب وأقعدته بين يدي المؤدّب.

فقال له المؤدّب: قل: بسم الله الرّحمن الرّحيم.

---

(١) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٦٤٧، باب النوادر/ ح ٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٨٣، باب ٢١، ح ٢.
(٢) علل الشرائع: ج ٢/ ص ١٨١، باب ٢٢٢/ح ٣٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٨٤، باب ٢١/ح ٥.
(٣) أمالي الصدوق: ص ٢٥١، مجلس ٥٠/ح ١١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٨٦، باب ٢١/ح ٧.

فقال عيسى عليه السلام: بسم الله الرّحمن الرحيم.

فقال له المؤدّب: قل: أبجد، فرفع عيسى رأسه فقال: وهل تدري ما أبجد؟ فعلاه بالدرّة ليضربه.

فقال: يا مؤدّب لا تضربني إن كنت تدري وإلاّ فاسألني حتّى أُفسّر لك.

فقال: فسّر لي، فقال عيسى: أمّا الألف آلاء الله، والباء بهجة الله، والجيم جمال الله، والدال دين الله «هوز» الهاء هول جهنّم، والواو ويل لأهل النار، والزاء زفير جهنّم «حطي» حطّت الخطايا عن المستغفرين «كلمن» كلام الله لا مبدّل لكلماته «سعفص» صاع بصاع والجزاء بالجزاءِ «قرشت» قرشهم، فحشرهم، فقال المؤدّب: أيّتها المرأة خذي بيد ابنك فقد علم، ولا حاجة له في المؤدّب(١).

بإسناده، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الحواريّون لعيسى بن مريم عليه السلام: يا معلّم الخير علّمنا أيُّ الأشياء أشدّ.

فقال: أشدّ الأشياء غضب الله عزّ وجلّ.

قالوا: فبمَ يتّقى غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا.

قالوا: وما بدء الغضب؟

قال: الكبر والتجبّر ومحقرة الناس(٢).

عن الصادق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب.

فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذَّب، ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يعذَّب.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى

(١) التوحيد: ص ٢٣٦، ومعاني الأخبار: ص ٤٦، أمالي الصدوق: ص ٢٦٠/ مجلس ٥٢/ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٨٦-٢٨٧، باب ٢١/ح ٨.

(٢) الخصال: ص ٦/ باب الواحد/ح ١٧، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٨٧، باب ٢١/ح ٩.

يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه. قال: وقال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريّا عليه السلام: إذا قيل فيك مافيك فاعلم أنّه ذنب ذكرته فاستغفر الله منه، وإن قيل فيك ما ليس فيك فاعلم أنّها حسنة كتبت لك لم تتعب فيها[١].

عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قوم يبكون.

فقال: على ما يبكي هؤلاء؟

فقيل: يبكون على ذنوبهم.

قال: فليدعوها يغفر لهم[٢].

عن الحسن بن عليّ الخزّاز قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريّين: يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من دنياكم إذا سلم دينكم، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا سلمت دنياهم[٢].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: من كثر همّه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر كذبه ذهب بهاؤه، ومن لاحى الرجال ذهبت مروءته[٣].

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى ما أكرمت خليقة بمثل ديني، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي، اغسل بالماء منك ما ظهر، وداو بالحسنات ما بطن، فإنّك إليّ راجع، فشمّر فكلّ ما هو آت قريب، وأسمعني منك صوتاً حزيناً[٤].

عن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال المسيح عليه السلام للحواريّين: إنّما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها[٥].

---

(١) أمالي الصدوق: ص ٣٠٠/ مجلس: ٥٨/ح ١٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٢٨٧، باب ٢١/ح ١١.
(٢) أمالي الصدوق: ص ٤٠١/ مجلس ٧٥/ح ١ و٢، والبحار: ج ١٤/ ٣٠٤، باب ٢١/ح ١٥ و١٦.
(٣) أمالي الصدوق: ص ٤٣٦/ مجلس ٨١/ح ٣، والبحار: ج ١٤/ ٤١٨-٣١٩، باب ٢١/ح ١٨.
(٤) أمالي الصدوق: ص ٤٨٤/ مجلس ٨٨/ح ٧، والبحار: ج ١٤/ص ٣١٩، باب ٢١/ح ١٩.
(٥) الخصال: ص ٦٥/باب الإثنين/ح ٩٥، والبحار: ج ١٤/ص ٣١٩، باب ٢١/ح ٢١.

عن ابن نباتة، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجرُّ الداء إلى نفسه فاتّهموه، واعلموا أنّه غير ناصح لغيره(١).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: أوحى الله إلى عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا عيسى هب لي من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشوع، واكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطّالون، وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت الرفيع لعلّك تأخذ موعظتك منهم، وقل: إنّي لاحق في اللاّحقين(٢).

عن حفص قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: قال عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأصحابه: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة ولا ترزقون فيها إلاّ بالعمل، ويلكم علماء السوء! الأُجرة تأخذون والعمل لا تصنعون يوشك ربّ العمل أن يطلب عمله، وتوشكوا أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه؟ وما يضرّه أشهى إليه ممّا ينفعه(٣).

بإسناد العمريّ، عن آبائه، عن عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: مرّ أخي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمدينة وفيها رجل وامرأة يتصايحان فقال: ما شأنكما؟

قال: يا نبيّ الله هذه امرأتي وليس بها بأس، صالحة، ولكنّي أُحبّ فراقها.

قال: فأخبرني على كلّ حال ما شأنها؟ قال: هي خلقة الوجه من غير كبر.

قال لها: يا امرأة أتحبّين أن يعود ماء وجهك طريّاً؟

قالت: نعم، قال لها: إذا أكلت فإيّاك أن تشبعي لأنّ الطعام إذا تكاثر على الصدر فزاد في القدر ذهب ماء الوجه، ففعلت ذلك فعاد وجهها طرياً(٤).

عن صالح بن سعيد، عن أخيه سهل الحلوانيّ، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال:

---

(١) الخصال: ص ١١٣/باب الثلاثة/ح ٩١، والبحار: ج ١٤/ص ٣١٩، باب ٢١/ح ٢٢.
(٢) أمالي الطوسي: ص ١١، والبحار: ج ٩٤/ص ٣٢٠، باب ٢١/ح ٢٤.
(٣) أمالي الطوسي: ص ١١١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٢٠، باب ٢١/ح ٢٥.
(٤) علل الشرائع: ج ٢/ص ٢١١، باب ٢٥٢/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٢٠-٣٢١، باب ٢١/ ح ٢٦.

بينا عيسى بن مريم في سياحته إذ مرّ بقرية فوجد أهلها موتى في الطريق والدور، قال: فقال: إنّ هؤلاء ماتوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا.

قال: فقال أصحابه: وددنا أنّا عرفنا قصّتهم.

فقيل له: نادهم يا روح الله.

قال: فقال: يا أهل القرية، قال: فأجابه مجيب منهم: لبّيك يا روح الله، قال: ما حالكم؟ وما قصّتكم؟

قال: أصبحنا في عافية وبتنا في الهاوية.

قال: فقال: وما الهاوية؟

فقال: بحار من نار، فيها جبال من النار.

قال: وما بلغ بكم ما أرى؟

قال: حبّ الدنيا وعبادة الطاغوت.

قال: وما بلغ من حبّكم الدنيا؟

قال: كحبّ الصبيّ لأُمّه، إذا أقبلت فرح وإذا أدبرت حزن.

قال: وما بلغ من عبادتكم الطواغيت؟

قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم.

قال: فكيف أنت أجبتني من بينهم؟

قال: لأنّهم ملجمون بلجم من نار عليهم ملائكة غلاظ شداد، وإنّي كنت فيهم ولم أكن منهم، فلمّا أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا متعلّق بشعرة على شفير جهنّم، أخاف أن أكبكب في النار.

قال: فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: إنّ النوم على المزابل وأكل خبز الشعير خير كثير مع سلامة الدين(١).

عن أبي الربيع الشاميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه.

---

(١) معاني الأخبار: ص ٣٤١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٢٢-٣٢٣، باب ٢١/ح ٣٣.

فقيل: يا روح الله وما الأحمق؟

قال: المعجب برأيه ونفسه، الّذي يرى الفضل كلّه له لا عليه، ويوجب الحقّ كلّه لنفسه ولا يوجب عليها حقّاً، فذلك الأحمق الّذي لا حيلة في مداواته[١].

وعن الصادق عليه السلام قال: في الإنجيل إنّ عيسى عليه السلام قال: اللّهم ارزقني غدوة رغيفاً من شعير، وعشيّة رغيفاً من شعير، ولا ترزقني فوق ذلك فأطغى[٢].

أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أن كن للناس في الحلم كالأرض تحتهم، وفي السخاء كالماء الجاري، وفي الرحمة كالشمس والقمر فإنّهما يطلعان على البرّ والفاجر[٣].

وقال عليه السلام: من ذا الّذي يبني على موج البحر داراً؟ تلكم الدنيا فلا تتّخذوها قراراً[٣].

وصنع عيسى عليه السلام للحواريّين طعاماً، فلمّا أكلوا وضّأهم بنفسه، قالوا: يا روح الله نحن أولى أن نفعله منك، قال: إنّما فعلت هذا لتفعلوه بمن تعلّمون[٣].

وقال عليه السلام: هول لا تدري متى يغشاك لمَ لا تستعدّ له قبل أن يفجأك[٣].

وقيل له عليه السلام: من أدّبك؟

قال: ما أدّبني أحد، رأيت قبح الجهل فجانبته[٣].

عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تمثّلت الدنيا لعيسى عليه السلام في صورة امرأة زرقاء.

فقال لها: كم تزوّجت؟

قالت: كثيراً.

قال: فكلّ طلّقك؟

قالت: بل كلّاً قتلت.

---

(١) الإختصاص: ص ٢٢١، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٢٣-٣٢٤، باب ٢١/ح ٣٦.

(٢) عدة الداعي: ص ١١٥، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٢٦، باب ٢١/ح ٤٠.

(٣) تنبيه الخواطر: ص ١/ ص ١٣٣ و٨٣ و٨٦ و٨٠، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٢٦، باب ٢١/ح ٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥.

قال: فويح أزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين[١]؟

عن حفص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى عليه السلام: اشتدّت مؤونة الدنيا ومؤونة الآخرة.

أمّا مؤونة الدنيا: فإنّك لا تمدّ يدك إلى شيء منها إلّا وجدت فاجراً قد سبقك إليها.

وأمّا مؤونة الآخرة: فإنّك لا تجد أعواناً يعينونك عليها[٢].

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتمع الحواريّون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له: يا معلّم الخير أرشدنا.

فقال لهم: إنّ موسى كليم الله عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله تبارك وتعالى كاذبين، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين، قالوا: يا روح الله زدنا، فقال: إنَّ موسى نبيّ الله عليه السلام أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدّثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنوا، فإنّ من حدّث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوّق فأفسد التزاويق الدخان وإن لم يحترق البيت[٣].

تفسير الناقوس

عن الحارث الأعور قال: بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الحيرة إذا نحن بديرانيّ يضرب بالناقوس، قال: فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس؟

قلت: الله ورسوله وابن عمّ رسوله أعلم.

قال: إنّه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول: لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً، صدقاً صدقاً، إنّ الدنيا قد غرّتنا، وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا، يا ابن الدنيا مهلاً

(١) البحار: ج ١٤/ص ٣٣٠، باب ٢١/ح ٦٧.
(٢) روضة الكافي: ص ٧٤٢/ح ١١٢، والبحار: ج ١٤/ص ٣٣٠، باب ٢١/ح ٦٩.
(٣) الكافي: ج ٥/ص ٨٧٨، باب ٣٧٥/ح ٧، والبحار: ج ١٤/ص ٣٣١، باب ٢١/ح ٧١.

مهلاً، يا ابن الدنيا دقّاً دقّاً، يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً، تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنّا إلّا أوهى منّا ركناً، قد ضيّعنا داراً تبقى واستوطنّا داراً تفنى، لسنا ندري ما فرّطنا فيها إلاّ لو قد متنا.

قال الحارث: يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو علموا ذلك لما اتّخذوا المسيح إلهاً من دون الله عزّوجلّ.

قال: فذهبت إلى الديرانيّ فقلت له: بحقّ المسيح عليك لمّا ضربت بالناقوس على الجهة الّتي تضربها.

قال: فأخذ يضرب وأنا أقول حرفاً حرفاً حتّى بلغ إلى قوله: إلاّ لو قد متنا، فقال: بحقّ نبيّكم من أخبرك بهذا؟

قلت: هذا الرجل الّذي كان معي أمس.

قال: وهل بينه وبين النبيّ من قرابة؟

قلت: هو ابن عمّه.

قال: بحقّ نبيّكم أسمع هذا من نبيّكم؟

قال: قلت: نعم، فأسلم، ثمّ قال لي: والله إنّي وجدت في التوراة أنّه يكون في آخر الأنبياء نبيّ وهو يفسّر ما يقول الناقوس[١].



رفعه إلى السماء

بإسناده عن حبيب بن عمرو قال: لمّا توفّي أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسن عليه السلام خطيباً فقال: أيّها الناس في هذه اللّيلة رفع عيسى بن مريم. الخبر[٢].

في ليلة إحدى وعشرين من رمضان رفع عيسى بن مريم عليه السلام [٣].

---

(١) أمالي الصدوق: ص ١٨٧، مجلس ٤٠/ح ٣، معاني الأخبار: ص ٢٣١، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٣٤، باب ٢٢/ح ١.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢٦٢/ مجلس ٥٢/ح ٢، والبحار: ج ١٤/ص ٣٣٥، باب ٢٣/ح ١.

(٣) البحار: ج ١٤/ ص ٣٣٥، باب ٢٣/ح ٢.

بإسناده عن أبي رافع، عن النبيّ ﷺ قال: لمّا ملك اسيخ بن أشكان وملك مائتين وستّاً وستّين سنة ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عَزَّوَجَلَّ عيسى ابن مريم عليه السلام واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته وإلى الإيمان بالله ورسوله فأبى أكثرهم إلاّ طغياناً وكفراً، وأتى بيت المقدس فمكث يدعوهم ويرغّبهم فيما عند الله ثلاثة وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادّعت أنّها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً وادّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم سلطاناً عليه، وإنّما شبّه لهم وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه لقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١) فلم يقدروا على قتله وصلبه لأنّهم لو قدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾(٢) بعد أن توفّاه، فلمّا أراد أن يرفعه أوحى إليه أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا(٣).

بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لمّا كانت اللّيلة الّتي قتل فيها عليّ عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وجد تحته دم عبيط حتّى طلع الفجر، وكذلك كانت اللّيلة الّتي قتل فيها يوشع بن نون عليه السلام، وكذلك كانت اللّيلة الّتي رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام وكذلك اللّيلة الّتي قتل فيها الحسين عليه السلام(٤).

عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه الله إليه فاجتمعوا إليه عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً فأدخلهم بيتاً، ثمّ خرج عليهم من عين في زاوية البيت وهو ينفض رأسه من الماء.

فقال: إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافعي إليه الساعة ومطهّري من اليهود فأيّكم يلقى عليه شبحي فيقتل ويصلب ويكون معي في درجتي؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٣) كمال الدين: ص ٢١٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣٣٥/٣٣٦، باب ٢٣/ح ٣.

(٤) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٤٣، والبحار: ج ١٤/ص ٣٣٦، باب ٢٣/ح ٤.

فقال شابّ منهم: أنا يا روح الله.

قال: فأنت هوذا.

فقال لهم عيسى: أما إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة.

فقال له رجل منهم: أنا هو يا نبي الله؟

فقال له عيسى: أتحسّ بذلك في نفسك فلتكن هو، ثمّ قال لهم عيسى عليه السلام: أما إنّكم ستفترقون بعدي على ثلاث فرق: فرقتين مفتريتين على الله في النار، وفرقة تتّبع شمعون صادقة على الله في الجنّة ثمّ رفع الله عيسى إليه من زاوية البيت وهم ينظرون إليه.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الّذي قال له عيسى عليه السلام: إنّ منكم لمن يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة، وأخذوا الشابّ الّذي أُلقي عليه شبح عيسى فقتل وصلب، وكفر الّذي قال له عيسى: تكفر قبل أن تصبح اثنتي عشرة كفرة[١].

عن حمزة بن يزيد، عن عمر، عن جعفر عن آبائه، عن النبيّ عليه السلام قال: لمّا اجتمعت اليهود على عيسى عليه السلام ليقتلوه بزعمهم أتاه جبرئيل عليه السلام فغشّاه بجناحه، وطمح عيسى ببصره فإذا هو بكتاب في جناح جبرئيل: «اللّهمّ إنّي أدعوك باسمك الواحد الأعزّ، وأدعوك اللّهمّ باسمك الصمد، وأدعوك اللّهمّ باسمك العظيم الوتر، وأدعوك اللّهمّ باسمك الكبير المتعال الّذي ثبّت أركانك كلّها أن تكشف عنّي ما أصبحت وأمسيت فيه» فلمّا دعا به عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى جبرئيل: ارفعه إلى عندي.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطّلب سلوا ربّكم بهؤلاء الكلمات، فوالّذي نفسي بيده ما دعا بهنّ عبد بإخلاص دينه إلاّ اهتزّ له العرش، وإلاّ قال الله لملائكته: اشهدوا أنّي قد استجبت له بهنّ، وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ثمّ قال لأصحابه: سلوا بها، ولا تستبطئوا الإجابة[٢].

---

(١) تفسير القمي: ج ١/ص ١١١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٣٦-٣٣٧، باب ٢٣/ح ٦.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي. ص ٢٧٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣٣٧-٣٣٨، باب ٢٣/ح ٨.

بإسناده عن سدير الصيرفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وأمّا غيبة عيسى فإنّ اليهود والنصارى اتّفقت على أنّه قتل، فكذّبهم الله عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(١) (٢).

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ قيل في معناه أقوال: **أحدها**: أنّ المراد به أنّي قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريح وابن زيد والكلبيّ وغيرهم، وعلى هذا القول يكون للمتوفّي تأويلان: **أحدهما**: إنّي رافعك إليّ وافياً لم ينالوا منك شيئاً، من قولهم: توفّيت كذا واستوفيته، أي أخذته تامّاً. والآخر: إنّي متسلّمك، من قولهم: توفّيت منك كذا أي تسلّمته. **وثانيها**: إنّي متوفّيك وفاة نوم، ورافعك إليّ في النوم، عن الربيع.

قال: رفعه نائماً، ويدلّ عليه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾(٣) أي ينيمكم، إنّ النوم أخو الموت، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾(٤).

وثالثها: إنّي متوفّيك وفاة موت، عن ابن عبّاس ووهب، قالا: أماته الله ثلاث ساعات.

وأمّا النحويّون فيقولون: هو على التقديم والتأخير، أي إنّي رافعك ومتوفّيك، لأنّ الواو لا توجب الترتيب بدلالة قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾(٥) والنذر قبل العذاب وهذا مرويّ عن الضحّاك.

ويدلّ عليه ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: عيسى عليه السلام لم يمت وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة. وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟ رواه البخاريّ ومسلم في الصحيحين، فعلى هذا يكون تقديره: إنّي قابضك بالموت بعد نزولك من السماء.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٧.
(٢) كمال الدين: ص ٣٣٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٣٩، باب ٢٣/ ح ١٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٥) سورة القمر، الآية: ١٦.

وقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنّي رافعك إلى سمائي والآخر أنّ معناه: رافعك إلى كرامتي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بإخراجك من بينهم فإنّهم أرجاس.

وقيل: تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الّذي كانوا همّوا به لأنّ ذلك رجس طهّره الله منه ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالظفر والنصرة، أو بالحجّة والبرهان قال ابن زيد: ولهذا لا ترى اليهود حيث كانوا إلاّ أذلّ من النصارى، ولهذا أزال الله الملك عنهم وإن كان ثابتاً في النصارى.

وقيل: المعنيّ به أُمّة محمّد ﷺ، وإنّما سمّاهم تبعاً وإن كانت لهم شريعة على حدة لأنّه وجد فيهم التبعيّة صورة ومعنىً، أمّا الصورة فلأنّه يقال: فلان يتبع فلاناً إذا جاء بعده، وأمّا المعنى فلأن نبيّنا ﷺ كان مصدّقاً لعيسى وكتابه، وعلى أنّ شريعة نبيّنا وسائر الأنبياء متّحدة في أبواب التوحيد[1].



ما حدث بعد رفعه وزمان الفترة بعده ونزوله من السماء وقصص وصيه شمعون بن حمون الصفا

بإسناده عن أبي رافع، عن النبيّ ﷺ قال: لمّا أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام أوحى إليه: أن استودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك فلم يزل شمعون في قومه يقوم بأمر الله عزّ وجلّ ويهتدي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفّار، فمن أطاعه وآمن بما جاء به كان مؤمناً، ومن جحده وعصاه كان كافراً حتّى استخلص ربّنا تبارك وتعالى وبعث في عباده نبيّاً من الصالحين وهو يحيى بن زكريّا عليه السلام فمضى شمعون وملك عند ذلك أردشير بن أشكاس أربعة عشر سنة وعشرة أشهر، وفي ثمان سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريّا عليه السلام، فلمّا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصيّة في ولد شمعون ويأمر الحواريّين وأصحاب عيسى بالقيام معه، ففعل ذلك[2].

(١) مجمع البيان: ج ٢/ص ٣٠٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣٤٣-٣٤٥، باب ٢٣/ذيل ح ١٥.
(٢) كمال الدين، ص ٢١٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣٤٦-٣٤٦، باب ٢٤/ح ١.

سأل نافع مولى ابن عمر أبا جعفر عليه السلام: كم بين عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله من سنة؟

قال عليه السلام: أُجيبك بقولك أم بقولي؟

قال: أجبني بالقولين.

قال: أمّا بقولي فخمسمائة سنة، وأمّا قولك فستّمائة سنة(١).

عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ أُمّة عيسى افترقت بعده على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، وإحدى وسبعون في النار الخبر(٢).

كانت للمسيح عليه السلام غيبات يسيح فيها في الأرض، ولا يعرف قومه وشيعته خبره، ثمّ ظهر فأوصى إلى شمعون بن حمون عليه السلام فلمّا مضى شمعون غابت الحجج بعده فاشتدّ الطلب، وعظمت البلوى، ودرس الدين، وأُضيعت الحقوق، وأُميتت الفروض والسنن، وذهب النّاس يميناً وشمالاً لا يعرفون أيّاً من أيّ، فكانت الغيبة مائتين وخمسين سنة(٣).

عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بقي الناس بعد عيسى ابن مريم عليه السلام خمسين سنة ومائتي سنة بلا حجّة ظاهرة(٤).

عن أبي حمزة، عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجّاج: يا شهر آية في كتاب الله قد أعيتني فقلت: أيّها الأمير أيّة آية هي؟

فقال: قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾(٥) والله إنّي لآمر باليهوديّ والنصرانيّ فتضرب عنقه ثمّ أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيه حتّى يخمد.

فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوّلت.

قال: كيف هو؟

---

(١) الإحتجاج: ص ٣٢٥، والبحار: ج ١٤/ص ٣٤٦، باب ٢٤/ح ٢.

(٢) الخصال: ص ٥٨٤، باب السبعين، ح ١١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٤٦، باب ٢٤/ح ٣.

(٣) كمال الدين، ص ١٦٠، والبحار: ج ١٤/ص ٣٤٦-٣٤٧، باب ٢٤/ح ٥ و٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٥٩.

قلت: إنّ عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهوديّ ولا نصرانيّ إلاّ آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهديّ.

قال: ويحك أنّى لك هذا ومن أين جئت به؟

فقلت: حدّثني به محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، فقال: جئت والله بها من عين صافية[١].

قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف فيه على أقوال:

أحدها: أنّ كلا الضميرين يعودان إلى المسيح، أي ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلاّ ويؤمننّ بالمسيح قبل موت المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهديّ في آخر الزمان لقتل الدجّال، فتصير الملل كلّها ملّة واحدة، وهي ملّة الإسلام الحنيفيّة دين إبراهيم عليه السلام عن ابن عبّاس وأبي مالك والحسن وقتادة وابن زيد، وذلك حين لا ينفعهم الإيمان، واختاره الطبريّ.

قال: والآية خاصّة لمن يكون منهم في ذلك الزمان، ثمّ ذكر رواية عليّ بن إبراهيم وقال: وذكر أبو القاسم البلخيّ مثل ذلك، وضعّف الزجّاج هذا الوجه.

قال: إنّ الّذين يبقون إلى زمن عيسى عليه السلام من أهل الكتاب قليل، والآية تقتضي عموم إيمان أهل الكتاب إلاّ أن تحمل على أنّ جميعهم يقولون: إنّ عيسى الّذي ينزل في آخر الزمان نحن نؤمن به.

وثانيها: أنّ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى المسيح، والضمير في ﴿مَوْتِهِۦ﴾ إلى الكتابيّ، ومعناه: لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من الدنيا إلاّ ويؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته إذا زال تكليفه وتحقّق الموت ولكن لا ينفعه الإيمان.

وثالثها: أن يكون المعنى: ليؤمننَّ بمحمّد صلى الله عليه وآله قبل موت الكتابيّ، عن عكرمة ورواه أيضاً أصحابنا. انتهى[٢].

أقول: يمكن أن يكون الوجه الأوّل مبنيّاً على الرجعة فلا يكون مختصّاً بأهل الكتاب الموجودين في ذلك الزمان.

---

(١) تفسير القمي: ج ١/ص ١٦٥، والبحار: ج ١٥/ص ٣٤٩-٣٥٠، باب ٢٤/ح ٣.
(٢) مجمع البيان: ج ٣/ص ٢٣٦، والبحار: ج ١٤/ص ٣٥٠، باب ٢٤/ذيل ح ١٣.

قصص أرميا ودانيال وعزير وبخت نصر

وقال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف المفسّرون في الكرّتين، قالوا: لمّا عتا بنو إسرائيل في المرّة الأولى سلّط الله عليهم ملك فارس.

وقيل: بخت نصّر؛ وقيل: ملكاً من ملوك بابل، فخرج إليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس.

وقيل: إنّ بخت نصّر ملك بابل بعد سخاريب وكان من جيش نمرود، وكان لزنية لا أب له، فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد، وأحرقت التوراة، وألقى الجيف في المسجد، وقتل على دم يحيى عليه السلام سبعين ألفاً وسبى ذراريّهم، وأغار عليهم، وأخرج أموالهم، وسبى سبعين ألفاً وذهب بهم إلى بابل، وبقوا في مدّة مائة سنة تستعبدهم المجوس وأولادَهم؛ ثمّ تفضّل الله عليهم بالرحمة وأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه فردّهم إلى بيت المقدس، فأقامهم به مائة سنة على الطريقة المستقيمة والطاعة، ثمّ عادوا إلى الفساد والمعاصي، فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخيوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله.

وقيل: غزاهم ملك الروميّة وسباهم، عن حذيفة.

وقال محمّد بن إسحاق: كانت بنو إسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الأحداث، والله يتجاوز عنهم، وكان أوّل ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أنّ الله بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريّا، وكان لبني إسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدّده، فمرض الملك وجاء سخاريب إلى باب بيت المقدس بستّمائة ألف راية، فدعا الله شعيا فبرئ الملك ومات جمع سخاريب ولم ينج منهم إلاّ خمسة نفر، منهم سخاريب، فهرب وأرسلوا خلفه من أخذه ثمّ أمر الله بإطلاقه ليخبر قومه بما نزل

بهم فأطلقوه وملك سخاريب بعد ذلك سبع سنين، واستخلف بخت نصّر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة، وهلك ملك بني إسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك، وقتل بعضهم بعضاً، فقام شعيا فيهم خطيباً فوعظهم فهمّوا بقتله فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشار، فبعث الله إليهم أرميا من سبط هارون ثمّ خرج من بينهم لما رأى من أمرهم، ودخل بخت نصّر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثمّ رجع إلى بابل بسبايا بني إسرائيل، فكانت هذه الدفعة الأُولى.

وقيل أيضاً: إنّ سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريّا عليه السلام وإنّه دم يحيى لم يزل يغلي حتّى قتل بخت نصّر منهم سبعين ألفاً أو اثنين وسبعين ألفاً، ثمّ سكن الدم، وذكر الجميع أنّ يحيى بن زكريّا عليه السلام هو المقتول في الفساد الثاني.

قال مقاتل: وكان بين الفساد الثاني والأوّل مائتا سنة وعشر سنين.

وقيل: إنّما غزا بني إسرائيل في المرة الأُولى بخت نصّر، والمرّة الثانية ملوك فارس والروم، وذلك حين قتلوا يحيى عليه السلام فقتلوا منهم مائة ألف وثمانين ألفاً، وخرب بيت المقدس، فلم يزل بعد ذلك خراباً حتّى بناه عمر بن الخطّاب، فلم يدخله بعد ذلك روميّ إلاّ خائفاً.

وقيل: إنّما غزاهم في المرّة الأُولى جالوت، وفي الثانية بخت نصّر. انتهى[١].

وقال صاحب الكامل: ما روي من أنّ بخت نصّر هو الّذي خرب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريّا عليه السلام باطل عند أهل السير والتواريخ وأهل العلم بأُمور الماضين، وذلك بأنّهم مجمعون على أن بخت نصّر غزا بني إسرائيل عند قتل نبيّهم شعيا في عهد أرميا، وبين عهد أرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة وإحدى وستّون سنّة عند اليهود والنصارى، ويذكرون أنّ ذلك في كتبهم وأسفارهم، ويوافقهم المجوس في مدّة غزو بخت نصر بني إسرائيل إلى موت الإسكندر، ويخالفهم في مدّة ما بين موت الإسكندر ومولد يحيى فيزعمون أنّ مدّة ذلك إحدى وخمسون سنة. انتهى[٢].

---

(١) مجمع البيان: ج ٦/ ص ٢٢٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٥٣-٣٥٤، باب ٢٥/ ذيل تفسير ١٧ من سورة الإسراء.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ١/ ص ٢١٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٥٤-٣٥٥، باب ٢٥.

عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا عملت بنو إسرائيل بالمعاصي وعتوا عن أمر ربّهم أراد الله أن يسلّط عليهم من يذلّهم ويقتلهم، فأوحى الله إلى أرميا يا أرميا ما بلد انتخبته من بين البلدان وغرست فيه من كرائم الشجر فأخلف فأنبت خرنوباً؟ فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا له: راجع ربّك ليخبرنا مامعنى هذا المثل، فصام أرميا سبعاً.

فأوحى الله إليه: يا أرميا أمّا البلد فبيت المقدس، وأمّا ما أنبتُّ فيه فبنو إسرائيل الّذين أسكنتهم فيها، فعملوا بالمعاصي، وغيّروا ديني، وبدّلوا نعمتي كفراً، فبي حلفت لأمتحننّهم بفتنة يظلُّ الحكيم فيها حيران، ولأسلّطنَّ عليهم شرّ عبادي ولادة وشرّهم طعاماً، فليتسلّطنّ عليهم بالجبريّة فيقتل مقاتليهم، ويسبي حريمهم، ويخرب بيتهم الّذي يعتزّون به، ويلقي حجرهم الّذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة، فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل فقالوا له:

راجع ربّك فقل له: ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام أرميا سبعاً ثمّ أكل أُكلة فلم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً وأكل أُكلة ولم يوح إليه شيء، ثمّ صام سبعاً فأوحى الله إليه: يا أرميا لتكفّنّ عن هذا أو لأردّنّ وجهك إلى قفاك.

قال: ثمّ أوحى الله إليه: قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فقال أرميا: ربّ أعلمني من هو حتّى آتيه وآخذ لنفسي وأهل بيتي منه أماناً.

قال. ائت موضع كذا وكذا، فانظر إلى غلام أشدّهم زمانة، وأخبثهم ولادة، وأضعفهم جسماً، وأشرّهم غذاءً فهو ذاك، فأتى أرميا ذلك البلد فإذا هو بغلام في خان زمن ملقى على مزبلة وسط الخان، وإذا له أُمّ تزبّي بالكسر، وتفتّ الكسر في القصعة، وتحلب عليه خنزيرة لها، ثمّ تدنيه من ذلك الغلام فيأكله.

فقال أرميا: إن كان في الدنيا الّذي وصفه الله فهو هذا، فدنا منه فقال له: ما اسمك؟ فقال: بخت نصّر، فعرف أنّه هو، فعالجه حتّى برئ، ثمّ قال له: أتعرفني قال: لا، أنت رجل صالح.

قال: أنا أرميا نبيّ بني إسرائيل، أخبرني الله أنّه سيسلّطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم، وتفعل بهم كذا وكذا قال: فتاه في نفسه في ذلك الوقت.

ثمّ قال أرميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك، فكتب له كتاباً، وكان يخرج في

الجبل ويحتطب ويدخله المدينة ويبيعه، فدعا إلى حرب بني إسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس، وأقبل بخت نصر فيمن أجابه نحو بيت المقدس، وقد اجتمع إليه بشر كثير، فلمّا بلغ أرميا إقباله نحو بيت المقدس استقبله على حمار له ومعه الأمان الّذي كتبه له بخت نصّر، فلم يصل إليه أرميا من كثرة جنوده وأصحابه، فصيّر الأمان على قصبة أو خشبة ورفعها، فقال: من أنت؟

فقال: أنا أرميا النبيّ الّذي بشّرتك بأنّك سيسلّطك الله على بني إسرائيل وهذا أمانك لي.

قال: أمّا أنت فقد آمنتك، وأمّا أهل بيتك فإنّي أرمي من ههنا إلى بيت المقدس فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل فهم آمنون، وانتزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس فحملت الريح النشّابة حتّى علقتها في بيت المقدس.

فقال: لا أمان لهم عندي، فلمّا وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة وإذا دم يغلي وسطه، كلّما أُلقي عليه التراب خرج وهو يغلي.

فقال: ما هذا؟

فقالوا: هذا نبيّ كان لله فقتله ملوك بني إسرائيل ودمه يغلي، وكلّما ألقينا عليه التراب خرج يغلي.

فقال بخت نصّر: لأقتلنّ بني إسرائيل أبداً حتّى يسكن هذا الدم، وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريّا عليه السلام، وكان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيى بن زكريّا عليه السلام فقال له يحيى: اتّق الله أيّها الملك لا يحلُّ لك هذا، فقالت له امرأة من اللّواتي كان يزني بهنّ حين سكر: أيّها الملك اقتل يحيى، فأمر أن يؤتى برأسه فأتوا برأس يحيى عليه السلام في الطست، وكان الرأس يكلّمه ويقول له: يا هذا اتّق الله لا يحلّ لك هذا، ثمّ غلى الدم في الطست حتّى فاض إلى الأرض فخرج يغلي ولا يسكن، وكان بين قتل يحيى وخروج بخت نصّر مائة سنة، ولم يزل بخت نصّر يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكلّ حيوان والدم يغلي حتّى أفنى من ثمّ، فقال: بقي أحد في هذه البلاد؟

قالوا: عجوز في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على الدم فسكن، وكانت آخر من بقي.

ثمّ أتى بابل فبنى بها مدينة وأقام وحفر بئراً فألقى فيها دانيال وألقى معه اللّبوة، فجعلت اللّبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، فلبث بذلك زماناً، فأوحى الله إلى النبيّ الّذي كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال واقرأه منّي السلام، قال: وأين دانيال يا ربّ؟

فقال: في بئر بابل في موضع كذا وكذا.

قال:

فأتاه فأطلع في البئر فقال: يا دانيال.

قال: لبّيك صوت غريب.

قال: إنّ ربّك يقرؤك السلام وقد بعث إليك بالطعام والشراب، فدلاّه إليه.

قال: فقال دانيال: الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الّذي لا يخيب من دعاه، الحمد لله الّذي من توكّل عليه كفاه، الحمد لله الّذي من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمد لله الّذي يجزي بالإحسان إحساناً، الحمد لله الّذي يجزي بالصبر نجاة، الحمد لله الّذي يكشف ضرّنا عند كربتنا والحمد لله الّذي هو ثقتنا حين ينقطع الحيل منّا، والحمد لله الّذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا.

قال: فأري بخت نصّر في نومه كأنَّ رأسه من حديد، ورجليه من نحاس، وصدره من ذهب.

قال: فدعا المنجّمين فقال لهم: ما رأيت؟

فقالوا: ما ندري ولكن قصّ علينا ما رأيت في المنام.

فقال: وأنا أُجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا ولا تدرون ما رأيت في المنام؟ فأمر بهم فقتلوا.

قال: فقال له بعض من كان عنده: إن كان عند أحد شيء فعند صاحب الجبّ، فإن اللّبوة لم تتعرّض له، وهي تأكل الطين وترضعه، فبعث إلى دانيال فقال: ما رأيت في المنام؟

فقال: رأيت كأنَّ رأسك من حديد، ورجليك من نحاس، وصدرك من ذهب قال: هكذا رأيت فما ذاك؟

قال: قد ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيّام يقتلك رجل من ولد فارس.

قال: فقال له: إنّ عليّ لسبع مدائن، على باب كلّ مدينة حرس، وما رضيت بذلك حتّى وضعت بطّة من نحاس على باب كلّ مدينة لا يدخل غريب إلاّ صاحت عليه حتّى يؤخذ.

قال: فقال له: إنّ الأمر كما قلت لك، قال: فبثّ الخيل وقال: لا تلقون أحداً من الخلق إلاّ قتلتموه كائناً من كان، وكان دانيال جالساً عنده.

وقال: لا تفارقني هذه الثلاثة الأيّام، فإن مضت قتلتك، فلمّا كان في اليوم الثالث ممسياً أخذه الغمُّ فخرج فتلقّاه غلام كان اتّخذه ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنّه من أهل فارس فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلقى أحداً من الخلق إلّا وقتلته وإن لقيتني أنا فاقتلني، فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصّر ضربة فقتله.

فخرج أرميا على حماره ومعه تين قد تزوّده وشيء من عصير، فنظر إلى سباع البرّ وسباع البحر وسباع الجوّ تأكل تلك الجيف ففكر في نفسه ساعة ثمّ قال: «أنى يحيي هذه الله بعد موتها وقد أكلتهم السباع»؟ فأماته الله مكانه وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي أحياه، فلمّا رحم الله بني إسرائيل وأهلك بخت نصّر ردّ بني إسرائيل إلى الدنيا وكان عزير لمّا سلّط الله بخت نصّر على بني إسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها وبقي أرميا ميّتاً مائة سنة، ثمّ أحياه الله فأوّل ما أحيا منه عينيه في مثل غرقئ البيض، فنظر فأوحى الله تعالى إليه: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ ثمّ نظر إلى الشمس وقد ارتفعت فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

فقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغيّر ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فجعل ينظر إلى العظام البالية

المنفطرة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الّذي قد أكلته السباع يتألّف إلى العظام من ههنا وههنا ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره فقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) (٢).

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: وهو عزير، عن قتادة وعكرمة والسدّيّ وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام، وقيل: هو أرميا، عن وهب، وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السلام.

وقيل: هو الخضر عن ابن إسحاق، والقرية الّتي مرّ عليها هي بيت المقدس لمّا خربه بخت نصّر، عن وهب وقتادة والربيع وعكرمة.

وقيل: هي الأرض المقدّسة، عن الضحّاك؛ وقيل: هي القرية الّتي خرج منها الألوف حذر الموت عن أبي زيد ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي خالية.

وقيل: خراب؛ وقيل: ساقطة على أبنيتها وسقوفها، كأنَّ السقوف سقطت ووقع البنيان عليها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها؟

وقيل: كيف يحيي الله أهلها بعدما ماتوا؟ ولم يقل ذلك إنكاراً ولا تعجّباً ولا ارتياباً، ولكنّه أحبّ أن يريه الله إحياءها مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أحياه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ في التفسير أنّه سمع نداءً من السماء: كم لبثت؟ يعني في منامك.

وقيل: إنّ القائل له نبيّ؛ وقيل: ملك؛ وقيل: بعض المعمّرين ممّن شاهده عند موته وإحيائه ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنّ الله تعالى أماته في أوّل النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار.

فقال: ﴿يَوْمًا﴾ ثمّ التفت فرأى بقيّة من الشمس فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ثمّ قال: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ معناه بل لبثت في مكانك مائة سنة ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم تغيّره السنون وإنّما قال: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ على الواحد

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٢) تفسير القمي: ج ١/ص ٩٤، والبحار: ج ١٤/ص ٣٥٦-٣٦٠، باب ٢٥/ح ١.

لأنّه أراد جنس الطعام والشراب؛ وقيل: أراد به الشراب، لأنّه أقرب المذكورين إليه.

وقيل: أراد عصيراً وتيناً وعنباً، وهذه الثلاثة أسرع الأشياء تغيّراً وفساداً، فوجد العصير حلواً، والتين والعنب كما جنيا لم يتغيّرا ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف تفرّقت أجزاؤه، وتبدّدت عظامه، ثمّ انظر كيف يحييه الله، وإنّما قال ذلك ليستدلّ بذلك على طول مماته ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك.

وقيل معناه: فعلنا ذلك إجابة لك إلى ما أردت ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي حجّة للناس في البعث: «وانظر إلى العظام كيف ننشزها» كيف نحييها، وبالزاي كيف نرفعها من الأرض فنردّها إلى أماكنها من الجسد، ونركّب بعضها على بعض ﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا﴾ أي نلبسها ﴿لَحۡمٗا﴾ و اختلف فيه فقيل: أراد عظام حماره.

وقيل: أراد عظامه، قالوا: أوّل ما أحيا الله منه عينه، وهو في مثل غرقئ البيض، فجعل ينظر إلى العظام البالية المتفرّقة تجتمع إليه، وإلى اللّحم الذي قد أكلته السباع تأتلف إلى العظام من ههنا ومن ههنا، وتلتزق بها حتّى قام وقام حماره ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾[(١)].

يعني ظهر وعلم.

وقيل: إنّه رجع وقد أحرق بخت نصّر التوراة فأملاها من ظهر قلبه.

فقال رجل منهم: حدّثني أبي عن جدّي أنّه دفن التوراة في كرم فإن أريتموني كرم جدّي أخرجتها لكم، فأروه فأخرجها فعارضوا ذلك بما أملى فما اختلفا في حرف، فقالوا: فما جعل الله التوراة في قلبه إلاّ وهو ابنه، فقالوا: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ فقال: ﴿أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي لم أقل ما قلت عن شكّ وارتياب، أو أنّه ازداد لما عاين وشاهد يقيناً وعلماً، إذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علم ضرورة ومعاينة[(٢)].

هشام بن الحكم في خبر الزنديق قال الصادق عليه السلام: أمات الله أرميا النبيّ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٢/ص ١٧٢، والبحار: ج ١٤/ص ٣٦٠-٣٦٢، باب ٢٥/ذيل ح ١.

الّذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصّر وقال: أنّى يحيي هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ثمّ أحياه، ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم، وكيف تلبس اللّحم، وإلى مفاصله وعروقه كيف توصل، فلمّا استوى قاعداً قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: إنّ سليمان عليه السلام لمّا حضرته الوفاة أوصى إلى آصف بن برخيا بإذن الله تعالى ذكره، فلم يزل بينهم تختلف إليه الشيعة ويأخذون عنه معالم دينهم، ثمّ غيّب الله عزّ وجلّ آصف غيبة طال أمدها، ثمّ ظهر لهم فبقي بين قومه ما شاء الله، ثمّ إنّه ودّعهم فقالوا له: أين الملتقى؟

قال: على الصراط، وغاب عنهم ما شاء الله، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل بغيبته، وتسلّط عليهم بخت نصّر فجعل يقتل من يظفر به منهم، ويطلب من يهرب ويسبي ذراريهم، فاصطفى من السبي من أهل بيت يهودا أربعة نفر فيهم دانيال، واصطفى من ولد هارون عزيراً، وهم حينئذ صبية صغار، فمكثوا في يده وبنو إسرائيل في العذاب المهين، والحجّة دانيال أسير في يد بخت نصّر تسعين سنة، فلمّا عرف فضله وسمع أنّ بني إسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره وعلى يده أمر أن يجعل في جب عظيم واسع، ويجعل معه الأسد ليأكله، فلم يقربه، وأمر أن لا يطعم، فكان الله تعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يد نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، فكان يصوم دانيال النهار، ويفطر اللّيل على ما يدلي إليه من الطعام، واشتدّت البلوى على شيعته وقومه المنتظرين لظهوره، وشكّ أكثرهم في الدين لطول الأمد، فلمّا تناهى البلاء بدانيال وبقومه رأى بخت نصّر في المنام كأنّ ملائكة من السماء قد هبطت إلى الأرض أفواجاً إلى الجبّ الّذي فيه دانيال مسلّمين عليه يبشّرونه بالفرج، فلمّا أصبح ندم على ما أتى إلى دانيال، فأمر أن يخرج من الجبّ، فلمّا أُخرج اعتذر إليه ممّا ارتكب منه من التعذيب، ثمّ فوّض إليه النظر في أُمور ممالكه والقضاء بين الناس.

(١) الإحتجاج: ص ٣٤٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٦٢، باب ٢٥/ح ٣.

فظهر من كان مستتراً من بني إسرائيل ورفعوا رؤوسهم، واجتمعوا إلى دانيال عليه السلام موقنين بالفرج، فلم يلبث إلاّ القليل عن تلك الحال حتّى مضى لسبيله، وأفضى الأمر بعده إلى عزير وكانوا يجتمعون إليه ويأنسون به ويأخذون عنه معالم دينهم، فغيّب الله عنهم شخصه مائة عام ثمّ بعثه، وغابت الحجج بعده، واشتدّت البلوى على بني إسرائيل حتّى ظهر يحيى عليه السلام (١).

بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب بن منبّه قال: كان بخت نصّر منذ ملك يتوقّع فساد بني إسرائيل ويعلم أنّه لا يطيقهم إلاّ بمعصيتهم، فلم يزل يأتيه العيون بأخبارهم حتّى تغيّرت حالهم، وفشت فيهم المعاصي، وقتلوا أنبياءهم، وذلك قوله تعالى جلّ ذكره: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ يعني بخت نصّر وجنوده أقبلوا فنزلوا بساحتهم، فلمّا رأوا ذلك فزعوا إلى ربّهم وتابوا وثابروا على الخير، وأخذوا على أيدي سفهائهم، وأنكروا المنكر وأظهروا المعروف، فردّ الله لهم الكرّة على بخت نصّر، وانصرفوا بعدما فتحوا المدينة، وكان سبب انصرافهم أنّ سهماً وقع في جبين فرس بخت نصّر فجمح به حتّى أخرجه من باب المدينة، ثمّ إنّ بني إسرائيل تغيّروا فما برحوا حتّى كرّ عليهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾(٢) فأخبرهم أرميا عليه السلام أنّ بخت نصّر يتهيّأ للمسير إليكم، وقد غضب الله عليكم، وأنّ الله تعالى جلّت عظمته يستتيبكم لصلاح آبائكم ويقول: هل وجدتم أحداً عصاني فسعد بمعصيتي؟

أم هل علمتم أحداً أطاعني فشقي بطاعتي؟

وأمّا أحباركم ورهبانكم فاتّخذوا عبادي خولاً يحكمون فيهم بغير كتابي حتّى أنسوهم ذكري، وأمّا ملوككم وأمراؤكم فبطروا نعمتي، وغرّتهم الحياة الدنيا وأمّا قرّاؤكم وفقهاؤكم فهم منقادون للملوك يبايعونهم على البدع ويطيعونهم في معصيتي وأمّا الأولاد فيخوضون مع الخائضين، وفي كلّ ذلك أُلبسهم العافية

---

(١) كمال الدين: ص ١٥٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٦٣-٣٦٤/ باب ٢٥/ ح ٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤ إلى الآية ٧.

فلأُبدّلنّهم بالعزّ ذلاًّ، وبالأمن خوفاً، إنّ دعوني لم أُجبهم، وإن بكوا لم أرحمهم.

فلمّا بلّغهم ذلك نبيّهم كذّبوه وقالوا: لقد أعظمت الفرية على الله، تزعم أنّ الله معطّل مساجده من عبادته! فقيّدوه وسجنوه، فأقبل بخت نصّر وحاصرهم سبعة أشهر حتّى أكلوا خلاهم، وشربوا أبوالهم، ثمّ بطش بهم بطش الجبّارين بالقتل والصلب والإحراق وجدع الأنوف ونزع الألسن والأنياب ووقف النساء، فقيل له: إنّ لهم صاحباً كان يحذّرهم بما أصابهم فاتّهموه وسجنوه، فأمر بخت نصّر فأُخرج من السجن، فقال له: أكنت تحذّر هؤلاء؟

قال: نعم.

قال: وأنّى علمت ذلك؟

قال: أرسلني الله به إليهم، قال فكذّبوك وضربوك؟

قال: نعم.

قال: لبئس القوم قوم ضربوا نبيّهم وكذّبوا رسالة ربّهم، فهل لك أن تلحق بي فأُكرمك، وإن أحببت أن تقيم في بلادك آمنتك؟

قال أرميا عليه السلام: إنّي لم أزل في أمان الله منذ كنت لم أخرج منه، ولو أنّ بني إسرائيل لم يخرجوا من أمانه لم يخافوك، فأقام أرميا عليه السلام مكانه بأرض إيليا وهي حينئذ خراب قد هدم بعضها، فلمّا سمع به من بقي من بني إسرائيل اجتمعوا إليه فقالوا: عرفنا أنّك نبيّنا فانصح لنا، فأمرهم أن يقيموا معه، فقالوا: ننطلق إلى ملك مصر نستجير.

فقال أرميا عليه السلام: إنّ ذمّة الله أوفى الذمم، فانطلقوا إلى مصر وتركوا أرميا.

فقال لهم الملك: أنتم في ذمّتي، فسمع ذلك بخت نصّر فأرسل إلى ملك مصر: ابعث بهم إليّ مصفّدين وإلاّ آذنتك بالحرب.

فلمّا سمع أرميا عليه السلام بذلك أدركته الرحمة لهم، فبادر إليهم لينقذهم، فورد عليهم وقال: إنّ الله تعالى جلّ ذكره أوحى إليّ أنّي مظهر بخت نصّر على هذا الملك، وآية ذلك أنّه تعالى أراني موضع سرير بخت نصّر الّذي يجلس عليه بعدما

يظفر بمصر، ثمّ عمد فدفن أربعة أحجار في ناحية من الأرض، فصار إليهم بخت نصّر فظفر بهم وأسرهم، فلمّا أراد أن يقسم الفيء ويقتل الأُسارى ويعتق منهم كان منهم أرميا.

فقال له بخت نصّر: أراك مع أعدائي بعد ما عرضتك له من الكرامة؟

فقال له أرميا عليه السلام: إنّي جئتهم مخوّفاً أُخبرهم خبرك، وقد وضعت لهم علامة تحت سريرك هذا وأنت بأرض بابل، ارفع سريرك فإنّ تحت كلّ قائمة من قوائمه حجراً دفنته بيدي وهم ينظرون، فلمّا رفع بخت نصّر سريره وجد مصداق ما قال.

فقال لأرميا عليه السلام: إنّي لأقتلنّهم إذ كذّبوك ولم يصدّقوك فقتلهم ولحق بأرض بابل، فأقام أرميا بمصر مدّة.

فأوحى الله تعالى إليه: الحق بإيليا، فانطلق حتّى إذا رفع له شخص بيت المقدس ورأى خراباً عظيماً، قال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ فنزل في ناحية واتّخذ مضجعاً ثمّ نزع الله روحه وأخفى مكانه على جميع الخلائق مائة عام، وكان قد وعده الله أنّه سيعيد فيها الملك والعمران، فلمّا مضى سبعون عاماً أذن الله في عمارة إيليا فأرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له كوشك.

فقال: إنّ الله يأمرك أن تنفر بقوّتك ورجالك حتّى تنزل إيليا فتعمرها، فندب الفارسيّ لذلك ثلاثين ألف قهرمان، ودفع إلى كلّ قهرمان ألف عامل بما يصلح لذلك من الآلة والنفقة، فسار بهم فلمّا تمّت عمارتها بعد ثلاثين سنة أمر عظام أرميا أن يحيى، فقام حيّاً كما ذكره الله في كتابه[1].

بالإسناد المذكور عن وهب بن منبّه أنّه لمّا انطلق بخت نصّر بالسبي والأُسارى من بني إسرائيل وفيهم دانيال وعزير عليهما السلام وورد أرض بابل اتّخذ بني إسرائيل خولاً، ولبث سبع سنين، ثمّ إنّه رأى رؤياً عظيماً امتلأ منها رعباً ونسيها، فجمع قومه وقال: تخبرون بتأويل رؤياي المنسيّة إلى ثلاثة أيّام وإلّا صلبتكم، وبلغ دانيال ذلك من شأن الرؤيا وكان في السجن.

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٢٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٦٤-٣٦٦، باب ٢٥/ح ٦.

فقال لصاحب السجن: إنّك أحسنت صحبتي، فهل لك أن تخبر الملك أنّ عندي علم رؤياه وتأويله؟ فخرج صاحب السجن وذكر لبخت نصّر فدعا به، وكان لا يقف بين يديه أحد إلاّ سجد له، فلمّا طال قيام دانيال وهو لا يسجد له قال للحرس: اخرجوا واتركوه، فخرجوا فقال: يا دانيال ما منعك أن تسجد لي؟

فقال: إنّ لي ربّاً آتاني هذا العلم على أنّي لا أسجد لغيره، فلو سجدت لك انسلخ عنّي العلم، فلم تنتفع بي، فتركت السجود نظراً إلى ذلك، قال بخت نصّر: وفيت لإلهك فصرت آمناً منّي، فهل لك علم بهذه الرؤيا؟

قال: نعم، رأيت صنماً عظيماً رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضّة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينا أنت تنظر إليه وقد أعجبك حسنه وعظمه وإحكام صنعته والأصناف الّتي ركّبت فيه إذ قذفه ملك بحجر من السماء، فوقع على رأسه فدقّه حتّى طحنه، فاختلط ذهبه وفضّته ونحاسه وحديده وفخاره حتّى خيّل لك أنّه لو اجتمع الجنّ والإنس على أن يميّزوا بعضه من بعض لم يقدروا، وحتّى خيّل لك أنّه لو هبّت أدنى ريح لذرته لشدّة ما انطحن، ثمّ نظرت إلى الحجر الّذي قذف به يعظم فينتشر حتّى ملأ الأرض كلّها، فصرت لا ترى إلّا السماء والحجر.

قال بخت نصّر: صدقت، هذه الرؤيا الّتي رأيتها فما تأويلها؟

قال دانيال عليه السلام: أمّا الصنم الّذي رأيت فإنّها أُمم تكون في أوّل الزمان وأوسطه وآخره، وأمّا الذهب فهو هذا الزمان وهذه الأُمّة الّتي أنت فيها وأنت ملكها، وأمّا الفضّة فإنّه يكون ابنك يليها من بعدك، وأمّا النحاس فأُمّة الروم، وأمّا الحديد فأُمّة فارس، وأمّا الفخار فأُمّتان تملكهما امرأتان: إحداهما في شرقيّ اليمن، وأُخرى في غربيّ الشام، أمّا الحجر الّذي قذف به الصنم فدين يفقده الله به هذه في الأُمّة آخر الزمان ليظهره عليها، يبعث الله نبيّاً أُمّيّاً من العرب فيذلّ الله له الأُمم والأديان كما رأيت الحجر ظهر على الأرض فانتشر فيها.

فقال بخت نصّر: ما لأحد عندي يد أعظم من يدك، وأنا أُريد أن أُجزيك، إن أحببت أن أردّك إلى بلادك وأعمرها لك، وإن أحببت أن تقيم معي فأُكرمك؟

فقال دانيال عليه السلام: أمّا بلادي أرض كتب الله عليها الخراب إلى وقت،

والإقامة معك أوثق لي، فجمع بخت نصّر ولده وأهل بيته وخدمه وقال لهم: هذا رجل حكيم قد فرّج الله به عنّي كربة قد عجزتم عنها، وقد ولّيته أمركم وأمري، يا بنيّ خذوا من علمه، وإن جاءكم رسولان أحدهما لي والآخر له فأجيبوا دانيال قبلي، فكان لا يقطع أمراً دونه، ولمّا رأوا قوم بخت نصّر ذلك حسدوا دانيال، ثمَّ اجتمعوا إليه وقالوا: كانت لك الأرض ويزعم عدوّنا أنّك أنكرت عقلك.

قال: إنّي أستعين برأي هذا الإسرائيليّ لإصلاح أمركم فإنّ ربّه يطلعه عليه، قالوا: نتّخذ إلهاً يكفيك ما أهمّك وتستغني عن دانيال فقال: أنتم وذاك، فعملوا صنماً عظيماً وصنعوا عيداً وذبحوا له، وأوقدوا ناراً عظيمة كنار نمرود ودعوا الناس بالسجود لذلك الصنم فمن لم يسجد له أُلقي فيها.

وكان مع دانيال عليه السلام أربعة فتية من بني إسرائيل: يوشال ويوحين وعيصوا ومريوس، وكانوا مخلصين موحّدين، فأُتي بهم ليسجدوا للصنم.

فقالت الفتية: هذا ليس بإله، ولكن خشبة صمّاء عملها الرجال، فإن شئتم أن نسجد للّذي خلقها فعلنا، فكتفوهم ثمَّ رموا بهم في النار، فلمّا أصبحوا طلع عليهم بخت نصّر فوق قصر فإذا معهم خامس وإذا بالنار قد عادت جليداً فامتلأ رعباً، فدعا دانيال عليه السلام فسأله عنهم فقال:

أمّا الفتية فعلى ديني يعبدون إلهي ولذلك أجارهم والخامس بحر البرد، أرسله الله تعالى جلّت عظمته إلى هؤلاء نصرة لهم، فأمر بخت نصّر فأخرجوا فقال لهم: كيف بتّم؟

قالوا: بتنا بأفضل ليلة منذ خلقنا، فألحقهم بدانيال وأكرمهم بكرامته حتّى مرّت بهم ثلاثون سنة[1].

بالإسناد المتقدّم عن وهب قال: ثمَّ إنّ بخت نصّر رأى رؤياً أهول من الرؤيا الأُولى ونسيها أيضاً، فدعا علماء قومه قال: رأيت رؤياً أخشى أن يكون فيها هلاككم وهلاكي فما تأويلها؟

فعجزوا وجعلوا علّة عجزهم دانيال، فأخرجهم ودعا دانيال عليه السلام فسأله

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٢٧، والبحار: ج ١٤/ص ٣٦٧-٣٦٩، باب ٢٥/ح ٧.

فقال: رأيت شجرة عظيمة شديدة الخضرة، فرعها في السّماء، عليها طير السماء، وفي ظلّها وحوش الأرض وسباعها، فبينما أنت تنظر إليها قد أعجبتك بهجتها إذ أقبل ملك يحمل حديدة كالفأس على عنقه وصرخ بملك آخر في باب من أبواب السماء يقول له: كيف أمرك الله أن تفعل بالشجرة؟ أمرك أن تجتثّها من أصلها أم أمرك أن تأخذ بعضها؟

فناداه الملك الأعلى: إنّ الله تعالى يقول: خذ منها وأبق، فنظرت إلى الملك حتّى ضرب رأسها بفأسه فانقطع وتفرّق ما كان عليها من الطير، وما كان تحتها من السباع والوحوش، وبقي الجذع لا هيئة له ولا حسن.

فقال بخت نصّر: فهذه الرؤيا رأيتها فما تأويلها؟

قال: أنت الشجرة وما رأيت في رأسها من الطيور فولدك وأهلك، وأمّا ما رأيت في ظلّها من السباع والوحوش فخولك ورعيّتك، وكنت قد أغضبت الله فيما تابعت قومك من عمل الصنم.

فقال بخت نصّر: كيف يفعل ربّك بي؟

قال: يبتليك ببدنك فيمسخك سبع سنين فإذا مضت رجعت إنساناً كما كنت أوّل مرّة، فقعد بخت نصّر يبكي سبعة أيّام، فلمّا فرغ من البكاء ظهر فوق بيته فمسخه الله عقاباً فطار، وكان دانيال عليه السلام يأمر ولده وأهل مملكته أن لا يغيّروا من أمره شيئاً حتّى يرجع إليهم، ثمَّ مسخه الله في آخر عمره بعوضة فأقبل يطير حتّى دخل بيته فحوّله الله إنساناً فاغتسل بالماء ولبس المسوح ثمّ أمر بالناس فجمعوا فقال:

إنّي وإيّاكم كنّا نعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرّنا، وإنّه قد تبيّن لي من قدرة الله تعالى جلّ وعلا في نفسي أنّه لا إله إلاّ الله إله بني إسرائيل، فمن تبعني فإنّه منّي وأنا وهو في الحقّ سواء، ومن خالفني ضربته بسيفي حتّى يحكم الله بيني وبينكم، وإنّي قد أجّلتكم إلى اللّيلة فإذا أصبحتم فأجيبوني، ثمّ انصرف ودخل بيته وقعد على فراشه فقبض الله تعالى روحه وقصَّ وهب قصّته هذه عن ابن عبّاس، ثمّ قال ما أشبه إيمانه بإيمان السحرة[1]!

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٢٨، والبحار: ج ١٤/ص ٣٦٩-٣٧٠، باب ٢٥/ح ٨.

لمّا توفّي بخت نصّر تابع الناس ابنه، وكانت الأواني الّتي عملت الشياطين لسليمان بن داود عليه السلام من اللّؤلؤ والياقوت غاص عليها الشياطين حتّى استخرجوها من قعور الأبحر الصمّ الّتي لا تعبر فيها السفن، وكان بخت نصّر غنم كلّ ذلك من بيت المقدس وأوردها أرض بابل، واستعمر فيه دانيال عليه السلام فقال: إنّ هذه الآنية طاهرة مقدّسة صنعها النبيّ ابن النبيّ ليسجد لربّه عزّ وعلا فلا تدنّسها بلحم الخنازير وغيرها فإنّ لها ربّاً سيعيدها حيث كانت، فلم يطعه واعتزل دانيال وأقصاه وجفاه، وكانت له امرأة حكيمة نشأت في تأديب دانيال تعظه وتقول:

إنّ أباك كان يستغيث بدانيال، فأبى ذلك، فعمل في كلّ عمل سوء حتّى عجت الأرض منه إلى الله تعالى جلّت عظمته، فبينا هو في عيد إذا بكفّ ملك يكتب على الجدار ثلاثة أحرف، ثمّ غابت الكفّ والقلم وبهتوا فسألوا دانيال بحقّ تأويل ذلك المكتوب وكان كتب: «وزن فخفّ، ووعد فأنجز، وجمع فتفرّق». فقال:

أمّا الأوّل: فإنّه عقلك وزن فخفّ فكان خفيفاً في الميزان.

والثاني: وعد أن يملّك فأنجزه اليوم، والثالث فإنّ الله كان قد جمع لك ولوالدك من قبلك ملكاً عظيماً ثمّ تفرّق اليوم، فلا يجتمع إلى يوم القيامة؛ فقال له: ثمّ ماذا؟

قال: يعذّبك الله، فأقبلت بعوضة تطير حتّى دخلت في إحدى منخريه فوصلت إلى دماغه وتؤذيه، فأحبُّ الناس عنده من حمل مرزبة يضرب بها رأسه، ويزداد كلّ يوم ألماً إلى أربعين ليلة حتّى مات وصار إلى النار(١).

هذه القصص المنقولة عن وهب ليست ممّا يعتمد عليه، وإيمان بخت نصّر مخالف لظواهر الأخبار المعتبرة، وأمّا مسخه فقد ورد في توحيد المفضّل بن عمر المرويّ عن الصادق عليه السلام ما يومئ إليه حيث قال عليه السلام: وترى كثيراً من الفسّاق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم، وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم، كما عوجل فرعون بالغرق، وبخت نصّر بالتيه، وبلبيس بالقتل(٢).

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٢٨، والبحار: ج ١٤/ص ٣٧٠، باب ٢٥/ح ٩.
(٢) البحار: ج ١٤/ص ٣٧٠، باب ٢٥/ذيل ح ٩.

عن إسماعيل ابن أبي رافع، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ قال: ملك بخت نصّر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريّا عليه السلام وخرب بيت المقدس، وتفرّقت اليهود في البلدان، وفي سبع وأربعين سنة من ملكه بعث الله العزير نبيّاً إلى أهل القرى الّتي أمات الله أهلها ثمّ بعثهم له، وكانوا من قرى شتّى فهربوا فرقاً من الموت، فنزلوا في جوار عزير وكانوا مؤمنين، وكان عزير يختلف إليهم ويسمع كلامهم وإيمانهم وأحبّهم على ذلك وآخاهم عليه فغاب عنهم يوماً واحداً، ثمّ أتاهم فوجدهم موتى صرعى فحزن عليهم وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تعجّباً منه حيث أصابهم وقد ماتوا أجمعين في يوم واحد، فأماته الله عند ذلك مائة عام وهي مائة سنة، ثمّ بعثه الله وإيّاهم وكانوا مائة ألف مقاتل، ثمّ قتلهم الله أجمعين لم يفلت منهم واحد على يدي بخت نصّر، ثمّ ملك مهرويه بن بخت نصّر ستّ عشرة سنة وعشرين يوماً، فأخذ عند ذلك دانيال عليه السلام وخدّ له خدّاً في الأرض وطرح فيه دانيال وأصحابه وشيعته من المؤمنين، وألقى عليهم النيران، فلمّا رأى أنّ النار لا تقربهم ولا تحرقهم استودعهم الجبّ وفيه الأُسد والسباع وعذّبهم بكلّ نوع من العذاب حتّى خلّصهم الله منه، وهم الّذين ذكرهم الله في كتابه فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾(١) فلمّا أراد الله أن يقبض دانيال عليه السلام أمره أن يستودع نور الله وحكمته مكيخا بن دانيال ففعل(٢).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فقال:

إنّ الله بعث على بني إسرائيل نبيّاً يقال له أرميا فقال: قل لهم: ما بلد تنقّيته من كرائم البلدان وغرست فيه من كرائم الغرس ونقّيته من كلّ غريبة فأخلف فأنبت خرنوباً؟

قال: فضحكوا واستهزؤوا به، فشكاهم إلى الله.

(١) سورة البروج: الآيتان: ٤-٥.
(٢) كمال الدين: ص ٢١٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٧٢/ باب ٢٥/ ح ١٣.

قال: فأوحى الله إليه أن قل لهم: إنّ البلد بيت المقدس والغرس بنو إسرائيل تنقّيته من كلّ غريبة، ونحّيت عنهم كلّ جبّار، فأخلفوا فعملوا بمعاصي الله فلأُسلّطن عليهم في بلدهم من يسفك دماءهم، ويأخذ أموالهم، فإن بكوا إليّ فلم أرحم بكاءهم، وإن دعوا لم أستجب دعاءهم، ثمّ لأخربنّها مائة عام، ثمّ لأُعمّرنّها، فلمّا حدّثهم جزعت العلماء فقالوا:

يا رسول الله ماذنبنا نحن ولم نكن نعمل بعملهم؟ فعاود لنا ربّك، فصام سبعاً فلم يوح إليه شيء، فأكل أُكلة ثمّ صام سبعاً فلم يوح إليه شيء، فأكل أُكلة ثمّ صام سبعاً فلمّا أن كان يوم الواحد والعشرين أوحى الله إليه لترجعنّ عمّا تصنع، أتراجعني في أمر قضيته أو لأردّنّ وجهك على دبرك؟

ثمّ أوحى إليه قل لهم: لأنّكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فسلّط الله عليهم بخت نصّر فصنع بهم ما قد بلغك، ثمّ بعث بخت نصّر إلى النبيّ فقال:

إنّك قد نبّئت عن ربّك وحدّثتهم بما أصنع بهم، فإن شئت فأقم عندي فيمن شئت وإن شئت فاخرج، فقال: لا بل أخرج، فتزوّد عصيراً وتيناً وخرج، فلمّا أن كان مدّ البصر التفت إليها فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ أماته غدوة، وبعثه عشيّة قبل أن تغيب الشمس، وكان أوّل شيء خلق منه عيناه في مثل غرقئ البيض، ثمّ قيل له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ فلمّا نظر إلى الشمس لم تغب.

قال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾.

قال: فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض ويرى العروق كيف يجري، فلمّا استوى قائماً.

قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي رواية هارون: فتزوّد عصيراً ولبناً[1].

---

(١) تفسير العياشي: ج ١/ص ١٦٠، والبحار: ج ١٤/ص ٣٧٤، باب ٢٥/ح ١٤.

عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: إنّ دانيال عليه السلام كان يتيماً لا أُمّ له ولا أب، وإنّ امرأة من بني إسرائيل عجوزاً كبيرة ضمّته فربّته، وإنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان له قاضيان، وكان لهما صديق، وكان رجلاً صالحاً، وكان له امرأة بهيّة جميلة، وكان يأتي الملك فيحدّثه، واحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أُموره فقال للقاضيين: اختارا رجلاً أُرسله في بعض أُموري، فقالا: فلان، فوجّهه الملك.

فقال الرجل للقاضيين: أُوصيكما بامرأتي خيراً، فقالا: نعم، فخرج الرجل، فكان القاضيان يأتيان باب الصديق فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فأبت، فقالا لها: والله لئن لم تفعلي لنشهدنّ عليك عند الملك بالزنا ثمّ لنرجمنّك.

فقالت: افعلا ما أحببتما، فأتيا الملك فأخبراه وشهدا عنده أنّها بغت، فدخل الملك من ذلك أمر عظيم واشتدّ بها غمّه وكان بها معجباً فقال لهما: إنّ قولكما مقبول ولكن ارجموها بعد ثلاثة أيّام، ونادى في البلد الّذي هو فيه: احضروا قتل فلانة العابدة فإنّها قد بغت، فإنّ القاضيين قد شهدا عليها بذلك، فأكثر النّاس في ذلك.

وقال الملك لوزيره: ما عندك في هذا من حيلة؟ فقال: ما عندي في ذلك من شيء.

فخرج الوزير يوم الثالث وهو آخر أيّامها فإذا هو بغلمان عراة يلعبون وفيهم دانيال لا يعرفه، فقال دانيال:

يا معشر الصبيان تعالوا حتّى أكون أنا الملك وتكون أنت يا فلان العابدة، ويكون فلان وفلان القاضيين شاهدين عليها، ثمّ جمع تراباً وجعل سيفاً من قصب، وقال للصبيان:

خذوا بيد هذا فنحّوه إلى مكان كذا وكذا، وخذوا بيد هذا فنحّوه إلى مكان كذا وكذا، ثمّ دعا بأحدهما وقال له: قل حقّاً فإنّك إن لم تقل حقّاً قتلتك، والوزير قائم ينظر ويسمع.

فقال: إنّها بغت.

فقال: متى؟

فقال: يوم كذا وكذا قال: مع من؟

قال: مع فلان ابن فلان.

قال: وأين؟

قال: موضع كذا وكذا.

قال: ردوه إلى مكانه وهاتوا الآخر، فردّوه إلى مكانه وجاؤوا بالآخر، فقال له: بما تشهد؟

فقال: أشهد أنّها بغت.

قال: متى؟

قال: يوم كذا وكذا.

قال: مع من؟

قال: مع فلان ابن فلان.

قال: وأين؟

قال: موضع كذا وكذا، فخالف أحدهما صاحبه.

فقال دانيال: الله أكبر شهدا بزور، يا فلان ناد في الناس أنّهما شهدا على فلانة بزور فاحضروا قتلهما.

فذهب الوزير إلى الملك مبادراً فأخبره الخبر، فبعث الملك إلى القاضيين فاختلفا كما اختلف الغلامان، فنادى الملك في الناس وأمر بقتلهما[1].

عن ابن محبوب، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود عليه السلام أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنّك عصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فأتاه داود عليه السلام فقال:

يا دانيال إنّي رسول الله إليك وهو يقول لك: إنّك عصيتني فغفرت لك

(١) الكافي: ج٧/ ص١٤٣٩، باب ٢٦٨/ ح٩، والبحار: ج١٤/ ص٣٧٥-٣٧٦، باب ٢٥/ ح١٨.

وعصيتني فغفرت لك، وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك.

فقال له دانيال: قد أبلغت يا نبيّ الله؛ فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربّه فقال: يا ربّ إنّ داود نبيّك أخبرني عنك أنّني قد عصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وأخبرني عنك أنّي إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي، فوعزّتك وجلالك لئن لم تعصمني لأعصينّك ثمّ لأعصينّك ثمّ لأعصينّك[١].

دعوات الراونديّ: قال: أوحى الله إلى عزير عليه السلام يا عزير إذا وقعت في معصية فلا تنظر إلى صغرها ولكن انظر من عصيت، وإذا أُوتيت رزقاً منّي فلا تنظر إلى قلّته ولكن انظر من أهداه، وإذا نزلت بك بليّة فلا تشك إلى خلقي كما لا أشكوك إلى ملائكتي عند صعود مساويك وفضائحك[٢].



(١) أصول الكافي: ج ٢/ص ٥٤٩، باب التوبة/ح ١١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٧٦-٣٧٧، باب ٢٥/ح ١٩.

(٢) دعوات الراوندي: ص ١٦٩، والبحار: ج ١٤/ص ٣٧٩، باب ٢٥/ح ٢٥.

قصص يونس وأبيه متى

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾(١).

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ قال الطبرسيّ: يعني يونس عليه السلام أي لا تكن مثله في استعجال عقاب قومه ولا تخرج من بين قومك قبل أن يأذن الله لك كما خرج ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي دعا ربّه في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرُّف في الأُمور.

وقيل: مكظوم أي مختنق بالغمّ إذ لم يجد لغيظه شفاء ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي لولا أن أدركته رحمة من ربّه بإجابة دعائه وتخليصه من بطن الحوت ﴿لَنُبِذَ﴾ أي طرح ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ أي بالفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ قد أتى بما يلام عليه، لكنّ الله تعالى تداركه بنعمة من عنده فنبذ بالعراء وهو غير مذموم(٢).

﴿كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يعني يونس عليه السلام لمّا دعا على قومه ثمّ ذهب مغاضباً لله، وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي مغموم.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ قال: النعمة: الرحمة ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾(٣) قال: العراء: الموضع الّذي لا سقف له(٤).

---

(١) سورة القلم، الآيات: ٤٨-٥٠.
(٢) تفسير القمي: ج ٢/ص ٣٦٩، والبحار: ج ١٤/ص ٣٨٠، باب ٢٦/تفسير من سورة القلم.
(٣) سورة القلم، الآيات: ٤٨-٤٩.
(٤) تفسير القمي: ج ٢/ص ٣٦٩، والبحار: ج ١٤/ص ٣٨٠، باب ٢٦/ح ١.

عن جميل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما ردّ الله العذاب إلّا عن قوم يونس، وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام فيأبون ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم وكان فيهم رجلان: عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا، والآخر اسمه روبيل، فكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه ويقول:

لا تدع عليهم فإنّ الله يستجيب لك، ولا يحبّ هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، فلمّا قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد، وبقي العالم فيها، فلمّا كان في ذلك اليوم نزل العذاب، فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله فلعلّه يرحمكم ويردّ العذاب عنكم.

فقالوا: كيف نصنع؟

قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المفازة وفرّقوا بين النساء والأولاد، وبين الإبل وأولادها، وبين البقر وأولادها، وبين الغنم وأولادها، ثمّ ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجّوا وبكوا فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب وفرّق العذاب على الجبال وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس ينظر كيف أهلكهم الله فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم، قال لهم: ما فعل قوم يونس؟

فقالوا له - ولم يعرفوه -: إنّ يونس دعا عليهم فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم فاجتمعوا وبكوا فدعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرّق العذاب على الجبال، فهم إذاً يطلبون يونس ليؤمنوا به، فغضب يونس ومرّ على وجهه مغاضباً به كما حكى الله، حتّى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه، فلمّا توسّطوا البحر بعث الله حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة من قدّامها، فنظر إليه يونس ففزع منه وصار إلى مؤخّر السفينة فدار إليه الحوت وفتح فاه فخرج أهل السفينة فقالوا: فينا عاص فتساهموا فخرج سهم يونس، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[1] فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومرّ به في الماء.

(١) سورة الصافات، الآية: ١٤١.

وقد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين عَلَيْتَلِارٌ عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه؛ فقال: يا يهوديّ أمّا السجن الّذي طاف أقطار الأرض بصاحبه فإنّه الحوت الّذي حبس يونس في بطنه، فدخل في بحر القلزم، ثمّ خرج إلى بحر مصر، ثمّ دخل إلى بحر طبرستان، ثمّ خرج في دجلة الغوراء.

قال: ثمّ مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بقارون، وكان قارون هلك في أيّام موسى عَلَيْتَلِارٌ ووكّل الله به ملكاً يدخل في الأرض كلّ يوم قامة رجل، وكان يونس في بطن الحوت يسبّح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكّل به: أنظرني فإنّي أسمع كلام آدميّ.

فأوحى الله إلى الملك الموكّل به: أنظره، فأنظره، ثمّ قال قارون: من أنت؟

قال يونس: أنا المذنب الخاطئ يونس بن متى قال: فما فعل الشديد الغضب لله موسى ابن عمران؟

قال: هيهات هلك.

قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟

قال: هلك.

قال: فما فعلت كلثم بنت عمران الّتي كانت سمّيت لي؟

قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد.

فقال قارون: وا أسفاه على آل عمران، فشكر الله له ذلك، فأمر الله الملك الموكّل به أن يرفع عنه العذاب أيّام الدنيا فرفع عنه، فلمّا رأى يونس ذلك نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] فاستجاب الله له وأمر الحوت فلفظه على ساحل البحر وقد ذهب جلده ولحمه، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهي الدبّاء، فأظلّته من الشمس فسكن، ثمّ أمر الله الشجرة فتنحّت عنه ووقعت الشمس عليه، فجزع فأوحى الله إليه: يا يونس لم ترحم مائة ألف أو يزيدون وأنت تجزع من ألم ساعة؟

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

فقال: يا ربّ عفوك عفوك، فردّ الله بدنه ورجع إلى قومه وآمنوا به، وهو قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] فقالوا: فمكث يونس في بطن الحوت تسع ساعات، ثمّ قال الله لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] يعني لو شاء الله أن يجبر الناس كلّهم على الإيمان لفعل.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيّام، ونادى في الظلمات: ظلمة بطن الحوت، وظلمة اللّيل، وظلمة البحر: أن لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، فاستجاب له ربّه فأخرجه الحوت إلى الساحل، ثمّ قذفه فألقاه بالساحل، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وهو القرع، فكان يمصّه ويستظلّ به بورقه، وكان تساقط شعره ورقّ جلده، وكان يونس عليه السلام يسبّح ويذكر الله اللّيل والنهار، فلمّا أن قوي واشتدّ بعث الله دودة فأكلت أسفل القرع فذبلت القرعة ثمّ يبست، فشقّ ذلك على يونس فظلّ حزيناً فأوحى الله إليه: ما لك حزيناً يا يونس؟

قال: يا ربّ هذه الشجرة الّتي تنفعني سلّطت عليها دودة فيبست.

قال: يا يونس أحزنت لشجرة لم تزرعها ولم تسقها ولم تعن بها أن يبست حين استغنيت عنها، ولم تحزن لأهل نينوى أكثر من مائة ألف؟ أردت أن ينزل عليهم العذاب؟ إنّ أهل نينوى قد آمنوا واتّقوا فارجع إليهم، فانطلق يونس عليه السلام إلى قومه فلمّا دنا من نينوى استحيى أن يدخل فقال لراع لقيه: ائت أهل نينوى فقل لهم: إنّ هذا يونس قد جاء، قال الراعي: أتكذب؟ أما تستحيي ويونس قد غرق في البحر وذهب؟

قال له يونس: اللّهمّ إنّ هذه الشاة تشهد لك أنّي يونس، فلمّا أتى الراعي قومه وأخبرهم أخذوه وهمّوا بضربه، فقال: إنّ لي بيّنة بما أقول.

قالوا: من يشهد؟ قال: هذه الشاة تشهد، فشهدت بأنّه صادق، وأنّ يونس قد

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٨-٩٩.

ردّه الله إليهم فخرجوا يطلبونه فوجدوه فجاؤوا به وآمنوا وحسن إيمانهم فمتّعهم الله إلى حين وهو الموت، وأجارهم من ذلك العذاب(١).

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ قال: هو يونس، ومعنى ذا النون أي ذا الحوت، قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾(٢) قال: أنزله على أشدّ الأمرين فظنّ به أشدّ الظنّ، وقال: إنّ جبرئيل استثنى في هلاك قوم يونس ولم يسمعه يونس.

قلت: ما كان حال يونس لمّا ظنّ أنّ الله لن يقدر عليه؟

قال: كان من أمر شديد.

قلت: وما كان سببه حتّى ظنّ أنّ الله لن يقدر عليه؟

قال: وكله إلى نفسه طرفة عين.

قال: وحدَّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أُمّ سلمة النبيّ صلى الله عليه وآله يقول في دعائه: «اللّهمّ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً» فسألته في ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: يا أُمّ سلمة وما يؤمنني، وإنّما وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين فكان منه ما كان(٣).

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة صرف الله عزّ وجلّ العذاب عن قوم يونس وقد أظلّهم ولم يفعل ذلك بغيرهم من الأُمم؟

فقال: لأنّه كان في علم الله عزّ وجلّ أنّه سيصرفه عنهم لتوبتهم، وإنّما ترك إخبار يونس بذلك لأنّه عزّ وجلّ أراد أن يفرغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته(٤).

يمكن توجيه الخبر بوجهين: **الأوّل**: أن يكون السؤال عن علّة عدم نزول العذاب عليهم دفعة بل بأن أظلّهم ولم ينزل بهم حتّى تابوا.

---

(١) تفسير القمي: ج ١/ص ٣١٨، والبحار: ج ١٤/ص ٣٨٠-٣٨٤، باب ٢٦/ح ٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٣) البحار: ج ١٤، ص ٣٨٤، باب ٢٦/ذيل ح ٢.
(٤) علل الشرائع: ج ١/ص ٩٧، باب ٦٦/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٨٦، باب ٢٦/ح ٣.

فالجواب: أنّه لمّا علم الله أنّهم يتوبون بعد رؤيته جعله مظلاً بهم حتّى تابوا فصرف عنهم.

الثاني: أن يكون السؤال على ظاهره ويكون الجواب أنّهم لمّا تابوا صرف عنهم، والتعرّض لحديث العلم لبيان أنّه كان عالماً بتوبتهم، وإنّما لم يخبر يونس للحكمة المذكورة، والأوّل أظهر لا سيّما في الخبر الآتي.

عن أبي المغرا، عن سماعة أنّه سمعه عليه السلام وهو يقول: ما ردّ الله العذاب عن قوم قد أظلّهم إلاّ قوم يونس.

فقلت: أكان قد أظلّهم؟

فقال: نعم حتّى نالوه بأكفّهم، قلت: فكيف كان ذلك؟

قال: كان في العلم المثبت عند الله عزّ وجلّ الّذي لم يطّلع عليه أحد أنّه سيصرفه عنهم[1].

في خبر ابن الجهم أنّه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾.

فقال الرضا عليه السلام: ذلك يونس بن متى عليه السلام ذهب مغاضباً لقومه ﴿فَظَنَّ﴾ بمعنى استيقن ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نضيّق عليه رزقه، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾[2] أي ضيّق عليه فقتر ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة اللّيل، وظلمة البحر، وبطن الحوت «أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين» بتركي مثل هذه العبادة الّتي قد فرغتني لها في بطن الحوت فاستجاب الله له، وقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤﴾[3] [4].

قال السيّد قدّس الله روحه: أمّا من ظن أنّ يونس عليه السلام خرج مغاضباً لربّه من

(١) علل الشرائع: ج ١/ص ٩٧، باب ٦٦/ح ٢، والبحار: ج ١٤/ص ٣٨٦، باب ٢٦/ح ٤.
(٢) سورة الفجر، الآية: ١٦.
(٣) سورة الصافات، الآية: الآيتان: ١٤٣-١٤٤.
(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ١٧٩، باب ١٥/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ٣٨٧، باب ٢٦/ح ٧.

حيث لم ينزل بقومه العذاب فقد خرج في الافتراء على الأنبياء بسوء الظنّ بهم عن الحدّ، وليس يجوز أن يغاضب ربّه إلاّ من كان معادياً وجاهلاً بأنّ الحكمة في سائر أفعاله، وهذا لا يليق بأتباع الأنبياء من المؤمنين فضلاً عمّن عصمه الله ورفع درجته، وأقبح من ذلك ظنّ الجهّال أنّه ظنّ أنّ ربّه لا يقدر عليه من جهة القدرة الّتي يصحّ بها الفعل، ويكاد يخرج عندنا من ظنّ بالأنبياء مثل ذلك عن باب التمييز والتكليف، ولكن كان غضبه عليه السلام على قومه لمقامهم على تكذيبه وإصرارهم على الكفر ويأسه من إقلاعهم وتوبتهم فخرج من بينهم خوفاً من أن ينزل العذاب بهم وهو مقيم بينهم، فأمّا قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ فمعناه أنّا لا نضيّق عليه المسلك، ونشدّد عليه المحنة والتكليف، لأنّ ذلك ممّا يجوز أن يظنّه النبيّ، ولا شكّ في أنّ قول القائل: قدّرت وقدرت بالتشديد والتخفيف معناه التضييق، قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ والتضييق الّذي قدَّره الله عليه هو ما لحقه من الحصول في بطن الحوت، وما لحقه في ذلك من المشقّة الشديدة إلى أن نجّاه الله تعالى منها.

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣) فهو على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع بين يديه، وليس لأحد أن يقول: كيف يعترف بأنّه كان من الظالمين ولم يقع منه ظلم؟ وذلك أنّه يمكن أن يريد أنّي من الّذين يقع منهم الظلم، فيكون صدقاً وإن ورد على سبيل الخشوع والخضوع، لأنّ جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم، والفائدة في ذلك التطامن لله تعالى والتخاضع ونفي التكبّر والتجبّر كما يقول الإنسان إذا أراد أن يكسر نفسه: إنّما أنا من البشر ولست من الملائكة، وأنا ممّن يخطئ ويصيب، وهو لا يريد إضافة الخطأ إلى نفسه. انتهى(٤).

(١) سورة الطلاق، الآية: ٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٦.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٤) تنزيه الأنبياء: ص ٩٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٨٨-٣٨٩، باب ٢٦/ ذيل ح ٧.

على ما ذكره رَحِمَهُ الله يحتمل أن يكون الغرض عدّ نعمه تعالى عليه بأنّي مع كوني ممّن يقع منه الظلم عصمتني عنه، فلو وكلتني إلى نفسي لكنت مثلهم ظالماً، ولكن بعصمتك نجّيتني، ومن آداب الدعاء والمسألة عدّ النعم السالفة للمنعم على السائل.

ثمّ قال رَحِمَهُ الله: ووجه آخر وهو أنّا قد بيّنّا في قصّة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّ المراد بذلك أنّا نقصنا الثواب وبخسنا حظّنا منه، لأنّ الظلم في أصل اللّغة: النقص والثلم، ومن ترك المندوب فقد ظلم نفسه من حيث نقصها ثواب ذلك.

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[1].

فليس على ما ظنّه الجهّال من أنّه ثقل عليه أعباء النبوّة لضيق خلقه فقذفها، وإنّما الصحيح أنّ يونس لم يقو على الصبر على تلك المحنة الّتي ابتلاه الله بها لغاية الثواب، فشكا إلى الله تعالى منها وسأله الفرج والخلاص، ولو صبر لكان أفضل، فأراد الله لنبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أفضل المنازل وأعلاها. انتهى[2].

وقد قيل فيه وجوه أُخر:

الأوّل: أن يكون هذا من باب التمثيل، يعني كانت حاله ومثله كحالة من ظنّ أن لن نقدر عليه في خروجه من قومه من غير انتظار لأمر الله.

والثاني: أن يفسّر القدر بالقضاء، فالمعنى: فظنّ أن لن نقضي عليه بشدّة وهو قول مجاهد وقتادة والضحّاك والكلبيّ، ورواية العوفيّ عن ابن عبّاس، واختيار الفرّاء والزجّاج، ويؤيّده أنّه قرئ في الشواذّ بضمّ النون وتشديد الدال المكسورة.

والثالث: أنّ المعنى: فظنّ أن لن نعمل فيه قدرتنا، لأنّ بين القدرة والفعل مناسبة فلا يبعد جعل أحدهما مجازاً عن الآخر.

الرابع: أنّه استفهام بمعنى التوبيخ.

ثمّ اختلفوا في الظلمات فقيل: أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت، وقيل: ظلمة اللّيل والبحر والحوت؛ وقيل: كان حوت في بطن حوت.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤٨.

(٢) تنزيه الأنبياء: ص ١٠١، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٨٩-٣٩٠، باب ٢١/ ذيل ح ٧

عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوّل من سوهم عليه مريم بنت عمران وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[١] والسهام ستة، ثمّ استهموا في يونس لمّا ركب مع القوم فوقفت السفينة في اللّجّة فاستهموا فوقع السهم على يونس ثلاث مرّات.

قال: فمضى يونس إلى صدر السفينة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى بنفسه. الخبر[٢].

عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ يونس لمّا آذاه قومه دعا الله عليهم فأصبحوا أوّل يوم ووجوههم مصفرَّة، وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم مسودّة قال: وكان الله واعدهم أن يأتيهم العذاب حتّى نالوه برماحهم، ففرّقوا بين النساء وأولادهنّ، والبقر وأولادها، ولبسوا المسوح والصوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم، والرماد على رؤوسهم، وضجّوا ضجّة واحدة إلى ربّهم وقالوا:

آمنّا بإله يونس، قال: فصرف الله عنهم العذاب إلى جبال آمد.

قال: وأصبح يونس وهو يظنّ أنّهم هلكوا فوجدهم في عافية فغضب وخرج - كما قال الله مغاضباً حتّى ركب سفينة فيها رجلان، فاضطربت السفينة فقال الملاّح: يا قوم في سفينتي لمطلوب.

فقال يونس: أنا هو، وقام ليلقي نفسه، فأبصر السمكة وقد فتحت فاها فهابها وتعلّق به الرجلان وقالا له: أنت ويحك ونحن رجلان؟ فساهمهم فوقعت السهام عليه فجرت السنّة بأنّ السهام إذا كانت ثلاث مرّات أنّها لا تخطئ، فألقى نفسه فالتقمه الحوت فطاف به البحار سبعة حتّى صار إلى البحر المسجور وبه يعذّب قارون، فسمع قارون دويّاً فسأل الملك عن ذلك، فأخبره أنّه يونس، وأنّ الله حبسه في بطن الحوت.

فقال له قارون: أتأذن لي أن أُكلّمه؟ فأذن له، فسأله عن موسى عليه السلام فأخبره أنّه مات فبكى، ثمَّ سأله عن هارون عليه السلام فأخبره أنّه مات فبكى وجزع جزعاً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٢) الخصال: ص ١٥٦/ باب الثلاثة/ح ١٩٨، والبحار: ج ١٤/ص ٣٩٠، باب ٢٦/ح ٨.

شديداً، وسأله عن أُخته كلثم وكانت مسمّاة له فأخبره أنّها ماتت فبكى وجزع جزعاً شديداً.

قال: فأوحى الله إلى الملك الموكّل به أن ارفع عنه العذاب بقيّة الدنيا لرقّته على قرابته(١).

الثماليّ قال: دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال: يا ابن الحسين أنت الّذي تقول: إنّ يونس بن متى إنّما لقي من الحوت ما لقي لأنّه عرضت عليه ولاية جدّي فتوقّف عندها؟

قال: بلى ثكلتك أُمّك.

قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين، فأمر بشدّ عينيه بعصابة وعينيّ بعصابة، ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه.

فقال ابن عمر: يا سيّدي دمي في رقبتك، الله الله في نفسي.

فقال: هيه وأُريه ان كنت من الصادقين.

ثمّ قال: يا أيّها الحوت، قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبّيك لبّيك يا وليّ الله.

فقال: من أنت؟

قال: أنا حوت يونس يا سيّدي.

قال: أنبئنا بالخبر.

قال: يا سيّدي إنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً من آدم إلى أن صار جدّك محمّد إلاّ وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلّص، ومن توقّف عنها وتمنّع من حملها لقي ما لقي آدم عليه السلام من المعصية، وما لقي نوح عليه السلام من الغرق، وما لقي إبراهيم عليه السلام من النار، وما لقي يوسف عليه السلام من الجبّ، وما لقي أيّوب عليه السلام من البلاء، وما لقي داود عليه السلام من الخطيئة إلى

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ١٤٤، ح/ ٤٦ من سورة يونس، والبحار: ج ١٤/ ص ٣٩٩-٤٠٠، باب ٢٦/ ح ١٣.

أن بعث الله يونس عليه السلام، فأوحى الله إليه: أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين عليّاً والأئمّة الراشدين من صلبه في كلام له.

قال: فكيف أتولّى من لم أره ولم أعرفه، وذهب مغتاظاً، فأوحى الله تعالى إليّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً، فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث، ينادي: إنّه لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين، قد قبلت ولاية عليّ بن أبي طالب والأئمّة الراشدين من ولده، فلمّا أن آمن بولايتكم أمرني ربّي فقذفته على ساحل البحر.

فقال زين العابدين عليه السلام: ارجع أيّها الحوت إلى وكرك؛ واستوى الماء[1]



(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٤/ص ٤٥٠؛ والبحار: ج ١٤/ص ٤٠١-٤٠٢، باب ٢١/ح ١٥

قصة أصحاب الكهف والرقيم

قال المفسّرون: اختلف في معنى الرقيم فقيل: إنّه كان اسم الوادي الّذي كان فيه الكهف؛ وقيل: هو اسم الجبل.

وقيل: هو القرية الّتي خرجوا منها؛ وقيل: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصّتهم ثمّ وضعوه على باب الكهف.

وقيل: جعل ذلك اللّوح في خزائن الملوك لأنّه من عجائب الأُمور؛ وقيل: الرقيم اسم كلبهم.

وقيل: الرقيم: كتاب، ولذلك الكتاب خبر، ولم يخبر الله عمّا فيه.

وقيل: إنّ أصحاب الرقيم هم الثلاثة الّذين دخلوا في غار فانسدّ عليهم كما سيأتي شرحه ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ أي من الأمر الّذي نحن عليه من مفارقة الكفّار ﴿رَشَدًا﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا كلّه رشداً كقولك: رأيت منك أسداً ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي ضربنا عليها حجاباً يمنع السماع، أي أنمناهم إنامة لا ينبّههم فيها الأصوات، فحذف المفعول ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليتعلّق علمنا تعلّقاً حاليّاً مطابقاً لتعلّقه أوّلاً تعلّقاً استقباليّاً ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف حين وقع بينهم التنازع في مدّة لبثهم.

وقيل: يعني بالحزبين أصحاب الكهف لمّا استيقظوا، اختلفوا في مقدار لبثهم ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ قالوا أي شبّان، وسيأتي في الخبر تفسيره ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي قوّيناها وشددنا عليها بالألطاف والخواطر المقوّية للإيمان حتّى وطّنوا أنفسهم على إظهار الحقّ، والثبات على الدين، والصبر على المشاقّ ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين

يدي ملكهم ﴿لَقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ والله لقد قلنا قولاً ذا شطط، أي ذا بعد عن الحقّ، مفرط في الظلم ﴿عَلَيْهِم﴾ أي على عبادتهم ﴿بِسُلْطَٰنِۭ بَيِّنٍ﴾ أي ببرهان ساطع ظاهر ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ هذا خطاب بعضهم لبعض.

وقال ابن عبّاس: هذا قول تمليخا ﴿مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ أي ما ترفقون وتنتفعون به ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾[1]. تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم، لأنّ الكهف كان جنوبيّاً، أو لأنَّ الله زوّرها عنهم، والزور: الميل ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي جهة اليمين ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ أي تعدل عنهم وتتركهم ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في متّسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حرّ الشمس، وذلك أنّ باب الكهف كان في مقابلة بنات نعش، وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه، وأنّ الشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن، وهو الّذي يلي المغرب، وتغرب محاذية لجانبه الأيسر، فيقع شعاعها على جنبيه، ويحلّل عفونته، ويعدّل هواه، ولا يقع عليهم فيؤذي أجسادهم ويبلي ثيابهم؛ وقيل: بل الله صرف عنهم الشمس بقدرته ﴿وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ من يليه ويرشده ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ لانفتاح عيونهم، أو لكثرة تقلّبهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي نيام، ونقلّبهم كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم ﴿وَكَلْبُهُم﴾ أي كلب الراعي الّذي تبعهم؛ وقيل: إنّهم مرّوا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم: ما تريدون منّي؟ لا تخشوا خيانتي فأنا أُحبّ أولياء الله فناموا حتّى أحرسكم؛ وقيل: كان كلب صيدهم ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف.

وقيل: الوصيد: الباب؛ وقيل: العتبة ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ خوفاً يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة، أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم؛ وقيل: لوحشة مكانهم.

وقال الطبرسيّ: روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: غزوت مع معاوية نحو الروم فمرّوا بالكهف الّذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠-١٧.

عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقلت له: ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك، قال الله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ﴾[1] الآية.

فقال معاوية: لا أنتهي حتّى أعلم علمهم، فبعث رجالاً فلمّا دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحاً أخرجتهم[2].

عن نافع أنّ عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل، فبينما هم فيه انحطّت صخرة فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أفضل أعمال عملتموها فسلوه بها لعلّه يفرّج عنكم.

قال أحدهم: اللّهمّ إنّه كان لي والدان كبيران وكانت لي امرأة وأولاد صغار فكنت أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم غنمي بدأت بوالديَّ فسقيتهما، فلم آت حتّى نام أبواي فطيّبت الإناء ثمَّ حلبت، ثمّ قمت بحلابي عند رأس أبويّ والصبية ينضاعون عند رجلي، أكره أن أبدأ بهم قبل أبويّ، وأكره أن أُوقظهما من نومهما، فلم أزل كذلك حتّى أضاء الفجر اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا فرجة نرى منها السّماء، ففرج لهم فرجة فرأوا منها السماء.

وقال الآخر: اللّهمّ إنّه كانت لي بنت عمّ فأحببتها حبّاً كانت أعزّ الناس إليّ، فسألتها نفسها، فقالت: لا حتّى تأتيني بمائة دينار، فسعيت حتّى جمعت مائة دينار فأتيتها بها، فلمّا كنت بين رجليها قالت: اتّق الله ولا تفتح الخاتم إلاّ بحقّه، فقمت عنها، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا فيها فرجة، ففرّج الله لهم فيها فرجة.

وقال الثالث: اللّهم إنّي كنت استأجرت أجيراً بفرق ذرة، فلمّا قضى عمله عرضت عليه فأبى أن يأخذها ورغب عنه، فلم أزل أعتمل به حتّى جمعت منه بقراً ورعاتها، فجاءني وقال: اتّق الله وأعطني حقّي ولا تظلمني، فقلت له: اذهب إلى

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٧ و١٨.

(٢) مجمع البيان: ج ٦/ ص ٤٥٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٠٨-٤٠٩، باب ٢٧ تفسير آية من سورة

تلك البقر ورعاتها فخذها فذهب واستاقها، اللّهم إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنّا ما بقي منها ففرّج الله عنهم فخرجوا يتماشون[١].

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾[٢] يقول: قد آتيناك من الآيات ما هو أعجب منه، وهم فتية كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأمّا الرقيم فهما لوحان من نحاس مرقوم، أي مكتوب فيهما أمر الفتية وأمر إسلامهم وما أراد منهم دقيانوس الملك وكيف كان أمرهم وحالهم.

قال عليّ بن إبراهيم: فحدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبب نزول سورة الكهف أنّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران: النضر ابن حارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهميّ ليتعلّموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم فقالوا: اسألوه عن ثلاث مسائل فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثمّ سلوه عن مسألة واحدة فإن ادّعى علمها فهو كاذب، قالوا: وما هذه المسائل؟

قالوا: اسألوه عن فتية كانوا في الزمن الأوّل فخرجوا وغابوا وناموا كم بقوا في نومهم حتّى انتبهوا وكم كان عددهم؟

وأيّ شيء كان معهم من غيرهم؟

وما كان قصّتهم؟

واسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتّبع العالم ويتعلّم منه من هو؟ وكيف تبعه؟

وما كان قصّته معه؟

واسألوه عن طائف طاف من مغرب الشمس ومطلعها حتّى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج من هو؟ وكيف كان قصّته؟

ثمّ أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث المسائل، وقالوا لهم: إن أجابكم بما قد

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٤٠٨، والبحار: ج ١٤/ص ٤٢١-٤٢٢، باب ٢٧/ح ٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩.

أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدّقوه، قالوا: فما المسألة الرابعة؟

قالوا: اسألوه متى تقوم الساعة؟ فإن ادّعى علمها فهو كاذب، فإنّ قيام الساعة لا يعلمه إلاّ الله تبارك وتعالى.

فرجعوا إلى مكّة واجتمعوا إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك يزعم أنّ خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل، فإن أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يخبرنا علمنا أنّه كاذب، فقال أبو طالب: سلوه عمّا بدا لكم، فسألوه عن الثلاث المسائل.

فقال رسول الله ﷺ: غداً أُخبركم ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتّى اغتمّ النبيّ وشكّ أصحابه الّذين كانوا آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤوا وآذوا، وحزن أبو طالب، فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً نزل عليه جبرئيل بسورة الكهف.

فقال رسول الله: يا جبرئيل لقد أبطأت، فقال: إنّا لا نقدر أن ننزل إلاّ بإذن الله، فأنزل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يا محمّد ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ ثمّ قصّ قصّتهم، فقال: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

فقال الصادق عليه السلام: إنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبّارعات، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام، فمن لم يجبه قتله، وكان هؤلاء قوماً مؤمنين يعبدون الله عزّ وجلّ، ووكّل الملك بباب المدينة حرساً ولم يدع أحداً يخرج حتّى يسجد الأصنام، وخرج هؤلاء بعلّة الصيد، وذلك أنّهم مرّوا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم، وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم.

فقال الصادق عليه السلام: فلا يدخل الجنّة من البهائم إلاّ ثلاثة: حمار بلعم بن باعوراء، وذئب يوسف، وكلب أصحاب الكهف.

فخرج أصحاب الكهف من المدينة بعلّة الصيد هرباً من دين ذلك الملك، فلمّا أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم، فألقى الله عليهم النعاس كما قال تبارك

وتعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[1] فناموا حتّى أهلك الله ذلك الملك وأهل مملكته وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون ثمّ انتبهوا.

فقال بعضهم لبعض: كم نمنا ههنا؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا:

نمنا يوماً أو بعض يوم، ثمّ قالوا لواحد منهم: خذ هذا الورق وادخل المدينة متنكّراً لا يعرفوك فاشتر لنا طعاماً، فإنّهم إن علموا بنا وعرفونا قتلونا أو ردّونا في دينهم، فجاء ذلك الرجل فرأى المدينة بخلاف الّذي عهدها، ورأى قوماً بخلاف أُولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم، فقالوا له: من أنت؟ ومن أين جئت؟

فأخبرهم، فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتّى وقفوا على باب الكهف، وأقبلوا يتطلّعون فيه، فقال بعضهم:

هؤلاء ثلاثة ورابعهم كلبهم، وقال بعضهم: هم خمسة وسادسهم كلبهم.

وقال بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وحجبهم الله بحجاب من الرعب فلم يكن أحد يقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم، وإنّه لمّا دخل عليهم وجدهم خائفين أن يكونوا أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنّهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل، وأنّهم آية للناس، فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا، ثمّ قال الملك: ينبغي أن نبني ههنا مسجداً ونزوره فإنّ هؤلاء قوم مؤمنون، فلهم في كلّ سنة نقلتين ينامون ستّة أشهر على جنوبهم اليمنى، وستّة أشهر على جنوبهم اليسرى والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف وذلك قوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي خبرهم إلى قوله: ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي بالفناء ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي أنبهناهم إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وهم الّذين ذهبوا إلى باب الكهف إلى قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال الله لنبيّه ﷺ قل لهم: ﴿رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ثمّ انقطع خبرهم، فقال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخبره أنّه

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٩-١١.

إنّما حبس الوحي أربعين صباحاً لأنّه قال لقريش: غداً أُخبركم بجواب مسائلكم ولم يستثن، فقال الله: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ﴾ إلى قوله ﴿رُشْدًا﴾ ثمّ عطف على الخبر الأوّل الّذي حكى عنهم أنّهم يقولون: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فقال: ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ وهو حكاية عنهم، ولفظه خبر، والدليل على أنه حكاية عنهم قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ يعني جوراً على الله إن قلنا: إنّ له شريكاً، وقوله: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ يعني بحجّة بيّنة أنّ معه شريكاً، وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ يقول: ترى أعينهم مفتوحة ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ يعني نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ في كلّ عام مرّتين لئلاّ تأكلهم الأرض، وقوله: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ يقول: أيّها أطيب طعاماً؛ وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني أطلعنا على الفتية ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ في البعث ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يعني لا شكّ فيها بأنّها كائنة، وقوله ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ يعني ظنّاً بالغيب ما يستفتونهم، وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ يقول: حسبك ما قصصنا عليك من أمرهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾(١) يقول: لا تسأل عن أصحاب الكهف أحداً من أهل الكتاب(٢).

عن الحسن بن محمّد الحضرميّ، عن عبد الله بن يحيى الكاهليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب الكهف فقال: لو كلّفكم قومكم ما كلّفهم قومهم فافعلوا فعلهم، فقيل له: وما كلّفهم قومهم؟

قال: كلّفوهم الشرك بالله فأظهروه لهم، وأسرّوا الإيمان حتّى جاءهم الفرج.

وقال: إنّ أصحاب الكهف كذبوا فآجرهم وصدقوا فآجرهم الله.

وقال: كانوا صيارفة كلام، ولم يكونوا صيارفة الدراهم.

وقال: خرج أصحاب الكهف على غير ميعاد، فلمّا صاروا في الصحراء أخذ

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٣-٢٢.

(٢) تفسير القمي: ج ٢/ ص ٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٢٢-٤٢٥، باب ٢٧/ ح ٤.

هذا على هذا وهذا على هذا العهد والميثاق، ثمّ قال: أظهروا أمركم فأظهروه فإذا هم على أمر واحد.

وقال: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر، فكانوا على إظهارهم الكفر أعظم أجراً منهم على إسرارهم الإيمان.

وقال: ما بلغت تقيّة أحد ما بلغت تقية أصحاب الكهف وإن كانوا ليشدّون الزنانير، ويشهدون الأعياد، فأعطاهم الله أجرهم مرّتين(١).

عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أصحاب الكهف كذبوا الملك فأُجروا، وصدقوا فأُجروا(١).

عن البزنطيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾.

قال: هم قوم فقدوا، فكتب ملك ذلك الزمان أسماءهم وأسماء آبائهم وعشائرهم في صحف من رصاص(١).

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الكفر، فآجرهم الله مرّتين(٢).

عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج أصحاب الكهف على غير معرفة ولا ميعاد، فلمّا صاروا في الصحراء أخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق، فأخذ هذا على هذا وهذا على هذا، ثمّ قالوا: أظهروا أمركم فأظهروه فإذا هم على أمر واحد(٢).

عن درست، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه ذكر أصحاب الكهف فقال: كانوا صيارفة كلام، ولم يكونوا صيارفة دراهم(٢).



---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص٢٥٣-ط٢٥، والبحار: ج١٤/ ص٤٢٥-٤٢٦، باب٢٧/ح ٥ و٦.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٣٤٧-٣٥٠/ح ٣ و١١ و٧ من سورة الكهف، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٢٨/ باب ٢٧/ح ٩ و١١ و١٢.

قصة أصحاب الاخدود

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ أي يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ قال: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم القيامة ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[(١)].

قال: كان سببهم أنّ الّذي هيّج الحبشة على غزوة اليمن ذو نواس وهو آخر من ملك من حمير تهوّد واجتمعت معه حمير على اليهوديّة، وسمّى نفسه يوسف وأقام على ذلك حيناً من الدهر، ثمّ أُخبر أنّ بنجران بقايا قوم على دين النصرانية، وكانوا على دين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى حكم الإنجيل، ورأس ذلك الدين عبد الله بن بريامن، حمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهوديّة ويدخلهم فيها، فسار حتّى قدم نجران، فجمع من كان بها على دين النصرانيّة ثمّ عرض عليهم دين اليهوديّة والدخول فيها فأبوا عليه فجادلهم وعرض عليهم وحرَّص الحرص كلّه فأبوا عليه وامتنعوا من اليهوديّة والدخول فيها، واختاروا القتل، فخدَّ لهم أخدوداً وجمع فيه الحطب وأشعل فيه النار، فمنهم من أُحرق بالنار، ومنهم من قتل بالسيف ومثّل بهم كلّ مثلة، فبلغ عدد من قتل وأُحرق بالنار عشرين ألفاً، وأفلت رجل منهم يدعى دوس على فرس له وركضه واتّبعوه حتّى أعجزهم في الرمل، ورجع ذونواس إلى ضيعة في جنوده، فقال الله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي أحرقوهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[(٢)] [(٣)].

عن جابر، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إنّ أُسقفّ نجران دخل على أمير

---

(١) سورة البروج، الآيات: ٢-٤.

(٢) سورة البروج، الآيات: ٨-١٠.

(٣) تفسير القمي، ج ٢/ص ٤٠٩، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٣٨-٤٣٩، باب ٢٨/ح ١.

المؤمنين عليه السلام فجرى ذكر أصحاب الأُخدود، فقال عليه السلام: بعث الله تعالى نبيّاً حبشيّاً إلى قومه وهم حبشيّة فدعاهم إلى الله تعالى، فكذّبوه وحاربوه وظفروا به وخدّوا الخدود وجعلوا فيها الحطب والنار، فلمّا كان حرّاً قالوا لمن كان على دين ذلك النبيّ: اعتزلوا وإلاّ طرحناكم فيها، فاعتزل قوم كثير، وقذف فيها خلق كثير حتّى وقعت امرأة ومعها ابن لها من شهرين، فقيل لها:

إمّا أن ترجعي وإمّا أن تقذفي في النار، فهمّت تطرح نفسها فلمّا رأت ابنها رحمته، فأنطق الله تعالى الصبيّ وقال: يا أُمّاه ألقي نفسك وإيّاي في النار، فإنّ هذا في الله قليل.

وتلا عند الصادق عليه السلام رجل: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ فقال: قتل أصحاب الأُخدود. وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن المجوس أيّ أحكام تجري فيهم؟

قال: هم أهل الكتاب، كان لهم كتاب وكان لهم ملك سكر يوماً فوقع على أُخته وأُمّه، فلمّا أفاق ندم وشقّ ذلك عليه، فقال للناس: هذا حلال، فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم وحفر لهم الأُخدود ويلقيهم فيها(١).

عن جابر الجعفيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: بعث الله نبيّاً حبشيّاً إلى قومه فقاتلهم، فقتل أصحابه وأُسروا وخدّوا لهم أُخدوداً من نار ثمّ نادوا: من كان من أهل ملّتنا فليعتزل، ومن كان على دين هذا النبيّ فليقتحم النار، فجعلوا يقتحمون، وأقبلت امرأة معها صبيّ لها فهابت النار، فقال لها: اقتحمي.

قال: فاقتحمت النار، وهم أصحاب الأخدود(٢).

قال الطبرسيّ رحمه الله: روى مسلم في الصحيح، عن هدية بن خالد، عن حمّاد ابن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر، فلمّا مرض الساحر قال:

إنّي قد حضر أجلي فادفع إليّ غلاماً أُعلّمه السحر، فدفع إليه غلاماً، وكان يختلف إليه، وبين الساحر والملك راهب، فمرّ الغلام بالراهب فأعجبه كلامه

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٤٦، والبحار: ج ١٤/ص ٤٣٩-٤٠٤، باب ٢٨/ح ٢.
(٢) المحاسن: ص ٢٤٩، والبحار: ج ١٤/ص ٤٤٠-٤٤١، باب ٢٨/ح ٥.

وأمره، فكان يطيل عنده القعود فإذا أبطأ عن الساحر ضربه، وإذا أبطأ عن أهله ضربوه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: يا بنيّ إذا استبطأك الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا استبطأك أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد غشيتهم دابّة عظيمة فظيعة، فقال: اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب، فأخذ حجراً فقال:

اللّهمّ إنّ كان أمر الراهب أحبّ إليك فاقتل هذه الدابّة، فرمى فقتلها ومضى الناس فأخبر بذلك الراهب فقال: أي بنيّ إنّك ستبتلى فإذا ابتليت فلا تدلّ عليّ.

قال: وجعل يداوي الناس فيبرئ الأكمه والأبرص، فبينما هو كذلك إذ عمي جليس للملك، فأتاه وحمل إليه مالاً كثيراً فقال: اشفني ولك ما ههنا.

فقال: إنّي لا أشفي أحداً، ولكن يشفي الله، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك.

قال: فآمن فدعا الله له فشفاه، فذهب فجلس إلى الملك فقال: يا فلان من شفاك؟

قال: ربّي.

قال: أنا؟

قال: لا ربّي وربّك الله.

قال: أو إنّ لك ربّاً غيري؟

قال: نعم ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل به حتى دلّه على الغلام، فبعث إلى الغلام فقال: لقد بلغ من أمرك أن تشفي الأكمه والأبرص؟

قال: ما أشفي أحداً، ولكن ربّي يشفي.

قال: أو إنّ لك ربّاً غيري؟

قال: نعم ربّي وربّك الله، فأخذه فلم يزل به حتّى دلّه على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتّى وقع شقّين، وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى فأرسل معه نفراً فقال: اصعدوا به جبل كذا وكذا، فإن رجع عن دينه وإلاّ فدهدهوه منه.

قال: فعلوا به الجبل فقال: اللّهمّ اكفنيهم بمَا شئت، قال: فرجف بهم الجبل فتدهدهوا أجمعون وجاء إلى الملك فقال: ما صنع أصحابك؟

قال: كفانيهم الله، فأرسل به مرّة أُخرى.

قال: انطلقوا به فلجّجوه في البحر، فإن رجع وإلاّ فغرّقوه، فانطلقوا به في قرقور فلمّا توسّطوا به البحر قال: اللهمّ اكفنيهم بما شئت، قال فانكفأت بهم السفينة، وجاء حتّى قام بين يدي الملك.

فقال: ما صنع أصحابك؟

قال: كفانيهم الله، ثمّ قال: إنّك لست بقاتلي حتّى تفعل ما آمرك به: اجمع الناس ثمّ اصلبني على جذع ثمّ خذ سهماً من كنانتي ثمّ ضعه على كبد القوس ثمّ قل: باسم ربّ الغلام، فإنّك ستقتلني.

قال: فجمع الناس وصلبه، ثمّ أخذ سهماً من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال: باسم ربّ الغلام، ورمى فوقع السهم في صدغه ومات.

فقال الناس: آمنّا بربّ الغلام.

فقيل له: أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك، آمن الناس، فأمر بالأخدود فخدّدت على أفواه السكك، ثمّ أضرمها ناراً فقال: من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فأقحموه فيها، فجعلوا يقتحمونها، وجاءت امرأة بابن لها فقال لها: يا أُمّة اصبري فإنّك على الحقّ.

وقال ابن المسيّب: كنّا عند عمر بن الخطّاب إذ ورد عليه أنّهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه، فكلّما مدّت يده عادت إلى صدغه، فكتب عمر: واروه حيث وجدتموه.

وروى سعيد بن جبير قال: لمّا انهزم أهل اسفندهان قال عمر بن الخطّاب: ما هم بيهود ولا نصارى، ولا لهم كتاب وكانوا مجوساً، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: بلى قد كان لهم كتاب ولكنّه رفع، وذلك أنّ ملكاً لهم سكر فوقع على ابنته - أو قال: على أُخته - فلمّا أفاق قال لها: كيف المخرج ممّا وقعت فيه؟

قالت: تجمع أهل مملكتك وتخبرهم أنّك ترى نكاح البنات وتأمرهم أن يحلّوه، فجمعهم فأخبرهم، فأبوا أن يتابعوه فخدّ لهم أُخدوداً في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها، فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار، ومن أجاب خلّى سبيله.

وقال الحسن: كان النبيّ ﷺ إذا ذكر عنده أصحاب الأخدود تعوّذ بالله من جهد البلاء.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أرسل عليٌّ عليه السلام إلى أُسقفّ نجران يسأله عن أصحاب الأُخدود فأخبره بشيء، فقال عليّ عليه السلام: ليس كما ذكرت، ولكن سأُخبرك عنهم، إنّ الله بعث رجلاً حبشيّاً نبيّاً وهم حبشيّة فكذّبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروا أصحابه، ثمّ بنوا له حيراً، ثمّ ملؤوه ناراً، ثمّ جمعوا الناس فقالوا:

من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النار، فجاءت امرأة معها صبيٌّ لها ابن شهر، فلمّا هجمت على النار هابت ورقّت على ابنها.

فناداها الصبيّ: لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النار فإنّ هذا والله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار وصبيّها وكان ممّن تكلّم في المهد.

وبإسناده عن ميثم التمّار قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وذكر أصحاب الأُخدود فقال: كانوا عشرة، وعلى مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق.

وقال مقاتل: كان أصحاب الأُخدود ثلاثة: واحد منهم بنجران، والآخر بالشام، والآخر بفارس، حرقوا بالنار:

أمّا الّذي بالشام: فهو أنطياخوس الروميّ.

وأمّا الّذي بفارس: فهو بخت نصّر.

وأمّا الّذي بأرض العرب: فهو يوسف بن ذي نواس.

فأمّا ما كان بفارس والشام: فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآناً، وأنزل في الّذي كان بنجران.

وذلك أنّ رجلين مسلمين ممّن يقرؤون الإنجيل أحدهما بأرض تهامة والآخر بنجران اليمن آجر أحدهما نفسه في عمل يعمله، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمق حتّى رآه، فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتّى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين

إنساناً من رجل وامرأة، وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء فسمع يوسف ابن ذي نواس بن سراحيل بن تبّع الحميريّ فخدّ لهم في الأرض، وأوقد فيها، فعرضهم على الكفر فمن أبى قذفه في النار، ومن رجع عن دين عيسى عليه السلام لم يقذف فيها، وإذا امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلّم، فلمّا قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت، فقال لها:

يا أُمّاه إنّي أرى أمامك ناراً لا تطفأ، فلمّا سمعت من ابنها ذلك قذفا في النار، فجعلها الله وابنها في الجنّة، وقذف في النار سبعة وسبعون.

قال ابن عبّاس: من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط، فأُدخل أرواحهم إلى الجنّة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار[١].



(١) مجمع البيان: ج ١٠/ص ٣١٢، والبحار: ج ١٤/ص ٤٤١-٤٤٤، باب ٢٨/ ذيل ح ٥.

قصة جرجيس عَلَيْهِ السَّلَامُ

عن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث الله جرجيس عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ملك بالشام يقال له: داذانة يعبد صنماً.

فقال له: أيّها الملك اقبل نصيحتي، لا ينبغي للخلق أن يعبدوا غير الله تعالى، ولا يرغبوا إلاّ إليه.

فقال له الملك: من أيّ أرض أنت؟

قال: من الروم قاطنين بفلسطين، فأمر بحبسه، ثمّ مشط جسده بأمشاط من حديد حتّى تساقط لحمه ونضح جسده بالخلّ، ودلكه بالمسوح الخشنة، ثمّ أمر بمكاوي من حديد تحمى فيكوى بها جسده، ولمّا لم يقتل أمر بأوتاد من حديد فضربوها في فخذيه وركبتيه وتحت قدميه، فلمّا رأى أنّ ذلك لم يقتله أمر بأوتاد طوال من حديد فوقذت في رأسه فسال منها دماغه، وأمر بالرصاص فأُذيب وصبّ على أثر ذلك، ثمّ أمر بسارية من حجارة كانت في السجن لم ينقلها إلاّ ثمانية عشر رجلاً فوضعت على بطنه، فلمّا أظلم اللّيل وتفرّق عنه الناس رآه أهل السجن وقد جاءه ملك فقال له:

يا جرجيس إنّ الله تعالى جلّت عظمته يقول: اصبر وأبشر ولا تخف، إنّ الله معك يخلّصك، وإنّهم يقتلونك أربع مرّات في كلّ ذلك أرفع عنك الألم والأذى.

فلمّا أصبح الملك دعاه فجلده بالسياط على الظهر والبطن، ثمّ ردّه إلى السجن، ثمّ كتب إلى أهل مملكته أن يبعثوا إليه بكلّ ساحر، فبعثوا بساحر استعمل كلّ ما قدر عليه من السحر فلم يعمل فيه، ثمّ عمل إلى سمّ فسقاه فقال جرجيس:

«بسم الله الذي يضل عند صدقه كذب الفجرة وسحر السحرة» فلم يضرّه.

فقال الساحر: لو أنّي سقيت بهذا أهل الأرض لنزعت قواهم، وشوّهت خلقهم، وعميت أبصارهم، فأنت يا جرجيس النور المضيء، والسراج المنير، والحقّ اليقين، أشهد أنّ إلهك حقّ، وما دونه باطل، آمنت به وصدّقت رسله، وإليه أتوب بما فعلت، فقتله الملك.

ثمّ أعاد جرجيس عليه السلام إلى السجن وعذّبه بألوان العذاب، ثمّ قطعه أقطاعاً، وألقاها في جبّ، ثمّ خلا الملك الملعون وأصحابه على طعام له وشراب فأمر الله تعالى جلّ وعلا إعصاراً أنشأت سحابة سوداء وجاءت بالصواعق ورجفت الأرض وتزلزلت الجبال حتّى أشفقوا أن يكون هلاكهم، وأمر الله ميكائيل فقام على رأس الجبّ وقال:

قم يا جرجيس بقوة الله الّذي خلقك فسوّاك، فقام جرجيس حيّاً سويّاً وأخرجه من الجبّ، وقال:

اصبر وأبشر، فانطلق جرجيس حتّى قام بين يدي الملك وقال:

بعثني الله ليحتجَّ بي عليكم، فقام صاحب الشرطة وقال:

آمنت بإلهك الّذي بعثك بعد موتك، وشهدت أنّه الحقّ، وجميع الآلهة دونه باطل، واتّبعه أربعة آلاف آمنوا وصدّقوا جرجيس عليه السلام فقتلهم الملك جميعاً بالسيف، ثمّ أمر بلوح من نحاس أُوقد عليه النار حتّى احمرّ فبسط عليه جرجيس، وأمر بالرصاص فأُذيب وصبّ في فيه، ثمّ ضرب الأوتاد في عينيه ورأسه، ثمّ ينزع ويفرغ بالرصاص مكانه، فلمّا رأى أنّ ذلك لم يقتله فأوقد عليه النار حتّى مات وأمر برماده فذرّ في الرياح، فأمر الله تعالى رياح الأرضين في اللّيلة فجمعت رماده في مكان، فأمر ميكائيل فنادى جرجيس فقام حيّاً سويّاً بإذن الله، فانطلق جرجيس إلى الملك وهو في أصحابه، فقام رجل وقال:

إنّ تحتنا أربعة عشر منبراً ومائدة بين أيدينا وهي من عيدان شتّى، منها ما يثمر ومنها ما لا يثمر، فسل ربّك أن يلبس كلّ شجرة منها لحاها، وينبت فيها ورقها وثمرها، فإن فعل ذلك فإنّي أُصدّقك، فوضع جرجيس ركبتيه على الأرض ودعا ربّه تعالى عظم شأنه فما برح مكانه حتّى أثمر كلّ عود فيها ثمرة، فأمر به الملك

فمدّ بين الخشبتين ووضع المنشار على رأسه فنشر حتّى سقط المنشار من تحت رجليه ثمّ أمر بقدر عظيمة فأُلقي فيها زفت وكبريت ورصاص وأُلقي فيها جسد جرجيس فطبخ حتّى اختلط ذلك كلّه جميعاً، فأظلمت الأرض لذلك، وبعث الله إسرافيل فصاح صيحة خرّ منها الناس لوجوههم، ثمّ قلب إسرافيل القدر فقال:

قم يا جرجيس بإذن الله، فقام حيّاً سويّاً بقدرة الله، وانطلق جرجيس إلى الملك، ولمّا رأى الناس عجبوا منه فجاءته امرأة وقالت:

أيّها العبد الصالح كان لنا ثور نعيش به فمات.

فقال لها جرجيس: خذي عصاي هذه فضعيها على ثورك وقولي: إنّ جرجيس يقول:

قم بإذن الله، ففعلت فقام حيّاً فآمنت بالله. فقال الملك: إن تركت هذا الساحر أهلك قومي فاجتمعوا كلّهم أن يقتلوه، فأمر به أن يخرج ويقتل بالسيف.

فقال جرجيس عليه السلام لمّا أُخرج: لا تعجلوا عليّ.

فقال: اللّهمّ إن أهلكت أنت عبدة الأوثان أسألك أن تجعل اسمي وذكري صبراً لمن يتقرّب إليك عند كلّ هول وبلاء، ثمّ ضربوا عنقه فمات، ثمّ أسرعوا إلى القرية فهلكوا كلّهم(١).



(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٣٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٤٥-٤٤٧، باب ٢٩/ح ١.

قصة خالد بن سنان العبسي عليه السلام

عن بشير النبّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ جاءته امرأة فرحّب بها وأخذ بيدها وأقعدها، ثمّ قال: ابنة نبيّ ضيّعه قومه خالد ابن سنان، دعاهم فأبوا أن يؤمنوا وكانت نار يقال لها: نار الحدثان، تأتيهم كلّ سنة فتأكل بعضهم، وكانت تخرج في وقت معلوم.

فقال لهم: إن رددتها عنكم تؤمنون؟

قالوا: نعم.

قال: فجاءت فاستقبلها بثوبه فردّها ثمّ تبعها حتّى دخلت كهفها ودخل معها، وجلسوا على باب الكهف وهم يرون أن لا يخرج أبداً، فخرج وهو يقول: هذا هذا، وكلّ هذا من ذا، زعمت بنو عبس أنّي لا أخرج وجبيني يندى، ثمّ قال: تؤمنون بي؟

قالوا: لا.

قال: فإنّي ميّت يوم كذا وكذا، فإذا أنا متّ فادفنوني فإنّه سيجيء عانة من حمر يقدمها عيرٌ أبتر حتّى يقف على قبري فانبشوني وسلوني عمّا شئتم، فلمّا مات دفنوه، وكان ذلك اليوم إذ جاءت العانة اجتمعوا وجاؤوا يريدون نبشه، فقالوا:

ما آمنتم به في حياته، فكيف تؤمنون به بعد وفاته؟! ولئن نبشتموه ليكوننّ سبّة عليكم، فاتركوه فتركوه[1].

عن بشير النبّال، عن الصادق عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذا امرأة

---

(١) روضة الكافي: ص ٨٣٣/ح ٥٤٠، والبحار: ج ١٤/ص ٤٤٨، باب ٣٠/ح ١.

أقبلت تمشي حتّى انتهت إليه فقال لها: مرحباً بابنة نبيّ ضيّعه قومه أخي خالد بن سنان العبسيّ؛ ثمّ قال: إنّ خالداً دعا قومه فأبوا أن يجيبوه، وكانت نار تخرج في كلّ يوم فتأكل ما تليها من مواشيهم وما أدركت لهم.

فقال لقومه: أرأيتم إن رددتها عنكم أتؤمنون بي وتصدّقونني؟

قالوا: نعم، فاستقبلها فردّها بقوّة حتّى أدخلها غاراً وهم ينظرون، فدخل معها فمكث حتّى طال ذلك عليهم، فقالوا: إنّا لنراها قد أكلته فخرج منها.

فقال: أتجيبونني وتؤمنون بي؟

قالوا: نار خرجت ودخلت لوقت، فأبوا أن يجيبوه فقال لهم: إنّي ميّت بعد كذا فإذا أنا متّ فادفنوني، ثمّ دعوني أيّاماً فانبشوني، ثمّ سلوني أُخبركم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فلمّا كان الوقت جاء ما قال فقال بعضهم: لم نصدّقه حيّاً نصدّقه ميّتاً؟ فتركوه، وإنّه كان بين النبيّ ﷺ وعيسى عليه السلام ولم يكن بينهما فترة[١].

قال الصادق عليه السلام في أسئلة الزنديق الّذي سأله عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني عن المجوس هل بعث إليهم خالد بن سنان؟

قال عليه السلام: إنّ خالداً كان عربيّاً بدويّاً وما كان نبيّاً، وإنّما ذلك شيء يقوله الناس[٢].



(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٧٧، والبحار: ج ١٤/ص ٤٥٠، باب ٣٠/ح ٢.
(٢) الإحتجاج: ص ٣٤٦، والبحار: ج ١٤/ص ٤٥١، باب ٣٠/ح ٤.

ما ورد بلفظ نبيّ من الأنبياء وبعض نوادر أحوالهم وأحوال اممهم وفيه ذكر نبيّ المجوس

بإسناد العلويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ نبيّاً من أنبياء الله بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه فبقي فيهم أربعين سنة فلم يؤمنوا به، فكان لهم عيد في كنيسة فأتبعهم ذلك النبيّ فقال لهم: آمنوا بالله، قالوا له: إن كنت نبيّاً فادع لنا الله أن يجيئنا بطعام على لون ثيابنا، وكانت ثيابهم صفراء، فجاء بخشبة يابسة فدعا الله عزّ وجلّ عليها فاخضرّت وأينعت وجاءت بالمشمش حملاً، فأكلوا، فكلّ من أكل ونوى أن يسلم على يد ذلك النبيّ خرج ما في جوف النوى من فيه حلواً، ومن نوى أنّه لا يسلم خرج ما في جوف النوى من فيه مرّاً(١).

عن الهرويّ قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول: أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من أنبيائه: إذا أصبحت فأوّل شيء يستقبلك فكله، والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تؤيسه، والخامس فاهرب منه.

قال: فلمّا أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف وقال: أمرني ربّي أن آكل هذا، وبقي متحيّراً، ثمّ رجع إلى نفسه فقال: إنّ ربّي جلّ جلاله لا يأمرني إلاّ بما أُطيق، فمشى إليه ليأكله، فكلّما دنا منه صغر حتّى انتهى إليه فوجده لقمة فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله، ثمّ مضى فوجد طستاً من ذهب فقال:

أمرني ربّي أن أكتم هذا، فحفر له وجعله فيه، وألقى عليه التراب، ثمّ مضى فالتفت فإذا الطست قد ظهر فقال:

قد فعلت ما أمرني ربّي عزّ وجلّ فمضى، فإذا هو بطير وخلفه بازي فطاف الطير حوله فقال:

---

(١) علل الشرائع: ج ٢/ ص ٢٩٧، باب ٣٧٥/ ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٥٦، باب ٣١/ ح ٨.

أمرني ربّي أن أقبل هذا، ففتح كمّه فدخل الطير فيه، فقال له البازي أخذت صيدي وأنا خلفه منذ أيّام.

فقال: إنّ الله عزّوجلّ أمرني أن لا أُويس هذا، فقطع من فخذه قطعة فألقاها إليه ثمّ مضى، فلمّا مضى إذا هو بلحم ميتة منتن مدوّد فقال: أمرني ربّي عزّوجلّ أن أهرب من هذا، فهرب منه ورجع.

ورأى في المنام كأنّه قد قيل له: إنّك قد فعلت ما أُمرت به، فهل تدري ماذا كان؟

قال: لا.

قال له: أمّا الجبل فهو الغضب، إنّ العبد إذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب، فإذا حفظ نفسه وعرف قدره وسكّن غضبه كانت عاقبته كاللّقمة الطيّبة الّتي أكلتها، وأمّا الطست فهو العمل الصالح إذا كتمه العبد وأخفاه أبى الله عزّوجلّ إلاّ أن يظهره ليزيّنه به مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة، وأمّا الطير فهو الرجل الّذي يأتيك بنصيحة فاقبله واقبل نصيحته، وأمّا البازي فهو الرجل الّذي يأتيك في حاجة فلا تؤيسه، وأمّا اللّحم المنتن فهي الغيبة فاهرب منها(١).

عن يونس بن ظبيان قال: قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل: إن أحببت أن تلقاني غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً غريباً مهموماً محزوناً مستوحشاً من النّاس بمنزلة الطير الواحد فإذا كان اللّيل أوى وحده استوحش من الطيور واستأنس بربّه(٢).

عن الهيثم بن واقد الجزريّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّوجلّ بعث نبيّاً من أنبيائه إلى قومه، وأوحى إليه أن قل لقومك:

إنّه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سرّاء فتحوّلوا عمّا أُحبّ إلى ما أكره إلاّ تحوّلت لهم عمّا يحبّون إلى ما يكرهون، وليس من أهل

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١/ص ٢٤٩، باب ٢٨/ح ١٢، والبحار: ج ١٤/ص ٤٥٦-٤٥٧، باب ٣١/ح ٩.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ٢٨٠، والبحار: ج ١٤/ص ٤٥٧-٤٥٨، باب ٣١/ح ١٠.

قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضرّاء فتحوّلوا عمّا أكره إلى ما أُحبّ إلاّ تحوّلت لهم عمّا يكرهون إلى ما يحبّون، وقل لهم: إنّ رحمتي سبقت غضبي، فلا تقنطوا من رحمتي فإنّه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره، وقل لهم: لا يتعرّضوا معاندين لسخطي ولا يستخفّوا بأوليائي فإنّ لي سطوات عند غضبي لا يقوم لها شيء من خلقي(١).

عن ابن نباتة قال: قال عليّ عليه السلام على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه الأشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبيّ؟

فقال: بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم نبيّاً، وكان لهم ملك سكر ذات ليلة فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها، فلمّا أصبح تسامع به قومه فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا:

أيّها الملك دنّست علينا ديننا فأهلكته، فاخرج بظهرك نقم عليك الحدّ، فقال لهم:

اجتمعوا واسمعوا كلامي فإن يكن لي مخرج ممّا ارتكبت وإلاّ فشأنكم، فاجتمعوا فقال لهم:

هل علمتم أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأُمّنا حوّاء؟

قالوا: صدقت أيّها الملك.

قال: أفليس قد زوّج بنيه [من] بناته، وبناته من بنيه؟

قالوا: صدقت، هذا هو الدين، فتعاقدوا على ذلك، فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب فهم الكفرة يدخلون النار بغير حساب، والمنافقون أشدّ حالاً منهم.

فقال الأشعث: والله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبداً. الخبر(٢).

---

(١) تفسير العياشي: ج ٢/ ص ٢٧٩/ح ١٩/ ٢٠، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٥٨، باب ٣١/ح ١٣.
(٢) أمالي الصدوق: ص ٢٨٠/ مجلس ٥٥/ح ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٦١، باب ٣١، ح ٢٦.

في خبر الزنديق الّذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني عن المجوس أبعث الله إليهم نبيّاً؟ فإنّي أجد لهم كتباً محكمة، ومواعظ بليغة، وأمثالاً شافية يقرّون بالثواب والعقاب، ولهم شرائع يعملون بها.

فقال عليه السلام: ما من أُمّة إلاّ خلا فيها نذير، وقد بعث إليهم نبيّ بكتاب من عند الله فأنكروه وجحدوا كتابه، قال: ومن هو؟ فإنّ النّاس يزعمون أنّه خالد بن سنان.

قال عليه السلام: إنّ خالداً كان عربيّاً بدويّاً ما كان نبيّاً، وإنّما ذلك شيء يقوله النّاس.

قال: أفزردشت؟

قال: إنّ زردشت أتاهم بزمزمة وادّعى النبوّة، فآمن منهم قوم، وجحده قوم فأخرجوه، فأكلته السباع في بريّة من الأرض.

قال: فأخبرني عن المجوس كانوا أقرب إلى الصواب في دهرهم أم العرب؟

قال: العرب في الجاهليّة كانت أقرب إلى الدين الحنيفيّ من المجوس، وذلك أنّ المجوس كفرت بكلّ الأنبياء، وجحدت كتبها، وأنكرت براهينها، ولم تأخذ بشيء من سننها وآثارها وأنّ كيخسرو ملك المجوس في الدهر الأوّل قتل ثلاث مائة نبيّ، وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل، والاغتسال من خالص شرائع الحنيفيّة، وكانت المجوس لا تختتن وهو من سنن الأنبياء، وإنّ أوّل من فعل ذلك إبراهيم خليل الله، وكانت المجوس لا تغسّل موتاها ولا تكفّنها، وكانت العرب تفعل ذلك، وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحارى والنواويس، والعرب تواريها في قبورها وتلحد لها، وكذلك السنّة على الرسل، إنّ أوّل من حفر له قبر آدم أبو البشر وأُلحد له لحد، وكانت المجوس تأتي الأُمّهات وتنكح البنات والأخوات، وحرّمت ذلك العرب، وأنكرت المجوس بيت الله الحرام وسمّته بيت الشيطان، والعرب كانت تحجّه وتعظّمه، وتقول: بيت ربّنا، وتقرّ بالتوراة والإنجيل، وتسأل أهل الكتاب وتأخذ، وكانت العرب في كلّ الأسباب أقرب إلى الدين الحنيف من المجوس.

قال: فإنّهم احتجّوا بإتيان الأخوات أنّها سنّة من آدم.

قال: فما حجّتهم في إتيان البنات والأُمّهات وقد حرّم ذلك آدم وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام [(١)].

عن أبي يحيى الواسطيّ، عن بعض أصحابنا قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس أكان لهم نبيّ؟

فقال: نعم، أما بلغك كتاب رسول الله إلى أهل مكّة: أن أسلموا وإلّا نابذتكم بحرب، فكتبوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أن خذ منّا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان، فكتب إليهم النبيُّ صلى الله عليه وآله إنّي لست آخذ الجزية إلاّ من أهل الكتاب، فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه: زعمت أنّك لا تأخذ الجزية إلاّ من أهل الكتاب، ثمّ أخذت الجزية من مجوس هجر.

فكتب إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ المجوس كان لهم نبيّ فقتلوه، وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيّهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور[(٢)].

دعوات الراونديّ: روي أنّ الله أوحى إلى نبيّ من الأنبياء في الزمن الأوّل: إنّ لرجل في أُمّته دعوات مستجابة، فأخبر به ذلك الرجل، فانصرف من عنده إلى بيته فأخبر زوجته بذلك، فألحّت عليه أن يجعل دعوة لها فرضي، فقالت:

سل الله أن يجعلني أجمل نساء الزمان، فدعا الرجل فصارت كذلك، ثمّ إنّها لمّا رأت رغبة الملوك والشبّان المتنعّمين فيها متوفّرة زهدت في زوجها الشيخ الفقير وجعلت تغالظه وتخاشنه وهو يداريها ولا يكاد يطيقها، فدعا الله أن يجعلها كلبة فصارت كذلك! ثمّ أجمع أولادها يقولون:

يا أبه إنّ الناس يعيّرونا أنَّ أُمّنا كلبة نائحة وجعلوا يبكون ويسألونه أن يدعو الله أن يجعلها كما كانت، فدعا الله تعالى فصيّرها مثل الّتي كانت في الحالة الأولى، فذهبت الدعوات الثلاث ضياعاً[(٣)].



(١) الإحتجاج: ص ٢٤٦، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٦١-٤٦٢، باب ٣١/ ح ٢٧.
(٢) الكافي: ج ٣/ ص ٢٩٧، باب ٣٢٠/ ح ٤، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٦٣، باب ٣١/ ح ٢٨.
(٣) دعوات الراوندي: ص ٣٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٨٥، باب ٣١/ ح ٣٩.

نوادر أخبار بني إسرائيل

قال الطبرسيّ رحمه الله: عن ابن عبّاس قال: كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا، عبد الله زماناً من الدهر حتّى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوّذهم فيبرؤون على يده، وإنّه أُتي بامرأة في شرف قد جنّت وكان لها إخوة فأتوه بها وكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزيّن له حتّى وقع عليها فحملت، فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها، فلمّا فعل ذلك ذهب الشيطان حتّى لقي أحد إخوتها فأخبره بالّذي فعل الراهب وأنّه دفنها في مكان كذا، ثمّ أتى بقيّة إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول:

والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره، فذكره بعضهم لبعض حتّى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والنّاس فاستنزلوه فأقرّ لهم بالّذي فعل، فأمر به فصلب، فلمّا رفع على خشبته تمثّل له الشيطان فقال:

أنا الّذي ألقيتك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أُخلّصك ممّا أنت فيه؟

قال: نعم.

قال: اسجد لي سجدةً واحدة.

فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيماء، فأومأ له بالسجود، فكفر بالله، وقتل الرجل، فأشار الله تعالى إلى قصّته في هذه الآية(١).

(١) مجمع البيان: ج ٩/ ص ٤٣٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٨٦، باب ٣٢/ تفسير الآية.

عن أبي جميلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل عابد يقال له: جريح، وكان يتعبّد في صومعة فجاءته أُمّه وهو يصلّي فدعته فلم يجبها، فانصرفت، ثمّ أتته ودعته فلم يلتفت إليها فانصرفت، ثمّ أتته ودعته فلم يجبها ولم يكلّمها فانصرفت وهي تقول:

أسأل إله بني إسرائيل أن يخذلك، فلمّا كان من الغد جاءت فاجرة وقعدت عند صومعته قد أخذها الطلق فادّعت أنّ الولد من جريح، ففشا في بني إسرائيل أنّ من كان يلوم الناس على الزنا قد زنى، وأمر الملك بصلبه، فأقبلت أُمّه إليه تلطم وجهها، فقال لها: اسكتي إنّما هذا لدعوتك.

فقال النّاس لمّا سمعوا ذلك منه: وكيف لنا بذلك؟

قال: هاتوا الصبيّ، فجاؤوا به فأخذه.

فقال: من أبوك؟

فقال: فلان الراعي لبني فلان، فأكذب الله الّذين قالوا ما قالوا في جريح، فحلف جريح ألاّ يفارق أُمّه يخدمها[١].

عن عبد الملك بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل وكان له بنتان فزوّجهما من رجلين: واحد زرّاع، وآخر يعمل الفخّار، ثمّ إنّه زارهما فبدأ بامرأة الزرّاع فقال لها: كيف حالك؟

قالت: قد زرع زوجي زرعاً كثيراً، فإن جاء الله بالسماء فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، ثمّ ذهب إلى الأخرى فسألها عن حالها.

فقالت: قد عمل زوجي فخّاراً كثيراً، فإن أمسك الله السماء عنّا فنحن أحسن بني إسرائيل حالاً، فانصرف وهو يقول: اللّهمّ أنت لهما[٢].

عن الحسن بن الجهم، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل يكثر أن يقول:

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٧٧، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٨٧/ باب ٣٢/ ح ١.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٧٧-١٧٨، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٨٨-٤٨٩، باب ٣٢/ ح ٣ و٤.

«الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين» فغاظ إبليس ذلك فبعث إليه شيطاناً.

فقال: قل: العاقبة للأغنياء، فجاءه فقال ذلك، فتحاكما إلى أوّل من يطلع عليهما على قطع يد الّذي يحكم عليه، فلقيا شخصاً فأخبراه بحالهما.

فقال: العاقبة للأغنياء، فرجع وهو يحمد الله ويقول: «والعاقبة للمتقين».

فقال له: تعود أيضاً؟

فقال: نعم على يدي الأخرى، فخرجا فطلع الآخر فحكم عليه أيضاً، فقطعت يده الأخرى، وعاد أيضاً يحمد الله ويقول: «والعاقبة للمتقين» فقال له: تحاكمني على ضرب العنق؟

فقال: نعم، فخرجا فرأيا مثالاً فوقفا عليه.

فقال: إنّي كنت حاكمت هذا وقصّا عليه قصّتهما.

قال: فمسح يديه فعادتا، ثمّ ضرب عنق ذلك الخبيث.

وقال: هكذا العاقبة للمتّقين[١].

عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رجلاً كان في بني إسرائيل قد دعا الله أن يرزقه غلاماً، يدعو ثلاثاً وثلاثين سنة، فلمّا رأى أنّ الله تعالى لا يجيبه قال: يا ربّ أبعيد أنا منك فلا تسمع منّي، أم قريب أنت فلا تجيبني؟ فأتاه آت في منامه فقال له:

إنّك تدعو الله بلسان بذيّ، وقلب علق غير نقيّ، وبنيّة غير صادقة، فاقلع من بذائك، وليتّق الله قلبك، ولتحسن نيّتك.

قال: ففعل الرجل ذلك فدعا الله عزّ وجلّ فولد له غلام[٢].

عن مالك بن عطيّة، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل عاقل كثير المال، وكان له ابن يشبهه في الشمائل من زوجة عفيفة، وكان له ابنان من زوجة غير عفيفة، فلمّا حضرته الوفاة قال لهم:

(١) المصدر السابق.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٨١، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٩٠/ باب ٣٢/ح ٨.

هذا مالي لواحد منكم، فلمّا توفّي قال الكبير: أنا ذلك الواحد.

وقال الأوسط: أنا ذلك.

وقال الأصغر: أنا ذلك، فاختصموا إلى قاضيهم، قال:

ليس عندي في أمركم شيء، انطلقوا إلى بني غنام الإخوة الثلاثة، فانتهوا إلى واحد منهم فرأوا شيخاً كبيراً.

فقال لهم: ادخلوا إلى أخي فلان فهو أكبر منّي فاسألوه، فدخلوا عليه فخرج شيخ كهل فقال:

سلوا أخي الأكبر منّي، فدخلوا على الثالث فإذا هو في المنظر أصغر، فسألوه أوّلاً عن حالهم ثمّ مبيّناً لهم فقال:

أمّا أخي الّذي رأيتموه أوّلاً هو الأصغر، وإنّ له امرأة سوء تسوؤه وقد صبر عليها مخافة أن يبتلى ببلاء لاصبر له عليه فهرمته.

وأمّا الثاني: أخي فإنّ عنده زوجة تسوؤه وتسرّه فهو متماسك الشباب، وأمّا أنا فزوجتي تسرّني ولا تسوؤني ولم يلزمني منها مكروه قطّ منذ صحبتني فشبابي معها متماسك.

وأمّا حديثكم الّذي هو حديث أبيكم فانطلقوا أوّلاً وبعثروا قبره واستخرجوا عظامه واحرقوها ثمّ عودوا لأقضي بينكم، فانصرفوا فأخذ الصبيّ سيف أبيه، وأخذ الأخوان المعاول، فلمّا أن همّا بذلك قال لهم الصغير: لا تبعثروا قبر أبي وأنا أدع لكما حصّتي، فانصرفوا إلى القاضي.

فقال: يقنعكما هذا، ائتوني بالمال، فقال للصغير: خذ المال، فلو كانا ابنيه لدخلهما من الرقّة كما دخل على الصغير(١).

عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل صالح، وكانت له امرأة صالحة، فرأى في النوم أنّ الله تعالى قد وقّت لك من العمر كذا وكذا سنة، وجعل نصف عمرك في سعة، وجعل النصف الآخر في ضيق، فاختر لنفسك إمّا النصف الأوّل وإمّا النصف الأخير.

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٨٢، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٩٠-٤٩٢، باب ٣٢/ ح ٩ و١٠.

فقال الرجل: إنّ لي زوجة صالحة وهي شريكي في المعاش فأُشاورها في ذلك وتعود إليّ فأُخبرك، فلمّا أصبح الرجل قال لزوجته: رأيت في النوم كذا وكذا.

فقالت: يا فلان اختر النصف الأوّل وتعجّل العافية لعلّ الله سيرحمنا ويتمّ لنا النعمة.

فلمّا كان في اللّيلة الثانية أتى الآتي فقال: ما اخترت؟

فقال: اخترت النصف الأُوّل.

فقال: ذلك لك، فأقبلت الدنيا عليه من كلّ وجه، ولمّا ظهرت نعمته قالت له زوجته: قرابتك والمحتاجون فصلهم وبرّهم وجارك وأخوك فلان فهبهم، فلمّا مضى نصف العمر وجاز حدّ الوقت رأى الرجل الّذي رآه أوّلاً في النوم.

فقال: إنّ الله تعالى قد شكر لك ذلك ولك تمام عمرك سعة مثل ما مضى(١).

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرجت امرأة بغيّ على شباب من بني إسرائيل فأفتنتهم.

فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً رآها أفتنته، وسمعت مقالتهم فقالت: والله لا أنصرف إلى منزلي حتّى أفتنه فمضت نحوه في اللّيل فدقّت عليه، فقالت: آوي عندك، فأبى عليها.

فقالت: إنّ بعض شباب بني إسرائيل راودوني عن نفسي، فإن أدخلتني وإلاّ لحقوني وفضحوني، فلمّا سمع مقالتها فتح لها، فلمّا دخلت عليه رمت بثيابها، فلمّا رأى جمالها وهيئتها وقعت في نفسه، فضرب يده عليها، ثمّ رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فأقبل حتّى وضع يده على النار.

فقالت: أيّ شيء تصنع؟

فقال: أحرقها لأنّها عملت العمل، فخرجت حتّى أتت جماعة بني إسرائيل.

فقالت: الحقوا فلاناً فقد وضع يده على النار، فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده(٢).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ص ١٨٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٤٩٢، باب ٣٢/ح ١١.

عن الحسن ابن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثمّ قرّب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: وما أُوتيت إلاّ منك، وما الذنب إلّا لك.

قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمّك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة[1].

عن البزنطيّ، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ الرجل كان إذا تعبّد في بني إسرائيل لم يعدَّ عابداً حتّى يصمت قبل ذلك عشر سنين[2].



(١) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٣٧٠، باب الإعتراف بالتقصير، ح ٣، والبحار: ج ١٤/ ص ٥٠٠، باب ٣٢/ح ٢٣.

(٢) أصول الكافي: ج ٢/ ص ٣٩٢، باب الحلم/ج ١، والبحار: ج ١٤/ ص ٥٠٨، باب ٣٢/ح ٣٣.

بعض أحوال ملوك الأرض

سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام لِمَ سمّي تبّع تبّعاً؟

فقال: لأنّه كان غلاماً كاتباً، وكان يكتب لملك كان قبله، فكان إذا كتب كتب: بسم الله الّذي خلق ضحّاً وريحاً(١).

فقال الملك: اكتب وابدأ باسم ملك الرعد.

فقال: لا أبدأ إلاّ باسم إلهي، ثمّ أعطف على حاجتك، فشكر الله عزّ وجلّ له ذلك فأعطاه ملك ذلك الملك فتابعه الناس على ذلك فسمّي تبّعاً(٢).

عن مالك بن عطيّة، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر، عن أبيه عليهما السلام، عن جابر، عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه يحدّث أنّه كان في ملوك فارس ملك يقال له روذين، جبّار عنيد عات، فلمّا اشتدّ في ملكه فساده في الأرض ابتلاه الله بالصداع في شقّ رأسه الأيمن حتّى منعه من المطعم والمشرب، فاستغاث وذلّ ودعا وزراءه فشكا إليهم ذلك، فأسقوه الأدوية، وأيس من سكونه، فعند ذلك بعث الله نبيّاً فقال له:

اذهب إلى روذين عبدي الجبّار في هيئة الأطبّاء، وابتدئه بالتعظيم له، والرفق به ومنّه سرعة الشفاء بلا دواء تسقيه ولاكيّ تكويه، فإذا رأيته قد أقبل بوجهه إليك

---

(١) ضحاً وريحاً، وفي أكثر النسخ صبحاً، وهو تصحيف. قال الجوهري: قولهم جاء فلان بالضح والريح أي بما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح يعني من الكثرة والعامة تقول: بالضيح والريح، وليس بشيء. (منه رحمه الله).

(٢) علل الشرائع: ج ٢/ص ٢٣٦، باب ٢٩٦/ح ١، عيون أخبلار الرضا: ج ١/ص ٢٢٣، باب ٢٤/ح ١، والبحار: ج ١٤/ص ٥١٣-٥١٤، باب ٣٣/ح ١.

فقل: إنّ شفاء دائك في دم صبيّ رضيع بين أبويه يذبحانه لك طائعين غير مكرهين، فتأخذ من دمه ثلاث قطرات، فتسعط به في منخرك الأيمن تبرأ من ساعتك. ففعل النبيّ ذلك، فقال الملك: ما أعرف في النّاس هذا.

قال: إن بذلت العطيّة وجدت البغيّة.

قال: فبعث الملك بالرسل في ذلك فوجدوا جنيناً بين أبويه محتاجين فأرغبهما في العطيّة، فانطلقا بالصبيّ إلى الملك فدعا بطاس من فضّة وشفرة وقال لأُمّه: امسكي ابنك في حجرك، فأنطق الله الصبيّ وقال:

أيّها الملك كفّهما عن ذبحي، فبئس الوالدان هما، أيّها الملك إنّ الصبيّ الضعيف إذا ضيم كان أبواه يدفعان عنه، وإنّ أبويّ ظلماني، فإيّاك أن تعينهما على ظلمي، ففزع الملك فزعاً شديداً أذهب عنه الداء، ونام روذين في تلك الحالة فرأى في النوم من يقول له:

إنّ الإله الأعظم أنطق الصبيّ ومنعك ومنع أبويه من ذبحه، وهو ابتلاك بالشقيقة لنزعك من سوء السيرة في البلاد، وهو الّذي ردّك إلى الصحّة وقد وعظك بما أسمعك، فانتبه ولم يجد وجعاً، وعلم أن كلّه من الله تعالى فسار في البلاد بالعدل[1].

عن إسماعيل ابن أبي رافع، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ إنّ جبرئيل نزل عليّ بكتاب فيه خبر الملوك ملوك الأرض قبلي، وخبر من بعث قبلي من الأنبياء والرسل - وهو حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة إليه قال:

لمّا ملك أشبخ بن أشجان وكان يسمّى الكيس وملك مائتين وستّاً وستّين سنة، ففي سنة إحدى وخمسين من ملكه بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، واستودعه النور والعلم والحكمة وجميع علوم الأنبياء قبله، وزاده الإنجيل، وبعثه إلى بيت المقدس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه وحكمته، وإلى الإيمان بالله وبرسوله، فأبى أكثرهم إلاّ طغياناً وكفراً، فلمّا لم يؤمنوا به دعا ربّه وعزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا، فلم يزدهم ذلك إلاّ طغياناً وكفراً، فأتى

(١) البحار: ج ١٤/ص ٥١٤-٥١٥، باب ٣٣/ح ٣.

بيت المقدس يدعوهم ويرغّبهم فيما عند الله ثلاثاً وثلاثين سنة حتّى طلبته اليهود وادّعت أنّها عذّبته ودفنته في الأرض حيّاً، وادّعى بعضهم أنّهم قتلوه وصلبوه، وما كان الله ليجعل لهم عليه سلطاناً، وإنّما شبّه لهم، وما قدروا على عذابه ودفنه ولا على قتله وصلبه قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] فلم يقتدروا على قتله وصلبه لأنّهم لو قدروا على ذلك كان تكذيباً لقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[2] بعد أن توفّاه عليه السلام، فلمّا أراد الله أن يرفعه أوحى إليه أن يستودع نور الله وحكمته وعلم كتابه شمعون بن حمون الصفا خليفته على المؤمنين، ففعل ذلك فلم يزل شمعون يقوم بأمر الله عزّ وجلّ ويهتدي بجميع مقال عيسى عليه السلام في قومه من بني إسرائيل ويجاهد الكفّار، فمن أطاعه وآمن به وبما جاء به كان مؤمناً، ومن جحده وعصاه كان كافراً حتّى استخلص ربّنا عزّ وجلّ وبعث في عباده نبيّاً من الصالحين وهو يحيى بن زكريّا عليه السلام فمضى شمعون، وملك عند ذلك أردشير بن أشكان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، وفي ثمانية سنين من ملكه قتلت اليهود يحيى بن زكريّا عليه السلام.

فلمّا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن يجعل الوصيّة في ولد شمعون ويأمر الحواريّين وأصحاب عيسى عليه السلام بالقيام معه، ففعل ذلك وعندها ملك سابور بن أردشير ثلاثين سنة حتّى قتله الله، وعلم الله ونوره وتفصيل حكمته في ذرّيّة يعقوب ابن شمعون ومعه الحواريّون من أصحاب عيسى عليه السلام وعند ذلك ملك بخت نصّر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريّا عليه السلام وخرّب بيت المقدس، وتفرّقت اليهود في البلدان، وفي سبع وأربعين سنة من ملكه بعث الله العزير نبيّاً إلى أهل القرى الّتي أمات الله أهلها ثمّ بعثهم له، وكانوا من قرى شتّى فهربوا فرقاً من الموت، فنزلوا في جوار عزير وكانوا مؤمنين، وكان عزير يختلف إليهم ويسمع كلامهم وإيمانهم وأحبّهم على ذلك وآخاهم عليه، فغاب عنهم يوماً واحداً، ثمّ أتاهم فوجدهم موتى صرعى فحزن عليهم وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[3] تعجّباً منه حيث أصابهم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

وقد ماتوا أجمعين في يوم واحد، فأماته الله عند ذلك مائة عام وهي مائة سنة، ثمّ بعثه الله وإيّاهم، وكانوا مائة ألف مقاتل، ثمّ قتلهم الله أجمعين لم يفلت منهم واحد على يدي بخت نصّر.

ثمّ ملك مهرويه بن بخت نصّر ستة عشرة سنة وعشرين يوماً، فأخذ عند ذلك دانيال وحفر له جبّاً في الأرض، وطرح فيه دانيال وأصحابه وشيعته من المؤمنين، وألقى عليهم النيران، فلمّا رأى أنّ النار لا تقربهم ولا تحرقهم استودعهم الجبّ وفيه الأُسد والسباع، وعذّبهم بكلّ نوع من العذاب حتّى خلّصهم الله منه، وهم الّذين ذكرهم الله في كتابه فقال: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾[١] فلمّا أراد الله أن يقبض دانيال عليه السلام أمره أن يستودع نور الله وحكمته مكيخا بن دانيال، ففعل وعند ذلك ملك هرمز ثلاثة وستّين سنة وثلاثة أشهر وأربعة أيّام، وملك بعده بهرام ستّاً وعشرين، وولي أمر الله مكيخا بن دانيال وأصحابه المؤمنون وشيعته الصدّيقون غير أنّهم لا يستطيعون أن يظهروا الإيمان في ذلك الزمان ولا أن ينطقوا به.

وعند ذلك ملك بهرام بن بهرام سبع سنين، وفي زمانه انقطعت الرسل وكانت الفترة وولي أمر الله يومئذ مكيخا بن دانيال وأصحابه المؤمنون، فلمّا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه في منامه أن يستودع نور الله وحكمته انشوا بن مكيخا.

وكانت الفترة بين عيسى عليه السلام وبيّن محمّد صلى الله عليه وآله أربعمائة سنة وثمانين سنة، وأولياء الله يومئذ في الأرض ذرّيّة انشوا بن مكيخا يرث ذلك منهم واحد بعد واحد ممّن يختاره الجبّار عزّ وجلّ.

فعند ذلك ملك سابور بن هرمز اثنتين وتسعين سنة، وهو أوّل من عقد التاج ولبسه، وولي أمر الله يومئذ انشوا بن مكيخا، وملك بعده أردشير أخو سابور سنتين، وفي زمانه بعث الله عزّ وجلّ الفتية أهل الكهف والرقيم، وولي أمر الله يومئذ دسيحاء بن انشوا بن مكيخا، وعند ذلك ملك سابور بن أردشير خمسين سنة، وولي أمر الله يومئذ في الأرض دسيحا بن انشوا.

---

(١) سورة البروج، الآيتان: ٤ و٥.

وملك بعده يزدجرد بن سابور إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً، وولي أمر الله يومئذ في الأرض دسيحا بن انشوا، فلمّا أراد الله تبارك وتعالى أن يقبض دسيحا أوحى إليه في منامه أن يستودع علم الله ونوره وتفصيل حكمته نسطورس بن دسيحا ففعل.

وعند ذلك ملك بهرام جور ستّاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً، وولي أمر الله في الأرض نسطورس بن دسيحا.

وعند ذلك ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام سبعاً وعشرين سنة، وولي أمر الله في الأرض نسطورس بن دسيحا وأصحابه المؤمنون، فلمّا أراد الله عزّوجلّ أن يقبضه إليه أوحى إليه في منامه أن يستودع علم الله ونوره وحكمته وكتبه مرعيدا، وعند ذلك ملك فلاس بن فيروز أربع سنين، وولي أمر الله مرعيدا.

وملك بعده قباد بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة، وملك بعده جاماسف أخو قباد ستّاً وأربعين سنة، وولي أمر الله في الأرض يومئذ مرعيدا.

وعند ذلك ملك كسرى بن قباد ستّاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، وولي أمر الله يومئذ مرعيدا وأصحابه وشيعته المؤمنون، فلمّا أراد الله عزّوجلّ أن يقبض مرعيدا أوحى إليه في منامه أن يستودع نور الله وحكمته بحيرا الراهب ففعل، وعند ذلك ملك هرمز بن كسرى ثمان وثلاثين سنة، وولي أمر الله يومئذ بحيرا وأصحابه المؤمنون وشيعته الصدّيقون، وعند ذلك ملك كسرى بن هرمز أبرويز، وولي أمر الله يومئذ في الأرض بحيرا، حتّى إذا طالت المدّة، وانقطع الوحي، واستخفّ بالنعم، واستوجب الغير، ودرس الدين، وتركت الصّلاة، واقتربت الساعة، وكثرت الفرق، وصار الناس في حيرة وظلمة، وأديان مختلفة، وأُمور متشتّتة، وسبل ملتبسة، ومضت تلك القرون كلّها، فمضى صدر منها على منهاج نبيّها، وبدّل آخرها نعمة الله كفراً وطاعته عدواناً.

فعند ذلك استخلص الله عزّوجلّ لنبوّته ورسالته من الشجرة المشرّفة الطيّبة، والجرثومة المتخيّرة الّتي اصطفاها الله عزّوجلّ في سابق علمه ونافذ قوله، قبل ابتداء خلقها، وجعلها منتهى خيرته، وغاية صفوته، ومعدن خاصّته محمّداً صلّى الله عليه وآله، واختصّه بالنبوّة، واصطفاه بالرسالة، وأظهر بدينه الحقّ ليفصل

بين عباد الله القضاء، ويعطي في الحقّ جزيل العطاء، ويحارب أعداء ربّ السماء، وجمع عند ذلك ربّنا تبارك وتعالى لمحمّد ﷺ علم الماضين، وزاده من عنده القرآن الحكيم بلسان عربيّ مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه خبر الماضين وعلم الباقين[١].



(١) كمال الدين: ص ٢١٦، والبحار: ج ١٤/ص ٥١٥-٥٢٠، باب ٣٣/ح ٤.

الفهرس

الموضوع | الصفحة